مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

عدد ممتاز

العدد الاول - السنة الرابعة

ربيع الاول ـ ١٣٩٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

كلمة التحرير

مهمة الاعلام الاسلامي

بتوفيق من الله وتسديد تدخل مجلتنا «الهادي» سنتها الرابعة . . وكلها رجاء وأمل في أن تكون قد أدت شيئاً من واجبها الهام الملقى على عاتقها . . وخدمت القضية الاسلامية بمقدار حصتها كجزء من الاعلام الاسلامي . ولقد رأينا هنا ان نفتح مع الامة ككل، ومع الاخوة المسؤولين عن الاعلام الاسلامي بالخصوص . حديثاً حول واجب الاعلام الاسلامي الخطير، ومسؤولينه في هذا العصر ، الذي يمكننا ان نطلق عليه عصر النهضة الاسلامية ، او عصر ارهاصات النهضة اذا أردنا أن ندقق التعبير .

ولسنا نرى ضرورة ـ ونحن بهذا الصدد . ان نسهب في بيان أهمية الاعلام ككل ودوره الذي يقوم به اليوم، خصوصاً بعد ان استطاعت وسائله الحديثة ان تنفذ الى كل زاوية من زوايا الارض ، فتعيش مع الطالب في مدرسته ، والعامل في مصنعه ، والتاجر في متجره ، وربة البيت في خدرها ، والسياسي في قصره، والفلاح في حقله ، وغير ذلك ، حتى لم يعد تصريف سلعة بسيطة مامستغنياً عن الاعلام والاعلان فكيف بنظرية حياتية، بله الاطروحة التي تجد في نفسها صلاحية ان تكون البديل الاصلح لكل النظم القائمة ، والتي تمتلك فعلا مئات الملايين ممن يؤمنون بها نظرياً على الاطلاق ، وعملياً في الشائع .

انها اذن في أشد الحاجة لان تمتلك من يوصل صوتها الى العالم عموماً، والى معتنقيها خصوصاً ، فتبني النفوس وتربي البشرية وتتحكم في مجال سوقها نحو السعادة .

وهل يتوفر اليوم للاسلام ذلك الجهاز الاعلامي ؟ وما هي الواجبات الملقاة على عاتقه ؟

وهل هو بالمستوى المطلوب للقيام بتلك المهام ؟ واذا كان هناك قصور في النتائج فما هي اسبابه الداخلية والخارجية؟

واخيراً ماهي الوسائل الكفيلة بالنهوض به حتى يحقق النتيجة المطلوبة ؟

كل هذه الأسئلة تطرح نفسها امام هذا الحديث وتنتظر الاجابة .

ولا يمكن ان ينتظر القاريء العزيز ان نوفي الموضوع حقه بالتفصيل ،فليس ذلك الا في كتاب مفصل ، ولكن هذا لن يمنع من أن نشير الى روح الجواب بشيء من التركيز .

اما مسألة توفر الجهاز الاعلامي فمما لا ريب فيه اننا نجد امامنا مايمكن ان نسميه اعلاماً اسلامياً من مجلات اسلامية واسبوعية وشهرية وفصلية ، ومن اوقات مخصصة في بعض الاذاعات لايفاء الجانب الديني شيئاً من حقه ! فاذا ضممنا الى هذه الامور التي تتصل مباشرة بحياة عامة الناس، امراً آخر على مستوى تتذوقه طائفة خاصة هي طائفة المحققين والمثقفين الاسلاميين ، وهي الكتب المؤلفة من قبل كتاب ينتسبون للاسلام والنشرات الدورية امكن ان نطلق على المجموع اسم «الاعلام الاسلامي» .

ولعل القارىء يلاحظ اننا نتحفظ بعض الشيء في تسميتها بذلك ، وذلك لاننا بعد ملاحظة جوانب القصور التي ستأتي الاشارة اليها ، نتردد في اعطاء مثل هذا الاعلام شخصية اسلامية خصوصاً بعد ان نقارن بين الأهداف البعيدة المدى والثقيلة التي يجب ان يحملها مثل هذا الاعلام على فرض وجوده ، وبين ماهو متوفر من اساليب اعلامية تنوء تحت ثقل قصورها المهول !

والان ماهي الأهداف التي ينبغي ان يتوخاها الاعلام الاسلامي عموماً، بحيث يستطيع ان يؤدي دوره في عصر النهضة؟ اننا نعتقد انه على ضوء كونه اعلاماً ملتزماً بالاسلام ـ والاسلام يتناول مختلف الجوانب الحياتية عند الانسان من فكر وتصورات الى عواطف وأحاسيس الى انماط سلوك مختلفة ـ يجب ان يتوخى الأهداف التالية:

١ ـ ان يشكل الواسطة الامينة في مجال نقل الفكر الاسلامي من منابعه الاصيلة ، ومظانه الحقيقية الى العالم .

وتختلف الاساليب هنا على اساس اختلاف الاصعدة التي يعمل عليها :

ففي مجال الامة يعمل على اســاس خلق العقائدية الواعية وغرس الايمان ذي الخلفية القوية في القطاع الاعظم اذ لم نقل في المجموع ككل ، ومن ثم توعيتهم في مختلف جوانب الاسلام . واشعارهم بالترابط القائم بين الفكر والعمل وعدم امكان الفصل بينهما .

وبالتالي منحهم الشخصية الاسلامية المستقلة عن كل الشخصيات الوضعية، حتى لايميز المسلم عن غيره شيء اجتماعي عقائدي الا الاسلام . وفي مجال التبليغ والدعوة يحاول الاعلام الاسلامي ان ينفذ الى اقصى بقاع العالم ليوصل صوت الاسلام ورسالته ويرغب الناس فيه ويشرع لهم جوانب السمو فيه على كل الافكار والتصورات الاخرى فتطمئن له النفوس وتنفتح له القلوب .

٢ ـ نظراً الى ان النهضة تتطلب المستوى الثقافي للامة ، والذي يؤهلها لان تتسلم المركز الحساس في العالم، اذا انضم الى شروط النهضة الاخرى؛ فان على الاعلام الاسلامي ان يساير أي تطور علمي ، ويستوعب اي تحولات سياسية واجتماعية ، ويوصل صورتها الواقعية الى اكبر قدر ممكن، لكي تمتلك الامة الوعي العلمي والتقني المطلوب ، والموقف المحدد على ضوء العقيدة والأحداث الجارية ، من القضايا السياسية والاجتماعية . . فلا يمكن ان ننتظر من مجتمع يجهل مايجرى حوله ، او يعيش متأخراً في الجوانب العلمية ، ننتظر منه ان يقفز الى القمة بقدرة قادر ! فيجب ان يتعاون الجهاز التربوي والتعليمي مع الاجهزة الاخرى ـ ومنها الاعلام ـ في خلق المستوى الثقافي المطلوب.

وتدخل هنا مسألة تحسيس الامة بمواطن الخطر ومكامن الغزو الفكري وغيره وتقديم صورة واقعية عن مدى آثاره القريبة والبعيدة .

٣ ـ للاسلام اسلوبه الخاص في تنظيم العلاقات الاجتماعية وبث المناقبية التى تنبع من الذات التي ربتها العقيدة والمفاهيم ، وخلق روح المسؤولية المتوازنة بين الفرد والمجتمع. ومن هنا فالاعلام الاسلامي يجب ان يعمل على تمتين هذه الاواصر الاجتماعية، وبث روح الاسلام في عروقها، ونشر الفضائل الاخلاقية وعرض الصور الرائعة المثلى منها ، لتتخذ قدوة في المجتمع ، ومن ثم القيام على اذابة كل الظواهر غير الاسلامية ومحاربة الشائع منها باسلوب حكيم ، ومع تقديم البديل الصالح للظاهرة الخاطئة. وهذه نقطة مهمة يجب ان يلتفت اليها المشرفون على الامور الاجتماعية عموماً ، والمسؤولون عن الاعلام خصوصاً ، وذلك ان الظاهرة الخاطئة ـ مهما كانت واهية الجذور ـ تحتل مساحة معينة من الحياة الاجتماعية وسنقع في صعوبات متناسبة معها لو اردنا رفعها بلا تقديم بديل لها يملأ مكانها الفارغ .

وباختصار فان مانريده من هذه النقطة

هو ان يقوم الاعلام الاسلامي بمهمة «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» طبعاً بمعنى اوسع مما قد يدور في بعض الاذهان الضيقة .

٤ - ونظراً لترامي الرقعة الاسلامية واختلاف بقاع سكنى المسلمين، ونتيجة لفعل السياسات الاستعمارية ، ومرور الازمنة الطويلة على الفصل والبعد بين مجاميعهم المختلفة ، فاننا نرى التمزق الاحساسي، وعدم المشاركة المطلوبة بين تلك القطاعات المختلفة: مسكناً وذوقاً وتاريخاً شخصياً ، ومستوى ثقافياً، ومن هنا فان على الاعلام الاسلامي أن يوجد روح المشاركة الوجدانية بين المسلمين ويشعر كل جزء بمشاكل الجزء الاخر ويدفعه لكي يعمل على حلها كما يعمل على حل مشاكله هو ، عملا بما ورد عن المعصومين القادة من انه «لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له مايكره لها».

اننا نعتقد ان هذا الواجب ضروري جداً ، خصوصاً ونحن نشاهد ان المثقفين الاسلاميين فضلا عن غيرهم ليست لديهم اية معلومات ، او لهم معلومات ناقصة عن كثير من اجزاء هذه الامة سواء على الارض الاسلامية او ماكان منها يعيش في خضم مجتمعات لااسلامية فكم من شعوب اسلامية معرضة للغزو بمختلف جوانبه ؟ وكم منها من يكابد شظف العيش المرير ويواجه الموت جوعاً؟ وكم هي الجاليات الاسلامية المعرضة للذوبان على مر الزمان في بيئتها اللااسلامية ؟

٥ - واخيراً فانا نؤكد على هدف هام للاعلام دوره الرئيس في ايجاده وذلك هو تاجيج الجانب العاطفي في الامة ، وبث ، روح الحماس الحار في عروقها؛ فالامة الهامدة الباردة التي لاتستعر فيها جذوة الدفع لن تستطيع ان تقوم بالواجبات التاريخية مطلقاً .. والوجدان اكبر شاهد على مانقول . . .فلن يكفي الفكر لوحده في تحقيق التسامي وانما يحتاج الامر الى اقترانه بعاطفة واعية متأججة، والاعلام يستطيع بوسائله المختلفة ان يبقى جذوة الحماس مشتعلة دائماً نظراً الى انه يتحدث مع الفطرة، ويعرض الواقع متخلصاً من عيوب انماط الاعلام الاخرى التي تحاول ذلك ، لكن سرعان ماينكشف زيفها ومعارضتها للواقع واهدافها الرخيصة.

هذه بعض النقاط الهامة التي تسنى لنا ان نشير اليها في هذه الكلمة فاذا آمنا بها وجب ان نراجع انفسنا من جديد لنجد هل أن اعلامنا على المستوى الذي يحقق له السير في طريق هذه الاهداف ام لا؟ ان هذا مانحاول التعرض اليه في العدد القادم ان شاء الله تعالى .

حديث الإمام

اجرى مؤخراً مندوب احدى كبريات الصحف الايرانية مقابلة صحفية هامة مع سماحة الامام حينما كان يرقد للعلاج في احدى مستشفيات طهران ، ونحن نقتبس من نصوص المقابلة مايلي :

□ هل لسماحتكم ان تعطونا نبذة موجزة عن الدور الفعال للاسلام في عصرنا الحاضر .

الجواب: نحن نعتقد ان الاسلام هو اكمل الاديان وذلك لكونه الدين الحق اولاً ،ولانه خاتم الاديان ثانياً ، ولهذا السبب فانه قد خطط لكل الحاجات الانسانية واشباعها تخطيطاً دقيقاً ، ووضع لها العلاج الناجع الحكيم .

ان كل مانشاهده من قوانين وضعية تسودالمجتمعات المتمدنة تركز فقط على معالجة الجانب المادي من حياة البشرية ـ هذا مع فرض اخلاص واضعيها للبشرية وعدم ملاحظتهم لمصالحهم الضيقة ـ وهي لم تنجح حتى في المجال المادي نفسه لتوفير العدل في حين أننا نعتقد بأن كل التغييرات ـ الأعم من الحسنة اوالسيئة ـ التي حدثت في التأريخ البشري كانت حصيلة الافكار والتصورات ، أو بعبارة اخرى انها كانت حصيلة الجانب الروحي الاخلاقي ونوعيته .

وعلى اي حال فان القوانين الوضعية لاتخطط للاصلاح الروحي ، فاذا كنا

نشعر بضرورة الاشباع الروحي الى جنب الاشباع المادي المتزن فليس امامنا الا الدين الالهي الذي يعمل على تطهير المنبع بادىء ذي بدء ،والذي يغير التصور وينقي العقيدة من ادران الخرافة ويوجه الأخلاق الى المسير الحسن .

وكمثل على ذلك : قضية السلام العالمي : فاننا نجد الكثيرين ممن يدعون انهم أنصار السلام فيدعون الامم اليه - على فرض كونهم مخلصين في دعواهم - غفلوا عن ان النزوع الى العدوان اصبح طبيعة ثانوية تكمن في الاعماق ، ومالم يقم المصلح بالاصلاح العمقي فان الحرب باقية والعدوان مستمر على حقوق الشعوب .

فاذا مارأينا نيران الحرب قد خبت لايام معدودة فانها ستعود بعد لأي للاندلاع من تحت الرماد المصطنع وذلك لانهم كمموا السنة النار فقط ولم يكلفوا أنفسهم ان يفتشوا عن مصدرها فيقضوا عليه ، ولو دققنا النظر في الحروب التي مضت من قبل وجدنا ان اسبابها تكمن في الحرص والطمع والتعدي والظلم وطلب التوسع، والانانية وغيرها مماهو من هذا القبيل فمادامت هذه موجودة في النفس الانسانية، فاننا نتوقع الحرب والظلم والدمار والقلق .

ومن هنا نستنتج عجز القوانين الوضعية عن الاصلاح بقوة السيف والسيطرة فمن العجيب ان تشعر البشرية بويلات الحروب ، ومع كل تلك الأطروحات التي عرضت لمنع الحرب، فانها لاتلتفت الى السبب الاصيل لها .

فلماذا لايعتدي ويحارب من يعتقدان قانون تنازع البقاء هو القانون الساري؟

لماذا لايشعل الحرب من يعتقد أن الكون آكل ومأكول وان الحق مع السيف؟!

لماذا لايعتدي ويظلم ويسرق خيرات الاخرين من يعتقد بمثل هذه الافكار اللاانسانية ؟ ولاي داع يترك ذلك السلوك ويمشي على درب الاخوة والسلام ؟

ضرورة تغيير البيئة الاجتماعية

☐ : اذن ماهو السبيل لاصلاح من يعيشون تلك التصورات المنحرفة ؟

الجواب: من جهة النظر الدينية نحتاج الى قيام جهاز تربوي تبليغي واسع للاسلام

يجب ان يعرف الاسلام جيداً ثم يعرف للناس كذلك جيداً .

وثانياً فاننا بحاجة ماسة لاصلاح البيئة الاجتماعية ، وايجاد البيئة التي تربى الشخصية المسلمة .

فلايمكن الاصلاح في بيئةسممت آفاقهاواختلطت الافكار الصحيحة فيها بالمحرفة وفسح المجال فيها للافكار الضالة المحطمة للشخصية الانسانية .

انني لاشعر ان الجهاز الاعلامي -وخصوصاً الصحف والمجلات- قدنسي وظيفته الخطيرة تجاه الدين والارشاد والهداية ،فانانشاهد الكثير من المواضيع المتناقضة الحسن منها والسيء ، والجميل ، والقبيح ، والمحرك منها والضابط مختلطة امام القارىء مما يخلق التمزق في شخصيته .

ان السينما والمسرح والراديو والتلفزيون لتشترك كلها في هذا السبيل المضل فهي تسعى جهدها لكي تجلب اليها المشاهدين او المستمعين من الشباب دون ان تلتفت الى غرض وراء ذلك ، وانني لاعتقدانها تهيء بنفسها مقدمات الفاجعة المؤلمة والهوى والسقوط .

ترى اليس مثل هذه البيئة مما يجر المجتمع نحو العدم ونحو المواد المخدرة والخمر ، والقلق والاضطراب ؟ !

ان من المسلم به ان افراد مثل هذا المجتمع لاينفعون انفسهم .

انا اسألك انت: ماهو الشيء المرتجى من شخص معتاد على المواد المخدرة والخمر؟

وهل يمكن لمثل هؤلاء ان يحافظوا على مصالح الامة ؟ !

اني اعتقد ان علينا واجب ايقاظ الجانب الروحي في الشباب وتوضيح مضار هذه الاعمال ، يجب ان نوجههم الى الله ،يجب ان نربي ونغير اخلاقياتهم واساليب تفكيرهم الى الشكل الاصلح كي يقيّموا الاشياء على واقعها ويحسوا بقيمة الأخلاق والمعنويات .

اننا لو أصلحنا المجتمع على هذه الشاكلة فان المواد المخدرة وامثالها ستنحسر بطبيعتها من المجتمع او ستصبح بضاعة لارواج لها مطلقاً .

ان علينا ان نلاحظ العلل التي دفعت الشباب لان يكون معتاداعلى الهيروئين فنحاول بعد معرفتها التخطيط لمحوها وبالتالي ارجاع الشباب عن الطريق الـذي يسلكونه فعلا .

ان هذا هو احدى الوظائف التي يجب ان تقوم بهاالصحف الهادفةللاصلاح وامثالها لان الصحف لابدوان تكون صحفاً هادفة .

فالصحف التي تصدر في بلد اسلامي يجب ان تلاحظ ذلك الامر فتقوم بترويج المسائل الاسلامية ، واحترام المبادىء والقوانين الاسلامية، ولكنانشاهد ـ مع مزيد الأسف ـ انها مملوءة بالمواضيع المخالفة للعقيدة ومن ذلك نشر الصور الخلاعية الفاضحة ، والقصص المضللة ، واعلانات الافلام المبتذلة وحتى اعلانات شركات صنع الخمر ! !

فاذا ماراد كتابنا ومفكرونا ان يحفظوا الأمة ويسوقوها نحو الحسن والكمال يجب عليهم السعي في سبيل الارشاد الصحيح الواقعي ، اذ ان الالحاد اليوم يهدد العالم بالفناء ، واعني بذلك ان مادية الغرب والشرق ـ وروحهما واحدة ـ تهدد العالم واقعاً . ونحن نعتقد ان الجواب في الاسلام لاغير ، وان الرد الكامل على كل المشاكل المطروحة هو الاسلام ،وعلى اي حال يجب الالتفات الى ان القول لايكفي ان لم يعضده العمل .

الاسلام في افريقيا :

□ : ماراي سماحتكم في انتشار الاسلام في افريقيا، وهل هناك تخطيط للاسراع في ذلك المجال ؟

الجواب : ان الاسلام ينتشر بسرعة لافي افريقيافحسب بل وحتى في امريكا وله نفوذ واسع في تلك القارة ، وهذا النفوذ يزداد شيئاً فشيئاً .

لقد قدم الى قم المقدسة احد الزعماء السود هناك قبل شهرين واسلم على يدي وعندما سألته عن علة اسلامه قال :

لقد رأيت ان الاسلام قد ادرك اموراً قبل ١٣٠٠ سنة في حين لم يدركها مدعو

العلم والحضارة لحد اليوم ومن تلك المسائل مسألةرفض التمييز العنصري والتفاضل باللون فحتى في امريكا التي تدعي التحضر الاقصى نجد المشاكل قائمة على اشدها وسفك الدماء بين البيض والسود .

[] ماهي الحدود التي بلغها التبليغ الاسلامي فى افريقيا ؟

الجواب: ان الاسلام دين الحق والعدالة، وذو خصائص وميزات تجعل من الطبيعي ان ينتشر بسرعة ، فالمجتمعات المظلومة فى العالم ماأن تتعرف - ولو بنحو الاجمال- على تعاليمه حتى تندفع لاعتناقه ، وهذا مانشاهده اليوم .

فرغم كل الثقل الذي تلقيه الدول المسيحية والجهاز التبشيري نجد ان النتائج التى تحصل لصالحهم غير متناسبة كماً وكيفاً مع تلك الجهود المبذولة .

فى حين ان الدعوة الى الاسلام -رغم كل القصور فيها والمشكلات والعقبات فى طريقها ومنها المشكلة المالية - تتقدم بسرعة محيرة ، بحيث اقلقت الجمعيات غير الاسلامية فطرحت هذه القضية للبحث فى مؤتمراتها المتتابعة وصحفها وراحت تتلمس سبيلا لايقاف التقدم الاسلامي .

وعليه فلو ان الامة الاسلامية قامت بما يجب، ولو ان المسؤولين فيها ابدوا بعض التسهيلات فانا نتوقع العمل الاسلامى مستقبلا زاهراً ونتائج باهرة .

ان مبلغينا فى افريقيا قليلون جداً ، وقد قامت دار التبليغ الاسلامى فى قم بتقبل بعض الطلاب الافارقة والقيام بتربيتهم وتغذيتهم بالتعاليم الدينية ، لكي تقوم بارسالهم الى افريقيا بعد اتمام مراحل الدراسة ليقوموا بواجبهم الديني هناك من نشر وتبليغ لتعاليم الاسلام الحنيف .

وقد اعطينا منحاً دراسية معينة للاقطار الافريقية ، وتكفلنا بمايضمن الدراسة الهادئة لمجموعة منهم فدرسوا التعاليم الاسلامية ثم قمنا بارسال اثنين منهم الى تنزانيا وسنرسل اثنين اخرين ايضاً ، اماالباقون فسنقوم بتهيئة وسائل ارسالهم الى باقي الاقطار الافريقية .

وتوجد فى تانزانيا مؤسسة اسلامية اخبرنا رئيسها بأنه نتيجة للجهود الاسلامية

فقد اسلم ما يقرب من اربعة آلاف مسيحي معاً مما دعانا لارسال الشخصين المذكورين على جناح السرعة ولكننا على أي حال نواجه نقصاً في عدد المبلغين ويجب ان نتلمس السبيل لسد هذا العجز . وقد اتفقنا مع أحد الشخصيات الاسلامية الافريقية وهو الأستاذ محمد بللي الفوتي رئيس الجمعية الاسلامية لجمهورية «توغو» على ارسال مجموعة من الطلاب الافارقة الى قم لتلقي تعليماتهم في دار التبليغ الاسلامي. ومما يؤسفنا حقاً ان لا تكون لدينا فعلا الامكانيات المادية التي تسمح لنا بالقيام بحملة تبليغية في الخارج ، ولكننا على أي حال نقوم بنصيبنا من هذه العملية وعن طريق دار التبليغ الاسلامي في اغلب الاحيان وذلك لان هذه الدار تقوم بتدريس التعاليم الدينية بمختلف اللغات كالعربية والانكليزية والاردية بالاضافة للفارسية ، ولكن هذا العمل لم يكمل تماماً وسنحاول بعون الله ان نعمل على رفع العقبات من الطريق.

اننا نؤمن ايماناً تاماً بأن الاسلام اينما ذهب وأينما عرض بواقعه على الناس فانه لن يعرض عنه احد مطلقاً الا ان يكون معانداً مغرضاً .

المراكز والجامعات العلمية الاسلامية

□ : اسمحوا لنا بالحديث عن الجامعات الأسلامية في العالم .

الجواب : قد لا نملك جامعة اسلامية بكل ما للكلمة من معنى اصطلاحي في اوربا ، نعم هناك بعض الجامعات المهمة في العالم تخصص بعض الاقسام فيها للدراسات الاسلامية واضرب على ذلك مثلا جامعة «مك كيل» في كندا اذ وجهت دعوة الى حضرة الشيخ مهدي الحائري نجل المرحوم الامام الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الجامعة العلمية في قم لكي يقوم بتدريس علم الكلام والفلسفة فيها وقد لبى الدعوة ومازال هناك وقد علمت انه يؤم الطلاب هناك في صلاة الجمعة بالاضافة للتدريس .

□ : حدثونا عن الجامعات الاسلامية في آسيا ؟

الجواب : يمكن ان نحصر الجامعات الاسلامية بمعناها المركز في الجامعة العلمية في قم المقدسة ،ايران والجامعة العلمية في النجف الاشرف ،العراق

والجامع الأزهر في مصر .

ومن الواضح ان الجامعة تعني ـ اصطلاحاً ـ المحل المعد لتدريس العلوم على اعلى مستوى ، وعلى هذا فالجامعة الاسلامية تجد لها مصداقاً كاملا في قم المقدسة حيث تدرس فيها العلوم الاسلامية على اعلى مستوى وهكذا الجامعة العلمية العريقة في النجف الاشرف والتي ربت فحول العلماء خلال الف سنة وهي مازالت تقوم بفعالياتها العلمية وان وجدت المشاكل والتضييقات والعقبات في سبيل عملها ونرجو الله تعالى ان يرفعها بلطفه .

وعلاوة على ذلك فان هناك العديد من المراكز والحوزات العلمية في مختلف الاماكن كمدن مشهد ، اصفهان، همدان وغيرها وهي ايضاً تقوم بواجبها في هذا المجال.

فيلم النبي (ص)

□ أسمحوا لي بسؤال عن رأيكم في مسألة اعداد فيلم عن حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

الجواب : اولا : ـ ان هؤلاء الذين يريدون القيام بهذا العمل لم يعرف عنهم انهم سيسيرون وفق الواقع الاسلامي ، وانما هم افراد كل همهم الربح والتجارة وهؤلاء بلاشك سوف لايمتلكون تلك النظرة الواقعية التي نمتلكها عن النبي (ص) فلانهم يهدفون الى الجانب التجاري من المسألة فهم سوف يحاولون ـ بلاشك ـ ابراز جوانب مثيرة تضمن لهم جلب اكبر عدد من المشاهدين لجلب اكبر مقدار من الربح وهذا مما يؤثر على الصورة الحقيقية .

ثانياً : ان المصادر التي يعتمدون عليها مما لا نعتمد عليه، اذ ان معلوماتهم تاريخية وادراك واقع الحياة النبوية لا يمكن ان يتوفر عليه الا مجتهد يستطيع ان يلاحظ القضايا التاريخية المتعددة ويقارن بينها ويبحث عن القرائن التي تثبت له الصورة ـ ان امكن ذلك ـ في حين لا يمتلك الذين يقومون على اخراج هذا الفيلم مثل ذاك المستوى ولذلك فليسوا بمؤهلين للقيام بهذا العمل الخطير .

ثالثاً : هل يمكن ان نتصور ان من سيقوم بدور النبي يمتلك صلاحية القيا

به ؟ اليس هو من أولئك الذين قاموا بالأدوار الفاضحة الاخلاقية الاخرى ؟

وعلى أي حال فالذي كان لهم ــ على الاقل ــ القصد التجاري لا غير هل يمكنهم اداء ذلك الدور العظيم تمثيلاً؟ كلا! ولذا ففي رأيي ان ذلك العمل غير صالح مطلقاً.

□ : فلو قام بمهمة الاعداد له قطر مسلم ترون انتم صلاحيته من هذه الجهة تماماً ، وقام بالتمثيل اشخاص موثقون مؤمنون فماذا ترون ؟

الجواب : ان مثل هذا العمل لا يمكن القيام به وليس بصحيح ومنطقي ويجب منعه وذلك لانه سيفتح الطريق لان يقوم اشخاص ليست لهم تلك الاهلية بالقيام بأدوار من ذلك القبيل، وقد أبديت وجهة نظري تجاه الفيلم قبل ثلاث سنوات وقمنا ببعض الترتيبات لمنعه ـ على الاقل ـ من دخول ايران اذا أخرج رغم كل ذلك .

البنك الاسلامي

□ هل يسمح سماحتكم ببيان الرأي الصواب حول انشاء البنك الاسلامي الذي اقترح في مؤتمر رؤساء الاقطار الاسلامية ؟

الجواب : لست مطلعاً اطلاعاً كاملاً على برنامج هذا البنك المقترح فان كان الهدف ايجاد بنك يشبه البنوك القائمة من حيث المعاملات الربوية وان كان برأس مال اسلامي فهذا العمل ليس بصحيح مطلقاً ــ من وجهة نظرنا ــ وغير مشروع اذ انه يشتمل على المعاملات الربوية والربا محرم في القرآن الكريم تحريماً باتاً، اما لو كان هناك توجه لانشاء بنك لاربوي نظير ما نشاهده اليوم منتشراً في ايران وغيرها مما يسمى بـ «صناديق القرضة الحسنة» فان ايجاد مثل ذلك البنك حسن جداً ، ومن الطبيعي ان البنك المذكور لو امنت له مالياته من جهات اخرى ، وعاد بنكاً له اسهام كبير في حل المشكلات الاقتصادية للاقطار المحتاجة فانه سيكون مفيداً بلا شك

وعلى أي حال فاننا نعتقد ان الربا ــ كما اخبرنا به الاسلام ــ موجب للفساد والخراب والشقاء وانه سينتهي بالمجتمع يوماً ما الى الدمار .

اتذكر ان المرحوم السيد جمال الدين الأسد آبادي ذكر في رسالته الى نيجيرية ــ وقد قرأتها قبل ٢٠ او ٢٥ سنة [وانتم تعلمون ان السيد كان يعيش قبل انقلاب اكتوبر

في روسيا وأنه توفي قبل ٨٠ سنة تقريباً] ـذكر: ان عمل النبلاء في روسيا كان هو أكل الربا ، ومص دماء الضعفاء ، ولـهذا فاني اخاف من عاقبة روسيا وستحدث ثـورة هناك يوماً ما .

لقد كتب السيد ذلك قبل حدوث الانقلاب بسنين .

والنموذج الاخر الذي يمكن ان اسوقه هنا هو الاعتداء الانكليزي على الهند فقد كان الربا أحد الدوافع الرئيسية لمجيئهم الى الهند اذ كانت هناك في الهند طبقتان طبقة غنية جداً واخرى فقيرة جداً ، وكان الربا رائجاً بشدة هناك ، ومن هنا فقد جاء الانكليز وافتتحوا مؤسسة تجارية واشتغلوا بهذا الامر لكي يجلبوا المساكين ،وما هو المنتظر من شعب مسكين لا خبز له ؟ !

لقد اقبلوا على المؤسسات الربوية وكان ذلك أحد العوامل الرئيسة في تسلط الانكليز على الشعب الهندي والذي دام ١٥٠ سنه .

وعليه فللربا مثل هذه المضاعفات السيئة . . وقد أصبح الحال اليوم و الناس يتخيلون ان كل الاعمال اليوم لابد وان تجري عن طريق البنوك ، فاذا انعدمت هذه البنوك فان الاوضاع ستنقلب رأساً على عقب ، ولربما كان ذلك صحيحاً مع هذه الاوضاع المنحرفة للاقتصاد العالمي والحقيقة هي انه لو كانت هناك قوانين متناسقة امكن تأسيس بنوك تقوم على تمشية امور المحتاجين بالاضافة الى قيامها بالمشاريع التي تنفع الامة مع عدم تعاملها بالربا ونرجو ان يكون البنك الاسلامي من هذا القبيل.

مسألة الشباب

☐ ماهي النصائح التي يقدمها الامام للشاب المسلم في عالمنا الحاضر ؟ وما هو الذي يجب عمله لهداية الشباب بصورة اوسـع واركز ؟ وبالتالي ماهـي رسالتكم الى الشباب المسلم في العالم ؟

الجواب : يمكننا ان نطرح عدة مسائل مع الشباب ، ولكن الكلام لايكفـي . والواقـع ان ارتباط الاشياء بعضها ببعض يجعل من غير الممكن ان نصلح الشباب ومشاكلنا الاخرى قائمة على حالها .

فهل من الممكن القيام باصلاح الشباب في مجتمع قد انحل بناؤه الاجتماعي؟ يجب ايجاد البيئة المساعدة لكي يكون للشباب ذاتفهم صحيح لماسوف نقوله له.

فمثلا لو أن الوسائل التي تثير الشهوات والانحرافات كانت منتشرة في المجتمع
ولم تمنع مراكز الافساد والانحراف من القيام بنشاطها الهدام ، وتعرضت الطرق
الحسنة في المجتمع لتخريب مفسد ، لو ان كل ذلك كان قائماً في المجتمع
للشباب ان يستمع الينا اذا قلنا له بصوت ضعيف: ايها الشباب ان عملك هذا غير صحيح
ان الواجب ان تتعاون وسائل الترابط الاجتماعي مع كل المؤسسات الاصلاحية
للمجتمع في عملية ارشاد الشباب ومن تلك الوسائل النشرات والمطبوعات والصحف
فان عليها ان تقوم بدور البناء، ويجب ان تختار الأصلح النافع فتنشره بين الناس
ليهتدوا جميعاً والشباب بالخصوص لا انها تسعى وراء التحلل واشاعة الاباحية
واساليب الجناية والسرقة .

قبل مدة حدثني احد الذين اعرفهم عن ملاحظاته في ايطاليا وكان مما قال ان
يطالع الصحيفة الناطقة بلسان الفاتيكان يجد ان الصحيفة لا يبدو من مقالاتها لاول
وهلة انها تدعو وتبلغ للمسيحية مباشرة .

ولكن ما ان يطالع القاريء بعض الاعداد حتى يشعر بأنه تعرف على المسيحية
بحيث يقبل القاريء على مطالعة الصحفية بشوق ويصلونهم الى المطلوب من وراء ذلك

هكذا يجب على مطبوعاتنا وصحفنا ان تسلك وتهيء مواضيعها بالشكل الذي
يضمن ان يسوق الشباب نحو الدين والايمان والعدالة بشكل طبيعي .

ولكنا نشاهد مع الأسف ان المجلات والصحف لا تستهدف ذلك .

فهي تارة تكتب في المسائل الدينية مقالات ضافية مما يبعث على العجب
واخرى تفرط في عرض المواضيع غير الدينية مما يبعث على العجب ايضاً و واضح
ان هذا الأسلوب له خطره الكبير .

وقد سمعنا مرات عديدة ان المسؤولين عن المطبوعات يقولون : علينا ان نشبع
الجميع ، في حين ان هذا غير صحيح ، فهل يجب اعطاء القاريء كل ما يريد ؟
وهل ان مثل هذه الاعمال امر يقبله المنطق ؟ تعالوا واعملوا عملا لا يقود الشباب
نحو الشهوة والجناية والانحراف والظلم ،بل اهدوهم نحو كمالات الحياة والاسلام .

عبد الله بن سبأ

بين الواقع والخيال

«٦»

السيد هادي الخسروشاهي

* * *

بحثنا في اعداد السنة الثالثة من مجلة الهادي حول اسطورة عبد الله بن سبأ وقصصه باختصار وقلنا :

اولا : ان ما نسب الى عبد الله بن سبأ من العقائد والوقائع انما هي قصص اخترعها الحاقدون على الاسلام ــ وخاصة في القرون الاخيرة ــ ليمزقوا وحدة الامة الاسلامية . . .

ثانيا : ان عبد الله بن سبأ وقصصه اسطورة وهمية وخيالية ، بعيدة عن التحقيق العلمي والتاريخي كل البعد وما كان لـ«عبدالله بن سبأ» وجود في الخارج والتاريخ بل اختلقه سيف بن عمر التميمي...

ثالثا : ان ادلة الباحثين المنصفين القدامى والمتأخريــن ــ من السنة والشيعة ــ تدل بوضوح على ان قصة عبد الله بن سبأ مختلقة من الاساس وفي هذا العــدد نشير الى آراء بعض علماء الشيعة الكبار القدامى منهم والمعاصرين وبذلك ننهي المقال عسى ان يفيد الذين يريدون الحق ودراسة الموضوع، بدقة علمية...

* * *

تحقيق الشيخ عبد الله السبيتي :

. . . والاستاذ الشيخ السبيتي من علماء الشيعة المعروفين ، وله تآليف قيمة منها : تحت راية الحق ـ المباهلة وحجة الوداع ـ سلمان الفارسي ـ ابوذر الغفاري ـ عمار بن ياسر ـ حجر بن عدى الكندى ـ وغيرها بالاضافة الى كتابه القيم الذى ألفه في جواب «سعدمحمد حسن» احد شيوخ الازهر ، الذى الف كتاباً أسماه ـ المهدوية في الاسلام ـ وكان فيه تحامل وافتراء واضح على الشيعة ، فتصدى الشيخ السبيتي للرد عليه ومن جملة ماكان قد تطرق اليه كتاب (المهدوية) هو اسطورة ابن سبأفكتب في جوابه : «اعتقدوا ان السبئية لم يكن لها في اى مرحلة وفى اى زمان وجود اللهم الا في خيالات و اوهام اعداء الشيعة وانها لمسألة الصقها هؤلاء الأعداء بتاريخ التشيع. اعتقدوا ان السبئية مولود غريب عجيب اذافكر فيه الانسان بدقة لايكاد يصدق بوجوده . . ان اخفاء الحقائق والقاء التهم ، كان من الوسائل التي تشبثت بها السياسات القائمة لتدمير اعدائها والقضاء على معارضيها ،وهذه السياسة هي التي كانت وراء ايجاد وخلق ابن سبأ والسبئية ، واتهام الشيعة والتشيع بها . . .

حقاً انها لمسألة عجيبة ومضحكة ان يظهر عبد الله بن سبأ والسبئية في زمن عثمان وفي ادنى مدة تستطيع ان تقتل وتقضي على خليفة المسلمين ، وتحدث في اوساط المسلمين اختلافاً وانشقاقاً كبيراً ،قدبقي اثره على طول المراحل والاجيال.. وابن سبأ استطاع ـ وبسرعة مذهلة ـ ان يطعن الاسلام وهو في اوج قدرته وعزته بخنجره اليهودى السحرى ، ومن ثم سلب الناس دينهم ومعنوياتهم ! ! .

عجباه من هذا اليهودى ! الذى يعتبر ادهى من بن غوريون كيف ولماذا لم يحتل فلسطين التي يعتبرها اليهود وطنهم القومي ؟ ! وكيف لم يعد لليهود ماقدتباكوا عليه ، منذ ايامهم الاولى ، لاعتبارها ارض الميعاد! !.

ان الاهداف السياسية قداستطاعت ان تصنع بالاوهام والخيالات السحرية شخصية موهومة باسم عبد الله بن سبأ فنظمت لها المخططات ، من اجل تخريب الاسلام ،

ولست ادري لماذا خلقت هذه الايدي الآثمة، هذه الاسطورة ؟».

ان جواب هذا السؤال واضح ، وليس جوابه الا ما يلي :

ان التعصب الجاهلي الاعمى لا يمكن ان يوزن بالميزان المعطقي السليم .. فالحقيقة، ان الاختلاف في موضوع الخلافة ، هو الذى اوجد اسطورة ابن سبأ والسبئية ، كي يقضي بذلك على اى عنصر مخالف ، بحجة الانتماء الى اتباع ابن سبأ . . . ففي الرسالة التى ارسلها «زياد بن ابيه» ، من البصرة الى معاوية بعد القاء القبض على الصحابي الجليل حجر بن عدى مع جمع من انصاره ، يقول «لقد القينا القبض على ثلة من السبئية وفي مقدمتهم رئيسهم حجر بن عدى ...» (١).

ولنا في تأييد الاستاذ السبيتي شواهد كثيرة اخرى لما رأينا مما سبق كيف ان كبار الصحابة (رض) كابي ذر الغفارى، وعمار بن ياسر ، اتهموا بالسبئية ، واعانة ابن سبأ ، ولقد اشار الدكتور طه حسين في كتابه «علي وبنوه» (٢) الى اتهام مالك الاشتر بالسبئية والملاحظ ايضاً ان هؤلاء النفر اتهموا بالسبئية لانهم كانوا من اقطاب المعارضة.

ويستطرد العلامه السبيتي قائلا :

وعلى اى حال فان المتتبع المنصف ، حينما يقرأ سلسلة الامور المربوطة بابن سبأ لا يستطيع ان يصدق ان هناك شيئاً في البين . . من يصدق ان ابن سبأ او من له يد اطول من يد ابن سبأ ، يستطيع ان يأخذ زمام امور المسلمين بيده ، ويحرضهم ويدعوهم الى الثورة ، والخليفة ـ عثمان ـ وولاته بمسمع ومنظر ولا يجدون لانفسهم حولا ولا قوة ؟ من هو ابن سبأ الذين كان يجوب بلاد المسلمين طولا وعرضاً ، وينشر افكاره الهدامة ، في حين كانت سيوف الامويين مشهورة ولا يمكنها الرد عليه ؟! وعلى الاول كان من الممكن ان تقبض عليه ايدى السلطة آنذاك لتنفيه من بلاد المسلمين لماذا لا نجد في تاريخ اليهود اسماً لابن سبأ مع كل نبوغه وسياسته ؟ اين وصل في نهايته ؟ واين صار اتباعه ؟ هذه اسألة لابد ان يطرحها الباحث المحايد المنصف

---

(١) حجر بن عدى . تأليف العلامة الشيخ خليل الكمرابى .ط. طهران ص٦٦-٦٧ .

(٢) علي وبنوه لطه حسين الجزء الثاني ص ١١٥ .

على نفسه ويتحرى الحقيقة في الجواب (١) .

* * *

وبعد هذه المقدمة يدخل الاستاذ السبيتي في بحثه التحليلي الدقيق فيمدد التناقضات العجيبة الموجودة في القصص والروايات التي تدور حول ابن سبأ ومن ثم يبحث في السبأية واتباعها والخرافات التي حيكت حولها ، ولمزيد من التفصيل ، يمكن للقاريء والدارس ، مراجعة نفس الكتاب . . . حيث يدوم البحث من الصفحة ١١٨ حتى الصفحة ١٦٠ . . .

رأي الشيخ كاشف الغطاء :

وقبل ان نختتم البحث ، من الضروري الاشارة الى رأي آخر جاء في كتاب لاحد علماء الشيعة الكبار ، وهو الامام ، المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء من المراجع الدينيين العظام في النجف الاشرف ، حيث يقول :

« . . اما عبدالله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة او يلصقون الشيعة به ، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه واخف كلمة تقولها كتب الشيعة في حقه ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في «العين» هكذا : «عبد الله بن سبأ ألعن من أن يذكر» ـ انظر رجال ابي علي وغيره ـ (١) .

على انه ليس من البعيد رأي القائل : أن عبد الله بن سبأ و مجنون بني عامر و ابي هلال وامثال هؤلاء الرجال او الابطال ! ، كلها احاديث خرافة وضعها القصاصون وارباب السمر والمجون ، فان الترف والنعيم قد بلغ اقصاه في اواسط الدولتين الاموية والعباسية وكلما اتسع العيش وتوافرت دواعي اللهو ، اتسع المجال وراج سوق الخيال ، وجعل القصص والامثال ، كي يأنس بها ربات الحجال وأبناء الترف والنعمة المنغمرين في بلهنية العيش ! .

وان سمادير الاهازيج التي اصبح يتغنى لنا عن القرآن والاسلام! . . . والدور

(١) كتاب «الى مشيخة الازهر» للاستاذ عبدالله السبيتي ط بغداد ١٣٧٥ هـ صفحة ١١٥-١٨
(٢) ونجد مثل ذلك في كتاب جامع الرواة للاردبيلي ج ١ صفحة ٤٨٥ .

الذي جاءوا يلعبون فيه للمسلمين بالحرب والدرق ،فهو اشبه ان يكون من ادوار تلك العصور الخالية ، لا من ادوار هذه العصور التي تتطلب تمحيص الحقائق بحصافة وامانة ورصانة . . .» (١)

هذه خلاصة ما أردناه من سرد آراء بعض علماء الشيعة والسنة ، حول اسطورة عبد الله بن سبأ ليتضح لكل ذي بصيرة ان عبدالله بن سبأ لم يكن له اي وجود خارجي.

الشيعة والغلاة :

. . . وسواء أكان لعبد الله بن سبأ وجود خارجي ، او انه كما اثبتنا لك ،لم يكن سوى اسطورة في عالم الخيال والاوهام ، فان الصاقه بالشيعة يعتبر من كبرى جنايات التاريخ اللاموضوعي المغرض . . حتى لو فرضنا وجود السبئية وعبدالله بن سبأ في عالم الواقع ، فان الشيعة بكل صراحة واصرار ، تعلن وقوفها ضد كل الافكار اللااسلامية المنسوبة لابن سبأ ، فلا ربط لذلك بالتشيع بتاتاً ، وبأي وجه من الوجوه .

فعلاوة على ما قاله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، في هذا الموضوع فاننا نجد العلامة الحلي العالم الشيعي الكبير يقول فيه :«عبد الله بن سبأ غال ملعون ، وقد احرقه امير المؤمنين بالنار ، لما كان يعتقد ان علياً هو الله او رسول الله»(٢) وبالاضافة الى علماء الشيعة ، نجد الكثير من غيرهم ، يصرحون في كتبهم ان افكار وعقائد الغلاة سواء التي ظهرت في زمن الامام علي (ع) او من بعده ، كانت مرفوضة ومحاربة من قبل علي (ع) واهل بيته وشيعته ، وان علياً (ع) قد ابعد قسماً منهم واحرق آخرين.

ويشير الى هذا الموضوع البروفسور گوبارد في كتابه ، حين يميز المذاهب والفرق الاسلامية عن بعضها ، فانه بعد ان يعرف الشيعة بانهم اتباع ومحبي علي (ع) واهل بيته ، يشير الى عبد الله بن سبأ فيقول : وفي زمن الامام علي (ع) ظهر شخص يسمى بعبد الله بن سبأ ، كان يهودياً بادىء الامر ، وادعى الالوهية لعلي (ع) صهر الرسول

---

(١) اصل الشيعة واصولها ، الطبعة العاشرة ،طبعة مكتبة النجاح ، القاهرة ١٣٧٧ هـ صفحة ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) «تاريخ الشيعة» للدكتور حسين محفوظ ص ٣٩ .

محمد (ص) ولكن امثال هذه العقائد ، كانت ترفض وترد وتقبر بسرعة ، من قبل علي وابنائه ، وحتى شيعته الخلص» (١) .

وعلى اى حال، فان عبد الله بن سبأ ،على فرض وجوده ، فهو من فرق الغلاة ولا يرتبط بالشيعة بأي وجه . . يقول ابن خلدون في مقدمته : يطلق على بعض الشيعة الغلاة وهم الذين تعدوا حدود العقل والايمان ، فاعتقدوا بالاهية الائمة . وكان علي (ع) يحرق بالنار اولئك الذين اعتقدوا فيه مثل هذه الامور» . . واذا راجعنا كتب الفرق بين الفرق ،والملل والنحل، والعقد الفريد،نجدهم جميعاً يذكرون السبئية ، في عداد فرقة الغلاة ، ويصرحون بأن علياً قد احرق بعضاً منهم و نفى آخرين ،وقد كان نصيب ابن سبأ ، تبعيده الى ساباط المدائن .(٢).

ومن الضروري ونحن نتحدث هنا عن الغلاة ، ان نوضح ان علماء الشيعة بالأضافة الى طرد هذه الفرق المنحرفة ، فانهم يرون نجاستهم ويحكمون بخروجهم عن الدين : فالشيخ محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، وهو من اكابر علماء الشيعة يقول في حق الغلاة:

«ان الغلاة من المتظاهرين بالاسلام ، وهم الذين نسبوا الالوهية والنبوة لعلى (ع) والائمة الاطهار ووصفوا فضائلهم الدينية والدنيوية، وصفاً تجاوزوا فيه الحدود ، وقد حكم الائمة (ع) عليهم بالكفر والخروج عن الاسلام»(٣).

ولمزيد التفصيل في شأن كفر الغلاة وارتدادهم ، فلتراجع الكتب الفقهية الشيعية ، حين بحثها في باب النجاسات (٤) . . والغلو هذا لم يظهر بين بعض الجهال المنسوبين ظلماً الى الشيعة ، بل ان بعض اهل السنة لايقلون غلواً في أكابر أهل السنة وعظمائهم! ، فارجع الى كتاب الغدير ، كي تجد مائة قصة

---

(١) «مدنية الامبراطورية الاسلامية» للبروفسور استانسيلاس گويارد الفرنسي . الترجمة الفارسية للسيد فخر الدين الطباطبائي ص ٤٨ ط . طهران .

(٢) ويمكن لمعرفة ان السبائية على فرض وجودها هي احدى فرق الغلاة ولا علاقة لها بالشيعة ان تراجع الكتب التالية : مع الشيعة الامامية للشيخ محمد جواد مغنيه ط بيروت ص ٤٠ وعقيدة الشيعة الامامية للسيد هاشم معروف ط بيروت ص ٢١٦ ومقالات الاسلاميين لابى الحسن الاشعرى ص ٨٥ وتاريخ الشيعة للدكتور حسين على محفوظ ط بغداد ص ٣٩ .

(٣) «شرح عقائد الصدوق» للشيخ المفيد (ره) ط ايران .

(٤) «مصباح الفقيه» للحاج اقا رضا الهمدانى و«العروة الوثقى» للسيد محمد كاظم اليزدى و«مستمسك العروة الوثقى» للسيد محسن الحكيم ج ١ ط النجف الاشرف ص ٣٢٥ .

من هذا القبيل في حق افراد مثل معاوية(١) ! . . . وبذلك يتضح ان مسألة الغلو لم تقتصر على بعض الفرق التي انتسبت وانتحلت «التشيع» والتشيع منهم بريء!؟!...

وبعدما تبين لك مافي اسطورة عبدالله بن سبأ فمن الضروري ان يدرس كل من الفريقين مذهب الآخر ، اذا أراد أن يكتب عنه شيئاً ، ليلزم صاحبه بمعتقده، لا ان يأتيه بأقوال الخصوم ، فيسيء التصرف ! .

* * *

وفي الختام :

فان هناك الكثير من الكتب التي تضمنت البحث الدقيق في الموضوع، والتي اثبتت ان قصة ابن سبأ ليست الا اسطورة وهمية وخيالية لا اساس لها ، فللباحث المنصف ان يرجع اليها ومنها :

باللغة العربية : عبد الله بن سبأ في جزئين للاستاذ العلامة الباحث السيد «مرتضى العسكرى» وكتاب «الامام الصادق والمذاهب الأربعة» للاستاذ «اسد حيدر» وكتاب «الى مشيخة الأزهر» للاستاذ الشيخ عبد الله السبيتي .

باللغة الفارسية :كتاب عبد الله بن سبأ ترجمة الاستاذ فهري وكتاب «مكتب تشيع» للاستاذ المفسر الكبير العلامة السيد محمد حسين طباطبائي ، (قسم تعاليق صاحب هذا المقال) .

باللغة التركية: كتاب Abdul Lah Ben Saba Masli Bir YalanCinin Duzmeleri (عبد الله بن سبأ ، أكذوبة من أكاذيب الجمالين)طبع تركيا استانبول! .

وباللغة الاردية : كتاب «عبدالله بن سبأ» تأليف السيد منظور حسين صاحب بخارى ، مكتبة الناصر- لاهور...اضف الى ذلك ماتقدم من المصادر التي ذكرناها في هذا البحث ، في الاعداد السابقة ، والتي احتوى بعضها على الغث والسمين وبعضها ناقش الموضوع بدقة ، فعلى الراغبين في مطالعة مثل هذه الكتب التأمل في البحث ونسأل العزيز القدير دوام التوفيق والهداية للجميع .

---

(١) «الغدير» للشيخ الاميني ، ج ١١ ص١٣ .

العوامل المساعدة لانبثاق الاسلام
من ارض الجزيرة العربية



الشيخ علي اكبر برهان

في صدر هذا البحث نحتاج الى دراسة وضع العالم آنذاك لكي نعرف بعض المميزات التي كانت تتميز بها الجزيرة العربية عن غيرها ، ومنذ البدء نواجه هذا السؤال وهو ان ايران والروم كانوا اصحاب مدنية وحضارة تميزهما عن بقية العالم فلماذا لم ينزل القرآن والتشريع هناك وانما نزل القرآن في ارض لاتملك اية حضارة وهنا لابأس من ان ننقل عن اليعقوبي نصوصاً توضح حالة الامم آنذاك ففي حالة الفرس يقول :

ان الفرس كانت تعظم النيران ولاتتخذ لقصورها أبواباً وانما كانت ابوابها عليها الشعور وكان يحفظها الحرس وكانت تنكح الامهات والاخوات والبنات وتذهب الى ان هذا النكاح صلة لهن وبر بهن وتقرب الى الله فيهن ولم تكن لها حمامات ولا كنف وكانت تعظم الماء والنار والشمس والقمر والانوار كلها (١) .

وكانت الوثنية متفشية وشائعة فيها فكانت تعتقد بالهين وخالقين اله الخير واله الشر . وفي زمن قباد ظهر مزدق وكان يأمر الناس بالمساواة فى الاموال والنساء حتى قتله انوشيروان بن قباد (٢) .

هذه نبذة من عقائد ايران .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٧٤ . (٢) نفس المصدر ص ١٦٤ .

واما الروم فهي وان كانت قد اعتنقت دين المسيح ولكن انما اعتنقت النصرانية بعد ان صبغتها بروح الوثنية ويتحدث لنا عنها فيقول « انه لما جمع قسطنطين ملك الروم الأساقفة فاحصى مقالات أهلها فوجد ثلاث عشرة مقالة فمنها قول من قال ان المسيح وامه كانا الهين ومنها قول من قال انه من الاب بمنزلة شعلة من نار انفصلت من شعلة نار فلم ينقص الاولى انفصال الثانية ومنها مقالة من قال بتأليهه ومنها مقالة من قال بتعبيده ومنها مقالة من قال ان جسده كان خيالا كما يقول متى واصحابه ومنها مقالة من قال : هو الكلمة ومنها قول من قال هو الابن ومنها مقالة من قال هو روح قديمة ومنها مقالة من قال هو ابن يوسف ومنها مقالة من قال هو نبي من الانبياء ومنها مقالة من قال هو لا هوتي وناسوتي .

وحتى انه عقد مؤتمر للنصارى لتحقيق ان جسد المسيح هل هو حقيقة واقعية ام لا ؟ . . .

واما عن الصين فيقول « فديانتهم عبارة عن عبادة الاوثان والشمس والقمر ولهم أعياد لاصنامهم اعظمها عيد في اول السنة يقال له الزارار : يخرجون الى مجمع ويعدون فيه الأطعمة والاشربة ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم وعلى جميع شهواته وتمكن من كل مايريد فتقدم الى ذلك الصنم وقد صير على اصابع يده شيئاً يشعل بالنار ثم يحرق اصابعه بالنار ويسرجها بين يدي ذلك الصنم حتى يحترق ويقع منها شيئاً ينقطع فمن نال منه شظية او خرقة من ثيابه فقد فاز ثم يأتون برجل آخر يريد ان يحبس نفسه للصنم للسنة الجديدة الخ .

وهم يعظمون امرائهم ويطول حزنهم عليهم وأكثر عقوباتهم القتل فهم يقتلون على الكذب ويقتلون على السرقة ويقتلون على الزنا الا قوماً معروفين ومن تظلم من عامل الاعمال فصحت مظلمته قتل ذلك العامل والا قتل المتظلم منه ان كان كاذباً مبطلا »(١) .

وايضاً يقول في صفحة ١٨١ «ان خرابات ملك الصين وجه بوفد من قبله الى ارض بابل وما اتصل بها من بلاد الروم يتعرفون ما فيها من الحكمة والصنعة الى ان يقول:

---

(١) اليعقوبي ص ١٨٢ .

وان يتعرفوا شرائع دين القوم فيها .

واما عن الهند فيقول «والهند أصحاب حكمة ونظر وهم يفوقون الناس في كل حكمة الى ان يقول: ودين اهل الهند البرهمية وفيهم عبدة الأصنام» (١)

واما مصر فيقول عنها «انه لم يكن يكتب به يقصد خط البرابى منهم الا الخواص وكانوا يمنعون العوام من تعلم تلك الكتابة وهذا النحو من الكتابة كانت من مختصات حكمائهم وكهانهم وكانت فيه اسرار دينهم واصول مقالتهم ولكن لما قهرتهم الروم ابطلوا ما كانوا يقومون به من سعيهم واعمالهم وحملوهم من بدء امورهم على شرائع اليونانيين حتى فسدت لغتهم ومازج كلامهم كلام الروم ثم تنصرت الروم فحملوهم على التنصر وكانت دياناتهم فدرس جميع ما كان فيه من امر دينهم وشتتهم وقتل الروم كهانهم وعلماءهم فهلك من كان يفهم ذلك الكتاب ومنع مما بقى منهم من تعليمه والنظر فيه فلذلك ليس يوجد احد يقرأ منهم ولا غيرهم وكانت دياناتهم عبادة الكواكب والقول بانها مدبرة مختارة (٢) .

هذا لمحات عن وضع العالم غير الجزيرة العربية وجدنا فيها ان العقيدة السائدة في العالم آنذاك كانت هي الشرك بالله وعبادة الأصنام والذي يظهر من ملاحظة هذة النصوص عدة امور :

اولا ان ايران والروم والهند كانت تعتنق الوثنية وان عبادة الأوثان كانت سائدة عندهم .

ثانياً ان هذه الوثنية كانت ذات طابع فلسفي عقلي .

ثالثاً ان معظم البلاد كانت تستلهم عقيدتها ودياناتها من ايران او الروم .

وبعد هذا ننتقل لدراسة اوضاع الجزيرة العربية عقائدياً وحضارياً وسياسياً .

اما عقائدياً فكانت عقائدهم متشتة فيقول المسعودي منهم من اقر بالخالق واثبت حدوث العالم واقر بالبعث ولكن انكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وهذا الصنف هم

---

(١) نفس المصدر ص ٩٤ (٢) نفس المصدر ص ١٨٧ .

الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها وسخروها اليه ونسكوا لها وصلوا لها ومنهم من اقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال الى قول الدهريين وهؤلاء هم الذين حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى «وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيانموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر» ومنهم من مال الى اليهودية والنصرانية ومنهم المارعلى عنجهيته الراكب اثمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون انها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين اخبر الله عزوجل عنهم بقوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون)

ولكن الاكثرية الكاثرة من العرب كانت تعبد الاصنام واول من عبد الاصنام في الجزيرة العربية هو عمرو بن لحى وذلك لما خرج الى الشام رأى قوماً فيها يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى وكل مانسألهم نعطى ،فطلب منهم صنماً يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة وحيث ان ولاية البيت كانت بيده والناس على دين زعمائهم وملوكهم فبذلك غير دين ابراهيم وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل ولما اكثر عمرو بن لحى من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وانمحت الحنفية منهم الا لمعاً قال في ذلك شحنة بن خلف الجرهمي .

ياعمرو انك قد احدثت الهة	شتى بمكه حول البيت انصاباً
وكان للبيت رب واحد ابداً	فقد جعلت له في الناس ارباباً
لتعرفن بان الله في مهل	سيصطفي دونكم للبيت حجاباً

واضافة الى ذلك فانهم كانوا يقدمون قرابين لهذه الاصنام وقد وصلت الجاهلية اقصاها حتى ان اهالي دومة الجندل كانوا في كل سنة يقدمون شخصاً من عندهم قرباناً الى آلهتهم ويدفنون هذا القربان قريباً من الاصنام واذا غزوا وانتصروا في حالة الحرب كانوا يقدمون اجمل اسرائهم قرباناً الى آلهتهم و بعدذلك يخضبون وجوههم بدم القربان تيمناً وتبركاً وكان الاب ينذر لمهمة يريدها ان يقدم احد ابنائه قرباناً .

والفراغ العقائدي بلغ اقصى مرتبته في الجزيرة العربية فهذا ابواصبحه سعيد بن عاص احد زعماء قريش حينما يمرض في اوائل البعثة يذهب ابو لهب الى عيادته فيراه باكياً فقال له : مم بكائك امن الموت فبكى فقال : لاولكني اخاف ان لاتعبد العزى بعدي فيجيبه ابو لهب ليسليه بانه انما يعبد عزى لنفسه لالاجلك .

فمن هنا تعرف ان الجزيرة شأنها شأن سائر بقاع العالـم آنذاك حيث كانـت الوثنية وعبادة الاصنام متفشية ورائجة عندهم ولكن هناك فرق واضح بين الجزيرة العربية وسائر بقاع العالم المتحضرة كايران والروم والهندفبينما كانت ايرانوالروم والهندتبنى عقائدها ووثنيتها على اسس عقلية فلسفية كانت الجزيرة العربية لبدائيتها وعـدم تحضرها تبنـى عقائدهـا على اسس عاطفيـة وذلك لانهم وجدوا آباءهم عليها والى هذا تشير الآية الكريمة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون)(١) .

وأما عن وضعهم الحضاري فايضاً كانوا يعيشون فى فراغ حضاري فكانت عادتهم القتل والنهب وحياتهم كانت حياة بدوية صحراوية فكانوا يسكنون فى البيوت الجوالة وكانوا يتخذون الجمال مركباً وكان الوأدوالقتل للبنات امراً رائجاً عندهم فهذه حرب البسوس التي دامت اربعين سنة، وهذا قيس بن عاصم الذي يعتبر اول من واد البنات اذ قتل في فواصل قريبة اثني عشر بنتاً من بناته وهكذا نجدان الوضع الجاهلي كان الى حد بحيث ان الانسان كان لا يأمن على حياته فالبنت كانت توسد فى التراب حية والنساء منهم كانت تسبى من قبل القبائل المهاجمة الغالبة والرجال منهم كان يترصد به للقتل واخذ امواله والخصومة القبائلية كانت الى حد بحيث ان الانسان لم يكن يأمن على نفسه واهله ولعل هذا الخوف ادى بهم الى ان يخففـوا من حدة هذه الخصومة ولذلك يقول الشاعر :

واحياناً على بكر اخينا اذا مالم نجر الا أخانا

واما سياستهم فكانت سياسة لامركزية،سياسة لاتهتم الا بالقبيلة فحسب فكان الفرد منهم يعتبر نفسه مسؤولا عن نفسه وقبيلته فقط .

---

(١) الزخرف-٢٢ .

وهنا قد يتساءل بانهم لماذا لم يدخلوا تحت قيادة الحكومة المركزية التى كانت في ذلك العصر كحكومة ايران والروم وبذلك يتحضرون بحضارتهما ويتخلصون من هذا الوضع المزري وللجواب على هذا السؤال نعرض هذه القصة التي ينقلها «ديودور» فيقول: بان دمتريوس الامبراطور اليوناني لما وصل الى صحراء الجزيرة العربية ليغزو الجزيرة وبذلك يستولى عليها سياسياً ذهب اليه اهل البادية وقالوا له ماذا تريد من الحرب معنا ان هذه الارض جدبة لا يوجد فيها عشب ولا زرع ونحن انما اخترنا هذا المكان للسكن حتى نكون على امن من الاستيلاء العسكري والغزوات التي تواجهها معظم البلاد آنذاك ومن ثم قدمت له الهدايا والتحف وقالوا له ارجع من حيث اتيت فانك ان ظفرت علينا فلا يفيدك الا مر فأننا لانكون مطيعين لك ولا تفيدك الأرض فانها جدبة والجوعندنا حار فلما سمع دمتريوس هذا الكلام اقتنع ورجع وغض النظر عن الجزيرة العربية ، ونعرف من هذه القصة ان هناك ثلاثة عوامل بمجموعها كانت تساعد على استقلال الجزيرة العربية .

الاول هو روحية الاستقلال وعدم الخضوع للسياسة الأجنبية وهذا ما نشاهدة في حديث الاعرابي مع دمتريوس حيث يقول : فاننا لانكون مطيعين لك .

والثاني جدب الجزيرة .

والثالث مناخها ولكن العامل المهم هو روحية الاستقلال بدليل ان الجدب والمناخ ماكان يمنع الغزاة ان يقصدوا الجزيرة اذ انهم كانوا يقصدونها ولا يمكن القول بأن جدب الجزيرة ومناخها كان مخفياً على هؤلاء الغزاة ولكنهم كانوا يواجهون شدة اهالي الجزيرة واستماتتهم دون الخضوع للقيادة الاجنبية نعم لا بأس بأن نعتبر جدب الارض وطرز المكان عاملا مساعداً لتراجع هؤلاء من غزوهم للبلاد.

ومن هنا فانا نختلف مع الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد» حينما يبين اسباب عدم الانضواء تحت الحكومات المركزية آنذاك فيقول «شبه الجزيرة اذا حصين بالبحر من غربه وجنوبه حصين بالصحراء من شماله وبالصحراء وخليج فارس من غربه (١) وليست هذه المناعة هي وحدها التي اعفته من الغزو

(١) ولا يخفى خطأ هذا التحرير الجغرافى اذ ان شبه الجزيرة تقع بين البحر الاحمر غرباً والخليج شرقاً وصحراء الدهناء (الربع الخالى) جنوباً والعراق والاردن والكويت شمالا.

الاستعماري او الغزو الديني بل اعفاه كذلك ترامي اطرافه اذ يبلغ طول شبه الجزيرة اكثر من الف كيلو متر ويبلغ عرضها نحو الالف من الكيلومترات وأعفاه اكثر هذا جدبه جدباً صرف كل مستعمر عنه (١) .

وهكذا حصر العامل في العوامل الطبيعية والجغرافية ولكن العامل البشري من اهم عوامل استقلال شبه الجزيرة كما عرفت ذلك من النص الذي تقدم.

وبعد هذا السرد لاوضاع العالم لنلتفت الى الاسباب والعوامل التي ادت لانبثاق الاسلام من شبه الجزيرة ونعدد بعض المميزات التي ادت لان يصنع الاسلام من هذا الانسان الفارغ عقائدياً الفارغ حضارياً الفارغ سياسياً يصنع من هذا الانسان انساناً كاملا في منتهى الرقي والكمال فمن حيث عقيدته يبني انساناً موحداً يرفض كل انواع الشرك ويتجه لله الخالق فحسب فلما اراد الله خيراً لهذه الامة صنع من هذا الانسان حضارة تكون قدوة للاجيال اللاحقة صنع من هذا الانسان الذي لايفكر الا في حدود القبيلة فحسب انساناً يطأ أرض الصين . وان مثل هذا التحول لايمكن ان يتحقق في غيره من بقاع العالم وذلك لاسباب .

١ ـ الفراغ العقائدي فانه كما تقدم بنا ان ارض الجزيرة كانت وثنيتها على اسس عاطفية ولم تكن على اسس فلسفية وهذا الفراغ الفلسفي يعتبر نقطة قوة ويولد فائدتين :

الفائدة الاولى : ان الوثنية المبنية على اسس فلسفية تكون صعبة العلاج فانها تحتاج الى ازالة تلك الافكار الفلسفية وهذا مايحتاج الى جهد وعناء كبير . بينما الوثنية التي لاتكون مبنية على اسس فلسفية فيكون من السهل ازالتها عن الناس فمثلا يقول الشاعر منهم :

ارب يبول الثعلبان برأسه   الا ضل من بالت عليه الثعالب

فهذا دليل على سذاجة العقيدة عندهم ومن الواضح ان تغيير العقيدة الساذجة اسهل بكثير من تغيير العقيدة غير الساذجة .

الفائدة الثانية: ان الفراغ الفلسفي يضمن بقاء العقيدة سليمة من التحريف

---

(١) حياة محمد ص ٣١

وبالعكس فيما اذا كانت الوثنية قائمة على اسس فلسفية فانه من الممكن ان تبقى هذه الافكار الفلسفية بين الامة وبذلك تنفذ في العقيدة والدين كما وقع ذلك في المسيحية فانها انحرفت بسبب ان حملتها كانوا مشبعين ذهنياً بافكار فلسفية .

٢ - بقاء نبذة من الحنيفية القريبة للدين الاسلامي كحماية الجار واكرام الضيف وحج البيت فبقاء هذه النبذة من دين ابراهيم كما تشير اليه قصة عمرو بن لحي (وانمحت الحنيفية منهم الا لمعاً) يكون عاملا مساعداً لانبثاق الاسلام هناك .

٣ - الفراغ الحضاري وهذا بنفسه يستوجب عدة فوائد .

الاولى : ان نفس شيوع القتل والغزو فيهم يولد فيهم روحية الاستماتة في سبيل عقيدتهم

الثانية : تخليهم عن العواطف في سبيل العقيدة فيدل على ذلك قتلهم الابناء ضحية وقرباناً الى آلهتهم وفي سبيل التخلص من العار نرى قتلهم لبناتهم وهذه العادة تكون ذات فائدة كبيرة يستثمرها الاسلام في الغزوات والمعارك كما يشير الى ذلك الامام علي (ع) في خطبة نهج البلاغة حيث يقول :

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ومايزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً ومضياً» فهذه العادة لها الاثر الكبير في ايجاد هذه الروحية .

الثالثة : ان الفراغ الحضاري ادى بهم لان يعيشوا عيشاً بسيطاً وهذه البساطة في العيش تكون عاملا مساعداً لتقبل دعوة جديدة فان الانسان المتحضر بالحضارة سوف يلتهي بالدنيا والعيش فيها وقلما يفكر في تغيير الواقع والنظام السائد بالعكس من الانسان غير المعقد الذي يكون بسيطاً في المأكل والملبس فمثل هذا الانسان لاتلهيه الدنيا ولذتها عن تغيير الواقع الفاسد .

٤ - الفراغ السياسي: فان موقع شبه الجزيرة كان يختلف عن غيره من البقاع في ان النظام الذي كان يسوده هو النظام القبلي لا النظام المركزي وهذا مما يعتبر عاملا مساعداً لانبثاق الاسلام من شبه الجزيرة دون غيره فان النظام المركزي لانه مركزي وان القوى متمركزة في طائفة معينة يرأسهم شخص معين سوف يفتك بالحركة التي

تقوم ضد ذلك النظام ويبيدها من جذورها واما الحركة التي تكون في مجتمع لامركزي
كالمجتمع القبلي فأولا تكون القوى في هذا المجتمع متشعبة فلا تكون القوة الموجودة
في المجتمع اللامركزي بمثابة القوة الموجودة في المجتمع المركزى والى جانب
هذا ففي المجتمع القبلي سوف تقوم قبيلة رئيس تلك الحركة باسناد وتأييد رئيس
الحركة وبذلك يقل الخطر من تلك الحركة .

٥ ـ قدسية المكان فان ارض مكة لان فيها حرم الله وبيته تعتبر أقدس بقعة من
بقاع العالم ويجب ان يكون الاسلام مقدساً بجميع جوانبه يكون مقدساً بنظامه
ومقدساً بزمانه ومقدساً بمكانه فكما ان القرآن نزل في شهر رمضان المقدس الذي
فضله الله على بقية الشهور فكذلك ينبغي ان ينزل في مكان مقدس وارض مكة هي
المكان المقدس .

٦ ـ اللغة فأن العامل اللغوي يمكن ان يكون من العوامل الاساسية لانبثاق
الاسلام من شبه الجزيرة ،فاللغة العربية تعتبر من اروع اللغات شمولا واعجازا واحسن
منطقة تكون اللغة العربية فيها صافية وخالية من التغيرات هي ارض مكة ولذلك يقول
النبي (ص) انا افصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش وارتضعت من بني سعد

أضواء على النشاط التبشيري

دور التبشير الاستعماري بالامس واليوم

وموقفنا إزاءه

«٢»

الاستاذ المرحوم علال الفاسي

أما في المغرب فقد حسب رجال الحماية أن فرنسة المغاربة عن طريق تنصيرهم ستأخذ طريقها لامحالة وذلك ماجرى فعلا في السياسة البربرية التي تبلورت في ظهير ١٦ ماى ١٩٣٠.

السياسة البربرية

وتقوم السياسة البربرية كما خططها «دوفوكو» ومريدو مدرسته من المستعمرين على الأساس الذي ذكرناه ، وهو الفرنسة عن طريق التنصير ، ولهذا الغرض فلابد من تحقيق ثلاث شعب تعمل متواصلة فيما بينها لغرض واحد .

الاولى : مقاومة المحاكم الشرعية واحياء مايدعونه من اعراف قبلية كيفما كان امرها ، لان ذلك في نظر هؤلاء المبشرين المستعمرين هو الوسيلة للوصول الى جعل الناس يقبلون قانونا مدنيا متطورا نحو القانون الفرنسي لان الاعـراف الجاهلية لايمكن ان تعيش ، ولابد ان تحاول البحث عماهو أحسن ، فاذا لم تجد بجانبها الشريعة الاسلامية فستأخذ القانون الفرنسى بدلا لها ولو على جهة التطور التدريجي ، وبذلك يصبح القانون المغربي يستمد تاريخيا من الاعراف غير المدونة وعمليا من قانون فرنسا والعالم اللاتينى .

الثانية : القضاء على اللغة العربية بخلق المدرسة البربرية التي يقع التعليم فيها بالفرنسية وحدها ، ومنع تلامذتها من الكلام بالعربية ، وجعل اللهجات البربرية تكتب بالحروف اللاتينية ...

الثالثة : الحيلولة دون اتصال سكان الجبال والمواقع البعيدة عن المدن بالفقهاء وحفاظ القرآن، والقضاء على الكتاتيب القرآنية والاكثار من المراكز التبشيرية و الكنائس حتى يحل الراهب محل المرابط ، بشرط أن لايتاح لشيوخ الطرق الصوفية ولو كانوا من اصدقاء فرنسا والأشراف كذلك من التجول في هذا المناطق المحروسة والتي ستصبح حمى لفرنسا والنصرانية .

وعلى هذه السياسة مضت فرنسا في المغرب وفي الجزائر وتونس مع بعض الفوارق التي يقتضيها المكان ... تجرد بلادنا من الاتصال بالشرع الاسلامي وتغرس بشتى وسائلها القانون الفرنسي في محاكمنا ومعاهد تكويننا قانونا ،ولقد قال لوسبار سان : (ان غرس قانوننا في البلاد المحمية والمستعمرة هو احدى وسائل سيطرتنا الدائمة) .

وكذلك عملت على أضعاف العربية أو ابعادها من مدارسنا حتى اصبحت غريبة في بلادها ، فهي اما معدومة تماما في مدارس السياسة البربرية ومدارس البعثات الفرنسية والاتحاد الاسرائيلي ، واما ذات حصص لاتكاد تذكر في المدارس التي تدعى فيها الازدواجية في المدن الكبيرة .

واما التعليم الاسلامي فقد اضعفت وسائله في المدن والقرى على السواء ومهدت السبيل لبناء الكنائس ومراكز التبشير وعقد مؤتمرات افخارسيه في كل المناسبات والاستعانة بالاستعمار الاستيطاني على اجلاء العديد من الفلاحين من قبائلهم والفصل فيما بينهم مع تكليف المعمرين باداء المهمة التبشيرية والمسيحية داخل البلد .

ومن هنا نرى ان غاية التبشير الصليبي ليست كما يمكن ان يريده الدين الخالص ولكنها عمل تخريبي يراد منه هدم المجتمع غير المسيحي وخصوصاً الاسلامي بمحو لغته وثقافته وشريعته ومعتقداته واحلال المصالح الغربية، اوروبية وامريكية، الدينية

والدنيويةمحلها ، و ـ قبل ان نبين كيف استمر هذا العمل بعد الاستقلال نلخص توجيهات التبشير المسيحي في المشرق العربي والاسلامي مثلما فعلنا فيما يرجع للمغرب العربي .

العمل التبشيري في الشرق العربي الاسلامي

ان تاريخ الارساليات الكاثوليكية والبروتيستانية في المشرق العربي طويل الذيل يرجع الى عهد الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها ، ولكن المرحلة التاريخية التي ابتدأت في القرن العشرين تحولت الى تخطيط حكومي وكنسي كماهو بالنسبة للمغرب ، ولاشك ان شيخ اجتماعيات الاسلام في فرنسا هو المسيو ادشاتوليبيه الذي كون لجنة الابحاث المغربية وتجول في انحاء الدولة العثمانية وكتب عن العالم الاسلامي فصولا تنبأ فيها بما يكون عليه أمر هذا الخط الاسلامي الطويل بالنسبة للاستعمار وما يعقبه من تحرر ، وهو الذي أسس مجلة العالم الاسلامي التي تعتبر مجموعتها مورداً هائلا لاخبار السياسة العربية والاسلامية الاستعمارية لفرنسا وللعالم الغربي كله .

وقد قال في احدى مقالاته في هذه المجلة حسب ترجمة (الغارة على العالم الاسلامي) : «ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ، ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل ان لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم الرهبان المبشرون وغيرهم بها لان لهذه المشروعات اغراضاً اختصاصية ، ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة في حياتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة للغرض العام الذي نتوخاه ، وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنسية ، نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل

الفعلية والعلمية المبنية على قوّة الارادة .

وانا ارجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة والجامعة الفرنسية» .

ثم يقول في مقال آخر مؤيداً هـذه الفكرة : «وحسبنـا ان يستدل بارساليـة التبشير الكاثوليكية في بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسا اذ بالرغم من كون (كلية القديس يوسف اليسوعية) التي تدير اعمالها هذه الارسالية لا تأثير لها على النشوء الفكري في المحيط الاسلامي ، فان التعاليم التي تنشرها وتبثها كان لها الحظ الاوفر في انتشار الافكار الفرنساوية في سورية والفكر المصري» .

الى أن قال : «الا ان لارساليات التبشير مطامع اخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي استخرجها من رسالة ارسلها الى جزيرة البحرين (قرب عمان) في ٢ أغشت سنة ١٩١١ :

حضرة القسيس المحترم صاموئيل زويمر منشىء مجلة العالم الاسلامي الانجليزية وهو يبنى فيها صروح آمال شامخة على اعمال المبشرين البروتستان قال :

ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين ، مزية تشييد ومزية هدم أو بالاحرى مزيتي تحليل وتركيب ، والامر الذي لامرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانيـة والقطر المصرى وجهات أخرى هو اكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ولا ينبغي ان نعتمد على احصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين ، الاسلامي من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية من طرف خفي» .

وعلى الرغم من الانتقاد والمناقشات التي لا طائل تحتها والتي قالها السيـد شاتوليه فى حق ادعاءات القس زويمر فانا أرى شخصياً انهما متفقان فى الهدف والتخطيط ، اذ كلاهما يعلم أن (تعميد) المسلمين وارتدادهم أمر صعب المنال بالنسبة للاغلبية الساحقة منهم ، وكلاهما يريد أن ينصر الاسلام نفسه بادخال الافكار المسيحية

على المعتقدات والتعاليم كما يظهر من كلامهما ، ويزيد المسيو شاتوليبه تنبهه الى ان العمل الارسالي وحده لا يكفي بل لابد من أن تقوم الحكومة المعنية بالدور الفعال في المنطقة التي تعمل ارسالياتها فيها للتسهيل على القائمين بها مأموريتهم وتمهد لهم التسرب لأفكار المسلم عن طريق اللغة والمدرسة والقانون والتقاليد كما يتحدث بذلك هو وامثاله في عدة موضوعات من كلامه .

وقد قام كل من شاتوليبه وزويمر وغيرهما باحصاءات مهمة للطرق الاسلامية ومراكز نفوذها وشجعوا الهيئات المستغربة باتفاق مع اليهود لاسيما في اسطمبول وقاوموا كل مشروع يعمل على توحيد المسلمين في أعمال حضارية مهمة ، كموقفهم من قضية سكة حديد الحجاز التي كانت ستمثل اعظم مظهر لمؤسسات الوقف الاسلامي والاستفادة منها في تجهيز العالم الاسلامي، وكمضايقة الحج واتهام الاماكن المقدسة والممرات اليها بالأوبئة المختلفة لتصعيب أمر الحج على المسلمين الى غير ذلك من الجهود التي انتهت الى الغاء الخلافة الاسلامية وتفريق البلدان التابعة لها ، وتوزيعها مناطق نفوذ واستغلال وتبشير بين المستعمرين والصليبيين والصهاينة وبين ادعياء الفكر الحر الذين يعملون لحساب الكل .

ولكن هذه أشياء تحتاج الى تفصيل لايتسع المقام له فلنجتزيء ببعض مظاهره التي ظهرت في المؤتمر التبشيري البروتستانتي الذي ابتكره القس زويمر وانعقد لاول مرة في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، حيث اجتمع في منزل عرابي باشا في باب اللوق يوم رابع ابريل من السنة نفسها ، وقد سجل القس زويمر خلاصة اعمال المؤتمر في كتاب سماه (العالم الاسلامي اليوم) وقد لخصه الخطيب في مجموعته (الغارة على العالم الاسلامي) وتتخلص الغاية منه في هذه الكلمة التي قالها وليام جيبور بالكران : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه) .

قال زويمر : وقد أدرك أهمية هذه الفكرة القسيس يانغ صاحب التقرير عن التبشير في جزيرة العرب فجعلها نصب عينيه في كل الاعمال ولكننا نتساءل عماذا

كان قد حان الوقت للعمل بها وعما تكون نتيجة التبشير اذن .

وقد استمرت المؤتمرات المسيحية تنعقد لهذا الغرض بين الكاثوليكيين من جهة وبين البروتستانت من جهة ، وقد اكتشفت انه لابد للنجاح من تحقيق وحدة العمل التبشيري وتنسيقه مع اعمال الحكومات ، وقد بحث مؤتمر (ادنبرج) ذلك الذي قرر ضرورة تعاون الارساليات المختلفة ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية ولهذا الغرض أسس المؤتمر اللجنة السابعة وكان من بين اعضائها اللورد «وبليد رو» وزير اسكتلندا وانتخب رئيس شرف لها .

المؤتمر الاستعماري

وفي المؤتمر الاستعماري الذي انعقد بعد ذلك اتضحت الأهداف الملخصة في نقطتين : الاولى ترجع للشؤون الصناعية والاقتصادية ، والثانية ترجع الى وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية الى الاعمال الاخلاقية والدينية ،وقد أكد «باكر» «أن الحكومة لابد لها ـ من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العثمانية مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، وأضاف : ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم من اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الأسلام نموا وارتقاء واذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مصالحنا ومقاصدنا فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها أيضاً» .

وانتهى المؤتمر الى اتخاذ القرار الذي جاء فيه :«ان ارتقاء الاسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، لذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة.والمؤتمر الاستعماري مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماماً فى الشؤون الدينية يشير على الذين في أيديهم زمام المستعمرات ان يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الأسلام وان يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية وان ينتفعوا من اعمال ارساليات التبشير التي تبث مبادىء المدنية خصوصاً بخدماتهم التهذيبية والطبية ، ومن رأى المؤتمر ان الخطر الاسلامي يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير من غير تسويف في كل الارجاء التي لم يصل اليها الأسلام بعد» .

لمحة اخلاقية

هذا الباب الاخلاقي . . . نفتحه مراعين فيه السرعة في العرض ، والتركيز في الاستنتاج راجين من القراء الأعزة موافاتنا بتعليقاتهم حوله .

* * *

«عن جابر ، عن ابي جعفر (ع) قال : قال لي :ياجابر ايكتفي من ينتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت ؟ فوالله ماشيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون ياجابر الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير ، وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء . قال جابر : فقلت : ياابن رسول الله مانعرف اليوم احداً بهذه الصفة فقال : ياجابر لاتذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول : احب علياً واتولاه ثم لايكون مع ذلك فعالا ؟ فلو قال : اني احب رسول الله فرسول الله (ص) خير من علي (ع) ثم لايتبع سيرته ولا يعمل بسنته مانفعه حبه اياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين احد قرابة ، احب العباد الى الله عزوجل واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته، ياجابر والله مايتقرب الى الله تبارك وتعالى الا بالطاعة ومامعنا براءة من النار ولا على الله لاحد حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو ، وماتنال ولايتنا الا بالعمل والورع. (١)»

يعرف من مجموع الاخبار أن الائمة من اهل البيت (ع) كان لهم اهتمام خاص بالجوانب الاخلاقية للفئة العقائدية التي ارتبطت بهم والتركيز على التزامها بها.

واذا بحثنا عن سر ذلك الاهتمام امكن ان يقال بانه يتلخص في ثلاث نقاط :

النقطة الاولى : هي ان اصل الهدف من وجود مدرستهم (ع) هو تكميل الافراد وذلك نابع من ان فكرة الامامة في الاصل مبنية على اساسين :

ا ـ ان المجتمع الناقص الذي لم يصل الى مرحلةِ الكمال التام يحتاج الى

---

(١) اصول الكافي الجزء الثاني الصفحة ٧٤

قائد منزه واع محيط بالمبدأ تماماً .

ب ـ ان هذا المجتمع يحتاج لكي يصل الى درجة التكامل الى نموذج كامل.

النقطة الثانية : هي ان المفروض ان تتوسع مجالات قيادتهم (ع) فتشمل الدنيا بأسرها . . ولن يتم ذلك الا بالتعرف على واقعهم. . .ومن الطبيعي حينذاك ان يكون اتباعهم وجهاً لهم ومن هنا ورد عنهم قولهم (ع) «كونوا لنا زيناً» .

النقطة الثالثة : ان المفروض ان الافكار التي يدعون اليها ـ وهي الاسلام الصافي ـ تحتاج في نفسها من حيث ترويجها وتبليغها الى التجسيد العملي .

وهنا يمكن القول بان المستفاد من بعض الروايات انهم كانوا يرون ان المنتسبين اليهم (ع) يجب ان يضيفوا الى التزاماتهم السابقة التزامات اكثر وادق بالشريعة واخلاقياتها.

ثم ان نفس هذا المعنى يجب ان يتحكم فى علاقات المسلمين ككل في قبال الامم الاخرى .

كما أن هذه الافكار تنطبق ايما انطباق على وضعنا الحاضر وخصوصاً على اولئك الذين التزموا بدراسة العلوم الدينية ونشر المعارف الاسلامية .

وبالخصوص اذا استفدنا من الرواية الواردة عنهم (ع) القائلة «واما الحوادث...» انهم (ع) كانوا يركزون على ان يكون اهل العلم الديني رادة وقادة للمجتمع وان القيادة شأنهم وذلك لنقطتين :

الاولى: لان الاسلام مازال مجهولا لدى الكثيرين ـ مع تفاوت لنسبة جهل الناس به ـ والمفروض ان يكون هؤلاء منبع الفيض العلمي .

الثانية : التطبيق والعمل . . اذ رغم ان الكثيرين يعلمون شيئاً ما عن الواجبات لكنهم بعيدون عن مجال التطبيق ومن هنا وجب على العالم ان يقوم بمهمة التشويق والحث والدفع نحو ذلك والنقاط الثلاث السابقة تنطبق عليهم بصورة اولى فهم الاولى بطبيقها بطبيعتها ،ولاثبات الاهلية للقيادة بالعمل الدقيق بمضمون الافكار بالاضافة الى ان الافكار يجب ان يعمل بها حتى تتسع دائرة شمولها .

وان لم نكن كذلك فان تمام التوبيخات التى كان يوجهها اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع) الى اصحابه لتقاعسهم عن القتال منطبقة علينا لتقاعسنا عن تجسيد تعاليمه (ع) . . هذا مع ان موقفهم قد يكون اصعب من موقفنا بكثير .



ذود عن حمى الحمدانيين

الدكتور السيد جعفر شهيدي

هذه نبذة من مذكرات اعددتها حينما كنت اقرأ مجلدين فخمين اعدهما من من حسنات المستشرقين ،وهما الجزء الاول والثاني من تاريخ الاسلام ،اخرجهما معهد الدراسات الاسلامية في كمبردج ، وقد تعاون في تاليفهما لفيف من كبار مؤرخي الغرب والشرق .

ومذكراتي هذه تتعلق بجزء من فصل عقده المؤرخ الكبير الاستاذ برنارد لويس لدراسة تاريخ مصر وسوريا ،حيث تناول المؤلف فيه اسرة الحمدانيين الذين حكموا على بعض نواحي سوريا الشمالية اثناء القرن الرابع من الهجرة النبوية .

والحقيقة انني ما كنت لارتاد مثل هذا البحث لولا ما لسيف الدولة الحمدانية من عبق فكرى نشره المؤرخون والادباء في آفاق افكارنا وانفسنا وخشيتي من ان

يحز هذا الأثر في نفوس غيرى نتيجة لماقراته فيهذا الفصل خاصة،حيث جرت العادة على الاعتماد على كل مايكتبه الأساتذة المستشرقون حول تاريخنا واعتباره مصدرا وثيقا للباحثين ، بله كون طلابنا وخاصة غير الغربي منهم اكثر ثقة بالمستشرقين مما توارثوه من آبائهم فاغتنمت الفرصة ودرست هذه المذكرات واعددت هذا الموضوع وليس القصد منه ان اضيف فضلا الى الأساتذة الكرام ،وانما القصد الماعة الى خطأحدث في زاوية ويجب تصحيحه فان كانت لي كلمة في هذه المسألة فهي ان أؤكد من جديد ماأكدته في مؤتمرات القاهرة والجزائر من وجوب اعادة كتابة تاريخنا من جديد على اسس نقدية منهجية علمية .

ولنرجع الان الى تاريخ الأسلام والى ماكتبه الاستاذلويس في ص١٩٣ - ١٩٤ من الجزء الاول -فيما يتعلق بالحمدانيين . ومن المعلوم أن حياة هذه الاسرة ودورها العظيم في ميادين الحكم والثقافة ثابت لاشك فيه .فالمصادر القديمة مشحونة بذلك الى جانب ماعقده الباحثون حديثا من اشكال الجهود المشكورة حول الحمدانيين عامة او حول واسطة قلادتهم سيف الدولة خاصة.وفيها غنى عن اعادة البحث بهذه الصورة العامة لولا صدور هذا الكتاب في عصرنا وفيه مافيه حيث يقول الاستاذلويس ماترجمته:

«انها اول اسرة او أهم اسرة طلعت في ناحية من سوريا لم تكن تحكم عليها حكومة ، كانت اسرة الحمدانيين اسرة بدوية تعتبر نموذجا من نشاط القبائل البدوية او نصف البدوية التي تتشكل في مكان يسمح لهم فيه بهذا الاجتراء ضعف القدرة السائدة هناك» .

الى ان يقول: «انتزع سيف الدولة حلب وحمص في سنة ٣٣٣ من الاخشيديين واسس حكومة جديدة في شمال سوريا شق دويها اجواز الفضاء حتى توفى عام ٣٥٦. اشتهر سيف الدولة في الأدب العربي واقاصيصه كملك وظهير للشعراء والمتأدبين اما شهرته من النوع الثاني فصحيحة الا انها مرهونة بسعي هؤلاء اكثر من سعيه هو حيث انهم بوأوه محل الوالي في الحكم والغازي في ميادين الجهاد والحقيقة هي ان دور الحمدانيين يمثل صورة لغصب اموال الناس وسلبها ظلما مقرونة بعدم الكفاية

في الحكم واضعاف المملكة واستثمارها عن طريق ابتزاز الأموال الكثيرة واتلافها في استعراضات الجيش والمقامرات دون جدوى في النهاية .

ولقد انهزم سيف الدولة مراراً وتكراراً على يد الاخشيديين واوقفوه حيث ارتأوا مصلحتهم في وقوفه . انهزم لما توجه الى الشرق من تـوزون و بجكـم وانهزم رغم ماجهز من جيش معلنا الجهاد على البيزنطيين ، وكان اعظم ماحققه مـن النصر أنه استطاع الحكم على القبائل المتمردة حينما عجزت الحكومتان الاسلاميتان الغربية والشرقية عـن اخضاعها . وفي هذا ايضاً فقد استهلك قدراً مـن البطولـة البدوية بلا فائدة وعادت غزواته في الثغور على المسلمين بخسائر جسيمة اذاما قيست بفائدتها الضئيلة للغاية» هذا ملخص ماكتبه الأستاذ لويس اوكل ماكان فى كنانته من سهام رشق بها سيف الدولة والحمدانيين ، مع انه لم يذكر كعادته في جل مايكتب مصدراً بله المصادر مع وفرتها في هذا الصدد . انني لا أريد ان امنح الحمدانيين عامة وسيف الدولة خاصة اكثر مما لهم ، او ارفعهم الى درجة النوادر في تاريـخ البطولة الاسلامية ، ولكن في نفس الوقت يجب علي كفريضة ان اعطيهم حقهم ومقامهم فى التاريخ ،فالحق احق ان يتبع ،وماموقفي موقف تعصب لهم وانما هو تعصب للحقيقة العلمية المحضة وذود بالحق عن حياض الامة الاسلامية ولذا سأقصر حديثي في بعض الهنات التى لم أهضمها في ما ذكره الاستاذ المؤرخ .

ان اول شيء يجتلب نظر القاريء قوله «ان الحمدانيين كانوا اسرة بدوية تنتهز الفرصة للاستيلاء على البلاد حيثما ضعفت قوة الحكومة» . هذه الصورة الفوضوية ناشئة عن تصور الفكر الساذج لمعنى البدوي والحياة البدوية ، اذ يتصورها حياة غارة وسلب ونهب ، ولو كانت كذلك لما كانت هناك حكومات تجاورها حكومات ولما استقر أمن في البلاد . فهي صورة مردودة اولا ـ وليكن معلوماً ثانياً ان مـوقف سيف الدولة واخيه لم يكن كموقف بدوى يتغلب على الحكم عن طـريق القتـل والنهب وقطع الطـرق كمانرى من بعض المناهضين في الدولة الاموية والعباسية حيث ثاروا على الحكام واستولوا على الحكم حينما كانت الظروف تساعدهم على ذلك

فانهما وصلا الى الحكم في صورة غاية في الطبيعة ـ كما يتصورها المستشرق نفسه ـ كما سنشير الى ذلك فالشيء الذي ربما يغفل عنه الباحث الغربي هو انطبيعة تولية الحاكم وعزله تختلف في الشرق الاسلامي عما كانت عليه فيه قبل الاسلام وتختلف ايضاً كل الاختلاف عن طبيعة الحكم في الغرب فالخليفة يعتبر المصدر الاول لكل الحركات من تعيين وعزل وان الحاكم يجب ان يكون معيناً من قبله اواقره هو في الحكم ، والا اعتبر مغتصباً فلايدان له بطاعة . فهم يدينون للحاكم كممثل للخليفة وبعبارة أخرى يدينون للخليفة فى شخص الحاكم وكان ارتباط الخليفة بالحاكم يقوم على عهد بينهما والذي حدث بالنسبة للحمدانيين ان الخليفة الراضى اقر الموصل لناصر الدولة عام ٣٢٣ ، ثم جاء الملتقى وانفذاليه عام ٣٣٢ ليستمده العون على البريديين ، فارسل هو اخاه علياً فنال رضى الخليفة وظفر منه بلقب سيف الدولة ، وكان هذا كافياً لمشروعية حكمه ، وهكذا يثبت من سيرة الرجل اولا ومكانته لدى الخليفة ثانياً ومن معاملته للعلماء وأعماله المجيدة ثالثاً ، انه منزه من ان يكون فوضوياً قد اغتصب الحكم ، بله كونها تدل على استقرار واستتباب الامور . يقول ابو منصور الثعالبي وهو قريب العهد بعصر الحمدانيين مانصه :

«كان بنو حمدان ملوكاً وامراء اوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ووساط قلادتهم وكان رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة مأواه غرة الزمان وعماد الأسلام ومن بهسداد الثغور وسداد الامور».

هذا ونحن نرى انه وقف ببابه فلاسفة كبار وغيرهم كأبي نصر الفارابي وأبي بكر الخوارزمي وابن خالوية والشمشاطى والمتنبي وأبي العباس النامي وغيرهم. ولو سلمنا بان الشاعر يهمه السوق التي يبيع فيها سلعته ويمدح من يغليها ثمناً كائنا من كان، فانهذا المسلك لايتأتى من فيلسوف كالفارابي فلو لم يكن الرجل يتحلى بالخلق الانسانى لابى لهؤلاء ان يعاشروه فكيف اذاً وقد افتخروا بالانتساب اليه فصدروا كتبهم باسمه هذا الى جانب ما يذكره الحافظ الذهبي من اعماله البرية من «انه كان بجامع حلب

خزانة كتب وكان فيها عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة ابن حمدان وغيرهم الى ان احرقت عام ٤٦٠» اما حزمه في الحكم و بطولته في الجهاد ،فغني عن الوصف بما اورده الثعالبي واكده غيره في هذه الفقرة الذهبية :

«كانت وقائعه في عصاة العرب يكف بأسها وتفل أنيابها وتذل صعابها وتكفي الرعية سوء آدابها وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر وتحسم شرهم المثار وتحسن في الاسلام الآثار »، ويقول في موضع آخر :

«كان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الانس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب» .

اما قول الاستاذلويس، ان سيف الدولة انهزم من «توزون» و «بجكم» حينما توجه الى الشرق والظاهر انه يعني بذلك قصد سيف الدولة الذهاب الى البصرة عام ٣٣١ فغير صحيح من وجوه :

اولا ان بجكم لم يكن في ذلك الوقت على قيد الحياة لأنه قتل عام ٣٢٩ بلاخلاف فيه بين المؤرخين في حين ان سيف الدولة دخل واسط عام ٣٣١ اما الذي انهزم من «توزون» و «بجكم» فهو ابو عبد الله البريدي وأظن ان الواقعة التي صارت موجبة لهذا الالتباس هي معارضة «توزون» و «خجخج» مع سيف الدولة عام ٣٣١ حيث اراد سيف الدولة ان يذهب الى البصرة للانحدار خلف البريديين الذين فروا عن واسط وسكنوا في البصرة ففي ليلة ثار عليه الرجلان واضرموا النار في معسكره ففر منهم ، ولم يكن سيف الدولة في ذلك الوقت يريد أن يوسع حكومته لتشمل الجانب الشرقي من متصرفات العباسيين ، بل أراد الحرب مع البريدين العصاة .

وأما معارضة هذين القائدين معه فلم تكن الا لأجل المال الذي بعثه ناصر الدولة اليه لانهما كان يعارضانه في امرته، او كان هو في صدد التوسع، وذلك مسطور في النصوص.

ولنرجع الان الى نقطة اخرى ، وهي ادعائه بان غزوات سيف الدولة في الثغور جرت على المسلمين اعظم خسارة ـ مع ضآلة فائدتها فاقول :لقد غزا سيف الدولة الروم مرات ، عدها بعض المؤرخون اربعين غزوة ،بعضها له و بعضها عليه كما هي

الحالة المعهودة في الغزو :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

لكن التاريخ الصحيح يرشدنا بان ماتحمله هو والمسلمون من الخسارة واتلاف النفوس ، في جميع الغزوات لم يكن شيئاً الى جانب ماتاح للمسلمين من تحكيم الموقف واسترداد كرامتهم وكرامة الاسلام ، اذ لو لم يكن هو ومادب به الثغور من صور بطشه وقوة شخصية لابتلعت الروم آسيا الصغرى جميعاً لان الخلافة العباسية آنذاك كانت من الضعف ، والدولة الاسلامية من التفكك ، بحيث ثارت اطماع الروم فبدأوا يتلمضون للثغور الاسلامية وكان المنطق الصحيح بروز سيف الدولة ليؤدى الواجب العام للاسلام في هذا الوقت.

ولننصرف الان الى ناحية اخرى من كلامه وهي ناحية ابتزاز المال من الامة وبعثرته على الشعراء ، والواقع ان الاستاذ ـ لويس ليس اول من طرق هذه النقطة بنقد التصرف والنقمة على المتصرف ، بل لعله اقتدى بالذين سبقوه امثال الاستاذ محمد كردعلي فقد قال في محاضرته الملقاة في نادى الشهباء عام (١٣٤١) - ١٩٢٣) ان ماصدر عن سيف الدولة غاية في الكرم ولكنه لايجوز في الشرع والعقل ان تجبى هذه الاموال من الفقراء والاغنياء لتصرف في مصالح الامة ثم يأخذها شاعر واحد.

هذا صحيح على الظاهر اذا قسناه بمقياس المتداول في القرن العشرين ، ولكن يجب ان لايفوتنا شيء وهو ان الوضع في ذاك الزمن كان يختلف عما نحن فيه كل الاختلاف ، فمسألة بذل المال على الشعراء في الاقطار الاسلامية حتى القرن السابع يجب ان تدرس درساً عميقاً اذ لم يكن الغرض من اجراء الصلات الكثيرة الكبيرة على المتنبي والناشي وامثالهما في بلاط سيف الدولة والعنصري وفرخي في بلاد محمود الغزنوي هو مجرد امتداح الملوك ، بل كانت السنة الشعراء تؤدي في ذاك الوقت ماتؤديه اليوم اجهزة الاعلام من الاذاعة والتلفزة والجرائد التي تستهلك معظم ميزانيات العالم اليوم ، فكان وظيفة الشاعر أن ينشر ماهو متوفر فيمن تولى الحكم من السياسة وحسن التدبير والاشفاق على الرعية وقهر الاعداء ليستميل الاحباء ويخوف الاعداء

وعلى الملك ان يجري عليه من الصلاة والجوائز وهذه كانت سنة جارية مشروعة . واذاانتقدسيف الدولةفي هذا فلينتقدالرشيدقبله ولينتقدالنظام الاجتماعي القائم كله(١)

وفي ختام هذا البحث اود ان اجمل فاقول انه لاشك من أن أمثال سيف الدولة عرضة للمدح والقدح ولو شئنا الانصاف ونظرنا الى ماورد من قدح لايتناسب أصلا ولا يتفق مطلقاً مع ماورد من مدح اكيد ثابت لادركنا ان القدح ربماكان نتيجة سوء الفهم للحزم وتأويله بالتعسف والشدة. فقد كان الحزم في تلك الفترة لازماوقد لاترضى به بعض الاطراف اوكان من حزازة وحسد يقوم طبعاً بين العناصر المختلفة التي استعبدتها أياد خفية لتنال من موقف الرجل والا فالمتنبي وحده اكبر دليل على عظمة الرجل واي كبير لم يلطخ .

وقصارى البحث : ان ما يوجه الى هذه الاسرة من القسوة او التعدي او ابتزاز المال ـ لو كان صحيحاً ـ لايعد بشيء بجانب ما بذلوا في سوريا الشمالية وفي آسيا الصغرى من اعادة النظم اولا والمقاومة في وجه العدو الطامع المترصد ثانياً ، وغيرتهم على بث الثقافة الاسلامية وحضارتها ثالثاً . وأي مفخر اعظم للرجل ، من ان يفتخر مثل ابي الفرج الاصفهاني ان يقدم أثره له وأي اثر في الادب العربي اخلد من شعر المتنبي ومدائحه في سيف الدولة وآل حمدان وانما على الله تعالى حسابهم واليه أيابهم ان يعذبهم فانهم عباده وان يغفر لهم فانه هو العزيز الحكيم .

* * *

---

(١) والنقد العام طبيعي لكل هؤلاء في ابتزاز الامة اموالها وصرفها في غير مواردها في اكثر الاحيان. الهادي

٥

الإسرائيليات في التراث الإسلامي

الشيخ ابراهيم الانصاري

قصة آدم والاسرائيليات

- قصته فى القرآن الكريم .
- خلقة آدم ومسألة التجسيم .
- الاسماء التى علمها الله آدم.
- معصية آدم فى القرآن والتوراة .

قصة آدم فى القرآن الكريم :

«واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال انى اعلم مالا تعلمون، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم، قال يا آدم انبأهم باسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات

تاب عليه انه هو التواب الرحيم» (١) .

لاريب ان قصة آدم كغيرها من قصص الماضين والانبياء والمرسلين يعد من علم الغيب كما عبر عنها القرآن الكريم باسم «انباء الغيب» في سورة يوسف فعلى هذا يكون علمه مخصوصاً بالله تعالى او بمن ارتضاه فانه تعالى لايظهر على علمه أحداً الا من ارتضى من رسول او من ارتضاه الرسول لايداع علومه عنده وعلى هذا فجميع ماورد في التفاسير من آراء المفسرين التي لاتنتهي الى رسول الله (ص) فهي رجم بالغيب نشير الى بعضها في ضمن مسائل :

١ ـ قصه آدم ومسألة التجسيم :

روى المحدثون : «ان الله خلق آدم على صورته» وهذه الرواية بظاهرها تدل على ان لله تعالى صورة وشكلا ولذا نقل انه استدل المجسمة بهذه الرواية وذلك لان كون صورة آدم كصورة الله تعالى تقتضي ان تكون صورة الله تعالى ايضاً كصورة آدم ولا شك ان صورته محسوسة جسمانية فتكون لله تعالى ايضاً صورة جسمانية تعالى عن ذلك ، وهذه الرواية من الاسرائيليات لعدة وجوه :

١ ـ السند مرسل فيما وقفنا عليه من الكتب مثل تنزيه الانبياء .

٢ ـ لان عقيدة التجسيم مما تظهر جلياً في الكتاب المقدس من اوله الى آخره كما هو واضح لمن راجع العهد الجديد والعهد العتيق .

٣ ـ لان الرواية وردت بعين الفاظها تقريباً في سفر التكوين من العهد القديم بهذه العبارة : «يوم خلق الله الانسان على شبه الله خلقه» (٢) .

وقد ذكر السيد المرتضى رحمه الله في تأويل الرواية وجوهاً تخرجها عن مظنة التشبيه وهذه عبارته: «قد قيل في تأويل هذه الخبر :

١ ـ ان الهاء في قوله في صورته اذا صح هذا الخبر راجعة الى آدم (ع) دون الله فكان المعنى انه تعالى خلقه على الصورة التي قبض عليها وان حاله لم يتغير كما تتغير احوال البشر.

---

(١) البقرة ـ ٣٠ ـ ٣٧ .

(٢) العهد العتيق ـ سفر التكوين الاصحاح ٥ .

٢ ـ وذكر وجهاً ثانياً وهو ان يكون الهاء راجعة الى الله تعالى ويكون المعنى انه خلقه على الصورة التي اختارها واجتباها لأن الشيء قد يضاف الى مختاره ومصطفيه.

٣ ـ وذكر ايضاً وجهاً ثالثاً وهو ان الكلام خرج على سبب معروف. لان الزهري روى عن الحسن انه كان يقول مر رسول الله (ص) برجل من الانصار وهو يضرب وجه غلام له ويقول: قبح الله وجهك ووجه من تشبهه فقال النبي (ص) بئس ما قلت ان الله خلق آدم على صورته يعني المضروب» (١).

ثم ذكر وجهين آخرين: احدهما ان المعنى هو أن الله خلق آدم جسمه وصورته معاً يعني خلق مادته على صورته لا ان يكون خلق جسمه ومادته منه تعالى وتأليفه وتصويره من غيره.

الثاني «ان يكون المعنى ان الله انشأه على هذه الصورة التي شوهد عليها على سبيل الابتداء وانه لم ينقل اليها بتدرج كما جرت العادة في البشر».

وفي رأيي ان الرواية تحتمل وجهاً آخر شبيهاً بالاخير وهو ان الله تعالى خلق آدم على صورة الادمي من الاول لا انه تحول من انواع اخرى مثل القرد ونحوه كما يذهب اليه داروين واتباعه.

٢ ـ الاسماء التي علمها الله آدم:

قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها الى قوله تكتمون) الاسماء المذكورة في الاية الكريمة فسرت باسماء الائمة المعصومين في بعض الروايات، واخرى باسماء اولاد آدم كما في رواية ابن زيد. وثالثة باسماء الملائكة كما عن الربيع، ورابعة باسماء الحرف والصنايع كما عن ابو كيع، وخامسة باسماء الحيوانات كما عن سعيد بن جبير، وسادسة باسماء جميع الموجودات كما عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والاحتمالات الثلاثة الاخيرة مخالفة للقرآن وموافقة للتوراة اما مخالفتها للقرآن: فمن جهة صراحة كلمة «هؤلاء» ودلالة الضمير في «عرضهم» و «اسمائهم» مرتين على ان المسمين بهذه الاسماء من ذوي العقول اذ لا تطلق على غير ذوي

(١) تنزيه الانبياء ص ١٢٧.

لعقول محضاًولامع ذوي العقول كلمة «هؤلاء»ولا كلمة«هم» كمااشار اليه المحققون.

واما موافقتها للتوراة في الجملة فلما ورد في التوراة بهذه العبارة : (وجبل الرب الاله كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل مادعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ..» (١) .

وهكذا نجد ان التوراة تفسرها باسماء الحيوانات غير ذوى العقول بخلاف مايظهر من القرآن .

واما تفسيرها باسماء الملائكة فمخالف لظاهر قوله «ثم عرضهم».

فان المعروض غير المعروض عليه اذ لامعنى لان يقال : ثم عرض الملائكة على الملائكة اذالعرض يقتضي خفاءالمعروض على المعروض عليه قبل العرض وغيبته عنه كما يشير اليه قوله تعالى (الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض) ومعلوم ان الشيء لايغيب عن نفسه ولايخفى عليه .

واما اسماء ذريته فيحتاج اثبات ارادته الى ان يكون ذريته موجودين حينذاك اذ المعدوم لايعرض ولايشار اليه بكلمة «هؤلاء» فيجب ان يكون المشار اليه موجوداً بنحو من الوجود اما بوجوده الحقيقي الجسماني او بوجوده المجرد النوراني العلوى اوبصورته وشبحه ومثاله حتى يشار اليها ويقال«انبئوني باسماءهؤلاء»وقدورد في روايات الشيعة ان اشباح الخمسة الطيبة اصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين كانت موجودة في العرش فاراهم الله لادم ثم عرضهم على الملائكة فجهلوا بهافانبئهم آدم باسمائهم وبهذا تفسر الاية .

لم تكن معصية آدم للنهي مولوى :

هل كانت معصية آدم مخالفة للامر المولوى . . وكانت معصية حقيقية ؟ام كانت تركاً للاولى او مخالفة لامر ارشادى او نحوه ؟

(١) العهد العتيق سفر التكوين الاصحاح الثاني .

الظهور البدوي في القرآن الكريم يوهم المعصية الحقيقية ولكن التدبر والتأمل في اول الايات وآخرها وقراءتها وشواهدها يقتضي ان نقول بظهور الايات في غير المعصية الحقيقية وهذه هي الشواهد :

عصمة الانبياء :

١ ـ الأدلة العقلية التي دلت على وجوب عصمة الأنبياء من الذنوب سواء كانت من الصغائر او الكبائر وقد ذكرت مفصلا في الكتب الكلامية وتوجد ملخصة في مقدمة كتاب «تنزيه الانبياء» للسيد المرتضى رحمه الله ، وهذه الأدلة العقلية ممادل القرآن على اعتبارها والحث والترغيب عليها فكيف يعقل ان تحمل وتفسر آياته بخلاف الحكم القطعي للعقل والمنطق والوجدان .

قال العلامة الحلي في كتاب شرح التجريد في مقام الاستدلال على وجوب عصمة الانبياء مانصه : «والدليل عليه وجوه : احدهما ان الغرض من عصمة الانبياء انما يحصل بالعصمة فيجب العصمة تحصيلا الغرض، وبيان ذلك ان المبعوث اليهم لو جوزوا الكذب على الانبياء والمعصية جوزوا فى امرهم ونهيهم وافعالهم التي امروا هم باتباعهم فيها ذلك وحينئذ لا ينقادون الى امثال اوامرهم وذلك نقض للغرض من البعثة ، الثاني ان النبي (ص) يجب متابعته فاذا فعل معصية فاما ان يجب متابعته او لا والتالي باطل لان المعصية لايجوز فعلها ، واشار ـ يعني مصنف التجريد ـ بقوله ولوجوب متابعته وضدها الى هذا الدليل لانه بالنظر الى كونه نبياً يجب متابعته وبالنظر الى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه ، الثالث انه اذا فعل معصية يجب الانكار عليه لعموم وجوب النهي عن المنكر وذلك يستلزم ايذاءه وهو منهي عنه وكل ذلك محال»(١).

وقال السيد بحر العلوم رحمه الله في منظومته فى العقائد :

لانه لولا وجوب عصمته	لجازان يهيم في معصيته
فلم يكن بقوله وثوق	ولا بالاقتدا به يليق
فينتفي لنا انتفاء ظاهراً	فائدة البعثة من غير مرا

---

(١) شرح التجريد ص ٢١٨ .

واذا كان بعث غير المعصوم خلاف الحكمة والعدل واللطف، والعقل والقرآن
ـكمان حكماً قطعياً بان الله تبارك وتعالى حكيم عادل لطيف يكون الحكم بعصمة
نبياء من الاحكام اليقينية الثابتة في العقل والشرع . وهذه الايات التي
ـتدل بها على صدور المعصية من آدم او من غيره ليس شيء منها صريحاً في مرادهم
، بعضها ظاهر ظهوراً بدوياً في مايريدون وبعضها لاظهور له ايضاً ومعلوم ان الظاهر
ارة عما يفيد الظن بالمراد لاالقطع فكيف يرفع اليد عن حكم العقل القطعي الذي
ـرنا تبارك وتعالى باتباعه في القرآن الكريم بالظاهر الظني الذي نهانا الله تعالى
ـن متابعته خصوصاً في مقابل الدليل اليقيني فلا يغرنك تظاهر المتقشفين من الحشوية
كرار آيات من القرآن فسروها بآرائهم مع الاستعانة بآراء اليهود على صدور
ـعاصي من الانبياء فانهم اهل الرواية، والدراية خير من الرواية ،
فلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها» فانه اذا كان النبي وهو الذي جاء
ـقرآن خائناً والعياذ بالله فكيف يبقى وثوق بالقرآن ؟!

٢ ـ نرى انه تعالى نسب الى الشيطان انه اذلهما مع انهما لو كانا عاصيين
ـي الحقيقة لم يكن وجه لهذا التعبير بل كان المناسب ان يقال مثل ما قيل في معصية
ـيس فيقال في آدم وحواء مثلا «انهما ابيا عن الطاعة واستكبرا وكانا من العالين
لمعاندين» مع ان الله تعالى ينسب التقصير الى الشيطان كأنه اوقعهما في المعصية
ـ دون اختيار منهما اما سهواً أو نسياناً أو جهلا كما يظهر من قوله تعالى «ولقد
ـهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» (١) فجعل معصيته مستندة الى نسيانه
الجأهما اليها باضطرار كما ربما يوهم ذلك قوله تعالى« فازلهما الشيطان
ـها فاخرجهما مما كانا فيه»(٢) وان كان هذا التوهم غير صحيح بالنظر الى الايات الراجعة
ـى آدم نظرة جامعة .

---

(١) الاعراف ٢٢ .

او انه لبس عليهما الامر واوقع عليهما الشك والشبهة في كون الشجرة منهيا عنها وأوهم انها غير منهي عنها نهياً تحريمياً او ان تحريمها مختص بغير آدم من الملائكة والخالدين أو أن آدم وحواء انمانهيا عنها خوفاً من ان يصيرا ملكين او يكونا من الخالدين واما اذا رضيا بذلك بان يصيرا من الخالدين فالله تباركوتعالى لم يحرم عليهما أكلها كما يدل عليه قوله تعالى «فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور»(١)

وحاصل هذا الجواب : ان صدور المعصية من آدم لم يكن على وجه يقتضي القبح والعقاب واللوم عقلا بل على نحو يعد فاعله معذوراً عند العقل والعقلاء وان كان ذات الفعل معصية واقعاً ، كمااذاشرب احدناماءثم تبين انه ماءمتنجساًاومغصوباً .

٣ ـ ان النهي لم يكن تحريمياً بل كان نهياًتنزيهياً مثل النهي عن اكل الجبن او نهياً ارشادياً لاتكون مخالفته سبباً للمعصية بل يكون سبباً للوقوع في المفسدة التي ارشده اليها كما اذا قال الطبيب للمريض اشرب من هذا الدواء لكي تبرأفانه ان لم يشرب يكن عاصياً للطبيب وكما اذا شاور احدنا غيره في تجارة فاشار اليه بتركها فانه لو فعلها لم يترتب على مخالفته شيء غير الخسارة المشار اليها .

كلام العلامة البلاغي :

قال العلامة البلاغي رحمه الله في المقام بعد الاشارة الى قوله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» وبعد تقسيم النهي الى المولوي والارشادي، هذا الكلام : وحينئذ فدلالة العقل والنقل على عصمة النبي (ص) تكون قرينة على ان المراد من معصية آدم هي مخالفة النهي التنزيهي الكراهي او النهي الارشادي ومما يرشد الى كون النهي ارشادياًقوله تعالى ياآدم ان هذا عدوٌ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأفيهاولا تضحى» .

---

(١) الاعراف ـ ٢٢ .

(٢) طه ـ ١١٥ .

فان التحذير والتخويف لادم من عداوة ابليس باخراجه من الجنة ونعيمها الى التعب والجوع والظمأ ومقاساة شقاء العيش ابرشد وليقرب الى الذهن ان هذه هي العاقبة المحذورة من عداوة ابليس لادم لا ايقاعه في قبح مخالفة نهي الله التحريمي ووبال ذنب المعصية وغضب الله ولو كانت هذه الامور هي العاقبة المحذورة لكان ذكرها انسب بالتحذير وادخل في الزجر عن المنهى عنه واتم في الحجة والبيان)(١) ونظيره كلام السيد المرتضى في تنزيه الانبياء وغيره في غيره .

ويستنتج من جميع ماذكرناه ان كل كلمة ذكرت في القرآن مما ظاهرها المعصية مثل كلمة عصى وغوى وتشقى وظلمنا انفسنا وغير ذلك فالجميع محمول على مخالفة النهي الكراهي او الارشادي ولا يستبعد ذلك مع تكرار ذكره في القرآن فان حسنات الابرار سيئات المقربين . وقال ابو جعفر الطبري في تفسير هذه الاية : (واما تأويل «فتكونا من الظالمين» فتكونا من المتعدين الى غير ما اذن لهم وابيح لهم فيه وانما عنى ذلك انكما ان قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدودي وعصى امري واستحل محارمي لان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)(٢) وقد تبعه غير واحد من المفسرين في اختيار هذا القول الفاسد وهذا القول مضافاً الى فساده مأخوذ من اليهود .

أولا : لاشتمال اسناد رواياته على ابطال الاسرائيليات مثل وهب وغيره، من ذلك مارواه ابن جرير الطبري قال حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني الحجاج عن ابن جريح قال : قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى فازلهما الشيطان قال اغواهما» (٣) .

ويروي الطبري ايضاً بسنده عن وهب ابن منبه انه كان يقول : «لما اسكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن الشجرة الى ان قال فخرج ابليس من جوفها فاخذ من الشجرة التي نهاالله عنها آدم وزوجته فجاء بها الى حواء فقال انظرى الى هذه

---

(١) الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ٦٠ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣٤ . (٣) نفس المصدر

الشجرة ما أطيب ريحها واطيب طعمها واحسن لونها فاكل منها آدم فبدت لهما سوآتهما . . . الحديث» (١) .

ونظيره ما رواه محمد بن اسحق بقوله «فيما بلغنا عن اهل العلم من اهل الكتاب واهل التوراة وغيرهم» كما دأبه كثيراً حتى عابوا عليه في كتب الرجال كثرة أخذه من اهل الكتاب فجرى على رايه فى المقام ايضاً فراجع تفسير الطبري وغيره .

وثانياً لوجود هذا القول بصراحة في التوراة المحرفة وهذه عبارتها :«واوحى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لانك حين تأكل منها موتاً تموت...وكانت الحية احيل جميع الحيوانات التي عملها الرب الاله فقالت للمراة احقاً قال الله لاتأكلا من كل شجرة الجنة فقالت المراة للحية من ثمر شجرة الجنة تأكل واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لاتاكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمراة لن تموتا بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرات المراة ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضاً معها فاكلا فانفتحت اعينهما فعلما انهما عريانان ..» (٢)

للبحث صلة

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) العهد العتيق سفر التكوين صحاح ٢ و ٣ .

رسالة الى الشهيد

مشكور الحاج احمد

بهجة القلب

تحية وبعد . . .

ترى ماذا اكتب اليك . . ؟ وانت هناك في عالمك البعيد . . .ماذا اكتب . . فهل ابقت مأساتك في انامل حياة . . ؟ وبماذا اكتب ؟ . . هل اكتب بالدمع وقد جمدت مقلتاى ؟ !

فليتك تعلم يا صديقي . . . كيف ودعناك حين رحلت . . . بعدك . . . كانت دمعة العين محبوسة فى الأحداق . . . حبسوها . . ! والدم الغزير من الجرح البليغ كان سجيناً . . . يحاول ان يصرخ وينفجر . . . ويزأر . . . كان يحاول ان يعبر القلب يغرقه . . . يملؤه بأساه . . . فلا يفلح . . . لقد سجنوه . . !

النحلة المسكينة . . . تلك التي رفت بجناحيها الصغيرين . . . واجتازت الوادى الكبير . . . لتودع على فم البرعم بسمة من بسمات الشوق وتمتص من الزهرة البيضاء . . . ذكرى من شذاها . . . لكنهم منعوها . . ! قصوا جناحيها الصغيرين . . !

والمدينة الحزينة . . .

الام الثكلى . . . والعروس الارملة

والحبيبة . . . التي كانت تحلم باللقاء . . .

اليتامى . . . والاصدقاء . . . كل الاحبة كانوا يمنون النفس بلحظة وداع . . . للمسافرين الخمسة . . . الى لقاء الله . . . لكنهم منعوهم . . ! خنقوا فيهم الامل الاخير ! فصمتوا . . . والصمت يا صديقي قاتل رهيب . . .

هكذا سارت جنائزكم . . . الى مثواها . . . لا تشيعهاالا نجوم الليل . . . وملائكة حزانى . . ووشوشات النسيم . . فماذا تراني اكتب اليك . . وانتتعلم ان الكتابة عن الشهداء . . أمرصعب . . صعب جداً . . الم تكن تردد . . ان الكلمة حينما يكون موضوعها الشهيد . . تصغر الكلمة . . وتصغر . . تصغرالىانتتلاشى.. ويبقى بينها وبين الاستشهاد مسافة طويلة يستحيل عبورها بالحرف والكلمة ..!

الم تكن تردد : ان الشهيد . . لايمكن ان يرسم في صور . . ولا يمكن ان يعزف في ملحنات لكنه حب الله والاسلام . وتحويلهذا الحبالغالي . . الىواقع حي . . هو شتلة التضحية يرويها الدم والسهر والدموع . . .

فهل تملك يداي المثلوجتان ان تكتب عنك ؟ . . وهل اقدر على وداعك .. قاس هو الوداع . . لانه الاخير . .

اتذكر . . لقد كان وداع الشهداء في رأيك . . غروباً لابد منه لتستمر الحياة ببزوغ فجر جديد . . واشراقة شمس دافئة حنونة حتى الموت كان له في عينيك نظرة جميلة . . فيها رفعة . . وفيها سمو . . وفيها شموخ . .

اتذكر . . كلماتك الموجهة للشباب من جيلنا المؤمن الواعي . . تصورلهم النموذج الكامل للانسان المسلم . . كيف يصل كل حركة من حركاته وكيف يربط كل سكنة من سكناته بالله . . وكيف يحول الموت..قدر الانسانومصيره .. الى حياة خضراء ربيعية تخضل مع كل قطرة دم تراق . . في سبيل الله . .

* * *

كان ذلك يا صديقي . . في زمن الحب والخير . . قبل ان يتلبدالافقبالغيوم.. وقبل ان تعصف الزوبعة . . وقبل ان يولد الوحش في الانسان . . !

حينما اعدموك بوحشية وقسوة ولؤم . . تذكرت ان اللهقد وفى بوعده.. وان أمانيك زغردت بابتسام . .

فها هي ذي فرحتك السعيدة تطوق عنقك الاسمر . . باكليل من النرجس العبق الفواح . . اكليل يضعه الله بيديه على اعناق الشهداء . . وقد فعل . .

الم تكن بعد كل صلاة . . تبتهل وتدعو . . وتبكي خشوعاً بصمت: رباه.. الحقني بموكب سيدي الحسين .. رباه .. وارزقني الشهادة.وحينماقتلوك بحقدهم وبغيهم .. تذكرت خطبة لك في المسجد .. اذ تقول فيها .. كثيرون هم الذين يموتون يومياً .. كثيرون جداً ولكن منهم من يموت وهو راكع .. ومنهم من يموت وهو ميت .. ومنهم من يموت كما الانعام تموت .. يموتون ولايتركون وراءهم سوى غبار النسيان وخيوط العنكبوت .. لماذا ؟ .. لانهم عاشوا بلاقضية .. يعملون لاجلها .. وماتوا بلا مبدأ يدافعون عنه اما المسلم .. فلانه يعيش اسلامه في قلبه .. وفكره .. وروحه .. يموت كما تموت الاشجار .. الاشجار تذبل .. تحاربها الانواء ويغتالها الخريف .. بيد انها لا تسقط ولا تركع .. ففي بطن الارض لها جذور تنبض بالحياة . .

الى هذا الوقت لم اكن اعلم يا صديقي ان التوعية الاسلامية جريمة شنعاء .. يعاقب عليها القانون .. فقد فوجئت وذهلت عندما اخبرني نجلك محمد .. وهو يجهش .. انهم قادوك الى السجن الاسود .. حيث الرعب الهائل .. وحيث الموت الجائع بأنيابه الصفراء .. لا يرحم .. ولا يلين .. !

* * *

بغداد ثكلى .. ياصديقي .. وتلبس دجلة وشاح سواد .. الغبار يلفع الوجوه . . اتسمع تلك الزفرة العميقة انها نفس الآهة التي اطلقتها .. حينما زحف المغول عليها .. فهل عاد المغول مرة اخرى .. ؟اجل لقد عادوا .. لم تكن وحدك حينما اقتادوك .. وزجوا بك في غياهب السجن الاسود .. فقد استقبلك نوري وحسين وعماد وعز الدين لقد فرحوا بك كثيراً .. وفرحت بهم اكثر .. مع انك كنت تشفق عليهم .. ان يمسهم الاذى والسوء .. غير انك حين عشت معهم .. ليالي الموت والالم والشقاء .. علمت بأنهم اكبر من المحنة .. واكبر من المأساة ..

فصليتم معاً ودعوتم معاً .. فانستم الراحة والدعة والهناء .. انها فرصة رحيمة للقاء الهادىء مع الله .. لايعكر صفو لقائكم المحبوب شيء . حتى القيود .. التي

كانت تضيق على اعناقكم وايديكم .. كان لها صرير خافت يسبح الله .. !

ولكن .. من خلف جدران السجن كانت الاحقاد تلهب .. والعيون الظالمة عميقة الغور حمراء كسعير الجمر .. لن يغفو الجفن اللئيم لن ينام .. فصلاتكم كانت تهز اركان عرشه ..

فجاءوا اليكم مع اذان الفجر .. شدوا وثاقكم بعنف .. الويل لمن يتكلم .. والويل لمن يبكي لفرط الألم ..

لاول مرة يستيقض المساجين عند الفجر فيسمعون الأذان ممزوجاً بالنحيب المر وبالانين .. وقبل ان تبزغ الشمس .. كان الظلام يخيم على كل شيء في المدينة الحزينة .. وفي السجن كانت الدماء تضيء من وجوهكم وعلى ظهوركم بصمات القدر المحفورة مزيج دم وتراب ..

تململ زملاؤك الأربعة .. يدارون بعضهم بعضاً بنظرات جزعة .. كل منهم كان يحاول ان يطمئن على صاحبه ويمسح جراحه برفق ويسلوه بابتسامة مشجعة .. كلها الحنان والعزاء ..

والتفتوا اليك ..

فوجدوا حول عينيك العسليتين هالتي سواد .. وعلى شفتيك بسمة تخاطب الله وتدعو .. اتعلم لقد ذكرتني بسمتك الصابرة الداعية .. ببسمة تألقت ذات يوم على وجه عمار وحجر ورهطهما ..

* * *

. . لقد كنتم الليلة متعبين . . وكان الاجهاد يتساقط على المدينة الحزينة . . فتنشر به الذكريات قطر ندى . .

ويشتاق النخيل لامسياته الحلوة معكم . . فيرتعد ويلوّح بالسعف المعذب لاشيء . . يحمل الريح اشواقه وانفاسه . . يلفها . . يعصرها . . تصل اليكم . . تتحول الى نشيج كئيب .. ثم الى اوتار عزاء .

يجلس عز الدين يداعب احلامه . . لم يمض على زواجه الا سنة ونصف . يعود للاحلام . يتذكر اول شمعة اضاءت بيته السعيد . . . يتذكر طفلته هدى . . ضحكتها . .

مناغاتها . . لهوها البريء وهي توقظه عندالصباح ..بمسحةيدهاالصغيرةعلى جبينه.

ترى ! ماذا يجني هذا الليل من كيد ومن آلام ؟ .

هل قدر عليه ان لايراها . . يكاد ان ينهار . . تومض المفاجأة خلف عينيه الذابلتين . . هل قدرلتلك العائلة الطاهرة الصغيرة ان يقصوا جناحها الكبير

يتذكر . . ويهده القلق العنيف . . وتجناحه الحيرة . . يختلج في نفسه همس مخيف . . ونذير يقصف اغصان الرؤية المسرورة بيد أنه يسأل نفسه . . فيم رعبي ؟ وفيم الخوف؟ممن . . ؟

اللهفي عيني . . والله في قلبي . . والله لهم . . ويبتسم وعلى وجهه اشعاع فرح مرسوم .

* * *

. . كان سجن البعث ! مظلماً ..حجبوا عنكم النور..فصلوا بينكم وبين الحياة دفنوكم وانتم احياء . . غير انكم عشتم الدنيا كاجمل ماتكون . . من خلال الروح الشفيفة وهي تتطلع نحو السماء . . فتلقى الله . . وتضرع اليه . . فترضى وتأمن . . وترتاح .

جلس عماد . .

القى برأسه المكدود على ركبتيه حاول ان يغفو . .لم يستطع . . ففي عينيه المسهدتين تنهيدة تتألم . .

تطوف حولهماصور حياته الماضيةوالآتية . . ترى . . هل قضي على آماله ان تترمل قبل زفافها ؟ يالهزء القدر . .

الصور تمر امام عينيه بسرعة . . كطيف مأساوي . . الفتاة الناحلة الباكية تنتظر على بوابة الدار فارسها الذى سافر للمدينة الحزينة ، لم يعد . . متى يعود؟ متى ؟ ترقد اللهفةعلى حر الدعاء . .

تنتظر الفتاة البائسة وتزداد شحوباً . . تسفح دمعتين ساخنتين . . على وجنتيها . . كانت تحمل بين يديها زهرة حمراءمن شجر الدفلي . . هديةاللقاء

ولكن . . هاهو الليل يطردها . . والفارس الموعود لم يعد . . نظرت الى يديها المرتعشتين كانت زهرة الدفلى ذابلة . . مبتلة بالدموع . .

مرت الصور امامه بسرعة ولا زال الطيف يلح عليه ان يحلم وان يستسلم للحزن السكون . . تمضى لحظات ثقيلة على الصمت المؤلم .. يرفع عمادرأسه .. يحدق في الليل السحيق المدلهم .. لاشيء .. هنا تتوارى كل الالوان ..

لاشيء .. سوى اشباح وخيالات سود .. واذا صوت كانفجار الحياة يصعد من اعماق النفس .. فيم الخوف ؟ .. وفيم الجزع؟ وممن؟الله اكبر ..

فيبتسم .. ويورد الفرح خدوده .. يدندن رباه ..

ويهدني المي فانشد راحتي في بضع آيات من القرآن

ينعم باله .. يرتاح .. يتكيء على كتف صديقه حسين . .

اما انت فقد كنت تنظر بحنو ورفق الى الجرح العميق وهو ينزف من ساعده الهزيل .. دون ان تخفي تلألؤ الدمع السابح في عينيك .. فقد كان حسين عزيزاً على روحك .. تعقد عليه وعلى صلابته وجرأته اكبر الآمال لقد كنت تتامله كما تتأمل الغدير الصامت الرقراق ..

حسين أمامك .. يرسم شروده المضني على التراب دوائر ودوائر . . دون ان تعني له تلك الرسوم شيئاً . . . وفجأة . . حدق الى رسمه الأخير . . انها مقصلة وشبح محكوم عليه بالاعدام . . لم يشعر الا والرسم قد تكامل امامه ، عقد ما بين حاجبيه . . ذعر من يكون هذا الشبح ؟ تأوه بحرقة . . برقت بين اختلاجات نفسه نجمة فضية . .اسرت له بهمسة انارت خواطره كالشمس . .

انفرجت اساريره عن اسنانه البيضاء الناصعة . . توجه الى زميله نوري وقال له . . اتعلم ان المقصلة تحمل مع شراستها وقسوتها . . بشارة الانبياء والاوصياء.. اجابه نوري . . آه طبعاً . . هذا ان كان ضحيتها شهيداً . .

* * *

وعاد نوري الى كربلاء التاريخ . . والى كربلاء الام . . هذه الام الصابرة

لطالما تعودت على مواسم المحن . . وعلى مواكب الشهداء . . كأن السماء كانت تغرس الانسان فيها وتغذيه . .حتى اذا ما اخضر واينع عوده . قدم روحه في اشهر القطاف . . هكذا الشهيد دوماً . . يزرعه الحب والامل . . ويحصده البؤساء . . فلا يولد الا في ارض باركها الله .

. . . طاف نوري حول كربلاء الأم . . يتذكر طفولته .. صباه .شبابه المتحمس براعمه الفتية . . طلابه الدين وهبهم عصارة فكره الدائب المتحرك . .

آه ما اقسى السفر الى الغربة .. وما اقسى الغربة عندما تكون في الوطن وعندما تجر لمصير مجهول ..

انها دنيا يلفعها الغدر .. والمكر .. والخداع ..

هناك ينطفى الحنين لاهث الانفاس .. يخرس .. وفي فمه خنجر يبتسم

الله ياسهر .. الله ياسهاد .. الله ياضجر ..

يعود نوري الى كربلاء .. يستغرقها حسه المرهف .. يبكي .. تخدش الدموع شفافية روحه ..

الا انه .. يبتسم .. يدخل عليه ابو ذر الغفاري .. ينسى همومه .. يكسر قيده .. ويودع خفقة القلب بقصيدة حب .. عقائدي يلقيها على مسامع الرفاق الاربعة فينسون الزمن المخادع المسعور .. وينسون الوحش في الانسان ..

اما انت .. فنظرت اليهم .. تبدد حولك ظلام السجن لمتعفن .. تجمع ذرات الصمت تحولها الى بسمات حانيات .. تملأ الفضاء المنتر بالاضواء .. تهمس في اذانهم ..

انظروا .. هناك .. اجل هناك .. الى ذلك الافق الممتد ..

اتسمعون ضحكة الحمام .. زغردات العصافير .. فرحة الانهار .. الخمائل والجدائل الذهبية .. الالوان الزاهية التي تغني .. اغنيات المرساة على المرفأ الكبير ..

لم تكن تحلم .. فقد رأى صحبك ما رأيت سمعوا .. ما سمعت . .

انها الجنة . . »

الم يحدث رسول الله (ص) ان للشهيد ستة امتيازات لايعطاها غيره ..

تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة

ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الاكبر

ومن عذاب القبر ويحلى حلة الايمان

* * *

. . اليوم في ١٣٩٤/١١/٢٠ . . قضاة بغداد .. استيقظوا من اغفاء عطلتهم.. فقرروا موعداً لمحاكمتكم .. محاكمة عادلة نزيهة .. ! تنقذكم من لهفة الانتظار ..

فأسرع المحامي يزف اليكم البشرى .. وهو الواثق من براءتكم .. اخيراً لقد انهزم كابوس الموت المعشعش في الاحداق ساعات قليلة فقط . . تبصرون خلالها النور .. ويرسو الحنين الملتاع على صدر اللهفة المبحوحة فينام في حضنها المشتاق

غير انه ما ان وصل قريباً .. من زنزانة الرعب الاسود . . حتى استنشق عطراً جديداً ناعماً .. يتهادى في ارجاء السجن! اين الاحزان؟

ان هذه الموجة الناعمة من العطر لا يمكن ابداً ان ينساها .. فتعجب!

واخبركم عما يحسبه بشرى .. لم تتحركوا من مكانكم الجليدي .. ابتسمتم له .. سألتموه عن آماله وعن احزانه الكثيرة وعن الرفاق خلف جدران الموت .

ذهل .. لم يكن ينتظر مثل هذا الجواب .. تكلم معكم كالحيران .. ثم ودعكم مشدوهاً .. وقد تفصد جبينه بالعرق الساخن الخجول ماذا يرى؟ وماذا يسمع؟ .. حسبكم غرقى .. واذا به يغرق امامكم فتنقذوه .. !

* * *

كانت جدران المحكمة مليئة بالرسوم والشعارات .. وفوق رؤوس المحلفين كانت تجثم لوحة زيتية غنية بالتعبير تكاد تنطق .. وتتكلم .. وهي تصور عصر الانحطاط .. وعصر الظلم الغابر .. وهو ينزح من الادغال ..

فنظرتم الى تلك اللوحة المبدعة .. تتمعنون في شخوصها الرخيصة .. وهي

تعاني العذاب والحرمان والموت الزؤام .

وفي عيونها شكوى حزينة .. لم يكشف عن ثغرها الأنلك البسمة المحروقة على شفاهكم .. البسمة التي كانت تجرع الآلام فتغص به وتختنق .. وتحيله الى تمتمات مذبوحة تسخر .

يااللمهزلة .. المحكمةتقتات الشعارات الملونة .. تذبح العريس..وترش محفل العرس بالدم .. وتمجد العدل ! وتشرب دم البريء .. وتصلي عليه!أوّاه .. من هذا الزمن الغادر .. هذا الزمن المجنون .. !

كانت الحيرة تعصرني وانا انتظر .. مثل كل الرفـاق .. بماذا سيحكمون عليكم .. ؟هل أصدق البشارة .. ؟ بشارة الافراج عنكم فاحمل خمس باقات من الورد وانتظر .. حرارة اللقاء ..

ويلاه .. من تراكم الاحزان .. ويلاه من غشاوة القلق .. !

لقد رأيت محاميكم .. يدخل المحكمة .. والكلمة بين شفتيه مأسـورة .. مسحور .. لايعرف ان يقول .. لا .. خرجت معه .. ومشيناوي قلب بغداد..ورحنا نجوب شوارع المدينة الحزينة . . كانت العيون المتطفلة تحملق بنا وتعجـب . . نحن هنا صورة عنها . . نبحث عن شاطيء لايعرف الزورق المهدم المثقوب . .

كانت العيون مثلنا مذعورة . . اعصاباً يابسة تتكسر . . تبحث في الزوايا عن قطرة ماء . . عن شيء اسمه الأمان . .

* * *

.. ومر فجر آخر .. ككل فجر خريفي قاتم .. والمدينة الحزينة .. لازالت ياصديقي كماعهدتها .. مطبقة بالصمت يلفها سكون عميق شامل .. شيء وحيد كان يتحرك .. تلك العيون المذعورة المتطفلة .. لقداصبحت كالجمار الحمر تنذر باللهيب والشفاه الذابلة كانت تنعاكم .. وتتذكر المواقف الجريئة .. وتقص على الأطفال الابرياء حكايتكم ..

وقد اصبحت بين ليلة وضحاها .. اسطورة جميلة مجيدة تجرى على كل فم .. وتحيا في كل روح ..

فصونك ..

لمَ يزل صوتك المحبوب ياصديقي نهر ضياء .. يسري كما الانغام تسـري في الدماء ..

ونموت اذا ماالموت حيانا.. مثل كل الشهداء . .تملا الدنيا دمانا .. جنة من اطاييب الشذى والفل والازهار . آه .. ماأعذب الموت .. يسبق رجيع الصوت.. ملب للنداء.. في خطى الاسلام هنا .. في خطانا. .من ينصر الله ينصره على كل اللئام . .

كلماتك الأخيرة .. لازالت يابهجة القلب تجلجل في كل كيان..وتطن في كل اذن :

(خبروا الصحب والرفاق .. انا اختصرنا الطريق الى الجنة .. وهـذا ماكنا نعمل له .. ونحن مسروررون .. لان الله قد منَّ علينا بالشهادة .. ورجائي أمنيتي الوحيدة : قولوا لنجلي محمد .. ان يكمل المشوار .. وبعلـم ان كـل وردة سوف يقطفها .. ملأى بالشوك .. وان كل درب سيسير عليه .. مليء بالحفر)

ولقد اخبرني بعض من حضر المأساة المروعة .. انهم وفي الوقت الـذي شدوا الحبل على عنقك بلؤم ..

وقبل ان تسبل جفونك .. ابتسمت .. وتطلعت نحو السماء .. بـراحة وهناء .. مردداً اللهم لك الحمد والشكر..اللهم رضا بقدرك ..اللهم فاعف ..

وانطفأت .. وظل ابتهالك المؤمن .. يشرق على شفتيك .. بابتسامة آمنة مطمئنة .. فيها ثقة كبيرة بمستقبلك .. ومستقبل الاسلام ..

اجل ياصديقي الحبيب لقد غربت ولم يزل اهالي المدينة الثكلى يتذكرونك باستمرار.. يتذكرون عارف وعماد وحسين ونوري وعز الدين .. كمايتذكرون بلوغ الامنية والطيف الجميل.. ويستشعرونكم كل مساء .. كمايستشعرون العطر في الانفاس تحمله نسيمات تشرين الباردة من زهر الليمون ..

عماد لقد رفض عماد ان يضع العصابة على عينيه وقبل ان يشنقوه التفت الى جلاده والى الطبيب الشرعي وقال : ويحكم ليكن الالم حافزاً للشفاء ..ولتكن محنتنا

خطوة على طريق الاسلام والله ان شهادتنا هذه نعمة لم تكن تمر ببال..انها نعمة غير مترقبة . .

وفي جانبه كان عزالدين يزرع كلمة في الصحراء..في الصخرة العمياء..فانبتت وابتهجت برواء الاخضرار ..

هنئونا يارفاق بالشهادة هنئونا ..احدى الحسنيين..اما الشهادة واما النصر .. اما حسين .. فابتسم وهم يسوقونه الى المشنقة .. وتذكر والدته العجوز فاسرالبها بكلام.. لو تسمعه ..

اماه.. كانت مفاجأة حلوة لنا.. كهدية العيد.. ان نصل ونقطع الشوط الطويل من اقرب الدروب ..

بينما ظل نوري وعيناه ترددان بفرح ..انها والله الجنة لو انكم ترونها كما نراها ليتكم .. لو تعلمون ..

* * *

ورحلتم ..

كنتم على موعد مع السماء .. فسلمتم الارواح .. بصبر وسلام .. وتركتمونا..

كان الظلام هنا حالكاً مخيماً .. على المدينة الحزينة .. الكل نيام .. والكل متعبون . . لا صوت . . لا لون . . لا حركة . .

صدى وحيد كان يلف الاجواء . . ويدخل جريئاً قوياً الى كل دار . . فماان لفظ نوري انفاسه المجهدة حتى علا صوت الاذان المجلجل في نهايته يصدح . .

لا اله الا الله .. لا اله الا الله . .

ترى . . اهي صدفة ان تستشهدوا على وقع خاتمة الاذان . . ؟

ام ان الاذان الحنون راح يسليكم ؟

ماذا ؟

لعله اسرع يوقظ المدينة الحزينة من ضباتها العميق . . العميق .. ؟

من حياة القادة

«١٢»

أهل البيت عليهم السلام

الفرصة المناسبة لاصلاحات الامام امير المؤمنين (ع)

الشيخ محمد على التسخيرى

* الاقبال الفردى والاجتماعي :
* امثلة من القرآن الكريم
* امثلة من حياة الرسول الاعظم (ص)
* المهمة التى تنتظر القائد
* الانحرافات والمصالح اججت نار الثورة
* الحالة الحماسية للامة عند البيعة
* تأجيج الحماس او اخماده

سبق وان قلنا ان البعض اعترضوا على الموقف السياسي للامام امير المؤمنين عليه السلام تجاه معاوية وامثال معاوية وكان من رأي هؤلاء المعترضين ان يصبر على بقاء توليتهم الى برهة من الزمن حتى يتقوى ومن ثم يعمل على التخلص منهم !

وقد رأينا ان هذا الرأي كانت له بعض الجذور عند بعض الاصحاب ولكن الرأي السائد العام كان مع الامام في عدم ابقاء اولئك الذين لم يكونوا مؤهلين للولاية في مناصبهم وقد رأينا ان الامام (ع) كان لايرى خياراً في ذلك المجال الا

بين امرين اذ يقول (ع) :

«ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار لي الا القتال أو الكفر (١) » و «علي مع الحق» فلا خيار له في عزل اولئك . .

وفي سبيل الوقوف بصورة اكثر تفصيلا على هذا الواقع صرنا الى تحليل الموقف بما يتناسب والمجال المسموح به هنا ـ وقلنا بأن العامل الذي شكل الدافع الاول لاتخاذه ذلك الموقف هو «توفير الجو الصالح لتطبيق الاطروحة الاسلامية الصافية» بتربية العقائديين المضحين والذي كان على الامام (ع) ان يقوم به بعد ضياع شيء من المعالم العامة للنظام الاسلامي العدل ، ولم يكن ذلك الجو يتناسب مطلقاً مع المساومات وانصاف الحلول كما مر بنا تفصيله .

ولننتقل الى العنصر الثاني الذي كان له تأثيره في صياغة هذا الموقف بعد ان نمهد له بشيء من التوضيح :

الاقبال الفردى والاجتماعي :

يكاد يكون من الواضح لدينا ان هناك حالات متغيرة للنفس الانسانية وموقفها تجاه الاشياء . . فهي تارة تمل التفكير فيها والقرب منها لعوامل معينة واخرى يجد الانسان من نفسه الميل الشديد نحوها . . ويتأكد هذا المعنى بالنسبة للامور التي يفرضها الواقع العقائدي والوجداني من القوى الداخلية للنفس في حين تنكرها بعض الغرائز وخصوصاً الجامحة منها ، ويتوضح هذا في ملاحظتنا للموقف النفسي للانسان المؤمن بالله والاسلام الذي ربى وجدانه على الانفاق في سبيل الله مثلا . . فهذا الانسان نجده من جهة يقع تحت تأثير العقيدة والوجدان المهذب اسلامياً فيميل الى الانفاق ، ولكنه من جهة اخرى تؤثر عليه غريزة حب الذات غير المهذبة والجامحة ، فتمنعه من ذلك وهكذا الموقف تجاه الشخصيات المختلفة وكذلك تجاه الاتيان بالنوافل المستحبة التي من شأنها تنمية الاستعداد لتقبل

---

(١) نهج البلاغة - ج١ - ص ٩٤ .

العطاء الروحي .

فانـنا نجد من انفسنا احياناً نزوعاً الى الجانب التضحوي على اختلاف درجاته، واقبالا على الاستزادة، في حين نجدها في بعض الاحايين فاترة غير مقبلة.

وقد علمنا الائمة من أهل البيت (ع) ان نستغل لحظات الاقبال النفسي في (عملية تخزين روحي ، وتصعيد للسعرات الحرارية المؤمنـة) ليكون ذلك التخزين وقوداً واحتياطاً لها في حالات الادبار وهكذا شيئاً فشيئاً تتقلص اللحظات السلبية فلا تكاد تحسب الى جنب لحظات الانفتاح .

«فقد ورد عن امير المؤمنين (ع) انه قال :

«ان للقلوب اقبالا وادباراً ، فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض» (١) .

وقال (ع) ان «للقلوب شهوة واقبالا وادباراً فاتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا أكره عمي».

وعلى هذا الغرار يمكننا أن نؤكد عبر ملاحظاتنا الفعلية ومطالعاتنا التأريخية ان للحس الاجتماعي اقبالا وادباراً ايضاً وذلك طبعاً بفعل عوامل معينة .

وكما ان القائد الشخصي يجب ان يستغل لحظات الاقبال في نفسه كذلك فان القائد الاجتماعي الناجح البصير هو الذي يستغل لحظات الاقبال الاجتمـاعي فيخزن الامة بالوقود اللازم ، لابقائها على حرارتها اوعلى خط التغيير دائماً ليحقق التقدم نحو الهدف الذي يستلزم التضحيات الجسام التى لا يمكن ان تقدمها الامة في حالة ادبارها وركودها وتقاعسها. . فهو اذن يرتقب الفرصة لحصول ذلك الوعي المرحلي والتأجج النفسي للامة مادة التغيير .

وقد اطلقنا عليه لفظ (التأجج النفسي) لان اغلب الحالات الانفة تقترن بمهيجات عاطفية مختلفة منها عامل الفطرة ومطابقتها الواضحة احياناً لبعض الامور اومخالفتها

---

(١) نهج البلاغة ـ محمد عبده ج٤ ص ٧٤

لها، والعقيدة المقهورة خصوصاً اذا انضمت اليها المصالح المادية المغصوبة ، وقد يكون لبعض الحوادث العرضية التي حدثت صدفة اثرها الكبير في خلق ذلك التأجج الاجتماعي وتقبل التغيير المستلزم للتضحيات .

وقد يقوم المصلحون الاجتماعيون بخلق مثل هذه الحالة النفسية بمختلف الاساليب التي قد يصل بعضها الى مرحلة التضحية بالنفس والقيام بعملية انتحارية تهز ضمير المجتمع وتخلق فيه الحالة المطلوبة والتي يستغلها قائد اجتماعي آخر من نفس الخط .

من القرآن الكريم

ولعلنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان القصص القرآني استعمل هذا الاسلوب لغرس النكات العقائدية في نفوس الأفراد والجماعات اذ ان القصة القرآنية غالباً ماتعتمد على عنصر خلق الجو العاطفي الملائم، وفي لحظة تنفجر فيها العواطف وتنشد فيها الحواس وغرائز الاستطلاع الى القصة، يجري المفهوم القرآني المراد تسربه كالسلسبيل الى النفوس .

ففي قصة يوسف (ع) نتابع احداث قصة عاطفية تحمل في جنباتها الحسن والنزاهة بكل معانيهما في يوسف (ع) والعاطفة والتسليم الكامل في يعقوب (ع) والحسد والانحراف في اخوة يوسف . . ومع كل مقطع تتأجج فيه العاطفة يسرى مفهوم رائع .. حتى تكون قمة التأجج في تلك اللحظة التي يحدثنا عنها القرآن الكريم بقوله «وراودته التي هو في بيتها عن نفسه. وغلقت الابواب وقالت: هيت لك قال: معاذ الله ، انه ربي احسن مثواي انه لايفلح الظالمون»(١) فترينا كيف يبدو الصمود امام المغريات وعفة النفس والخوف من الله ، والاشارة الى نعمه العظمى واخيراً اعطي المفهوم القرآني الكوني العام (انه لا يفلح الظالمون) .

وهكذا في قصة مريم(ع) وهي المرأة العفيفة الطاهرة القديسة اذ يحدث عن ذلك الروح الذي تمثل لها بشراً سوياً ، ويدور ذلك الحوار المقدس بينها وبينه فيبشرها بغلام زكي رغم انها لم يمسسها بشر ..

وهكذا الى ان وضعته «فأتت به قومها تحمله قالوا : يامريم لقد جئت شيئاً

---

(١) سورة يوسف الاية ٢٣ .

فرياً ، ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا، فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال: اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً»(١) ففي اللحظة التي تنشد فيها كل المشاعر الى هذا الطفل المعجزة وهو يتكلم، يعطى مفهوم عبودية الله والنبوة لعيسى وتنفى عنه الصور التحريفية التي خلعت عليه .

وقد تكون القصة حاكية عن موقف عاطفي قوي بوجده النبي في قومه لتبقى ذكراه حافزة دائماً على السير نحو المقصد الذي دعاهم اليه .

ومن ذلك موقف ابراهيم (ع) مع قومه حينما طعنهم باعز ما لديهم اذ كسر اصنامهم وعندما سألوه «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم ان كانوا ينطقون» .

ويمكن ان نعتبر قصة تنصيب طالوت الرجل الفقير ملكاً وقائداً لبني اسرائيل في لحظة من لحظات تنبههم وشعورهم العاطفي العميق باحتياجهم للقائد الكفوء المحنك .. نعتبرها ايضاً على هذا الاساس .. اذ لعله لم يكن من الممكن في الحالات العادية لتلك الامة ان يتقبل هذا الامر .. ولكن لما تيقظ الايمان في نفوسهم ووعوا بان طريق الجهاد في سبيل الله مفتوح امامهم وتقدموا الى نبي لهم يطلبون القائد المحنك .. أراد النبي حينها ان يمتحن صدق ذلك التيقظ والشعور و «قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؟» فأجابوا «ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا» وحينذاك وفي حالة ارتفاع المقياس الحراري للحس الجهادي عين الله لهم ذلك الملك اللائق والقائد الخبير ليقوم بوظائف الجهاد الخطيرة .. ولن نحاول ان نسبق المراتب فنذكر بالتشابه الاجمالي بين هذا الموقف وموقف الامام أمير المؤمنين (ع) ونعين موارده وانما ننتظر حتى يأتي دور الاشارة الى ذلك.

مع موقف الرسول الاكرم

وقد كانت هذه سمة بارزة من سمات تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه سواء في ذلك قبل البعثة الشريفة في سنيها الاولى او حين تسلم القيادة ومقارعة الظلام . . اما قبل البعثة فلنا ان نشير الى لحظات اشترك فيها (ص) في نشاطات

---

(١) سورة مريم ٢٧ ـ ٣٠ .

قومه بمجرد ان وجد فيهم ذلك الاستعداد الملائم وذلك في مثل حلف الفضول الذي كان بعد ان شعرت قريش بعد حرب الفجار بأن ما أصابها انما هو من تفرق الكلمة وحرص كل فريق على ان يكون صاحب الأمر ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبدالله بن جدعان فصنع لهم طعاماً فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه مابل بحر صوفة ، فحضر (ص) مشتركاً في تشكيله وكان بعد ذلك يقول «ما احب ان لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم ولو دعيت به لاجبت». انها لحظة صحو المجتمع المشرك يستغلها(ص) ليسرع في انتاجها الخير.

وهكذا نتتبع خطواته في مطلع الرسالة والتي يستغل فيها(ص) كل فترة صحو فردية او اجتماعيه ليعمل بكل قوة في سبيل استنفاذ اقصى طاقة ممكنة فيها وذلك من مثل فترة الصحو التي اعقبت حصره (ص) في الشعب اذ تدخل (ص) بكل مايستطيع لايجاد الجو العاطفي الناقم على هذا العمل كي ينتهي الامر بتمزيق الصحيفة لظالمة.

اما في حالة القيادة للمجتمع الاسلامية فان هذه الظاهرة كانت واضحة تماماً في اية خطوة كبرى .. وكانت أكثر الحالات التي يتحرك فيها (ص) لانفاذ خططه الكبرى هي في اللحظات التي يتصاعد فيها الحماس الشديد للمسلمين اما بفعل حادثة قام بها العدو أو لتأثير بعض الاهداف التي يجسمها هو (ص) امامهم في مجال النصر العقائدي.

ولنا ان نتتبع اسلوب تعامله مع اليهود وقد كانوا قوة يحسب لها حسابها في المدينة فيرى الظرف المناسب والتأثر المتأجج في بعض اللحظات ليتحرك تحركا قوياً للقضاء على ذلك الاخطبوط الذي كان ومايزال لعنة تصب على الشعوب وتقف امام التكامل والرقي الحقيقي لها .

كما اننا اشرنا الى عملية التشاور التي كانت تسبق كل خطوة كبرى وقلنا انها كانت تستهدف فيما تستهدف اشعال نار الحماس لتقبل المسؤولية الكبرى .

بعد كل هذا لنعد الى تصور حالة الأمة التي رافقت تسلم الامام زمام القيادة وعظم الامال التي كانت معقودة على ذلك الشعور السائد بالعمل الجاد لنعرف مدى امكانية تأجيل القيام بالاهداف.

المهمة التي تنتظر القائد :

لايختلف اثنان في ان المهمة التي كان يجب ان يقوم بها الامام كانت مهمة صعبة وخطوة بعيدة المدى ملائى بالمخاطر، الا انها كانت مما لا بد منه. فمن اشد الضرورات الاسلامية آنذاك كان العمل على اعادة الوجه الاسلامي للقيادة والمجتمع ونفي البؤر التي كانت تعشعش هنا وهناك لتمتص دماء الشعب المسلم باسم الاسلام ولتعطي الاسلام مزيفاً بعيداً عن روحه للامة نعم يجب القيام بخطوة عظمى لاجل توجيه مسيرة الامة الى الطريق المفروض المخطط لها من قبل الله تعالى لكي تكون بالتالي محور الحضارة في العالم.

وذلك يستتبع نفي التصورات الطبقية في الذهن العام ونفي الانانيات الشخصية عند من هيأت لهم الظروف بعض مايجعلهم يتمتعون لاجله بامتيازات خاصة .

هذه العملية الجبارة كانت امراً لابد منه وهي تحتاج ـ كماسلف ـ الى القائد البصير المحنك المؤيد بقوى الغيب ،والاطروحة البعيدة المدى الصالحة للتطبيق، والمشبعين بهذه الاطروحة واخيراً تحتاج الى حالة حماسية تتخذها الامة تجاهها. ومع حصول هذه الشرائط فقط يمكن ان يمتلك القائد الفرصة الذهبية للقيام بمحاولة الحدية وعملية الجبارة بعزم راسخ .

الانحرافات والمصالح اججت نار الثروة :

لو اردنا الرجوع الى الجذور الاساسية التي اججت نار الحماس في الامة وجعلتها تتوجه في حالة عاطفية لامثيل لها الى الامام امير المؤمنين فانا سوف نجد امرين متناقضين في واقعهما وروحهما لكنهما متحدان في مجال النفور من التشكيل الاداري والنظام التوزيعي القائم قبل الامام (ع) وهذان الامران هما :

١ ـ نقمة قطاع كبير من الامة نظراً للمآسي الفضيعة والانحرافات الخطيرة للولاة ، ونظراً لما لاقته الطبقة الخيرة من بقايا الاصحاب من غمط واهانة وذلك كعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وابي ذر الغفاري ، في حين يتسنم الطلقاء مراكز حساسة في الادارة .

وهذه النقمة هي التي كانت تستمد روحها من روح الاسلام المنافية لكل تلك

المآسي والاعتداءات على حقوق الاخرين .

ب- نقمة الطبقة الأرستقراطية المصلحية الطامعة التي فكرت بين الحين والاخ بانها تستطيع ان تتسلم الأزمة دون غيرها متناسية المصلحة الاسلامية العليا، واهداف التضحية وبذل الغالي والرخيص في سبيل البناء الاسلامي الكامل للامة .

وهكذا كانت تلك الثورة العارمة. ولقد كانت جماهير المحاربين هي مادة الثور في حين كان الوقود هو تصرفات الهيئة الادارية وانحرافاتها «واما الذي اججها فه اصحاب المصلحة فيها : هم هؤلاء الزعماء الذين اوتوا من الطموح ما جعل الخلا هدفهم ، ومن المال والمنزلة الدينية مامكنهم من جمع الانصار حولهم ، ومن سو الاوضاع ماسهل عليهم ان يعدوا الناس بخير مما هم فيه»(١) .

فاذا لاحظنا ماكان يعهده الناس في علي (ع) من مركز فريد لدى رسول ا نتيجة تضحيته العظيمة وبصيرته النافذة ووعيه للاسلام بصورة كاملة ، والتربية المقصو التي كان قد قام بها النبي العظيم لشخصه الكريم منذ اوائل الطفولة .. والاخلا الشديد للرسالة . . اذا لاحظنا ذلك عرفنا سر ذلك الانثيال العجيب نحو الامام . من قبل الامة وعرفانها بانها لامسير لها الا الى قيادته ولن تجد قائداً يقود السفين المائجة الاه .

وقد كان للتربية الخاصة التي اولاها الامام لجماعة من خلص اصحابه الاث البالغ في تأكيد شوق الامة نحوه كما سنرى ان شاء الله تعالى .

الحالة الحماسية للامة عند البيعة :

ان المتتبع لماينقله الامام نفسه عن حالة الناس عند البيعة، ومايؤكده المؤرخو بعد ذلك عنها ليجد نفسه يقف امام حالة فريدة لم تحدث الا قليلا عبر حياة الام مع الرسول (ص) .

---

(١) ثورة الحسين لسماحة الشيخ شمس الدين ص ٣٤ .

فلننظر كيف يصف الامام حالة الامة ثم نتبع ذلك بنقل نصوص من بعض المؤرخين .

يقول الامام(ع) «فما راعني الا والناس كعرف الضبع (١) ينثالون عليّ من كل جانب ، حتى لقد وطيء الحسنان ، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم» (٢) وقال (ع) (لم تكن بيعتكم اياي فلتة)(٣) ويقول(ع)(وأقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة ، قبضت يدي فبسطتموها و نازعتكم يدي فجاذبتموها» (٤) ويقول(ع)«وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطيء الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير ، وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب» (٥)

وهل بعد وصف الامام لحالة الناس من وصف ، انها البيعة المدركة للخيرات التي ستجنيها والتي لم تكن بلا تقدير مطلقاً البيعة الشاملة التي تضم حتى العليل وذوات الكعاب ، البيعة التي لم يسبقها ذلك التهويش وتلك الدعايات التي يقوم بها رجال السياسة ابان كل انتخاب .. البيعة التي لم تجبر أحداً على القبول ـ ولذا رأينا البعض القليل جداً ـ يعدهم بعض المؤرخين بثلاثة فقط ـ رفضوا ! ! فلم يجبروا على البيعة . . ولكنهم على مايبدو عادوا الى السير في طريق الناس .

وقد اجمع المؤرخون على ان البيعة كانت بيعة لم يشهد لها تاريخ الاسلام مثيلا الا القليل النادر يقول اليعقوبي :

«وبايعه طلحة والزبير والمهاجرون والانصار ، وكان اول من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيد الله .. وقام الاشتر فقال ابايعك ياامير المؤمنين على ان عليّ بيعة اهل الكوفة ثم قام طلحة والزبير فقالا نبايعك ياامير المؤمنين على ان علينا

---

(١) ماكثر على عنقها من الشعر . (٢) نهج البلاغة ـ فهارس الصالح ص ٤٩ .
(٣) ص ١٩٤ . (٤) ص ١٩٥ . (٥) ص ٣٥٠ .

بيعة المهاجرين ثم قام ابو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وابو ايوب فقالوا نبايعك على ان علينا بيعة الانصار وسائر قريش .

وبايع الناس الا ثلاثة نفر من قريش . . .»

ثم يحدثنا عن بعض ماقيل احتفالا بالبيعة :

اذ يقول خزيمة بن ثابت الانصاري وهو ذو الشهادتين «يا امير المؤمنين ما اصبنا لامرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب الا اليك ولئن صدقنا انفسنا فيك فلانت اقدم الناس ايماناً واعلم الناس بالله ، واولى المؤمنين برسول الله لك ما لهم وليس لهم مالك».

ويقول صعصعة بن صوحان «والله يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي اليك احوج منك اليها» وقد اثبت التاريخ ذلك .

ويقول مالك الاشتر «ايها الناس هذا وصي الاوصياء ووارث علم الانبياء العظيم البلاء ، الحسن الغناء الذي شهد له كتاب الله بالايمان ، ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الاواخر ، ولا الاوائل» .

واخيراً يحدثنا اليعقوبي عن قولة عقبة بن عمرو آنذاك ـ وما اروعها من قولة: «من له يوم كيوم العقبة وبيعة الرضوان ، والامام الاهدى الذي لا يخاف جوره والعالم الذي لا يخاف جهله» (١) .

وينقل ابن قتيبة نصاً عن ابي ثور أنه قال «فلما كانت البيعة له ـ اي للامام ـ خرجت في اثره ، والناس حوله يبايعونه ، فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فألجأوه الى نخلة ، وحالوا بيني وبينه فنظرت اليهم وقد اخذت الناس ذراعه تختلف ايديهم على يده . . .»(٢)

ويقول «ثم ارسل بالبيعة الى الآفاق والى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام» (٣) .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ص ١٧٨ - ١٧٩ . (٢) الامامة والسياسة ص ٤٧ . (٣) نفس المصدر ص ٤٨ .

تاجيج الحماس او اخماده ؟!

والآن وبعد ان رأينا هذه الحالة الفريدة للامة وذلك الاستعداد الشديد والتوق الاكيد لتحمل اعباء التطهير الشامل والرجوع الى معين الاسلام الصافي . . .ورأينا شدة الحماس التي رافقت طلبها من الامام ان يتسلم زمام القيادة . . وانعطافها نحوه بشكل فوت على المصلحيين الفرص لتمزيق الامة . . وخيب امالهم التي دفعتهم لاشعال الثورة او على الاصح دفعتهم لان يشاركوا الثائرين الواعين المتذمرين من التشكيل الاداري السابق ،مشاعرهم ونقمتهم وثورتهم . . . بل وجدوا انفسهم مسوقين مع مجموع الامةللانعطاف نحوامير المؤمنين بل من اوائل المبايعين له..

نعم . . . بعد ان رأينا كل هذه الانعطافات التاريخية نحو المسيرة الجادة فماذا نتوقع من الامام امير المؤمنين ؟ . . . بل ماذا كانت الامة تتوقع منه (ع) .. على ضوء انصهاره بالاسلام ووعيه الكامل لاساليبه ، وعلى ضوء تربيةالنبي القيادية الرائعة له . . وعلى ضوء منطق الاحداث التاريخية ؟ !

ان كل هذه الاضواء لتدعو الامام (ع) لان يغتنم الفرصة الذهبية التي سنحت له .. وما اقل سنوحها للقادة . . لكي يقوم بدوره التاريخي لتنفيذ المهمة الشاقة الصعبة والتخلص من جيوب الانحراف وبؤر الفساد التي عاثت بمال الله وبلاده فساداً .

ويجب ان لايغيب عن بالنا ماعهدناه من امير المؤمنين في طوال حياته من الهدفية والالتزام الكامل بتحقيق وتطبيق التعاليم الاسلامية وان كل شيء يذوي امام ذلك الهدف ... وان كل شيء طريق له ... وبدونه فالخلافة عند علي (ع) لاتعادل شسع نعل الا أن يقيم حقاً او يبطل باطلا ..

فهل نتوقع من امير المؤمنين اذ تسلم ازمة الحكم ان يعتبر ذلك ـ اي المنصب ـ هدفه النهائي ويعمل جهده على توطيد اركان الدولة التي يقودها شخصياً وبأي وسيلة كانت ... حتى ولو كان ذلك على حساب الامة وضياع امالها . . .اوعلى حساب اهدافه الاولى في انقاذ الامة من براثن النفعية والجاهلية الفكرية والعملية والاخطبوط

كان معاوية يمثل اقوى ذراع من أذرعه الممتدة . .

فيقوم بالتالي بمهادنة معاوية وامثال معاوية وبيع الأمة بانصاف الحلول
تيار الفسخ .. واتباع اسلوب الرشوة .. رشوة زعماء القبائـل والكتـل
سية المختلفة لضمان الدولة وبالتالي تموت تلك الشعلة التي تأججت ،وذلك
ي الذي تعمق .. وتلك الآمال التي كانت معقودة عليه للخلاص .. وتتقبل
، والتاريخ بعد ذلك .. مثل هذا النظام البعيد عن روح الاسلام جملة وتفصيلا
ان امضاه المعارض الاول امضاء عملياً ؟!

هل نتوقع ذلك ام نتوقع على العكس منه ان يقوم الامام وهو المخلص الاول
بادىء المجسد الاول بعد الرسول (ص) للاسلام باستغلال انعطاف الـوجـدان
جتماعي المتحمس نحوه .. وروحية تقبل العمل على محو الفساد .. ليؤدي
منه الكبرى التي نذر وجوده لها .. ويتسلم موقعه الطبيعي الذي اراده الله له من
ب .. ليأتي على عوامل الفساد ويجدد الاسلام ؟

اننا لن نتوقع كما لم تتوقع الامة .. والمنطق التاريخي والاسلامي منـه
سلوك الطريق الاخير لاغير .

ومن هنا نعرف بالدقة معنى قوله (ع) «ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه
م ار فيه الا القتال او الكفر» فكان علي (ع) بهذا ـ كما وصفه عقبة بن عمرو « الامام
لاهدى الذي لايخاف جوره».

وهكذا كان الامر ؟ .. والظاهرة الرائعة انه (ع) لم يكتف بذلك الحماس
وانما عمل على ان يعطيه روحاً بتطعيمه بامرين مهمين هما :

أ ـ وضوح الاهداف. ب ـ الالتزام المسبق بها .

ولكن كيف ركز الامام (ع) هذين المعنيين في قلب الثورة والحماس العام ؟
هذا ماسنحاول التحدث عنه في العدد القادم ان شاء الله تعالى ..

احاديث ومصادر

حديث الثقلين

عن زيد بن ارقم قال : قال رسول الله (ص) اني تارك فيكم الثقلين ، ما[ان] تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، احدهما اعظم من الاخر ، كتاب الله ممدود م[ن] السماء الى الارض ، وعترتي اهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحو[ض] فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

المصادر :

سنن الترمذي ج٢ص٣٠٨ .

مسند احمد بن حنبل ج٢ص١٤ ، ١٧ ، اخرجه عن ابي سعيد الخدري .

مصابيح السنة للبغوي ج٢ ص٢٠٤ .

الشفاء للقاضي عياض .

المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص١٣٦ .

كفاية الطالب لفقيه الحرمين محمد بن يوسف الشافعي .

الذخائر للطبري .

الصواعق المحرقة لابن حجر المكي المالكي ، ذكره بطرق مختلفة ، وقال ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً ، ص ١٣٦ .

مشارق الانوار للشيخ العدوي ص ١٤٦ .

العقد الوحيد للشيخ عبد الرحمن النقشبندي ص٧٨ .

كنز العمال للمتقي الهندي ج ١ ص ٤٤ .

تلخيص المستدرك للذهبي ، كما اخرجه كل من النسائي والطبراني والسيوط[ي] في كتابه «احياء الميت» وسنن الدارمي وحلية الأولياء وسنن ابن ماجة .

وقد ورد هذا الحديث في كتب اللغة مثل : تاج العروس ، القاموس ، لسا[ن] العرب لابن منظور ، النهاية لابن الأثير ، المصباح المنير ، وقد اصدرت دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في مصر رسالة ضافية في هذا الحديث واسمها «حديث الثقلين» وقد استقصت فيه عشرات المؤلفين من اصحاب الحديث والمفسرين والمؤرخين وغيره[م] الذين اخرجوا هذا الحديث .

المهاترات البيزنطية وأثرها في دولة الروم

السيد مهدي الحكيم - بيروت

كانت الفئة الحاكمة تعمل دائبة في تقوية المنازعات الكلامية . فأحياناً تغذيها علانية اذ ترتأي رأياً ثم تحاول أن تفرضه على الناس ،فيستمر الصراع والتناحر ويزدادان تأججاً واضطراماً، كما حدث في أيام هرقل عندما أراد أن يوحد مذاهب الدولة.. فلقد ناصبه القبط العداء وصمدوا له واستماتوا في سبيل عقيدتهم القديمة.

في القرن الرابع الميلادي ، تمت قسمة الأمبراطورية الرومانية ، بين وريثين للتاج ، الى دولتين : احداهما في الغرب ، وبقيت عاصمتها روما ،والثانية في الشرق حيث جعلت من «بيزنطية» او«القسطنطينية» حاضرة لها .

همجية الغرب في القرون الوسطى

وعلى مدى قرن ونيف انهارت الدولة الغربية، وتمزقت «الامبراطورية» أشلاء متناثرة على أيدي الغزاة البرابرة من فرنجة وهون وقوطيين وغيرهم . وأصبحت «أوروبا» ترى نفسها دويلات منقسمة ، يحارب بعضها بعضاً ، وتعيش في فوضى من الرعب والوحشية والجهل ، بعيدة عن أضواء المعرفة ، وعن كل سمة من سمات

الفكر والنضج .. يقول «روبير بريفولت» في كتابه «تطور الانسانية» : «امتد الليل على «أوروبا» ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً . وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم ، لانها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة ، وقضي عليها بالزوال ، وقد كانت الاقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي ، كايطاليا وفرنسا ، فريسة الدمار والفوضى والخراب»(١)

«بيزنطية» تصبح الوريثة العتيدة للامبراطورية التليدة

أما الدولة الشرقية ـ التي سميت بدولة الروم ـ فقد امتد بها الأجل الى ما يربو على عشرة قرون . وأصبحت هي الوريثة العتيدة للامبراطورية التليدة . كما أصبحت عاصمتها مركزاً للحضارة والمدنية .

وكانت المسيحية قد سيطرت على «الامبراطورية» بشطريها منذ زمن . وثبتت اقدامها عندما كثر أتباعها ، واشتدت شوكتها ، فاعتنقها «الاباطرة» رسمياً ، بعدما كانوا يسومون أهلها سوء العذاب . ثم سعى «الاباطرة» في الزام الوثنيين بها لكي يأمنوا شر الانقسامات الداخلية . فاعتنقها هؤلاء على مضض . . ولما يدخل الايمان بها في قلوبهم .

وكانت «بيزنطية» ـ كما قدمنا ـ وريثة الامبراطورية الغابرة ، ورثت عنها ما استطاعت ذهنيتها أن تستوعبه من مخلفات «الفلسفة الهيلينية» والافكار الرومانية الوثنية اضف الى ذلك ما كانت تختزنه ذاكرتها من آراء فارسية وهندية وشرقية متنوعة ، تصلها ـ من حين الى آخر ـ مع الوافدين اليها من مختلف البقاع . . وعلى مدى السنين هضمت كثيراً من هذا الخليط المتباين : ثم بدأت في تطبيقه على «المسيحية السمحة» ، فاخترعت لذلك منطقاً خيالياً واستوحت فلسفات سفسطائية . . وحينئذ طفقت الآراء تتعارض ، والمذاهب تتشعب ، والفتنة تستيقظ ، وقد ذر قرنها كما يذر قرن الشيطان . .

---

(١) انظر كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟» ص ٣٥ .

«بيزنطية» تنصرف الى الجدال العقيم

فليس من تعاليم المسيح (ع) في شيء ، ذلك التلاحي والتخاصم ، ولا تلك المهاترات عديمة القيمة ، والجدال الذي لاينتهي حول الطبيعةوالمشيئة . . وهل ان الالوهية في المسيح - على زعمهم - مستوعبة في انسانيته ومندمجة معها ، بحيث وجدت فيه طبيعة واحدة فحسب ، او ان الطبيعتين فيه متميزتان ؟ ؟ . . وهل ثمة مشابهة ومساواة بين «الاب» و «الابن» في الجوهر ، أم هل يختلف كلاهما عن الاخر في حقيقته ؟ ؟ ثم هل يجوز تلقيب السيدة العذراء بوالدة الاله ، أم أن هذا كفر وتجديف لان الله تعالى لايمكن أن تكون له أم؟ .. الى غيرذلك من المماحكات العقيمة التي لم تكن لتغني شيئاً عن حماية الدولة نفسها ، وعن النظر الى سحب البرابرة التي كانت تتلبد على طول الحدود وعرضها . . حتى لقد ضرب المثل بهذا «الجدل البيزنطي »وأصبح - عند الناس فيما بعد - مساوياً لسوء التفاهم وعدم الاتفاق ! !

هذا ولم يثر اتحاد «الكنيسة والدولة» غير التصدع والانقسامات الجديدة لان كل خصام كان يلد خصاماً آخر.. كما كان من المتعذر في هذه المجادلات التجريدية تقديم حجة قاطعة . ولم يكن السلطة المدنية يد - في كثير من الحالات - من التدخل لحسمها على طريقتها الخاصة .

الاضطهادات الدينية ، وشدة التعصب

وليت مجادلاتهم وقفت عند حد الكلام والتراشق باللسان فحسب . . بل انها كانت أشد ايغالا في العداوة والتعصب ، يقول «ولتون السون فيلبس» الاستاذ في جامعة دبلن : (لقد كان لكل شيعة من شيعهم «فريق الرهبان الاقوياء» - هو بمثابة فرق المحاربين الاحتياطية - يستعان بهم حين لا يجدي قرع الحجة بالحجة . وقد يلجأ الفريقان - أحياناً كثيرة - الى القوة الغاشمة ،فيغزون المجامع الكنيسية نفسها ويغذون جماهير الغوغاء المتوحشين من أهل المدن ويقودونهم في الهجوم على «المهرطقين» لايتورعون في ذلك عن سفك الدماء ، وعن التمثيل بضحاياهم ،

والتنكيل بهم بعد قتلهم .» (١)

وأن ما حدث في مصر - على يد «قيرس» عامل «هرقل» - من ظلم وحشي هائل لاعظم برهان على ماوصلت اليه القسوة والعنف في ذلك العصر، فقد استمر الاضطهاد مايقرب من عشر سنوات ، وقع في خلالها ما تقشعر منه الجلود ، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون اغراقا ، وتوقد المشاعل وتسلط نارها على الأشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين الى الارض ، ويوضع السجين في كيس مملوء من الرمل ويرمى به في البحر الى غير ذلك من الفظائع . . (٢)

ميلهم الشديد الى الوثنية

ونحن لا نخال أن كثيرين منهم يعرفون من المسائل الغامضة التي كانوا يتحاجون فيها شيئاً . بل ان مناقشات معظمهم وحجاجه ، كانت اقرب الى التحذلق والتظاهر - أمام الناس - بعمق المعرفة ونصاعة البيان وقوة المعارضة ، منها الى المناظرات الرصينة التي تثار من أجل احقاق الحق، والوصول الى محجة الصواب وخير شاهد لنا ما كانت عليه الجماهير من ميل شديد الى الوثنية، ظل باقياً في قلوب جميع الطبقات ، لا يستثنى منهم اعلاها . ولم تكن «المسيحية» عند أكثرهم سوى ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة الى الحياة . وليس من شك في أن مبادىء الاخلاق عندهم لم يطرأ عليها أي تحسن من أيام «روما» القديمة . (٣)

وناهيك ما قاست منه الأخلاق أيام «روسيا» الخطيرة من تفسخ وانحلال . . ولسنا بحاجة الى عرضها واظهار الشواهد التاريخية لاثباتها ، فكل من أوتي حظاً قليلا من قراءة التاريخ عليم بها، وملم بلياليها الحمراء الداعرة، وأيامها المتهتكة الماجنة.

---

(١) تاريخ العالم / المجلد الرابع ص ٣٦٧

(٢) انظر كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» ص ٣٠ .

(٣) تاريخ العالم / مجلد ٤ ص ٣٣٠ .

عدم احترامهم لدور العبادة

ولم تكن الكنائس بالنسبة اليهم ، الا كدور التمثيل والمسارح . يدخلونها بروح اللهو والتماجن ، وليس لهافي انفسهم قدسية اوحرمة،يقول المؤرخ الانكليزي «ف . ن . بريس» : (. . كانت النساء يجلسن في الشرفات العليا وقد تزين بأجمل الثياب ، وتحلين بكامل جواهرهن، يتحادثن ويتضاحكن ، وتندس بينهن السارقات يغنمن محصولا وفيرا .. وكان الرجال يجلسون في«صحن الكنيسة» يرنون بأبصارهم الى النساء ، ويناقشون الاحداث الجارية . . وكانت جلجلة الضحك وهدير التصفيق كثيراً ما توقف العظة بعض الوقت .. وقديتعرض الواعظ الذي لا يعجب الجمهور لان يجليه صفير الاستهزاء عن منصته .) (١)

الانصراف المتهوس الى الرهبانية والتنسك

كما لم يكن العقلاء من احبارهم ليحاولوا الاصلاح أو التأثير في هذا الجو المملوء بالخصومات ـ ولو أنهم حاولوا لمااستطاعوا ـ فانصرف جلهم الى التنسك والرهبانية ، والى الحياة المغرقةفي سلبيتها، قصد تطهير أرواحهم وخلاصها والابتعاد عن مكامن الداء . . . ثم مالبثت عدوى التنسك أن سرت في الجماهير الجاهلة فبلغوافيها حد الهوس والجنون . وناهيك بنسك الجهال وما فيه من سخف ، يقول «ولتون السون فيلبس» آنف الذكر : «لقد اقدم قسم كبير على تعذيب انفسهم في سبيل التقوى ـ على زعمهم ـ وجعلوا من القذارة والمرض طابع القداسة وشعارها المشرف . . . حتى كان بعض النساك ـ ممن تتقزز النفوس لمرآهم ـ يعرضون أوساخهم وقرحهم ليتبرك بها المؤمنون . . في حين ابتكر غيرهم أساليب أروع في تأديب نفوسهم ـ أو قل في الاعلان عنها ـ فكانوا ينامون على فرش من «المسامير الحديدية» أو يجلسون أعواما برمتها فوق قمة عمود ،كما كان يفعل القديس «سمعان العمودي». (٢)

---

(١) المرجع نفسه / ج / ٤ ص ٣٢٩ .

(٢) انظر تاريخ العالم / مجلد ٤ ص ٣٦٨ .

المماحكات العقيمة تؤدي الى الانحطاط الاخلاقي

والامة اذا هي انصرفت الى المماحكات العقيمة ، والتشدق بالقول لاشك في أنها تفقد روح العمل والكفاح ، وهما القوتان اللتان تدفعانها نحو التطور والبناء ولقد أدت هذه الحياة المتناقضة في سلبيتها ـ عند هؤلاء القوم ـ الى انحطاط فكرى واجتماعي واقتصادي . كل منها كاف لتصديع الامة وافقادها التوازن ، فكيف بها جميعاً تلتقي على صعيد واحد ؟ ؟ وكيف تكون الاخلاق في مجتمع هذه صفاته ؟ الجواب واضح جداً ، فليس الانصراف المتهوس نحو التنسك والتقشف الا ايحاء باطني مضاد لما كانوا عليه من تهتك واستهتار ، ولما كان يجيش في نفوسهم من صراع شديد وشعور بالاثم ، اذ بقدر مايكون هذا الصراع الداخلي عنيفا ، يكون الاثم ـ في حقيقته ـ كبيرا .

ونحن لاندعي أبدا أن هذه النظرية تنطبق في الحالات العادية ، على ذوي النفوس السوية . بل انها تطبق عادة في الظروف الشاذة ، على غير الاسوياء من الناس . والذي دعانا الى القول بها ـ بالنسبة الى تلك الامة ـ هي السلبية المطبقة التي رانت عليها والانصراف الجماعي المتهوس نحو تعذيب الاجساد وقهرها ، بحجة أن الجسد هو ابن الخطيئة وأس جميع الرذائل .

دور الحكام في تقوية المنازعات

وكانت الفئة الحاكمة تعمل دائبة في تقوية المنازعات الكلامية ؛ فأحيانا تغذيها علانية اذ ترتأي رأيا ثم تحاول أن تفرضه على الناس ، فيستمر الصراع والتناحر ويزدادان تأججا واضطراما ، كما حدث في أيام «هرقل» عندما اراد أن يوحد مذاهب الدولة ويجعل «المنوثيلية» مذهبا رسميا . فلقد ناصبه القبط العداء ، وصمدوا له واستماتوا في سبيل عقيدتهم القديمة . (١) . . وأحيانا قد تغذيها بصورة غير مباشرة بأن تتغاضى عن أصحاب البدع وتتجاهلهم ـ حينما تخمد حدة الجدل ـ فيجهرون ببدعهم الجديدة التي تكون بمثابة الهشيم الجاف يلقى في النار لتعود الخصومات وقد ذر

(١) ماذا خسر العالم . . ؟ ص ٣٠ .

قرنيها من جديد .

كل ذلك لكي ينصرف الناس عن النظر الى أمورهم الجدية ، ولكيلا يحاسبوا [illegible] على ماتقترفه من ظلم وجور . فلقد كانت الحالة الاقتصادية مترديه الى أقصى [illegible] ، زادتها الاتاوات والضرائب المتضاعفة ضغثا على ابالة . يقول المؤرخ الانكليزي المعاصر «ف. ن . بريس» : «لقد بلغ من قسوة الضرائب ، حتى في وقت السلم ، أن الاغلبية العظمى من سكان «الامبراطورية» كانت فيما يبدو تعيش على الدوام فوق حد الكفاف بقليل . وكان يزيد من شر هذه الضرائب الفادحة ما كان يتبع في جبايتها من أساليب ممقوتة . وكان المألوف أن تجمع الضرائب بطريقة الالتزام أي أن تباع ضرائب الاقليم لاحد الجباة مقابل مبلغ من المال، يدفع فورا ثم يعمد الجابي الى تعويض نفسه على حساب دافعي الضرائب المنكودين.. وكثيرا ما كان يلجأ الى العنف والتعذيب لاغتصاب آخر درهم لديهم» (١)

الرشوة والفساد الاقتصادي

لقد كانت «الامبراطورية» تطلب من رعاياها أن يبذلوا الكثير . . الا ان هؤلاء كانوا يرون أنهم لايحصلون منها ـ مقابل تضحياتهم كلها ـ الا على النفع الضئيل فكانت تشغلهم ـ كما رأيت ـ بأمور عقيمة تصرفهم بها عن واقعهم الممض. ولكنها في الوقت نفسه ، تتظاهر برعاية مصالحهم . فكانت ترسل ـ من حين الى آخر ـ مبعوثا اثر مبعوث لينقل اليها صورة صادقة عن الطريقة التي يؤدي بها الموظفون المدنيون واجباتهم . . بيد أن الرشى الوفيرة كانت تخرس ألسنة هؤلاء المبعوثين.

يقول «نورمان .ه. بانيز » أستاذ التاريخ الروماني في جامعة لندن : «كانت الحكومة الرومانية تعين هيئة دفاع لحماية المواطنين من جشع جباة الضرائب ولكن أكبر الظن أن هذا التعيين لم يكن يعني أكثر من تحميل المواطنين عبء اعالة

---

(١) تاريخ العالم م/٤ ص ٣٣١ .

موظف جديد» . (١) كما يتحدث في موطن آخر عن حالة الفلاحين فيقول:«لقد كان الفلاح في يأسه التام ، يعتقد اعتقادا لايخالجه شك في أنه ليس ثمة أسوأ من حاله التي هو عليها ...وكان الانضمام الى عصبةمن قطاع الطريق هو ملاذهالوحيد حينما تعييه الحيل» . (٢)

الترف عند طبقة النبلاء

والى جانب هؤلاء المنكودين كانت هنالك طبقة ثرية ، ترفل بالرخاء وتنعم بلهنية العيش . هم من يدعون بالنبلاء . يقول «بريس» :«كان الذهب والعاج اللذان يطعم بهما أثاث قصور النبلاء الفخمة يتلألآن في تلك القصور . وكان من المألوف أن يقوم على خدمة صاحب القصر ألفان من العبيد أو ثلاثة . » (١)

ولا شك في أن الحالة الاقتصادية لهاأثرها الكبير في الوضع الاجتماعي للامة فالفقر المدقع ، الذي كان يرزح تحت وطأته سواد الناس ،من الطبيعي جداأن يولد في نفوسهم كرها شديدا ـ ان لم نقل حقدا مسعورا ـ تجاه الطبقة المترفة . . تلك التي يرونها تمتص دماءهم المكدودة ، وتنعم بثمرةأتعابهم المضنية ، لتعيش في دنياها الخاصة ، منصرفة الى لذائذها وشهواتها .

لابد للغليان من متنفس

وناهيك بمجتمع دعامته الحقد وأساسه الضغائن ، كيف يستقيم نظامه ؟ ؟وكيف تكون أوضاعه ؟ . . لكن لابد للغليان من متنفس ..وأطل القرن السادس الميلادى ، والدولة تترنح . . وما ان اقبل العام الثاني والثلاثون وخمسمائة حتى ذر قرن الثورة ، وعمت الفتن «الامبراطورية» ، وهلك في العاصمة نفسها مايقرب من ثلاثين

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٤١ (٢) المرجع نفسه ص ٢٤٢

(٣) تاريخ العالم / المجلد الرابع ص ٣٣١

ألفا (١) . . ودام الصراع واستمر الى ان وصلت في ترديها وهبوطها الى آخر المطاف . يقول «جيبون» :

«... كان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم - فيما مضى - تستظل بظلها الوارف ، ولم يبق منه الا الجذع الذى لايزداد كل يوم الا ذبولا . »(٢)

وهكذا في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ،أصبحت «الامبراطورية بأقطارها الشاسعة مباءة للفوضى والانحلال ، ووكرا للفساد الاخلاقي والاجتماعي وعرضة للانهيار الاقتصادي . . . وكلها عوامل للهدم ، حتى أذن الله أن يديلها ، ويبدلها بخير منها وكان أمر الله قدرا مقدورا . .

الامم حين البعثة

... الى ان بعث الله -سبحانه- محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله لانجاز عدته ، وتمام نبوته . .. وأهل الارض يومئذ : ملل متفرقة ،واهواء منتشرة،وطوائف متشتتة : بين مشبه لله بخلقه، او ملحد فى اسمه ، أو مشير الى غيره..فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة .

(١) و(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ص ٣١ .

٩

نحو انبعاث الحضارة الاسلامية من جديد ★

الدكتور محمد نجاة الله الصديقى
أستاذ الاقتصاد بجامعة على كره المسلمة (الهند)

لقد شهدت السنوات الاخيرة نهضة كبرى بين الشعوب الاسلامية وخاصة بين العرب وهناك علامات لاتخطئها العين تؤكد بأن العالم الاسلامي قد أفاق من عصور الظلام والركود يحدوه الامل الاكيد في استعادة مجده التليد واتخاذ مكانه المرموق لقيادة الانسانية ـ وظهر هذا جليا من العمل الدؤوب المثمر في المجالات السياسية والاقتصادية لتحقيق ذلك الغرض ولعل أهم مجهود قد اتخذ فـي المجال الثقافـي الذي يهدف لفهم واستيعاب الاسلام وتفسير التراث الاسلامي بما يتمشى مع العصر الحديث وتحدياته التي لاتحصى ولا تعد .

وانه لشيء حسن ان نقرر في هذا المؤتمر بحث هذه الامور المهمة خاصة فيما يتعلق باسهام الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية في تقدم العلوم والاداب المختلفة واثراء التراث الانساني في الماضي وقدرتها لاداء نفس الدور في الحاضر ـ علينا أن نحدد العوامل التي ساعدت في التقدم المطرد في العصور الاولى ـ ثم بعد ذلك نبحث في اسباب الانحطاط والركود التي أعقبت ذلك الازدهار وبما اننا بصدد انبعاث الفكر الاسلامي من جديد فان الهدف الثالث من هذا البحث يتمركز في تحـديـد الاسبقيات ذات المتطلبات التي تمهد لتحقيق هذا العمل الجليل على خير وجه .

لاأرى ضرورة للكتابة بالتفصيل عن التقدم الشامل الذي حققه المسلمون منذ

(★) من محاظرات الملتقى الثامن للفكر الاسلامى فى الجزائر .

جر الاسلام وحتى القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر للميلاد) واستمر الازدهار قرنين آخرين مع بعض التأخر وبعد ذلك جاءت خمسة قرون من الركود والانحطاط حتى القرن الماضي) .

لقد عم الامن والتقدم بقاع العالم الاسلامي المترامي الأطراف آنذاك وازدهرت لتجارة والصناعة . وكانت الادارة ممتازة الاداء مما أشعر كل فرد بالامن والطمأنينة واتسعت دواوين القضاء لتحقيق العدالة بين الناس وانتشرت المستشفيات ومعاهد لعلم ووسائل الخدمات الاجتماعية في المدن الكبيرة ، وبلغت المعرفة مرتبة عظيمة واصبحت دور العلم قبلة الشبان .

وكان من نتائج هذا العصر الذهبي الاسلامي ظهور علماء ومفكرين يشار اليهم بالبنان اثروا الحضارة البشرية باسهامهم الأصيل في شتى فروع المعرفة مثل الادب العربي وقواعد اللغة العربية، والتفسير والحديث فازدهرا جنبا بجنب القانون الاسلامي. ومنذ مطلع القرن الثاني أنشغل العلماء والفقهاء بخلق وابداع الشريعة الاسلامية والفقه واصول الفقه ،وأصبحت هذه أم العلوم في الاسلام لشمول هذه القوانين لكل جوانب الحياة مما جعل النقاش المثمر المفيد للمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ضرورة قصوى ، ووضعت الخطوط العريضة لنظام الحكم والادارة والاقتصاد والضرائب .. الخ لتضيء الطريقة للراعي والرعية على السواء ، بالاضافة لذلك فقد وضعت الأسس الجديدة لعلم الكلام الذي يهدف لتدعيم الايمان على النهج القويم والمنطق السليم .

وقام المسلمون فى الفترة مابين القرن الثامن والقرن الحادى عشر الميلادى بتقدم ملحوظ ومطرد في العلوم الطبيعية ، وأسهم العلماء المسلمون بدور كبير في التاريخ الطبيعي والفيزياء والكيمياء والجغرافيا والفلك، التي كانت اللبنة الاولى لتقدم العلوم في الغرب، لقد بدأوا بتطبيق التجربة العملية للظواهر الطبيعية بدلا من طريقة التخيل والتكهن وهذا بلا شك فتح الطريق أمام الثورة العلمية التطبيقية ولقد طور العلماء المسلمون الاوائل الرياضيات التي بدونها يصبح من العسير تقدم العصور

في العلم الحديث ونذكر علىٰ سبيل المثال أسماء العلماء : الكندى ، الخوارزمي ابن الهيثم ابن البيطار ، أبو بكر الرازى ، الدينورى ، المسعودي ، ابن خلـدون ابن رشد والبيرونى ولقدنبغ ابن خلدون والقاضي في الاجتماع والفلسفة ،والفترة امتدت لحوالي ألف سنة لم يوجدفيها من يضاهي العلماء المسلمين في الطب والجراحة ولعل ابن سينا هو اصدق مثل على مااقول .

لقد أقر الجميع بالحقيقة التالية : ان اسهام المسلمينفي شتى مجالاتالمعرفة وطريقتهم العلمية والمعامل التي شيدوهاللتقدم العلمي قد وضع الاسسالاولىلعصور النهضة في أوروبا ، ان المراجع العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية تمثل نقطة الانطلاق في الفلسفة ، الرياضيات ، الطب ، العلوم الطبيعية بالنسبة للمراكز العلمية الجديدة في أوروبا في أول عصور النهضة ، ان نظام الحكـم الاسـلامي والادارة والاقتصاد والاهتمامبرفاهية الشعب عنطريقالمؤسساتالمختلفةكانصورةطبقالاصل لتطلعات العالمالمتمدن ، ولا شك أنه منخصائص الحضارة الاسلامية آنذاكالبحث عن الحقيقة وتأكيد منافع الحكم والادارة وحب العلاقات الانسانية ، ان الاخلاق الفاضلة التي نادى بها الاسلام أصبحت متاحة لكل العالم ، لقد كان الدافع ايجابيا يهدف لخير ورفاهية الانسان من واعز روحي واخلاقي وهادئ في آن واحد .

لقد وضع سيدنا محمد (ص) أصولا ثابتة وقواعد متينةلكل الانجازاتالمثمرة في عهد الاسلام الزاهر عن طريق رسالته النبوية ، ان فحوى الرسالة الرئيسى هو التوحيد الذي يشمل عملية التحول الاسلامي بالنسبة للفرد والجماعة ، التوحيدهو أن يسلم المرء أمره الى الله سبحانه وتعالى لانه المصدر الوحيد لكل شيء في الوجود ، ان الغاية الساميةالتي ينشدها الانسان هي ارضاء الله باتباع أوامرهواجتناب نواهيه ، ان الانسان عندما يطلب رضاء الله لايشرك به أحدا ولا يستقبل هاديا يهديه الى الصراط المستقيم غيره ، وهذا التسليم لامر الله يعنى حب الله واجلاله وتقديسه وطاعته والايمان به ايمانا كاملا عن رغبة ورهبة ، ومن هنايتضح ان هذا الارتباط كانكاملا وايجابيا .

التوحيد يتضمن ان يتحرر الانسان من كل أنواع القهر والتسلط الذي صنعه الانسان عبر الاجيال ، لقد حرر الرسول عليه الصلاةوالسلام اتباعه من الطاعةالعمياء للاباء والأجداد وتقبل أوامر القادة والعظماء دون فهم ونقد . ولقد حرر عقولهم من الخرافات والتشاؤم من الظواهر الطبيعية والكونية ودفعهم لاستخلاص تجاربهم عن طريق تحكيم السمع والبصر والفؤاد .

والتوحيد يتضمن علاقة محددة بين الكائنات ، ان الله خلق كل شي في الوجود لمنفعة الانسان ، وهذا يتطلب الفهم الصحيح للطبيعة وتوجيهها لمصلحة الناس ، ونستنبط من هذا ان يعيش المجموع في مودة واخاء وتعاون ، وذلك يقود الى رضاء الله ورضوانه .

هذه هي الرسالة التي اخذها المسلمون بأفئدتهم بغية تسليم أمرهم الى الله سبحانه وتعالى ، والأمة عندما تؤدي هذه الرسالة على الوجه الاكمل تكون قد قامت بعملية متحركة ومستمرة تتمثل في التحرر من الشرك وتحكيم العقل والمنطق والرأي المستقل والتعقل والتمعن في التعاليم الالهية المنزلة وتحويل حياة الفرد والجماعة حسب أحكام الله سبحانه وتعالى وهذه الرسالة موجهة لكل الناس كما جاء في سورة آل عمران «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . الخ»

وحتى نفهم الدور الذي قام به المسلمون عبر التاريخ ينبغي أن نوضح ان شخصية المسلم والأمة المسلمة تنبني على ثلاثة أعمدة وهي :

أولا — حرية التفكير وثانياً —التمسك بالاخلاق الفاضلة في القول والعمل وثالثاً— ربط الرسالة المحمدية بالانسانية جمعاء .

المسلمون حريصون كل الحرص لملاحظة وفهم الأشياء على حقيقتها ومصممون على احداث التغيير المنشود ، ان دراستهم للطبيعة ضرورية لحاجتهم الملحة لاستغلال الموارد الطبيعية لمصلحة الانسان ، لقد استوعب المسلمون كل المعارف الماضية واستمروا في كشف حقائق جديدة لنفس الغرض لانهم يدركون أن ذلك سيساعدهم

على اتباع سنة الله وتخول لهم الاستفادة من مخلوقاته حسب رضاه سبحانه وتعالى.

لقد ابتكر المسلمون الاوائل مجموعة متكاملة من القوانين التي تؤهلهم لحياة كريمة تتمشى مع التعاليم الربانية المنزلة، لقد بدأوا بدراسة الانسان توطئة لعملية التحول الاسلامي وحددوا سير الحياة المثلى اقتصادياً وسياسياً، وكان اهتمامهم بالعدالة الاجتماعية كبيراً لان في ذلك رضاء الله سبحانه وتعالى ويؤدي لتكوين المجتمع الصالح، ولقد اتبعوا القول بالعمل فى الزراعة وتربية الحيوان والصناعة والتجارة حتى يجد كل فرد احتياجاته ومتطلباته، وانبثقت المساواة بين الناس من التوحيد حيث خلا مجتمعهم من الفوارق سواء بسبب الميلاد، الجنس، اللون أو اللغة. وهذا خلق المناخ الملائم للابتكار والابداع وغرس في مجتمعهم النواة الطاهرة للمعرفة والاتقان، وبذلك كانت نظرتهم واقعية للمتطلبات المادية في اطار الاخلاق الفاضلة والقيم الروحية. ان البحث عن المعرفة النافعة والحث على تطبيقها لتحقيق المجتمع الصالح بغية ارضاء الله سبحانه وتعالى كانت من خصائص هذه المرحلة الجديدة ومن النتائج المباشرة للمثل التي جاءت من «التوحيد» الذي ينادي بالحرية والاخلاق الكريمة وهذا لا يعني انه ليست هنالك عوامل أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية اسهمت في تحقيق التقدم والازدهار الاسلامي أثناء الفترة ما بين ستة الى ثمانية قرون متواصلة ولكن الواقع القوي والعامل الاساسي يتمركز في هذه النظرة الجديدة التي بعثت الطاقات الكامنة ووجهتها نحو البناء.

اسباب التدهور

اذا كانت دوافع التقدم المذكورة سابقاً صحيحة اذن يمكننا ان نلخص اسباب التدهور فى البعد عن التوحيد وهذا يتضمن التقلص فى صفات الامة المسلمة المذكورة آنفاً وهي حرية التفكير مع التمسك بالاخلاق الفاضلة وروح الرسالة الخالدة ولظروف متعددة نجد من الصعوبة التعرض بالتفصيل لبداية تنشيط همم الاجتهاد وبداية القهر لحرية البحث العلمي والحكم الصحيح بعد ان اختلت المثل والمعايير الاخلاقية واصبح التقليد

مرغوباً اكثر من الخلق والابداع وابتعد الناس عن فضائل التوحيد ، وأصبح الفهم الديني متجهاً الى تطهير الروح أكثر من التهيئة لاداء الرسالة على الوجه الاكمل كما جاء بها سيدنا محمد (ص) للامة ، واتخذت المعرفة معنى ملتوياً يرمي الى حفظ الكتب القديمة واتقانها اكثر من البحث عن حقائق جديدة وتتبع سبل مبتكره وغلبت الطريقة النظرية على الطريقة العملية التي قبلت التعاليم المنزلة فيما يتعلق بالدنيا والآخرة وركزت مباشرة في المراقبة والتحليل ، وكلما ازداد النفوذ الاغريقي كلما استهلكت المناقشات الفلسفية الطاقات التي كانت توجه لفوائد افضل في الماضي.

ان ضعف القيم الأخلاقية بين الناس نتج عن انشغالهم بالسلطة والثراء وانغماسهم في اللهو والملذات التي حققها لهم التقدم المادي الواسع وكلما ابتعد القائمون بالأمر والمشرفون على الادارة والصناعة والتجارة بعيداً عن التعاليم الاسلامية الفاضلة كلما سيطرت عليها المصالح المادية واصبحت لا تمت للحياة الدينية السامية بصلة لان الدين ينأى عن الصغائر ويسمو عن التشدق بأمور العالم المادي الفاني .

لقد نسيت الامة الدور الكبير المناط بها وانقسم رجال الدين الى طوائف وأحزاب يغلب عليها التعصب والجمود والمهاترات التي لا تؤدي الى غرض نبيل وكان من الطبيعي والحال هكذا ان ينحرف أولو الامر عن طريق الرسالة والمثل الاخلاقية الحميدة .

وهكذا تدهورت أسباب العلم والمعرفة بعد أن فقدت الدافع والحافز الروحي وحرمت من البحث العلمي الحر ، واستغلت السلطة نفوذها لسحق الحوافز الاصيلة وحطم اتون السياسة المستمر المناخ الصالح لنمو الاداب وتقدم الاقتصاد ، وبدأ عصر الانحطاط يوقف كل الازدهار في العلوم والتكنولوجيا وفي خلال قرون قليلة انهار العالم الاسلامي من جراء التصدع الذي أصابه ولم يمكنه من الصمود أمام التيار الجارف من الحضارة الغربية في شتى مناحي الحياة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وثقافياً.

وكان التحول الحقيقي قد حدث في شخصية المسلمين ،لقد انتهى عهد الوعي والتسليم بارادة الله وانتهى تفكير الناس في التحرر من عبودية الاخرين والتخلص

من الرغبات الوضيعة ، لقدأصبح المسلم ليس كماكانفي الماضي رجل مبدأورسالة، ولا شك أن ابتعاد الناس عن التوحيد وتغيير نظرتهم نحوه هومن الاسباب المباشرة لهذا التصدع الروحي والأخلاقي والانحطاط الثقافي ، وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك التأخر الاقتصادي والتشتت السياسي والتخبط الاجتماعي .

من المؤكد أن هنالك أسباب أخرى أدت الى التدهور المريع الذي حدث بين المسلمين ولكن الغرض هناهو تحديد الاسباب الجذرية والاساسية ، وهذا هو التحول الذي حدث في شخصيتهم كما اوضحنا أعلاه، لقد زال من مسرح الحوادث دور الامة الذي لخصناه في نظرتها للمعرفة وتمسكها بالاخلاق الفاضلة وارتباط رسالتها بالانسانية جمعاء ، وحل محل الامة جمع يتكون من مئات الملايين من المسلمين اصبح همهم الحفظ عن ظهر قلب بعض الصفحات عن الايمان واستيعاب مجموعة من الاوامر والنواهى كتبها لهم فئة قليلة من قادة الاحزاب والطوائف الدينية المتعددة دون أن يكلفوا أنفسهم جهد استنباطها مباشرة بأنفسهم ، لقد اختلت المعاييـر والمقاييس واصبح هنالك فرقاشاسعابين الامور الدينية والشئون الدنيوية ، وانتجت المجموعة الاسلامية صفين من الناس ، «رجال الدين لخدمة الامور الروحية والدينية» ، وقادة علمانيين «لادارة دفة الحكم واختلط التخبط الديني واختلال المثل والاخلاق مع فساد شخصية المسلمين ليدقوا آخر مسمار في نعش الامة المسلمة .

الطريق الى الانبعاث الاسلامي

ان احياء شخصية المسلم الاصلية وانبعاث الامة الاسلامية بكل خصالها وخصائصها هو الطريق الشامل والمتكامل نحو انبعاث الفكر الاسلامي وازدهار الحضارة الاسلامية من جديد ،وهذا هو الاتجاه المركز من قبل المفكرين الكبار والمصلحين الاجتماعيين في خلال المئتين سنة الاخيرة ،هؤلاء الرجال استنبطوا وحيهم مباشرة من القرآن والسنة وكانت لهم نظرة فاحصة للوضع الراهن ، وكانت الخطوة الاولى هي التحرر من العبودية الفكرية سواء كانت التبعية لعلماء الغرب أو لبعض العناصر

الاسلامية البائدة .

ان استعادة حرية الفكر والنقد الباني والاتجاه التطبيقي العلمي ينبغي أن تتم في اطار مرضاة الله سبحانه وتعالى مع انبعاث الاخلاق الفاضلة التي نادى بها الاسلام، ان انبعاث الفكر الاسلامي واحياء الامة تتطلب عملية تحول كبرى من التقليد الى الاجتهاد ومن الجمود الى الخلق والابداع ومن التقوقع بالروح الديني الى الانفتاح على الانسان بقوة وعزيمة ، ان الفهم الصحيح والحديث للتعاليم المنزلة والبحث الجديد في السنة المحمدية في اطار التحول المتحرك حسب التصور الاسلامي هو من صميم حركة الانبعاث الأسلامي المنشودة وان التوحيد يستوعب النظرة الفاحصة والمستقلة لكل المثل الانسانية المتضمنة في التعاليم الاسلامية ويتطلب أيضاً استيعاب كل التجارب الناجحة الماضية فى البناء الاسلامي للمجموعة الانسانية .

وبمجرد ان يستعيد المسلمون شخصيتهم الأصيلة وبمجرد ان تتمسك الامة بأهدافها السامية بواسطة الروح الحقيقي للاجتهاد حينذاك يصبح الجو ملائماً لكى تلعب دورها كاملا من غير نقصان .

وفي هذا المجال ينبغي أن نضع اهتماماً كبيراً للتحول الذي ينبغي أن يسود الكيان الاجتماعي بهدف خلق المجتمع الصالح الذي تتكافأ فيه الفرص لكل فرد حتى يساهم في الفكر والعمل المتجه لبناء المجتمع الانساني المطلوب ، وهذا بلا شك يتطلب تحولا جذرياً في السياسة والاقتصاد حتى يزول الفقر والجهل والتسلط واستغلال الانسان لاخيه الانسان ، ومن متطلبات المجتمع الخلاق اتاحة التعليم واشاعة حرية الرأي والاجتماع والاستماع لصوت العقل والضمير .

وعندما ننظر للمجهودات الحالية لانبعاث الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية من جديد نجد أنها خالية من المتطلبات المذكورة آنفاً الا ما شاء الله وهنا يأتي القصور ، فعلى الرغم من أن هنالك محاولات متعددة للانبعاث الأ أننا لا نجد اهتماماً واضحاً باعادة تكوين المجتمع والحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية فى الاسرة المسلمة.

ان الحديث عن الانبعاث وعالمية الرسالة يصبح غير واقعي في مجتمع

تبلغ فيه نسبة التعليم الاولي أقل من ٣٠ ٪ اما التعليم العالي فهو امتياز لحوالي ١ ٪ خاصة وان هنالك تأخراً في الاقتصاد وانعدام الحرية السياسية في معظم أنحاء العالم الاسلامي ، هذه الظروف المعوقة ينبغي أن تزال لتهيئة الطريق للتقدم المنشود وهو يتطلب التخطيط . ان اشاعة التعليم وتوفير العدالة الاجتماعية بين الناس وقيام سياسة تعتمد على التعاليم الالهية كصاحبة السلطة المطلقة وتحقيق المساواة بين الناس وتطبيق النظام الاسلامي في الحكم وبناء الاقتصاد على اكتاف رجال أشداء يحبون العمل الجاد ويقدرون على الابتكار والابداع كل هذا يحتاج لتخطيط علمي ولسنوات من العمل الجاد المثمر .

واذا القينا نظرة على عالم اليوم لادركنا حتمية هذا العمل وضرورة أنبعاث الحضارة الاسلامية من جديد وجذب باقي الانسانية نحوها ، ان مجابهة الغرب والاحتكاك به في هذه العملية حتمية لا محالة لانها تهدد مصالحه وامتيازاته السياسية والاقتصادية التي يتمتع بها حاليا ، ان الدول الكبرى لها مصلحة حيوية في بقاء المسلمين في هذا المستوى من التأخر الاقتصادى والسلبية الثقافية وعليه فانهم لن يتركوا عملية التحول تتم دون مقاومة ، اضف الى ذلك أن اعتماد المسلمين الحالي الكلي على تلك الدول الكبرى ستجعلهم عاجزين عن القيام بأي دور فعال. عليهم ان يعتمدوا على أنفسهم قبل اظهار ارادتهم الفعلية وتكوين شخصيتهم المستقلة. من المحال تحقيق الاستقلال السياسي وتدعيمه بالاصالة الفكرية قبل احداث التقدم الاقتصادي والنمو الصناعي والتقوية العسكرية لان هذه الاشياء تتمشى مع بعضها البعض

على الرغم من أن هذا يبدو صعباً ومرهقاً الا أنه ليس مستحيلا ان الهام الرسالة سيمنح المسلمين القوة والشجاعة للقيام بذلك العمل ، وكما حدث في الماضي فان الشيء المهم هو تنشيط الروح وبعث الطاقات الكامنة، ان الازمة الاخلاقية في الغرب قد بدأت تضعف من قواهم السياسية والاقتصادية وأصبح الجو ملائماً للهجوم بسلاح انساني جديد يزيل الاثام والشرور ويبقى على الصالح المفيد ،وهذا الهجوم على الرغم من أن سلاحه الاساسي المثل والاراء والقيم الا أنه يحتاج لقاعدة

انسانية تعتنق تلك المبادىء والاراء ولا تعتمد على أحد فى معيشتها ويمكنها أن تقاوم أي تهديد لبنائها .

أن أهمية التخطيط الواعي يمكن أن ندركهـا اذا علمنا ان العالم الاسلامـي يستقبل كل شيء من الغرب حتى في مجال المباديء والاراء ، ان جامعاتنا لاتملك سوى الفكر الغربي تدرسه حتى بالنسبه للعلوم الانسانية والفلسفة والتاريخ ، انهذا الوضع ينبغي ان يتغير فوراً اذا كنا صادقين وجادين فى الحديث عن المبادىء والاراء الاسلامية الفريدة ، ولكن حتى هذا لن يحدث بجرة قلم اذ علينا أن نبدأ بانشاء اقسام للبحث فى العلوم الانسانية والفلسفة ، والتاريخ على أعلى المستويات ، ويجب اختيار مجموعة ممتازة من الدارسين الذين تبحروا فى العلوم الاسلامية ولهم المام كامـل بالمعارف الحديثة ليقوموا بتأليف كتب رائدة عن الانجازات والمساهمات الاسلامية واختيار الجيد من المؤلفات الحديثة ، هنالك ضرورة ملحة لقيام مؤسسات متخصصة في هذا المجال مع تدعيمها بأعظم الكفاءات التي نملكها لاسيما أولئك الذين يعملون في الغرب أماهروبا من القهر في بلدانهم أو لانهم وجدوا فرصا افضل هنالك وحتى يكتمل الدور ينبغي أن يكون هنالك تبادل فى الاراء واتصال دائم عن طريق المجلات الاكاديمية والندوات والمؤتمرات في شتى العلوم ، وهنالك أمل كبير في أن ثمار هذه المجهودات ستمكن المختصين من وضع مقررات جديدة في الاداب والعلوم الانسانية ذات طابع أخلاقي سليم .

ونحن أيضاً محتاجون لبذل مزيد من الجهد لتحقيق الاكتفاء الذاتي في العلوم والتكنولوجيا وتقليل الاعتماد الحالي على الغرب ، هذه المجهودات ينبغي أن تواكب التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية كخطوة أولى ومع دول العالم الثالث النامية كخطوة ثانية بهدف تقليل التبعية الاقتصادية .

وهنالك أهمية كبرى لتوطيد العلاقات الحسنة مع كل دول آسيا وافريقيا التي تجاور العالم الاسلامي من المغرب وحتى ـ جاكارتا ـ ووسيلة أخرى عظيمة الشأن في التقدم هي تدعيم اللغة العربية واستعمالها في التعاون الاكاديمى مع تقبل بعض لغات

المسلمين الاخرى كوسيلة للاتصال والاستمرار في الاستفادة من اللغات الانجليزية والفرنسية متى ماكان هذا ضروريا ، ويتضح أهمية كل ذلك جلياإذا اردنا أن نحرك عامة الشعب نحو التحول الثقافي الاخلاقي في محاولة على أرفع المستويات .

خلاصة :

وختاما يمكننا أن نقول أن الاستراتيجيةالصحيحة للانبعاث الاسلامي تقع في جانبين : في الجانب الاول هنالك الدفعة الايديولوجية والاخلاقية لاحياء الوازع الصادق لتسليم الأمر لله سبحانه وتعالى مع انبعاث اخلاق الاسلام الفاضلة والغرض النبيل من الرسالة الذي يهدف لبناء المجموعة الانسانية بما يرضى الله وفي الجانب الثاني يجب تهيئة المناخ المناسب للامة لكيما تلعب دورها كاملا وذلك يتم باشاعة التعليم للجميع وتنظيم البحوث في مجالات المعرفة الاستراتيجة وتحقيق التقدم الاقتصادي والوحدة السياسية بين المسلمين خاصة ودول العالم الثالث عامة ،وعلى الرغم من أن المجهودات تقوم في الجهتين الانه ينبغي أن تكون هنالك نظرة واضحة وصحيحة لدور كل منها والتنسيق بينها في كل الخطوات ، اذا تمعنا في الحاضر نجد أن الجهتين منفصلتان عن بعضهما ظاهريا ، الجانب الأول من امتياز رجال الدين والجانب الثاني من اختصاص القادة العلمانيين،وأي حركة موحدة لانبعاث الحضارة الاسلامية من جديد تتطلب ازالة هذه الثنائية وهنا يأتي دور المفكرين الاسلاميين الكبير لتحديد العلاقة العضوية والتنسيق بين هاتين العمليتين ان كانوا جادين في بناء المستقبل المشرق للاسلام والانسانية .

كتاب في مقال

الربا

الاستعمار الاقتصادي الظالم

تأليف : الشيخ
محمد على الشبسترى

ترجمة وتلخيص :
السيد علي الحسيني

تمهيد :

عملية التعاطي الربوي كانت ولاشك تعتبر من نوع العمليات غير المشروعة التي لم يعترف بها النظام الاقتصادي البشري كجزء من هيكله العام بالرغم من وجود بعض الممارسين لها في كل المجتمعات غير انه في القرون الأخيرة ومع تطور الحياة حدثت اسباب عديدة ادخلت هذه العملية في الهيكل العام للنظام الاقتصادي واعترف النظام بها بشكل رسمي .

ففي اوائل القرن السادس عشر ، عندما اخذ الاستعمار الغربي يجند القوى، ضد الدين والاخلاق ، شنت حملات عنيفة على مسألة تحريم الربا حتى اصبح بعض الزعماء السياسيين والدينيين في الغرب يتعاطون الربا بصورة علنية وفي اواخر

القرن الثامن عشر وافق بعض علماء الاقتصاد على القرض الربوي واعترف به القانون الفرنسي .

ومن ناحية ثالثة كان للنظام الرأسمالي دوره الهام في تنمية العملية وتطويرها الى حد لاترى اليوم فاصلا بينه وبين المؤسسات الربوية .ولا ننسى دور اليهود ايضاً في بناء العملية ورفع قواعدها نظراً الى انهم يجوزون ـ فقهياً ـ التعاطي الربوي مع الشعوب الأخرى غير شعب اسرائيل ، اضف الى ذلك الروح المادية التي كانت ولا تزال رمز شخصيتهم وكيانهم .

وفي البلاد الاسلامية ادت التطورات المختلفة ـ وباللاسف ـ الى التقليل من شناعة الربا وفظاعته امام الله والقانون ، فأسست البنوك الربوية في قلب هذه البلاد، ومضت تطبق القوانين المستوردة من الغرب وانتهت بفعل عوامل عديدة الى ائتلاف البنوك والحكومات والأسواق الاسلامية مع الربا ائتلافاً جذرياً .

حرية التعاطي الربوى في الحضارات البائدة :

في العصور القديمة حيث كانت ايدى الطبقة الثرية تلعب بمقدرات الامم بما فيها اقتصادياتها ـ وكانت مصالح هذه الطبقة تستدعي ممارسة الربا والدفاع عنها باي شكل كان ، امتلكت هذه العملية حريتها بعرض عريض لاتجد له حدوداً الافي الحالات التي كانت تتصاعد فيها درجة الضغط على الطبقة الفقيرة الكادحة وتستعر فيها نيران الحرب الطبقية ،وتبدو فيها طلائع الثورات التي تكاد تحطم الاقطاعيين، ففي تلك اللحظات الرهيبة كان الزعماء يتداركون الموقف فوراً ويسكنون الامم تسكيناً لاأكثر فيضعون للتعاطي الربوي بعض الضوابط المؤقتة ، ثم لاتدوم بعد ذلك الاريثما يركب الفرس ، فتستأنف العمليات الربوية حديثها من جديد

ادرس تاريخ مصر القديمة،واليونان قبل عصر (سولون)،والروم قبل ان ينتهي الدور الى قانون (الالواح الاثنى عشر) والجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الاسلام ؛ تجد في ذلك كله نماذج لهذه الحرية المترامية الاطراف ، ولكنك عندما تدرس تاريخ (اسبارطة) لاتشاهد اثراً لهذه المهنة ، ولعل السبب في ذلك عدم انتشار الاقتصاد النقدى هناك

وانما كانت المعاملات التجارية تقوم على اساس مبادلة سلعة بسلعة .

القوانين الالهية تحرم الربا:

من جملة ماتمتاز به القوانين الألهية المرتكزة على العدالة ، والنظرة الواقعية انها حرمت الربا بصراحة ، وفي هذا المجال تكفينا نظرة عابرة في الكتب السماوية (التوراة والانجيل) رغم انهما لم يصمدا امام الايدى المحرفة والاهواء الطارئة، فعندما تراجع في التوراة سفر الخروج الباب الثاني والعشرين الرقم ٢٥ وسفر اللاوين الباب الخامس والعشرين الرقم ٣٥ وفي الانجيل انجيل لوقا الباب السادس الرقم ٣٤ ومابعده تجد نصوصاً عديدة تصرح بتحريم الربا، وهناك ايضاً تصريحات أدلى بها رجال الدين من اليهود والنصارى بشان تحريم الربا ، ونذكر كشاهد على ذلك تصريح (سكوبار) احد رجال الكنيسة البارزين بأنه: يعتبر كل من يحلل الربا انساناً ملحداً خارجاً عن دين المسيح .

طريقة القرآن الكريم الخاصة لتحريم الربا :

وللقرآن الكريم طريقته الخاصة لتحريم الربا وهي التي يتخذها عند محاربته الانحرافات الاجتماعية العريقة وهي طريقة التدرج في مرحلة التقنين والتغلب على العادات والتقاليد المنحرفة السائدة فهو يهيىء الارضية المساعدة للقانون اولا ثم يضع القانون بشكل بات وصريح فعندذاك تتقبله الاحاسيس والمشاعر العامة وتطبقه بكل وجودها ، وقد حرم القرآن الربا ضمن مراحل اربع (١) :

٢ ـ ففي المرحلة الاولى : نزلت هذه الاية الشريفة:«وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المفلحون » الروم آية ٣٩ . وكانت اروع موعظة اخلاقية بهذا الصدد اذ تبين

---

(١) هذه المرحلية والتسلسل الذى ذكره المؤلف المحترم لتحريم الربا لم نجد عليه دليلا اضف الى انه لا ينسجم مع واقع نزول بعض هذه الايات ولا يوافق رأى كثير من المفسرين ، فحبذا لو أن المؤلف كان يذكر البرهان عليه ان كان يقصد به التسلسل الزمنى كما يبدو منه، وأما التسلسل المنطقى فلا بأس به ان كان له ما يبرره . «المترجم»

مدى بعد عملية الربا من النظم الاخلاقية والحيثيات المعنوية ورغم حث القرآن دائماً على المعاملات التجارية المشروعة فالمرابي وان تعاظمت ثروته عن طريق الربا ، الا ان ذلك لايرفع من قدره شيئاً امام الله وبالمقياس الالهي .

ب ـ وفي المرحلة الثانية : نزلت هذه الاية الشريفة : «وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ..» النساء الآية ١٦١ وذلك ضمن ما تنتقده من اعمال اليهود وتقاليدهم المنحرفة ومن جملتها اخذ الربا مع ان ذلك محرم في شريعتهم ، وما من شك في ان لهذه الاية اثرها الكبير في خلق حالة انتظار شديدة في قلوب المسلمين تجاه رأي الاسلام بشأن عملية التعاطي الربوي بعد ما ادركوا من خلال هذه الاية ان العملية بنفسها كانت محرمة في الشرائع السابقة .

ج ـ وفي المرحلة الثالثة نزلت هذه الاية الشريفة :« يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، آل عمران الاية ١٣٠ ، لتحرم نوعاً خاصاً من الربا ، وهو الذي يرفع فيه مقدار الفائدة الربوية ويتضاعف في مدة قليلة فيصبح اضعاف الكمية المقترضة. (١)

د ـ وفي المرحلة الرابعة نزلت هذه الاية الشريفة : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون . البقرة الاية ٢٧٨ ، لتقرر التحريم النهائي لعملية الربا بشتى انواعها .

والان لنلق نظرة على مختلف الجوانب الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية التي لاحظها الاسلام بشأن تحريم الربا وطبعاً سوف تدور ابحاثنا حول عملية القرض

---

(١) ليست الاية الشريفة مخصوصة بصدد تحريم نوع خاص من الربا الذى يضاعف الدين اضعافاً مضاعفة ـ كما ذكره المؤلف اذ ذلك يعنى ان الاية تسمح بالفائدة التى لا تضاعف القرض، مع ان غرض الاية الكريمة ـ ولو بلحاظ الروايات و النصوص الواردة بصدد تفسير الاية الشريفة ـ لفت نظر المرابين الى ما يتمخض عنه الربا من نتائج فضيعة ، نظراً الى ان المدين يصبح مثقلا باضعاف مااستقرضه ، لان الفوائد الربوية تتراكم ، ورأس المال الربوى ينمو باستمرار وبؤس المدين يتزايد ثم ينهار فى النهاية . «المترجم»

الربوي ـ أي الاقراض والاقتراض بفائدة واما البيع الربوي الذي هو من الربـا المحرم في الشريعة الاسلامية وهو ان يبيع الانسان او يبتاع سلعة مكيلة او موزونة بمقدار اكثر من جنس السلعة نفسها ، فنؤجله الى مجال آخر .

النظام الربوى والاسس الاخلاقية :

لاشك في أن التعاون الاجتماعى والعواطف المتبادلة بين افراد مجتمع واحد وكذلك بين الشعوب والامم المختلفة امر ضروري في الحياة البشرية و هذا يستدعي تنظيم المبادلات الاقتصادية بشكل لا تتزعزع معه تلك الاواصر التي تشد الناس بعضهم الى بعض . والنظام الربوي هو ذاك التبادل الاقتصادي الذي يقتلع العلاقات الاجتماعية المطلوبة من جذورها ، لانه لايقوم على اساس التعاون والتكامل والمواساة ، بـل يقوم على اساس الاثرة والقسوة واستغلال مصائب الاخرين فالمرابي لايفكر الافي فائدته دائماً ، ولاتهمه حالة المقترض اخاسر هو ام رابح ؟ هذا النوع من التعامـل الجاف الظالم سوف يخلف في نفسية المقترض اسوأ الاثار ، واقلها انفصام العلاقة الاخوية بينهما ، وقد يؤدي الى اغتيال المرابي او انتحار المقترض .

ولو لاحظت شخصية المرابـي لرأيتها مادية بحتة ودعـت الاخلاق وفقـدت الاحساس بعواقب الربا ، التي تلعب بمقدرات المقترض ، يقول القرآن العظيم : «الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» البقرة الاية ٢٧٥ . نعم تلك هي حالة المرابي ، حالة الجمود الروحي وفقدان الادراكات والاحاسيس.

النظام الربوى وعلاقته بالاقتصاد الاستعمارى

هناك نوعان من القروض الربوية يسـودان الاسواق العالمية اليوم : احدهما ما يقترضه الفرد او المؤسسة لتأمين الحاجات الشخصية فقط. وثانيهما القروض التي يستثمرها المقترض فى مجال الانتاج الزراعي او الصناعي او التجاري فالنوع الاول في أكثر الاحيان يستتبع انهيار المقترض اقتصادياً وانحدار امواله كلها بالتدريج

الى كيس المرابي مما يؤدي الى اختلال التوازن الاقتصادي ، ذلـك لان الدافع الوحيد هنا للمقترض الى الاقتراض هو عجز دخله السنوي عن تأمين حاجاته في الحياة فهو يقترض لكي يسد به الثغور الاقتصادية التي خلفها هذا العجز والفقر ، فلو فرضنا ان دخله السنوي عبارة عن (١٠٠٠٠) وهذا لا يكفيه لتأمين حاجاته السنوية فهو يقترض (٥٠٠٠) اخرى بفائدة ولنفرضها (١٠٠٠) الى سنة واحدة دفع منها (٦٠٠٠) للمرابي بقي (٤٠٠٠) وطبعاً هذا لا يكفي لسد حاجاته في السنة الثانية الا باقتراض (١١٠٠٠) وهكذا . . واذا لم يدفع الى المرابي (٦٠٠٠) فسوف تتضاعف الفائدة الربوية حتى تستوعب بالتدريج دخله السنوي ، ويبقى هذا المسكيـن صفر اليدين ! اضف الى ان المرابي في هذا النوع من القروض يستغل الفرصـة التي اتاحها له اضطرار المقترض وفقره الاقتصادي الذي دفعه الى الاقتـراض ،فيرتفع بسعر الفائدة الى اكبر حد ممكن او كثيراً ما يتفق ان المقترض يدفع اضعاف المقدار المقترض دون ان ينقص من قرضه شيء ! ! ! .

ومن ناحية اخرى لاشك في تأثير هذا القسم من التعاطي الربوي على الحركة الاقتصادية وشل قدرة الطبقة المقترضة على اقتناء السلع والمنتجات دون ان يستثمر الرأسمالي المرابي الاموال التي يقترضها من هؤلاء في هذا السبيل او ما شابهه،بل سوف يستأنف العملية من جديد ويقرض الاموال لاناس آخرين بفوائد اخرى، وهكذا يمتص اموال المجموعة الثانية من المقترضين وكل امكانياتهم الاقتصادية...ولا شك في ان شل القدرة الشرائية في المجتمع اقوى ضربة له من الناحية الاقتصادية.

وأما النوع الثاني من القروض الربوية ـ اي التي تستثمر في لون من الوان النشاط الاقتصادي كالانتاج الزراعي والصناعي ـ فهو الذي يدافع عنه المرابون بكل حماسة ، ويبرهنون على ذلك بأن حرية هذا النوع من التعاطي الربوي تعتبر من العوامل الرئيسية للنشاطات الاقتصادية على اوسع نطاق ، لان المقترض هنا سوف

يصبح عن طريق استثمار القرض الربوي في مجال الانتاج الزراعي او الصناعي ـ مالكاً لرأس مال خاص بعد ان لم يكن كذلك ومن ثم تتضاعف قوة الانتاج في المجتمع الذي يسوده القرض الربوي بهذه الصورة .

ولا يفوتنا ما تنطوي عليه هذه الصيغة من خداع وتضليل، فكم هناك من آثار سيئة يخلفها هذا النوع من القرض الربوي في الحياة الاقتصادية ، نظراً الى ان كافة الوان النشاط الاقتصادي يجب ان تسير على هدى سياسة اقتصادية واحدة وتحقق هدفاً مشتركاً وهي التنمية الاقتصادية وطبعاً من الواجب ان تركز العلاقات الاقتصادية على اساس التعاون والاشتراك في الربح والخسران معاً ، فالمرابون اللذين لا يساهمون في تنمية الاقتصاد بمواهبهم الجسدية والفكرية ولا يتحملون اية مسؤولية تجاه الخسارات التي يواجهها اقتصاد المجتمع ولا يحسون بأي خطر اقتصادي وانما يطالبون بربحهم المضمون دون ان يعيروا اهتماماً لحالة المقترض اهو رابح ام خاسر ؟ او لدرجة الانتاج اهي متصاعدة ام متنازلة ؟ او للوضع الاقتصادي اهو معتدل ام متنازل ؟ هؤلاء سوف يقلبون العلاقة الاقتصادية القائمة بين رأس المال والقوى المنتجة على أساس التعاون رأساً على عقب ويبنونها على اساس من التخاصم والعداء البغيض ويتمثلون للطبقات بشكل عوامل غير طبيعية لا تشارك عمليات الانتاج الاجتماعي بصورة مباشرة ، بل تفتح لنفسها حساباً خاصاً بشكل منعزل عن سائر الطبقات وهذا الانعزال يؤدي الى المضاعفات التالية :

١ ـ تجميد اكثر رؤوس الاموال وعدم استثمارها في مجال الانتاج ، رغم حاجة العمال الى مصانع ومعامل فتكثر الايدي العاطلة ، ويصبح الاستيراد امراً ضرورياً بالرغم من انه يمتص كميات هائلة من اموال الشعب ، كل ذلك من اجل امتناع المرابين عن الاقراض واحتكارهم رؤوس الاموال نظراً الى انهم ينتظرون ارتفاع سعر الفائدة ! .

٢ ـ انطلاقاً من ان المرابي لا يفكر الا في مصالحه الشخصية لا في مجتمعه ، لذا فهو يقرض بسهولة فيما اذا لم يكن المجتمع بحاجة ماسة الى العمل والانتاج

واما في الظروف التي تضطر فيها المؤسسات والمقترضون الى الانتاج عن طريق الاقتراض بفائدة ، فهو يضاعف سعر الفائدة مهما امكنه الى حد لايبقى للانتاج عن هذا الطريق نفع مادي ملفت للنظر ، فيتقاعس المنتج عن الاقتراض وبالتالي عن الانتاج ، ومن ثم لايفكر المنتج في هذه الحالة الا في ربحه حتى ولو كان عن طريق انتاج السلع التي تهوي بالمجتمع من الناحية الاخلاقية الى مكان سحيق .

٣ ـ نظراً الى ان المرابي يحتكر لديه دائماً كمية كبيرة من رؤوس الاموال كي يستربح بها ارباحاً طائلة في الفرص السعيدة ! ! ثم هو يحتمل ان يرتفع سعر الفائدة في المستقبل ، لذا فهو يمتنع عن اقراض المنتجين الى امد بعيد، ومن اجل ذلك تضطر المؤسسات المنتجة الى اقتراض كمية محددة الى امد قريب ، ونتيجة ذلك انها لا تتمكن من ممارسة عمليات الانتاج الواسعة النطاق والبعيدة الامد واستيراد المعامل الحديثة لان وضعها الاقتصادي لا يسمح لها بذلك ، فلا يمكنها ان تصدر الى الاسواق المنتجات الحديثة، ولاان تستمر في الانتاج اذا احست بقلة الطلب في السوق لانها تحذر انخفاض سعر السلعة المنتجة ومن جهة اخرى تتراكم الفوائد الربوية فلذا تقلل الانتاج !أفبامكان هذه المؤسسات بعد ذلك ان تنمو اقتصادياً وبصورة منظمة؟

٤ ـ في القروض الربوية من هذا النوع قد تقترض المؤسسات المنتجة قروضاً بفائدة محدودة الى مدة (١٠) سنين او اكثر ، وتبدأ سيرها الانتاجي على اساس تلك القروض لا على اساس رأس مالها الخاص ، وهنا قد تربح المؤسسة طيلة هذه المدة وتدفع اقساطها السنوية ، مع الفوائد الربوية وقد تواجه الخسران اثناء المدة نتيجة انخفاض الاسعار في السوق او خطأ المؤسسة في سياستها التجارية ، وعند ذاك لايمكنها ان تدفع الاقساط مع فوائدها، اللهم الا ان تدفع رأس مالها الخاص الى المرابي وتنفض يديها من كل ماتملك لانها قد انطلقت في سيرها الانتاجي متكئة على القروض لا على رأس مالها الخاص كيما اذا واجهت الخسران تكون قد خسرت قسماً من رأس مالها فحسب (١).

---

(١) الربا للمودودي ٤٩ ـ ٥٤ .

القروض الوطنية ومخلفاتها :

ونقصد بها ماتقترضهالدولةمن الشعب لاحد عاملين :

الاول : حماية الوطن من العدو وتأمين متطلبات الحرب .

الثاني : الاسهام في عمليات الانتاج .

ففي حالاتالحرب، في تلك اللحظات الحرجة التي تساهـم كـل الطبقات بامكانياتها في انقاذ الوطن من براثن العدو المهاجم وفيتلك الساعات التي تواجه الدولة ازمة اقتصادية عنيفة تضطرها الى الاقتراض من الطبقة الرأسمالية المرابية ؛ لايمكنك ان تلاحظ طبقة اجتماعيةتفكر فيمصالحهاالشخصية الاهذه الطبقة المرابية التي تأبى الاقراض للدولة دون (فائدة!) .

أليست المطالبة بـ (الفائدة) ! فيهذه الحالة تخلفاسوأ الاثار في حياةالدولة والمجتمع الاقتصادية والسياسية معاً ؟

وهل تعني هذه العملية بالنسبة للدولة المهاجمة من قبل العدو المضطرة فى جهادها الى دفع (الفائدة!) الانوعاً منالانتحار ؟ بينما بامكان هذه الطبقة الرأسمالية ان تزيح كل العقباتمنهذهاللحظة امابالتضحية بقسم من اموالها ، فيسبيلالحرب التي تمس كرامتها وكيانها او بالاقراض قرضاً حسناًبدون (فائدة) الى حين ترتفع الأزمة الاقتصادية وتعتدل ميزانية الدولة وتبدأ سيرها الاعتيادى .

وقد تستهدف الدولة في اقتراضها من الشعب الاستثمار والانتاج ،وقدألمحنا قبل قليل الى النتائجالسيئة التى تخلفها القروض الربوية من هذا النوع ـوهوالذي يستهدف المقترضمن ورائه الانتاج ـونضيف هنا ان الدولة التي تقترض مثل هـذه القروض الى امد بعيد لايمكنها انتتنبأ بالاحداث المستقبلة التي ولاشك تؤثر على اقتصادها وقد تسلك بهسبيلا آخر يختلفتماماًعن الحالة المعاصرة لعمليةالاقتراض فقد لاتربح الدولةمن وراءهذه القروضبل لاتنتفع منها بمقدار (الفوائد) التي يجب ان تدفعها الى المرابين ومن ناحية اخرى لاتتمكن الدولة في هذه الحالة من القيام بوظائفها الاساسية لان من الواجب عليها كي لايكون ربحها اقل من سعر الفائدة الربوية ان تمارس وتطبق البرامجالتيتتكفل لها هذا المقدار من الربح الضروري مهما كانت تلك البرامج والمخططات تقصيها عن مسؤلياتها الاجتماعية ، اذاً

سوف لاتخضع هذه القروض الاهلية للخدمات الاجتماعية ولاتضمن للمجتمع سعادته كاملة (١) .

ومن ناحية ثالثة تلجأ الدولة حينئذ لكي تسدد ديونها الى فرض الضرائب على الشعب : هذه الضرائب سوف ترمي بسهمها النافذ جميع الطبقات وتغير حالة البلاد الاقتصادية ككل وتلقي عبأها الثقيل ـ طبعاً ـ على الطبقة المتوسطة والادنى منها وتخلف اقبح الاثار وذاك هو الاختلاف الطبقي العميق فمثلا لو فرضنا أن الدولة اقترضت مائة مليون للاستثمار في مؤسسة زراعية بفائدة سنوية تقرضها ٦٪ فسوف تصب بستة ملايين في كيس المرابي ولكي تسدد هذه الفوائد الضخمة تفرض الضرائب على المزارعين ففي الحقيقة كل فرد مزارع هو الذي يدفع كمية من الفائدة الربوية الى المرابي ، ثم ماذا يفعل المزارع المسكين ؟ طبعاً لاشيء سوى ان يرتفع بسعر الحنطة مثلا ! وهنا تتوزع الضريبة بصورة طبيعية على كل من يبتاع الحنطة من افراد الشعب فهم الذين يدفعون الفائدة الربوية الى المرابي فلو استمرت العملية الى عشر سنين كانت النتيجة ان ينحدر مقدار ستين مليون كفائدة ربوية الى كيس المرابي ثم من اين تجمعت هذه الكمية الهائلة ؟ طبعاً من الشعب المظلوم ! فهل تتصور بوجدانك مظهراً اخطر من هذا للاختلاف الطبقي ؟ (٢) .

نعم هذا هو الاستعمار الاقتصادي المتستر وهانحن نرى كيف يعتبر الحالة الاقتصادية للامة ألعوبة خفيفة بيديه! ثم هل من شك في ان تأريخ الوضع الاقتصادى واضطرابه له دوره الفعال في زحزحة كثير من الجوانب الاجتماعية الاخرى للامة ايضاً والتي تتصل بشكل وآخر بالوضع الاقتصادي اتصالا وثيقاً ؟ واخيرا: هذه ايماءات مختصرة الى بعض الجوانب الاخلاقية والاقتصادية التي بالامكان ان يكون قد لاحظها الاسلام عندما حرم الربا ولعلنا ندرس في مجال آخر انشاءالله بعض الجوانب الاخرى لفلسفة تحريم الربا .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ ـ ٥٨ .

(٢) يقول الامام الثامن علي بن موسى الرضا(ع) ـ بصدد تحريم الربا ـ علة تحريم الربا بالنسبة لعلة ذهاب المعروف ، وتلف الاموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض ، والقرض صنايع المعروف ، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الاموال . وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٤٢٦ .

الاسلام . . .
ومصير الديانات الاخرى

بقلم : الشيخ جعفر سبحاني

ترجمة: جعفر الهادي

* ينص القرآن على :
ان الاسلام شريعة عالمية ، وأن بالاسلام اقفل باب الشرائع ، ونسخت الاديان جميعها .
* وينص القرآن أيضاً على :
أن المؤمنين بالله واليوم الاخر من أهل الديانات الاخرى سينالون ثواب الله ، وانه لاخوف عليهم ولا هم يحزنون !
* فماذا يعنى ذلك ؟
وماذا يعنى هذا ؟
ترى هل يعنى هذا اعتراف الاسلام بشرعية تلك الاديان؛والسماح لها بالاستمرار الى جانبه ،
أم ماذا ؟

اذا كان الاسلام آخر شريعة في مسلسل الشرائع السماوية ، واذا كانت رسالته خاتمة الرسالات ، وناسخة الأديان ، فلماذا يعتبر القرآن كل من يؤمن بالله ،ويعمل صالحاً ، من أصحاب الديانات ، المسيحية أواليهودية او غيرهما ـ مأجوراً عندالله، وآمناً من عذابه ؟ !

ألا يعني هذا ان جميع الشرائع السماوية، لاتزال تحتفظ بشرعيتها ، الى جانب الاسلام ، وأن أتباعها ناجون ، شأنهم شأن من اعترف بالاسلام وسار تحت لوائه تماماً ، وكأن ديناً جديداً لم يأت ، وكأن أمراً مالم يقع ؟ !

قبل اعطاء الاجابة الصحيحة على هذا السؤال يتحتم علينا اولا، أن نستعرض سريعاً ، ماقد يذكر في هذا الشأن من الايات وهي ثلاث :

١ - «ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ،والنصارى ،والصابئين ، من آمن بالله واليوم الاخر ،وعمل صالحاً ، فلهم اجرهم عند ربهم،ولاخوف عليهم،ولاهم يحزنون» البقرة -٦٢ .

٢ - ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، ولاهم يحزنون» المائدة-٦٩.

٣ - «ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى، والمجوس، والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة، ان الله على كل شيء شهيد» الحج-١٧.

* * *

لدى القاء أول نظرة على هذه الايات ، قد يقفز الى الذهن، أن القرآن يكرس شرعية الاديان المذكورة ، باعتبار أنه يعتبر المعتنقين لها ، في أمان من عذاب الله وفي منجى من مؤاخذته ؛ شريطة ان يكونوا مؤمنين بالله ،واليوم الاخر ، وأن يقدموا على ربهم بعمل صالح . . ويكون نتيجة ذلك : ان فكرة نسخ الاسلام للاديان ادعاء لا اساس له ، ولا واقع ، طالما أن الاسلام يعتبر أن كل الطرق تؤدي الى الله ، وأنه ليس من الضروري على أصحاب الديانات الاخرى ، أن تعتزل دياناتها، وتنضم الى صفوف المسلمين ! !

هذا هو بالضبط مانسمعه ، بين الحين والاخر ، من بعض الافواه، أو الابواق وهو اعتقاد ان دل على شيء فانما يدل على سطحية معرفة صاحبه، بالمحتوى القرآني ككل!

* * *

اننا يجب ان نعرف مسبقاً ، ان الاساس السليم ، في تفسير آية ما ليس هو

اننتجاهل اخواتها من الآيات، وأيضاً ملابسات النزول، ومن ثم مداول السياق القرآني. لاننا في مثل هذه الحالة سنقع في تخبط عريض لا أول له ولا آخر.

والان هل ان الاسلام يقر شرعية الاديان حقاً ؟

في الحقيقة، اذا كان صحيحاً : ان الاسلام يقر، فعلا، احتفاظ الاديان بشرعيتها حتى بعد ظهور الاسلام، ويسمح لها بالاستمرار الى جانبه، فان معنى ذلك، أن الاسلام ينسف بنفسه مبررات وجوده، ويعطل من ناحية أخرى جميع الأسس الوجيهة التي قامت عليها دعوة الرسول الاعظم (ص) كبار قادة العالم آنذاك الى دينه: الاسلام، ضمن رسائله ومكاتيبه المشهورة، ويفند بالتالي دعوى الرسول (ص) بانه (آخر الانبياء، وخاتم المرسلين)، وان رسالته خاتمة الرسالات ! !!

الا أن الرسائل الهامة التي وجهها الرسول الكريم (ص) الى قادة عصره، وايضاً جهاده المرير، وجهاد المسلمين ضد أهل الكتاب، سواء في عهده أو بعد ذلك... مضافاً الى مجموع ماوصل الينا من تصريحات قادة الاسلام لدليل صارخ على ان الاسلام، أعلن، بظهوره (نهاية) عهد الديانات باسرها، و(بداية) عهد جديد، لادين له سوى (الاسلام)، ولا نبي له سوى (محمد) ـ صلى الله عليه وآله ـ .

اذن فماذا تقصده الايات السالفة الذكر ؟

الجواب : ان رؤية علمية معمقة لهذه الايات تكشف لنا أن لهذه الايات هدفين : هدفا اجمالياً وهدفاً تفصيلياً .

أما الهدف الاجمالي من هذه الايات فهو تقرير : أن اليهود والنصارى اذا كانوا ـ حقاً ـ يعتبرون انفسهم مؤمنين بالله واليوم الاخر وجب عليهم ـ بحكم كتبهم المنزلة ـ ان يعترفوا بنبي الاسلام ويؤمنوا به .

أليست التوراة والانجيل قد أخبرا، بمجيء النبي (محمد) ـ ص ـ وبشرا بظهوره . . وحددا صفاته وعلائمه، تحديداً دقيقاً، جعل اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؟ !

ومن حسن الحظ أن القرآن نفسه كشف عن هذه الحقيقة في سورة (المائدة)

حيث قال : «قل يا اهل الكتاب ، لستم على شيء حتى تقيموا التوراة ، والانجيل، وما أنزل اليكم من ربكم» .

ومن الواضح جداً ، ان القصد من اقامة التوراة والانجيل ،لايعنى سوى الاخذ بكل ما جاء فيهما ، حرفياً . . والحديث عن خاتم النبيين والاسلام،هو واحدمن تلك الامور التي صرحت بها هذه الكتب . . الامر الذي يشير اليه القرآن في اكثر من موضع ، حينما يقول-مصراً على اهل الكتاب-بأن اليهود والنصارى اذاكانوا مؤمنين بالله واليوم الاخر حقاً ، فان عليهم ان يستجيبوا لنداء النبي محمد (ص) ودعوته لهم لان كتبهم اخبرت بمجيئه ، واوصتهم باتباعه . يعني ان يكونوا مسلمين لاغير.

ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يكونوا مأجورين يوم القيامة .

وهكذا لا يمكن الفصل - في منطق العقل والقرآن - بين الايمان بالله واليوم الاخر والايمان بالكتب السماويةوبين الايمان برسول الله(ص) الذي تقع قضية الايمان به وبدينه : الاسلام ، في قمة تعاليم تلك الكتب التي يؤمن بها اليهود والنصارى ..

وهكذا - أيضاً - لا يمكن ان يبقى المسيحي على مسيحيته مادام قداخذ بكل ما في انجيله بما فيه الانضواء الى الاسلام والايمان بخاتم النبيين (محمد) -ص-فلن يكون المسيحي حينئذ الا مسلماً ، ليس غير . .

وهكذا الامر في اليهودي . .

هذا عن الهدف الاجمالي .

واما الهدف التفصيلي : فهو ليس الا تقريراً لحقيقة ثابتة ، وهي التي تتجلى بوضوح من خلال الايات السابقة لهذه الاية في سورة البقرة ، والتي تثبت ان هذه الاية (الاولى المذكورة في مطلع البحث) انما تتحدث عن مصير الماضين من اتباع الديانات في عهود الانبياء السابقين ممن آمن منهم بالله ، واليوم الاخر ، وعمل صالحاً .

فالقرآن - في هذه الاية - يخبرنا : بأن هؤلاء لاشك ناجون ، بسبب ايمانهم الصادق ، وعملهم الصالح ، والتزامهم بتعاليم دياناتهم ، دون من حاد عن طريق

لايمان ، ولم يأت بعمل صالح ، وانحرف عن جادة التوحيد السليم. . وهم الفرقة تي عبدت العجل مرة . . وبلغت بها الوقاحة ان طلبت من موسى ان يريها الله تعالى - حيث قالت : «ياموسى ارنا الله جهرة» ذلك الطلب الوقح الذي صارسبباً ن يحل غضب الله ، على بني اسرائيل ، ويتحمل هذا العنصر عار تلك الوقاحة يلا بعد جيل ، بسبب كفرهم الوقح ، وعنادهم الطويل ، وقتلهم الانبياء بغير حق .. ما يحدثنا القرآن عن ذلك في سورة البقرة حيث يقول :« وضربت عليهم الذلة المسكنة وباؤوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ير الحق» البقرة ٦١ .

لقد اراد الله هنا ان يزيل الغموض او الاشتباه حول مصير الفريق المؤمن من اهل كتاب ، حتى لايشتبه امرهم بأمر ذلك الفريق الكافر المعاند فاخبر بأن من آمن ن اهل الكتاب بالله عن اخلاص وآمن باليوم الاخر عن صدق وعمل صالحاً ، نه لاخوف عليهم يوم القيامة ، ولا حزن ، ولا عقاب ، بل جنة وثواب ، رضوان من الله .

في هذه الصورة يمكن اعتبار الاية مرتبطة بذلك الفريق المؤمن من اهل الكتاب الذين كانوا يعيشون فى العصور الماضية ، السابقة على الاسلام ، دون ان يكون لها ى ارتباط بعصر (الرسالة الاسلامية) .

ويأتي شأن نزول هذه الاية ليلقي ضوءاً اكثر على هذا الموضوع ويؤيده تأييداً كاملا . .

فشأن النزول كان تساؤل طائفة من المسلمين حول مصير اسلافهم حيث نهم بعد نزول القرآن ومجيء الرسول (ص) راحوا يتساءلون : وكيف ترى سيكون صير اسلافنا ، الذين كانوا يعتنقون الاديان الاخرى غير الاسلام ؟ !

في هذه المناسبة نزلت الاية الشريفة ، لتعلن رسمياً عن المصير الحسن الذي ننظر كل من كان : يؤمن بالله واليوم الاخر ويعمل صالحاً من أصحاب الديانات لسابقة مؤكدة بانه لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

كما أن تاريخ الوحي يحدثنا : ان سلمان الفارسي ـ في اول لقاء لـه مع الرسول (ص)ـ تحدث عن رفاقه : الرهبان ، رهبان دير الموصل، فقال: ان جميع اولئك الرهبان كانوا ينتظرون بلهفة ظهور نبي الاسلام غير ان المنية خيبت آمالهم !

واذا بواحد من المسلمين الذين كانوا يحضرون هذا اللقاء ، بادر سلمان بقوله الا ترى أنهم سيكونون من اصحاب النار . . في هذه المناسبة بالذات ، نزلت الاية المذكورة ، على رسول الله (ص) وأعلنت بصراحة : بانه ليس من اهل النار والعذاب من اعتنق الاديان الصحيحة السابقة ، اذا كان يؤمن بالله حقاً ، ويؤمن باليوم الاخر صادقاً ويعمل الصالحات مخلصاً ، وان لم يتوفر له ان يدرك عهد رسول الاسلام .

في هذه الصورة ، لاتجد أي ارتباط للاية بزعم اولئك الذين يدعون أن هذه الاية ، لاتعني سوى (الوفاق الاسلامي المسيحي اليهودي) ويزعمون ان الاسلام يقرر في هذا الايات أمان المعتنقين لغير الاسلام من عذاب الله وعقابه . .

مضافاً الى أننا لانرى أي علاقة بين الاية الثالثة (وهي الاية ١٧ من سورة الحج) وبين مايزعم هؤلاء . . حيث ان مفاد الاية هذه لايعني سوى الاخبار بان الله هو الحاكم بين الطوائف المختلفة ، يوم القيامة ، فهو الذي ينتقم من طائفة ، او ينتصر لطائفة من أخرى ، وليس يعني ذلك مطلقاً : ان أصحاب الديانات الاخرى على حق..وانهم ناجون يوم الحساب ! !

جواب آخر

ولنا هنا اجابة ثانية على السؤال المطروح ، ولكن قبل أن ندخل في صميم هذه الاجابة ، نرى من الضروري أن نشير الى بعض الامور :

فكرة الشعب المختار

التاريخ يحدثنا ان اليهود والنصارى كانوا كثيراً ما ، يستعلون على المسلمين بادعاء (فكرة الشعب المختار) فكل واحدة من هاتين الطائفتين : اليهود والنصارى

كانت تدعي أنها أرقى انواع البشر ! !

وكان اليهود خاصة اكثر تمسكاً بهذا الزعم ، حتى انهم كانوا يدعون أنهم (شعب الله المختار) .

وقد ذكر القرآن في احدى آياته هذا الزعم الباطل ، وذكر ان النصارى هم ايضاً يدعون هذا الادعاء الفارغ . . عندما يقول :

«وقالت اليهود والنصارى : نحن ابناء الله . . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق» المائدة /١٨ .

والقرآن كما نرى يفند هذا الزعم بكل قوة عندما يقول: «فلم يعذبكم بذنوبكم» وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف ، حداً بالغاً ، وكأنهم قد اخذوا على الله عهداً ، بأن يستخلصهم ، ويختارهم ، حيث قالوا :

«ولن تمسنا النار الا أياماً معدودة» البقرة /٨٠

ولكن القرآن نسف بقوة هذا الزعم عندما قال في شكل استفهام انكاري «قل: اتخذتم عند الله عهداً ، أم تقولون على الله مالاتعلمون» وهكذا! من خلال هذه المزاعم وردودها نكتشف كيف ان اليهود كانوا يعدون انفسهم (صفوة البشرية) ونخبة الشعوب ، وكانوا يحاولون بمثل هذه المزاعم فرض كيانهم على العالم ، كأرقى نوع بشرى انتخبه الله على سائر البشر . . حتى كأنهم (ابناء الله المدللون)!

٢ ـ الاسماء لا تنقذ انساناً

وكما ان اليهود والنصارى كانوا يحاولون الاستعلاء الباطل عن طريق بث (فكرة الشعب المختار) ـ كما عرفنا ذلك من خلال الايات الماضية ـ فانهم كانوا من ناحية ثانية ، يعتبرون الاسماء أو الانتساب الى اليهودية والمسيحية هي الاخرى ، سبباً اخر من أسباب التفوق في الدنيا ، والنجاة في الآخرة . . والفوز بالثواب الجزيل.

فقد كان في تصورهم : ان الجنة هي نصيب كل من ينتسب الى بنى اسرائيل

أو يسمى مسيحياً ، ليس الا ..

وكأنه بامكان الاسماء او الانتساب ان تصبح يوماً ما سبيلا الى الهداية اومفاتيح للجنة . . ! !

ولكن هذا ـ على رغم سخافته ـ كان أمنية اليهود والنصارى ودعواهم، كما يحدثنا القرآن :

«وقالوا : لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى» البقرة /١٣٥ غير ان القرآن كان بالمرصاد لهذه الدعاوى الباطلة أيضاً ، عندما ذكر بان الوسيلة الوحيدة لامتلاك الجنة العريضة هي الايمان الصادق ، والعمل الصالح ، وليست الاسماء أو مجرد الانتساب الى عقيدة سماوية مهما كانت

فقال : «تلك امانيهم ، قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ، فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون» البقرة١١٢

ولا شك انه واضح جداً ، ان جملة (وهو محسن) انماتعنى الايمان الخالص والتسليم الصادق لله ، وجملة (وهو محسن) انما تعنى العمل وفق ذلك الايمان أى العمل بالشريعة التي يؤمن الشخص بها . . وكلا الجملتين تدلان على أن السبيل الوحيد الى النجاة في يوم القيامة انما هو : الايمان والعمل ،وليس اسم اليهودى أو النصراني . . فليست المسألة مسألة اسماء . . وانماهى مسألة ايمان صادق . . وعمل صالح . .

ويشير القرآن ايضاً الى دعوى أخرى لهم ، باطلة كأخواتها ،فارغة كمثيلاتها وهي قولهم : بان الهدى الحقيقي انما هو في الانتساب الى اليهودية اوالمسيحية!!

«وقالوا كونوا هوداً ، او نصارى ، تهتدوا»البقرة/١٣٥ .

ولكن القران يرد ايضاً هذا الزعم الواهي بقوله :

«قل : بل ملة ابراهيم حنيفاً وماكان من المشركين » البقرة /١٣٥ فالهدى الحقيقي .. هو في الاقتداء بملة ابراهيم ، واعتناق مذهبه في التوحيد الخالص من كل شائبة .

وفي آيات أخرى في القرآن نجد كيف ان اليهود والنصارى حاولوا اضفاء طابع اليهودية والمسيحية على ابراهيم ، ليحصلوا بذلك على دعم جديد لمعتقداتهم غير ان القرآن مضى يفند بكل قوة وقاطعية وعنف هذه الاكذوبة بقوله :

«ماكان ابراهيم يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين » آل عمران /٦٨/٦٧ .

نستخلص من كل هذه الايات كيف ان اليهود والمسيحيين ، والقدامى منهم خاصة كانوا يحاولون بهذين الزعمين ، التفوق على البشر . . والتمرد على تعاليم الله . . والتخلص بصورة خاصة من الانضواء تحت لواء الاسلام .

مرة بافتعال اكذوبة : الشعب المختار الذي لاينبغي ان يخضع لاي تكليف ومرة أخرى بافتعال خرافة الاسماء والانساب وادعاء النجاة بسببها والحصول على مغفرة الله ، وجنته ، وثوابه بينما نجد انه كلما مر القرآن على ذكر هذين الزعمين الخرافيين ، اعلن بكل صراحة وتاكيد : أنه لافرق بين انسان وانسان الا بتقوى الله . . فان اكرمكم عند الله اتقاكم . . واما النجاة والجنة فمن نصيب من يؤمن بالله ، ويعمل باوامره دونما نقصان . . لاغير . . وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء . .

* * *

بهذا البحث حول الايات الثلاث (المذكورة في مطلع البحث) نكتشف بطلان الرأي القائل بان الاسلام أقر ـ في هذه الايات ـ مبدأ التسامح الديني يعني (الوفاق الاسلامي المسيحي اليهودي) . . تمهيداً لانكار (عالمية الرسالة الاسلامية).

بينما نجد ان غاية مايتوخاه القرآن في هذه الايات ، انما هو فقط (نسف) وابطال (مزاعم) اليهود والنصارى الرامية الى اضفاء الشرعية على اليهودية والمسيحية بعد ظهور الاسلام ، ليعلن مكانه مبدأ : الافضلية بالتقوى والنجاة بالايمان والعمل الصالح . .

فلا استعلاء ، ولا تفوق لطائفة على غيرها من البشر مطلقا كما ان هذا التشبث الفارغ

بالاسماء والدعاوي ليس الا منّ نتائج العناد ، والاستكبار عن الحق . .

فليست الاسماء ، ولا الانساب هي التي تنجي في العالم الاخر ، وانما هو الايمان والعمل الصالح.

هذا هو كل ماكان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الايات . . وليس اي شيء آخر .

اذن فلا دلالة لهذه الايات الثلاث على اقرار الاسلام لشرعية الأديان بعد ظهوره وانما تدل على ان القرآن يحاول بها ابطال بعض المزاعم .

يبقى ان نعرف أن آيات أخرى في القرآن تؤيد بصراحة ماذهبنا اليه ، من انحصار النجاة في الايمان والعمل وذلك كسورة «والعصر» :

«والعصر ، ان الانسان لفي خسر، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» .

كما ان تكرار كلمة (الايمان) في الايات الثلاث تأكيد آخر لما قلناه حيث قال في مطلع الايات : (ان الذين آمنوا) ... ثم قال :(.. من آمن بالله) وهو يقصد بمن (آمنو) الاولى ، الذين اعتنقوا الاسلام في الظاهر ، دون ان يتسرب الايمان الى قلوبهم ، وينعكس على تصرفاتهم ، ويقصد بمن (آمن) الثانية ، الايمان الصادق المقرون بالعمل ...

وفي الختام نكرر : ان الايتين الاوليين لو كان يمكن ان تصبحا دليلاً لاصحاب الرأي القائل : بان هذه الايات تدل على (الوفاق الديني) بين الاسلام والاديان الاخرى الا اننا نؤكد ان الاية الثالثة لاعلاقة لها مطلقاً بما يزعمون .. ذلك لان مفاد هذه الاية بالذات ـ كما قلنا ـ ليس سوى (الاخبار) بان الله هو الحاكم الفاصل بين الطوائف يوم القيامة .فأين هذا من القول بأن القرآن أقر الاديان الاخرى وسمح لها بالبقاء والاستمرار والعمل . . جنب الى جنباً مع الاسلام ؟

لقطات... وتعليقات

السيد هاشم نصر الله

اجرت منظمة اليونسكو احصاء أظهر ان حوالى عشرة آلاف من اصحاب الاختصاص العرب ، وفي مقدمتهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء والطلاب، يهاجرون كل عام من ثمانية دول عربية .

و٧٠ ٪ من العلماء العرب الذين يسافرون الى البلدان الغربية للتخصص لا يعودون الى بلدانهم حيث يمكثون هناك . . . !

الذي نراه - ويراه الجميع - ان الدول العربية هي في اشد الحاجة الى هؤلاء العلماء والخبراء ، اذ يجب عليها ان تمهد الطريق لعودتهم لترفع عن كاهلها ما تدفعه سنوياً من مئات ملايين الدولارات ثمناً للاستشارات الفنية التي تحصل عليها من الخبرة الاجنبية .

ومما نود ذكره في هذه السطور، ان كثيراً من العلماء والخبراء اليهود ، يعودون الى اسرائيل ففي المدة الأخيرة جاء اليها من الخارج :

١٥٠٠ مهندس ، و٣٠٠ استاذ و٦٥٠ طبيباً ، و٤٧٠ ممرضة وقابلة و٤٠٠ عالم و٤٠٠ تقني و٣٥٠ صيدلياً وعاملا في حقل الطب . . ! والغريب ان أكثرهم يأتي من البلدان الاشتراكية «طبعاً للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ! ! »

هذا هو موقفنا . . . وذاك هو موقف عدونا ! فماذا نحن صانعون ؟

* * *

تحت عنوان : نصف دخل ألمانيا يمر في أيدي النساء، ذكرت صحيفة الرأى

العام الكويتية عدد ٢٤٠٠ مايلي :

بادهير سنيلا ـ ا . م . ا احتفل اتحاد ربات البيوت في بادهيرسنيلافي اقليم هيسن بالمانيا الاتحادية بمرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيسه . وكان من جملة الخطباء الذين القوا كلمة خلال الاحتفال، العالم في شؤون العمل، الدكتور هيرمات شولتس في جامعة ستوتجارت فقال مشيراً الى قيمة عمل ربات البيوت فى الدار بأنه اذا ما اريد دفع مرتب لهن عن عملهن اليومي فى الدار، لوجب دفع مبلغ يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٣٠٠ مارك .

وقد حضر الاحتفال الدكتورغونتر بوفرمان سكرتير الوزارة ببون ، فأثنى على جهود ربات البيوت الالمانيات ، وما تقدمه من خدمات ثمينة للاسرة الالمانية.
وقال ايضاً انه يسر فى العام مبلغ ٥٠٠ مليارد مارك فـي ايديهن لاجل انفاقها على مختلف نواحي الاستهلاك وهو مبلغ يعادل نصف ميزانية الحكومة الاتحادية!
وطالبت رئيسة اتحاد ربات البيوت الالماني السيدة «ايريكالوتر» بأن يتم تأمين ربات البيوت تأميناً جماعياً تاماً ، اسوة بباقي افراد الطبقات الكادحة .
هكذا . ودائماً سوف يتراجع العالم كل يوم عن خطواته العشوائية اودون ان نسهب في التعليق ، هل تعلم اخي القارىء أن الاسلام عزز مكانة المرأة ، وجعل لها كياناً تعجز عن جعله أية مدنية وحضارة ؟

وهل تعلم ان الاسلام عندما حث الرجل على الانطلاق في ميدان العمل خارج البيت لم يكن يريد الحط من كرامتها ولا النيل منها ، لان لها مضماراً آخر يمكن ان تبدع فيه كل الابداع ، وهو مضمار الاسرة التي هي بذرة مجتمعاتنا...؟

واخير ـ لا آخراً ـ هل تعلم ان ربات البيوت في مجتمعاتنا الاسلامية لسن بحاجة الى السيدة «ايريكالوتر» حتى تطالب بتأمين حياتهن تأميناً جماعياً اسوة بباقي افراد الطبقات الكادحة ؟ وذلك لان الاسلام قد امن حياتهن قبل اربعة عشر قرناً .

* * *

كانت الجهات العسكرية في الدول الكبرى ـ ولا تزال ـ تعارض كل حل

سلمي لاسباب مختلفة ، اهمها ماثبت ان لمعظم المسؤولين فيها ، علاقات ماديةمع الصناعات الثقيلة التي تعيش وتزدهر على حساب انتاج الاسلحة والذخائر لاستعمالها في مناطق الصراع الساخنة .

كنا نتساءل من قبل، لماذا «شيرلي تمبل» سفيرة امريكا في غانا تؤيد استمرار الحرب في فيتنام وماذا تجدى الحرب لهذه المرأة التي عرفتها الشاشة السينمائية في الثلاثينيات؟.. ولكن الحقيقة تجلت مشرقة لنا ، عندما تبين ان زوجها يملك مصانع كبيرة لانتاج الاسلحة ! ! هذا هو الشعور الحضاري ، هي الاخلاق الحضارية !

المعارضة لكل حل سلمي من اجل الثروة ، المعبودة الوحيدة والتي لاشريك لها في المدنية الغربية .

فويل لهؤلاء انهم يسارعون في خلق اسباب التدمير لهذا العالم ، وينزلون به من ذروة عليائه الى الحضيض الذي لابد منه، مادام الضمير العالمي في سبات والعقل الجماعي في اجازة .

* * *

في رسالة من اوربا الى احدى المجلات الفنية جاء مايلي :

«من المعلوم ان مسألة الاجهاض تمثل بالنسبة للفرنسيين ،ماكان يمثله موضوع الطلاق في ايطاليا ،ومايمثله مشروع تعديل الاحوال الشخصية في جمهورية مصر العربية.

وما حدث قبل في ايطاليا حول مسألة الطلاق يحدث في فرنسا ، والجهات السياسية سوف تضطر لاتخاذ موقف غير سياسي ،وهذا بسبب عنف مشاعر المؤيدين والمعارضين لاباحة الاجهاض .

وجميع الجهات السياسية تتمنى لو تستطيع الهروب من المشكلة ،لان الاحزاب السياسية والحكومة لاتريدان تفقد جماهيرها ومؤيديها بسبب مسألة خاصة كالاجهاض .

الاجهاض عمل لانقره الشريعة الاسلامية السمحاء الافي حالات استثنائية ونادرة، وليس هو مسألة خاصة تتهرب منه سلطتنا التشريعية كباقي السلطات الاخرى ، بل هو مسألة خطيرة . لابد للاطباء وعلماء الاجتماع ـ اليوم ـ من حلها بكل حيوية ونشاط

وسبب الاجهاض ـ في نظرنا ـ الذي اصبح مألوفاً في اوربا بشكل عام ،وفي فر
بشكل خاص ، هو تدفق ألكتب والمجلات المختصة بالجنس الى الأسواق في
يوم وقد صدر في فرنسا في اسبوع واحد خمسة كتب جنسية .

كتاب بعنوان «الحياة الجنسية في اليوم الحاضر» وآخر بعنوان «طريقة ا
السلوك الجنسي» وآخر بعنوان «التربية الجنسية في مختلف بلدان العالم» و
بعنوان«انعكاسات وسائط منع الحمل على الحياة الجنسية» وآخر عن«متعة ال
في العلاقة الجنسية»

ونحن اذا قلنا ما قاله الدكتورمصطفى السباعي في كتابه«هكذاعلمتني الحيا
القسم الاجتماعي ـ لانكون مبالغين ابداً .

«الذين يفتعلون الأزمات الجنسية باثارتها في ادبهم،ثم يزعمون انهم مضط
للكتابة في ادب الجنس،ارضاء لرغبات الشباب والفتيات،وحلا لمشكلاتهم هم
خطراً على الانسانية ممن يفتعلون الأزمات الحربية .

هذا هو الواقع ! وخير شاهد هو الجنين الفرنسي المسكين . وآ
عمليات الاجهاض التي تجري في حمامات اوربا ، والعيادات الطبية هناك .

فالعلاج الصحيح الذي يتلائم مع واقع الفطرة الانسانية والنظام الخلقي الانس
لايكمن في خنق الاجنة البريئة ستر ألعار لم ترتكبه هي وانما ارتكبه غيرها ،وانما
في التربية الاجتماعية النظيفة واتباع الأسلوب الامثل لتوجيه الغريزة الجنسية الجا
وجهتها الصحيحة وصيانة الانسان من وحشية اخيه الانسان .

مختارات من الصحف والمجلات

الاسلام يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن

الشيخ محمد الغزالى

كل مفقود عسى أن نسترجعه الا الوقت ، فهو ان ضاع لم يتعلق بعودته أمل، ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه انسان ، وكان على العاقل أن يستقبل أيامه استقبال الضنين للثروة الرائعة ، لا يفرط في قليلها بله كثيرها، ويجتهد أن يضع كل شيء مهما ضؤل ، موضعه اللائق به .

عندما يحس أحدنا أنه موجود ، ويلقى نظرة وراءه يتبين بها اللحظة التي بدأ منها المسير فى هذه الحياة ، ليحصى ما مر به من أيام وأعوام . لن يطول به فكر، لانه لا يرى الا بداية غامضة، ثم تنجمع السنون الطوال والليالي العراض ، فاذا هى وكأنها يوم واحد مائع الطول والعرض متلاحق الأحداث .

ان هذا ما يستشعره الانسان الان وما قد يستشعره يوم القيامة عندما يوقف للحساب : «ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم...»(١)

والاسلام دين يعرف قيمة الوقت، ويقدر خطورة الزمن ويؤكد الحكمة الغالية: «الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك» . ويجعل من دلائل الايمان وأمارات التقى

---

(١) سورة يونس ، آية : ٤٥ .

أن يعي المسلم هذه الحقيقة ويسير على هداها:

* * *

شبابنا وحضارة الغرب

للاستاذ محمد ابراهيم نجات ـ الرباط ـ

الى الشباب الذي يعد أوروبا روح الحياة ، يسعد أي انسان في القرن العشرين تبنى أفكارها وطبق مبادئها ! !

الى الشباب الذي يعتقد بأن أوروبا هي الضرورة والصلاحية والنعمة بل يراها قبلة الحياة يلزم التوجه اليها والتعلق بها في كل شيء ! !

الى الشباب الذي يعتقد بأن امريكا هي (الجنة الموعودة) بسبب ما حققت لانسانها من سعادة دنيوية بفضل تقدمها المادي ولا أقول الحضاري : وكيف تكون له حضارة ويعيش في حضارة ، وهذه الحضارة ان قلنا بوجودها كما يدعي أصحابها فهي مزيفة لان الايمان فيها ليس الا بالماديات والقيم المادية، أما الايمان بالروحيات الصحيحة والقيم الصحيحة على صعيدها وفي جوها وعند انسانها فهيهات هيهات

ان السعادة الحقة لايمكن أن تكون الا مادية وروحية فمنها تتكون وتتحقق وتنسجم وتوافق الانسان والا فلا قيمة للحياة، ولا وجود للسعادة، ولاصلاحية للحضارة

ان الحضارة ان كانت مادية مائة في المائة فهي صورية ،وبموجب هذه النظرة فكل تقدم مادي نطلق عليه تجاوزاً او مؤقتاً بأنه حضاري يكون غير جدير باصطلاح حضاري صحيح أو أصيل ، لكون المفهوم الحضاري في الاسلام لا يصح ولا يستقيم الا بوسطية : أى اعتدال في المادية واعتدال في الروحية، ولايقر البتة بمادية على حساب الروحية ولا بروحية على حساب المادية قال الله : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض . . ان الله لا يحب المفسدين . .) . وقال رسول الله : (خير

الامور أوساطها) .

وحضارة الغرب على هذا الأساس حضارة مادية خالصة لا تعرف فى صعيدها الا الشذوذ والفوضى والانتحار والاجرام من كل الفنون . ولهذه العوامل الشاهدة على فساد هذه الحضارة فلا وجود حقيقة لسعادة انسان اوروبا وأمريكا وروسيا،ولا أصل حقيقة يرتكز عليه أصحاب الا دعاء الكاذب والزعم الباطل الذي يوهم بأن جنة أرضية تحققت في دنيانا ، جنة في عصرنا الحاضر هي جنة العالم الجديد في أقصى اليمين أو جنة الكرملين في اقصى اليسار .

مجلة «جوهر الاسلام» * * *

المسؤولية فى الاسلام

مسؤولية الجماعة

بقلم : الشيخ محمد زكي الدين قاسم

بين الفرد والجماعة :

ان الفرد والجماعة او كليهما هدف كل الفلسفات والمعارف الانسانية قديمها وحديثها سواء منها ما كان نظرياًاو عملياً . .الا انالتناقض في الفلسفات والمذاهب النظرية ربما اخذ شكلا اكثر وضوحاً واظهر قرناً . . لتصريحها بمناهجها التي تسلكها والاسس التي تقوم عليها مدارسها ولانها هي التي يقع في مناهجها احياناً الخلط او الخطأ . . ولقد تحيزت بعض هذه المدارس لاحد الطرفين – حيث لم توفق في تحقيق التوافق والانسجام بينمصلحة الفرد والجماعة. . فجنحتالىتحقيق مصلحة الفرد واشباع ميوله وابراز كيانه حتىلوترتب على ذلك طغيان علىمصلحة الجماعة وحقوقها . بل ولو أدى ذلك الى اهدار الكيان الجماعي وسلطته في المحافظة على حقوقه . . ولو أدى الى اشاعة الفوضى والاضطراب بين صفوف

الجماعة كلها ، والنظرة العاجلة الى المذاهب الفردية سواء اكانت اقتصادية «كالراسمالية» او اجتماعية «كالوجودية» او فوضى اجتماعية كالفلسفة التشاؤمية والتي تمثلها جماعات «الهيبز» مثلا ، تؤكد لنا ان قيام الروح الفردية - دون التنسيق بين حاجات الفرد والمجتمع ودون ضابط من نظام السيطرة الجماعية ورعايتها ودون الانسجام بين حاجات الجسد واشواق الروح ودون هيمنة من سلطان العقل والضمير - لايمكن ان يؤدي الى مصلحة النوع الانساني ولا الفرد الانساني لما يترتب على ذلك من طغيان الروح الفردية وتحكم الغريزة ولما تمكن به هذه الاتجاهات للفرد من السيطرة المادية ، وما تطلق لهمن عنان الجنس والشهوة وماتنشره من القلق والاضطراب بحجة تحقيق ذات الفـــرد ووجوده ولعلنا ندرك من هنا ان اندفاع كثير من بلاد العالم الى التردى في دوامة الفكر الشيوعي انما كان سببه طغيان الفكر الرأسمالي ، واسلوبه في جمع الثروات وتضخيمها وطغيان ذلك على حقوق الجماعة ، والسواد الاعظم فيها ولقد ادى ذلك الى الاساءة الى كل القيم الانسانية والحضارية الاخلاقية ولان الامر لم يقف عند حد الامراء وكبار اصحاب رؤس الاموال من التجار واصحاب المصانع والمزارع وانما تعداهم الى ماهو اعظم حيث انضم الى هذا التيار الجارف الكنيسة ورجال الدين وأسهموا اسهاماً واضحاً في تملك الاقطاعيات ورؤوس الاموال وما تبع ذلك من العسف والجور والكبت العقلي ومحاربة كل فكر مستنير او رأى حر بل تعدى الأمر ذلك الى استخدام الدين كوسيلة لبث روح التخاذل والضعف والرضا بالجور والهوان ... ثم كانت محاكم التفتيش وما صاحبها من صراع دام : فكري واجتماعي الأمر الذي ترتب عليه نشوء فكر مضاد يكره كل ماهو فردي ويحقد عليه ويقاوم كل ماكان منه اوكان واقفاً بجانبه وان ترتب عليه تدمير كيان الفرد وأخلاقياته وقيمه ومثله .. فقام الفكر (الماركسى) أو (الشيوعي) بصفة عامة .. حيث انكر هذا الفكر على الانسان كل مافيه من تركيب طبيعي وغريزي وحرمه من أشباع أهم ماعنده مـن حاجات واشواق روحية واخلاقية : فالدين - في نظرها - مخدر للشعوب وعقيدة

الالوهية خرافية واخلاقيات الاسرة ومثلها التي تقوم على الفضيلة والدين والتماسك رجعية وجمود.. والملكية الخاصة ـ حتى وان كانت ناشئة عن العرق والجهد ـ عدوان على الجماعة وسبيل الى السيطرة عليها .. وهكذا . . دفع تيار الفكر الفردي المطلق الى قيام فكر جماعي مضاد زعم اولا انه يهدف الى مصلحة الجماعة لكنه لما لم يستطع ايجاد التوافق والانسجام والمواءمة بين مطالب الغريزة الاساسية عند الفرد ومصلحة الجماعة مع ضبطها بأشواق الروح . . سقط المذهب برمته في الخطأ . . ذلك لان الانسان مخلوق وفي طبعة حب التملك ومحتاج الى اشباع هذه الرغبة وهو امر اذا أحسن توجيهه كان دافعاً الى الابتكار والابداع . . وهو ايضاً مخلوق وفيه شوق طبيعي الى اشباع مطالب الروح والارتباط بفكرة التدين وحرمانه من ذلك حرمان من سيطرة الضمير وسمو الذات وضوابط الخلق والفضيلة ومن هنا فقد المجتمع أكبر حافز على زيادة الانتاج بدافع الرغبة الذاتية ، لان الذي يدرك انه مطلوب منه بذل كل طاقته لينتج لغيره ، ثم يأخذ هو من ذلك الانتاج بقدر حاجته فقط . . سوف لايجد الدافع الى بذل الفائض من الطاقة او الزائد من الجهد .. ومن هنا كانت مثاليات المبدأ ـ كما يصورها دعاتها ـ خيالا لايقبل التطبيق في الواقع اذ لايمكن ان يتحول الانسان المكون من الجسد والعقل والعاطفة والروح الى انسان «ميكانيكي» يدار لينتج دون ان تكون له ارادة موجهة او حوافز دافعة ومن هنا لم تستطع «الشيوعية» تطبيق كامل مبادئها حتى في اشد البلاد تطرفاً في الدعوة اليها . .

فوافقت في بعض مراحلها على تملك وسائل الانتاج والاستهلاك الضروري في اطار نظام خاص كما تم تقرير مبدأ هام : وهو ان الشيوعية مازالت في مرحلة الانتقال وانه لم يتحقق بعد تطبيق الماركسية تماماً «والتي جعلوا من مراحلها الانتقالية قيام دكتاتوريات العمال لتقضي على النظام الرأسمالي القائم ثم تزول هذه الدكتاتوريات لتقوم الدولة الاشتراكية او المجتمع الشيوعي الذي يكون شعاره «من كل بحسب امكانياته ولكل بحسب حاجته» والنتيجة : أن كلا النظرتين طمحت الى غاية فأخطأت السبيل اليها فابتلعها التيه والضياع . . وأعوزتها المقدمات السلمية فعجزت عن

التطبيق السليم .

ونحن نؤمن ايماناً لا يخامره شك . . ايماناً ناشئاً عن الدراسة والبحث والمقارنة . . ايماناً لا يحكمه التعصب ويميله الهوى : أن الاسلام وحده هو الذي حقق هذا التوافق والانسجام المادي والروحي للانسان لانه صنع الله الذي خلق الانسان ويعلم ماتوسوس به نفسه «الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» ؟(١)

الهدى الاسلامي العدد ٤ السنة ١٤

من هو المسيح في نظرك ؟

ذكرت مجلة المسرة ان مجلة فرنسية وجهت هذا السؤال الى بعض الرجال والنساء المعاصرين . . «من هو المسح في نظرك ؟» وبدأت تنشر اجوبتهم ونحن نقتطف منها مايلي :

اجاب مارسل اشار Marcel Achar من الاكاديمية الفرنسية :

«من هو يسوع المسيح في نظرك ؟ هاك جوابي المتواضع» : «لقد كان اله اليهود «يهوه» اله الانتقام ، ولن نوفي يسوع حقه من الشكر ، حياتنا كلها ، لانه استبدل الانتقام بالنعمة والحب والغفران»

وقال لوي بارو وهو ممثل فرنسي شهير : «صادفت ذات يوم ، في شعب متعرج الى جبل ثابور ، حماراً صغيراً يتوثب بحوافره الدقيقة بين الحصى ، ولمجرد التفكير ان المسيح يهيمن فوقنا وحولنا ، انهلت من عيني الدموع .

فحضوره اذن ، من الخارج ، أي من منظور رحابته اللامحدودة، امر لانستطيع احتماله . وعندما افلت من قيود الجسم ، سأرتاح الى رؤيته» .

ويقول ميشيل بوتيه : «وليس ذلك فكرة بل بشرى : فالله استسلم لنا ، كلياً، في بشرية يسوع الناصري . فيسوع قد جاع ، وتكلم ، وسال في عروقه دم انسان وجرب ، ومات بعذاب الصليب الشائن ، ولقد جرى ذلك في أوان محدد .

---

(١) سورة الملك

ودخل في تاريخنا ، الى الابد ، ولن يكون العالم من بعد كما كان» !

وقال الدكتور ألان بومبار وهو عالم بيولوجى :

«جوابى بسيط : حتى الخامسة عشرة من سني لم يكن للمسيح وجود بالنسبة الي ، وفي الخامسة عشرة ، شعرت بأنه ملجأي للبحث عن الرب ، وحسبت اني وجدته ، في العشرين لم يعد شيئاً ، ثم فى الثامنة والعشرين ابحرت وحدي ، فلم يتركنى المسيح قط» .

الهادى :

ولو طرح علينا هذا السؤال فانا سنجيب :

قال تعالى في كتابه الكريم : «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من انصار .

لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون» (١)

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٧٢ ـ ٧٥ .

كيفية الصلاة على النبي

كتب الاستاذ الشيخ عبد المحسن العباد نائب رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة مقالا في مجلة «الجامعة الاسلامية» العدد الاول السنة السابعة بعنوان «الصلاة على النبي فضلها وكيفيتها» وقد جاء فيه مايلي . . .

اما كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين سألوه عن ذلك وقد وردت هذه الكيفية من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اذكر منها هنا ما كان في الصحيحين او في احدهما.

روى البخاري في كتاب الانبياء من صحيحه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال :

الا اهدى لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها الي فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف الصلاة عليكم اهل البيت فان الله علمنا كيف نسلم قال قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. واخرج ايضاً حديث كعب ابن عجرة في كتاب التفسير من صحيحه في تفسير سورة الاحزاب ولفظه : قيل يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه ايضاً في كتاب الدعوات من صحيحه وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه من طرق متعددة عنه .

واخرج البخارى في كتاب الدعوات من صحيحه عن ابي سعيد الخدري قال :قلنا يارسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت

على ابراهيم وآل ابراهيم واخرجه عنه ايضاً في تفسير سورة الاحزاب .

واخرج البخاري في كتاب الأنبياء من صحيحه عن ابي حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد واخرج عنه ايضاً في كتاب الدعوات بمثل هذا اللفظ ، واخرج هذا الحديث عن ابي حميد رضي الله عنه مسلم في صحيحه .

وأخرج مسلم في صحيحه عن ابى مسعود الانصارى رضي الله عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله تعالى ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم .

هذه هي المواضع التي خرج فيها هذا الحديث في الصحيحين او احدهما وهي عن اربعة من الصحابة : كعب ابن عجرة وابي سعيد الخدرى وابي حميد الساعدي وابي مسعود الانصارى وقد اتفق البخارى ومسلم على اخراجه من حديث كعب وابى حميد وانفرد البخارى باخراجه من حديث ابى سعيد وانفرد مسلم باخراجه من حديث ابى مسعود الانصارى وقد اخرجه عن هؤلاء الاربعة غير الشيخين فرواه عن كعب بن عجرة ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والامام احمد والدارمي ورواه عن ابي سعيد الخدرى النسائى وابن ماجه ورواه عن ابي حميد ابو داود والنسائي وابن ماجه ورواه عن ابى مسعود الانصارى ابو داود والنسائي والدارمي .

وروي حديث كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة

غير هؤلاء الاربعة وهذه الكيفية التي علم صلى الله عليه وسلم اصحابه اياها عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي افضل كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واكملها الصيغة التي فيها الجمع بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله والصلاة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وآله وممن استدل بتفضيل الكيفية التي اجاب النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه به الحافظ ابن حجر في فتح الباري فقد قال فيه (١٦٦/١١) قلت واستدل بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلاة عليه لانه لايختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لوحلف ان يصلي عليه افضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك ثم ذكر ان النووي صوب ذلك في الروضة .

الهادي: مع ان هذا التحقيق مما يشكر الانسان عليه حقاً فانا نود ان نلفت نظر الاستاذ الكاتب الى انه لم يلتزم ـ كما هودأب الكثيرين ـ بالصيغة الافضل للصلاة على النبي (ص) حتى في هذا المقال نفسه اذ نجد انه يكرر عند ذكر النبي عبارة «صلى الله عليه وسلم» .

التعريف بالتراث

كتاب وسائل الشيعة

و

الانجازات العلمية حوله

السيد احمد الحسيني

(١)

الفقيه المحدث والمحقق الحافظ الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد ابن الحسين الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤) من الموسوعيين الذين طبقت شهرتهم الاندية العلمية وعرفهم العالم الاسلامي وغير الاسلامي بمالهم من الاثار القيمة الخالدة (١).

سار ذكره في حياته، وعرفه معاصروه عالماً جليلا جد في احياء مآثر اهل البيت عليهم السلام، ونظروا الى آثاره العلمية بنظر اجلال واحترام.

كان من أجلاء المدرسين في مشهد الرضا عليه السلام، فكان يشغل أوقاته كلها بمجالس التدريس وفي زوايا المكتبات، وقد ربى ثلة ممتازة من التلامذة والعلماء اعتبر بعضهم من ذوي الأثار العلمية التي لها أهميتها في عالم التصنيف والتأليف.

---

(١) انظر ترجمته في: امل الامل ١ / ١٤١ - ١٥٤، خلاصة الاثر ٣ / ٣٣٢ - ٣٣٥، لؤلؤة البحرين ٦١ - ٦٤، روضات الجنات ٧ / ٩٦ - ١٠٥، ايضاح المكنون في صحائف كثيرة، معجم المؤلفين ٩ / ٢٠٤، الاعلام للزركلي ٦ / ٣٢١، جامع الرواة ٢ / ٩٠، الغدير ١١ / ٣٣٢ - ٣٤٠، الذريعة في مختلف الاجزاء والصحائف، الترجمة المفصلة التي كتبناها في اول الجزء الاول من كتاب أمل الامل.

وقد ذكره المترجمون له بعبارات تنم عن نظرتهم المقدرة لمنزلته العلمية وكبير تقديرهم لشخصه ، فمما قيل فيه ـ ونذكره هنا على سبيل المثال ـ قول السيد علي صدر الدين المدني في كتابه سلافة العصر : «علم علم لاتباريه الاعلام ، وهضبة فضل لايفصح عن وصفها الكلام ، أرجت أنفاس فوائده أرجاء الاقطار ، وأحيت كل أرض نزلت بها فكأنها لبقاع الارض أمطار ، تصانيفه في جبهات الايام غرر ، وكلماته في عقود السطور درر . . .» الخ .

حاز المرتبة الاولى من العلم والفضل في الثقافة الاسلامية التي كانت منتشرة في ايامه ، وكان له حظ وافر في مؤلفاته القيمة الكثيرة التي أصبحت منتشرة في كل صقع ، كما كان مجيداً في ترتيب مايكتب وتنسيقه بشكل يدل على ذوق واحاطة.

ذكرت له معاجم التراجم اكثر من ستين مؤلفاً بعضها موسوعات وبعضها كتب ورسائل ومنظومات ، ومن بينها كتاب «وسائل الشيعة» و «اثبات الهداة» و «الفصول المهمة» و «أمل الآمل» و «الصحيفة الثانية السجادية» و «الفوائد الطوسية» و «العربية العلوية» و «بداية الهداية» و «الجواهر السنية في الاحاديث القدسية» و «أحوال الصحابة» و «الرد على الصوفية» و «ديوان شعر» و «كتاب الاخلاق» و « ذم الكثرة ومدح القلة» . . .

والى جانب مكانته العلمية كانت له مكانة اجتماعية عظيمة أيضاً ، فهو يجلس على ناحية من مسند الشاه سليمان الصفوى حين يذهب الى اصبهان ، ويجيب الشاه جواباً جريئاً للغاية ، كما انه من المتعينين حينما يذهب الى مكة المكرمة حاجاً ، وقد أعطي في مشهد الرضا عليه السلام منصب القضاء وشيخوخة الاسلام .

* * *

من بين الكتب والمؤلفات التي جمعت الاحاديث والروايات المروية من طريق أهل البيت عليهم السلام ، اشتهرت أربع مجاميع قديمة وأربع مجاميع متأخرة يسميها البعض بالمجاميع الثمان ، واليك وصفها مختصراً :

١ ـ «الكافي» تأليف ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ،

وهو من أهم كتب الحديث ضبطاً واتقاناً وتنسيقاً ، وأحاديثه مستخرجة من الاصول المعتبرة التي شاع بين السلف الصالح الوثوق بها والاعتماد عليها ، وهو مقسم على أربعة وثلاثين كتاباً في ثلاثمائة وستة وعشرين باباً فيها ما يقرب من ستة عشر ألف حديث .

٢ ـ «من لا يحضره الفقيه» تأليف الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، جمعه المؤلف بطلب من الشريف ابى عبد الله نعمة ، وهو مستخرج من الكتب المشهورة المعول عليها عند العلماء ، ومجموع أحاديثه ٥٩٦٣ حديثاً .

٣ ـ «تهذيب الاحكام» تأليف شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وهو شرح على كتاب «المقنعة في الفقه» للشيخ المفيد محمد بن محمد ابن النعمان البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، وقد جمعت أحاديثه كالكتابين السابقين من الاصول المعتمدة التي توفرت لديه للقدماء ، وقد قسم الكتاب على ثلاثمائة وثلاثة وتسعين باباً فيها ١٣٥٩٠ حديث .

٤ ـ «الاستبصار فيما اختلف من الاخبار» تأليف شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي أيضاً ، وهو محاولة للجمع بين الاحاديث التي يرى التنافي بينها ، وأبوابه تسعمائة وخمسة عشر باباً في ٥٥١١ حديث .

٥ ـ «الوافي» تأليف العلامة المحدث محمد بن المرتضى المشتهر بالمحسن الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ، وهو جمع بين الكتب الاربعة السابقة مع ترتيب لطيف ، ويمتاز بذكر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع كل باب ، كما يذكر كثيراً من المباحث المحتاج اليها بعد الاحاديث بعنوان «بيان» .

٦ ـ «وسائل الشيعة» تأليف الفقيه المحدث محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ ، وسنتحدث عنه بصورة مفصلة .

٧ ـ «بحار الانوار» تأليف العلامة المحدث المولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ ، وهو أكبر من كل هذه المجاميع واشملها للاحاديث والروايات

وقد قسمه المؤلف على خمسةوعشرين مجلداً يجمع بين الايات الكريمة والاحاديث الشريفة في كل باب ، بالاضافة الى التعاليق العلمية المهمة على الروايات بعنوان «بيان» ، وقد صرح المؤلف في مقدمة الكتاب أنه يحاول جمع الاحاديث وحفظها من الاندراس من دون ملاحظة الصحة والضعف فيها .

٨ ـ «مستدرك وسائل الشيعة» تأليف العلامة المتتبع الميرزا حسين بن محمد تقي النوري المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ ، وسنتحدث عنه في القسم الثاني من هذا البحث.

وما عدا هذه المجاميع الثمان المشهورة ألف جماعة من علمائنا المتأخرين موسوعات حديثية كبيرة ليس هذا موضع ذكرها بتفاصيلها ، ولكن لا بأس أن نشير الى البعض المهم منها :

١ ـ «عوالم العلوم والمعارف» تأليف المحدث الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني تلميذ العلامة المجلسي ، وهو في مائة كتاب مقسم على مائة وتسعة وعشرين جزءاً صغيراً ، ويجمع في كل باب بين الايات والروايات (١) .

٢ ـ «الاوفى» تأليف المولى فضل على بن شاهوردي بك توشمال باشي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ، وهو في مقدمة واربعة عشر كتاباً في أربعة وعشرين مجلداً ، وفي كل باب يجمع بين الايات والاحاديث (٢) .

٣ ـ «جامع المعارف والاحكام» تأليف الفقيه المحدث السيد عبدالله بن محمد رضا شبر المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ ، وهو في أربعة عشر مجلداً يجمع في كل باب بين الايات والاحاديث (٣) .

٤ ـ «مستدرك الوافي» تأليف المولى محمد هادي بن شاه مرتضى الكاشاني حفيد اخي الفيض الكاشاني ، وهو جامع بين الوافي والبحار على ترتيب الاول منهما ، وهو في أربعة عشر كتاباً في عدة مجلدات (٤) .

---

(١) وصفته مفصلا فى مجلة الهادى العدد الثالث السنة الثانية.

(٢) انظر فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشى العامة بقم ٢٥٨/١ .

(٣) الذريعة ٧٢/٥ .

(٤) الذريعة ٦/٢١ .

٥ ـ «حدائق الجنان» تأليف المولى علي بن زين العابدين اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ ، وهو مشتمل على ثمان حدائق في ثمانية عشر مجلداً (١) .

٦ ـ «مستدرك بحار الانوار» تأليف العلامة الميرزا محمد بن رجب علي الطهراني العسكري المتوفى سنة ١٣٧١هـ، وهو استدراك على أبواب البحار بترتيبه (٢)

٧ ـ «الشفا في اخبار آل المصطفى» تأليف المولى محمد رضا بن عبدالمطلب التبريزي ، موسوعة جمعت بين البحار والوافي والوسائل ، وانجز بعض مجلداته في سنة ١١٧٨ هـ (٣) .

* * *

«تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة» ويقال له اختصاراً «وسائل الشيعة» ، هو الموسوعة الحديثية الجليلة التي اصبحت المرجع المهم الذي يرجع اليه الفقهاء والمشتغلون بالاحكام الشرعية ، لجمعه جل الأحاديث التي يحتاجها الفقيه في استخراج المسائل الفقهية في الأستدلالات الاجتهادية الموسعة .

نقل المؤلف أحاديث الفقه من الكتب التي كانت في الدرجة العالية من الوثوق والاعتماد ، ويرجع في السنن والاداب الى الكتب التي كانت أقل وثوقاً واعتماداً لتسامح في أدلة السنن ، وبلغت مصادره الحديثية اكثر من مائة وثمانين كتاباً في مقدمتها «الكافي» و «من لا يحضره الفقيه» و «التهذيب» و «الاستبصار» (٤) . ولم يرجع في الاحكام والسنن الى المؤلفات التي لم تثبت وثاقة مؤلفيها والاعتماد على طرقهم في الرواية والحديث .

وتنقسم مصادره بصورة عامة الى قسمين : قسم نقل عنها من دون واسطة كتاب وقسم نقل عنها بواسطة المؤلفات الموجودة عنده . والقسم الثاني اكثره الأصول والكتب المدونة في عصر الأئمة عليهم السلام أو مايقاربه وهي مفقودة أو بحكم المفقود .

أما الاحاديث فترتب في كل باب حسب مراتب الوثاقة والصحة ، فما هو

---

(١) الذريعة ٦ / ٢٨٢ . (٢) الذريعة ٢١ / ٤ . (٣) الذريعة ٢١ / ١٩٩ .

(٤) ذكر المؤلف مصادره وبحث عنها وعن مؤلفيها مفصلاً في الفائدة الثالثة من فوائد الخاتمة.

الاصح والاوثق مقدم وماهو اقل وثاقة وصحة مؤخر ،ومن هنا يعرف اهمية كل حدي
موضوع في مكانه الخاص من الباب .

واختار المؤلف للابواب عناوين قصيرة أو طويلة هي في الحقيقة العما
الفقهية التي يمكن أن يستدل لها بتلك الاحاديث المضبوطة في الباب . وربما يستب
بالنظرة الاولى استخراج ما في العنوان من الاحاديث المذكورة فيه ، ولكن بالنظ
العميقة يعلم قوة استنباط المؤلف وتبحره في فهم المعاني الدقيقة الواردة
الروايات .

ويجب أن لايفوتنا هنا : أن المؤلف يسلك في الفقه المسلك الاخباري ـ
اعتدال وعدم تطرف ـ وكذا تختلف نظرته الفقهية بعض الاختلاف عن نظرة الاصول
الذين يستعملون الأدلة العقلية في استنباطاتهم وينظرون الى الاحاديث بنظرة تحلي
أعمق وأشمل وأدق .

وقد أخذ على المؤلف جماعة من المحققين طائفة من المآخذ في ترتيب الكتا
وتنسيقه وتبويبه ، ومن أهم تلك المآخذ تقطيعه لبعض الاحاديث وتوزيعها على الابوا
المختلفة ، وهو بهذا العمل ربما فوت على القارىء قرائن كانت توجد في صـ
الحديث أو في ذيله ،ونتيجة لخفاء القرينة ينحرف مسير الاستنباط الفقهي عن طر
الصحيح وتكون الاحكام الصادرة غير مستقيمة .

ولايفوت المؤلف أن يذكر لبعض الروايات عدة أسانيد اذا كانت طرق الاصو
اليها متعددة ، كما يحاول الجمع بين مايظن ان يكون بينها تخالف أو تضارب
ويشير الى مايخصص الحديث اذا كان عاماً يوجد له مخصص في أحاديث أخرى

وفي آخر اكثر الابواب نجد هذه العبارة« وتقدم مايدل على ذلك ويأتي مايا
عليه» أو مايشبه هذا الكلام ، وهو بهذا القول يريد أن يلفت نظر الفقيه الى أحادي
أخرى يمكن أن يستفاد منها في موضوع نفس الباب ،ولكن كلامه مبهم يجعـ
القارىء في حيرة من امره لايعلم الى اي الابواب يرجع مما سبق أو يأتي،ولهذا ا
بعض العلماء في ايجاد حل لهذه المشكلة ـ كما سنتحدث عنه في القسم الثاني

هذا البحث ـ الا انهم لم يوفقوا في عملهم كل التوفيق .

والكتاب مقسم ـ حسب ترتيب المؤلف ـ على ستة أجزاء : الاول الطهارة الثاني الصلاة، الثالث الزكاة، الرابع الجهاد، الخامس النكاح ، السادس المواريث(١) .

ويبدو أن الكتاب قطع ثلاث مراحل : الاولى مرحلة الجمع والتأليف والاضافة والحذف وتم كتاب النكاح في هذه المرحلة في سنة ١٠٧٢ ، المرحلة الثانية التهذيب والاخراج من المسودة الى المبيضة وكانت في سنة ١٠٨٢ ، المرحلة الثالثة زيادة التصحيح والدقة والأمعان والمقابلة وكان تمامها في سنة ١٠٨٨ (٢) . ومعنى هذا أن تأليفه تم فيما يقرب من عشرين سنة كما يقال في كتاب «الكافي» لثقة الاسلام الكليني .

يتقدم الكتاب واحد وثلاثون باباً دعاها المؤلف بـ «أبواب مقدمة العبادات»، فيذكر فيها طائفة كبيرة من الاحاديث الواردة في العبادات بصورة عامة من اهميتها ووجوبها ، والنية فيها ، وكيفية العمل بها ، وشرط الولاية فيها، وبعض مايبطلها، ومعنى الكفر والايمان بها وغير ذلك من سائر مايخصها .

وفي خاتمة الكتاب اثنتا عشرة فائدة هذه عناوينها : ذكر طرق الصدوق في من لايحضره الفقيه ، ذكر طرق الطوسي في التهذيب والاستبصار ، أسانيد الكليني في الكافي ، مصادر الكتاب ، بعض طرق المؤلف الى المصادر ، شهادة جمع من العلماء بصحة المصادر ، ذكر أصحاب الاجماع وامثالهم ، القرائن التي تقرن بالخبر وتدل على ثبوته وصحة مضمونه وترجيحه على معارضه ، الاستدلال على صحة احاديث الكتب المنقول منها ، الجواب على مايرد على الأخباريين من الاعتراض الاحاديث المضمرة ووجه الاضمار فيها . القرائن المستفادة من أحوال الرجال تفصيلا

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب مستعرضاً منهجه الذي يعمل عليه : «فشرعت

---

(١) انظر الذريعة ٤/٣٥٤ .

(٢) طبع الكتاب في طبعاته السابقة في ثلاث مجلدات وفي طبعته الحديثة في عشرين جزءاً . والتقسيمان ليسا من صنع المؤلف .

في جمعه .. وأعملت فكري في تصحيحه وترتيبه وتسهيل الأخذ منه واتقان ترتيبه .. مفرداً لكل مسألة باباً بقدر الامكان ،متتبعاً لما ورد في هذا الشأن ، سواء كان الحكم من المسائل الضرورية أم من الاحكام النظرية ، الا أني لاأستقصى كل ماورد فى المسائل الضرورية والاداب الشرعية . . تاركاً للاحاديث التي لاتتضمن شيئاً من الاحكام والاخبار المشتملة على الادعية الطويلة والزيارات والخطب المنقولة عنهم عليهم السلام ، مستقصياً للفروع الفقهية والاحكام المروية والسنن الشرعية والاداب الدينية والدنيوية . . ولم انقل فيه الاحاديث الامن الكتب المشهورة المعول عليها التي لاتعمل الشيعة الا بها ولا ترجع الا اليها ، مبتدئاً باسم من نقلت الاحاديث من كتابه ، ذاكراً للطرق والكتب وما يتعلق بها فى آخر الكتاب .. ولم اقتصر فيه على كتب الحديث الاربعة وان كانت أشهر مما سواها بين العلماء .. وما أنقله من غير الكتب الاربعة أصرح باسم الكتاب الذى أنقل منه» .

واختار المؤلف فى تنسيق الموضوعات الفقهية ، الترتيب الذي اختاره المحقق الحلى فى كتابه «شرائع الاسلام» وأصبح متبعاً من ذلك العصر حتى العصر الحاضر واليك فيما يلى ثبتاً بالموضوعات وعدد الاحاديث التى فى كل موضوع :

١ ـ ابواب مقدمة العبادات ، وفيها ٣٢١ حديثاً .

٢ ـ كتاب الطهارة ، وفيه ٤٠٥٢ حديثاً .

٣ ـ كتاب الصلاة ، وفيه ٧٠١٦ حديثاً .

٤ ـ كتاب الزكاة ، وفيه ١١٥٣ حديثاً .

٥ ـ كتاب الخمس ، وفيه ١٥٦ حديثاً .

٦ ـ كتاب الصوم ، وفيه ١٣٥١ حديثاً .

٧ ـ كتاب الاعتكاف ، وفيه ٦١ حديثاً .

٨ ـ كتاب الحج ، وفيه ٥٧٩١ حديثاً .

٩ ـ كتاب الجهاد ، وفيه ١٢٢٥ حديثاً .

١٠ ـ كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفيه ٧١٣ حديثاً .

١١ ـ كتاب التجارة ، وفيه ٢٠٤١ حديثاً .

١٢ ـ كتاب الرهن ، وفيه ٦٠ حديثاً .

١٣ ـ كتاب الحجر ، وفيه ٢١ حديثاً .

١٤ ـ كتاب الضمان ، وفيه ٣٦ حديثاً .

١٥ ـ كتاب الصلح ، وفيه ٣٢ حديثاً .

١٦ ـ كتاب الشركة ، وفيه ١٧ حديثاً .

١٧ ـ كتاب المضاربة ، وفيه ٣٤ حديثاً .

١٨ ـ كتاب المزارعة والمساقاة ، وفيه ٨٤ حديثاً .

١٩ ـ كتاب الوديعة ، وفيه ٥٦ حديثاً .

٢٠ ـ كتاب العارية ، وفيه ١٩ حديثاً .

٢١ ـ كتاب الاجارة ، وفيه ١٢٥ حديثاً .

٢٢ ـ كتاب الوكالة ، وفيه ٩ أحاديث .

٢٣ ـ كتاب الوقوف والصدقات ، وفيه ٨١ حديثاً .

٢٤ ـ كتاب السكنى والحبيس ، وفيه ١٩ حديثاً .

٢٥ ـ كتاب الهبات ، وفيه ٤٣ حديثاً .

٢٦ ـ كتاب السبق والرماية ، وفيه ٢٠ حديثاً .

٢٧ ـ كتاب الوصايا ، وفيه ٣٥٩ حديثاً .

٢٨ ـ كتاب النكاح ، وفيه ٢٨٧٦ حديثاً .

٢٩ ـ كتاب الطلاق ، وفيه ٦١٤ حديثاً .

٣٠ ـ كتاب الخلع والمباراة ، وفيه ٦٦ حديثاً .

٣١ ـ كتاب الظهار ، وفيه ٨٩ حديثاً .

٣٢ ـ كتاب الايلاء والكفارات ، وفيه ١٥٩ حديثاً .

٣٣ ـ كتاب اللعان ، وفيه ٨٠ حديثاً .

٣٤ ـ كتاب العتق ، وفيه ٢٢٠ حديثاً .

٣٥ - كتاب التدبير والمكاتبة والاستيلاد ، وفيه ١٢٢ حديثاً .

٣٦ - كتاب الاقرار ، وفيه ٧ احاديث .

٣٧ - كتاب الجعالة ، وفيه ٧ احاديث .

٣٨ - كتاب الايمان ، وفيه ٢٢٦ حديثاً .

٣٩ - كتاب النذر والعهد ، وفيه ٧٦ حديثاً .

٤٠ - كتاب الصيد والذبائح ، وفيه ٣٧٩ حديثاً .

٤١ - كتاب الأطعمة والاشربة ، وفيه ٢٠٩٦ حديثاً .

٤٢ - كتاب الغصب ، وفيه ١٦ حديثاً .

٤٣ - كتاب الشفعة ، وفيه ٣٣ حديثاً .

٤٤ - كتاب احياء الموات ، وفيه ٥٩ حديثاً .

٤٥ - كتاب اللقطة ، وفيه ٧٦ حديثاً .

٤٦ - كتاب الفرائض والمواريث ، وفيه ٧٠٦ احاديث .

٤٧ - كتاب القضاء ، وفيه ٧١٨ حديثاً .

٤٨ - كتاب الشهادات ، وفيه ٢٨٥ حديثاً .

٤٩ - كتاب الحدود والتعزيرات ، وفيه ٩٢٩ حديثاً .

٥٠ - كتاب القصاص ، وفيه ٥٠٥ احاديث .

٥١ - كتاب الديات ، وفيه ٤٤٢ حديثاً .

طبع الكتاب في ثلاث مجلدات كبار أربع مرات ، ثلاثة منها بطهران سنة ١٢٨٨ و١٣٢٣ -١٣٢٦ وبدون تاريخ ، ومرة اخرى بتبريز سنة ١٣١٣ .

وطبع محققاً بطهران في عشرين جزءاً سنة ١٣٧٦ -١٣٨٩ بتحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي والشيخ محمد الرازي ، وطبع على هذه الطبعة بالافست في بيروت سنة ١٣٩١ ﻫ .

أما نسخه المخطوطة فكثيرة جداً متوفرة في اكثر المكتبات العامة والخاصة ولا يمكن تعدادها وحصرها في هذه الدراسة .



قسم النشر

١ ـ قام هذا القسم بطبع ونشر الكتب التالية :

أ ـ «التفسير المادي للدين» وهو احد المنشورات التي اعدت خصيصاً للشباب الجامعي المثقف .

ب ـ الغذاء الفكري للمسيحيين (باللغة الانكلزية) .

حـ ـ الاسلام في قبال الماركسية والرأسمالية للدكتور معروف الدواليبي (باللغة الانكليزية) .

٢ ـ صدر العدد الاول من السنة الثالثة لمجلة «رسالة السرور» الفارسية للاطفال . . وكان صدوره في حلة قشيبة واخراج انيق كعدد ممتاز !

مكتبة دار التبليغ الاسلامي العامة

١ ـ صدر بيان عن ادارة المكتبة يعلن بانه خلال شهور (ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم صفر) بلغ عدد الكتب المهداة للمكتبة ٥٢٨ كتاباً ، وعدد الكتب المشتراة ٧٨٦ كتاباً و عدد المجلات المهداة ٣٦٥ مجلة كما وبلغ عـدد الكتب المطالعة ١٠٤٣١٠ كتب وعدد المطالعين ١٠٨٤٥٠ مطالعاً .

٢ ـ قامت كريمة الاستاذ المحقق الفقيد السيد محمد فرزان ـ وهو من المحققين المعروفين ـ باهداء مايقارب ١٥٠٠ كتاباً باللغات العربية ، الفارسية والفرنسية

الى هذه المكتبة ، والاستاذ الفقيد كان يشتغل بالتدريس في جامعة طهران .

٣ ـ على اثر كثرة المطالعين وازدحامهم قام المشيد السابق للمكتبة بتشييد طابق آخر يضاف الى الطوابق السابقة وسينتهي العمل فيه بعد ثلاثة اشهر .

امور اخرى

قام احد المحسنين في طهران باهداء سيارتي حمل: صغيرة وكبيرة لدار التبليغ الاسلامي وذلك لكي تساعدا في تسهيل عمليات النقل المتعلقة بالمؤسسة .

مع الزائرين

قام سماحة العلامة الحجة السيد محمد سرور احد العلماء الكبار في افغانستان بزيارة هذه الدار والاطلاع على فعالياتها واقسامها ، ومما يذكر ان لسماحة السيد نشاطات واسعة في كابل على مختلف الاصعدة ومنها بناء جامع كبير وتأسيس المدرسة المحمدية وانشاء مدرسة ثانوية للشباب ومكتبة كبيرة ، ومنها اصدار مجلة ثقافية دينية للطائفة الشيعية ولكنها مع الاسف منعت حديثاً عن الصدور !...

في الشهر الماضي قام الاخ السيد عبد الحسن احمد جولا وهو من العاملين النشطين في تايلاند بالتشرف بحضرة سماحة الامام آية الله العظمى السيد الشريعتمداري وعرض على سماحته تقريراً عن مشكلات المسلمين في جنوب تايلاند وطلب من سماحته بمقتضى أبوته الاسلامية ان يبذل مايستطيع في سبيل رفع المصاعب كما وانه طلب من سماحة الامام ان يعين شخصاً يقوم على رعاية ابناء الطائفة الامامية هناك وتبليغهم الاسلام واحكامه .

ويوجد في جنوب تايلاند زهاء خمسة ملايين مسلم يعيشون حالة حرب مع الحكومة البوذية التي استعمرت الارض الاسلامية (فطاني) منذ سنين متمادية بعد ان هزمت الحكومة التي كانت قائمة هناك .

مكتبة المجلة

قواعد الفقيه

المؤلف: سماحة الشيخ محمدتقي آل الفقيه.

طبع: مطبعة صور الحديثة في ٢١٢ صفحة.

والكتاب بحث علمي معمق حول بعض الكبريات الكلية من فقهية، واصولية وعقلية وعلوم اخرى..

ويقول المؤلف عنها انها كان ينبغي ادراجها كلها في «علم الاصول» وجعلها قسماً من الأصول العملية، وافرادها في فصل منه كما افردت مباحث الظنون وافرد القطع.

تاريخ وعلوم القرآن

المؤلف: الشيخ علي الحجتي الكرماني.

طبع: مطبعة (مشعل آزادى) في طهران في ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط.

ويحوي الكتاب بحوثاً علمية عن المواضيع التالية:

القرآن بحر منير.

تكون علوم القرآن، بدء نزول الوحي، السير التدريجي لاحكام القرآن

موجبات نزول الآيات.

اسماء القرآن.

جمع القرآن.

جمعه بعد وفاته (ص)

ترجمته، وتفسيره.

الهداية والتكامل في القرآن.

وأخيراً الانسان من خلال القرآن

والكتاب جدير بالمطالعة الدقيقة.

الوصية وأحكامها في الفقه الاسلامي

المؤلف: الشيخ محمد جعفر شمس الدين

نشر :دار التراث الاسلامي بيروت ـ لبنان ويقع في ٤٣١ صفحة من القطع المتوسط .

والكتاب دراسة فقهية مقارنة على المذاهب السبعة بذل فيها الشيخ المؤلف جهداً مشكوراً حقاً كي يستقصي الاراء ويناقشها ويخرج بالنتائج المنقحة في كل ما يتعلق بهذا الباب .

قاعدة الالزام

المؤلف: الشيخ محمد ابراهيم الجناتي

طبع: مطبعة القضاء في النجف الاشرف

في ٧٢ صفحة .

ويبحث الكتاب عن هذه القاعدة «وقد استظهرنا من اخبارها ان مفادها هو الحكم الواقعي الثانوي لا الاباحة والمشروعية فقط» .

منية الراغب في ايمان ابي طالب

المؤلف: سماحة الشيخ محمدرضا الطبسي النجفي .

طبع: مطبعه مهر استوار في قم المقدسة

في ١٢٨ صفحة .

من الغريب جداً ان يوضع ابوطالب في عداد غير المؤمنين وهو اول من نصر الاسلام واول المضحين في سبيل اعلاء كلمته في تلك الظروف العصيبة .

وهذا مايؤكده الكتاب الذي يعتمد في استعراضه لموقف ابي طالب المشرف في الاسلام على اكثر من اربعين مصدر معتبراً .

الدر الثمين في التختم باليمين

المؤلف : سماحة الشيخ الطبسي
نشر دار الصادق ببيروت في ١٤٤ صفحة .

حجر بن عدى الكندى
شهيد الايمان الصابر

المؤلف :السيدمحمدجوادفضل ا
نشر دار التراث الاسلامى ـ بيرو
فى ١٩٢ صفحة .

والكتاب هو الكتاب الاول مـ سلسلة شخصيات شيعية عزمت عل اخراجها دار التراث الاسلامي وهو دراسـ امينة لحياة احد كبار الشخصيات الشيع الاسلامية التي عاصرت عهود الخلاف

البحث عن عقيدة افضل

المؤلف : الشيخ عبد اللطيف بر
نشر دار التراث الاسلامى في بيرو
فى ٤٨ صفحة

«ان تفاقم الأزمات ، وسيطرة شب الحرب والمجاعة.. وصراع القوى ك ذلك يخفى وراءه صراع العقائد والفلسفا

وهذا الكتاب يبحث عن العقيا التي تضمن السعادة .

شؤون المسلمين في العالم

ابو مقداد

ومحنتنا في الصومال أيضا

قام المجلس الحاكم في الصومال باعدام عشرة من علماء المسلمين هناك لانهم عارضوا قانون الارث الجديد الذي سنته الحكومة والذي يعتبر مخالفاً للشريعة الاسلامية الغراء ، ويأتي هذا القرار بعد قرار سابق لمجلس الثورة باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، ومن سخريات القدر ، ان الصومال قبلت عضواً في الجامعة العربية بعد هذا القرار ، وبدأت المساعدات العربية تقدم اليها بسخاء وكأنها مكافأة لحرمان الشعب الصومالي من لغة القرآن .

وقد احتجت الامة الاسلامية في كل مكان بعلمائها وهيئاتها وجمعياتها على هذا العمل الاجرامي الاثيم .

ونحن هنا نثبت نص البرقية التي ارسلها سماحة آية الله العظمى الامام السيد شريعتمداري دام ظله الى المسؤولين في الصومال :

السيد رئيس الجمهورية محمد زياد بري ـ مقاديشو ـ الصومال .

تلقينا والعالم الاسلامي اجمع بمزيد من الاسف والاستنكار نبأ اعدام عشرة من العلماء في الصومال لا لذنب سوى اعلانهم رأي الاسلام الصريح في قانون

الارث المخالف للشريعة الاسلامية والذى اقر في الصومال جديداً، ولقد رأى المسلمون في هذا الحكم الجائر نوعاً من الوحشية والبربرية التي لا يمكن السكوت عليها بأية حال .

ومن العجيب ان النظم الوضعية التي تتشدقون بها كالديمقراطية والتي تعني ـ كما تزعمون ـ حرية الرأي والمعتقد لا تسيغ لكم ان تقوموا بهذه الجريمة النكراء لمجرد ان اظهر علماء المسلمين رأيهم وعقيدة الاسلام في هذا القانون فكيف يكون الامر في بلد ينتسب الى الاسلام ويدعى الانتماء اليه، اليس من المفروض أن يؤخذ رأى الاسلام ويطبق حكم الله فيه ؟ .

اننا باسم الجامعة الاسلامية في قم المقدسة والشعب المسلم في ايران نستنكر هذا العمل الاجرامي البشع ونعتبره طعنة توجه الى الاسلام والمسلمين في هذا الظرف العصيب وخدمة تؤدى لقوى الشر والكفر الحاقدة على الاسلام .

ايران ـ قم

السيد محمد كاظم شـريعتمداري * * *

ومحنة اخرى مستمرة فى الفلبين

وجه زعيم من مسلمي الفلبين نداء الى الدول الاسلامية للتدخل لوقف حرب الابادة التي تشن على مسلمي الفلبين ـ وقال نور مسواري رئيس جبهة تحرير مورو لوطنية لتحرير المسلمين في جنوب الفلبين في مؤتمر صحفي ان حكومة الرئيس ماركوس ستوقف هذه الحملات اذا شعرت بجدية موقف الاقطار الاسلامية . وقال ان حملات الابادة التي بدأتها حكومة مانيلا عام ١٩٦٨ مازالت مستمـرة وان هذه الحكومة لا تكتفي بسلب الاراضي بل تمارس حرب الابادة الجماعية ، وأعلـن أن حوالي ٤٠/٠٠٠ مسلم لاقوا حتفهم كمادمر ٢٠٠/٠٠٠ منزل. كما رافق ذلك تدمير المساجد وحرق المصاحف والاعتداء على النساء .

* * *

فتوى ابن باز لتعميق الوحدة الاسلامية !

اوردت مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى العدد الاول السنة السابعة في ركن الفتاوى ، جواباً للشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة

ـورة على سؤال من فتاة تنتسب لطائفة البوهرا من كينيا ـ افريقيا .

جاء في ذيله مايلي : هذا ونصيحتي ـ مخاطباً الفتاة السائلة ـ لك ولا مثالك ك الانساب لمذهب البوهرا او غيره من مذاهب الشيعة لكونها مذاهب مخالفة طريقة المحمدية الاسلامية من وجوه كثيرة، فالواجب تركها والانتقال عنها ى مذهب اهل السنة والجماعة .

الهادي : هل فكر الشيخ بن باز بما يعنيه قوله «او غيره من مذاهب الشيعة» هل يعتبر هذا نصحاً لجماعة المسلمين في هذه الظروف المصيرية مع ان في هذا لكلام ابتعاداً مغرضاً عن محل السؤال ؟ !

و «انا لله وانا اليه راجعون» .

□ الهيئة العربية العليا لفلسطين : ترفض تدويل القدس

اصدرت الهيئة العربية العليا الفلسطينية بياناً جاء فيه:

«ان القدس هي جوهر القضية الفلسطينية وان أي تفريط في سلامتها يمس هذه لقضية في صميمها ، فالقدس هي ملك العرب والمسلمين ومهوى أفئدتهم جميعاً ، رليس لاى فرد مهما علا شأنه ومركزه حق الانفراد في تقرير مصيرها و بت شأنها و تحمل هذه المسؤولية الخطيرة امام الله والتاريخ والاجيال المقبلة . . . وبعد فان المسلمين عموماً والعرب خصوصاً والفلسطينيين بالاخص يرفضون تدويل مدينتهم المقدسة ، عنوان تاريخهم ومجدهم وموطن عزهم وفخارهم وسيقاومون كل دعوه او محاوله للتدويل الذى هو فى الواقع تمهيد للتهويد تسبغ عليه الصفه الشرعية» .

□ تحذير :

المدارس الكاثوليكية تعود الى اصحابها :

اعلنت المحكمة الادارية السورية العليا ، فى ٩ /١٢/١٩٧٤ ، ابطال قـرار مصادرة واغلاق المدارس الكاثوليكية في سوريا الذي اصدرته وزارة التربية في عام ١٩٦٨ .

وينتظر ، في اعقاب هذا القرار ، ان تستأنف معظم المدارس الكاثوليكية

نشاطها في سوريا بدءاً من العام القادم ، وقد اشار النائب البطريركي بدمشق ، المطران الياس نجمة ، بعدالة القضاء السوري وشجاعته وحكمته !

ونحن :

نحذر المسلمين هناك من نشاطات هذه المدارس ومن ادخال ابنائهم وفلذات اكبادهم للتعليم فيها كي لاتتسمم افكار النشء الاسلامي وتذهب به بعيداً عن روح الاسلام ومفاهيمه .

المجازر الرهيبة في ارتيريا :

□ قالت مجلة «نيوزويك» الأمريكية ان الجنود الاثيوبيين ارتكبوا فضائع ضد الارتيريين شملت قطع آذان النساء لسرقة اقراطهن ،وبتر ارجل الرجال بالحراب.

□ دعت الكويت جميع الدول العربية والدول الاسلامية اليوم الى المساعده على تحقيق تسوية عادلة بين اثيوبيا والثوار الاريتريين (تضمن حق تقرير المصير للشعب الارتيرى) .

□ قال المؤتمر الاسلامي العام ان الثوار الارتيريين الذين اجبروا على المواجهة العسكرية للرد على الجريمة النكراء التي يقترفها الاحباش ليمرون اليوم في مرحلة حاسمة من مراحل كفاحهم وان واجب المسلمين ان يمدوا لهم يد العون والمساعدة بالمال والسلاح وحتى بالرجال ليكتب لهم النصر العاجل .

«العلمانية في العالم الاسلامي : مخطط صليبي»

لبنان ذكرت صحيفة النهار البيروتية بتأريخ ١٩٧٥/٢/٨ ان المطران جورج خضر مطران الطائفة الارثوذكسية قد اعلن ان الأرثوذكس يعيشون في عالم اسلامي لايقول بفصل الدين عن الدولة ومع ذلك لانشعر بحرج وسنبقى على عنادنا ليتوخى العرب في النهاية العلمانية ، وذكر انه انطلاقا من ايماننا بعلمنة الدولة فاننا ندعو الى الزواج المدني ! !

☐ مؤسسة اسلامية عالمية لتحقيق التكامل التكنولوجي للعالم الاسلامي

اختتمت لجنة الخبراء الاقتصاديين التابعة لمنظمة الاقطار الاسلامية اجتماعاتها بمقر لامانة العامة الاسلامية بجدة وقد توصلت اللجنة الى عدد من التوصيات الهامة في مقدمتها انشاء مؤسسة اسلامية عالمية تبلغ تكاليفها الف مليون دولار و بناء جامعة عالمية اسلامية تكنولوجية واعداد علماء ومؤسسات متخصصة حتى يتحقق للعالم الاسلامي تكامله العلمي والتكنولوجي . كما تناولت التوصيات موضوعات التعاون الاقتصادي وصندوق التسوية الاسلامية .

بلاغ
حول الملتقى التاسع للفكر الاسلامي

تعلن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية في الجمهورية الجزائرية أن الملتقى التاسع للفكر الاسلامي سينعقد في تلمسان من الفاتح الى العاشر من رجب ١٣٩ هـ الموافق العاشر الى التاسع عشر من يوليو ١٩٧٥ م .

وسيحضره طلاب وطالبات الجامعات وتلاميذ وتلميذات السنتين السادسة السابعة من الثانويات (الاولى والنهائية سابقاً) من الجزائر ومن أي بلد كان ، وسيسمح ير الطلبة من الجزائر وغيرها ممن هم في المستوى المذكور بالمشاركة في الملتقى .

وقد دعيت الى الملتقى شخصيات جامعية ورجال بحث من الجزائر وغيرها من حاء العالم الاسلامي لالقاء المحاضرات ، وعقد الندوات ، والمناقشة فيما بينهم حضور الطلبة ومشاركتهم .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلي ، ويمكن السماح بالنظام الخارجي لمن يطلبه .

هذا وتتحمل الوزارة ، في اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب وطني ، وبالنسبة للطلبة الآتين من اوروبا فستتحمل الوزارة نفقات سفرهم ذهاباً وايابا باخرة من مرسيليا واليها أو أحد موانىء البحر الابيض المتوسط .

وسيطلب من المشاركين اسهام رمزي قدره خمسون ديناراً جزائرياً ، ويعفى

منه الطلبة الاتون من خارج الجزائر ،جزائريين كانوا أوغيرهم، وسيعفى منه الساكنون والساكنات في تلمسان .

وترسل طلبات المشاركة الى ادارة البحوث الاسلامية ، نيابة الملتقيات،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، ٤ نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة «الملتقى» على زاوية الغلاف .

وعلى كل مترشح أن يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية .

وآخر أجل لقبول طلبات المشاركة هو التاسع عشر من ربيع الاول ١٣٩٥هـ الموافق للفاتح من ابريل ١٩٧٥ م عند الارسال ، ويكون ختم البريد شاهدا على ذلك

هذا وسيكون جدول الاعمال كالاتي :

١) مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين ـ أسباب ازدهارها وعوامل انهيارها .

٢) موقف اسطنبول ازاء الغزو الاوروبي للعالم الاسلامي .

٣) موقف اسطنبول وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها.

٤) هل كان الشعر في الاندلس سبباً في انحلال اخلاقها ثم سقوطها، أم كان لهما مجرد مرآة وانعكاس ؟ .

٥) دور الاداب والفنون عموماً ، والشعر والموسيقى خصوصاً ، في تعزيز أخلاق أمة أو انحلالها ، وفي شحذ عزائمها أو قتل روحها .

٦) العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام وأوضاع الامة الاسلامية اليوم.

مكتب اسلام

الهادي

IN LIBRARY
DELHI-110025

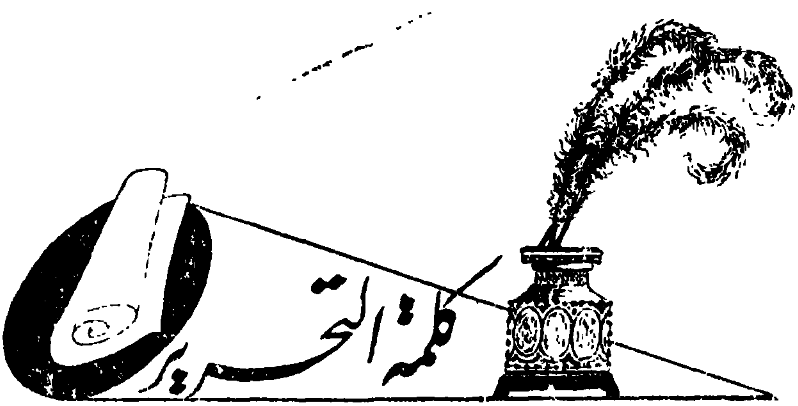
مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثاني - السنة الرابعة

جمادى الثاني - ١٣٩٥ هجرية

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم



AIN LIBRARY
DELHI-110025

موارد القصور في الاعلام الاسلامي

في كلمة التحرير السالفة تحدثنا عن مهمة الاعلام الاسلامي بعد ان تحفظنا بعض الشيء في وجود اعلام اسلامي بكل معنى الكلمة .. ومانريده هنا هو بيان اهم موارد القصور في هذا الذي نسميه اعلاماً اسلامياً لتقوم على أساسه دراسة معمقة قد لا يكفي ان يقوم بها شخص واحد حول وسائل النهوض به حتى يمكنه القيام باعباء مهمته التي شرحناها اجمالا في العدد السابق .

والقصور هنا تارة عن تقصير مسبق واخرى لظروف خارجة عن ارادة المشرفين على الاعلام .

والتقصير المسبق قد لا يمكن ان ننسبه الى شخص او جهة بعينها ولكنه يمكن ان ينسب الى القطاع المسيطر على الامور ككل في الامة .

او ان نتعدى اولئك فننسبه ايضاً الى من كان المفروض فيهم ان يمدوا الاعلام بالوعي ويبثوا في شرايينه روح الحياة.

وموارد ذلك القصور يرجع اكثرها الى عدم التخطيط المدرك والاهمال ومنها:

أ ـ الفردية عند المستقلين والتبعية عند المرتبطين بالجهات الممولة فاذا لاحظنا الاعلام الاسلامي القائم اليوم نجده امانتيجة جهد فردي وتحسس خاص بلزوم الدعوة وابلاغ صوت الاسلام للعالم او أنه نتيجة شعور بلزوم الاعلام من منبع ذي قوة وامكانية تمويلية. وكلا النوعين من الاعلام ممالايمكن ان يفي بتلك المهام المذكورة مطلقاً اذ أقل ما يمكن ان يقال في النوع الاول هو أنه لا يستوعب كل العناصر الدخيلة في تغيير نوعية الاعلام ويظل ابداً يعبر عن وجهة نظر ضيقة جداً قد لاتتجاوز رأى الشخص المشرف في القضايا العامة دون تخطيط او تشاور او تعبير عن شعور اسلامي عام وهذا الامر له اضرار كبرى اقلها الاحتمال الكبير للخطأ مما يوقع الجماهير في حيرة وانحراف لاتعلم عواقبهما . . فليست مسألة الاعلام مسألة شخصية حتى توكل الى رأى شخصي او فكرة عابرة .

اما النوع الثاني وهو الاعلام المرتبط فواضح ان اكبر عيب فيه هو ارتباطه مما يجعله اشد خطراً في هذا المجال من سابقه ، اذ ان وظيفة مثل هذا النوع من الاعلام سوف تنحصر في عرض الاسلام من وجهة نظر الجهة الممولة اولا ومن ثم تحليل القضايا العامة تحليلا ينتسب للاسلام ظاهراً ويقوم واقعاً على اساس من مصالح الجهة الممولة مما يفتح باباً كبيراً لنفوذ التحريف والتشويه لمفاهيم الاسلام خصوصاً وأن أغلب الجهات الممولة لاتحمل هم الاسلام وتعتبر الاعلام غاية لا وسيلة ـ ولسنا نريد ان نذكر بعض النماذج هنا فان كل بصير واع يدرك المصاديق بادنى تأمل .

ب ـ فقدان الترابط بين اوجه الاعلام فكرياً وعملياً :

وقد مر بنا ان الاعلام له اوجه مختلفة منها المقروء ومنها المسموع والمشاهد كما ان له فروعاً مختلفة ، واذا ما ارادت هذه الاوجه والفروع ان تقوم بمهمتها خير قيام وجب ان تلتزم بواقع كونها اوجهاً وفروعاً لحقيقة واحدة في حين انا نجد الاعلام الاسلامي يفتقد هذا المعنى فقداناً تاماً فليس هناك تخطيط مسبق وبرنامج منظم لان يشكل الجميع عواملا

متكاتفة لبث الوعي في الأمة وتحسيسها بمكامن الخطر .

ومن مظاهر فقدان ذلك الترابط ان تعالج بعض القضايا بما يتخمها في حين يترك البعض الاخر في زاوية الاهمال ، والانشغال ببعض الامور الجزئية ممايؤثر على عملية شرح القضايا المصيرية ،كما ان من مظاهره ان نجد الخبرات ناقصة والمعلومات سطحية، والحلول موضعية مستوعبة ، وكثرة الاخطاء التي تجر الى عواقب وخيمة .

جـ ـ الاقتصار على بعض الحقـول واهمال حقول مهمة اخرى .

فنحن اذا استقرأنا الأوجه والفروع المختلفة للاعلام افتقدنا او كدنا نفتقـد المجلات او الكتب التي تعنى بشـؤون المرأة المسلمة وتثقيفها ، وحتى امورها المنزلية ، واساليب تربية الأطفال، وادارة البيت ، رغم ان للاسلام فيضاً من الاحكام والتوجيهات التي ترتبط بذلك كل الارتباط وبالطبع فنحن نستثني بعض الحقـول القليلة الموزعة هنا وهناك في المجلات وبعض الكتب والمحافل الدينية النسائية والتي لاتستطيع مطلقاًان تفي بهذا الجانب خصوصاً اذا لاحظنا ذلك الفيض الغث والسيل العجيب من المجلات النسائيـة الكافرة والمنحرفة بحيث لا تجد المرأة المسلمة امامها الا مايشجعها على الضياع والسير في طريق لا يرضاه الاسلام بكل الاساليب التي اخترعها الشيطان واتباعه مـن الاستعمـار والصهيونية العالمية والشركات النفعية الجشعة .

وهكـذا قل عن الاعـلام الخـاص بالاطفال فرغم اهميته القصوى وكونـه يرتبط بلبنات البناء في المستقبل نجـد الاهمال الشديد وعدم التخطيط الواعي لتكوين اعلام اسلامي خاص بهم يربي فيهم الشخصية التي يريدها الاسلام ويوضح لهم سبيل النمو بأساليب واضحة ومبتكرة تساعده في ذلك نقاءفطرة الطفل وملائمة احكام الاسلام وتوجيهاته لها وهناك مجالات اخرى كان من الطبيعي ان يلجها الاعلام الاسلامي ويبدع فيها ويحمل مهمته في آفاقها ومنها «الفن» الصحيح القائم على اساس تنمية المواهب المبدعة عند المسلم لكي يتوضح الطريق الصحيح من الباطل فتتجلى فيه تلك المواهب .

ومنها المجال العلمي والتقني فما اشد

احتياجنا لمجلات او كتب اسلامية تنمي في الامة ذلك الحس التجريبي المدقق في اطار الايمان بالله والاستهداء بتوجيهات القادة المعصومين .

د - انعزال الكثير من ذوي الطاقات الفكرية والعملية عن هذا المجال وهذا المعنى له تأثيراته الكبرى في جعل الاعلام -رغم كل حسن النية فيه- سطحي النظرة جامداً ، يتلكأ في الورود الى مسرح الأحداث المعقدة ليعطي رأي الاسلام الصريح فيها .

ه - فقدان الاساليب الجذابة لمختلف الطبقات .

فالاعلام الاسلامي على العموم يفتقد العرض الجميل الرائع بعد ان كان المفروض فيه ان يعيش مع كل الفئات المسلمة بل يتعداها ليعيش مع العالم على كل مستوياته .

و - واخيراً ذلك الاهمال المقيت الذي نشاهده لدور الوسائل التي تجسم الافكار امام المشاهدين ، وتبث الوعي فيهم من حيث يشعرون او لا يشعرون.

كل هذه الامور كانت نتيجة للتقصير والتقاعس عن القيام بمهمة اعلام اسلامي حي شامل ، في حين اننا نشاهد الافكار الباطلة تمتلك جيشاً اعلامياً ضخماً يستوعب كل المجالات الحياتية ويستخدم مختلف الاساليب في مجال ايصال افكاره.

وهناك امران رئيسيان آخران نابعان من طبيعة كون الاعلام اسلامياً يجعلانه لا يستطيع النفوذ الى كل شخص و بيت وهما :

اولا - ورعه عن استخدام الاساليب الرخيصة والمثيرة للغرائز الحيوانية المتجاوزة للحد الطبيعي الذي اراده الله تعالى لها ، وذلك له تأثيره خصوصاً في جيل لم ينم من البدء في جو اسلامي نظيف.

وثانياً - كونه عرضة للتخطيط المركز لدحره والقضاء عليه من قبل اعداء الاسلام وما اشد خطرهم وما اكثر ما لديهم من وسائل.

دعوة الى النهوض :

المعروف ان معرفة الداء نصف العلاج ولذا فنحن بعد ان عرفنا بعض موارد القصور المهمة نكون قد خطونا على طريق اصلاحها خطوة واسعة وبقي الامر يتطلب منا ان نخطو الخطوة الكبرى في وضع التصاميم لتلافي هذا النقص الفضيع وعلى امل ذلك نعيش و نعمل .

هيئة التحرير

الرقابة الاجتماعية في الاسلام

الامام السيد شريعتمداري

لن يستطيع القانون - اي قانون كان ومهما كان رصيناً - ان يكون مؤثراً تأثيره المطلوب في مجال تنظيم المجتمع وهدايته نحو السعادة الا اذا امتلك قوة تنفيذية تعمل بجد على تطبيقه تماماً ؛ ومن هنا فان القانون يحتاج الى ضمانة لتنفيذه - ان طوعاً او كرهاً - مادام يعبر عن واقع ويعمل على ان ينظم المجتمع .

واذا نظرنا الى القانون الاسلامي نجده لايشذ عن تلك القاعدة فهو يحتاج الى ضمانة تنفيذية تماماً كما تحتاجها القوانين الوضعية الاخرى .

والقوانين الوضعية تستمد تلك الضمانة من تبني الدول لها وعملها على تنفيذها

اما القوانين الاسلامية فان الدول التي تقوم في المناطق الاسلامية تكون ملزمة بالعمل على انزالها الى واقع التطبيق اما بداعي اعتقادها الذي تبديه بتلك القوانين او بداعي احترام عقائد الشعب المسلم او جلباً للرأي العام فيه او بملاحظة ورود الاسلام في دساتيرها كمصدر رئيس او باعتباره المصدر الرئيس للتشريع .

ولكننا نشاهد ان الضمانة الاقوى والتي لم تكن مرتبطة يوماً ما برأي حاكم معين وتصميماته انما هي الامة التي اعتقدت بالاسلام وطلب منها الاسلام ان توفر الضمان لتنفيذه تحت عنوان (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

ودفعها لان تشكل فيما بينها ما يحقق ذلك .

وتلك مزية الا سلام وخصيصته اذ ان ضمان الاجراء ينبع مـن الايمان به ومن تعاليمه فهو اذاً يحفظ نفسة بنفسه وان توانت الجهات التي تسلمت الامور عن القيام بتلك المهمة .

ولكنا نشاهد مع الاسف ان الامة ايضاً بدأت تتوانى في تطبيق هذه الفريضة العظمى والمهمة الكبرى فلا نشاهد لتلك الفريضة الاسلامية الاثر المطلوب في مجال حياة الناس .وهذه الحالة في الامة ليست امراً تكون صدفة وانما له اسباب وعلـل ومبررات فيجب ملا حظة تلك الاسباب والعمل الجاد على رفعها ونبذها وبـشروح التحرك الواقعي نحو احياء هذه الفريضة الهامة .

ونحن نعتقد ان هذه الحالة المرضية في الامة تجاه هذه الفريضة مما جعلها فريضة شبه معطلة وحتى انها لا تهتم بها بقدر اهتمامها بالفرائض الأخرى كالصلاة والصوم والحج وغيرها ، هذه الحالة ترجع الى عاملين :

الاول: مانشاهده من الموقف المشترك تجاه كل التعاليم الاسلامية من الكثيرين وهو موقف التكاسل واللامبالاة وهذا الموقف نتيجة حتمية لضعف الايمان والوعي الديني بينهم ، او الاهتمام الطاغي بالتكاثر في الامور المادية مما جعلهـم يتساهلون كثيراً تجاه التعاليم الدينية .

الثاني: الجهل بحقيقة شرائط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فمثلاً ان من شروط هذه الفريضة المذكورة (الأمن من الضرر واحتمال التأثير) وقد شكل هذان الشرطان المبرر الاصيل لترك هذه الوظيفة بحجة عدم الامن من الضرر أو عدم احتمال التأثير في حين انهم غافلون عن ان مثل هذه الشرائط انما هي من شرائط الواجب اي نفس العمل لامن شرائط وجوبه وواضح ان شروط نفس العمل يجب أن تحقق مسبقاً ليتم العمل بخلاف شروط الوجوب التي لا يجب العمل على تحقيقها .

وكمثال على ذلك «الاستطاعة» اذ تعتبر شرط وجوب للحج ولا يجب تحصيلها ولكن «الطهارة» التي هي شرط للواجب بالنسبة للصلاة يجب تحصيلها مسبقاً ومعنى

لك انه يجب توفير الجو المناسب لاداء العمل وتحقيق الشكل الذي يكون الضرر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مأموناً ، وتأثير ذلك مضموناً .

وهذا المعنى لو تحقق فقد انفتحت مجالات كثيرة من العمل اذ هو باب تنفتح به اكثر الابواب لذا فيجب على المسلمين جميعاً افراد وجماعات ان يصمموا ويخططوا ويفكروا بجد واجتهاد لكي يتحقق الجو الذي يستطيع الاسلام معه ان يؤدي رسالته العالمية ويوجه البشرية نحو كمالها وسعادتها ولايتم ذلك الا بالتشاور والتلاقي الفكري والعملي بين المسلمين المخلصين الواعين للامور ، كي توضع الطرق الصحيحة العقلائية والعملية لاعادة الاسلام الى واقع الحياة واعادة تمركز القوى بيده وكي يعمل على اعطاء الصبغة الاسلامية لكل انماط السلوك الفردي والاجتماعي في المجتمع المسلم وحينذاك فان الجو المناسب سيكون قد تحقق لهذه الفريضة الكبرى فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا ويجب التوجه الى ان الاسلام بمقتضى كونه الدين الذي يريد أن يحكم العالم ويوصل ركبه للغاية له احكام فردية واجتماعية وذلك بمعنى ان الفرد المسلم عليه تكاليف يجب ان يعمل بها حتى ولو لم يبق غيره من يعمل بها على وجه الارض ، في حين ان المجتمع المسلم عليه ان يقوم ايضاً بوظائفه العامة من التعاون (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وتطبيق باقي القوانين التي تشد فيما بينه وتجعل منه خير الامم .

والذي يشاهد مع الاسف ان اكثر المسلمين قد تلقوا التعاليم الاسلامية بصفتها تعاليم فردية وتناسوا التعليمات الاجتماعية ولربما شاهدنا هذا الاتجاه في بعض كتب الاستدلال وقد راج الاتجاه الفردي لعلل لامجال لذكرها هنا وقد نتعرض لها في فرصة مناسبة.

وعلى أي حال فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما انه وظيفه فردية فهو وظيفة اجتماعية بمعنى انه يجب ان تقوم به مجموعة مخططة تعمل على تحقيقه وهذا المعنى هو المناسب للاية الشريفة (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).

حروف مضيئة

١ ـ ياعلي سيد الاعمال ثلاث خصال : انصافك الناس من نفسك، ومواساتك الاخ في اللهعزوجل ، وذكرك الله تبارك وتعالى على كل حال

النبي الاعظم (ص)

٢ ـ فاصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والنظر فيما لا تكلف .

الامام علي (ع)

كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره منجلية ظواهره .

فاطمة الزهراء (ع)

٣ ـ واعلموا علماً يقيناً انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه .

الامام الحسن بن علي (ع)

٤ ـ قال لابنه علي بن الحسين اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله عزوجل .

الامام الحسين بن علي (ع)

٥ ـ فانظر لنفسك فانه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول.

الامام علي بن الحسين (ع)

٦ ـ يا جابر ان ظلمت فلا تظلم ، وان خانوك فلا تخن ، وان كذبت فلا تغضب وان مدحت فلا تفرح ، وان ذممت فلا تجزع.

الامام محمد بن على الباقر (ع)

٧ ـ يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد .

الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)

٨ ـ استمسك بعروة الدين : آل محمد ، والعروة والوثقى : الوصي بعد الوصي والمسالمة لهم والرضا بما قالوا .

الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع)

٩ ـ رحم الله عبداً حببنا الى الناس ولم يبغضنا اليهم .

الامام على بن موسى الرضا (ع)

١٠ ـ الجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية.

الامام محمد بن على الجواد (ع)

١١ ـ الناس فى الدنيا بالاموال ، وفى الاخرة بالاعمال .

الامام على بن محمد الهادى (ع)

١٢ ـ ما ترك الحق عزيز الا ذل ، ولا اخذ به ذليل الا عز .

الامام الحسن بن على العسكرى (ع)

١٣ ـ فاغلقوا ابواب السؤال عما لا يعنيكم ، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم .

الامام المهدى بن الحسن (ع)

كيف كان
لقاء جبرئيل للنبي "ص"

السيد أبو الفضل مير محمدي

١ ـ كان يستأذن على النبي (ص) . .

٢ ـ كان يقعد بين يديه كما يقعد العبد . .

٣ ـ كان يأتي اليه في صورة الادميين الا مرتين

٤ ـ كان يأتي اليه على صورة دحية الكلبي

٥ ـ في مسجد النبي (ص) مقام اسمه مقام جبرئيل (ع) . يستحب الدعاء فيه

وقبل أن نتكلم حول هذه النقاط لابد من الاشارة الى أن هذه أمور توقيفية فلابد من الرجوع فيها الى الروايات الواردة في بيانها ، فنقول :

أما ماورد من أن جبرئيل كان يستأذن على النبي (ص)، ويقعد بين يديه قعدة العبد :

فقد روى المحدث الحر العاملي بسند صحيح ، عن معاوية بن عمار أنه قال: قال أبو عبد الله (ع) : ائت مقام جبرئيل (ع) ، وهو تحت الميزاب ؛ فانه كان مقامه اذ استأذن على رسول الله ، فقل الخ (١) . . .

وروى ايضاً عن عمر بن يزيد قال : حاضت صاحبتي وأنا بالمدينة . . الى ان قال : فذكرت ذلك لابي عبد الله (ع) ، فقال : مرها فلتغتسل، ولتأت مقام جبرئيل عليه السلام ، فان جبرئيل كان يجيىء فيستأذن على رسول الله (ص) ؛ فان كان على

---

(١) الوسائل ج ١٠ باب ٨ من ابواب المزار .

حال لا ينبغي له أن يأذن له ، قام في مكانه ، حتى يخرج اليه ، وان أذن له دخل عليه الخ . . (١)

وفي البحار للمحقق المجلسي ، نقلا عن الشيخ الصدوق في عقائده :

«اعتقادنا في نزول الوحي من عندالله عزوجل ، فأما جبرئيل عليه السلام فانه كان لا يدخل على النبي(ص) حتى يستأذنه اكراماً له ، وكان يقعد بين يديه قعدة العبد» (٢)

ولعله أخذه من الروايات المصرحة بذلك ، مثل ما رواه في علل الشرائع:

حدثنا علي بن أحمد بن عبدالله البرقي ، قال : حدثني أبي عن جده أحمد بن ابي عبدالله ، عن أبيه عن محمد بن ابي عمير ، عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله قال : كان جبرئيل (ع) اذا أتى النبي (ص) قعد بين يديه قعدة العبد ، وكان لا يدخل حتى يستأذنه . . (٣)

وفي البحار نقلا عن الكافي لثقة الاسلام الكليني : سئل الصادق (ع) عن الغشية التي كانت تأخذ النبي (ص) ، أكانت تكون عند هبوط جبرئيل؟، فقال: لا ، ان جبرئيل اذا أتى النبي (ص) لم يدخل عليه ، حتى يستأذنه ، فاذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد ، وانما ذلك عند مخاطبة الله عزوجل اياه بغير ترجمان وواسطة، حدثنا بذلك ابن ادريس عن أبيه عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن الحسين بن زيد، عن الحسين بن علوان ، عن عمر بن ثابت عن الصادق(ع) . . (٤)

وفي البحار أيضاً ، نقلا عن أمالي الشيخ : أنه روت جماعة عن أبي المفضل عن عدة (قد سماهم) عن ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) يغدو اليه علي(ع) في الغداة ، وكان يحب ألا يسبقه اليه احد ، فاذا النبي(ص) في صحن الدار، واذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي ، فقال : السلام عليك، كيف أصبح رسول الله؟ قال : بخير يا اخا رسول الله (ص) ، . . الى ان قال : فأخذ رأس النبي (ص)

---

(١) الوسائل ج ٩ باب ٩٣ من أبواب الطواف .

(٢) البحار باب كيفية صدور الوحي .

(٣) علل الشرائع ، الباب ٧ .

(٤) في كيفية صدور الوحي . .

فوضعه في حجره (اي علي) ، فانتبه النبي (ص) ، فقال : ما هذه الهمهمة ، فأخبره الحديث ؛ فقال : لم يكن دحية ، كان جبرئيل ، سماك اسم سماك الله تعالى به الخ..

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على ان جبرئيل كان يعظم النبي ويكرمه غاية الاكرام ، حتى انه ليضع رأسه في حجره لينام . .

* * *

٣ ـ هذا وقد نطقت الاخبار الكثيرة بأنه : اذا كان الوحي للنبي (ص) بواسطة جبرئيل فلا يثقل الوحي على النبي (ص) ، ولا تصيبه السبتة . . فقد :

روى الشيخ أبو جعفر البرقي في العلل ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن هشام بن سالم ، قال : قال أبوعبدالله (ع) : كان رسول الله (ص) اذا اتاه الوحي من الله ، وبينهما جبرئيل يقول : هو ذا جبرئيل ، وقال لي جبرئيل ، واذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبتة ، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عزوجل . . (١)

وعن الشيخ الصدوق في التوحيد باسناده عن زرارة قال: قلت لابي عبدالله (ع): جعلت فداك ، الغشية التي كانت تصيب رسول الله (ص) اذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال : ذلك اذا لم يكن بينه وبين الله أحد ، ذاك اذا تجلى الله له ، ثم قال : تلك النبوة يا زرارة ، وأقبل يتخشع . . (٢)

وفي صحيح البخاري: حدثنا فروة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل النبي (ص): كيف يأتيك الوحي؟ قال : كل ذلك يأتي ، الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عني ، وقد وعيت ما قال ، وهو أشده علي ، ويتمثل لي الملك احياناً رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول (٣) . . روي مثله عن مسلم ، والبيهقي (٤) ، وفي الطبقات ج ١ ص ١٣٢

(١) المحاسن ، في العلل ص ٣٣٨ ، وتفسير الميزان .
(٢) تفسير الميزان ج ١٨ ص ٧٩ .
(٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٣٦ .
(٤) تفسير الميزان ج ١٨ ص ٧٩ .

والبداية والنهاية قريب منه أيضاً . .

وروى في الطبقات عن عبدالله بن ابي سليمة عن عمه: أنه بلغه أن رسول الله (ص) كان يقول : كان الوحي يأتيني على نحوين : يأتيني به جبرئيل ، فيلقيه علي ، كما يلقي الرجل على الرجل ، فذلك يتفلت مني ، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس، حتى يخالط قلبي ، فذلك الذي لا يتفلت مني . . (١)

ويستفاد من هذه الأحاديث ان الغشية انما كانت تصيبه لو لم يكن جبرئيل بينه وبين الله عزوجل ، اما اذا كان جبرئيل ، فلا يصيبه شيء من ذلك، وهذه النقطة وهي حصول السبتة والغشية له (ص) لو لم يكن جبرئيل، لابد من بحثها وتمحيصها. ولسنا الان في صدد ذلك ، وانما ذلك له محل آخر . .

فما روى في طبقات ابن سعد ـ مطلقاً ـ من انه صلى الله عليه وآله اذا اوحى اليه وقذ لذلك كهيئة السكران ـ ولا يخفي ما في هذا التعبير من الاساءة الى قدس رسول الله (ص) ـ . او فما من مرة يوحي الي الا ظننت ان نفسي تقبض . ولا يتثبته اول ما يسمعه ، حتى يفهمه بعد ـ كما عن مسند احمد ـ هذا الذي روي على اطلاقه غير مقبول ، ولابد من حمله على صورة ما لو لم يكن جبرئيل هو الواسطة بين الله وبينه (ص) . .

وما عن ابي عوانة في صحيحه : بعد قوله (ص) : واحياناً يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني ، فأعي ما يقول ، وهو أهونه علي . . (٢)

ليشهد ويدل على أن تكليم جبرئيل كان أهون الوحي وأسهله على النبي (ص) . .

ولعل حصول السبتة ، وعروض الغشية له (ص) اذا كان الوحي بلا واسطة ـ ان صحت ـ لعلها من جهة رؤيته صلى الله عليه وآله عظمة الله وجلاله ، وقد قدمنا رواية الشيخ الصدوق عن ابي عبدالله والتي فيها أن تلك الغشية انما هي اذا تجلى الله تعالى للنبي (ص) ، أي ظهر أمره وجلاله وعظمته لا أنه ظهر بنفسه ، فان رؤيته محال على ما حقق في محله ، وليس هذا الا على حد قوله تعالى : «فلما تجلى ربه

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١ ، باب شدة نزول الوحي . .
(٢) الاتقان ص ٤٦ .

للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين»(١)

أي تجلى بنوره ، كما عن ابن عباس ، على ما في مجمع البيان وقال في تفسير الجلالين : أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ، كما في حديث صححه الحاكم . .

* * *

٤ ـ بقي الكلام في أنه هل كان جبرئيل يأتي النبي على صورته الاصلية أم أنه كان تارة يأتيه على صورة الادمي ، وأخرى على صورته الاصلية ، وأيضاً اذا كان يأتيه على صورة الادمي ، فهل كان يأتيه على هيئة شخص معين ، ام أنه اتاه على صور اشخاص متعددين . . واذا فرضنا انه كان يأتيه على هيئة رجل خاص فمن هو ذلك الرجل الذي كان يأتيه جبرئيل على هيئته فلا بد لنا من الاشارة باختصار الى حقيقة الامر في هذه الناحية ، فنقول :

ان المستفاد من الروايات والأقوال انه (ع) جاء على صورة دحية بن خليفة الكلبي الا مرتين جاء فيهما على صورته الاصلية ، على ما في تفسير الصافي للفيض (ره) قال فيه : وروي : مارآه ـ اي جبرئيل ـ احد من الانبياء في صورته غير محمد ، مرة في السماء ، ومرة في الارض . . (٢)

وقد تعرض الشيخ الطبرسي في مجمع البيان لهما عند تعرضه لتفسير الآية المباركة : «افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى . .» (٣) . قال (ره) :

أي رأى جبرئيل في صورته التي خلق عليها ، وقال عند تفسيره: «علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى»: أي جبرائيل على صورته التي خلق عليها . . . الى أن قال : قالوا (لعله يقصد الذين سبقوا في كلامه ، وهم : ابن عباس ، والربيع ، وقتادة) : ان جبرائيل كان يأتي النبي (ص) في صورة الادميين ، فسأله النبي (ص) أن يريه نفسه (ع) ، على صورته التي خلق عليها ؛ فأراه نفسه مرتين: مرة في الارض؛

البقية في صفحة ١٢٦

---

(١) الأعراف، الاية ١٤٣

(٢) النجم ، عند تفسير : فاستوى .

(٣) النجم ، الاية ١٢/١٣ .

أي دنيا يذمها علي ؟

ترجمة الشيخ هادي الموسوي

شيخ مرتضى المطهري

كان كلامنا فيما سبق : في معنى وفلسفة الزهد ،في (نهج البلاغة) للامام علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام .

والزهد وان كان في أحد معانيه :ترك الدنيا والاعراض عنها ولكن المعنى الأصيل الذي يبدو من خلال نهج البلاغة هو امر آخر ، ولذا وجب أن نستجلي النصوص بدقة.

ومن الواضح : أن لكل ناطق لسانه الخاص،ولابد لمن يريد أن يدرك مفاهيمه كاملة : أن يتعرف على لسانه ،ولابد لمن يريد ان يتعرف على لسانه : ان يدرك وجهته الخاصة في نظره العام الى الانسان والحياة والعالم .

ومن الواضح ايضاً : ان وجهة نظر الامام علي عليه السلام الى الحياة ، هي وجهة نظر الاسلام ،وللاسلام وجهة نظره الواضحة الى الحياة ،المبنية على أساس التوحيد المطلق ، ومن أصول التوحيد : أن لاثنوية في العالم ، فلا ينقسم العالم في نظر الاسلام الى قسمين : خير وشر ،حسن وقبيح ، ينبغي أن يكون ، وينبغي أن لايكون بل ان منطق الاسلام يقول : ان القول بهذا كفر ومجوسية ، (فكل ميسر أو مسير لما خلق له)من خير وحكمة وغاية،ولاشيء من غير غاية:(الذي أحسن كل شيء خلقه)(١) .

أذن : فلا يمكن أن يكون ذم الدنيا في منطق الاسلام متوجها الى الحياة ،

---

(١) السجدة-٣٢ .

فان منطق الاسلام المبني على أساس التوحيد الخالص بما يشمل التوحيد في القوة الفاعلة في العالم ، والنافي لاي شريك لله في الخلقة والتكوين ، لا يمكن أن ينظر الى العالم بنظرة سيئة مقيتة ، وان فكرة (الفلك الظالم) و (ظلم الدهر) فكرة غير اسلامية ، أذن فماذا يعني ذم الدنيا في الاسلام والقرآن و نهج البلاغة ؟ :

قد يقول البعض : انه يعني العلاقة القلبية :

واقول : ان اراد هؤلاء بالعلاقة القلبية الارتباط العاطفي بالدنيا ، فلا يمكن أن يكون كلاماً صحيحاً اذ أن هذه العلاقة حلقة من سلسلة من العواطف المخلوقه معه في فطرته وطبيعته الاولى ، وهي من طينته في الصميم ، وهي مما لم يكتسبه الانسان بنفسه ، وكما أنه ليس في بدن الانسان عضو زائد وجد عبثاً ، كذلك فانه ليس في عواطفه واحساساته شيء زائد ، بل ان عواطفه كلها مخلوقة لغاية حكيمة عبر عنها القرآن الكريم بآيات حكمة الخالق الحكيم : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة)

فهذه العواطف روابط تربط الانسان بالحياة سعياً نحو التكامل .

اذن : فكما لانستطيع أن نحكم على العالم بالطرد واللائمة، كذلك لانستطيع أن نعد هذه العواطف الطبيعية زائدة بدون فائدة ، فانها من أجزاء الحياة .

فليس المقصود من ذم الدنيا ذم الحياة ، ولا ذم العلاقة الطبيعية، بل المقصود ذم العلاقة القلبية الموجبة لاسر الانسان بيد الدنيا ومس في يده شيء منها وهذا هو الذي يسميه الاسلام عبادة الدنيا ، وهو الذي يكافحه الاسلام مكافحة شديدة ، والاسلام في هذا يريد أن يرد الانسان الى حالته الطبيعية في ضمن ناموس الحياة ، فان الافراط في علاقة الانسان بالدنيا خروج عن حالته الطبيعية .

هناك العديد من المذاهب الفلسفية التي تنظر الى الحياة نظرة ملؤها الشر والغصص وهي تحسب ان هناك نقصاناً في العالم أو تناقضاً، وأن الانسان قد أخطأ طريقه حينما اختار الحياة في خضم أمواج هذا العالم المتلاطم ، وان الانسان أسمى من أن يعيش في هذا العالم ، فليست هناك أية رابطة أو علاقة تربط الانسان بهذه الحياة ، الا علاقة السجين بسجنه ، أو الواقع في الجب بالبئر ، فلا عليه الا أن يتخلص من شر

هذه الحياة . . فهل أن الاسلام أيضاً ينظر الى الحياة بهذه النظرة؟ : كلا .

ان الاسلام المتمثل في (نهج البلاغة) للامام علي عليه السلام ، يرى أن علاقة الانسان بالدنيا : علاقة الزارع بالمزرعة : (الدنيا مزرعة الآخرة)، أو علاقة التاجر بالمتجر : (الدنيا . . . متجر أولياء الله) (١) أو علاقة المتسابق بميدان السباق (ألا وان اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة ، والغاية النار) (٢) أو علاقة العابد بالمسجد (الدنيا . . . مسجد أحباء الله) .

اذن : فالاسلام لايرى العالم عبثاً ، ولا وجود الانسان فيه خطأ ، ولا عواطفه الفطرية غلطاً ، اذن فماذا يعني ذم الدنيا في القرآن ونهج البلاغة ؟ :

ان الانسان خلق وفي فطرته الطبيعية غريزة التعبد والتقديس . والسعي وراء السعادة والكمال ، وما يرتبط معه ويعتمد عليه اكثر من ارتباط عادي ، يجعله منتهى مناه وكل أمله . وهنا اذا لم يهتد الانسان الى الصراط المستقيم في قدسه وأمله ، فسوف يظل الطريق السوي ويتيه في متاهات الضلالة ، سادراً في الغي يتخبط في عمياء لا يهتدي سبيلا ، وعندئذ سيتبدل (الوسيلة) با (الغاية) و (الطريق) با (الهدف) و (وسيلة النجاة) (بسلاسل الأسر والعبودية) ، وحينئذ تتبدل حريته حركته ومساعيه الى أسر وعبودية وركود . وهذا هو الذي ينبغي أن لا يكون ، وهو على خلاف نظام التكامل في الحياة ، بل هو نقص ونوع من الفناء لا البقاء، وهو آفة الانسان في معاشه وهو الذي يعلنه القرآن ونهج البلاغة : خطراً على الانسان ، وينبهه للحذر منه .

فمما لاشك فيه : ان الاسلام الذي يعد الانسان بحياة أخرى أفضل من هذه الحياة بمراتب ومراتب ، لايرى هذه الحياة الدنيا مما ينبغي أن تكون غاية مناه ومنتهى آماله ، بل هو يرى هذه الحياة مجالا لاعمال صالحة تكون وسيلة لتحصيل سعادته في الحياة الاخرى ، ويرى الانسان أعز وأعلى وأسمى من أن يقع عبداً أسيراً بيد هذه الحياة أو من في يده شيء منها .

---

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبدة الحكمة ١٣١ .

(٢) المصدر السابق ـ الخطبة ٢٨ .

ولذلك يؤكد علي عليه الصلوة والسلام على أحسن الحياة ولكن لمن لايرضى بها دار مقر دائم : (ولنعم دار من لم يرض بها داراً) (١) ويكرر : (الدنيا دار مجاز لادار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم)(٢) و مما لاشك فيه أن الانسانية حرة مطلقة غير محدودة ، فكل أسرأ وقيد أوحد ، يحد من شخصيته وعظمته .

ويمكننا أن نلخص ماسبق من هذا المقال في شرح وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة الى الحياة ، في الحكمة (١٣١) من كلمات ردبها الامام أمير المؤمنين عليه السلام على من سمعه يذم الدنيا (غداة الندامة) وهو يحسبها (متجرمة عليه) بناء على فكرة (الفلك الظالم) و (ظلم الدهر) ـ كما يتبين ذلك في لحن خطاب الامام اليه يقول :

(ايها الذام للدنيا ، المغتر بغرورها ، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها ، أتغتر بالدنيا ثم تذمها ؟ ! أنت المتجرم عليها . أم هي المتجرمة عليك ؟ ! . متى استهوتك ؟ أم متى غرتك ؟ . أبمصارع أبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ . كم عللت بكفيك ؟ وكم مرضت بيديك ؟ ، تبغي لهم الشفاء ، وتستوصف الاطباء . لم ينفع أحدهم اشفاقك ، ولم تسعف فيه بطلبتك ، ولم تدفع عنهم بقوتك ،قدمثلت لك به الدنيا نفسك ، وبمصرعه مصرعك».

«ان الدنيا : دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ،ودار غنى لمن تزودمنها ، ودار موعظة لمن اتعظ بها .

مسجد احباء الله ، ومهبط وحي الله ، ومتجر أولياء الله،اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة .

فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ؟ فمثلت لهم ببلائها البلاء، و شوقتهم بسرورها الى السرور ، راحت بعافية ، وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً .

---

(١) الخطبة ٢٢١ .

(٢) الخطبة ٢٠١ .

فذمها رجال غداة الندامة ، وحمدها آخرون يوم القيامة : ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ، ووعظتهم فاتعظوا» .

وخلاصة مايستفاد من كلام الامام عليه السلام : هو أنه سمع رجلا قد اغتر بغرور الدنيا وخدع بأباطيلها ، فلما ندم ذمها غداة الندامة ، وهو يحسب أنها المتجرمة عليه .

فرد عليه الامام : بانك انت المتجرم عليها لانك أنت المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها ، ولكنها ليست هي التي استهوتك وعزتك ، بل قد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ، تخويفاً وتحذيراً وترهيباً فاغتررت أنت ، وتذكر رجالا آخرين فصدقوها واتعظوا بها ، فجعلوها مسجداً ومصلى ، بل مكسباً ومتجراً . تزودوا منه فربحوا الجنة ، وسيحمدها هؤلاء يوم القيامة ، وتذمها أنت يوم الندامة ، فانت المتجرم لاهي المتجرمة ، وليست عليها بل عليك الملامة .

النظره الواقعية الى الدنيا

ألا وان اليوم المضمار ، وغدا السباق والسبقة الجنة ، والغايه النار .

الامام امير المؤمنين

اضواء على النشاط التبشيري

دور التبشير الاستعماري بالامس واليوم

وموقفنا إزاءه

-٣-

الاستاذ المرحوم علال الفاسي

ولقد بذل كثير من المثقفين الكاثوليكيين بفرنسا بقيادة ماسينيون والكاتب الشهير موریاك جهودا عن طريق النبيل دو شابو واسرته لاقناع البابا بالتدخل في صالح المغرب فلم يجد عملهم شيئا ، ويجب اناعترف بان هؤلاء المثقفين كانوا قد ادركوا إن مصلحة البقاء الفرنسي والمسيحيةفي المغرب هي في فضح بعض الفضائح التي قام بهاولاة الحماية في ايامهم الاخيرةوهم في عملهم مخلصون لما كانوا يعملون له من تعايش سلمي طبعاً في اطار الحمايةحتى لاينهدم مابناه روادهم الاولون ؟

ولكن المشرفين على الامر في فرنسا كانوا على خلاف هذا الرأي ، لانهم يعملون بالمبدأ القائل (الكل او لاشيء) ولقد صرح بيدو وهو وزير الخارجية ، اثناء مقاومتنا المسلحة انه لايمكنه التراجع عن احتلال المغرب لانه يجب ان يعلم ان مااخذه الصليب من الهلال لايمكن ان يرجع الى الهلال ؟

وهكذا نجد التوافق التام بين الساسة الاستعماريين والمبشرين الصليبيين من أي مذهب كانوا ، التوافق في المبدأ ، والتوافق في الاساليب :

في المبدأ : التنصير قبل الحضارة وقبل الادماج في الدولة المستعمرة! وفي الاساليب: تسخير كل الاعمال لفائدة الاستعمار والنصرانية !

وذلك بالقضاء على اللغة العربية الفصيحة ، واحلال اية لهجة محلها قبل ان

تصبح لغة المستعمر اللغة السائدة في البلاد المستعمرة ،

وبالتعليم ذي البرنامج التمسيحي الصريح او برنامج الهدم للعقيدة والاخلاق الاسلامية وبث التقديس للامة الفاتحة وحضارتها وثقافتها .

وبالتشريع المدني القاضي على الشريعة الاسلامية واحلال المحاكم الاجنبية او المختلطة او حتى المحاكم التي تحمل النسبة للمستعمرة صوريا محل القانون الاسلامي والمحاكم الاسلامية ،

وبالتقاليد والعادات الاجنبية حسنة كانت او قبيحة ،

وباستعمال وسائل اللهو والمغنيين والمغنيات وكل ذوي الاخلاق الساقطة من اجانب واهالي لافساد الخلق القومي والقضاء على روح الامة وكيانها ،

وباحداث الحروب المختلفة ، باسم الطائفية والسلالية والقومية الضيقة ،

وباسم الفكر الحر والاقتداء بكل ثورة هدامة ولو كان الدعاة اليها من غير المؤمنين بها ، وبالتحالف مع الصهيونية بعد خلقها وتشجيعها على فكرة المطالبة بالوطن القومي في فلسطين وبالهجرة الدائبة اليه .

وبالعمل باسم الدستور والحرية والديمقراطية على الانقلابات المحلية والغاء الخلافة العثمانية وبث المبادىء الماسونية المخربة في ارجائها الفسيحة لجعل الجمهور يتقبل ذلك الهدم باسم التحرر والانقاذ .

وباحداث العداوة والبغضاء بين العرب والعثمانيين وبين المسلمين ومواطنيهم في الهند.

واخيراً تأجيج نيران الحروب الدولية والقاء الاهالي فيها باسم العمل على الوصول الى الحرية الغربية التي تحتوي في نظر المستعمر على كل ذلك البرنامج اللعين .

بعد الاستقلال :

والان وقد اعترف الكثير من البلدان التي خرجت عن الخلافة العثمانية بالاستقلال كما اعترف لبلدان الشمال الافريقي بذلك فهل توقف التبشير والاستعمار عن نشاطه ؟ او اصبحنا امام استعمار جديد واسلوب جديد في الاستعمار وفي التبشير؟

بل اصبحنا وا أسفاه نطبق تلك الاساليب التي كان يعمل لها المستعمر في جو من البغض الشعبي ورد الفعل الوطني في جو من الرضا والانعطاف ؟

لقد ورثنا سياسة التعليم الاستعمارية كشيء مقدس ، فاللغة الفرنسية عندنا وفي لبنان مازالت لغة اساس في التعليم في مختلف المدارس الوطنية والأجنبية باستثناء بعض المؤسسات الامريكية التي تعطي للانجليزية تلك الاولوية ! وماتزال الانكليزية كذلك لغة التعليم في كثيرمن المدارس العليا ، هذا في الشرق العربي اما في افريقيا وآسيا فاللغة الاجنبية تحل المقام الاول في الادارة والتعليم والحياة العامة ، وذلك هو الشان في المغرب والجزائر وتونس رمورطانيا ، على الرغم مما نبذله من جهد وما تدعيه الحكومات من عناية بالعربية ولقد اصبح جزء مهم من شبابنا كافرا بلغتنا مقتنعا بان لغات المستعمرين اصلح لنا للتفتح على العالم والتوسع في معرفة ما استجد من الاشياء .

اما العلوم الاسلامية فقد ضعفت مراكزها او اقفلت في كل مكان ، والمصيبة ان ذلك يقع باسم التجديد والتنمية الثقافية اوباسم الجمع بين الاصالة وبين العصرية والكتاتيب والمدارس القرآنية التي كان يعمل شارل دوفوكو واضرابه على القضاء عليها قدكادت ان تنتهي ؟

وبما ان ادارتنا وحياتنا العامة ابت الا الاستمرار في استعمال الفرنسية اوالاسبانية او الانجليزية بحسب الاقاليم ، فان آباء وأولياء تلامذتنا يفضلون المدارس التي تسير على المنهج الاستعماري المفرنس على غيرها لضمان مستقبل اولادهم الاقتصادي بزعمهم.

ولا تزال عندنا في المغرب مدارس حرة كاثوليكية وغيرها يدخلها ابناؤنا بدعوى قوة تعليمها ، والى امد قريب فقط كانت لاتزال تأخذ من الدولة مساعدة مادية . .

وقد ورثنا عن الاستعمار الفرنسي ارساليات ارادت ان تحدث نوعا من التغيير في اساليبها فضللت حكامنا وقتا قصيرا ولكنهم انتبهوا بفضل كفاحنا ، وسأذكر على سبيل المثال رباط تيومليلين Monster de ToumLILine بازرو من وطننا المغرب والذي سرعان ما تأسست به جمعية تحمل اسم الجمعية الفرنسية لاصدقاء مؤسسة تيومليلين كان مقرها بزنقة تايتبوت RueTaltbou بباريس ـ فرنسا ـ وكذلك في بوند بالمانيا الاتحادية وبامستردام في هولاندا ! وقدجعل مؤسسو هذا الرباط شعاره

الدائم : (انما هو ايجاد الرسالة الحقيقية للمسيحيين العائشين في ديار الاسلام) .

وقد كتب لها لو فيفر اسقف الرباط مايلي :

من صميم قلبي اسأل الله ان يبارك ارسالية الصدقة والسلامة العمل الكنسي الهائل الذي يقوم به ويواضب عليه الآباء المباركون بتيومليلين».

وكتبت جريدةفرنسا التي من وراء البحر في عدد يناير سنة ١٩٥٤ م مايلي :

ان رباط تيوميليلين يتلقى الاحترام الكبير والطمان من وارث اسم لامع عسكري فرنسي دعاء وولي واحسان ،الصوفية المباركة انسانيةالفطرية لاتقدر اليوم مثل الامس الا ان تشع السلام والحب» .

وفي هذه المرحلة كانت انطلاقتنا الثورية قد بدأت ، كما كانت فرنسا تعاني من الحرب النازية الشدائد ويتزعم الشيوعيون الدعوة للمقاومة الى جانب دوجول وصحبه ، فتهب ريح اقصى اليسار على المغرب لاتساعد المجاهدين الا فارقة على التحرير كما كان يظن من دعوة الماركسية وموقفها من الاستعمار بل لتؤيد الابقاء على الحماية الى حين خلق الوحدة الفرنسية التي أمل الشيوعيون الفرنسيون ان تصبح على غرار الاتحاد السوفياتي ،الاتحاد الفرنسي الذي يضم افريقيا ومستعمرات فرنسا في كل مكان .

ومضت خمسة اعوام رجع فيها الملك لمقر عرشه ، واعلن استقلال المغرب وتونس وانفسح المجال للثورة الجزائرية لتواصل عملها من قواعد بلادنا العربية بينما كانت امريكا قدثبتت قواعدهافي المغرب وفي جهات أخرى ، لانها التي تستعد لحمل المشعل للدفاع عن العالم (الحر) مكان بريطانيا ، كما كانت اسرائيل قد خلقت كاسفين فاصل بين آسيا العربية وافريقيا العربية ، وهكذا اصبحنا أمام تحالف مقدس يتضمن الصليبيين والاستعماريين كما يضم الديموقراطيين والشبوعيين والصهاينة ، وتتلاقى التيارات في اشكال دعواتها اللينة والشديدة .

ويصبح تيوملبل رباطا مشهورا يقصده الزوار من كل مكان باسم حرية الرأي وتبادل الحوار اليهودي والمسيحي والمسلم والشيوعي كل يعبر عن رأيه ، وتغتر

حكومتنا أول الامر به فتساعده بقدر من المال على الرغم من احتجاجي على حكومتنا التي كان حزبنا مشتركا فيها ، ويواصل الرباط عمله فيحج اليه في كل سنة عديد من مثقفينا الذين يتحدثون بما يريدون ولو بانتقاد الحكومة واظهار افلاس استقلالنا في عدة جوانب ويعصمني الله وله الحمد من أن احضر مرة واحدة رغم الدعوات التي كانت توجه الي دائماً .

زارني مرة اساتذة امريكيون ارسلتهم جامعاتهم الى المغرب ليقوموا باطروحات في مواضيع مختلفة، ومن عادة هؤلاء وامثالهم ان يترددوا علي وعلى بعض الاساتذة لمعرفة وجهة نظرهم والتزود منهم بالوثائق أو المواد التي يحتاجونها، ولهذا الغرض جاء عندي هؤلاء الثلاثة الامريكيون ، وقد أجبت الاول والثاني عما سألني عنه ولم يكن خارجاً عن بحث عادي عن تاريخ السلفية أو الوطنية ، أما الثالث فقد أخبرني انه أراد أن يضع رسالته عن تيوملياين ودورها في خدمة الحضارة والثقافة المسيحيتين فقلت له بلهجة حادة لم أملك معها نفسي : دعنا يا أيها السيد من التصويف للمسائل التي لا وجود لها ولا يمكن أن يكون لها بقاء ، فاستغرب السيد وضحك ثم سألني لماذا انكرت عليه ، فقلت له ان في المغرب رباطات وزوايا ومساجد ومعاهد وكليات اسلامية وفيه اقدم جامعة في العالم ، فكيف تترك هذا وتأتي لتكتب مزكياً خرافة يريد بعض الذين يعضون على رواسب الاستعمار بالنواجذ ان يلصقوا بها عسى أن تنقلب يوماً ما الى معجزة كبرى .

لم تمض شهور على هذه الحادثة حتى تنبهت الحكومة المغربية لخطر التبشير وخطر تيوملياين فأمرت باقفاله .

ولكن مراكز التبشير ما تزال منتشرة في بلادنا ، ويجب ان نعترف بأن عدداً لا يستهان به من الشباب أو الشابات قد تمسحوا او تجردوا عن دينهم ، وذلك بما يقوم به هؤلاء الدعاة من اتصال بالكتابة والمراسلة ووضع المناظرات والمسابقات للشباب ، هذا الى جانب الدعاية البهائيه التي ما تزال تعمل عملها في [illegible] الالحادية التي ينشرها العملاء باسم الماركسية

أو الوجودية أو غيرها من الايديولوجيات التي تجد الفراغ في تعليمنا ومدارسنا وتحاول أن تعمره .

وعلى العموم يمكن القول ان الفشل الذي أصاب المبشرين والمستعمرين في ابان الاحتلال قد اصبح اليوم ينقلب الى بعض النجاح الذي لا ينبغي ان يبالغ في تقييمه ولكن يجب الحذر منه قبل فوات الاوان .

لقد تكلمت عن السياسة التعليمية التي لم تتغير كثيراً في مدارسنا ومعاهدنا وفي ضياع التعليم الاسلامي ولا سيما في روافد المعاهد الدينية .

وتكلمت عن بقاء الفرنسية لغة الادارة والتعليم والحياة العامة على الرغم من رغبة شعبناومن نصوص الدستور والقانون الاساسي للدولة اللذين تما برضا الملك.

وبقي أن اقول أن السياسة البربرية التي رمت الى احلال القانون الفرنسي أو المستمد منه محل الشريعة الاسلامية قد تحقق بارادتنا وباعمالنا ،فالدراسة القانونية سائرة على النهج الفرنسي والمحاكم في معظم فروع القضاء تمضي على القوانين المدنية والجنائية والتجارية والبحرية المستمدة من القانون اللاتيني في الغالب،ولم يبق للشريعة الا بعض الفروع كالاحوال الشخصية والعقار غير المحفظ والعقود الاهلية .

فهل بعد هذا يمكننا أن ندعي التحرر من الخطة التي وضعها الاستعمار والتبشير وتحالف عليه عملاء الصهيونية والشيوعية الملحدة .

وينبغي أن لا يفهم احد من كلامي محاولة النيل من عقيدة ما سواء كانت دينا سماوياً أو مذهبا وضعياً ، ولكن كل ما أريده هو ان هذه العقائد والمذاهب استغلها حكام وذووا مصالح لاحتلال بلادنا واستعمارنا والقضاء على مقدساتنا .

في اندونسيا

وهذه حملة التنصير في اندونيسيا ولم تكن حدثاً منعزلا مستقلا بل جزء من حركة أوسع ،هدفها النهائي تنصير العالم بأكمله . ولتحقيق هذا المشروع العالمي فقد أعطى بعض المفاهيم البريئة ، من مثل فكرة التسامح الديني تفسيراً جديداً يتفق

مع مخططات المبشرين وهذا الضرب من التفسير يستتبع بالضرورة الحاق الظلم بغير المسيحيين ، وبالمسلمين كما هي الحال في اندونيسيا ، وهكذا فاننا اذا أردنا أن نضع اصبعنا على اولئك المسؤولين فعلا عن التوتر وعن كل ما يعكر صفو العلاقات الدينية في اندونيسيا فان اللوم يجب ان يقع على المسيحيين والعالم المسيحي من ورائهم .

واذا كنا قد ذهبنا الى مكان قصي للتحدث عما يحويه من تبشير ، فليس ذلك الا مثالا مما يجري في كل مكان من البقعة الاسلامية .

ولقد قرات في كتاب (ما لم يقل عن دوجول) خبراً طريفاً نروي ملخصه هنا ذلك ان مؤلف هذا الكتاب يقول ان دوجول بعد الهزيمة الفرنسية حاول الانتحار وارسل يطلب الراهب الذي يعترف عادة لديه ، فقال له معللا ماعزم عليه :

ان اوروبا الغربية الان تنهار ازاء النازية ، ومعنى ذلك انهيار الحضارة النصرانية ، بصفة نهائية ان امريكا اختنا فى الدين وفى الحضارة وسوف تعمل ما تستطيعه لانقاذ الموقف شيئاً ما ولكن حضارتنا مع ذلك ستنتهى ، وهنالك في الصين شعب قوي نسميه تارة الخطر الاصفر ، ولكنني لا اعتقد انه يكون البديل الصحيح ، فالحضارة الصينية لاتبلغ درجة حضارتنا المسيحية ولكن الذي اخاف منه هو هذا الخط الذي يمتد من طنجة الى كراتشي ، ان الاسلام ذو حضارة وثقافة ، وهو جدير بأن يكون الوارث لنا ، فاذا تحالف مع الصين ، فانه لن يوجد احد يوقف المسلمين عند بواتيه !!

الفرصة المناسبة لاطروحات الامام امير المؤمنين ع.

١٣

الشيخ محمد علي التسخيري

- مما سبق
- غرس الهدفية والالتزام التقيل في قلب الحماس
- اساليب ذلك
- أ ـ الاقتناع
- الرفض لم يكن مطلقاً
- التذكير بذلك

مما سبق :

في مجال عرضنا لنماذج من الموقف السياسي لاهل البيت (ع) تحدثنا عن ضرورة الموقف الحازم الحدي للامام امير المؤمنين تجاه الزعامات المصلحية التي ارادت ان تنال من مكاسب الاسلام والاجهاض عليه بدافع مباشر من مصلحتها وقلنا بـأن الحماس الذي رافق توجه الامة نحوه لكي يمسك بازمة القيادة كان يشكل عنصراً

يقل وجوده لتحريك الامة ضد معاوية وأشباهه ، وازاحة كل العقبات التي تقف حائلا في سبيل انزال الاطروحة الاسلامية النقية من الانحرافات وبعث الأمة المسؤولة من جديد .

كما وقد اشرنا الى ان الامام عمل بكل تركيز على ان يعطي ذلك الحماس الروحي الشعلة التي تبقيه متأججاً لفترة أطول مهماامكن وحسب الطاقات والاستعدادات المتوفرة في الامة ، تلك الروح تمثلت في تطعيم عملية التأجيج بعنصرين مهمين هما

أ ـ ايضاح الاهداف العامة وازالة ماعلق بها من شوائب .

ب ـ خلق روح الالتزام المسبق بكل ماله دخـل في تحقيق تلك الاهـداف.

كل ذلك مع اعطاء النماذج الحياتية الحسية العالية للامة لكي تتجسـد لها المعاني فتنشد اليها بكل وجودها .

وا ربما كان من الواضح ان يقال ان اي حماس اجتماعي - بل أي عواطف اخرى ـ وحتى على صعيد فردي لايمكن ضمان بقائه الى فترة اطـول وعلى نفس المستوى من الادراك ـ ان كان حماساً مدركاً الا اذا امتلك القاعدة والمنبع الـذي يمـده بالحرارة كلما طرأت عوامـل الفتور والانحسار ويعيـن له مساره اما لاحت في مسيره بوارق الانحراف او الاستغلال .

وبدون ذلك فالحماس مؤقت سرعان مايزول فينقطع المدد في عز المعركة مع كل قوى الانحراف التي انتشرت هنا وهناك فخلقت وضعاً خطيراً وفتنة عمياء تحتاج الى كل ما يمكن من الاخلاص والوعي والادراك في القائد ، والى الكثير من التضحيات ووضوح الاهداف في الامة .

وهكذا كان الامر في القيادة اذ يقول امير المؤمنين بعد ذلك «ان معي لبصيرتي مالبست ولالبس علي (١)» .

يقول الدكتور طه حسين متحدثاً عن الموقف آنذاك :

«ونظر الخليفة الجديد ، ونظر أصحابه معه فاذا هم يواجهون اموراً عظاماً وقد

---

(١) نهج البلاغة ص ١٩٤ .

احاطت بهم فتنة مشبهة معماة اذا اخرج الرجل فيها يده لم يكد يراها .

امام هذه الامور العظام ، وفي قلب هذه الفتنة المظلمة الغابطة وجد علي نفسه كأحسن مايجد الرجل نفسه .

صدق ايمان بالله ونصحاً للدين وقياماً بالحق واستقامة على الطريق المستقيمة لاينحرف ولا يميل ولا يدهن من أمر الاسلام في قليل ولا كثير وانما يرى الحق فيمضي اليه لايلوي على شيء ولا يحفل بالعاقبة ، ولا يعنيه ان يجد في آخر طريقه نجحاً أو اخفاقاً ، ولا أن يجد في آخر طريقه حياة او موتاً ، وانما يعنيه كل العناية ان يجد اثناء طريقه وفي آخرها رضى ضميره ورضى الله ، (١) .

هكذا كان القائد ... فيجب ان تكون الأمة اقرب الى روح ذلك القائد .

غرس الهدفية والالتزام المتبلى في قلب الحماس :

ولقد قام الامام (ع) ببعض الاساليب الرائعة لغرس المعنيين الانفين في قلب الحماس الموقت ليضمن دوام ذلك الحماس واتخاذه مسرى طبيعياً متلائماً مع الاسلام وسائراً جنباً الى جنب مع خطوات الامام الاصلاحية الكبرى والتي تتطلب التضحيات الشديدة . . ولم يكن من المتوقع ان تتحمل الأمة كل ثقل تلك الخطوات لولا تلك الفورة . . فاستغلها الامام (ع) اروع استغلال لاخذ العهد والالتزام بعد توضيح الهدف الذي يجب ان تسعى اليه . . وازالة ماربما عرض في اذهان البعض من ان مراكزهم وسوابقهم مثلا تنفع لهم وتعوض عن الكفاءة المطلوبة في تولي اي مركز معين في دولة الاسلام الفريدة .

اما تلك الاساليب التي اتبعها الامام (ع) في مجال غرس الهدفية والالتزام والاحتفاظ بالتأجج القائم فيمكن أن نذكر منها مايلي :

أ ـ الامتناع :

لاريب في ان الامام امتنع بادىء الامر عن قبول الخلافة ، وقد كانت صدمة للجميع ان يرفض الامام تولي القيادة وهو الذي كان زينتها وخير من هو اهل لها

---

(١) علي وبنوه للدكتور طه حسين ص ١٦ .

... ولكنه كان على حق تماماً في ذلك .. وكان ذلك ينسجم تماماً مع المهمة التي اراده الله لها .. فلقد رمى امير المؤمنين من خلال ذلك الرفض لان يشعر الامة التي هزتها تلك الثورة ان القيادة والخلافة ليست بالامر الهين البسيط الذي يمكن ان تفرضه عاطفة او تأجج مؤقت انها مسألة حياتية عظمى في حد نفسها فكيف والمراد هو الانضواء تحت لواء وارث اخلاص الانبياء وبعد نظرهم (ع) والقائم على تنفيذ اطروحة الاسلام بدقة تامة - وفي ظروف ملأى بالكثير من التناقضات والانحرافات ولقد كان لذلك الامتناع الجريء الواعي أثره العميق في تشديد حماس ابناء الامة وشدة تعلقهم بقيادته في نفس الوقت الذي دفعهم لان يتصوروا على الاجمال انهم مقبلون على مرحلة عمل صعب شاق للاسلام لان ينبعث في نفوسهم الشوق نحو العدالة الاسلامية في ظل ذلك العمل فيفوزوا بخير الدنيا وخير الآخرة .

وتكررت المحاولات وامتنع الامام (ع) . . وشعر الناس بالخطر العظيم لو لم يقبل امير المؤمنين البيعة، يقول ابن قتيبة (فأبى - يعني الامام - ان يبايعهم فانصرفوا عنه، وكلم بعضهم بعضاً فقالوا : يمضي قتل عثمان في الافاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون انه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية، فلا نأمن ان يكون في ذلك الفساد فارجعوا الى علي ، فلا تتركوه حتى يبايع» (١) .

ولا يمكن ان يكون هذا معبراً عن الدوافع الرئيسة للرجوع مرة ثانية ولكنه يعبر عن بعضها . . . اذ ان الكثيرين كانوا يطمحون للوصول الى عدل الامام وخير دولته فكان امتناع الامام سبباً في تشدد الامر عليهم ولذا كان شعار البيعة «لا يصلح لها الا علي» (٢) .

. . . وقام الناس بتوسيط الاقربين من علي (ع) من اصحابه - ليؤكدوا عليه كي يقبـل .

---

(١) الامامة والسياسة ، لابن قتيبه ص ٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٧ .

الرفض لم يكن مطلقاً :

واتخذ الرفض شكلا معيناً فلم يكن رفضاً مطلقاً وانما هو رفض مشروط . . ثم يتجدد النظر اذا انتفت تلك الحالة ، اي حالة اللامبالاة بالحق ، وعدم الشعور بالمسؤولية اينما كانت تبعتها وبأي قطاع تعلقت من الامة او قطعة من الارض الاسلامية، حالة عدم الاقدام على التضحيات في سبيل الرسالة الا اذا ضربت المصالح المباشرة، حالة عدم الالتزام بكل الامور التي يحتاجها القائد لاجل ان ينشر العدل الاسلامي وينفي الشوائب الاجتماعية .

انه خلال الامتناع كان يؤكد :

«دعوني والتمسوا غيري ، فانا مستقبلون أمراً له وجوه والوان لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول ، وان الافاق قد اغامت ، والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب ، وان تركتموني فانا كأحدكم» (١) .

«واذن فقد كان علي (ع) يدرك ، نتيجة لوعيه العميق الظروف الاجتماعية والنفسية التي كانت تجتاح المجتمع الاسلامي في ذلك الحين وان المد الثوري الذي انتهى بالامور الى ما انتهت اليه بالنسبة الى عثمان يقتضي عملا ثورياً يتناول دعائم المجتمع الاسلامي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولما كانت البيعة عقداً حقيقياً يستتبع مسؤوليات وواجبات وحقوقاً لكل من الراعي والراعية ، لذلك امتنع من الاستجابة الفورية لضغط الجماهير والصحابة عليه بشأن قبول بيعتهم له بالخلافة ، فقد اراد ان يضعهم امام اختيار يكشف به مدى استعدادهم لتحمل اسلوب الثورة فى العمل لئلا يروا فيما بعد انهم استغفلوا، واستغل اندفاعهم الثورى حين يكتشفون صعوبة الشروط التي يجب ان يناضلوا الفساد الذي ثاروا عليه في ظلها» (٢) .

. . وفكر الناس والزعماء في قلب ذلك الحماس فلم يجدوا بدأ من الامام الا

(١) نهج البلاغة ص ١٣٦ .

(٢) ثورة الحسين لسماحة الشيخ محمدمهدى شمس الدين : ص ٣٧ .

نداء الفطرة ونداء الاسلام ورسوله العظيم متجسداً في ندائه (ع) . . فلابد اذن من القبول بل ان تلك الشروط هي التي كانوا يبغونها بالاجمال وقد فصلها امير المؤمنين وبث فيهم الوعي لها . . فليندفعوا مرات وليوسطوا اكابر اصحابه . . ومنهم الاشتر النخعي . والح اصحاب الامام بطلب من الامة عليه فقبل (ع) «وأخذ الاشتر بيده فبايعه وبايعه الناس واهل الكوفة يقولون : اول من بايعه الأشتر النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول : «لايصلح لها الا علي فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالامس وكان اول من بايعه طلحة . . . ثم الزبير» (١) .

التذكير بذلك :

ان البيعة العامة التي تمت بهذا الاسلوب أكدت لنا عظم المسؤولية التي كان الامام يريد ان تحملها الامة ، كما أكدت لنا ان الامة كانت قد استوعبت نوعاً ما تلك المهمة وفكرت خلال فرصة الامتناع طويلا فلم تجد بدأ من القبول بالحمل الثقيل ان هي ارادت لنفسها البقاء كأمة تعمل على حمل الاسلام للعالم.

فالامتناع اذن شكل بالاضافة الى التأجيج المطلوب فرصة التفكير وشهادة حية على سلامة البيعة ونزاهتها .

ومن هنا رأينا الامام (ع) يذكر الامة بها وباسلوبها كلما خبت فيها جذوة او حارت لها عزيمة في موطن من المواطن ليستطيع ان يثير فيها الحماس من جديد ويشعل فيها الجذوة .

فهو يقول في خطبته المعروفة بالشقشقية :

«فما راعني الا والناس كعرف الضبع الي ، ينثالون علي من كل جانب ، حتى لقد وطيء الحسنان وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم.

فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى ، وقسط آخرون : كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول :

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٢٢٧ .

[تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً، والعاقبة للمتقين» بلى ! والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها .

اما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لالقيت حبلها على غاربها وسقيت آخرها بكأس اولها ولا لفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز (١) » .

فهو(ع) يحاسب اولئك قبل كل شيء لتخلفهم عن مثل تلك البيعة بعد وضوح الرؤية ووعي مضمون الاية الكريمة ـ ومن ثم يذكر باروع اسلوب بهدفه الواضح ولولاه لما كانت الدنيا تعني لديه شيئاً .

وفي مناسبة اخرى يخاطبهم (ع) بعد ان رأى فيهم تلكؤاً فيقول :

«لم تكن بيعتكم اياي فلتة ، وليس امري وامركم واحداً اني اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم .

ايها الناس اعينوني ، وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه . ولاقودن الظالم بخزامته ، حتى اورده منهل الحق وان كان كارهاً» (٢) .

اذن فالبيعة التامة الواعية تتطلب منهم ان يعينوه (ع) في تنفيذ خططه الكبرى وتركيز العدالة الاجتماعية الاسلامية وتقليم كل انماط الشذوذ في المجتمع .

كما ان ذلك الاسلوب من البيعة المدركة كان مورداً لاحتجاجه(ع) على طلحة والزبير الذين نكثاها بعد ذلك فيقول (ع) :

«فأقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل (٣) على اولادها تقولون البيعة البيعة ! قبضت

---

(١) نهج البلاغة ـ فهارس الصالح ص ٥٠ .

(٢) نفس المصدر ص ١٩٤ .

(٣) العوذ : بضم العين جمع عائذة وهى الحديثة النتاج من الظباء والابل او كل انثى، والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وكسر الفاء ـ ذات الطفل من الانس والوحش .

كفى فبسطتموها ، ونازعتكم يدي فجاذبتموها ، اللهم انهما قطعاني » (١).

ويقول ايضاً بهذا الصدد :

«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها، وحملتموني عليها (٢)» .

ان ذلك التذكير القوي كان يستمد التأثير من صدقه وكشفه الحقيقي عن الواقع التاريخي الذي يتذكره اولئك تماماً.

كما انه كان يستمده من سلوك الامام السابق على البيعة واللاحق لها ، ذلك السلوك الزاهد عن زخارف الدنيا وملذاتها والمتحرر من كل قيودها في سبيل تنفيذ المهمة الشاقة وايجاد التوازن الاجتماعي الذي عمل الاسلام على ان يسود كل القطاعات الاجتماعية .

ان هذا المدد كان يؤثر اثره البالغ في منح ذلك التذكير التأثير القوي عندما تمر الأمة في لحظات الاستسلام للتقاعس او التشكيك في واقع المعركة بفعل عوامل عديدة ستأتي الاشارة اليها ان شاء الله .

ومن هنا فقد رأينا الاستجابة السريعة في مواطن كثيرة لهذا التحريك والتذكير مما يشعر بعودة روح الحماس المطلوبة .

---

(١) نهج البلاغة ص ١٩٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٢ .

الربا في مذهب أهل البيت ✱

الشيخ حسين شحادة

تفاعل سماحة الشيخ المؤلف في هذا الكتاب مع مآسي الجنوبيين في لبنان وآلامهم . . . يداوي جراحهم ويواسيهم ويدعوهم للاخذ بسبل الحضارة والثقافة . . . من أجل مستقبل زاهر افضل . . .

وها نحن نراه يصرح في مقدمة الكتاب بأن من دواعي اختياره لهذا الموضوع بالذات الضغط الاقتصادي المستحكم في جنوب لبنان . . وانين المزارعين . . . وتأوهات ارباب الدخل الصغير . . . حيث ان الضغط الشرس نتيجة حتمية لامر واحد . . هو الربا .

فالكتاب هدية متواضعة للجنوبيين بنحو خاص ولكل الفقراء والمساكين لانهم هم الذين يمتص الربا بقية الحياة من عروقهم .

بين يدى الكتاب

يبدأ استاذنا بحثه العلمي التوجيهي . . . بطرح عدة اسئلة امام القارىء ليغرس في نفسه حب المعرفة والنهضة المشتاقة للاطلاع على الجواب

✱ . . . لمؤلفه الحجة الشيخ محمد تقى آل الفقيه طبع فى ١٥ - ٣-١٩٦٧ م .

وهو اسلوب اهم مافيه انه يأخذ بيد القاريء النبيه ومن حيث لا يشعر الى مايريد ان يصل اليه من نتائج ومفاهيم .

ترى . . لماذا يحرم الأسلام الربا ؟

وماهي الحكمة في تحريم كثيره وقليله ؟

وماهي الحكمة في تحريمه على المقترض والمقرض والكاتب والشاهدين ؟ ماهي الحكمة في الترخيص به بين الوالد وولده وبين المرأة وزوجها وبين السيد ومولاه وبين المسلم وعدوه الحربي يأخذ منه ولا يعطيه ؟ ؟

وما هي الحكمة في تحريم بيع المكيل والموزون بمثلهما متفاضلين او نسيئة وماهي الحكمة فيجوازاقراضهما واقتراضهما بمثلهما مع انه يتحد مع بيع احدهما بمثله نسيئة ؟

بعد هذه التساؤلات المحيطة بجوانب مشكلة الربا . . .تأتي الدراسة العميقة الشاملة لتصور للقاريء خطر هذه الافة على الانسان وعلى الامة فى اقتصادها وسياستها واجتماعها وتقدم الحلول الناجعة التي تبني الهرم الانساني على اساس من المحبة والتعاون والاخاء .. بعيداً عن اجواء التناحر والتكالب على متاع الحياة .

فالاسلام يبدأ بتربية مشاعر الانسان في داخله لان مفاهيمه وافكاره هي التي تحدد طبيعة علاقاته مع الاخرين ... فكلما كان شعوره سامياً كانت علاقاته نقية طاهرة لايشوبها نفاق او رياء . . .

ثم يتابع الاسلام خطواته ليرسم لنا أصلح الاسس الاقتصادية لنعيش تحت ظلها في رخاء وحب وسلام . دون ان تتسرب سموم الربا الى كياننا فيعوي الوحش ويستفض الحيوان .

وهكذا نجد ان استاذنا قد سار بنا الى ساحة الاسلام وحظيرة الايمان ليقول كلمته ان ها هنا مبدأ يتألم لآلامكم...ويفرح لافراحكم وامنيته ان تعيشوا فى كنفه سعداء

وتستمر حلقات الحديث لتحدثنا عن اثر الربا في مجالات الاقتصاد والسياسة والاخلاق وعن مساوىء الربا من بدء تكوينه وانتشاره ...

فالربا يبدأ بجعل شطر من كدح الفلاح والعامل والموظف للمرابي وينتهي ببقاء الفقير فقيراً الى آخر الدهر . . وبتذويب رؤوس الأموال الصغيرة الى ان يزرع الحقد في النفوس .. ويبعث الأثرياء على التمادي في البطالة والترف وتحدي الفقراء .. ثم يشل حركة الانتاج الطبيعي ويعقب ذلك شيوع الفقر والبطالة واهمال الثروات الطبيعية . . وحينئذ يتضاءل دخل الدولة وتنهار السلطة ويتردى المجتمع بعد ذلك كله الى مهاوي القلق والتسيب والفوضى والارتباك .

مشكلة التبغ في لبنان الجنوبي :

تعتبر زراعة التبغ في لبنان الجنوبي من اهم الموارد الاقتصادية . . فان القرية الواحدة من قرى الجنوب قد تبيع من التبغ بمعدل يقرب من نصف مليون ليرة سنوياً ومع ذلك لايزالون متخلفين اقتصادياً الى حد بعيد . !

ولا يزالون يعملون طيلة السنة بمعدل اثنتي عشرة ساعة في اليوم والليلة لانهم قد يقضون في عمل التبـغ في بعض الفصول نحواً من ثمانية عشر ساعة في اليوم والليلة فما هو السبب في تأخرهم الاقتصادي اذن مع وفرة هذا الدخل من التبغ؟ وما هو السبب في طول هذا الكدح والجهد والعناء .. ؟

ويجيب المؤلف عن هذين السؤالين .. بان الحقيقة المرة التي اصبحت قدراً اسود على جبين الانسان الجنوبي ... هو الاهمال ..واللامبالاة والتمييز الاعمى بين شجرة الارز على جبل ضنين في الشمال وبين زهرة الليمون على ساحل بحر الجنوب والمأساة الكبرى من ذلك تكمن في ان الشطر الوافر من دخل الجنوبيين ليس لهم بل انه يعود من حيث اتى ... من المصارف والبنوك .

فالفلاح عندنا مدين دوماً لهما ولسائر المرابين باكثر من وارده ومن اجل ذلك تتصاعد ديونه سنوياً ...ويتصاعد الربا تبعاً لها وبهذه الواسطة ينقص من دخل التربة نحواً من تسعين الفاً من اصل خمسمائة الف كما يقدره الخبراء . .

والسبب من وراء تضخم هذا الاستلاف ان الفلاح يستلف بدواً لاصلاح ارضه بالنقب والتسميد اولشراء الرخصة الممنوحة للمزارعين او استيجارها منهم اولدفع

اجور العمال او لشراء الالات الزراعية او لتجديد بناء كوخه البالي العتيق . .

والبنك يعطيهم بسخاء بعدما يسترهن الارض والرخصة ... يعطيهم لانه واثق بقدرته على الاستيفاء .. لانه هو الذي يقبض ثمن الدخان عند تسليمه للشركة اما الفلاح البائس فيقف امام تلك العملية كمن يقف امام فلذة كبده المذبوح ...فليس له في ماله ادنى حق ... والقانون هو القانون ...

ولعل القارىء العزيز يتسائل اي ذنب للسلطة واي جرم للمرابين مادام الفلاح يستلف بكامل حريته واختياره ؟؟

والواقع ان هذا الفلاح العاجز المسكين .. مثله .. مثل الطفل تسلمه السلاح وهو لايدرك اي معنى للجريمة فاذا جنى على نفسه او على الاخرين لحقت جنايته من سلمه السلاح .

والسلطة والمصارف والبنوك وسائر المرابين الذين يفتحون باب الاستلاف والاستهلاك لهؤلاء المساكين ويسهلون لهم الطريق ... هم المسؤولون لانهم هم الذين فتحوا ابوابها وسلموا السلاح بيد الطفل الغر الجهول .ويتأوه الفلاح ... وهو يقول: اننا نسمع الحكومة تبذل لنا في اول السنة الجديدة الجرافات والنقابات .. ولاتتقاضى منه الا ثمن المحروقات ... فاذا انتهى العام الاول كان مابعده مثله . . . اننا نسمع بهذا ولا نرى منه قليلا ولا كثيرا .

ونسمع ان الدولة تبذل الشتل للفلاح المعوز مجانااو بقيمة رمزية .. وهو حق ولكن مايصله من المشاتل لايسد من حاجته واحداً بالمائة وينفق في سبيله اكثر من من ثمنه من تعطيل وقته الثمين ومن اجور الذهاب والاياب المتكرر حيناً بعد حين غير ان الفلاح يجري ويجري .. ولا يعقل حساب الارقام .

وهؤلاء هم الفلاحون بين يديك فاستنطقهم اذا شئت .

فمتى يفكر المفكرون في اصلاح الجنوب ؟

فمتى يهتمون في انعاش الفلاح ؟

ومتى يرصد المحسنون شطراً من رؤوس اموالهم ويجعلونها في مصارف زراع

تقرض الفلاح قرضا مجانياً .

ومتى تتعهد الحكومة برعاية مثل هذه المصارف: تتبرع برواتب العاملين فيها وتعين لجنة مخلصة لمراقبة صرف الفلاح فتكون بذلك في طليعة المساهمين؟ متى ومتى؟

السؤالات كثيرة ... فهل تسمع الدولة ... وهل تجيب ؟ املنا ذاك .

وبعد هذا النداء المخلص تجد الكاتب الفقيه يفرد بحثاً يصور مشكلة الربا في حقول التجارة وبحثاً آخر في حقول المعامل والاعمال . . . ثم يلتفت الى الكادحين ذوي الدخل الصغير فيعرض لهم اثر الربا السلبي في اقتصادياتهم وتطوير اخلاقهم لما يخلقه في نفوسهم من حقد وحسد فيستهترون بالقانون وتمتد ايديهم للتعدي على حقوق الآخرين فينقمون على مجتمعهم المسعور ويثورون في وجه كل حاكم.

ثم يقدم لنا الفلسفة العميقة من وراء تحريم الربا القليل فى الأسلام وفي فصل آخر يعرض علينا مشكلة التأميم وخطورتها على الفرد والأمة وكيف تمتص طاقات الانسان وقدراته الى ان تشله عن العمل وربما عن التفكير وهذه المشكلة ترتبط بموضوعنا من جهة ان الفقر يعيش في المناطق التي يعيش فيها الربا وان الحقد والاستفزاز يعيشان في المناطق التي يعيش فيها الحقد والأستفزاز فمتى يعالج علماء الاقتصاد مشكلة الربا بالنظر اليها من زاويتين لامن زاوية واحدة فانهم اذا لاحظوا نفسيات الناس ومدى تفكيرهم واتجاهاتهم في الصرف والأستهلاك فانهم سوف يرون امامهم صور الربا كابشع ماتكون واذا لاحظوا الانظمة الاسلامية بدقة وامعان ونزاهة واخلاص وجدوا فيها حلولا واسعة النطاق ووجدوا فيها منطلقاً واسعاً لخير الفرد ولخير الجماعات ولخير الدولة .

فمتى يكون ذلك ..؟

الاسرائيليات في التراث الاسلامي

الشيخ ابراهيم الانصاري

حول

قصة آدم «ع»

١ ـ اعتراض الملائكة على الله تعالى .

٢ ـ مبدأ خلقة آدم .

٣ ـ قصة هاروت وماروت .

٤ ـ مايرجع الى ما بعد هبوط آدم من الخرافات .

قد ذكرنا في السابق ما هوالمهم من الاسرائيليات في قصة آدم وهو ما روى من الروايات التي تقتضي عقيدة التجسيم في حقه تعالى ؛ او تنافي عصمة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين واثبتنا ان كل رواياته كانت متضمنة لشيء مما ذكر فيجب تأويلها او ردها وان اكثرها مأخوذ من اليهود .

بقيت هنا مسائل جزئية مما يتعلق بقصة آدم ذكر بعض العلماء انها من الاسرائيليات واستشهدوا لدعواهم ببعض الشواهد .

ونحن نذكرها ونشير الى ما هو الصحيح عندنا اما اثباتاً او نفياً ونذكر المسائل على حسب الترتيب الطبيعي الذي كان لها في مرحلة الوقوع وهي :

١ ـ اعتراض الملائكة على الله تعالى :

روى الطبري بسنده عن الحسن البصري وقتاده فى ضمن حديث في تفسير قوله تعالى «واذ قال ربك للملائكة . . . » ما هذا لفظه :فلماأخذفي خلق آدم،همست الملائكة فيما بينها ، فقالوا : ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقاً الا كنا اعلم منه ، واكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه ، امرهم ان يسجدوا له ، لما قالوا ،ففضله عليهم ، فعلموا انهم ليسوا بخير منه ، فقالوا ان لم نكن خيراً منه فنحن اعلم منه ، لانا كنا قبله ، وخلقت الامم قبله . فلما اعجبوا بعلمهم ابتلوا . . .» (١)

حاصل مفاد الرواية ان الملائكة همست فيما بينها حتى لا يسمع الله كلامها، واعترضت على الله تعالى في خلق آدم ، وارادت الاستعلاء والتكبر بالنسبة الى آدم، وغير ذلك مما يظهر منها ومن امثالها من الروايات الاسرائيلية ، التي تقتضي صدور الذنب من الملائكة ونفي العصمة عنهم .

وقد استند بعض الحشوية الى هذه الروايات فانكروا عصمة الملائكة وفسروا الاية بهذه الروايات على طبق عقيدتهم وهي صدور الذنب من الملائكة من وجوه :

احدها: قولهم: «اتجعل فيها» . هذا اعتراض على الله تعالى وذلك من اعظم الذنوب ،وثانيها : انهم طعنوا في بني آدم بالفساد والقتل وذلك غيبة والغيبة من الكبائر ،وثالثها : انهم مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك..الخ ،وهذا يشبه العجب وقدقال (ص) ثلاث مهلكات وذكر منها اعجاب المرء بنفسه وقال تعالى(فلا تزكوا انفسكم)،ورابعها : انهم انما قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء عن طريق الاستنباط والظن ، والقدح في الغير على سبيل الظن غير جائز ، الى غير ذلك مما ذكروه (٢) .

والاية الكريمة بنفسها ليست صريحة فيما يقتضي صدور الذنب من الملائكة او ينافي عصمتهم ، لولا هذه الروايات الاسرائيلية وحيث ان الامة باسرها اجمعت

(١) تفسير الطبرى ج١ص٢٠٦. الدر المنثور ج١ ص ٤٩.

(٢) تفسير الفخر الرازى المجلد ١ ص ١٦٧ .

على عصمة الملائكة من الذنوب،فلا يضر مخالفة بعض اصحاب الحديث من الحشوية

وكفانا في عصمة الملائكة قوله تعالى في حقهم : «لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون» وقوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وقوله تعالى:(بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون)وتفصيل البحث في محله .

وقد وردت روايات صحيحة ان الله تعالى اعلمهم انه يكون من ذرية آدم من يفسد في الارض ويسفك الدماء فقالوا على وجه السؤال لا الاعتراض : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ وبهذا البيان تسقط جميع شبهات الحشوية في هذه الاية.

٢ ـ مبدأ خلقة آدم :

ذكر في دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة كلمة «آدم» هذه العبارة: وتذكر القصص الاسلامية ان الله امر جبرئيل وميكائيل واسرافيل ان يأخذ كل منهم سبع قبضات من تراب الارضين السبع ، فاستعاذت الارض بالله ، فبعث الله عزرائيل فانتزع من وجه الارض مايكفي من التراب لخلق الانسان .

وقد اخذت هذه القصة مع بعض التعديل من القصص اليهودية انظر الترج الاورشليمية للعهد القديم سفر التكوين فصل ٢ الفقرة٧ التلمود البابلي كتاب سنهدر ص ٣٨ فصول الحبر اليعزر فصل ١١» (١)

ومراده من القصص الاسلامية عدة من الروايات الواردة في كتب التفس والتاريخ نذكر منها رواية واحدة وهي :

ما رواه ابو جعفر الطبري بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس اصحاب النبي (ص) انهم قالوا : ان الله بعث جبرئيل الى الارض ليأتيه بطين فقالت الارض: اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني شيئاً او تشينني ،فرجع ولم يأ وقال رب انها اعاذت بك فاعذتها . فبعث الله ميكائيل ، فعاذت منه فأعاذها ، ف ولم يأخذ ، فقال كما قال جبرئيل ، فبعث ملك الموت ، فعاذت منه، فقال وا

(١) [illegible] الاسلامية المجلد ١ كلمة آدم .

بالله ان ارجع ولم انفذ امره ، فأخذ من وجه الارض وخلط ، فلم يأخذ من مكان واحد ، واخذ من تربة بيضاء وسوداء وحمراء فلذلك خرج بنوا آدم مختلفين..)(١)

اقول : قد اشرنا سابقاً ان القرآن جاء مصدقاً للتوراة والانجيل فلا يكون وجود الرواية فيهما دليلا على انه لا حقيقة له فان وجوده فيهما مع ثبوته في ديننا اما عن طريق الكتاب أو السنة الصحيحة دليل على انه بقي من التوراة الاصلية وليس من اضافات المحرفين ، نعم لو دل دليل من الكتاب والسنة والعقل على كذب الرواية فحينئذ نحكم بكونها من الاسرائيليات اذا وجدت في كتبهم او رويت عن طريقهم.

والرواية المبحوث عنها تشتمل على امرين : احدهما ما نسب الى جبرئيل وميكائيل من ترك امتثال امر الله تعالى لاجل استعاذة الارض بالله ، وهذا مالا يليق بشأن من له ادنى بصيرة في دينه ان يترك الامر الصريح من الله تعالى لاجل استعاذة الارض . كما اذا قال لنا أحد : اني اعوذ بالله منك ان تصلي في هذا اليوم .

والجواب ان رجوع جبرئيل وميكائيل ان كان بقصد ترك ما امر به فهذا كذب قطعاً ، وان كان بقصد السؤال عن تغيير حكمه تعالى وعدمه بسبب استعاذة الارض بالله فهذا لا محذور فيه ، خصوصاً مع عدم ظهور الرواية في كون امره تعالى فورياً.

ولكن هذا التأويل انما يلزمنا لو كان ما اشتمل على هذه القصة من الروايات قطعية الصدور والامر بخلاف ذلك اذ لم يرد هذا المطلب الا في بعض الروايات الضعيفة على ما رأينا والله العالم .

الامر الثاني : اخذ تربة آدم من جميع الارض من تربة حمراء و بيضاء و سوداء وظهور اثره في بني آدم ، وهذا لا استبعاد فيه لمن كان له ادنى بصيرة في كيفية تأثير مبدأ تكون كل شيء في خواصه وآثاره ، بل الاستبعاد انما هو في اختلاف الالوان والآثار مع وحدة مبدء التكون واصل الخلقة .

وهذا المطلب ورد مستقلا في روايات عن رسول الله (ص) وعن امير المؤمنين، والامام جعفر الصادق عليهم السلام وليس فيها قصة رجوع جبرئيل وميكائيل واستعاذة

---

(١) تفسير الطبرى ج١ ص ٢٠٣ ،الدر المنثور ج ١ ص ٤٧ ، بحار الانوار ج ١٦ طبع الاخوندى .

الارض موجودة ، والحاصل ان ما افاده مؤلفو دائرة المعارف الأسلامية من الحكم بأخذ القصتين من اليهود غير صحيح .

ووافقه عليه الدكتور رمزي نعناعة في كتابه «الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير» فقال بعد نقل القصة «فهذه القصة وما قبلها من الأسرائيليات الغريبة» وقد ذكرنا ان الغرابة لا تكون دليلا على انها من الاسرائيليات مضافاً الى انه لاغرابة فيها اصلا

٣ ـ قصة هاروت وماروت :

روى السيوطي في تفسيره عن مسند الامام احمد و عبد بن حميد وابن ابي الدنيا في العقوبات وابن حيان في صحيحه والبيهقي في كتاب شعب الايمان باسنادهم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله (ص) يقول : ان آدم لما اهبطه الله الى الارض قالت الملائكة أي رب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني آدم قال الله للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فننظر كيف يعملان فقالو: ربنا هاروت وماروت قال فاهبطا الى الارض ، فمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالا لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا لا والله لانشرك بالله ابداً فذهبت عنهما ثم رجعت عنهما بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي قالا لا والله لانقتله أبداً فذهبت ثم رجعت بقدح من خمر فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما افاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئاً ابيتماه علي الا اتيتماه حين سكرتما فمسخ الله الزهرة كوكباً . .» (١) .

وقد رووا عن رسول الله (ص) انه اذا رأى سهيلا قال : لعن الله سهيلا كان عشاراً باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين» (٢) .

والرواية وان كانت مكذوبة على ابن عمر ولكن العجب

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٤٦ .

(٢) الاسرائيليات ص ٢٥٧ نقلا عن تفسير الثعلبي .

من انه كيف نقلها هؤلاء المحدثون وكيف خفيت عليهم شواهد الكذب في هذه القصة مع ظهورها وحكم العقل القطعي باستحالتها ، وما معنى مسخ المرأة الزانية بجعلها انور الكواكب السماوية !

٤ ـ ذكر صاحب دائرة المعارف الاسلامية ايضاً ما نصه : «ويشير المسعودي الى ان جسم آدم بقي ثمانين عاماً غير مصور ثم صوره وتركه بلا روح مائة وعشرين سنة انظر مجموعة بوشيت رباسفر التكوين فصل ١٢ الفقرة ٧» (١) .

وهذا ايضاً مثل ما مر في «قصة اخذ تراب احمر وابيض واسود» في عدم دلالة وجوده في كتب اليهود على بطلانه ولا على كونه مأخوذاً منهم ، نعم الاختلاف الشديد بين هذه الروايات في تعيين مدة تكون جسد آدم وتصويره وعدم وجود دليل قاطع من كتاب او سنة قطعية عليه ربما يورث الشك فيه والله اعلم .

٥ ـ ما يرجع الى مابعد هبوط آدم من الخرافات .

ويذكر مؤلفو «دائرة المعارف الاسلامية» (ان آدم لما اخرج من الجنة نزل في جزيرة سرانديب سيلان وعاش فيها مائتي سنة بعيداً عن زوجه يكفر عن ذنبه ـ البقرة ٣٦ ـ التلمود البابلي سفر عروبين ١٨ ب» (٢) .

اقول : اما آية ٣٦ من سورة البقرة فهي قوله تعالى «فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» والاية الكريمة لادلالة فيها على ان آدم نزل باي بقعة من بقاع الارض اهي سرانديب ام غيرها ، ولا على بقائه فيها مائتي سنة ، ولا على كونه بعيداً عن زوجه بل انما تدل على الخروج من الجنة والهبوط الى الارض .

واما الروايات في ذلك فقد وردت عن غير المعصوم او بطريق غير معتبر عن المعصوم واما أصح الروايات فهو ما دل على ان آدم انزل

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ كلمة آدم .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ كلمة آدم .

على الصفا وحواء على المروة وكيف كان فلا فائدة من البحث فيه .

٦ ـ روي في كتاب «الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير» عن تفسير الثعلبي انه «لما فقد آدم ماكان يسمع من اصوات الملائكة استوحش وشكا ذلك الى الله تعالى فانزل الله بيتاً ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة فوضعت على موضع البيت الآن. . . وانزل عليه الحجر الاسود ليمسح به دموعه وكان ابيض فلما لمسه الحيّض في الجاهلية اسود»(١)

وقد علق الشيخ محمد عبده على هذه الرواية ساخراً: (لو كان اولئك القصاص يعرفون حجر الماس لقالوا ان الحجر الاسود منه، لانه ابهج الجواهر منظراً واكثرها بهاء) الى ان قال «فشرف هذا البيت انما هو بتسمية الله تعالى اياه بيته وجعله موضعاً لضروب من عباداته لا تكون في غيره لا بكون احجاره تفضل سائر الاحجار . .» (٢)

وقد افرط صاحب المنار وشيخه فجعلوا الرواية عن قدم البيت وحج آدم والانبياء اليه ايضاً من الاسرائيليات . وهذا مضافاً الى انه لا محذور فيه عقلا ولا شرعاً ليس امراً مستبعداً ايضاً ، وورد في روايات متواترة او مستفيضة وفيها الصحاح والحسان فلا وجه لاستبعاد الشيخين لذلك .

بقي هناك بعض الجزئيات التي نقلت عن اليهود او عمن كان يأخذ عنهم مما لا يحتاج الى البحث الدقيق ننقلها بلا تعقيب اذ الأمر فيها واضح وهي هذه :

٧ ـ ان آدم لما اهبط كان رأسه في السماء ورجلاه في الارض وكان يسمع صوت الملائكة ويجد ريح الجنة ، وكان رأسه يحاك السماء ، حتى صلع واورث اولاده الصلع ، ونفرت من طوله دواب الارض ، فصارت وحوشاً ، فهابته الملائكة واشتكت نفسه وتأذى هو بحر الشمس واشتكى الى الله ، وشكت الارض الى الله تعالى ثقل آدم فوضع الجبار يده على رأسه فانحط سبعون ذراعاً (٣) ! ! !

---

(١) الاسرائيليات ص ٢٥٥ .

(٢) الاسرائيليات ص ٢٥٦ .

(٣) تفسير الطبرى ص ٥ فما بعدها والسيوطي ج ١ ص ٥٥ الى ٥٧ .

٨ ـ ان اول شيء اكله آدم الكمثرى وانه لما اراد ان يتغوط اخذه من ذلك كما يأخذ المرأة عند الولاده فذهب شرقاً وغرباً لا يدري كيف يصنع حتى نزل اليه جبرئيل فاقعى له فاقعى آدم فخرج ذلك منه ، فلما وجد ريحه مكث يبكي سبعين سنة. وفي رواية الحسن البصري ان الله تعالى اوصى اليه ان قعد ولما قضى حاجته ووجد الريح جزع وبكى وعض على اصبعه الف سنة لايرفع رأسه الى السماء» (١) والعجيب ان عمر آدم كله لا يبلغ الف سنة بل ينقص مقدار اربعين سنة كما تؤكده الروايات!!

٣ ـ وانه اهبط مع آدم ثلاث اشياء : السندان والكلبتان والمطرقة (٢) .

٩ ـ لما أهبط آدم بكى حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن ، وانه لم ترق دموعه من حين خرج من الجنة حتى رجع اليها (٣) .

١٠ ـ روى الامام احمد في تفسيره قوله تعالى «فلما اتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما» عن البصري عن سمرة عن النبي (ص) قال(لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لايعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فانه يعيش ، فسمته عبد الحارث ـ يعني عبد الشيطان ـ فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره)(٤).

٦ ـ وعن تفسير البغوي عن كعب الاحبار انه قال : ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام . (٥)

١ ـ لما دفن آدم كان رأسه عند الصخره في بيت المقدس ورجلاه عند مسجد ابراهيم وبينهما ثمانية عشر ميلا وفي رواية ثلاثون ميلا . (٦)

وانما لم نعقب هذه الروايات بشيء لظهور مخالفتها للعقل وما أدري كيف

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٥٦ .

(٣) الدر المنثور ج ١ص ٥٨ والاسرائيليات ص ٢٠ .

(٤) الاسرائيليات ص ٢٠٦ نقلا عن مسند احمد .

(٥) الاسرائيليات ص ٢٦٩ (٦) الدر المنثور ج ١ ص٦٢ .

سوغ نقلة هذه الاحاديث كالطبري والسيوطي وغيرهم لانفسهم نقل هذه الخرافا
وكيف جعلوها تفسيراً لكلام الله تعالى ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
خلفه تنزيل من حكيم حميد ؟

والاولى ان نختم المقال بخطبة للامام امير المؤمنين (ع) في صفة خلق
وهي هذه :

«ثم جمع الله سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها با
حتى خلصت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء ووص
واعضاء وفصول ، اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت لوقت معد
وامد معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه ، فمثلت انساناً ذا اذهان يجيلها ، وفكر يتص
بها وجوارح يختدمها وادوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والا
والمشام ، والالوان والاجناس معجوناً بطينة الالوان المختلفة ، و الاشباه المـ
والاضداد المتعادية ، والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد ، والبلة والجمود ، واس
الله الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم ، في الاذعان بالسجود ، والخشوع لتـ
فقال سبحانه : اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية ، وغلبت عليه ال
وتعزز بخلقة النار ، واستهون خلق الصلصال ، فاعطاه الله النظرة ، استحقاقاً للـ
واستتماماً للبلية وانجازاً للعدة ، فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعـ
ثم اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها عيشته ، وآمن فيها محلته ، وحذره ابليس و
فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ، ومرافقة الابرار فباع اليقين بشكه ، وا
بوهنه ، واستبدل بالجذل وجلا ، وبالاغترار ندماً ، ثم بسط الله سبحانه له في
ولقاه كلمة رحمته ، واهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية ...» (١)

للبحـ

---

(١) نهج البلاغة ـ شرح عبده ج ١ ص٢١ .

احاديث ومصادر

«حديث الغدير»

اعداد : الشيخ محمد صادق النجمي

«جمع النبي (ص) الناس عند غدير خم وهو موضع بين مكة والمدينة وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع وكان يوماً صائفاً حتى ان الرجل يضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر وجمع الرحال وصعد عليها وقال مخاطباً معاشر المسلمين: ألست اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : بلى. قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

تجد هذا الحديث مع اختلاف يسير في الفاظه في اكثر كتب الحديث والتاريخ والكلام و كتب الرجال . ونحن نورد نماذج من هذه الكتب مع تعيين المجلد والصفحة .

اخرجه من المحدثين المشهورين :

احمد بن حنبل المتوفى في ٢٤١ هـ في مسنده الطبعة الاولى ج ١ ص ١١٨ ومواضع اخرى كثيرة

ابن ماجه المتوفى في ٢٧٣ في سننه ط مصر ١٣٧٢ عيسى البابي ج ١ ص ٤٣

الترمذي المتوفى في ٢٧٩ في سننه ط ١٣٨٤ بمصر ج ٥ ص ٢٩٧

النسائي المتوفى في ٣٠٣ في خصائصه ط مصر في ص ٢١

الكليني المتوفى في ٣٢٩ في الكافي ط طهران ج ١ ص ٢٩٥

الكنجي الشافعي المتوفى في ٦٥٨ في كفاية الطالب ط النجف ص ٥٠ ـ ٦٥

الشيخ ابو جعفر الطوسي المتوفى في ٤٦٠ في تلخيص الشافي ط النجف ج ٢ ص ١٦٧

الحاكم المتوفى في ٤٠٥ في المستدرك ط الهند ج ٣ ص ١١٠

٤

المتقي الهندي المتوفى في ٩٧٥ في كنز العمال ط الهند ج ٢٢ ص ٢٠٢
محب الدين الطبري المتوفى في ٦٩٤ في الرياض النضرة ط مصر ج٢ ص ٢٢٢
والهيثمي المتوفى في ٨٠٧ في مجمع الزوايد ط بيروت ج ٩ ص ١٠٣ - ١٠٩
ومن المفسرين المشهورين

جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١٠ في الدر المنثور ط طهران ج٢ ص٢٥٩
الشيخ ابو جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ في التبيان ط النجف ج ٣ ص ٤٣٥
علي بن ابراهيم القمي من علماء القرن الرابع في تفسيره ط١٣١٣ ايران ص ١٦٦
الطبرسي المتوفى في ٥٦١ في مجمع البيان ط صيدا ج ٣ ص ٢٢٣
البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ في البرهان ط طهران ج ١ ص ٤٣٦
ابن كثير الشامي المتوفى سنة ٧٧٤ في تفسيره ط مصر ج ٢ ص ١٤
الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ في التفسير الكبير الطبعة الاولى ج ١٢ ص ٤٩
الالوسي المتوفى ١٢٧٠ في روح المعاني ط طهران ج ٦ س ٥٥

ومن المؤرخين المشهورين:

ابن واضح الاخباري المتوفى ٢٩٢ في تاريخه المعروف بتاريخ اليعقوبي النجف ج ٢ ص١٠٢ والطبرسي المتوفى ٥٦١ في اعلام الورى ط طهران ص١٩
وابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٠ - ٢١١
والسيوطي المتوفى ٩١١ في تاريخ الخلفاء ط مصر ص ١٦٩
والبلاذري المتوفى ٢٧٩ في انساب الاشراف ط بيروت ج ٢ ص ١٠٨
وابن خلدون المتوفى ٨٠٨ في مقدمة تاريخه ط مصر ص ١٩٧
ونور الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤ في السيرة الحلبية ط مصر ج ٣ ص ٠٨
والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ في خططه ط بولاق ج ١ ص ٣٨٨
وابن حجر المكي المتوفى سنة ٩٧٤ في الصواعق المحرقة ط مصر ص ٧٣
وابن قتيبة في المعارف
والشبلنجي في نور الابصار ط مصر ص ٧٨

خمائل شعرية

في مولد النبي (ص)

محمدعلي علي اكبر

وانفجرت آهاتهم . .

وانطلقت تدعو . . بلا انقطاع

يا كل آمال الدجى في خاطر الركب الذي

ضاعت به الدروب

يا شهقة الخدور بالتياع

تصهرها النظرة والضياع

تعصرها الظلال

يا كل آمال الدجى في خاطر العبيد

يقتاتهم قيد الوتي يحفر في وجودهم . .مراه

ولا ضياء
غير الشهيق . . . يشب في لمسات قلب الطفلة الحبيس
بريئة مسكينة . . . لكنها توأد في جفاء . . .
وتسكن القبور . . .
لا ذنب . . الا انها فتاة !
لا ذنب . . . الا انه الضياع
يلتهم العواطف النبيلة الحنون
يشعلها بآهة السنين . . .
ليصرع الانسان
كي يعبد الأوثان

* * *

أواه يا صحراء . . يا غار . . ويا قريش
وتصرخ العيون
اين قريش المجد . . من ينشرنا للحب
يبني مجدنا الجديد
يذيب كل عالم الجليد
يزرعنا في الارض من جديد
وتصرخ العيون
يا الف نعمى . . يا دنا الخليل
يا ضحكة الشروق والاصيل
يا موكب الاضواء . . . والشموخ . . والنخيل
يا أريحيات الهدى . . . تضمها الصحراء . . في نقائها الجميل
يا نقلة الغيب . . وصوت الطهر . .
يا صباح

هيا . . الى الارض التي تذوب اذ تذكر ما يمنحها الصباح

* * *

وانشدت القلوب للسماء
مذ لاح في آفاقها انفتاح
عريانة القلوب فى الرحاب
يغزلها الشوق منى تسبح فى الفضاء
وترمق انفتاحة السماء
تنتظر المعجزة السحاب
في مدرج الغيب رؤى محمومة تلهث بالاسى وبالعذاب .
يا ديمة السماء   يا نبعة العطاء
يا نهلة الرجاء   يا دارة النقاء
يا رحمة الخالق هيا واغمري البطاح
ونمنمي الاحداق بالفلاح
. . والصلاح
ليشرق الصباح

* * *

وابتسمت . . يا لهفة الربوع
معالم السماء
تبتكر الابداع للارواح
وتزرع القلوب والبطاح
بكل باقات السنا والفل والقداح
واشرق الصباح
وطاح الف هيكل أعدللظلام

وطاح الف ظالم وطاح
يا نارهم . . يا بحرهم.. يا قصرهم..هباء
ما قيمة الهباء
ان اشرق الصباح ؟ !
بأحرف الضياء ينشر بالسلام
ترقص في العيون
خيوطه الحنون
وأعلن :الحق هنا وصاح
ما صنعوا سراب
سحابهم ضباب
قداثمر الجرح على قلب بني الحياة
ولاح موسى بالعصا ليطعم الجراح
ما صنعوا سراب
حبالهم . . عصيهم سراب
يقتات من دوائر الخيال
لا لن تسود شرعة الخيال
اذن تذوب سنة المحال
ان بقي الخيال

* * *

ولوح الربيع
في قلب شهر كله ربيع
يا أيها الانسان
يا ايها التائه في غياهب الزمان
يا ايها المهان
حدق . . هناك ستة الحسب

حدق . . هناك بيته الصغير
لكنه سيملأ الدنا سنا العبير
من عبقات بيته الصغير
حدق هناك مولد النور ونعمى شاطىء الايمان
اسرجه الخالق كي يعلم الانسان
معالم الحياةفي ظل سماء،اسمها القرآن

* * *

واعشوشب الصخر . . وغنى للفتى الصغير
مذ راح يطوي عمره الأول في مسارح النقاء
يعمر بالصفاء . . يكبر للرجاء . . يعيش للضياء . .
وحانت اللحظة للخلاص
ويغمر الارض سنا الوحي من الرب اتى يمنحها الخلاص
من فترة العذاب والهوان
هيا اقرأ اقرأ ايها الانسان
هيا اقرأ اقرأ احرف الحنان
هيا اقرأ اقرأ انه القرآن

* * *

يا ظلمة الغار افيضي النور والحنان
هيا اضيئي الكون بالشموس
وقبلي الصحراء
كي تزهر الجنان
فى الارض والنفوس
فى الارض والنفوس

* * *

اخترنا لك

التحريف في الأديان

*

السيد مرتضى العسكري

ان الاسلام كله: عقائده واحكامه وسائر علومه اصوله في القرآن، وشرحه وتفسيره ومثاله وتجسيده في سنة النبي -حديثه وسيرته- لذلك قرن الله طاعة رسوله (ص) بطاعته تعالى في قوله «اطيعوا الله ورسوله» الانفال ١ وقرن عصيان الرسول (ص) بمعصيته تعالى في قوله: «ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم» الجن - ٢٣. وسلب الاختيار عن المؤمنين في مايقضي الله ورسوله في قوله:

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذاقضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم و من يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً» الاحزاب ٣٦.

وبين عز اسمه ان الرسول (ص) حجة الله على الخلق في قوله وفعله وان الله جعله اماما يقتدى به وذلك في قوله تعالى: «فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه» الاعراف -١٥٧ وقوله: «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني» آل عمران ٣١. وقوله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...» الاحزاب ٢١.

كان ذلك قول الله عز اسمه في هذا الشأن وقال رسوله في ذلك كما يلي:

أ - في سنن ابي داود والترمذي وابن ماجة والدارمي ومسند احمد واللفظ

() فصل مقتبس باختصار من كتاب «خمسون ومائة صحابي مختلق» الجزء الثاني الذى صدر حديثاً.

الاول في باب لزوم السنة من كتاب السنة :عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله (ص) انه قال : « ألا اني اوتيت الكتاب ومثلـه معه .الايوشك رجل شبعان على اريكته : يقول :عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه حلالا فأحلوه وما وجدتم فيه حراماً فحرموه . . .»وفي آخر الحديث بسنن الترمذي : «وان ماحرم رسول الله كما حرم الله» وفي سنن ابن ماجة «مثل ماحرم الله» وفي مسند احمد عنه ، قال :

«حرم رسول الله (ص) يوم خيبر أشياء ثم قال : «يوشك أحدكم ان يكذبني وهو متكيء على اريكته يحدث بحديثي ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب اللهفماوجدنا فيه من حلال استحللناه وماجدنافيه من حرام حرمناه . الاوان ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله».

ب – في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة ومسند احمد واللفظ للاول : عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه ، ان رسول الله (ص) قال :

« ألا لاألفين احدا منكم متكئاً على اريكته يأتيه الامر بما امرت به اونهيت عنه فيقول :لاادري ماوجدت في كتاب الله اتبعناه» وفي مسند احمد: «ماأجدهذا في كتاب الله».

ج – في كتاب الخراج من سنن ابي داود ، باب في تعشير أهل الـذمـة :

«عن العرباض بن سارية السلمي قال :«نزلنا خيبر ومعه من معه من اصحابه ، وكان صاحب خيبر رجلا مارداً منكراً فاقبل الى النبي (ص)فقال:يا محمد !ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا ، فغضب – يعني النبي – وقال : ياابن عوف اركب فرسك ثم ناد : ألا ان الجنة لاتحل الا لمؤمن ، وان اجتمعوا للصلاة» .

قال : فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي (ص) ثم قام فقال :

«ايحسب أحدكم متكئاً على اريكته قد يظن الله لم يحرم شيئاً الامافي هـذا القرآن ! الا وأني وعظت ، أمرت ونهيت عن أشياء .انها لمثل القرآن أو اكثر وان الله لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا باذنهم ولاضرب نسائهم ولاأكل ثمارهم اذا أعطوكم الذي عليهم» .

د – في مسند احمد عن أبي هريرة قال : رسول الله (ص) : « لاأعرفن أحدا منكم أتاه عني حديث وهو متكيء في اريكته فيقول : اتل علي به قـرآناً»

وقال حسان بن ثابت كما في مقدمة الدارمي : كان جبرئيل ينزل على رسول

الله (ص) بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن .

* * *

هذا بعض ماورد في القرآن والحديث في الحث على الاخذ بسنة رسول الله (ص) والنهي عن مخالفته ، والتشديد على من يهمل السنة بحجة الاكتفاء بكتاب الله وحده

اضف الى ذلك أنه لايمكن اخذ الاسلام من القرآن وحده ، ودون الرجوع الى سنة الرسول (ص) ، فاننا في اقامة الصلاة مثلا نأخذ من حديث الرسول (ص عدد ركعاتها وسجداتها وأذكارها وشروطها ومبطلاتها ، ومن سيرته نأخذ كيفياتها

وفي اداء الحج نأخذ من سنة الرسول (ص) : عقد احرامه ، وتشخيص مواقي واشواط طوافه وصلاته ، وسعيه ، وتقصيره ، وسائر مناسكه في عرفات والمشع ومنى ، اقامتنا فيهن وافاضتنا عنهن ، ورمي جمراته ، وهديه وحلقه، تحديد زمان ك منها وتشخيص مكانها، واجبها ومسنونها وحرامها .

اذاً لايمكن العمل بالقرآن وحده في اقامة الصلاة واداء الحج دون الرجوع ال سنة الرسول (ص) . وكذلك شأن سائر الاحكام .

لهذا لابد لنا من الرجوع الى القرآن والسنة معا لاخذ الاسلام عنهما ولايفص بينهما الا من اراد أن (يتحرر من قيود الاسلام) ويعمل وفق هـوى نفسه فان ذا ميسور له مع سلخ السنة المفسرة للقرآن عن القرآن ثم تأويل القرآن وفق مايهو

واذا كان لابد لنا من الرجوع الى سنة رسول الله (ص) لاخذ الاسلام واله بالقرآن ، ورجعنا الى السنة لذلك وجدنا انها ـ مع الاسف الشديد ـ قد لابسها التحر بكل صورة من تبديل اللفظ وتأويل المعنى ودس ماليس من السنة في السنة والك على رسول الله (ص) فيها وكتمان الحق ، كما وقع ذلك في الامم السابقة حذو ا ا بالنعل وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن وقوع التحريف والكتمان في الامم الما حيث قال :

«واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبـ ... قليلا فبئس مايشترون »آل عمران ـ ٨٧ . وقال :

نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم» .

وقال :«ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» البقرة ١٥٩ .

وقد ورد في الاحاديث الاتية عن رسول الله(ص) متابعة هذه الامة للامم السابقة في كل ما فعلوا حذو القذة بالقذة ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع في ما رواه كل من:

أ ـ الصدوق في اكمال الدين عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله (ص) :«كل ما كان في الامم السالفة فانه يكون في هذه الامة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» .

وروى الصدوق ـ أيضاً في اكمال الدين عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) : «والذي بعثني بالحق نبيا وبشيراً لتركبن امتي سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل حتى لو ان حية من بني اسرائيل دخلت في جحر لدخلت في هذه الامة حية مثلها» .

ب ـ قال ابن حجر في فتح الباري : وفي حديث عبدالله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح : «لتركبن سنن من كان قبلكم حلوها ومرها» .

ج ـ احمد في مسنده ومسلم والبخاري في صحيحيهما واللفظ للاخير عن النبي (ص) قال :«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » وفي رواية اخرى بمسند احمد : «لتتبعن سنن بني اسرائيل حتى لو دخل رجل من بني اسرائيل جحر ضب لتبعتموه» .

د ـ البخاري في صحيحه وابن ماجة في سننه واحمد في مسنده والمتقي في كنز العمال واللفظ للاول ، عن أبي هريرة ، عن النبي (ص) قال : «لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع» فقيل : يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس الا أولئك» ولفظ احمد في مسنده : « والذي

نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وباعا فباعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : ومن هم يارسول الله ، أهل الكتاب ؟ قال : فمه» .

وهكذا وجدنا ان الله سبحانه اخبر عن وقوع التحريف في الأمم السابقة وا رسوله عن متابعة هذه الأمة للامم السابقة في كل مافعلوه .

واذا قارنا بين ماوقع من التحريف فيهذه الامة وماوقع منه في الامم السا وجدنا ان التحريف قد وقع ورأينا مصداق قوله تعالى في كتبهم (المقدسة) الرا اليوم ، فقد وردت في الاصحاح الثالث من سفر التكوين من التوراة قصة خلق كما يلي :

«ان الله قال لادم كذبا : لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لانك تأكل منها تموت موتا ،فقالت الحية لحواء ـ وكانت الحية احيل جميع الحيو البرية : انكما ان اكلتما من الشجرة لن تموتا بل الله عالم انكما يوم تاكلان تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين للخير والشر، فأكل آدم وحـواء من الش وتفتحت اعينهما وأدركا انهما عريانان وسمعا صوت الرب الاله يمشي في الج هبوب ريح النهار فاختبآ منه فنادى الرب الاله آدم : اين انت ؟ فقال آدم : س صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فأختبئت فقال : من اعلمك انك عريان أكلت من الشجرة التي اوصيتك الا تأكل منها ؟ !

فأخبر آدم الرب الاله بقصته . . .

«وقال الرب الا له هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر لعله يمديده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد... فطرد واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة ا

هكذا ذكرت التوراة قصة آدم في الجنة وقال القرآن : ان الشيطان ه وسوس اليهما أن يأكلا من الشجرة المنهي عنها ، قال : «وقاسمهما اني لـ الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان ورق الجنة، وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما

الايات ١٩ ـ ٢٢ من سورة الأعراف .

كانت هذه قصة آدم في التوراة قارناها بما ورد عنها في القرآن ورأينا كيف حرفت القصة فيها الى الخرافة .. وبعد هذا اذا تقدمنافي تلاوةالتوراة حتىننتهي الىالاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين وجدناهناك ان ابنتى لوط اسكرتا أباهما ليلا واضطجعتامعه وحبلتا منه ، قال :

فحبلتا ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين الى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بني عمي وهو ابو بني عمون الى اليوم» .

واذا تقدمنا الى الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج وجدنا مايلي :

«ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا لهقم اصنع لنا آلهة تسير امامنالانهذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصرلانعلم ماذا اصابه فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في اذانهم واتوا بها الى هارون فأخذ ذلك من ايديهم وصوره بالازميلوصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذهالهتك يااسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا امامه ونادى هارون وقال : غدا عيد للرب فبكروا ...».

وفي القرآن الكريم أن ذلك كان من عملالسامري وان هارون منعهم منذلك فلم يمتنعوا ، قال تعالى « فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسداله خوار فقالواهذا الهكم واله موسى...»

«ولقدقال لهم هارون منقبل : ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري،قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجعالينا موسى» طه ـ ٨٧ـ ٩٠

* * *

اوردنا فيما سبق مثالين من نوعين من التحريف في التوراة ، نسب فياحدهما الى الله ماهو منزه عنه ، ونسب في الثاني الىانبيائهماهم منزهون عنه ، وانشواهد

التحريف عداماذكرنا كثيرة فى العهدين وقد عنى بدراستها المتخصصون بهـذه البحوث مثل الحجة البلاغي في كتابيه:(الرحلةالمدرسية)،و(الهدى الى دين المصطفى) واثبت هو وغيره تحريف العهدين في بحوث تاريخيـة مفصلة وأشـار اليها الدكتورهاكس الامريكي فى مادة «انجيل» من قاموس الكتاب المقدس وفي مقدمته ايضا اشار الى ذلك وحاول المؤلف دفعها غير انه لم ينجح فى مسعاه .

ونورد اكمالاً للبحث في ما يلي ثلاث نصوص للاعداد الاولى من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية عن ثلاث طبعات للتوراة لنرى التحريف فيهن عيانا .

أ ـ جاء فى النسخة التي ترجمها القسيس رابنسن من الأصل العبراني الى الفارسية وطبعت بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣٩ م :

باب سی و سیوم

١ـ واينست دعاي خير كه موسى مرد خدا قبل از مردنش بر بني اسرائيل خواند

٢ ـ وگفت كه خداوند از سيناي بر آمد واز سعير نمودار گشت واز كو فاران نور افشان شد وبا ده هزار مقربان ورود نمـود واز دست راستش شريعتـ آتشين براى ايشان رسيد .

٣ ـ بلكه قبائل را دوست داشت وهمگي مقدساتش درقبضه تو هستندومقربا پای تو بوده تعليم ترا خواهند پذيرفت .

٤ ـ موسى مارا بشريعتى امر كرد كه ميراث جماعت بني يعقوب باشد

ب ـ وجاء فى النسخة المطبوعة بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣١ عن النسخة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ لمنفعة الكنائس الشرقية :

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ ـ فهذه البركة التي بها بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موتـه

٢ ـ وقال جاء الرب من سينا واشرق لنا من ساعير استعلن من جبل .

٣ ـ فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه سنة من نار. أحب الشعوب ٤ ـ جـ الأطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه .

٥ ـ موسى امرنا بسنة : ميراثاً لجماعة يعقوب

ج ـ وجاء في النسخة المطبوعة بالمطبعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٠٧ م :

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ ـ وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته فقال جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات.

٢ ـ القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك وهم

٣ ـ جالسون عند قدمك يتقبلون من اقوالك . بناموس اوصانا موسى ميراثاً لجماعة يعقوب .

* * *

المحرف في هذا الاصحاح وسببه :

ان الاعداد (١ - ٤) من هذا الأصحاح تخبر ان موسى بن عمران تكلم قبل موته عن ثلاثة أماكن اظهر الله فيهن أمره وأنزل شرايعه ، وهي :

أ ـ سيناء وهو المكان الذي انزل الله فيه شريعة التوراة على موسى (ع) ووصف تلك الشريعة في العدد الرابع منه بأنها ميراث لجماعة يعقوب وهم بنو اسرائيل ، اذاً فهي شريعة خاصة ببني اسرائيل .

ب ـ سعير أوساعير - وهي الاراضي التي فيها الجبال المحيطة بالقدس كما في مادة «سعير» من قاموس الكتاب المقدس ومادة «ساعير» من معجم البلدان. وهو المكان الذي نزلت فيه شريعة الانجيل على عيسى بن مريم (ع) ولم يرد حوله شرح في كلام موسى (ع) هنا .

ج ـ جبل فاران ـ وفاران كما ورد في الأصحاح ٢١ من سفر التكوين من التوراة مكان كان قد سكنته هاجر واسماعيل بعد ان صرفهما ابراهيم من منزله بطلب من سارة وورد في العدد ٢١ منه خاصة في اسماعيل مايلي :

«وسكن في بريه فاران وأخذت امه له زوجة من مصر»

«ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لاتجد بهعليناوكيلا»الاسراء -٨٧

وتحدى الجميع بأن يأتوا بسورة من مثله وأخبر انهم لن يفعلوا في قوله :

«وان كنتم في ريب ممانزلناعلى عبدنافأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين» البقرة - ٢٣ - ٢٤ . وقوله :

«ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله» هود-١٤-١٥

وقوله تعالى :

«ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين» يونس - ٣٨ - ٣٩ .

وان البحث العلمي النزيه يؤيد ما قاله ويصدقه ولا يسع المجال هنا للخوض فيه اما بعض الروايات التي يظهر منها خلاف ذلك من امثال الروايات الاتية :

أ - في صحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود والترمذي وابن ماجه وموطأ مالك واللفظ للاول عن الخليفة عمر بن الخطاب قال :

«ان الله بعث محمداً (ص) وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن . . .»

والاية المزعومة في رواية ابن ماجه عن عمر ، قال : وقد قرأتها : «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة» .

وفي موطأ مالك«الشيخ والشيخة فأرجموهما البتة»فاناقرأناها وفي نفس الحديث بصحيح البخاري ومسند أحمد واللفظ للاول : ثم انا كنا نقرأ من كتاب الله «الاترغبواعن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم» .

ب - في صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسائي والدارمي وموطأ مالك

واللفظ للاول :

عن ام المؤمنين عائشة انها قالت :

كان فيما انزل من القرآن «عشر رضعات معلومات» فتوفي رسول الله وهن في ما يقرأ من القرآن .

ولفظ ابن ماجه:

«قالت ونزلت آية الرجم و «رضاعة الكبير عشرا» ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها» .

ج - في صحيح مسلم :

ان ابا موسى الاشعري بعث الى قراء اهل البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل وقال في حديثه معهم :

وانا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير اني قد حفظت منها « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب» .

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» .

كل هذه الروايات نظراً لمخالفتها القرآن الكريم في قوله تعالى :

«لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فقد اعرض المسلمون عنها تماماً.

وها نحن نرى ان امثال تلكم الروايات بقيت في مكانها في كتب الحديث بعيداً عن اي القرآن المجيد، وبقي القرآن مصوناً عنها تتداوله أيدي ملايين المسلمين جيلا بعد جيل ويدا بيد منذ عصر الرسالة وحتى يومنا الحاضر وكما بلغه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

كان ماذكرنا شأن كتاب الله في هذه الامة، اما السنة فانها لم تحفظ من التحريف

كالقرآن بل ان خصوم الاسلام الذين انتشروا بين ابنائه وتظاهروا بالاسلام من يهود ونصارى وزنادقة وغيرهم من أصناف المنافقين استطاعوا ان يدخلوا في حديث الرسول (ص) وسيرته وسيرة الصحابة والتاريخ الاسلامي والحديث المفسر للقرآن الشيء الكثير ولعلنا لانجد في الامم السابقة أن اختلق لنبي من انبيائها (خمسون ومائة صحابي مختلق) كما تعهد هذا الكتاب من اراءة ذلك في مصادر الدراسات الاسلامية .

ومع هذا نجد الغالبية العظمى من المسلمين قد تسالمت على سلامة ماورثتها من اسلافها ضمن تلكم الكتب من كل شائبة فانها اذا انتهت في بحثها :

عن خبر من اخبار الصحابة الى تاريخ الطبري ،

وعن خبر من اخبار الرسول الى سيرة ابن هشام ،

وعن حديث من احاديثه الى بعض كتب الحديث ،

وثقت عند ذاك واطمأنت واخلدت الى الراحة ولم تتجشم عناء البحث لمعرفة صحيح مادون فيهن من سقيمه ، بل قلدت مؤلفيها العلماء في مارتأوا تدوينه حسب فهمهم ومقاييسهم، تقليد الاعمى لقائده .

وقد رأينا في كتاب (عبد الله بن سبأ) مبلغ التحريف الذي منيت به أخبار الطبري اوثق المصادر التاريخية عندهم في مايخص الصحابة ، ذلك التحريف الذي قلب الحقائق وشوهها .

واذا بحث محقق في سيرة ابن هشام اوثق كتب السيرة عندهم . اوفي بعض كتب الحديث الموثوقة كذلك يجد من التحريف والتزييف امرا هائلا خطيراً .

على ضوء ماذكرنا ينحصر أمرنا مع كتب الحديث والسيرة والتاريخ في ثلاثة أمور لارابع لها :

أ ـ ان نتركها جملة واحدة ونستغني بالقرآن في كل مانريده عن الاسلام ، وقد مر علينا في اول البحث ان ذلك لايتيسر ، وان مآله ترك الاسلام ، وهو ايضاً يساوي ترك الرجوع الى القرآن .

ب - ان نرجع الى الكتب التي تسالموا على وثاقتها وصحتها خاصة ، ونقبل كل مافيها ونأخذها جملة واحدة دونما بحث او تحقيق في محتوى اخبارها وسلسلة أسانيدها ودون مقارنة بين ماورد فيهن وماورد في نظائرهـا مـن كتب الحديث والسيرة والتاريخ .

وقد اتضح لنافي دراساتنا المختلفةان مآله اخذ المحرف بدل الصحيح والباطل بديلا عن الحق وهو يساوي الأمر الأول في النتيجة .

ج - أن نخضع كل كتب الحديث والسيرة والتاريخ ونظائرهما واحداً بعد الاخر للدرس والبحث والنقد سنداً ومتنا ونقارن بين ماوردفي مانراجع منها بماوردفي مثيلاتها ، ونبحث في كل مافيه بكل امعان وبكل نزاهة ، ثم نخضع نتائـج تلك الدراسات للمقاييس العلمية .

لما كان أمرنا ينحصر مع مصادر الدراسات الاسلامية - في ماعدا القرآن -في تلكم الثلاثة وكان مآل الامرين الاولين ترك الرجوع الى الاسلام اذافلابد لنا مـن سلوك الطريق الثالث ان كان لنا حاجة بالاسلام للاخذ به وفهمه .

خلاصة وخاتمة :

الاسلام كله فى القرآن والسنة معاً ، ولا يفصل بينهما الا ذو هوى في نفسه.

وقد امر الله ورسوله بالرجوع الى السنة لاخذ الاسلام عنها . وعندما نرجع اليها نجد التحريف بكل صنوفه فيها ، اسوة من هذه الامة بباقي الامم التي اخبرنا القرآن والرسول عن انها قامت بالتحريف . . . وهكذا حجب الاسلام الصحيـح مما فرق المسلمين وشتتهم . . فنحن بحاجة اذن لبحوث تحقيقية مقارنـة وان يقوم العلماء والمفكرون بذلك ، وان تروض الامة نفسها على قبول نتائج التحقيق .

التعريف بالتراث

كتاب وسائل الشيعة

و

الانجازات العلمية حوله

(٢)

السيد احمد الحسيني

علمنا مما سبق أن الصيغة النهائية لكتاب «وسائل الشيعة» هي النسخة التي تم تنقيحها في سنة ١٠٨٨ ، وعلمنا كذلك أن مؤلفه الحر العاملي قد توفى سنة ١١٠٤ فيكون الفاصل بين التاريخين ستة عشر عاماً .

وهذه الفترة هي من السنين التي كان فيها المؤلف مجاوراً بمشهد الرضا عليه الصلاة والسلام بعد هجرته من بلاد جبل عامل الى ايـران (١) مشتغلا بالافادة والتدريس وتربية الطلاب ، ويصرح هو بذلك في ترجمة السيد حسين بن محمد الموسوي الجبعي العاملي ، حيث يقول : « وكان مدرساً في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية وأعطيت التدريس في مكانه» (٢) .

ويبدو أنه كان يسعى في الاعلام عن كتابه وسائل الشيعة والتعريف به في الاوساط العلمية ، فهو في حلقة طلابه لا يدرس الكتب الدراسية المعهودة في عصره ، بل يصرح الشيخ محمد الجزائري في كتابه «روح الجنان» قائلا : « وله حلقة عظيمة للتدريس

(١) امل الامل ١ / ١٤٢ .

(٢) امل الامل ١ / ٧٩ .

في كتابه وسائل الشيعة ، وكنت أحضره مدة اقامتي في المشهد» (١) .

وكان الفقهاء الى عصر الحر العاملي يعانون المشاكل في الحصول على الاحاديث الفقهية التي تقع في طريق استنباطهم واجتهادهم، فهي موزعة في كتب الحديث والمجاميع ويستلزم الرجوع اليها عناء أشديداً في الفحص والتتبع، وربما لم يجدوا بغيتهم بعد الجهد الكثير وسبر الدفاتر والأسفار لزمن طويل ممل .

كان وسائل الشيعة سداً لهذا الفراغ المحسوس ورفعاً للحاجة الملحة ، اذحوى مافي الجوامع الحديثية الاربعة القديمة من الروايات الفقهية ، وجمع كثيراً ممافي المصادر الأخرى المعول عليها والموثوق بها، مع تنسيق لطيف وتبويب يقرب من الضبط والاتقان .

هذه العوامل اكسبت «وسائل الشيعة» كثيراً من الشهرة منذ حياة المؤلف نفسه فأقبل عليه العلماء اقبالاعظيماً وجعلوه مرجعاً يعودون اليه كلما احتاجوا الى رواية فقهية . وهذا الاقبال سبب الاعتناء بشأنه والمزيـد مـن العناية بـه ، وكانت النتائج الحاصلة من عنايتهم ان وجدت كتب كثيرة تدور حوله من الشرح والتنقيح والاختصار والتفصيل والفهرسة وغيرها .

وفيما يلي نستعرض ثبتاً للانجازات العلمية حول الكتاب حسبما اطلعنا عليه:

١ ـ من لايحضره الامام

تأليف : الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (صاحب الوسائل)

فهرس يشتمل على عناوين ابواب كتاب الوسائل وعـدد أحاديث كل باب، مـع الاشارة غالباً الى مايفهم مـن الاحاديـث المروية التي لم يصرح فـي عنوانهـا بالاحكام الشرعية ، وذكر اكثر الاحكام الخارجة عن عنـوان الابواب للاطلاع على مضمون الاحاديث ومعرفة الاحكام المنصوصة ، والالماع

(١) اعيان الشيعة ٤٤/ ٦٤ .

[illegible] التي بها صارت الأحاديث مختلفة [illegible] الثلاثين المذكورة في الفهرس أصبح بكثير من العناوين التي جاءت في بعض الأبواب من الوسائل حتى يمكن اعتباره عبارة فقهية [illegible] لكل الأبواب التي يشتمل عليها كتاب الوسائل.

وضع المؤلف هذا الفهرس بالتماس بعض الأصحاب، وفرغ من صنعه في المشهد الرضوي ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٠٨٨، وطبع موزعاً على أجزاء الوسائل في طبعته الأخيرة.

٢ – هداية الأمة الى أحكام الأئمة

تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (صاحب الوسائل)

منتخب على طريق الفتوى من كتاب الوسائل مع حذف الأسانيد والمكررات وقسم كل مطلب منه على اثني عشر باباً من اول الفقه الى آخره مع ذكر لبعض النصوص، وقدم له اثنتي عشرة مقدمة في الأصول ثم اثني عشر كتاباً في الفقه، ولذا يقال له «الاثنا عشر باباً» ايضاً، وهو في ثلاثة اجزاء وتم تأليفه ليلة الأضحى سنة ١٠٩١.

٣ – بداية الهداية

تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (صاحب الوسائل)

مختصر من كتاب هداية الأمة [illegible] الواجبات والمحرمات المنصوصة، وقد حصر في آخره عدد الواجبات المنصوصة في ١٥٣٥ [illegible] المحرمات المنصوصة في [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي [illegible]

شرح مفصل كبير يشتمل على بيان ما يستفاد من الاحاديث وعلى الفوائد المتفرقة في كتب الاستدلال من ضبط الاقوال ونقد الادلة وغير ذلك من المطالب المهمة ويبدو ان المؤلف لم يوفق الا تأليف الجزء الاول من هذا الكتاب الذي ذكر فيه اثنتي عشرة مقدمة وخمس وثلاثين فائدة ، وفيه عرض مفصل عن كيفية شرح الاحاديث وما يلزم توفره للشارح للحديث ومنهجه في الشرح ، والتعرض الى أهمية الفقه وفضله ووجوب طلبه والعلوم التي يتوقف تحصيله عليها ، وبسط في بعض المباحث الاصولية والادلة الشرعية (١) . وقد خرج من هذا الشرح أبواب مقدمة العبادات وكتاب الطهارة الى مبحث الماء المضاف .

٥ ـ تعاليق على وسائل الشيعة

تأليف : الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (صاحب الوسائل)

وهو كتاب يشتمل على بيان اللغات وتوضيح العبارات أو دفع الاشكال عن متن الحديث أو سنده أو غير ذلك مما يتعلق بكتاب الوسائل ، وهو غير كتاب (تحرير وسائل الشيعة) المذكور ، كتب المؤلف هذه التعاليق على هوامش نسخ الوسائل التي كتبها بخطه . وقد استخرج تلك الحواشي عن الهوامش ودونها مستقلا العلامة الشيخ علي القمي نزيل النجف الاشرف ، لكن فاته تشخيص مواضع الحواشي [illegible] الا المرحوم الميرزا محمد الطهراني نزيل سامراء [illegible] بعض ما وجده [illegible] مع نصوص [illegible] الاحاديث [illegible] التناول [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

٦ ـ [illegible]

تأليف : الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (صاحب الوسائل)

قال شيخنا الطهراني: وهي مقدمة لتحرير وسائل الشيعة وتحبير مسائل الشريعة التي صرح في امل الآمل بعزمه على تصنيفه (١) .

أقول : قد عرفت أن لكتاب تحرير الوسائل أثنتي عشرة مقدمة وخمس وثلاثين فائدة ، ولا نعلم أن هذا الكتاب هو تلك المقدمات بعينها أفردت في الكتابة أو انه غيرها أو هو شرح لها ـ فلاحظ .

٧ ـ شرح وسائل الشيعة

تأليف : الشيخ محمد بن يوسف البحراني الحويزي (ق١١)

شرح كبير مفصل خرج منه ثلاث مجلدات : أولها في المقدمات الاصولية ، وثانيها في الطهارة ، وثالثها في الصلاة . كانت المجلدات عند الميرزا حسين النوري ثم انتقلت بعد وفاته الى بعض ورثته (٢) .

٨ ـ مجمع الاحكام

تأليف : الشيخ محمد بن سليمان المقابي البحراني (ق ١٢)

قال شيخنا الطهراني : شرح فيه اكثر أبواب الوسائل وأسقط شرح أبواب المكروهات والمستحبات ، برز منه مجلد في الاصول ومجلد في الطهارة ومجلدى

(١) الذريعة ١٩/[illegible]

(٢) الذريعة ١٣/ ١٥١ .

الصلاة ، وقد اخبرني الشيخ محمد صالح البحراني بوجود مجلده الثالث عنده ، وقال ان المجلد الاول والثاني منه موجودان بكربلاء عند الشيخ علي النجفي(١).

٩ ـ شرح وسائل الشيعة

تأليف : الحاج محمد رضي القزويني (ت ١١٣٦)

شرح كبير خرج منه كتاب الطهارة والصلاة ، وقد ذكره الشيخ عبد النبي القزويني في كتابه «تتميم امل الآمل» (٢) .

١٠ ـ شرح وسائل الشيعة

تأليف : الشيخ حسن ؟

قال شيخنا الطهراني : هو من أول كتاب التجارة الى بيع الغش . . كتبه كاتب أبواب الوسائل وجعل بين الأبواب فواصل بمقدارمايحتاج اليه لكتابةالشرح فكتب الشارح فيها ما أراد ، وهو مجلد كبير اكثره بياضات لم يوفق لكتابةالشرح فيها ، رأيته عند الشيخ محمد صالح الجزائري في النجف الأشرف (٣) .

١١ ـ ماء المعين

تأليف : ؟

تلخيص لكتاب «وسائل الشيعة» من مؤلف مجهول لم نقف على اسمه في

---

(١) الذريعة ، [illegible]

(٢) الذريعة ١٣/ ١٥٠

(٣) الذريعة ١٤/ ٢٧٠

النسخة التي رأيناها ، فحذف الأسانيد والإحالات برمتها ، كما انه حذف للاختصار كثيراً من الأحاديث بكاملها او قطعة منها ، وهي الأحاديث التي ظن المؤلف أنها لا تدل على الموضوع الذي عنون الباب له ، وهو بحق اختصار مخل لم يحسن المؤلف الصنع في عمله ، تم كتاب النكاح منه في جمادي الثانية سنة ١١٤٤(١).

١٢ ـ الشفافي اخبار آل المصطفى

تأليف : قاضي عسكر السلطان محمد رضا بن عبد المطلب التبريزي (ق ١٢)

جمع المؤلف في كتابه هذا بين الوسائل والوافي والبحار ، فيذكر في كل حديث انه صحيح أوحسن أو ضعيف مسند أو مرسل ، ويذكر بعد اسم كل رجل في السند انه ثقة أو مجهول أو ضعيف أو غيرها ، كل ذلك بعلامات من الحمرة . وذكر في اول كتاب الطهارة العيوب التي توجد في الاصول الثلاثة المأخوذ عنها كتابه وخلوه منها مع حسن ترتيبه وجامعيته لما فيها، كما ذكر ايضاً فهرس مآخذه ومصادره مع وجه اعتبارها . وقدتم تأليف بعض مجلداته في الخامس من جمادى الثانية سنة ١١٧٨ (٢) .

١٣ ـ شرح وسائل الشيعة

تأليف : الشيخ يوسف المحدث البحراني(ت ١١٨٦)

ذكره شيخنا الطهراني استطراداً ولم يذكره منفرداً(٣)ولم نعلم من أمره شيئاً .

---

(١) من هذا الكتاب قطعة بخط المؤلف عند الاخ فضيلة العلامة السيد محمود المرعشي بقم ، وهي تحتوي على كتاب النكاح الى الثلثة مع بعض التوابع فيها .

(٢) الذريعة ١٤/١٩٩ .

(٣) الذريعة ٢٤/١٦٩ .

١٤ - شرح وسائل الشيعة

تأليف : الشيخ محمد بن علي المقابي البحراني (ق ١٢)

قال الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني في ترجمة المؤلف : له من المصنفات «شرح الوسائل» للشيخ الحر العاملي ، وقفت منه على مجلد كبير ضخم جداً ومجلد ثان أصغر منه ، وكانا في خزانة شيخنا العلامة الثقة الصالح ، ورأيت منه في النجف الأشرف مجلداً كبيراً أيضاً ولا ادري هل اكمله ام لا ، والذي رأيته غير تام وهو شرح حسن مبسوط (١) .

١٥ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل

تأليف : الميرزا حسين بن محمد تقي النوري (ت ١٣٢٠)

استدرك المؤلف على الوسائل الاحاديث التي ادعى أنها فاتت الحر العاملي اثباتها في كتابه ، فجمع فيه بقدر الأصل في ثلاث مجلدات كبار على نفس ترتيب الوسائل وتبويبه ، وعنون الابواب ـ الاماشذ ـ بنفس العناوين التي عنونها الحر في كتابه وان كان نظره ربما لا يوافق نظر الحر في العناوين وفهم تلك المسائل من الاحاديث التي تأتي في باب ، وشرط أن لايذكر في المستدرك ماهو مذكور في الأصل من الاحاديث ، وقد صدره بمقدمات وذيله بفوائد كما صنع الحر في الأصل ، وقد ذكر في مصادره بعض الكتب التي رآها الشيخ الحر حتماً ولكن لم ينقل عنها لسقوطها عن درجة الاعتبار كالفقه الرضوي و«دعائم الإسلام» وأشباههما ، ولكن النوري شديد الاصرار على أنها معتبرة ويمكن الاعتماد على ماروي فيها من الاحاديث .

تم الكتاب في سنة ١٣١٩ ، وتجز طبعه على الحجر في ثلاث مجلدات كبار سنة ١٣١٨ - ١٣٢١ .

(١) انوار البدرين ص ١٩٠ .

١٦ ـ الاشارات والدلائل الى ماتقدم أو تأخر في الوسائل

تأليف : الشيخ عبد الصاحب بن حسن الجواهري (ت ١٣٥٢)

أحصى المؤلف في هذا الكتاب الاحاديث التي يعنيها مؤلف «وسائل الشيعة» بقوله في آخر اكثر الابواب «تقدم مايدل على المقصود ويأتي مايدل عليه» أوماأشبه هذا ، فأشار الى الاحاديث المعنية مع تعيين ابوابها وخصوصياتها ، وبهذا العمل الشاق يسر كثيراً من الاتعاب التي كان يواجهها المراجعون الى الوسائل في الأبواب الفقهية ، وهو بحق عمل مهم يحتاج الى خبرة وصبر وجهد . طبع على الحجر في النجف الأشرف سنة ١٣٥٦ .

١٧ ـ شرح وسائل الشيعة

تأليف : السيد حسن الصدر الكاظمي (ت ١٣٥٤)

شرح مفصل ، خرج منه مجلد من أول الطهارة باحثاً في جميع الروايات سنداً ومتناً ودلالة ، وهو غير تام (١) .

(١) الذريعة ١٣ / ١٥٠ .

النبي والرسول في الكتاب الكريم

٣

الشيخ جعفر سبحاني

تعرضنا فيما سبق لبعض الفروق المذكورة بين مفهومي (النبي والرسول) ونحاول هنا بيان الرأي الاصح

ماهو المختار عندنا ؟

وقبل الدخول في البحث نقدم اموراً ، تلقي ضوءاً أو اضواءً على الحقيقة وتكشف الشك عن محيا الواقع .

الاول :

النبأ في العرف العربي (١) الخبر الخطير الذي يستدعي الاهتمام به بالنظر الى غاياته وآثاره ، فهو أخص من مطلق الخبر ، وبه يسمى النبي نبياً ، لانه منبىء بما هو خطير من انذار او تبشير . والتنبؤ ، اخبار بالغيب ، لانه أظهر أفراد الخبر

(١) ننقل في الختام نصوص أهل اللغة في تفسير النبي والرسول .

الخطير وأعظم مصاديق النبأ العظيم (١) .

والنبي في اللغة مأخوذ من مادة «النبأ» بمعنى الخبر المهم العظيم الشأن او بمعنى الارتفاع وعلو الشأن والاول أظهر ، واكثر العرب لاتهمزه ، بل نقل انه لم يهمزه الا اهل مكة ، وقد انكر النبي على رجل قال له « يانبيء الله » (٢) حيث روي ان رجلا قال له : « يانبيء الله » فقال : لاتنبر (٣) اسمي ، فانمانا نبي الله .

النبي «فعيل» بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ : الخبر ، لانه ينبيء عن الله ، اي يخبر عنه ، ويجوز فيه تحقيق الهمزة وتخفيفه ،يقال :نبأ ونبّأ وانبأ ، قال سيبويه:

ليس احد من العرب الا ويقول : تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمزة في النبي ، كما تركوه في الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك كله (٤) .

قال الجوهري : يقال : نبأت على القوم اذا طلعت عليهم ، ونبأت من ارض الى ارض ، اذا خرجت من هذه الى هذه ، وهذا المعنى اراده الاعرابي بقوله «يانبيء الله» لانه خرج من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمزة ، لانه ليس من لغة قريش ، وقيل ان النبي مشتق من النبأة وهي الشيء المرتفع (٥) ،

حكى الصدوق في معانيه عن ابي بشر اللغوى انه سمع منه في مدينة «السلام» ان « النبوة » مأخوذ من «النبوة» وهو ما ارتفع من الارض ، فمعنى النبوة الرفعة ومعنى النبي الرفيع (٦) .

---

(١) المعجزة الخالدة ص ٧١ .

(٢) المنار ج ٩ ص ٢٢٥ ورواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٣٩ .

(٣) اي لا تهمز اسمي ، النبر همز الحروف .

(٤) النهاية ، لابن الاثير .

(٥) راجع الصحاح مادة «النبأ» .

(٦) معاني الاخبار ص ٣٩ .

قال ابن فارس : ان النبي من النبوة وهو الارتفاع . كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته ، ويقولون : النبي ، الطريق و «النبأ» الخبر ، والمعنى المخبر ومن يهمز النبي ، فلانه انبأ عن الله سبحانه (١) ، وقال في المعجم الوسيط(٢) : النبوة سفارة بين الله عز وجل وبين ذوي العقول لازاحة عللها ، النبي المخبر عن الله ، وتبدل الهمزة وتدغم ، فيقال : النبي .

هذه نصوص أئمة اللغة والتفسير،ولو اردنا الاستيعاب لخرجنا عماهو المقصود وكلها تهدف الى ان لفظ (النبى) لو كان مشتقاً من نبو (الناقص الـواوى) بمعنى ارتفع ، فهو بمعنى المرتفع منزلة ، وان كان من البناء بالهمزة ، فهو المخبرعن الله وعلى اي تقدير ، فلا ترى في كلام واحد من أصحاب المعاجم دخول احـد هذه الفروق المذكورة في صلب معناه وجوهره حسب الوضع الاولى ، فلودل على شيء منهافانما هو لعلة اخرى كما نشير اليه في آخر البحث .

واما الرسول فقد قال الراغب فى مفرداته : «اصل الرسل هو الانبعاث على التؤدة (التأني) يقال ناقة مرسلة ، سهلة المسير ، وابل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلة ، ومنه «الرسول» المنبعث ، وتصور منه تارة الرفق فقيل على رسلك ،اذا امرته بالرفق وتارة الانبعاث ، فاشتق منه الرسول .

وقال العسكرى فى فروقه: أرسلت زيداً الى عمرو ،ويقتضى انك حملته رسالـة اليه أو خبراً أو ماأشبه ذلك ... الى أن قال: والنبوة يغلب عليها الاضافة الى النبى فيقال نبوة النبي ، لانه يستحق منها الصفة التى هى على طريقة الفاعل ، والرسالة تضاف الى الله لانه المرسل بها ، ولهذا قال برسالتى ولم يقل بنبوتى ، والرسالـة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره ، والنبوة تكليف القيام بالرسالة فيجوز ابلاغ الرسالات ، ولا يجوز ابلاغ النبوات (١) .

---

(١) المقاييس ، مادة «النبأ» .
(٢) اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهـرة
(٣) الفروق اللغوية ، الباب الرابع والعشرون ص ٢٣٢ .

وكلا النصين من الراغب والعسكري ،يهدفان الى أمر واحد ، وهو ان الرسالة نحو سفارة من الغير ، لتنفيذ ماتحمله الشخص من جانب مرسله ،وان مانقل من الفروق من اعلام التفسير وغيره خارج عن جوهره وصلب معناه ، فان دل عليها فانما هو لامر آخر ، كما سيوافيك بيانه .

* * *

- **الثاني :**

المفهوم من التدبر في الآيات ومافي كلمات اعلام اللغة : ان النبي هو الانسان الموحى اليه من الله باحدى الطرق المعروفة ، واما الرسول فهو الانسان (١) القائم بالسفارة من جانب الله بابلاغ قول او تنفيذ عمل ، وان شئت قلت : ان النبوة منصب معنوي وارتقاء للنفس الانسانية ،تستدعي امكان الاطلاع على الغيب باحدى الطرق المألوفة ، والرسالة سفارة للمرسل (بالفتح) من جانب المرسل (بالكسر) لتنفيذ ماتحمله منه في الخارج ، او ابلاغه الى المرسل اليهم وان شئت قلت : النبوة تحمل الانباء والاخبار عن الله والرسالة تحمل التبشير والانذار والتبليغ وتصديق ذلك يتوقف على امعان النظر في مانقلناه عن الاعلام في تفسير مادتي النبوة والرسالة اللتين اشتق منهما لفظا النبي والرسول .

توضيح ذلك :

ان النبي باعتبار اشتقاقه من النبأ بمعنى الخبر كما عليه جمهور اللغويين ينبيء عمن قام به المبدأ وهو «النبأ» فلا مناص في حالة اطلاق النبي على شخص عن اتصافه بمبدئه وقيامه به بنحو من انحاء القيام فهو ـ بما انه واجد لهذا المبدأ أي الاطلاع على النبأ او الانباء عنه ـ نبي .

---

(١) المقصود هو الرسول المصطلح ، فلا ينافي اطلاقه على الملك والشخص العادي في القرآن المجيد كما سيوافيك تفصيله .

ففي اي مورد اطلقت كلمة النبي في كلامه سبحانه او جاءت في السنة واللغة فلا يراد منها الا من خصص بهذه المكانة ، اى مكانة تحمل النبأ وشرف الاتصال بالله والعلم بما عنده والايحاء اليه باحدى الطرق المذكورة في القرآن الكريم(١).

ولاجل ذلك نراه سبحانه يقرن لفظ الوحي بلفظ النبيين ويقول : «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً».

واما قوله سبحانه «وما ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لااله الا انا فاعبدون» ـ الانبياء ٢٥ ـ فانتخاب الرسول دون النبي الذي هو المناسب للوحي انما هو لاجل قوله : «ارسلنا» الذي يناسب الرسول كما سيوافيك بيانه ، والاية تهدف الى ان الرسالات كلها كانت قائمة على اساس التوحيد ونفي عبادة غيره تعالى .

والمراد من الرسول في قوله سبحانه : «ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا باذنه» الشورى ٥١ ـ هو امين الوحى (١) يعني ان الرسول (الروح الامين) يوحي الى ذلك البشر الذي أراد الله ان يكلمه ،باذنه سبحانه فالرسول في الاية موح لاموحى اليه كما لايخفى .

والى ذلك يشير العلامة اللغوى ـ العسكرى ـ حيث يقول في فروقه: «والانباء عن الشيء قد يكون من غير تحمل النبأ . . .» فيريد ان النبوة متقومة بتحمل الخبر ولا يشترط في صدقها كون النبي مأموراً بابلاغه الى الغير(٢) بخلاف الرسالة فانها متقومة بتلك الحيثية .

واما الرسالة :

فحقيقة الرسالة عبارة عن القيام بانفاذ عمل أو ابلاغ كلام من جانب الغير

(١) سورة الشورى ـ ٥١ .
(١) والالكان الانسب مع قوله «فيوحي باذنه» لفظ «النبي» لا «الرسول» كما لايخفى .
(٢) نعم دلت ظواهر الايات على ان كل نبي كان مبعوثاً الى الناس كما مضى .

وتحمل التبشير والانذار كما نقلناه عن الراغب والعسكرى .

ويدل على ذلك ان الله سبحانه اذا ارادمن نبيه تبليغ كلام عنه أو تحقيق عمل في الخارج يخاطبه كثيراً بقوله «ياايها الرسول» لا بلفظ «ياايها النبي» كقوله سبحانه «ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» ـ المائدة ٦٧ ـ وقوله سبحانه : «قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً» ـ طه ١٩ ـ وهذا صريح في ان منصب الرسالة هو منصب التبليغ وتنفيذ أمر المرسل لامنصب نزول الوحي والانباء عن الله مباشرة .

واوضح منه ، انه سبحانه اذا اراد ان يحدد وظيفة سفرائه ويبين لهم أنهم بعثوا للتبليغ والابلاغ لا الاكراه والالزام ، يقول : «فهل على الرسل الا البلاغ المبين» ـ النحل ٣٥ ـ وقوله سبحانه :« وما على الرسول الا البلاغ المبين» ـ العنكبوت ١٨ ـ قوله سبحانه : «فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين» ـ التغابن ١٢ ـ وقو سبحانه : «الا بلاغاً من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابداً» ـ الجن ٢٣ ـ ،

والنتيجة انه اذا تعلق غرضه سبحانه بالبلاغ باشكاله المختلفة ، يقرنه بالرسا دون النبوة ويقول سبحانه : «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه» ـ الاحزاب ٣٩ ويقول سبحانه : «ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم » ـ الاعراف ٧ ـ ويقول اية «انما العلم عند الله وابلغكم ماارسلت به » الاحقاف ٢٣ ـ الى غير ذلك من الايات

ولذلك ترى المسيح (ع) لما ادعى السفارة من الله وانه جاء من عند الله ليبلغ احكامه ورسالاته خاطب قومه بقوله : «يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم جميعا» ـ الصف ٦ ـ ولم يقل «اني نبي الله» .

من كل ذلك يمكننا ان نستنتج ان الرسالة سفارة من المرسل لبيان ماتحمل ونشره بين الناس ، وان الحيثية المقومة للرسالة ، امر يستدعي التبليغ والتنفيذ، و النبوة فانما هي منصب يستدعي الاتصال بالله سبحانه والعلم بما عنده من معار

احكام ، ولاصلة بين الحيثيتين ، سوى ان النبوة اساس الرسالة (١) ، فلا تستقيم رسالة الانسان من الله الا بارتقائه الى مقام النبوة واتصاله بالملأ الاعلى فكانت الرسالة من آثار النبوة .

ولكن هذا الامر لايجعل اللفظين مترادفين ومشيرين الى معنى واحد بل كل منهما موضوع لمعنى خاص لايختلط احدهما بالاخر .

* * *

الثالث :

ان النبي لم يستعمل في القرآن والحديث الا في الانسان الموحى اليه من الله وبما ان الجهة المقومة للنبوة عبارة عن كونه مطلعاً على الغيب او منبئاً عنه ، فانه يصير النبي عندئذ عبارة عن الانسان الموحى اليه من جانب الله ، المطلع على الغيب ، المنبيء عنه ، فاعتبر فيه قيدان :

١ - كونه انساناً .

٢ - كونه موحى اليه من جانب الله سبحانه ومتحملا النبأ منه عزوجل واما الرسول فلما كانت الجهة المقومة لرسالته ، تحمل انفاذ عمل او بيان قول من جانب المرسل في اطار التبشير والانذار او مايشبهه فلا يلزم ان يكون انساناً او مبعوثاً من جانب الله سبحانه بل اعم منه ومن هنا نجد القرآن يتوسع في استعمال كلمة «الرسول» من ناحيتين :

الاولى : التوسع من ناحية المرسل - بالفتح - حيث اطلقه على الملك المكلف من قبله تعالى ، بانفاذ عمل كقوله سبحانه : «قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك» - هود ٨١ - ، وقوله سبحانه : «الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس» - الحج ٧٥ - ، وقوله سبحانه : «حتى اذا جاء احدكم الموت ، توفته رسلنا وهم لايفرطون» - الانعام ٦١ وهذا بخلاف النبي فانه لايطلق الا على البشر .

---

(١) المراد ، الرسالة من جانب الله فلا ينافي ماسيوافيك من التوسع في الرسالة .

الثانية : التوسع من جانب المرسل ـ بالكسر ـ فلا يخصصه بالمرسل من ناحيته بل يطلقه على مطلق المبعوث من جانب الغير كقوله سبحانه : «وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك» ـ يوسف ٥٠ ـ (١) .

وهذا التوسع في استعمال لفظي المرسل والمرسل من خصائص الرسالة ولا يوجد شيء منه في النبي ، فلا يطلقه القرآن الا على البشر ـ دون الملك ـ وعلى الذي يوحى اليه من ناحيته سبحانه دون غيره.

نتيجة البحث

يستنتج مما ذكرنا ان النبوة متقومة بالاتصال بالله والانباء عنه ونزول الوحي الى من يسند اليه منصبها باحدى الطرق ، واما الرسالة فهي متقومة بتحمل الرسول ابلاغ كلام من المرسل الى المرسل اليه ، مثل قوله سبحانه : «ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» ـ المائدة ٦٧ ـ أو تنفيذ أمر في الخارج كما في قوله سبحانه «اني رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً» ـ مريم ١٩ ـ .

وعلى هذا فكل ماذكروه من الفروق بين النبي والرسول سواء أصحت أم مما لايدل عليه اللفظان بما لهما من المعنى اللغوي ولاهي داخلة في صلب معناه ولا يدلان عليها باحدى الدلالات الثلاثة (٢)

فالنبي هو الانسان المتصل بالله سبحانه بسبب الإيحاء اليه ، بطرقه المعهودة

---

(١) بل يجري نظير هذا التوسع في لفظ المرسل من جانب الله ، لقوله سبحانه: «اذ ار اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ، فقالوا انا اليكم مرسلون» ـ يس ١٤ ـ فقد اتفقت كلمة ا المفسرين على ان المراد منه في الاية الفرقة المبعوثة من جانب المسيح الى ابلاغ دينه و سبحانه : «اني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون» ـ النحل ٣٥ ـ .

(٢) دلالة اللفظ على تمام معناه دلالة مطابقية ، وعلى جزئه تضمنية وعلى لازم معناه التز

والرسول البشر المرسل من جانبه سبحانه لتبليغ امر اوانفاذ عمل ، فليس فيمفهوم الرسول المصطلح ، انه يوحى اليه ، وانه منبيء عن الله ، وان كان يلازمه خارجاً كعدم دلالة الماء على الميعان وخروجه عن مفهومه ، وان كان يلازمه بحيث لو تنبه انسان لتنبه كما هو شأن اللازم بالمعنى الاخص .

وان شئت قلت: النبي الانسان المنبيء عن الله سبحانه، او المطلع على الخبر منه سبحانه ، غير مقيد بشيء من هذه الفروق ، كما ان الرسول (١) هـو الانسان المرسل من جانب الله سبحانه ، لتنفيذ امر ، وابلاغ رسالة ، غير محدد بشيء منها

ولاجل ذلك ، فان انفرد لفظ النبي بالذكر ،ولم يجمع مع لفظ الرسول لايتبادر منه الى الذهن الا المنبيء عن الله والمطلع على الغيب فقط .

ومثله لفظ الرسول ، اذا لم ينضم اليه لفظ النبي ، فلا يتبادر منه الى اذهاننا الا القائم بابلاغ رسالة او تنفيذ امر فقط ، من دون ان يتوجه الذهن الى احدى هذه الفروق وعلى هذا فاللفظان وان كانا مختلفين معنى ومفهوماً ، الا أنهما متساويين مصداقاً ، فيصير كل نبي رسولا ، وكل رسول نبياً حسب الخارج ، وهذا نظير ما اذا فرضنا كل عالم هاشمياً ، وغير العالم باجمعه غير هاشمي ، فيصح ان يقال كل عالم هاشمي وكل هاشمي عالم حسب التطبيق ، فهما متساويان مصداقا ، مختلفان مفاداً .

هذا كله على ما اوضحناه من انه ليس هناك نبي غير مأمور بالتبليغ وعلى فرض صحته كما في بعض الروايات ، او انحصر المعنى في كل نبي في بداية انبائه قبل ان يؤمر بالتبليغ ، فيصير النبي اعم والرسول اخص ، على ما هو المشهور (٢) .

---

(١) اى الرسول المصطلح ، اعنى الانسان المبعوث من جانبه سبحانه لهداية الناس وارشادهم ، لا المعنى الوسيع منه .

(٢) هذا كله فى الرسول بالمعنى الدارج اعنى الانسان المبعوث من جانبه سبحانه الى البشر ، واما على ماجرى عليه القرآن من التوسع الذى عرفت ، فالنسبة بينهما اعم واخص مطلقاً ، حيث ان القرآن يتوسع فى استعمال الرسول ، فيطلقه على الانسان والملك ، بخلاف النبى فلا يستعمله الا فى الانسان ، بل يتوسع فى استعمال الرسول من جانب المرسل (بالكسر) فيطلقه على المبعوث لا من جانبه سبحانه، مثل قوله سبحانه : «فلما جاءه الرسول قال ارجع ـ

ثم اني وقفت بعد ماحررت ذلك على كلمات تصرح ببعض ماذكرنا :

١ - النبوة تحمل النبأ من جانب الله والرسالة معناها تحمل التبليغ (١) .

٢ - للرسول شرف الوساطة بين الله تعالى وعباده ، وللنبي شرف العلم بالله وبما عنده (٢) .

٣ - الرسول هو الذي يحمل رسالة من الله الى الناس والنبي هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين وحقائقه (٣) .

٤ - الاقرب انه لافرق بينهما من حيث ان كلا منهما ينبئه الله بما يريد فاذا انبأه وامره بالتبليغ ، اطلقت عليه كلمة النبي ،لان الله تعالى انبأه ، وكلمة الرسول لانه تعالى امره بالتبليغ (٤) .

٥ - الرسول والنبي واحد والاختلاف انما هو بالنظر والاعتبار من حيث انه يحمل رسالة الله ،يقال له رسول، ومن حيث انه ينبيء بها الذين ارسل اليهم يقال نبي (٥)

والحاصل ان ماذكر من الفروق سواء اصح ام لا فكله في مرتبة متأخرة عن حقيقة الرسالة والنبوة غير مأخوذ في صلب معناها وانما يصار اليه لقرائن اخر .

ويظهر مما ذكرنا ، ضعف مانقلناه عن بعض الاجلة : «ان ماكان من العلوم والحقائق يفاض على الانسان بواسطة الملك بحيث يشاهده ويكلمه مشافهة ويقرأ عليه كلام ربه اويلقي في روعه يسمى رسالة ، والانسان الحامل رسولا ، واما مايفاض

الى ربك» - يوسف ٥٠ - بخلاف النبى فيخصه بالانسان الموحى اليه من ناحيته سبحانه وليس كل رسول نبياً على خلاف مااشتهر ، هذا كله اذا لم نسلم بوجود نبى غير مبعوث ، واما على القول به فيفترق النبى عن الرسول فى هذا المورد وتنقلب النسبة الى الاعم والاخص من وجه وتنقض كلية القضية الاولى ويصير بعض النبيين ليس برسول ، غير ان البحث عن الرسول بالمعنى الوسيع خارج عن المقصود .

(١) الميزان ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ج ١٦ ص ٣٤٥ .

(٤) الكاشف ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٥) المصدر نفسه ج ٧ ص ٩١ .

اليه بغير الطريق المذكور يسمى نبوة ، والانسان العالم بهذا الطريق نبياً» .

فانه ينتقض عليه : بان كل ماذكره ، وان كان مؤيداً ببعض المأثورات لكنه خارج عن حقيقة معنى النبوة والرسالةحسب الوضع اللغوي ، ولم يثبت أنللقرآن اصطلاحاً خاصاً او حقيقةشرعية في اطلاق اللفظين واستعمالهما ، والظاهر أنالقرآن جرى في اطلاقه واستعماله مجرى المألوف بين اهل اللسان ، ولم يجيء فيالمقام باصطلاح خاص .

وعلى ذلك فكل ماذكروه من الفروق ،من ان الرسول هو من نزل عليه كتاب او اتى بشريعة جديدة ، او خصوص من كان مأموراً بالتبليغ ،او من يتلقى الوحي عن رسل السماء والملائكة ؛ وان النبي على خلافه ، فلا يشترط فيه نزول الكتاب او مجيئه بشريعة جديدة ، او كونه مأموراً بالتبليغ او غير ذلك ؛ كلها على فرض صحتها ، خارجة عن صلب معناهما ، اذ لايدل اللفظان على واحد منها اصلا .

وبذلك يظهر ان الرسول وان كان يجب اطاعته فيما يأمر وينهي ، لقوله سبحانه : «وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» ـ النساء ٦٤ـ أو انه وان كان يتم الحجة على عباده سبحانه ، بحيث تستتبع مخالفته هلاكاً وعذاباً ، لقولهسبحانه «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ـ (النساء ـ ١٦٤) ـ غير ان ذلك لايستلزم دخول لزوم الأطاعة واتمام الحجة في صلب معنى الرسول ، فان وزان قوله سبحانه : «وما ارسلنا من رسول الاليطاع باذنه» وزان قوله سبحانه : « وماكان لرسول ان يأتي بآية الا بأذن الله» ـ الرعد ٣٨ ـ ، بل كلاهما من لوازم الرسالة الالهية التي تحملها الرسل ، فان الهدف الاسمى منارسال الرسل ، قطع المذرعلى الناس ، واتمام الحجة عليهم ، وعند ذاك يجب على الناس اطاعتهم فيما يأمرون وينهون من جانبه سبحانه .

ولعل الي ذلك يشير سيدنا الاستاذبقوله : «ان النبي والرسول كلاهمامرسلان الى الناس ، غير ان النبي بعث لينبيء الناس بماعنده من نبأ الغيب لكونه خبيراً بما

عندالله ،والرسول هو المرسل برسالة خاصة زائدة على اصل نبأ النبوة ، كما يشعر به امثال قوله تعالى :«ولكل امة رسول فاذاجاءرسولهم قضى بينهم بالحق »ـيونس ٤٧ ـ وقوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» ـ النحل ١٥ ـ على هذا فالنبي هو الذي يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من اصول الدين وفروعه على مااقتضته عناية الله من هداية الناس الى سعادتهم والرسول هو الحامل لرسالةخاصة مشتملة على اتمام حجة يستتبع مخالفته هلاكاً او عذاباً او نحو ذلك قال تعالى : «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» ـ النساء ١٦٤ ـ ولا يظهر من كلامه تعالى في الفرق بينهما ازيد مما يفيده لفظاهما بحسب المفهوم ، ولازمه هو الذي اشرنا اليه من ان للرسول شرف الوساطة بين الله تعالى وبين عباده ، وللنبي شرف العلم بالله وبما عنده» (١) .

* * *

نعم بقي هنا سؤال :

هو انه اذا سلمنا ان النبي والرسول لايقصد منهما ازيد مما يفيده لفظهما بحسب المفهوم ولا فرق بينهما الا في المعنى الجوهري الذي يدلان عليه ، وان ماذكر من الفروق كلها خارج عن صلب المعنى وماوضع له اللفظ ، فكيف نفسر قوله سبحانه «واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » ـ مريم ٥٤ ـ وقوله سبحانه : «وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته» ـ الحج ٥٢ ـ؟ .

الجواب :

ان مفاد هذه الآيات على ماحققناه واضح ، اما فيما اذا وقعا وصفين لشخص

واحد مثل قوله سبحانه : «وكان رسولا نبياً» ـ مريم ٥٤ ـ وقوله سبحانه : «الذين يتبعون الرسول النبي الامي» ـ الاعراف ١٥٧ ـ فالمراد الدلالة على انه واجد لكلا المنصبين ، ومتصف بكلتا الحيثيتين اذ للفرد الموحي اليه المبعوث من الله سبحانه لابلاغ احكامه ، شؤون ومناصب اوصفات وحالات ، فبما انه يوحى اليه وله اتصال بالملأ الاعلى ومطلع على الغيب او منبيء عنه فهو نبي ، وبما انه يبلـغ رسالات الله ويتم حجته على العباد ، ويجب عليه ارشاد الناس وانذارهم فهو رسول ، «ورسلا مبشرين ومنذرين ـ النساء ١٦٥ ـ) ، واما اذا استعملا على وجه يشيران الى طائفة مثل قوله سبحانه : «وما ارسلنا من رسول ولانبي الا اذاتمنى القى الشيطان في امنيته . الحج ٥٢ ـ فان الظاهر ان كل واحد من اللفظين يشير الى طائفة وجماعة ولا يدل على تعدد الطائفتين مصداقاً ، وان الموصوف بالنبوة غير الموصوف بالرسالة حسب الوجود ، بل يمكن ان يكون اللفظان بما لهما من المعنى حاكيين عن جماعة واحدة لهم شأن النبوة والرسالة فيصير هدف الاية : انا ماارسلنا احداً من هـذه العصابـة الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ، غير انه طلباً لجلية الحال وتوخياً في استيعاب كل واحد منهم بلا استثناء ، وان الحكم يعم رسولهم ونبيهم ، عطف احدهما على الاخر ، طلباً لشمول الحكم لهم جميعاً ، وان بلوغهم مرتبة النبوة والرسالة ، مامنعهم عن هذه الهواجس .

وان أبيت الا عن ظهور الاية في تعدد الطائفتين وجـوداً ومصـداقاً وأن هنا مجموعتين انبياء ورسلا وتفترق عن بعضها فعندئذ نقول : قصارى مايمكن ان يقال ان كل واحد من اللفظين اذا انفرد بالذكر لايدل الا على المعنى الذي اشرنا اليه ، من دون دلالة على احد من هذه الفروق ، ومن دون ان نلتزم بالتفرقة بينهما بواحد من هذه الفروق ، مثلا اذا قال سبحانه : «ياايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا» ـ الاحزاب ٤٥ ـ فلا يقصد من لفظ النبي ، الا كونه المطلع على الغيب والمنبيء عنه من دون ان يشير الى واحد من هذه الفروق .

واذا قال سبحانه : «ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك » فلا يقصد منه

الاصاحب الرسالة والمبعوث الى الناس لابلاغ كلام ،او تنفيذ عمل من دون انيدل على كونه ذاكتاب ، او شريعة جديدة ، او معايناً للملك وآخذاً منه الوحى ، فان واحداً من هذه المعاني لايخطر ببال اى عربي عند سماع هذين اللفظين .

نعم اذا اجتمعا فى الذكر ، مثل قوله سبحانه : «وما ارسلنا من رسول ولانبي» فالاعتراف بظهور الاية فيما ادعاه القائل من دلالة اللفظين على ان هنا طائفتين ، مختلفتين ، لكل منهما صفة وخاصية ، يدفعنا الى ابداء الفرق بينهما باحدمن الوجوه المذكورة فى كلمات القوم مضافاً الى ما يفيده لفظهما ،فيكون وزان النبي والرسول وزان الظرف والجاروالمجرور والفقير والمسكين ، «اذا افترقا اجتمعا ،واذا اجتمعا افترقا» وقد عرفت حال الوجوه السالفة ، واقربها الى الاعتبار هو الوجه الرابع المؤيد ببعض الروايات .

المسلمون في العالم

السيد هادي الخسروشاهي

بحث تحقيقي يقارن بين ما تنشره مراكز الاحصاء المغرضة وما هو الواقع

تحاول مؤسسات الاحصاء الأجنبية الغربية المرتبطة بالمحافل الصهيونية أن تظهر دائماً عدد المسلمين في العالم اقل من العدد الحقيقي لهم ولكننا قمنا بين الحين والآخر بنشر عدة بحوث حول العالم الاسلامي المعاصر واحصائيات عدد المسلمين في العالم وعرضنا على القراء الكرام آخر الارقام التي جاءت في الاحصائيات الرسمية والاسلامية عن عدد المسلمين في العالم . (١)

وفي هذا المقال نحاول ان نبحث بايجاز حول هذا الموضوع متوخين الحقيقة بعد نقد وتمحيص للمعلومات في هذا المجال متعرضين بالتالي الى احدث الاحصائيات التي اجريت مؤخراً عن قبل مسؤولين اسلاميين . . .

ذلك اننا في هذا البحث سوف لانتعرض الى الارقام والاحصائيات المرتبطة بكل الدول ، بل نؤكد على حقيقة اساسية لابد منها وهي التفريق بين الاحصائيات المضبوطة الدقيقة وبين الاحصائيات التي لاتبتني على اساس علمي بل تعتمد على التخمين والحدس وتعطي ارقاماً احتمالية عن عدد النفوس .

تماماً كما نؤكد على التمييز بين الاحصاء الذي تقوم به مؤسسة مغرضة تعمل بوحي اهداف ومخططات خاصة بها وبين الاحصاء الذي يصدر عن جماعة حيادية لاغاية لها سوى البحث والتحقيق .

فلا شك انه لايمكن الاعتماد باي وجه على اكثر الاحصائيات التي تنتشر من

---

(١) تراجع مجلة «مكتب اسلام» (الفارسية) السنة السادسة العدد ٦ ص ٣٢ - ٣٧ .

قبل المستشرقين واضرابهم من عملاء الغرب الحاقد حول بعض البلاد الاسلامية اوما يصدر عنهم حول عدد نفوس الاقليات الاسلامية المنتشرة في بعض البلاد الكافرة شرقية كانت أو غربية.

ومن جهة اخرى فاننا في بحثنا حول الاحصاء وعدد نفوس المسلمين نجد انفسنا امام ظاهرة متغيرة لاتستقر على حال ، بل هي في تغير وتحول دائم .

لهذا ،فاننا حتى لو استطعنا ان نقدم ادق احصائية عن عدد المسلمين في العالم فانه لابد ان نلتفت الى ان هذه الاحصائيات ستتغير دوماً وذلك لسببين اساسيين :

الاول : ان عدد المواليد يتزايد في العالم يوماً بعد يوم .

الثانـي : الاقبال المتنامي والمتزايد على اعتناق الاسلام في شتى اقطار العالم وخاصة في افريقيا وشرقي آسيا ، حتى ان مسألة اتباع الاسلام واعتناقه اليوم خرجت عن كونها اعتناق فرد او اسرة لهذا الدين، الى اسلام افراد قبيلة كبيرة باكملها اواهالي قرية ومدينة كاملة كما يظهر من الاخبار التي تصل الينا بين الحين والآخر من افريقيا و آسيا .

وهـذان السببان يدلان بوضوح ،على ماأشرنا اليه آنفاً من ان اية احصائيـة لعدد المسلمين قابلة للتغير السريع ، وكذلك يكون هذا موجباً لتغير النسبة المئوية لعدد المسلمين في البلاد غير الاسلامية .

ذكرنا في ابحاث السنوات السابقة ـ اعتماداً على المصادر المعتبرة ـ ان عدد المسلمين في العالم يبلغ (٦٥٠) مليون نسمة ولكن بعض الاحصاءات الجديدة ذكرت ان الرقم الصحيح هو (٧٠٠) مليون نسمة . (١) .

أما بالنسبة الى توزيع هذا العدد في مناطق العالم ،فان قارة آسيا تحتل المقام الاول من حيث كثرة المسلمين فيها اذ يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في هذه القارة بين (٥٠٠ ــ ٥٥٠) مليون نسمة ويشكلون حوالي ٢٠٪ من مجموع نفوس قارة آسيا وتأتي قارة افريقيا في المرتبة الثانية ، ذلك ان عدد المسلمين فيها يتجاوز

---

(١) يراجع بحثنا التفصيلي في مجلة «الهادي» العدد ٢ السنة الثانية ص ٨٧ ـ ٩٧ والعدد ٣ السنة الثانية ص ١٣٦ ـ ١٦٢ .

«١٧٠» مليون نسمة ويشكلون حوالي ٥٠٪ من عدد سكان هذه القارة .

وتأتي بعد ذلك قارة اوربا حيث يعيش فيها حوالي (٢٠) مليون نسمة من مسلمين (١) .

* * *

ان هذه الاحصائية العامة التي اشرنا اليها لو حاولنا ان نقارنها بما جاء في بعض مصادر الغربية الحيادية! كما يزعم اصحابها مثل «الانسيكلوبيديا البريطانية» ـ دائرة معارف البريطانية ـ لوجدنا انفسنا امام تفاوت فاحش واختلاف كبير ، ويكون هذا حد ذاته دليلا واضحاً على عدم موضوعية وحيادية هذه المصادر وواضعيها وانهم ثما يتأثرون بافكارهم المسبقة مهما حاولوا الظهور بمظهر الباحث الموضوعي المحايد.

ولكي تظهر الحقيقة بشكل اجلى واوضح ، نضع امام القارىء الكريم احصائيتين لعدد باع الأديان المختلفة ـ في العالم ـ وردتا في «دائرة المعارف البريطانية» وذلك في طبعتين ختلفتين يفصل بينهما حوالي اربعة سنوات من الزمان .

	سنة ١٩٦٨ م(٢)		سنة ١٩٧٢م (٣)	
دين	العدد بالملايين	النسبة المئوية	العددبالملايين	النسبة المؤية
مسيحي	٩٧٧/٤	٢٨/٨٪	٩٨٥/٤	٢٧/٧
اسلامي	٤٧٤/٣	١٤٪	٤٧١/٣	١٣/٣
يهودي	١٣/٥	٤/٪	١٤/٥	٠/٤
مجموع اتباع الأديان السماوية الثلاثة	١٤٦٥/٢	٤٣/٢٪	١٤٧١/٢	٤١/٤
الأديان الاخرى والعقائد البدائية	١٩٢٦/٢	٥٦/٨٪	٢٠٨٠/٨	٥٨/٦
مجموع نفوس البشر في العالم كله	٣٣٩١/٨ مليون		٣٥٥٢ مليون	

وبنظرة تحقيقية لهذا الجدول الاحصائي يمكن ان نستخلص عدة نتائج نجملها بما يلي :

---

(١) العالم الاسلامي المعاصر ، تاليف جمال حمدان ط القاهرة ص ١٢ ـ ١٦ ـ ١٨ .

(2) Britannica book of the year, 1968 .P. 669 .

(3) Britannica book of the year, 1672 . 613 .

١ ـ ان الدين الوحيد الذي نقص عدد اتباعه بين سنة ١٩٦٨ - ١٩٧٢ م هو الدين الاسلامي !! هذا الاحصاء ينتشر في كتاب يدعي الحيادوالموضوعيةفي نفس الوقت الذي نجد الكثير من المصادر والمؤسسات الاحصائية في العالم وحتى من الغربيين انفسهم ، تذكر ان الاسلام يتقدم وينتشر بسرعة ويزداد عدداتباعه ومعتنقيه وخاصة في آسيا وافريقيا ، حيث يتحول الكثير من اتباع المسيحية والوثنيين من اديانهم ويدخلون في الاسلام افواجاً .

٢ ـ الامر الثاني الذي يلاحظ في هذا الاحصاءهو ان عدد افراد المسيحيين قد تزايد في هذه الفترة ولكن نسبتهم المئوية الى عدد سكان العالم قد نقص هذا الامر يبدو معقولا حين نعلم ان تزايد السكانفي الدول المسيحية يقل تدريجياً .

٣ ـ تطالعنا في هذا الجدول بشكل عجيب ومريب مسألةازدياد عدد نفوس اليهودفي العالم لهذه الفترة ،مع انالجميع يعلمون بان اليهود لايسعون الى نشر ديانتهم ، ولا يتقبلون اتباعاً جدداً يدخلون اليهودية ،بل يجعلون هذا الدين وقفاًعلى العنصر!الاسرائيلي وحده .

واذا التفتنا الى ان احصاء عدد اليهود في العالم انما ينظم ويهيأ تحت نظر المؤسسات الصهيونية في العالم فقط ، نفهم انه ليس من المعقول اصلا أن يكون عدد اليهود في سنة ١٩٦٨ م ،١٣/٥ مليوننسمة ولكنفجأة يتصاعدويتزايدعددهم خلال اربعة سنوات بمقدار مليون واحد منالافراد فيصل عددهم الى١٤/٥ مليون نسمة ، وهذا الامر يدلنا بوضوح وبمالايدعمجالاللشك ،على انالمؤسساتالعلمية التي تدع الحياد،انماهي الاخرى واقعة تحت تأثير النفوذ الصهيونيولكن اذاعرفنا ان «دائرة المعارف البريطانية » تقوم بطبعها ونشرها« جامعة شيكاغوالامريكية» فقديرتفع التعجب وتزول الدهشة ! .

٤ ـ والنتيجة الاهم التي نخرج منها ونحن نطالع هذا الجدول الاحصائي هي ان مجموع اتباع الاديان السماوية الثلاثة ـالاسلام والمسيحية واليهودية ـفي العالم يشكل اقل من نصف مجموع عدد سكان العالم ، وهذا يدل على انالعقائد

ـثنية والمذاهب البدائية،لازالت تسيطر على مئات الملايين من الناس،مع اننا نعيش في
ـصف الثاني من القرن العشرين .

وللتوضيح اكثر من ذلك نجد في الاحصاء التفصيلي في : كتاب السنة «لدائرة ـمعارف البريطانية» انه في سنة ١٩٧٢ م بلغ عدد اتباع الديانة الهندوكية ٤٧٢/٤ ـيون نسمة وعدد اتباع «كنفوسيوش»٣٠٤/٦ مليون نسمة، وبلغ عدد اتباع الديانة ـوذية ٣٠١ مليون نسمة ويسكن كل اتباع هذه الديانات تقريباً في قارة آسيا.امـا مذاهب والعقائد البدائية فان اتباعها ينتشرون على الأغلب في قارة افريقيا وهم يشكلون ـد المسلمين الاكثرية في تلك القارة وليس من شك في انـه لو قامت المؤسسات ـتبليغية الاسلامية باعمال جدية ومخلصة للعمل في سبيل الاسلام ونشره في افريقيا، ـستطاع المسلمون وفي خلال عشرة سنين تقريباً ، من هداية عشرات الملايين هناك ـلك ان تجارب السنين الاخيرة اثبتت بشكل واضح ان الافارقة يبدون اهتماماً خاصاً صادقاً بالنسبة الى اعتناق الاسلام وذلك لعلل واسباب كثيرة . . .

* * *

وهنا لابأس من الاشارة الى احصاء آخر ، نشرته مؤسسة غربية ايضاً لان ذلك ـيخلو من مناسبة وفائدة فقد ذكر «الكتاب السنوي ودائرة المعارف لنيويورك تايمس» ـسنة ١٩٧٠ م، ان عدد المسلمين في العالم يبلغ حوالي (٤٩٣/١٢/٠٠٠) مليون ـسمة(١) والطريف ان هذا الاحصاء يعتمد في هذا الرقم على «الكتاب السنوي» لدائرة ـلمعارف البريطانية طبعة عام ١٩٦٩ م الذي ذكر عدد المسلمين بأقل من هذا المقدار ـما اشرنا اليه سابقاً .

ان هذه الاختلافات والتناقضات تدلنا بوضوح على ان الكتب والمـؤسسات ـمرتبطة بالدوائر الامبريالية والصهيونية لن تستطيع ان تتخلى عن اغراضها ودوافعها منها عدم نشر احصائية دقيقة بالنسبة الى عدد المسلمين الصحيح في العالم وذلك ـما حاولوا ارتداء لباس الحياد والبحث الحر الموضوعي .

* * *

(1) The Newyork times EncycloPedic Almanac 1970 .p. 438

الاحصائية الدقيقة التي صدرت عن بعض المؤسسات الاسلامية .

من دواعي السرة ان احدى المؤسسات الاسلامية قامت قبل سنتين تقريباً بالتحقيق والبحث لتقديم احصائية كاملة تقريباًعن عدد المسلمين في العالم واماكن تواجدهم ، وطبقاً لما ذكرته هذه المؤسسة فان عدد المسلمين الاجمالي في العالم كله يبلغ حوالي (٧٣٣) مليون نسمة (١) .

وقد وردت فى هذه الاحصائيةمعلومات مهمة عن المسلمين نشيرالى بعضهاهنا ان في العالم ١٧ دولة يشكل المسلمون فيها ١٠٠٪ من عدد السكان .

وان المسلمين في ٢٢ دولة يشكلون نسبة ٩٠ ٪

وان المسلمين في ١١ دولة يشكلون نسبة ٨٠٪

وفى ١١ دولة يشكلون حوالي ٧٠٪ من عدد السكان .

وفى ٦ دول يشكلون حوالي ٦٠٪ من عدد السكان .

وفي١٢ دولة يشكلون حوالي ٥٠٪ من عدد السكان .

وفي ٣دول يشكلون حوالى ٤٠٪ من عدد السكان .

وفيدولة واحدة يشكلون حوالي٣٠٪من عدد السكان .

وفي ١٠ دول يشكلون حوالي ٢٠٪ من عدد السكان .

وفي ٢٠ دولة يشكلون حوالى ١٠٪ من عدد السكان .

وفى ١٦ دولة يشكلون حوالى اقل من ١٠٪ من عدد السكان (١) .

وبالاضافة الى الاحصائيات السابقة التي انتشرت قبل حوالي سنتين فان اخ الاحصائياتفيهذا الصدد تشير الىانعددالمسلمينفيالعالمالانيبلغ ٧٠/٥٩٥/٠٠٠

---

(١) Yaqeen Internalonel العدد ١٩ بتأريخ٣محرم١٣٩٣هـ طبع كراچى باكستا ص٢٢٠ ومجلة « رابطة العالم الاسلامى » ط مكة المكرمة العدد ٦ السنة ١١ ص٩ ، ومج «التضامن الاسلامى» ط مكة المكرمة العدد ٩ ـ ١٠ السنة ٨ ، تأريخ ٤/١٤ ١٣٩٤ ص٩ مقال للدكتور احمد على اسماعيل .

(٢) مجلة «الهداية »التونسية العددالاول من السنةالاولى رمضان ١٣٩٣ هـ.ص ٨٩ .

ميليون نسمة(١) .

وعلى اي حال فانه من المسلم به ان عدد المسلمين في العالم يزداد بصـورة مطردة يوماً بعد يوم ، وان اعتناق الناس للاسلام يبقى محتفظاً بالمرتبة الاولى بالنسبة الى اعتناق غيره من الاديان .

وليس من شك ،فيما لوان الاسلام كان مجهزاً بوسائل تبليغية تبشر به وتنشره بين الامم على غرار مالدى الكاثوليك والبروتستانت وحتى الارثوذوكس ، لكـان عدد المعتنقين للاسلام والتابعين لهـمن المسيحيين او الوثنين ـ اكثر بكثير مما نشاهده اليوم ومن هنا فنحن نتوجه الى الله تعالى ونطلب منه ان يـرزق المسلمين تـوفيقاً واهتماماً اكثر ، ليستطيعوا ان يؤدوا واجباتهم ومسؤولياتهم في العالم المعاصـر كما ينبغي لهم ،انه هو السميع المجيب .

★

---

(١) مجلة «الشهاب» البيروتية العدد ٨ من السنة ٨ بتاريخ رمضان ١٣٩٤ هـ ص١٢ نقلا عن كتاب «قسمات العالم الاسلامي المعاصر» للدكتور المهندس مصطفى مؤمن .

لقطات... وتعليقات

السيد هاشم نصر الله

يلاحظ ـ القارىء العزيز ـ أن مواضيع بعض اللقطات كالاجهاض او الانتح
مثلا ، تحتاج الى تعليقات في صفحات ، لاتعليقات في سطور ...

ولكن نظراً لضيق المجال ـ في هذا الباب ـ اقتصرنا على السطور بدلا
الصفحات ، راجين من الباحثين الكرام تحقيقها ودراستها بشكل أوسع مع خال
الشكر لهم وللقارىء ...

* * *

يقول تقرير طبي خطير : ان ربع سكان السويديعانون امراضاً عصبية ونف
مختلفة وان ٤٠٪ من الاشخاص الذين يحالون على المعاش قبل الاوان بسبب العج
عن العمل تماماً هم مرضى عقلياً وتعتبر السويد من اغنى بلدان العالم واكثرها ر
ويتمتع سكانها بتأمين اجتماعي كامل ضد المرض والبطالة والشيخوخة ، ولا يوج
فيها فقراء ولا احياء فقيرة . وقد تضاعفت حالات الانتحار فيها ، واثبت التقرير أخير

ن دولة الرفاهيةلاتزيد من سعادة الفرد،وانماتضعف شخصيتهواحساسه بالمسؤولية الخ.

□ هذه الامراض النفسيةو العصبية، وكثرة حالات الانتحار في السويدوسائر لدول الاسكندنافية لم تكن معهودة من قبل ، الا انهااصبحت ظاهرة اجتماعيةفي مطلع لقرن التاسع عشر نتيجة للحياة الصناعية الجديدة التي ساهمت وساعدت على ايجاد لعوامل والاسباب . . .

فكثرة حالات الانتحار وغيرها ـ ترجع كما نرى ـ ويرى علماء النفس ,الاجتماع الى الافلاس الروحي والفقر الديني هناك .

وقد جاء في احدى المجلات الفارسية ،ان الاحصائيات تشير الى ارتفاع نسبة لانتحار في الدول الاسكندنافية والاوربية ـ ماعدا ايطاليا ـ التي يتمسك سكانها اعتقادهم الديني الذي يحرم الانتحار تحريماًقاطعاً شأنها في ذلك شأن الدول الاسلامية لتي تحرم الانتحار وتعتبره اجراماً وجبناً .

فالاديان وفي مقدمتها الاسلام جاءت لتعزيز ثقة المرء بنفسه ، وايمانه بالقدرة على اجتياز العقبات والصعاب ،النابع من ايمانه بالله وحكمته ، وبارادته التي يجب ن تقود الاشياء بشرط وعيها .

* * *

نقلا عن مصدر دولي موثوق به ، جاء مايلي :

اننا اليوم نشهد افظع جوع في التاريخ البشري ، فهناك حالياً مابين ثلاثين مليوناً ومائة مليون نسمة في حالة الموت البطيء بسبب الجوع وهناك مالايقل عن خمسة ملايين شخص في العالم الثالث سيموتون من الجوع قبل نهاية هذا العام.

وقد جاء في دراسات بعض خبراء الاقتصادان المواد الغذائية التي ينتجها العالم ستصبح في عام ١٩٨٠ غير كافية لسكان الارض . ومع اتساع هذه الحلقة المرعبة يتحول العالم الى بحر من الجياع .

□هذا المنطق الاعوج لايمكن التسليم به ، وهذه الدراسات لخبراء الاقتصاد نشك في صحتها ! والا فما معنى تلك العادة التي جرت في بعض البلدان الغنية على

حرق مئات الالوف من أطنان القمح لصيانة الاسعار في الأسواق العالمية ؟ ومامعنى ان تدفع الحكومة هناك آلاف الدولارات للمزارعين حتى لايزرعوا حقولهم تلافياً لانفجار الموسم ؟

وما ذنب الارض التي يقولون عنها . انها لاتكفي السكان بالمواد الغذائية في نهاية هذا القرن اذا كانت اوربا قد انفقت في العام الماضي خمسين مليون دولار على على عمليات اتلاف الفواكه الفائضة وسحبها من الأسواق لصيانة السعر في السوق العالمي ؟ .

فالذنب ليس للارض ، ولكنه ذنب السياسة العالمية الرعناء والمصالح الدولية الضيقة ويكفي ان نعلم ان نسبة واحد بالمئة مما ينفقه العالم على السلاح والتسلح كافية لاطعام الجائعين في كل بقاع الارض ! والى ماشاء الله من السنين .

* * *

ذكرت صحيفة Paris — Match مايلي :

يقول الفرنسيون أنهم يصنعون القنبلة الذرية ليس لاستعمالها في الحرب ، بل لمنع الحروب من الاندلاع فالقنبلة هي سلاح رادع تبدل الخطر النووي بالسلاح النووي . . .

فالقنبلة الذرية تقلب وجه العالم رأساً على عقب وهي تشكل ظاهرة رعب شديدة ويؤكد احد التقارير السرية عدد المراكز الحيوية ، التي يكفي تدميرها لتحويل الدول الى عدم حيث تتطلب اعادة الحياة اليها عدة عقود من السنين .

□ سوف نعرض مانشرته جريدة المدينة المنورة عدد ٣٢٥٥ ، ونترك الحكم له في مانشرته صحيفة باري مانش :

أكد احد الجنود الامركيين أن معظم جنود القاعدة الامريكية للصواريخ النووية في جونزبورج في جمهورية المانيا الفيدرالية قرب حدود تشيكوسلوفاكيا يدخنون الحشيش (١) ... وقال دونالد ماير البالغ من العمر ٢٥ عاماً أنه خلال وجوده في القاعدة

---

(١) جاء في بعض اعداد جريدة الانوار اللبنانية أن الجنود هناك يتعاطون الخمر مضافاً للحشيشة.

النووية ـ كان يدخن الحشيش كل يوم بمعدل مرتين أو ثلاث كل اربع ساعات ومضى يقول أن للاتحاد السوفياتي ايضاً قاعدة مشابهة لقاعدتنا في الجانب الاخر من الحدود في تشيكوسلوفاكيا . وقال لنا تساء لنا مراراً عما اذا كان الجنود السوفيت يتعاطونهم ايضاً الحشيش، حيث أنه لابدوان خبراء في الصواريخ يعانون الملل مثلنا .

وصرح أخيراً أنه ادلى بهذه التصريحات بقصد التنديد بالمشكلات الموجودة في وحدة جونزبورج !!

ونتصور بعد هذا العرض الملخص لما نشرته صحيفة المدينة المنورة أن القارىء سيرى ان مصيره ومصير العالم في ايدي المدمنين على الحشيش والخمرة فاي معنى بعد ذلك لعبارة ابدال الخطر النووي بالسلام النووى .

* * *

في الاونة الاخيرة كثر الكلام عن الديمقراطية وما فيها من حرية الرأي واحترام الانسان دون تمييز اذ اصبحت تشكل خطراً على حياة الشعوب نظراً لاهميتها فطلع علينا بعض المتفلسفين الذين لايفقهون حديثاً محاولا نعت الاسلام بالديمقراطية مثبتاً ذلك بكل ماعنده من حول وقوة .

الواقع أنه لاديمقراطية في الاسلام بحسب الاصطلاح العلمي لهذه الكلمة فكل سلطة في نظام الاسلام هي سلطة تنفيذية لاتشريعية (١) حتى الرسول الاعظم (ص) في صريح القرآن محض مبلغ ، وحاكم منفذ .

والذين ينعتون الاسلام بالديمقراطية ، نظراً الى مافيه من حرية الرأي والانفتاح واحترام الانسان دون تمييز في طريق الحق والعدل...على خطأ ووجه الخطأ أن النظام الديمقراطي بمعناه الحقيقي في الاصطلاح العلمي اليوم يجعل للشعب في كل دولة الحق المطلق في ان يختار بنفسه لنفسه بواسطة ممثليه مايشاء من العقيدة والتشريع

---

(١) قد تطلق السلطة التشريعية ـ عندنا ـ بنحو من العناية والمجاز على الذين يستنبطون الاحكام الشرعية من مداركها المقررة وهي الكتاب والسنة والاجماع والعقل . . .

والتنظيم الاجتماعي والحرية الفردية المطلقة في كل مالايتجاوز على حقوق الجماء
والافراد وحرياتهم .

وهذا لايمكن أن يقبل في الاسلام ،ومن استباح لنفسه هذا الحق -حق التشريع
خرج من الاسلام .

فالاسلام يمشي امام الحياة قائداً لاوراءها منقاداً «١» .

* * *

تحت زاوية - استراحة المحارب - جاء في الحوادث مايلي :

قرأت في الصحف البريطانية أن البنطلون لا يزال ممنوعاً في الحفلات الرسمية
وأذكر انني دخلت مرة صالة العشاء والاستعراض في اوتيل (سافوري) م
شلة من الاصدقاء وزوجاتهم وكان بينهم زميل هندي وعقيلته . وقبل ان نجلس حو
الطاولة المحجوزة باسمنا انطلق الخادم نحونا وهو يحذر بأصبعه ويرسم شارة ممنو
وأفهمناه اننا اصحاب الحجز ولم يمانع بل طلب من الجميع أن يتفضلوا ويجلسو
ولكنه تمنى على السيدة الهندية ان تخرج من الصالة . قلت : هذا تمييز عنصري
أجاب بهدوء : انا لا اعترض على لون بشرتها بل على لباسها وسأله زوجها مغتاظاً
وما الذي لا يعجبك في لباسها ؟ قال وهو يلتفت نحو رئيس الخدم الذي قدم ليسعف
ان البنطلون ممنوع في فندق (سافوي) وأخذ عنه رئيسه التتمة : اجل ان الادار
لا تسمح بغير الفستان لباساً محتشماً .

وبصورة لا شعورية التفت كل منا الى جانبه فاذا بالميني جوب يملأ الصالة
وعاد ليسأل زوج الهندية : لماذا لا تذهب عقيلتك وتبدل ثيابها ، ان البرنامج لم
يبدأ قبل نصف ساعة ؟ اجابه : هذا صعب جداً اننا نقيم في فندق بعيد ، يبعد مسا
ساعة وتلافياً للاحراج اقترح رئيس الخدم هذه الفكرة :

لماذا لا تذهب حضرتها الى غرفة السيدات وتخلع بنطلونها ؟ ان السترة التي

---

(١) محاضرات الرباط - حول تنظيم الوالدية - الصادرة عن المكتب الاقليمي لمنطقة
الشرق الاوسط وشمال أفريقيا .

ترتديها فوقه صالحة لان تكـون فستاناً قصيراً . وهكذا خرجت الهندية ثم عادت وهي تضحك بارتباك وحياء وقد خلعت بنطلونها واستقبلها رئيس الخدم كسيـدة محافظة تلبس فستاناً محتشماً يسمى ميكروجوب وسمح لها بالجلوس !

□ **هذه هي الحرية** : في العاصمة البريطانية ، ومدينة الخليط كما ترى ! فرض تعرية ساق المرأة في الحفلات الرسمية - التي اصبحت الهدف الرئيسـي في المدنية الغربية لانها تمثل في نظرهم رأس مال كبيراً وضخماً .

ونحن دون أن نسهب في التعليق ، ونطيل في اعطاء البيانات والارقام ، نريد ان نحيط القارىء علماً، بأن الصهيونية العالمية - التي تتمتع بتخطيط نفقده نحن عن تقصير - هي وراء ما يحدث في «اوتيل سافوي» ووراء تأسيس نوادي العراة في الغرب التي اصبح لها فرعاً في تونس المسلمة .

وهي - مضافاً الى ذلك - وراء كل ما يحدث من شاذ وغريب في العالم!

*   *   *

كتب بعض الصحافيين في الغرب ، في تحليل له عن مشكلة الشرق الاوسط أن المسلمين يزعمون بأن القرآن الكريم فيه الحلول الكافية لجميع المشاكل الدوليه والعالمية . واذا كانت الحالة هذه فلماذا لا يحل لهم مشاكلهم، وعلى رأسها المشكلة الفلسطينية التي يعانون منها اكثر من ربع قرن ! ! ! .

□ **كلام هذا الصحفي** قديكون في محله ، فيما لو كان الاسلام مستلماً لجهاز الحكم . . . ومشرفاً عليه ولكن مادام الاسلام بعيداً عن هذا الجهاز فانا لانستطيع الحكم بعجز القرآن عن حل مشكلة الشرق الاوسط .

ان الطاقات التي يوجدها تطبيق القرآن على واقع الحياة الاسلامية، والآراء المحددة تجاه كل الامور ومنها الارض الاسلامية كفيلة بتخطي معظم عقبات المشكلة والتي ترتبط بهذا الجانب . . . اما التقاعس والتمزق والتآمر الدولي فماذا علـى القرآن من وجوده وهو يرفضه كل الرفض ؟ .

مختارات

من الصحف والمجلات

تصنيف الفاظ القرآن بالعقل الالكتروني

دخلت كلمات القرآن الكريم كلها ذاكرة العقل الالكتروني ضمن مشرو
علمي كبير لاحصاءوتصنيف هذه الكلمات وينفذ هذا المشروع الذي يفتح آفا
جديدةفي دراسة علوم القرآن الدكتور علي حلمي موسى استاذ ورئيس قسم الطبي
بكلية علوم عين شمس ، الذي الف ثلاثة كتب حول استخدام العقل الالكترو
في اللغة العربية .

وظهر من النتائج الاوليةان عدد الالفاظ في القرآن الكريم ١٩٢٤ه منها ٥٧
اسماءالانبياء ،١٦٧ الفاظ من اصل رباعي او خماسي والباقي وعددها ١٢٠٠ه الفا
من اصل ثلاثي . واذا ارجعنا هذه الالفاظ الى حرفها الاول تبين لنا ان اكثرها ه
مابدأ بالهمزة مثل اتى ـ احد ـ ارض ـ والتي يبلغ عددها ٨١٧٠ ويلي ذلك الجذو
التي تبدأ بحرف «ق» مثل ـ قوم ـ قال ـ قرأ ـ قدر والتي بلغت ٤٠٧٩ ويقول الدكتو
علي موسى اننا اذا عدنا الى تصنيف القرآن الكريم على حسب الحروف الاول منا
فنرى ان هذه الالفاظ تتفاوت في مرات ذكرها بالمصحف الشريف ففي الوقت الذ

برد فيه لفظ «اله» ٢٨٥ مرة نجد انالفاظاً اخرى مثل «أبا» «ابق» «ارم» . . وقدورد كل منها مرة واحدة فقط بالقرآن الكريم .

واذا رجعنا الى معجم الصحاح الذي يحوي اللغة العربية كلها والذي يعتبر ادق المعاجم فسوف نجد ان به ١٨٧ جذراً يبدأ بحرف الهمزة ورد منهافي القرآن الكريم ٧٦ جذرا ـ والجذر في اللغة هو اصل الكلمة ـ اي اكثر من ٤٠ في المائة منها . كما ان الجذور الثلاثيةالتي تبدأبحرف«س» مثل سئل- يسجد - .. تبلغ ١٠٣ جذور بالقرآن الكريم علىحين تبلغ ٢١٨ بمعجمالصحاح ومعنى ذلك ان القرآن الكريم يحتوي على ٤٧ في المائة من جذور هذا الحرف .

وقد قام العقلالالكترونيبحصر هذهالجذور الثلاثية الواردة بالقرآن الكريم فبلغت ١٦٤٤ جذراً بينما نجد ان اللغة العربية المدونة بمعجم الصحاحتحتويعلى ٤٨١٤ جذراً ثانياً ومعنى ذلكان اكثر من ثلث اللغة العربية قد ورد بالقرآنالكريم

الاهرام ٧٥/٣/٧

سورة الفاتحة على سطح القمر

للاستاذ عبد القادر الادريسى
(المغرب)

اجرت احدىالصحف المصربة استجوابامعالعالم الفيزيائي العالميالدكتور فاروق الباز مدرب رواد الفضاء الأمريكيين ، ومدير معهد التكنولوجيا بواشنطـن وقد تحدثالعالم المصري الشاب عن رحلتهالعلمية الشاقة وتفوقه الخارقعلى علماء امريكا في ميادين فيزياء الفضاء وكيف انه اكتشف نظرية علمية جديدة عن سطح القمر ادت الى نجاح الرواد الامريكيين في النزول على الكوكب المنير .

والذي يهم من قصة هذا العالم ايمانه العميقبدينه :الأسلاموافتخاره به وهو بين علماء اجانب في ارض الغربة .

وقد ذكر في الحديث انه ارسل في السفينة الفضائية التي حطت على سطح القمر في يوليوز ١٩٦٩ ورقة من المصحف الشريف عليها سورة الفاتحة .

وتستوقفنا هنا قضية من الاهمية بمكان ،ذلك ان وكالات الانباء العالمية ،التي غطت رحلة يوليوز ١٩٦٩ ، ولم تترك شاذة ولا نادرة الا واتت على ذكرها ووصفها باسهاب تجاهلت تماما قصة سورة الفاتحة المرسلة الى سطح القمر .

ولقد ادلى الدكتور فاروق البازفي حديثه لصحيفة (الجمهورية) القاهرية بما لو رآه الانسان المؤمن لاصيب بالذهول من فرط الاعجاب والتقدير والانبهار بشخصية هذا العالم الفذ فرغم تخصصه الدقيق ، وتفوقه المدهش ، ونبوغه المبكر (سنه اقل من الاربعين) وبلوغه اعلى الدرجات العلمية والوظيفية في الولايات المتحدة الامريكية ، لم يركبه الغرور ، والادعاء الفارغ ،والتبجح بالعلم الزائد ، واعلان التمرد على رسالة السماء ،كما يفعل بعض انصاف العلماء ممن هزلت عقولهم وطمست ابصارهم ، واصبحوا ابواقا للفكر والالحاد والفسوق العقلي والوجداني ،لقد ظل هذا العالم الاتي من ريف مصر مؤمناً برسالته الموحى بها لرسول الله (ص) ،بل انه يقول في حديثه الصحفي ، انه ازداد ايماناً وثقة واطمئناناً ورسوخاً في العلم واعتزازاً بدينه وافتخاراً به اثناء رحلته العلمية المضنية ، ولاشك ان هذا نموذج فريد ، وشامخ من نماذج الايمان القائم على العلم والمعرفة .

ويقول العالم الفيزيائي الذائع الصيت ان رواد الفضاء الامريكيين يعودون من رحلاتهم الفضائية اكثر ايماناً بالله ،بل ان منهم ،من اعتزل العمل في ميدان الفضاء وتفرغ للتبشير.

ان العلم الحقيقي ، الخالص لوجه الحقيقة الوضعية ، والمنزه عن الهوى والغرض والطمع والشهوة يؤدي حتماً الى الايمان بالله سبحانه وتعالى والا ماذا نقول في الدكتور الباز العالم المؤمن المسلم ؟

انه نموذج للتحدي الهائل الذي يتمثل اليوم وغدا ، في هذا الاسلام الشامخ،

جوهر الاسلام التونسية

العدد ٣ ــ ١٣٩٥ هـ

عندما يستعين العلم بالدين

مؤتمر علمي لدراسة القلق

يقرر انه

مرض علاجه الايمان

ماهو القلق :

اجتمع في المانيا الغربية اكثر من خمسة عشر عالما نفسانيا من مختلف البلدان الاوربية والغربية للتشاور في امور مشاكل العصر ، وخاصة في مشكلة القلـق التي طرحت بشكل جدي وقد استهدف المجتمعون اعطاء تعريف حقيقي ورصين للقلق وتبني الحلول لمعالجته .

ومن الذين تكلموا في المؤتمر الدكتور زيغمان الذي قال : (ـ كـل انسان ذكي يعتبر قلقا، ان ذكاءه قلقه ! والقلق شعور مؤلم تصاحبه مشاكل وتعقيدات جسدية وارتجافات ، ونوبات عصبية ، وضربات سريعة في القلب وعرق وضيق بالتنفس ، ونشاف في الفم وارتخاء في الأرجل » وعرف الدكتور ريتشاردبونز مـن جامعة كاليفورنيا القلق المرضي بقوله : « . . . ان القلق المرضي مدمر . وليس فقط يدمر الفرد الذي يمتلكه لكنه يفني ويشل مسبقا جميع اعمال المرء وتصرفاته . فما الفرق اذا بين الخوف والقلق ؟ الخوف هوردة فعل امام خطرما ، اما القلق فهوردة فعل امام خطر لايوجد بالواقع خارجياً .. فالقلق ليس خيالياً او تصوريا بل يرتكز على خوف داخلي عنيف . . ومن المحتمل ان تقوم مؤثرات نفسية عديدة بتحريكـه .»

وقال الدكتور جون روبرتسون : . . . قد يكون القلق انحرافاً عقلياً بسيطاً ، فكرة سوداء مثلا اي قد يكون نوعاً من السويداء ، او من الذعر ! وهناك نوع مـن

القلق يترك المرء غارقا في الخبل اذ يصبح الفـرد مستسلماً للمخاوف والافترضات والشكوك .

مسببات القلق ...

اما مسببات القلق فكثيرة ، لكنها يمكن اثباتها ببراهين علمية فاكثرها نوع من التصور او التكهن ، وما زال حتى الان سبب القلق الرئيسي مجهولا . . .

التنازع الداخلي :

يولد احياناً القلق بطريقة لاشعورية .. فالمرء يعي قلقه لكنه يعجز عن اعطاء سبب له من هنا يجب البحث عن الاسباب العميقة في اغوار نفسية المرء وقد تكون ناتجة عن طفولته وطريقة تربيته البيتية ..

العدائية الخفية :

هي سبب اخر من اسباب القلق ، وهي تظهر احياناً في الوسط العائلي او في مجال العمل فالاب المتسلط مثلا يولد عند ابنه نوعاً من العدائية تلك تختفي قبل ان تصل الى الوعي والادراك . . وذلك ان نظام الاخلاق والتربية المتشددة والاجتماعية تمنعان الولد من ان يثور على والديه فيحول القلق الباطني الى مظاهر واعـراض ذهنية وبدنية كالاحلام وخفقان القلب والدوخة وتصبب العرق والوسواس والنـدم

المظاهر الاجتماعية :

الجوع ، التشرد ، الوباء ، الحرب بمختلف انواعها الخوف مـن انقراض الانواع والاجناس ، التحدي الذري والنووي والالكتروني ، التوسع الفكري كـل تلك ماهي سوى مظاهر واسباب غير مباشرة للقلق الجماعي عند الناس .

وحسب احصائيات جرت في اوربا والولايات المتحدة تبين ان نسبة ٧٥٪ من

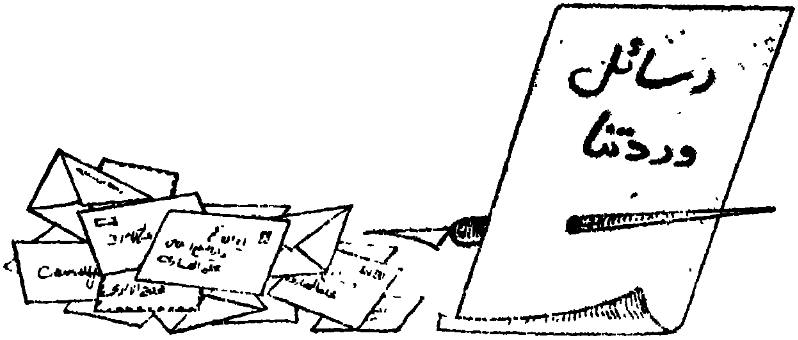
الافراد قلقون وقلقهم متشابه ،وخوفهم عميق ..لقد شبههم العالم النمساوي هانز ريشمان بالاسماك التي لاقرار لها في البحر العميق . ..

الحل

اين يكمن الحل ؟؟ سؤال سابق لاوانه . . اذ يجب ان نعرف ماهي الاسباب الحقيقية . . ؟ فقد توصل المؤتمرون في المانيا الغربية الى تبني حلول جزئية لتلك المشكلة العالمية فأخذوا على عاتقهم مهمة معالجة الفرد عن طريق تكييفه مع المجتمع بشكل واقعي ليتمكن من التعلق بخشبة الخلاص .

وقد تبين في دراسات جرت ان العقيدة الدينية هي التي تحفظ توازن المرء وتمنعه من تدمير نفسه فلولاها لكان اختل التوازن الاجتماعي والفكري عند الكثيرين من الناس بسبب القلق ..! وكان الاجماع الوحيد للعلماء هو ان الدين يقدم للانسان خير دواء للقلق ! .

دنيا العلم-العدد ٢٤
السنة الرابعة كانون الاول
٢٧٤



□ ارسل الينا الأستاذ الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي بواشنطن رسالة تعبر عن اخلاقية رفيعة يقول فيها «أهنئكم على مواقفكم الكريمة في ضم الشمل وجمع الكلمة وازالة الفوارق المصطنعة التي تهدف الى التفرقة وبث الاحقاد ، ولقد سرني ان سيادتكم تقومون بهذه الجهود الاسلامية المخلصة في حكمة وسداد ونبل وعفة ، واشير بصفة خاصة الى تعليقكم الكريم الصادر في صفحة ١٦ من العدد السادس من السنة الثالثة .

بارك الله فيكم ونفع بكم وكتب لكم ولنا جميعاً اطراد التوفيق والنجاح في خدمة رسالة ديننا الحنيف .

□ ومن الاستاذ صالح ابو رقيق مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية رسالة عاطرة يقول فيها :

«فاننا نتلقى اعداد مجلتكم الزاهرة (الهادي) بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ونتنهز هذه الفرصة للتعبير لكم عن تقديرنا واعجابنا بما تنشره من موضوعات اسلامية هادية وهادفة كما يهمنا ان ننوه بمقال الاستاذ احمد الحسيني المنشور بالعدد الخامس عن التراث الاسلامي ، وشكرنا وتقديرنا لعنايته به وفقنا الله واياكم الى ما فيه رفعة

ة الاسلامية واعلاء شأنها» .

□ ومن الاخ زكريا بلبادانه ـ الفليبين ،وصلتنا رسالة يقول فيها:

«لقد قرأت مجلتكم ـ الهادي ـ الغراء ،العدد الثاني من داركم التبليغية السامية دسيادتكم كما تعلمون بان كون بلادنا ـ الفلبين ـ بعيدة عن الدول الاسلامية بة يجعلها في حاجة ماسة لامثال هذه المجلات الغالية» .

□ ومن الأخ عبد الرحمن بن ابراهيم ـ من الجزائر وردتنا رسالة يقول فيها:

«اكتب لسيادتكم هذه الاسطر لاول مرة بعد حصولي على عنوانكم من مجلة Voise of IsL» اليابانية راجياً منكم قبول طلبي وتزويـدي بمجلتكـم الغـراء ادي» كما ارجوكم اعتماد اسمي وعنواني المدون اسفله وايفائي بالمجلة بصفة بية» .

□ ومن الأستاذ مدرس التربية الدينية في المدرسة الجعفرية بالكويت جاءتنا لة كريمة يقول فيها .

«أطلعت والفرحة تغمر قلبي على كتاب «عقائد الامامية» الصادر عن هذه الدار ركة . . وفهمت بانه ليس الكتاب الاول ولن يكون ـ باذن الله ـ الاخير» غير ود ان اقترح عليكم ارسال بعض النسخ الى المدرسة الوطنية الجعفرية في الكويت نى لابنائنا وغيرهم الاطلاع عليها» .

□ ومن الاخ السيد عبدالله فراج الشريف ـ راس الخيمة ـ وردتنا رسالة عاطرة يقول فيها

«استلمت مجلتكم الاسلامية الجامعة التي ماأن طالعتها حتى و جدت فيها لوناً المجلات الفكرية المتقدناه في بلادنا الاسلامية طويلا فحلت من قبلي سويداءه نلت من مكتبتي مكان الصدارة فشكراً جزيلا على هذه البادرة وجزاكم الله خيراً»

□ وقد وصلتنا رسائل تحية كثيرة تعبر عن شعور اصحابها الافاضل تجاه المجلة مائها والقائمين عليها ومنها رسائل من كل من الاساتذة :

- السيد امين السر العام لمجمع اللغة العربية في دار الكتب الوطنية الظاهرية دمشق.
- السيد صالح كمال نجل يحيي ـ كوماسي ـ غانا .

- السيد ادريس عبد الرحمن ككروكي - يوغسلافيا .
- رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية في بعلبك - لبنان .
- السيد رياض جابر - آخن - المانيا الغربية .
- السيد حسين عبد الله جعفر - بوماسا - كينيا .
- الدكتور انطون شال استاذ اللغات السامية والدراسات الاسلامية في المغرب
- مدير المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف - لبنان .
- الجمعية التبليغية الاسلامية في سنغافوره .
- السيد عمر الفاروق احمد امام سكرتير عام المدرسة الرشادية - كوماسي - غانا
- السيد منصور حميد - من الولايات المتحدة الامريكية .
- السيد الامين العام لمكتبة الجوادين العامة في الكاظمية - العراق .
- الدكتور مقداد يالجن الاستاذ بالازهر - القاهرة .
- السيد مهدي الحكيم - بنت جبيل لبنان .
- السيد سلمان هادى آل طعمه - كربلاء العراق .

والهادى : اذ تشكر للاخوة الاساتذة تفضلهم بهذه الرسائل المعبرة لتدع - الله تعالى - ان يوفقها للسير على صراط خدمة العقيدة بكل ثبات وحكمة انه السميع المجيب .

شؤون المسلمين في العالم

ابو مقداد

هكذا احتفل الاسرائيليون باحتلال القدس :

شهدت مدينة القدس في ٨ آيار ١٩٧٥ اشتباكات عنيفة بين متطرفين يهود دخلوا المسجد الاقصى واخذوا يطلون جدرانه بالدهان الاسود ، وبين شبان عرب تصدوا لهم ، وكان اليهود المتطرفون من منظمة «بيتهار» يحتفلون بالذكرى الثامنة لاحتلال اسرائيل لمدينة القدس ، وذلك حسب التقويم اليهودي .

النهار ٩/آيار/١٩٧٥ م

□ وبهذه المناسبة نذكر المسلمين بالانتهاكات السابقة لحرماتهم في هذا الجزء الحبيب من بلادهم ، واننا لنحذرهم ان لم يهبوا لنجدة اخوتهم الصامدين ويقفوا معهم في محنتهم التي هي محنة الجميع ،فلا بد ان ينتظروا المزيد من هذه الاهانات التي تتحدى وجود الامة وعقيدتنا في المستقبل وذلك يتوضح تماماً اذا اعطينا هذه الاعمال الاجرامية ابعادها واطرها الحقيقية .

بين الاهتمام ـ والاهمال :

اصدرت المحكمة العسكرية الاسرائيلية في اللدحكماً بالسجن لمدة ٣٧
بحق الشيخ محمد محمود ابو طير امام مسجد قرية ام طوبا قرب القدس .

□ خبـر مر ولم يعلق عليه الا بالقليل في حين رأينا تلك الضجة الك
والاجتماعات المتوالية وتدخل الجهات العالمية لانقاذ المطران كابوجي . . .

فماذا يمكن ان يوصف به ذلك الاهتمام وهذا الاهمال خصوصاً اذا لاحظ
محكوميـة العالم المسلم التي بلغت اضعاف مدة محكومية المطران .

خطوة موفقة :

ابو ظبي : ذكر رسمياً ان النشاط التبشيري للترويج للديانات غير الا
سيعاقب بغرامـة او بالسجن بموجب مشـروع قانون تعده وزارة العدل في
الامارات العربية المتحدة كما سيحظر القانون أي نشاط يسيء الى الاسلام .

السياسة الكويتية ١٩٧٥/٤/٨

□ هذا الاجراء ضروري جداً ونطالب ان يعمم في كافه الاقطار الاسـ
لتحصين المسلمين من اخطار الافكار اللااسلاميـة المنحرفة وسمومها ، ولا
الوقوف في وجه النشاطات التي يقـوم بها اصحاب المبادىء من غير الاسلام
لسنا واثقين من عقيدتنا وصلاحها ، ولذا نخاف عليها من الافكار الاخرى فيم
وقفت الى جانبها ، كما حاولت بعض النشرات المسيحية أن تدعيه حينما و
ان بعض كتبها ومجلاتها تمنع في بعض البلاد الاسلامية ويحال بينهاوبين و
لمـن تريـد ، وانمـا هـذا الاجـراء ضروري لاننا نـرى ان الشعب الم
اليوم اين كان من البلاد ليس عالماً كما ينبغي باصول عقيدته ونظامه اى انه
فراغاً وخواءً فكرياً فهو لا يعرف عن الاسلام سوى بعض المفاهيم والتي
مشوشة في اغلب الاوقات ، وفي مثل هذه الحالة لو فسح المجال للافكار اللااس

وهي تحاول ان تظهر بمظهر جذاب ، وتتمتع بشعارات براقة لا تمت الى واقعها الاصيل ، لا شك انها في هذه الحالة سوف تستهوي الكثيرين من ابناء المسلمين وبالمناسبة فاننا نرى العلاج لا يكون باتخاذ مثل هذه الخطوة فقطوانما هي تحتاج الى مكمل والى عمل بناء ثان ، وهو العمل على تثقيف المسلمين وتركيز الاسلام ومفاهيمه في القلوب والعقول بصورة علمية وبلغة العصر ، لتتكون مناعة ذاتيةقوية عند المسلمين ، وبعدها لا يخشى على المسلم من أية فكرة ، بل عندها لا بـد ان ينطلق المسلم ليبشر ويدعو لدينه ولن تستطيع اية فكرة وأي مبدأ ان يقف فيوجهه اما والمناعة غير حاصلة فالسماح للوباء بان ينتشر امر لا يرتضيه منطق .

مكافأة للصومال العلماني :

تقرر أن يعقد مؤتمر القمة العربي الثامن في مقاديشو عاصمة الصومال .

ولقد كنا نتوقع ان تمتنع الدول المدعوة اليه عن ذلك والاستعاضة بعاصمة اخرى احتجاجاً منها على حملات الاعدام والسجن والتضييق التي تجري في تلك البلادفكيف نتصور ان عشرة من العلماء المسلمين يحرقون في بلدينتسب الى الاسلام ثم تلبي نداءه مجموعة من الدول العربية الاسلامية لا بالحضور فقط،وانما سبقتها معونات مادية ضخمة لتركيز النظام !

الاحرف العربيةتبدل بالاحرف اللاتينية في هذا البلد ، ثم يعقد مؤتمر عربـي على اعلىمستوى فيه ! ! اليس هذا من العجيب،وقد قيل قديماً : شر البليةمايضحك. لسنا ندري هل ستكتب قرارات وتوصيات القادة العرب بعد اليوم بالاحرف اللاتينية، ويتخلون عن لغتهم الحبيبة العزيزة ؟

لعل ذاك سيحصل ، وما عشت اراك الدهر عجباً .

قضية اسلامية يجب ان لا تنسى :

اتفقت الهند مع الشيخ عبدالله الذي كان يلقب في ايام زمان بـ«اسد كشمير»بأن

تسند اليه ولاية كشمير ، على ان يرفع يده عن المطالبة باستقلالها، وكان هذا الرجل قد قضى اكثر من عشرين سنة في سجون الهند من اجل قضية كشمير الاسلامية.

□ مع ان هذا الاتفاق ينافي ما يسمى بقرارات الأمم المتحدة التي نصت قبل سنين عديدة على اجراء استفتاء حر نزيه في كشمير لتقرير مصيرها الا اننا وجدنا العالم يلوذ بالصمت ، مع انه خرق لاتفاق دولي صدر من منظمة عالية تدعو جميع الدول الى التقيد بقراراتها واحترامها .

ولكن شرعة المصالح لا الحق والعدل هي التي تتحكم مع الأسف الشديد في عالم القرن العشرين المتمدن المتحضر . . . ! !

اننا هنا انما نوجه كلامنا على الأخص للشعوب الاسلامية مطالبين بأن لا يتناسوا هذه القضية التي تمس اخواناً لهم بالصميم ، وان لا يرضخوا للامر الواقع فان هذا الرضوخ والاستسلام جر سابقاً ولا يزال الكثير من الكوارث والضياع لهذه الامة ، فهذه كشمير ، وتلك فلسطين التي صرنا نرجو اليوم أن تسترد لنا بعض الاراضي فقط ، ولتنعم اسرائيل بعدها براحة البال والاطمئنان ، هذا بالاضافة الى قضايانا في ارتيريا ، وزنجبار والفيليبين والصحراء المغربية وغيرها .

كفى يا مسلمون هذا الرقاد ، وانتبهوا تحت مقارع الذل وسياط الهوان ، وان كنتم لا تريدون ان تتعلموا من ماضيكم وتأريخكم ، فتأسوا بشعوب اخرى في عصركم وزمانكم ، وكونوا وحدتكم واستردوا كراماتكم .

المجزرة الدامية في لبنان:

لم تكن احداث لبنان الاخيرة مفاجأة . . ونحن نتوقع في كل لحظة ان ينفجر الوضع ويؤدي الى ماهو اكثر مما وقع من خسائر مفجعة في الارواح بشكل خاص وذلك لان المعادلة القائمة في لبنان معادلة زئبقية .. تكفي اقل حركة بسيطة لتغييرها تغييراً تاماً ..

فالوجود الفلسطيني على ارض لبنان مازال ينظر اليه على انه دملة يجب ان

. . .

تفقأ ... وزائدة لحمية يجب ان تستأصل .. دون أن يؤخذ بعين الاعتبار أن ارض لبنان ارض للفلسطينيين من اي منظار أردنا ان ننظر ..

اذ حتى من يدعون الى القومية ـ وللاسلام منها موقف الرفض ـ ينادون بأن الحواجز التي ارتفعت فوق الأرض العربية حواجز من صنع الاستعمار . . والخلق الانساني والضمير الحي يدعوان الى حسن استضافة الفلسطينيين الذين شردوا من بلادهم ومازالوا يعانون ويلات هذا التشريد اللاانساني في القرن العشرين . .

وقبل هذا كله المنطق الاسلامي الذي يفرض على جميع المسلمين ان يتضامنوا مع اخوة لهم تعرضوا للاضطهاد والامتهان . ويفرض على مسلمي لبنان بالخصوص ان يحسنوا ضيافة اخوة لهم في العقيدة . . ويبدو ان الفرقاء الآخرين لم يستطيعوا الى الآن ان يفهموا أن عليهم مراعاة الفلسطينيين انسانياً ومراعاة المسلمين اللبنانيين في الفلسطينيين ، والى ان يتم هذا فسوف يبقى برميل البارود معرضاً للانفجار في كل لحظة كما قلنا ..

غير ان من المنطقي ان تكون لنا كلمة مع اخواننا الفلسطينيين : اننا نريد منهم ان لا يفسحوا المجال لعناصر الاثارة ...وفي هذا الجو المشحون تتعمق المسؤولية لتجنب كل ما من شأنه الاثارة . . ..

ولكن ليس معنى هذا اننا نحملهم مسؤولية الاحداث الاخيرة فلقد طالعنا رئيس الوزراء رشيد الصلح بتحميل المسؤولية بصراحة الطرف الآخر . حفظ الله بلادنا الاسلامية من كل مكروه ...

رفض في محله :

لندن ـ رفض الاتحاد الوطني البريطاني للطلاب قبول طلب اتحاد الطلبة اليهود الذي تقدم به اليه ليصبح عضواً بالاتحاد بوصفه منظمة طلابية وصرح تشارلز كلارك رئيس الاتحاد الوطني البريطاني بأن مواقف اتحاد الطلبة اليهود العنصرية الخاصة بمعاداة اللون والجنس والعقيدة هي التي حالت دون قبوله وان كان يمكن ان يقبل بصفة مراقب

الرأى العام الكويتية ١٠/٤/٧٥

ـ اكتشفت مجموعة قيمة من المخطوطات العربية في احد المصارف بمقاط ليكتنشتاين الواقعة بين النمسا وسويسرا ، والمخطوطات المكتشفة اكبر مجموء لمخطوطات كتبت على ورق البردي تكتشف حتى الان ويعود تاريخها الى ماقبل ء ١٢٠٠ . وهذه المجموعة ستـزود التاريخ الاسلامي بتفاصيل وافية عن الفترة الت تلت وفاة الرسول العربى الكريم .

الحياة اللبنانية ١٠/٤/د

ـ يوغسلافيا ـ في الاستفتاء الذي جرى في يوغوسلافيا لمعرفة القوميات في البلا اختار المسلمون الاسلام جنسية لهم .. وصارت يوغوسلافيا تعترف بالاسلام كجنـ لهم .. وصارت يوغوسلافيا تعترف بالاسلام كجنسية مستقلة على قدم المساواة م الصربية والكرواتية والمكدونية والسلافية . . وهكذا يثبت المسلمون دائماً انهم أقو من المحن وانهم قادرون على التمسك ابداً بهذا الشرف العظيم «الاسلام» . .. بينمانر والأسف يملأ نفوسنا بعض المنتسبين الى الاسلام الذين يزعمون انهم يعملون له نراهم يضيفون لاسمائهم جنسيات الارض والطين ..!!

الأخبار الكويتية ـ العدد الثالث عشر السنة التاسـ



«تقرير قسم الوعظ والتبليغ»

بعثة آية الله العظمى السيد شريعتمداري الى الهند ...

بناء على دعوة وجهت من قبل بعض العلماء والشخصيات الشيعية فى الهند الى سماحة آية الله العظمى السيد شريعتمدارى دام ظله والى دار التبليغ الاسلامى فقد قامت بعثة مكونة من بعض المندوبين عن الدار بالسفر الى هناك في يوم ١٥ ربيع الاول ١٣٩٥ وقد قامت البعثة بقضاء سبعة عشر يوماً في التجوال بربوع الهند والالتقاء بالجهات العلمية والمراكز الاسلامية وعلماء الطائفة وابنائها في كل من: دهلي وامروها ، ومرا وآباد ، وكلينه ، ونوكانوان سادات ، وآكره وجامو ، وبنارس ، وعليكر: بمبئى، لكهنو ومن جملة المراكز العلمية التى زارتها nternational Hacceiu organeusto faoalty of TcaLgy وشوسته confferene ... sh لكهنو والجامعة الاسلامية فى عليگره .

وقد حصلت البعثة على معلومات ضافية عن وضع المسلمين هناك عموماً ووضع الطائفة الشيعية خصوصاً كما وانها قامت بالقاء مايقرب من ٣٠ محاضرة في نقاط مختلفة.

وقدقوبلت البعثة اينما حلت بالترحيب الحار من قبل العلماء والطبقات الأجتماعية المختلفة هذا وقدقامت بتقديم تقرير مفصل عن فعالياتها التبليغية الى سماحة آية الله العظمى السيد شريعتمدارى ودار التبليغ الاسلامي مستحدثة فيه عن الوضع العام والخاص هناك ومازال التقرير قيد الدرس والمطالعة لتتخذ الخطوات الضرورية بعد ذلك.

تقرير قسم النشر :

أ ـ المنشورات التي اصدرتها الدار خلال الشهرين الماضيين لتوزع مجاناً هي كما يلي .

١ ـ دور الأيمان في حياة الانسان (باللغة العربية) .

٢ ـ الزكاة ـ موقعها ومعطياتها الفردية والأجتماعية (باللغة العربية)

٣ ـ بأية لغة تؤدى الصلاة (بالفارسية) .

٤ ـ مسألة النبوة (بالفارسية) .

٥ ـ حياة الامام الرابع زين العابدين (ع) (بالفارسية) .

ب ـ الكتب التي قام مركز المطبوعات في الدار بطبعها وتوزيعها خلال تلك المدة هي كما يلي :

١ ـ سيرى در نهج البلاغة (جولة في نهج البلاغة) (الشيخ مرتضى المطهري)

٢ ـ پژوهشي درباره انجيل ومسيح (تحقيق فى الانجيل والمسيح) (للسيد هادي الخسروشاهى) .

٣ ـ بررسى مسائل كلي امامت (البحث في المسائل العامة للامامة) (الشيخ ابراهيم الاميني) .

٤ ـ فاطمة زهرا بانوى نمونه اسلامي (فاطمة الزهراء مثال المرأة المسلمة) (الشيخ ابراهيم الاميني)

٥ ـ تربيت كودك (تربية الطفل) الدكتور احمد بهشتي .

٦ ـ سيستم اخلاقي اسلام (النظام الاخلاقي في الاسلام) الشيخ جعفر سبحاني

التقريـر التعليمـي:

قبلت الدار في خلال شهرين خمسة طلاب من الاقطار المختلفة وهم :

١ ـ محمد عيسى نصر من فرنسا .

٢ ـ على محب الاسلام من المانيا .

٣ ـ عبد المطلب شهاب من اندونيسيا .

٤ ـ عبد الحكيم من داهومى في افريقيا .

٥ ـ مفتاح ثاني من داهومى في افريقيا .

تقرير مكتبة دار التبليغ الاسلامى :

في خلال شهري ربيع الاول وربيع الثاني من سنة ١٣٩٥ هجرية بلغ عدد الكتب المهداة للمكتبة ١٧١٨ كتاباً والكتب المشتراة ٢٨ كتاباً والمجلاة المهداة ٣٠٢ مجلة وبلغ عدد المطالعين ٥٧٧١٨ مطالعاً والكتب المطالعة ٥٩٧٩٠ كتاباً .

كما وانقسم الاعارة فى المكتبة يستقبل ما بين ٤٥٠ الى ٥٠٠ مراجع لاستعارة الكتب المفيدة .

ومرة فى السماء . بقية ص ١٦

وقال السيوطي عند تفسيره لهذه الآيات : «وقد رآه النبي (ص) على صورته التي خلق عليها ، فرآه النبي (ص) وكان بحراء ، وقدسد الأفق الى المغرب،فخر مغشياً عليه ، وكان قد سأله أن يريه نفسه علىصورتهالتي خلقعليها، فواعدهبحراء، فنزل جبريل على صورة الادميين الخ . . .» (١)

وأما انه على هيئة أي رجل كان يأتيه جبرئيل :

فانني ما رأيت مورداً يدل دلالة واضحة على أنه كان دائماً ينزل على صورة شخص بعينه . .

الا أنه . . قد ورد فىالروايات والتواريخ ذكر مواردخاصة، نزلفيهاجبرئيل على صورة دحية بن خليفة الكلبي . .

منها : ما سبق عن أمالي الشيخ ، عن ابن عباس ، قال : كان رسولالله (ص) يغدو اليه علي فى الغداة ، وكان يحب أن لا يسبقه اليه أحد ، فاذا النبي في صحن الدار ، واذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي . . . الىأن قال : فانتبه النبي، فقال : ما هذه الهمهمة ، فأخبره الحديث ، فقال: لم يكن دحية، كان جبرئيلالخ..

ومنها : ما في صحيح البخاري بسنده الى أبي عثمان قال : أنبئت أن جبرئيل عليهالسلام أتى النبي (ص) ، وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي (ص) لام سلمة : من هذا ، أو كما قال ، قالت : هذا دحية ، فلما قام ، قالت : والله ماحسبته الا اياه حتى سمعت خطبة النبي (ص) يخبر خبر جبرئيل الخ . . (٢)

ومنها : ما ورد فى البحار في غزوةبني قريضة ، وفيه: فخرج، فاستقبلهحارثة بن نعمان ، فقال له : ما الخبر ياحارثة؟ فقال : بأبي وأمي يارسول الله (ص) ، هذا دحية الكلبي ينادي فى الناس : الا لا يصلين العصر أحد الا في بني قريضة ، فقال: ذلك جبرئيل الخ . . .

---

(١) تفسير الجلالين ، سورة النجم . .

(٢) صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٣ ، وقريب منه ما فى ج ٤ ص ٢٥٠ .

الى آخر ما هنالك من القضايا المشابهة لما ذكرنا . .

وهي كما ترى لا تدل على انه كان ينزل دائماً على صورة دحية الكلبي . .

لكنه قد روى عن حذيفة بن اليمان حديث لا يبعد أن يستفاد منه العموم، وهو أنه قال : ان الناس كانوا يدخلون على رسول الله (ص) قبل الحجاب اذا شاءوا، فنهاهم رسول الله (ص) : أن يدخل أحد اليه ، وعنده دحية بن خليفة الكوفي (١) .

وفي ذيله على ما نقله في البحار في مورد آخر، قال حذيفة : واني أتيت رسول الله يوماً ، فرأيت شملة مرخاة على باب ، فرفعت الشملة فاذا أنا بدحية الكلبي، فغمضت عيني ، فرجعت قال : فقال لي علي (ع) : ارجع يا حذيفة . . الى ان قال: فقال النبي (ص) : يا علي من حجر من أخذت رأسي ؟ ، وغاب دحية ، فقال: أظنه من حجر دحية الكلبي ، قال: اجل ، فأي شيء قلت ؟ وأي شيء قيل لك؟ ، قال: قلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد علي : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين ، فقال النبي (ص) : طوبى لك يا علي ، سلمت عليك الملائكة بامرة المؤمنين . . (٢)

فالمستفاد منه : أنه (ص) قد منع الناس من الدخول عليه، اذا كان دحية عنده، من جهة أنه : لعله جبرئيل ؛ فلا يليق ، ولا ينبغي الدخول عليه، وهو عنده ؛ فاذا فرض: أن جبرئيل كان يتمثل أيضاً بصورة شخص غير دحية ، فلا بد من النهي أيضاً عن الدخول على النبي ، اذا كان ذلك الشخص ـ الذي يحتمل أنه جبرئيل ـ عنده ...

واذا أضفنا الى ذلك كله ما ورد في ترجمة دحية ، فاننا يحصل لنا الاطمئنان بأنه كان دائماً يأتي على صورة دحية الا مرتين . .

قال في الاصابة : «وكان (أي دحية) يضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبرئيل ينزل على صورته ، جاء ذلك في حديث ام سلمة، ومن حديث عائشة ،وعن الطبراني من حديث عفير بن معدان ، عن قتادة ، عن النبي (ص) قال: كان جبرئيل

---

(١) البحار ج ٨ ص ٢٠ نقلا عن كشف اليقين للعلامة الحلي . .

(٢) البحار ج ٩ ص ٢٥٥ .

يأتيني على صورة دحية الكلبي . .» (١)

وفي الاستيعاب قال : وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، قال : كان رسوا الله (ص) يشبه دحية الكلبي بجبرئيل (ع). . ومثل ذلك جاء في الطبقات ج٤ص٨٤ في عدة روايات . . وفيه قال : أخبرنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري، عن أبي عن ابن شهاب قال : قال رسول الله (ص): أشبه من رأيت بجبرئيل دحية الكلبي..(٢)

وفي الطبقات أيضاً قال : أخبرنا عفان بن سلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن اسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، عن ابن ابي عمير، عن النبي (ص) قال: كان جبرئيل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي . . (٣)

وقال في قاموس الرجال : دحية بن خليفة الكلبي عده ابو عمرو وغيره في ل. شهد أحداً ومابعدها ، وفي أخبار الفريقين: أن جبرئيل كان يأتي النبي (ص) في صورته، وذلك دليل ثقته .

هذا . . ويمكن الجمع بين هذه الاقوال ، وبين الأقوال الدالة على أن جبرئيل عليه السلام : كان يأتي على صورة دحية كثيراً ، كما في البداية والنهاية ، أو : أنه كان يأتي على صورته احياناً ، كما في اسد الغابة ورجال المامقاني ، بأن يقال : ان جبرائيل (ع) : كان اذا تمثل رجلا ، فانه يتمثل بصورة دحية دائماً ، وهذا لاينافي أن يكون هذا التمثل قليلا بالنسبة الى الموارد التي لا يتمثل فيها على صورة الادميين ، وهي كثيرة ، قال في المناقب : وسمعت مذاكرة : أنه نزل جبرئيل على رسول الله (ص) ستين ألف مرة . . وسواء كان ذلك مبالغة أو لم يكن، فان النتيجة تكون أنه اذا تمثل بصورة الادمي تمثل بصورة دحية ، وأن ذلك كان أحياناً . . واما مجيئه على غير صورة الادمي ، وكونه على صورة الملك، فقد كان اكثر . . والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى .

---

(١) الاصابة ج ١ ص ٤٧٣ .

(٢) و (٣) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٨٤ .

مكتب اسلام

الهادي

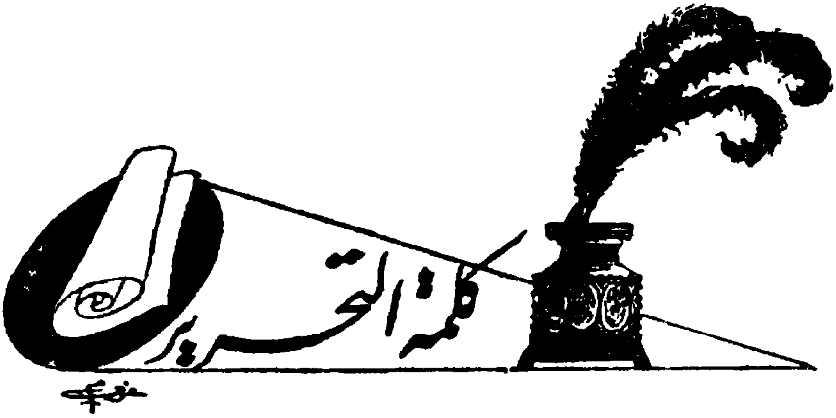
مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثالث ـ السنة الرابعة

شعبان ـ ١٣٩٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس



الموضوعية التي نفتقدها ! !

يجد المرء ظاهرتين غريبتين في مجال من يعطون رأي الاسلام في مسألة او موضوع من المواضيع . . .

ولئن عبرت احدى هاتين الظاهرتين عن جهل وتعال على الواقع فان الاخرى تعبر حتماً عن عدم التفات للعواقب السيئة التي تترتب عليها .

اما الظاهرة الاولى فهي ما نطالعه احياناً في بعض الصحف والمجلات واسعة الانتشار وحتى ما نلاحظه في اماكن التجمع العامة من قيام البعض من الكتاب البعيدين عن الاطلاع على الاحكام الاسلامية ومصادرها التشريعية، قيامهم باعطاء رأي في بعض القضايا ناسبين ذلك الرأي للاسلام ومستشهدين برواية او روايتين مدعين انها تدل على المقصود . . ولقد استشرى هذا الداء حتى رأينا بعض الخارجين على العرف

الديني من امثال أصحاب المجلات الخلاعية يحاولون ان يعطوا رأي الاسلام للناس . . وأخيراً فقد طالعنا بعض الاراء البعيدة عن روح الاسلام والتي ابداها بعض الرياضيين المشهورين او بعض الحكام المسكريين البعيدين عن عالم الفتوى والتشريع ! ! والكل منهم يصر على ان هذا هو رأي الاسلام الذي يجب ان يطبق . . وعندما يعترض على امثال هؤلاء بأنهم ليسوا بأهل لذلك ، يتعللون بحجة انه ليس الدين وقفاً على أحد وان الاسلام جاء لجميع الناس . وأنه ليس فى الاسلام طبقة خاصة تدعى برجال الدين وما الى ذلك .

والموقف من هذه الفئة واضح للواعين، ويجب ان يكون واضحاً للجميع والا فالخطر الشديد يهدد مصيرنا ويدفعنا الى تصور اسلام لا يمت الى الواقع بصلة .

اننا نقول : نعم ليس الدين وقفاً على أحد، وكذلك فانه ليس فى الاسلام طبقة خاصة تدعى بـ(رجال الدين) كما هو الامر فى المسيحية الكنسية كل ذلك صحيح ولكن اين هي الموضوعية ؟

أليست الموضوعية تقتضي منا ان نقوم قبل اصدار أي حكم او التعبير عن أي رأي من آراء الاسلام العظيم بمعرفة مصادر التشريع والاطلاع على اسلوب الشارع والتفقه فى النواحي الدينية ومعرفة كل مايتوقف عليه الاستنباط وذلك ليس بالامر السهل الهين خصوصاً ونحن نبتعد عن عصر التشريع بقرون تتجاوز العشرة . . ومع هذا فلن يستطيع أحد أن ينكر ان مقام اصدار الرأي يتطلب مستوى رفيعاً وخبرة تخصصية وملكة وقدرة على استنباط الرأي الاسلامي وتحديد نوعيته ، وهذه الملكة لا تتوفر طبعاً لاي كان .

ان اولئك الذين يقومون بهذا يكشفون عن جهلهم وتعاليهم عن الواقع بعملهم هذا ان لم نقل انهم يكشفون عن لامبالاة بالدين واستهتار بأحكامه ، وانحراف عقائدي بالتالي عن خطه المستقيم .

والظاهرة الغريبة الاخرى التي نعتبرها أحياناً أخطر من سابقتها وذلك لانها متفشية بين من يفرض فيهم ان يكونوا الفئة المتخصصة في هذا المجال ، هي مانشاهده كثيراً من قيام بعض من تسندوا

مقام الفتوى، أو أشرفوا على البرامج الدينية في بعض الاذاعات او المجلات الدينية وغيرها ، قيامهم باصدار الاراء السريعة السطحية محتجين بآية او برواية او بروايتين ومن ثم فهم يحكمون في القضايا التي قد يتوقف عليها مصير قطاع كبير من الامة :

فكم رأينا من هؤلاء من يحكم بأن العمل الفلاني شرك ، والاخر كفر ، والثالث انحراف عن طريق الحق ، استناداً لرواية تعارضها روايات اخرى ولربما كانت الروايات المعارضة اقوى منها ومقدمة عليها ؟ !

وكم رأينا ممن دعوا الى آراء غريبة عن روح الاسلام كمسألة تحليل الربا القليل ، ومسالة تجول المرأة مع زوجها في النوادي والاهم من ذلك مسألة الحكم في الاسلام استناداً الى رواية او مقطع من آية كريمة لم يلاحظ فيه ما اقترن به ؟ !

وكم رأينا ممن قالوا بآراء عقائدية شاذة قد تشكل طعناً في أقدس شخصية اسلامية وذلك بالاستناد الى مثل رواية «الغرانيق العلى» و«انتم اعلم بشؤون دنياكم» وما اليهما من روايات تحمل معها شواهد تكذيبها ؟ !

وكم رأينا من امثال من يستدل لكون الاسلام اشتراكياً بالحديث الشريف الذي يتضمن ان الناس شركة في الماء والنار والكلأ - وكفى - ! !

ولا نريد ان نتعدى عن هذا المجال التاريخي لنعرض طرفاً من التشويه الذي حصل نتيجة لهذا التسامح المقيت في تقبل الروايات التاريخية .

وكذلك لانريد التعدي الى اولئك الذين يعتبرون مجرد وجود روايةمن نوع مافي كتب فريق من المسلمين دليلا على كفرهم ومروقهم او على الاقل دليلا على تبني ذلك الفريق لفكرة الرواية عموماً ! !

هذا في حين انهم يعلمون جيداً ان الامر ليس بهذه السهولة فالاخبار مثلا لايمكن الاستناد اليها الا بعد قطع مراحل دقيقة وذلك بالتدقيق في سند الحديث وفي متنه ودلالته ثم ملاحظة مايمكن ان يعارضه من احاديث اخرى او اجماعات او غير ذلك مما يمكن ان يشكل قرينة على خلاف الظاهر منه الى ماهنالك من امور يجب ان تتوفر حتى يمكن الاستناد الى الحديث في اعطاء حكم الله .

وقل مثل ذلك في مجال الاستناد الى اى مصدر تشريعي آخر .

ولربما يعترض علينا معترض بانكم تسدون بهذا باب الاستشهاد بالايات القرآنية

والروايات الشريفة في كل المجالات .

ولكننا نقول : باننا نـدعـو الى التفريق بين مجالين،مجال اصدار الفتوى والراى و مجال البحـث والتحليـل والتمحيص بحثاً عن الحكم الواقعي :

فيجب ان يخلو المجال الاول مـن الاستشهاد اللهم الافي موارد نتأكد المفتي من وضوح الدلالة فيها للاغلبية وعـدم وجود المعارض وهي موارد نادرة خصوصاً اذا لاحظنا التغيير الطارىء على المفاهيم يوماً بعد يوم ،ولاحظنا كثرة التخصيص والتعارض الحاصل في الروايات نتيجة عوامل كثيرة لامجال لعرضها .

اما مجال البحث والتحليل والتمحيص فهو المحل الذي يتم فيه الاستناد والاستشهاد والذي يتعرض فيه الباحث الى كل جوانب الموضوع وهو المطلوب ولكن هذا المجال الاخير ليس مجالا عاماً يمكن ان تـؤلف فيـه كتب للجميع وانما هو للطبقة التي هي في مستوى فهم تلك البحوث وتمحيصها .

هذا واننا نذكر السادة المفتين بان ذكر بعض الروايات يفتح مجالاواسعاً لاجتهادات سطحية من قبل من هم بعيدون عن هذا العالم وذلك يجر بالتالي الى خلط في المفاهيم لاتحمد عقباه ، وقـد تتجاوز اثاره ماذكرنا من آثار للظاهرة الاولى في صدر هذا المقال .

والخلاصة :هي اننا ندعو الى ملاحظة النقاط التالية :

أ ـ يجب ان تنحصر صلاحية الفتوى في الامور الدينية بالاخصائيين الذين بلغوا مرتبة رفيعة تؤهلهم لملاحظة كل الجوانب في أي موضوع معروف وياحبذا لو قامت المجامع الدينية العالية لتناقش وتحلل ومن ثم لتعطي رأيها بعد القطع به وذلك لكي نتجنب بعض الاجتهادات الفردية المنعزلة .

ب ـ يجب ان نتجنب قدر الامكان مسألة الاستشهاد بالمصدر التشريعي في مقام الفتوى الا اذا تأكدنا بشكل لايقبل المناقشة من وضوح الدلالة وصحة الاستناد وعدم وجود المعارض .

حـ ـ يجب ان نعمل بكل جد واخلاص على اشاعة الحقيقة التالية :

«كن على مستوى الحكم ثم احكم»

وهذا المعنى لاينحصر في الشؤون الدينية بل يعم كل المجالات الحياتية وله آثاره ـ ان ايجاباً أو سلباً ـ على المجتمع

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصواب انه السميع المجيب

هيئة التحرير

الرقابة الاجتماعية في الاسلام

-٤-

الامام السيد شريعتمداري

في الحلقات الماضية أوضحنا بعض التصورات الخاطئة حول اشتراط القيام
ـهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل من (الامن من الضرر) و (احتمال
ـأثير) وتحدثنا عن الصفتين : الفردية والاجتماعية لمهمة الامر بالمعروف والنهي
ـ المنكر ، وقد اكدنا انه يجب على الفرد كفرد ان يتخذ موقف الآمر بالمعروف
ـاهي عن المنكر وذلك من جملة مايجب ان يتخذ من مواقف فانه يجب الى جنب
ـك ان تنهض مجموعة بهذه المهمة .

(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

وطبيعي : ان هذه الجماعة لو كانت تمتلك المقومات اللازمة لمثل هذه الم
الحساسة من توفر الشرائط العملية والعلمية ومن الاخلاص والعمل لوجه الله تعا
فانها ستكون موضعاً لعناية الله وتأييداته باعتبارها فئة تنصر الله ، فهي بالتالي ستمنا
ان عاجلا أو آجلا قدرة وطاقة اكبر ووعياً ابعد افقاً لمختلف السبل والوسائل ال
يمكنها بواسطتها ان تجسد فعالية هذه المهمة المقدسة .

وعندها نجد ان غالب الموارد سيتوفر فيها الأمن من الضرر ، واحتمال التأ
بدرجة كبيرة .

وعلى هذا فان الصفة الاجتماعية التي يجب ان تتخذها هذه المهمة الى جنب
صفتها الفردية ـ لها اثرها البالغ في مجال تحقيق هاذين الشرطين وتوفيرهما لتبد
عملية التنفيذ .

الا اننا نشاهد ـ والألم يحز في نفوسنا ـ ان الامة الاسلامية الحاضرة في الاع
الأغلب لاتولي هذه النقطة العناية اللازمة اللائقة بها ولا تعطيها ماتتطلبه من تفكير
وتحليل وانزال الى واقع التطبيق .

نعم ... تعقد بين الحين والاخر مؤتمرات اسلامية ولربما كانت هذه مؤتمرات
موسعة تناقش مواضيع حساسة بالغة الأهمية ويشترك فيها الكثير من المفكرين
الجادين واسعي الافق ليناقشوا تلك المواضيع مناقشة حرة ـ ومن ثم لتصدر (القرارات)
و(التوصيات) الوافرة .

ونحن ـ لاننكر مالهذه المؤتمرات والتجمعات الاسلامية من اثر فعال في مختلف
المجالات عموماً وفي مجال (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) خصوصاً الا انا
نسجل على اغلب تلك المؤتمرات انها تغفل او تتغافل عن نقاط الداء الحساسة ووسائل
العلاج او انها لم تغفل عنها لكنها لاتبذل العناية اللازمة للتجسيد العملي لما تقول .

ان التجسيد العملي يعني العمل الواعي على ان تنمو ظاهرة الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر في المجتمع الاسلامي ، وان ترتبط هذه الظاهرة ـ بالاضافة لربطها بكل فرد ـ
بمجموعات معينة غايتها الأساسية تطبيق هذه المهمة . . .

وهذا الامر تتأكد ضرورته عندما نلقي نظرة شاملة على الموقف العام ، فالاسلام بطاقاته المبدعة ، ونظمه الباهرة الدقيقة مازال يدعو الأمة اليه ، والمسلمون اليوم ليسوا بقلة تتخطفها الطير ، واغلبهم يملكون ذلك الدافع الذي يحركهم نحو اجراء احكام الاسلام وتطبيق مقرراته ، هذا الى جنب الطاقات الطبيعية التي نملكها .

فاذا كنا نمتلك هذه الطاقات وجب ان نقيس عملنا اليها ونتساءل : هل نحن على مستوى مسؤوليتنا وهل عملنا على ان تتشكل تلك المجموعات الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر؟ او اننا نشاهد الامر على العكس من ذلك : فليس هناك ـ الا ومضات ـ من روح التشريع الاسلامي في مجال الحكم ، وهناك العديد من القوانين القضائية القائمة على اسس تتعارض واسس التشريع القضائي الاسلامي وحتى الاحوال الشخصية رأيناها تتخذلها مساراً خاصاً بعيداً عن الشريعة .

اما الحديث عن المنكرات كشرب الخمر واللعب بالقمار، والروابط غير المشروعة وعن محلاتها التي اتخذت صفة علنية في الوسط الاجتماعي المسلم وتحت سمع المسلمين وبصرهم فهو حديث ذو شجون وغصص .

وهكذا عاد الاسلام لايرفع صوته الا في اماكن خاصة كالمساجد والمجالس الخاصة في حين ان المفروض هو ان يقول الاسلام كلمته النافذة في كل شؤون الحياة ، فيكون له القول الفصل في كل الامور .

كل هذا حصل فأضفى على الاسلام في الأذهان صفة الجمود ، وجعله يحتل مساحة صغيرة في حياة المجتمع ، اي عاد مجرد طقوس وعبادات لاتتجاوز الظاهر فتبني الاعماق .

وهكذا برزت الى الوجود فكـرة مغرضة سطحية اقتبسها بعض من ينتسبـون للاسلام من الغرب المسيحي ـ رغم الاختلاف الكبير بين حالتي كل منهما ـ وهي فكرة فصل الدين عن السياسة .

ومن الطبيعي :

ان ديناً لا تجد له أثراً في مجال التعامل التجاري والحركة الاقتصادية ، ولا

يتبع في مجال التنظيم التربوي ، ولا نسمع صوته في الشؤون الاجتماعية العامة

ان مثل هذا الدين هو بطبيعته بعيد عن السياسة ، ولا يمكن ان يسمى بـ (الاسلا الواقعي ، ان الاسلام كما لا يختلف عليه اثنان منصفان دين ينظم كل شؤو الحياة ، وله كلمته في كل الجوانب الفردية والاجتماعية من حياة الانسان بده بالتنظيم السياسي الخاص به ومروراً بكل الابنية الاجتماعية وانتهاء بكل سلوك فردي

واذا كان كل ذلك فهل يبقى هناك اي معنى لعبارة (فصل الدين عن السياسة).

وكيف كان :

فاننا نوجه دعوتنا المخلصة هذه الى كل علماء المسلمين والمفكرين البارزين لكي يعملوا بكل مايستطيعون على انقاذ الوضع الحاضر من الهوي ، فيفكروا في هذه المهمة العظمى مهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاساليب التي يستطاع بها تأليف الفئات المنظمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ويقترحوا الطرق التي لا يلزم منها محذور أو يقل فيها المحذور غير الشرعي ، فاذا توضحت الطريق ، عملوا على ان ينبهوا الأمة اليها ويدعوها لكي تسلكها .

وعسى ان ينتهي الأمر الى ان تشكل جمعيات تحمل على عاتقها عبء هذه المهمة الغالية ، بعد ان تكون قد توفرت فيها الشرائط اللازمة ، هذا اولاً واما ثانياً فانه يجب ان يوجد ترابط وتعاون وثيق بين كل الجمعيات في كل انحاء الوطن الاسلامي لكي يستفيد البعض من تجارب البعض الاخر ، وتنسق الجهود لصالح الهدف العام عملا بالآية الكريمة :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

اننا نوجه هذه الدعوة ايضاً لكل المؤتمرات والاجتماعات الاسلامية العامة لكي تبحث جوانب هذا الموضوع بدقة وعمق .

ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

موقف قسطنطينية وباقي العالم الاسلامي

من سقوط الاندلس وآخر مسلميها*

الاستاذ عبدالله عنان

ان الخطر على مصير الاندلس والامة الاندلسية ، كان علة كامنة ، تجثم بين جوانبها ، وقد ظهرت طوالعه في عصر مبكر من حياتها ، فانه ما كاد صرح الخلافة ينحطم في أواخر القرن الرابع الهجري ، ويختتم ثبت الزعماء الاقوياء بوفاة الحاجب المنصور ، وتنتشر الاندلس منذ أوائل القرن الخامس الى دول الطوائف العديدة ، الضعيفة المتنافسة المتخاصمة ، حتى لاحت لاسبانيا النصرانية فرصة العمل الجاد المثمر للقضاء على هذه الدويلات المتنابذة ، التي يترامي ملوكها ، الواحد تلو الآخر على اعتاب بلاط قشتالة ويؤدي معظمهم له الجزية صاغرين ، وكان سقوط طليطلة عاصمة مملكة بني ذي النون في سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م ، وأول حاضرة أندلسية كبرى تسقط في أيدي النصارى ، نذير الخطر الداهم على سائر ممالك الطوائف فكانت استغاثة الطوائف باخوانهم المسلمين وراء البحر ، بعاهل المغرب وزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ، وكان انسياب الجيوش المرابطية الى

---

* من محاضرات الملتقى التاسع للفكر الاسلامي في الجزائر .

شبه الجزيرة ، وكانت موقعة الزلاقة التي سحقت فيها جيوش اسبانيا النص
في رجب سنة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦ م ، وكان انقشاع خطر الفناء عن الاندلس ،
اليها الحياة قروناً أخرى .

ثم كان استيلاء المرابطين على دول الطوائف ، وبسط سيادتهم على الاند
لتغدو ايالة في الامبراطورية المغربية الكبرى ، وليعقبهم بعد ذلك في حكم
خصومهم الموحدون المتغلبون على ملكهم بالمغرب . وهكذا استمرت الاندل
الكبرى زهاء قرن ونصف تحت حكم الدولتين المغربيتين العظيمتين .

ووقعت خلال هذه الفترة الطويلة في شبه الجزيرة عقب الزلاقة عدة موا
حاسمة بين الجيوش المرابطية ثم الموحدية وبين الجيوش النصرانية ، كان م
موقعة افليش التي وقعت في شوال سنة ٥٠١ هـ ـ مايو ١١٠٨ م ، وموقعة افراغ
التي وقعت في رمضان سنة ٥٢٨ هـ ـ يوليه ١١٣٤ م ، وموقعة الأرك العظيمة ال
وقعت في شعبان سنة سنة ٥٩١ هـ ـ يوليه سنة ١١٩٤ م ، والتي سحقت فيها الجيو
الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور ، جيوش اسبانيا النصرانية على مثل
حدث من قبل في موقعة الزلاقة على يد الجيوش المرابطية . ثم كانت الحاد
العظمى بعد قليل في موقعة العقاب المشؤومة التي سحقت فيها الجيوش الموحد
على يد الجيوش النصرانية المتحدة ، وذلك في شهر صفر سنة ٦٠٩ هـ ـ الموافق
يوليه سنة ١٢١٢ م ، وانهار على أثرها سلطان الموحدين بالاندلس ، وغدت الخلا
الموحدية مثار الجذب والتنافس بين بني عبد المؤمن .
واضطرمت الاندلس ذاتها بالفتن ، ونشبت الثورات في مختلف
القواعد الاندلسية ضد الموحدين ، وأسفرت هذه الفتن الغامرة عن تمزق الاندلس
وعزلة قواها وتركها لمصيرها ، وانتهزت اسبانيا النصرانية الفرصة السانحة ، فاستجمعت
قواها ، وأخذت تنتزع القواعد الاندلسية الكبرى واحدة بعد اخرى : قرطبه ـ بلنسيه
ـ شاطبه ـ مرسيه ـ جبان ـ اشبيليه ـ بطليوس وغيرها وغيرها . ولم يأت منتصف
القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادى) حتى كانت ولايات الاندلس الشرقية

الوسطى قد سقطت كلها في يد اسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الاسلامية بالاندلس سوى بضع ولايات صغيرة في طرف اسبانيا الجنوبي وأخذت الامة الاندلسية تواجه شبح الفناء النهائي مرة اخرى .

ولكن شاء القدر أن تخرج من هذه الاشلاء المتناثرة ، اشلاءالاندلسالكبرى مملكة غرناطة الصغيرة ، التي شاءت العناية الالهية أن تحمل تراث الاسلام وتراث الامة الاندلسية في شبه الجزيرة قرنين آخرين . وكانت الحوادث قد تمخضت في نفس الوقت ، فيالضفة الاخرىمنالبحر،فيالمغرب ، عن انهيار الدولة الموحدية، وقيام دولة بني مرين القوية . فالى تلك الدولة الجديدة الفتية . كانت تتجه انظار تلك الانـدلس الصغيـرة ، كلما لاح لها شبح الخطر الـداهم من عدوان اسبانيا النصرانية . وقد شاء القدر أن تلعب دولة بني مرين ، وارثة المرابطين والموحدين في حوادث الأندلس نفس الـدور الـذي لعبته الدولتان المغربيتـان الكبيرتان ، مع فرق واحد في منتهي الاهمية ، وهو أنه بينما كان انجاد المرابطين والموحدين للاندلس يتخذ صفة السيطرة والحكم المباشر ، اذا بانجاد دولة بني مرين لمملكة غرناطه ، يقف عند الأنجاد والتحالف الاخوي ، والرغبة الخالصة فى الجهاد الاسلامي . وقد عبرت الجيوش المرينية الى شبه الجزيرة غير مرة تحمل شعار الجهاد وقبل كل شيء ، واستطاع عاهلهم الكبير السلطان أبو يوسفيعقوب الملقب بالمنصور أن يوقعفيالجيوش القشتالية هزيمة ساحقة في موقعةاستجه في شهر ربيع الأول سنه ٦٧٤ ﻫ (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) وكان نصراً عظيماً أعاد الى الأذهان ذكريات الزلاقة والارك . وبالرغم مماكان يعتور علائقبنينصرملوكغرناطه، وبني مرين ، في بعض الاحيان من القطيعة وسوء التفاهم ، فانهذه العلائق استقرت فى النهاية على قاعدة من التحالف الوثيق والاخوة الاسلامية ، واتخذهذا التحالف أروع مثله في جهاد السلطان الكبير أبي الحسن المريني ، وعبوره الى الاندلس بجيوشه وحشده لاساطيله ، ومقاتلته للقشتاليين الى جانب القوات الاندلسية بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج في معركة طريف الشهيرة وبالرغممما لحقبالمسلمين

في هذه المعركة من هزيمة مؤلمة ، كاد أن يهلك فيها السلطان أبو الحسن ، فانهزم وبعث جيوشه لانقاذ جبل طارق ، واستطاع المسلمون في النهاية انقاذه ورد عدوان القشتاليين عنه . وقد انتهى الامر بأن نزل ملوك غرناطه عن جبل طارق ورنده لبني مرين لتكونا قاعدتين لنزول جيوشهما المنجدة .

وهنا نقف قليلا لنلقي بعض الضوء على موقف المغرب ودوله الكبرى تجاه الاندلس ، وما كان يحيط بهذا الموقف من العوامل المثالية، والواقعية . ان الروايات التأريخية تحدثنا عن عبور الجيوش المغربية الى شبه الجزيرة للجهاد في سبيل الله ولانقاذ الامة الاندلسية من خطر العدوان النصراني الداهم . وهذا صحيح لاريب فيه. وقد كان الصراع المستمر الذي يضطرم بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة يتخذ في معظم الأحيان الحرب الصليبية ، بيد أنه كانت تجثم وراء هذه البواعث المعنوية والدينية عوامل مادية وسياسية في منتهى الخطورة . ذلك انه منذ عبور المرابطين الاول الى شبه الجزيرة لانجاد دول الطوائف ، أدرك الجندي الشيخ العبقري يوسف بن تاشفين ، بعد ان رأى تخاذل ملوك الطوائف ،وانهيار مثلهم الدينية والاخلاقية انه لو تركت مصاير الاندلس لمثل اولئك الزعماء الاصاغر المتهافتين على استجلاب مودة ملك قشتاله ورضائه،لانتهت الى الفناء العاجل بلا ريب.وأدرك في نفس الوقت ان الاندلس ، وهي تحتل الحيز الجنوبي من شبه الجزيرة تمثل حاجزاً هاماً ، يحول دون انسياب القوات القشتالية الى البحر ، وتهديد أمن المغرب وسلامته . واذن فقد كانت الاندلس ، من الناحية العسكرية ، هي جناح المغرب الدفاعي من الشمال الغربي . ومهما كانت البواعث والمغانم الدنيوية التي دفعت بالمرابطين الى افتتاح الاندلس وامتلاكها ، بعد أن قدموا اليها اخواناً في الدين مجاهدين ومجندين،فانه لم يمكن ثمة شك في أن هذه الحقيقة العسكرية، كانت وراء هذه البواعث . ولم يكن عبد المؤمن وخلفاؤه الموحدون أقل ايماناً بهذه الحقيقة ، فكان جهاد الجيوش الموحدية واشتباكها المستمر مع الجيوش النصرانية في شبه الجزيرة في معارك طاحنة يستهدف وقف زحف الجيوش النصرانية في شبه

الجزيره نحو الجنوب .

ولما انهارت قوى الموحدين العسكرية، وانهار سلطانهم في الاندلس ، وسقطت القواعد الاندلسية التالدة ، وقامت مملكة غرناطة الصغيرة في الجنوب لم ينس بنو مرين منذ البداية ، أن يعملوا على تدعيم هذا الحاجز الاخير القائم بينهم وبين اسبانيا النصرانية ، فعبرت جيوشهم الى شبه الجزيرة مراراً ، واتخذوا أخيراً جبل طارق ورنده ، بموافقة غرناطة ، قواعد للعبور والمراقبة . وكانت غرناطة شعوراً منها بهذه الحقيقة ، تتجه دائماً ببصرها الى الضفة الاخرى من البحر كلما شعرت بخطر النصرانية الداهم على حياتها . وانا لنجد صدى هذا الصريخ يتردد بكثرة في رسائل وزير الاندلس الكبير ابن الخطيب ، حيث يصف هذه الامة الاندلسية الصغيرة دائماً بالأمة الغريبة المنقطعة وراء البحر ، ويستشف ببصره البعيد ، ما يهددها من خطر الفناء المحتوم .

تلك هي البواعث القومية والدفاعية التي حملت الدولة المغربية ، منذ عهد المرابطين ، أن تقف دائماً بجيوشها وعتادها وأموالها وراء الاندلس والامة الاندلسية، وهل أدل على صحة هذه النظرية الدفاعية مما حدث عقب سقوط غرناطه في أيدى القشتاليين ، وانتهاء دولة الاسلام في الاندلس ، من انسياب جيوش اسبانيا النصرانية وأساطيلها على الاثر . الى الضفة الاخرى من البحر ، وغزو الشواطىء المغربية الشمالية ، والاستيلاء على معظم ثغورها في حملات برية وبحرية صليبية متعددة .

على أنه لم تأت أواخر القرن الثامن الهجري حتى انهارت تلك الخطة الدفاعية القديمة ، القائمة على تحالف المغرب والاندلس ، وكانت دولة بني مرين القوية قد دخلت يومئذ في دور انحلالها ولم تلبث أن انهارت تحت وثبات المتغلبين ، وغاضت عندئذ كل فكرة في العبور الى شبة الجزيرة . ومن جهة أخرى فقد كانت مملكة غرناطة الصغيرة فريسة لفتن ، ومنازعات داخلية مستمرة ، بيد أنها مع هذه المحن الداخلية لم تنس أن تبحث وراء العون الخارجي من اخوانها المسلمين .

ولما كان سندها القديم ـ المغرب ، في شغل شاغل يومئذ بفتنه وانقلاباته الداخلية،

فقد اتجهت لاول مرة الى الشرق الاسلامي ، وبعثت بصريخها الى مصر على يد سفارة أرسلها السلطان الايسر أبو عبد الله محمد بن يوسف الى سلطان مصر الظاهر حقمق في سنة ٨٤٤ ﻫ (١٤٤٠ م) وقد أعتذر السلطان يومئذ بأنه عاجز عن تقديم أية معونة عسكرية الى الاندلس لبعد الشقة ، واقترح على سفراء غرناطه أن يتوجهوا بصريخهم الى ابن عثمان ، أعني الى سلطان قسطنطينية . وهكذا لم تسفر هذه المحاولة الأولى عن أية نتائج عملية .

ولما انتهت مملكة غرناطة الى التمزق الاخير ، وغزتها جيوش فرناندو وايسابيلا لتضربها الضربة الحاسمة ، بعث مولاى الزغل ملك المنطقة الشرقية ، حينما حاصر القشتاليون مالقه عاصمة مملكة بصريخه الى قسطنطينيه والى سلطان مصر الملك الاشرف ، على يد سفارة وصلت الى القاهرة في اواخر سنه ٨٩٢ ﻫ (١١٤٨٧ م) ، وكانت مصر ، فضلا عن الاخوة الاسلامية ، ترتبط منذ عصور مع ثغور الاندلس بعلائق تجارية وثيقة ، وكانت تتبع محنه الاندلس وحوادثهما الاليمة بأسف بالغ ، وقد راى البلاط المصري يومئذ ان يقوم لانجاد الاندلس بمحاولة دبلوماسية فطنة ، وقد كانت مصر تسيطر على بيت المقدس ومابها من البقاع النصرانية المقدسة ، وبين رعاياها ملايين من النصارى . وبعث سلطان مصر على يدي راهبين من رعاياه ، من بيت المقدس رسائل الى الملكين الكاثوليكيين والى البابا والى ملك نابل ، ينذر فيها بأنه اذا لم يوقف فرناندو وايسابيلا عدوانهما ضد مسلمي غرناطه ، فانه سوف يهدم القبر المقدس ، ويبطش بأكابر الاحبار النصارى ، ويمنع دخول النصارى الى بيت المقدس. ولكن هذه المحاولة الدبلوماسية الفطنة لم تحدث اثرها ، واستمر القشتاليون في غزو مملكة غرناطة ، وانتزاع قواعدها ، حتى انتهت بتسليم غرناطة ، وانقضاء دولة الاسلام في الاندلس ، وذلك في الثاني من ربيع الاول سنة ٨٩٧ ﻫ (٢ يناير سنه ١٤٩٢ م) .

ولسنا بحاجة لان نتحدث هنا عن العهود الوثيقة التي قطعها الملكان الكاثوليكيان للمسلمين بالمحافظة على امنهم وسلامتهم وعقائدهم وشرائعهم وتقاليدهم وأملاكهم

البقية في صفحة ١٣٣

تاريخ علم اصول الفقه

(١)

الشيخ حسين الكوراني

ان علم اصول الفقه يرتبط ارتباطاً اساسياً بالشريعة الاسلامية ـ ولذا كان لابد من تقديم صورة عن فقه هذه الشريعة المقدسة من حيث ارتباطه بأصول الفقه .

يتكون الدين الاسلامي الحنيف من قاعدة فكرية . . ونظام اجتماعي (عقيدة وشريعة) وبما ان الاسلام يطرح نفسه كخاتم لرسالات السماء التي جاءت لتؤمن للانسان سعادته التي لايمكن ان يؤمنها له الا خالقه ـ كان لابد أن تكون الشريعة التي يقدمها الاسلام شريعة متكاملة شاملة اذ بذلك فقط يكتب لها البقاء والاستمرار ..والا فان الشريعة الناقصة سوف لن يكون بامكانها ملء الفراغ التشريعي الذى تحس به البشرية .. الامر الذي يترك مجالا لتدخل الاجتهادات البشرية المتناقضة والمتضاربة وبالتالي تنتفي الحكمة من امداد السماء هذا الكوكب بالرسالات ،

ولقد كانت الشريعة الاسلامية المقدسة كما ينبغي . . فهي لم تدع واقعة الا وبينت حكمها فيها ومن البديهي ان ذلك لا يمكن ان يكون عن طريق النص في الشريعة على حكم كل واقعة بشكل مباشر .

اذ ان الوقائع التي استجدت بعد انتهاء عصر التشريع أكثر بكثير من الوقائع التي عاصرته . . . فمن الطبيعي اذن أن يؤمن الله سبحانه في شريعته عنصر الشمول عن طريق آخر ،وهكذا كان فقد جاءت نصوص هذه الشريعة المقدسة عامة ومرنة بحيث يمكنها تلبية الحاجة التشريعية على اختلاف العصور .

وفي عصر التشريع لم يكن استخراج الحكم الشرعي من النص يحتاج الى اكثر من الرجوع الى النص الذي يتضمن ذلك الحكم . . لان النصوص آنذاك كانت من الوضوح بحيث لا يحتاج فهمها الى اكثر من الطريقة المتداولة التي يتم بها التفاهم بين الناس في المحاورات الاعتيادية . . . ومع البعد عن عصر التشريع كانت تبرز صعوبتان وتشتدان وضوحاً :

الاولى : صعوبة فهم النص ـ ولو على المستوى الذي كان يفهم في عصره.

الثانية : صعوبة اعطاء الجواب عن الاسئلة الجديدة التي تطرحها المتغيرات ومعه فقد اصبح الفقيه يواجه ثروة متراكمة من النصوص لا يعرف كيف يستنبط منها الاحكام الشرعية التي جاءت الشريعة لتقدمها الى الناس ليبنوا حياتهم على أساسها.

وهنا دعت الحاجة بالحاح الى وضع علم يمكن عن طريقه الاستفادة من هذه الثروة التشريعية . . وكان هذا العلم «علم اصول الفقه» الذي تكفل بتذليل صعوبة فهم النص الناشئة عن البعد عن عصره عن طريق تقديم قواعد عامة يفزع اليها الفقيه كلما غمض عليه معنى وأبهم عليه مراد . . . كما يتكفل ايضاً بتذليل الصعوبة الثانية عن طريق تقديم قواعد عامة يرجع اليها الفقيه عندما يدخل مرحلة التفريع على النص ليستخرج منه احكاماً لوقائع مستجدة .

فعلم اصول الفقه هو الذي يهب علم الفقه مقومات بقائه . . ولكن علم الفقه يهب

م الاصول مقومات عظمته ..فعظمةعلم أصول الفقه تكمن في أنه هو الذي بواسطته تنبط أحكام الشريعة الاسلامية المقدسة التي كانت في وقت من الاوقات قانوناً ولة مترامية الأطراف . . ومازالت الى الان تطرح نفسها كبديل عن سائر النظم ي لم تجن البشرية من التمسك بها الا الاسى والحرمان . . والجوع والمرض لفقر . . .

ولادةعلم الاصول :

لقد انطلق هذا العلم في بدايته متمثلا فى القواعد العامة (١) التي وردت في رآن الكريم والسنة النبوية المباركة .. فمن القرآن الكريم نذكر قوله تعالى:

١ - «لايكلف الله نفساً الا وسعها» (٢).

٢ - «ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم»(٣) .

ومن اقوال النبي (ص) نذكر : أ - « رفع عن امتي تسعة الخطأ لنسيان وما استكرهوا عليه وما لايعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه . . . » ، -«الامور ثلاثة امر بين لك رشده فاتبعه وأمر بين لك غيه فاجتنبه وأمر اختلف ، فرده الى الله عزوجل» .

ولم تخل النصوص المنقولة عن الامام علي عليه السلام (٤) والائمة من ولده

---

(١) لاأقصد القاعدة الاصولية بالاصطلاح الفعلى . . بل اقصد بها اساس المسألة الاصولية

(٢) البقرة - ٢٨٦ .

(٣) الحجرات - ١٢ .

(٤) «ثمت نصوص منقولة عن الامام على (ع) تتسم بالتفصيل والتركيز . . وهى اذا ت فيما وصلنا من نصوص أصولية تشبه النصوص التى ترجع الى القرن الثانى للهجرة . . اجع نهج البلاغة و «الفصول المهمة في أصول الائمة» للحر العاملي . ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

الى الامام زين العابدين مما يمكن اعتباره قواعد عامة ومجملة ـ . كان لها تأثيره البالغ في تكون علم الأصول على الصعيد الشيعي .

وبالامامين الباقر والصادق عليهما السلام تنتهي مرحلة وتبدأ مرحلة اخرى، وفي هذه المرحلة تتميز القواعد او فعبرهنا بالمسائل الاصولية بشيء من التفصيل . . . ثم مالبثت ان برزت مصنفات نعرف الآن اسماءها فقط ولم يصلنا منها شيء.

. . . وعلى الصعيد السني يبدو أن أول كلام كانت فيه نسبة أصولية مكثفة هو الكلام حول القياس والعمل بالرأي . . وكان رائدهذا الاتجاه أبو حنيفة النعمان (٨٠ ـ ١٥٠هـ) والارجح أنه ليس لابي حنيفة نفسه مؤلف في الأصول وان كان نسب ذلك الى بعض تلامذته وسيأتي بيان ذلك .

ومن الطبيعي أن الكلام فى القواعد الاصولية كان موجوداً قبل أبي حنيفة عند غيرمدرسة أهل البيت عليهم السلام . . . الا أنه لم يكن على مستوى ماورد عن امير المؤمنين علي عليه السلام .

ومن أقوال الامام علي (ع) نجد قوله : ان القرآن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه، وخاص وعام . . ثم ذكر(ع)أنواعاً كثيرة تزيد على المائة منهـا أنه قال ورخص وعزائم وحلال، وحرام . . . . ومنه مالفظه خاص ومعناه عـام . . . ومنه مالفظه واحد ومعناه جمع الخ . .»(١)

وقوله :«من كان على يقين فأصابه الشك فليمض على يقينه فان اليقين لا يدفع بالشك»

ومن اقوال ولده صلوات الله وسلامه عليهم الكثير الكثير مما جمع في كتب مستقلة«رتبها المتأخرون على ترتيب مباحث علم الاصول ككتاب اصول آل الرسول وكتاب الفصول المهمة في اصول الائمة وكتاب الاصول الأصلية ».

---

(١) راجع كتاب«الفصول المهمة فى اصول الائمة» للحر العاملى ص٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧، ٢٣٤-٢٣٥ ، ٢٤٥ -٢٤٦ ، ٢٥٠ -٢٥١ ، ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، وبقية فصل ابواب الكليات المتعلقة بأصول الفقه وما يناسبها» .

التأليف في علم الاصول :

ل المصادر تشير الى ان علم الاصول لم يوضع فيه اي كتاب قبل القرن الثاني هجرة واقدم الكتب التي وصلتنا يعود تاريخها الى اواخر القرن الثاني أوأوائل قرن الثالث . . أما مايحتمل انه الف قبل هذا التاريخ فلم يصلنا منه شيء . (١)

والذي يلاحظ النمو السريع لعلم اصول الفقه يزداد اقتناعاً بأن الكتب التي اقلتها الاجيال على أساس أنها الكتب الرائدة والطليعية في هذا العلم .. ليست كتباً ائدة ـ وليست كتباً طليعية ـ وغاية مايقال في شأنها أنها اقدم نتاج أصولي لم تهمه نار الحروب والفتن فتخطى رقاب السنين بحذر .. لنجد نحن فيه بعضاً من مالتنا المنشودة .

يؤكد هذه الحقيقة أن الباحث المتتبع لدى مراجعة امهات الكتب الفقهية يكاد جد نفسه امام علم اصول للفقه مناسب لفترته قائم بذاته لاينقصه الا الجمع والتنسيق التبويب لان المدارس الفقهية آنذاك كان لابد لها من طرق استدلال على ماتذهب ليه من آراء .. وذلك يتضمن بيان طرق الاستنباط التي هي عبارة اخرى عن «علم لاصول» .

اذن فالدور الذي يصح اسناده الى كتب الاصول الاولى التي وصلتناهو عبارة ن الجمع والتبويب والصياغة :

يقول خلاف : «ولكن اول من جمع هذه القواعد مرتبة معللة مقاماً على كل منها رهانا هو الامام محمد بن ادريس الشافعي في رسالته المشهورة في علم الاصول ولذا شتهر انه واضع علم أصول الفقه .. والحقيقة انه رتبه وصاغ قواعده صوغاً علمياً لم يبتدىء وضعه» (٢) .

ولقد كان من الطبيعي جداً ان يجد العلماء الذين قاموا بمحاولات تدوين علم لاصول ان هذا العلم مبثوث في ثنايا بحوث الفقه «لان كل مجتهد من الائمة الاربعة

---

(١) سيأتي الكلام حول «الرسالة» للشافعي .

(٢) خلاصة تاريخ التشريع الاسلامي لعبد الوهاب خلاف ٨٢ .

وغيرهم كان يشير الى دليل حكمه ووجه استدلاله به وكل مخالف كان يحتج على مخالفه بوجوه من الحجج وكل هذه الاستدلالات والاحتجاجات تنطوي على ضوا[بط] اصولية (١)» .

والى هذا المعنى يشير الشيخ محمد أبو زهره بقوله :«وهكذا وضع الشافعي قواعد للاستنباط ولم تكن في جملتها ابتداعاً ابتدعه ـ ولكنها ملاحظة دقيقة لما كا[ن] يسلكه الفقهاء الذين اهتدى بهديهم من مناهج في استنباطهم لم يدونوها . . فهو لم يبتدع منهاج الاستنباط ولكن له السبق في انه جمع اشتات هذه المناهج التي اختار[ها] ودونها في علم مترابط الاجزاء ومثله في ذلك مثل ارسطو في تدوينه لمنطق المشائي[ن] فما كان عمله فيه ابتداعاً لاصل المنهاج بل كان ابداعه في ضبط المنهاج ـ هذ[ا] هو نظر الجمهور من الفقهاء في تقريرهم الاسبقية للشافعي في تدوين ذلك العلم ولا اح[د] منهم يخالف في ذلك (٢)» .

ولدى ملاحظة هذه النصوص نراها تدل بوضوح على ماذكرناه سابقاً من ا[ن] الكتب الاصولية الاولى لم يكن دورها الا الجمع والتبويب والصياغة . . يجعل[نا] نجزم بهذا أن «الرسالة» التي يعتبرها الجمهور اقدم نتاج اصولي بين ايدينا واولـ[ها] واعمقه لم يدع لها الباحثون في هذا المجال أكثر مما ذكر .

الحاجه الى علم الاصول :

ان ماتوصلنا اليه في الفقرة السابقة لاينافي ان يكون لتدوين علم الاصول وجمعه في كتاب واحد وترتيبه وصوغه صياغة علمية فائدة كبيرة نظراً للحاجة الماسة الى هذا العلم الجليل .. ثم لان تدوينه كان المنطلق الطبيعي والضروري نحو المسير في دراساته سيراً مركزاً وحثيثاً . .

(١) علم اصول الفقه لخلاف ص ١٧ .

(٢) اصول الفقه ص١٤ . وسوف تأتي مناقشة هذه النصوص جميعاً .

ولكن . . ماهي الحاجة الى علم الاصول ؟؟ ومتى نشأت ؟؟

أما الحاجة الي علم الاصول فهي: المساعدة على فهم الاحكام الشرعية واستنباطها من مصادر التشريع الاساسية، واما نشوء هذه الحاجة ...

في مجال الكلام على نشوء الحاجة الى علم الاصول يجب ان نفرق بين شيئين:

١ ـ وجود القواعد الاصولية . ٢ ـ نشأة الحاجة الى علم اصول الفقه .

فوجود القواعد الاصولية ثابت منذ نشأة الفقه الاسلامي لانه حيث يكون فقه تكون ثمت اصول لهذا الفقه يستند اليها ويبتني عليها . . وقد اسلفت في مطلع الحديث ان هذا القواعد بدأت متمثلة في آيات كريمة وروايات شريفة . . فهي اذن وعلم الفقه توأمان . . ولكن الفرق بينهما أنها وسيلة وعلم الفقه هو الغاية . . بالاضافة الى انها كانت ماتزال متناثرة في حين كان علم الفقه علماً بكل معنى الكلمة مثالهما في ذلك مثال الشعر والاوزان فاوزان الشعر وجدت مذ وجد الشعر . . ولكن الوزن وسيلة لضبط الشعر ووزنه . .

واعتقد ان في النصوص التي تقدم ذكرها ما يثبت هذا المعنى . . أما نشأة الحاجة اليه فقد كانت حين ظهرت وقائع جديدة لا تعرف أحكامها من النصوص التشريعية الموجودة بين ايدي المسلمين . . وقد كانت الوقائع المستحدثة في البداية قليلة فكان استنباط حكمها ميسوراً . .

وذلك لعدم الفرق الكبير بين ما كان عليه الحال زمن النبي صلى الله عليه وآله وماهو عليه الحال بعد وفاته بفترة قصيرة . .

نعم . . عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية واختلط المسلمون بامم اخرى لها تقاليدها وعاداتها ونظمها الخاصة بها واصبح الفرق كبيراً والبون شاسعاً بين مايجابههم من وقائع تتطلب حكم الله فيها وبين ماكان يواجههم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ دعت الحاجة الى استنباط حكم الله في هذه الوقائع والتي كانت في بعض البيئات وقائع كثيرة جداً كما كان الامر في العراق الذي كان منفتحاً على دولة الفرس التي كانت تعتبر دولة متحضرة ولها قوانينها وانظمتها في مختلف المجالات .

وفي مجال استنباط الاحكام كان لابد وان تعين القواعد وتؤصل الاصول لكي يسير الاستنباط على أساسها ـ حذراً من الوقوع فيما يخالف روح الشريعة خصوصاً وأنه في ذلك الوقت كانت قد تكونت بدايات مدارس يحاول كل منها اثبات ما ذهب اليه مندفعاً تحت وطأة الجدال والمخاصمة .

هل الحاجة الى علم الاصول تاريخية ؟

يذهب كثير ممن ارخوا لعلم الاصول الى ان الحاجة الى هذا العلم كانت تاريخية بمعنى أنها «حاجة توجد وتشتد بعد ان يبتعد الفقه عن عصر النصوص .. ولا توجد بتلك الدرجة في الفقه المعاصر لعصر النصوص» (١).

وهنا اود ان اسجل تحفظاً على المغالاة بهذه الفكرة وتصوير ان الحاجة الى علم الاصول لم تكن موجودة ابداً في عصر النصوص الذي استمر حسب اعتقادنا الى عصر الغيبة . .

فالذي أعتقده ان المكلفين في عصر النصوص كانوا يواجهون مشكلة التعارض في الأخبار كما نواجهه نحن الان على وجه التقريب . . ويواجهون فقد النص واجماله ـ غاية الامر انه كان باستطاعتهم الرجوع الى الامام عليهم السلام ـ ولكن ذلك كان متعسراً أحياناً وغير ممكن اطلاقاً أحياناً أخرى . .

كان متعسراً بالنسبة لمن يعيشون في أقطار بعيدة عن الامام عليه السلام ـ والبعد بمقياس ذلك العصر يختلف عنه بمقياسنا الان . فالعراق بعيد عن الحجاز جداً بمقياس ذلك العصر لطبيعة وسائط النقل وانعدام وسائل الاعلام التي يزخر بها عصرنا الحاضر . . ولذلك مثلا كان ابان بن تغلب يقول للامام الصادق عليه السلام مشيراً الى رواية في الدية : كان يبلغنا هذا ونحن في العراق فقلنا ان الذي جاء به شيطان .

وكان متعذراً في بعض الاحيان كالفترة التي قضاها الامام الكاظم عليه السلام

(١) المعالم الجديدة للاصول .

ي غياهب السجون .

هذا في جانب الأصول العقلية . . واما الاصول اللفظية فمن الواضح انسبب شتداد (١) الحاجة اليها هو فساد الملكة اللغوية التي كانت تسهل المسلمين في صدر لاسلام فهم النص بكل وضوح وهذا الداعي كما هو موجود الان وجد أيضاً في صيل عصر النص على الاقل غاية الأمر انه وجد آنذاك ضعيفاً وليس على مستواه ليوم . . ولكن كونه ضعيفاً لا يعني عدم الحاجة الى التفكير في وضع قواعد تسد لثغرة التي تواجه فهم النص من الناحية اللفظية .

وعلى كل حال فقد كانت تواجه المكلفين في عصر النص مصاعب شبيهة بالمشاكل لتي تواجه فقهاءنا الان ولما كان هذا الشبه المحدود موجوداً اردت أن انبه الى ان تاريخية الحاجة الى علم الأصول انما تقبل على ان نفسرها بأنها تشتد تبعاً للبعد عن عصر النص . . وذلك لكي نتفادى مغالاة الرأي القائل بأن الحاجة الى علم الاصول انما وجدت بعد عصر النص ويكفينا دليلا في هذا المجال ان التاريخ يحدثنا عن مؤلفات في علم الأصول على الصعيد الشيعي في القرن الثاني للهجرة (٢) وقد كان ذلك العصر بالنسبة الى الشيعة عصر نص كما هو واضح . . اذن لقد وجدت حاجة الى علم الاصول في عصر النص عندنا ونمت حتى تحولت الى حاجة فى التأليف والتصنيف في هذا العلم في عصر النص . . ايضاً ومرحلة تفوق سابقتها كثيراً لان الحاجة الى التصنيف في علم اصول الفقه لم تولد الا بعد ان اكتمل نمو هذا العلم الوليد في احضان علم الفقه . حيث ان المسائل الأصولية التي كان الفقهاء يحتاجون اليها كانت تدرس في علم الفقه ولم يكن ثمت داع لافرادها الا انها عندما تكاملت وتعمقت وازداد عمق ادراك الحاجة اليها اصبحت جديرة ـ في نظر العلماء ـ بأن

---

(١) انما قلت سبب اشتداد الحاجة ولم اقل سبب الحاجة . . لان ثمت مباحث لفظية كانت الحاجة تدعو اليها حتى فى زمان النبى (ص) كمباحث حجية الظواهر والاشتراك والترادف .

(٢) الفهرست لابن النديم فى ترجمة هشام بن الحكم ويونس بن عبد الرحمن وغيره فى ترجمة محمد بن ابى عمير ، وأبان بن تغلب .

وفي مجال استنباط الاحكام كان لابد وان تعين القواعد وتؤصل الاصول لكي يسير الاستنباط على أساسها ـ حذراً من الوقوع فيما يخالف روح الشريعة ـ خصوصاً وأنه في ذلك الوقت كانت قد تكونت بدايات مدارس يحاول كل منها اثبات ما ذهب اليه مندفعاً تحت وطأة الجدال والمخاصمة .

هل الحاجة الى علم الاصول تاريخية ؟

يذهب كثير ممن ارخوا لعلم الأصول الى ان الحاجة الى هذا العلم كانت تاريخية بمعنى أنها «حاجة توجد وتشتد بعد ان يبتعد الفقه عن عصر النصوص ... ولا توجد بتلك الدرجة في الفقه المعاصر لعصر النصوص» (١).

وهنااود ان اسجل تحفظاً على المغالاة بهذه الفكرة وتصويران الحاجة الى علم الاصول لم تكن موجودة ابداً في عصر النصوص الذي استمر حسب اعتقادنا الى عصر الغيبة . .

فالذي أعتقده ان المكلفين في عصر النصوص كانوايواجهون مشكلة التعارض في الأخبار كما نواجهه نحن الآن على وجه التقريب . . ويواجهون فقد النص واجماله ـ غاية الامر انه كان باستطاعتهم الرجوع الى الامام عليهم السلام ـ ولكن ذلك كان متعسراً أحياناً وغير ممكن اطلاقاً أحياناً أخرى . .

كان متعسراً بالنسبة لمن يعيشون في أقطار بعيدة عن الامام عليه السلام ـ والبعد بمقياس ذلك العصر يختلف عنه بمقياسنا الان . . فالعراق بعيد عن الحجاز جداً بمقياس ذلك العصر لطبيعة وسائط النقل وانعدام وسائل الأعلام التي يزخر بها عصرنا الحاضر . . ولذلك مثلا كان ابان بن تغلب يقول للامام الصادق عليه السلام مشيراً الى رواية في الدية : كان يبلغنا هذا ونحن في العراق فقلنا ان الذي جاء به شيطان .

وكان متعذراً في بعض الاحيان كالفترة التي قضاها الامام الكاظم عليه السلام

(١) المعالم الجديدة للاصول .

في غياهب السجون .

هذا في جانب الاصول العقلية . . واما الاصول اللفظية فمن الواضح ان سبب اشتداد (١) الحاجة اليها هو فساد الملكة اللغوية التي كانت تسهل للمسلمين في صدر الاسلام فهم النص بكل وضوح وهذا الداعي كما هو موجود الان وجد أيضاً في أصيل عصر النص على الاقل غاية الامر انه وجد آنذاك ضعيفاً وليس على مستواه اليوم . . ولكن كونه ضعيفاً لا يعني عدم الحاجة الى التفكير في وضع قواعد تسد الثغرة التي تواجه فهم النص من الناحية اللفظية .

وعلى كل حال فقد كانت تواجه المكلفين في عصر النص مصاعب شبيهة بالمشاكل التي تواجه فقهاءنا الان ولما كان هذا الشبه المحدود موجوداً اردت أن انبه الى ان تاريخية الحاجة الى علم الاصول انما تقبل على ان نفسرها بأنها تشتد تبعاً للبعد عن عصر النص . . وذلك لكي نتفادى مغالاة الرأي القائل بأن الحاجة الى علم الاصول انما وجدت بعد عصر النص ويكفينا دليلا في هذا المجال ان التاريخ يحدثنا عن مؤلفات في علم الاصول على الصعيد الشيعي في القرن الثاني للهجرة (٢) وقد كان ذلك العصر بالنسبة الى الشيعة عصر نص كما هو واضح . . اذن لقد وجدت حاجة الى علم الاصول في عصر النص عندنا ونمت حتى تحولت الى حاجة في التأليف والتصنيف في هذا العلم في عصر النص . . ايضاً ومرحلة تفوق سابقتها كثيراً لان الحاجة الى التصنيف في علم اصول الفقه لم تولد الا بعد ان اكتمل نمو هذا العلم الوليد في احضان علم الفقه . حيث ان المسائل الاصولية التي كان الفقهاء يحتاجون اليها كانت تدرس في علم الفقه ولم يكن ثمت داع لافرادها الا انها عندما تكاملت وتعمقت وازداد عمق ادراك الحاجة اليها اصبحت جديرة ـ في نظر العلماء ـ بأن

---

(١) انما قلت سبب اشتداد الحاجة ولم اقل سبب الحاجة . . لان ثمت مباحث لفظية كانت الحاجة تدعو اليها حتى في زمان النبي (ص) كمباحث حجية الظواهر والاشتراك والترادف .

(٢) الفهرست لابن النديم في ترجمة هشام بن الحكم ويونس بن عبد الرحمن وغيره وفي ترجمة محمد بن ابي عمير ، وأبان بن تغلب .

يؤلف فيها مصنف خاص بها .

والخلاصة ان مما لا شك فيه ان الحاجة الى علم الاصول تاريخية ولكن بمعنى انها حاجة تشتد تبعاً للبعد عن عصر النص . . لا انها توجد بعد عصر النص وقد ورد في كثير من كتبنا القديمة والحديثة بيان لمسألة تاريخية الحاجة الى علم الاصول ـ لفت نظري منها نص للسيد محسن الاعرجي (ره) حيث يقول على ما حكي عنه (١) .

اين من حظي بالقرب ممن ابتلى بالبعد حتى يدعى تساويهما في الغنى والفقر؟ كلا ان بينهما ما بين السماء والارض ، فقد حدث بطول الغيبة وشدة المحنة وعموم البلية ما لو لا الله وبركة آل الله لردها جاهلية . . فسدت اللغات وتغيرت الاصطلاحات وذهبت قرائن الاحوال وكثرت الاكاذيب وعظمت التقية واشتد التعارض بين الأدلة حتى لا تكاد تعثر على حكم يسلم منه ، مع ما اشتملت عليه من دواعي الاختلاف ، وليس هنا أحد يرجع اليه بسؤال وكفاك مائزاً بين الفريقين ـ يقصد من كان في عصر النص ومن كان بعده ـ قرائن الاحوال وما يشاهد في المشافهة من الانبساط والانقباض.. وهذا بخلاف من لم يصب الا أخباراً مختلفة وأحاديث متعارضة يحتاج فيها الى العرض على الكتاب والسنة المعلومة . . فانه لابد له من الاعداد والاستعداد والتدريب في ذلك كي لا يزل ، فانه انما يتناول ذلك من بين مشتبك القنا»

واضع علم الاصول :

اذا أردنا بالواضع من أوجد المسائل الاصولية بعد ان لم تكن موجودة فالبحث العلمي النزيه يوصلنا الى انه لايوجد من يمكن ان نقول عنه انه واضع علم الاصول.. اما اذا أردنا بالواضع معنى اصطلاحياً كأن نريد به اول من صنف في هذا العلم ، او نريد به اول من تكلم فيه بشكل معمق مستوعباً لجميع مسائله التي كانت محل

(١) المعالم الجديدة للسيد الصدر ٥٣ ـ ٥٤ .

الحاجة في عصره . . اذا أردنا هذا فللكلام حول واضع علم الاصول مجال.

اما لماذا لا يوجد من يمكننا أن نسند اليه وضع هذا العلم اذا أردنا من الوضع معناه المتعارف فذلك لما تقدم من ان علم الاصول لم يولد فجأة وبين عشية وضحاها ولم يصبح «علماً» بما للكلمة من معنى الا بعد ان تضافرت عليه جهود كثيرة أدى كل منها دوراً معيناً . . وقد بدأت هذه الجهود منذ صدر الاسلام واستمرت الى ان جعلته علماً مستقلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . .

نعم لقد بدأ هذا العلم حياته بذوراً متناثرة في القرآن الكريم والسنة النبوية ثم شتلات يافعة في مطلع عمر سنة اهل البيت عليهم السلام – وفي احضان هذه السنة المباركة نمى وترعرع حتى أصبح مهيئاً للاستقلال عن الفقه .

وأرى ان البحث يجب ان ينصب على اول من ألف في هذا العلم – ولكني قبل أن أنتقل الى ذلك أود أن أسجل اعتراضاً على العبائر التي تزخر بها بعض كتب مؤرخي علم الاصول والتي تدل على ان محمد بن ادريس الشافعي هو مستنبط هذا العلم وواضعه .

قال الفخر الرازي على ماتضافر النقل عنه : فاستنبط الشافعي علم اصول الفقه ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع اليه في معرفة مراتب أدلة الشرع» وقاس استنباط الشافعي لعلم الاصول على استنباط الخليل لعلم العروض وقد ورد هذا المعنى في مرآة الجنان لليافعي وفي وفيات الأعيان وغيرها ولن أتعرض هنا الى التفاصيل فذلك ما سيأتي في حلقة مقبلة ان شاء الله . . ولكنني اكتفي بالاشارة الى نص خلاف وابي زهرة المذكورين في مطلع الحديث والذين ينصان على ان دور الشافعي كان دور صياغة وتبويب وتنظيم . . كما اشير الى ماتقدم من ان علم الاصول انما صار «علماً» بالمعنى المصطلح للكلمة نتيجة تضافر الجهود عليه منذ فجر التشريع ولم يصبح كذلك ابتداءاً واختراعاً . .

هذه اشارة رأيت ان سير البحث يقتضيها . . وللاستدلال بالتفصيل مكان آخر .

البحث حول اولية التأليف في اصول الفقه:

قد يتراءى ان البحث حول اول من ألف في هذا العلم بحث عقيم وتافه وذ لانه ما الفرق بين ان يكون الشافعي اول من ألف او أبو حنيفة او هشام بن الحكم أو غيرهم ففي مجال العلم ترتفع الحدود وتتحطم الحواجز . والحكمة ضالة المؤمن .. ومن الضعه التباهي في هذه الميادين ، والباس العلم أثواباً طائفية .. يتراءى ذلك وهو صحيح أحياناً . . ولكن هذا البحث يبقى ضرورياً لسببين :

الاول : معرفة الحقيقة في هذا المجال وهذا لا علاقة له بالانطلاق من منطلق طائفي بغيض .

الثاني : معرفة تسلسل الفكر الاصولي . . وهذا ما سيرشدنا اليه هذا البحث. من أين بدأ علم الاصول .. والى اين انتقل ثم كيف اخذ ينتقل ويتركز وينمو . وهذا السبب الثاني يساعدنا جداً حين نريد ان نؤرخ لكل من مسائل هذا العلم على انفراد .

«للبحث صلة»

الانسان بين الضمير و الايمان

بقلم : السيد مجتبى الموسوى
ترجمة : الشيخ هادى الغروى

الانسان ـ بين الوجدان والايمان :

ان احساس المسؤولية وتحملها في جميع شؤون الحياة لمن اسس السعادة للفرد والمجتمع .

وعلى هذا الاساس يتركز النظام التربوي في الاسلام ،فانه بقرآنه العظيم اكد على معتنقيه أن لايعتمدوا في سعيهم وراء السعادة الا على اساس (الايمان والعمل الصالح) ، ولا يحسبوا أي شيء سواهما ـ مهما كان ـ معتمداً لتحصيل السعادة الحقة.

وهذا الامام السجاد زين العابدين (عليه السلام) في رسالته في حقوق المسلمين بعضهم على بعض ؛ يشرح لهم مدى نطاق مسؤولياتهم المختلفة فيقول :«اعلم رحمك الله : أن لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها ، أو سكنة سكنتها . أو

منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبتها ، أو آلة تصرفت بها ، بعضها اكبر من بعض !.»(١).

هذا وقد أعلن القرآن الكريم من قبل : «كل نفس بما كسبت رهينة» و «من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها» «ولا تزر وازرة وزر أخرى»(٢)

ان الله تعالى قد أودع في ضمير الانسان صوتاً يدعوه الى ان يتحمل مسؤلياته ويؤديها بانتظام ، فاذا استجاب الانسان لهذا الداعي وأدى ماعليه من الوظائف والمسؤليات ؛ استراح ضميره واستسلمت له رؤى السعادة والفلاح ؛ وملأ ـ هذا الداعي الخفي ـ روحه بغمرة من الفرح والسرور والاطمئنان : «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» . وهذا الداعي الخفي الحفي هو الذي يسمى (الوجدان) والذي ينبع من أعماق فطرة الانسان ، فيدعوه الى الايمان والاحسان .

وقد يتوهم البعض : أن (الوجدان) يستطيع ـ لوحده ـ أن يكون ضاماً لعمل الانسان بتكاليفه المختلفة ؛ وذلك مما يغنينا عن اتباع الاديان !

وفي الحقيقة : مع كل ماللوجدان من أهمية في سبيل تأمين سعادة الانسان ؛ فانه لايستطيع لوحده ـ أن يمنع الانسان في كل زمان ومكان عن الانحراف والسقوط الى هوة الحيوانية السحيقة !

وقبل كل شيء : يجب علينا أن نلتفت الى مدى تأثير (الوجدان) في الانسان في مختلف الاحوال والازمان ؛ وان (الوجدان) يختلف حكمه على موضوع واحد ـ اختلافاً كلماً ـ تبعاً لاختلاف الزمان والمكان ؛ حسب العادات والاعراف والتقاليد محلية المختلفة باختلاف الزمان والمكان ، وانما يأتي دور (الوجدان) بعد دور السنن الاجتماعية في الاشياء من الحسن والقبح ؛ حتى ولو كان الحسن عندهم قبيحاً في الحقيقة والواقع أو بالعكس ؛ أو كان القبيح عندهم حسناً عند أقوام آخرين أو بالعكس ، كما وقع هذا بالفعل ، وكما يذكر القرآن الكريم هذا المعنى فيقول : «قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ؟ : الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون

---

(١) : رسالة الحقوق للامام زين العابدين (ع) .

(٢) الاسراء ـ ١٤ .

صنعاً»(١)وقال تعالى: «ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون»(٢)

أضف الى هذا : أن (الوجدان) لايستطيع لوحده ومن دون اعتماد على سناد الايمان ؛ أن يقاوم طغيان هوى الانسان ، وعواصف الشهوات «من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث..» حتى لو فرضنا أن (الوجدان) في الانسان قاوم بعض هذا الطغيان في بعض الأحيان فانه سوف يفقد رصيد قوى المقاومة على الخط الطويل ، بل قد ينهار عند أول مقاومة مع هوى النفس :

نفسي وشيطاني ودنيا والهوى   كيف الخلاص وهذه أعدائي

ان عواصف هوى النفس في الانسان لمما يستطيع أن يخدع (الوجدان)، ويخمد هذا المصباح الهادي !

وعلى هذا ؛ فان (الوجدان) انما يستطيع المقاومة في ميدان الصراع مالم تقابله الغرائز والميول ؛ ولهذا فانه يحتاج الى عماد يعتمد عليه وسناد يستند اليه ، فيسدد بذلك السند خطى الانسان عند شفا الجرفات وطغيان الشهوات ، ويلزمه باتباع أوامر الوجدان ، ولا يكون هذا الا بالايمان فان الانسان بطبعه حر في اختيار الطاعة أو العصيان. له ان يختار الصدق والنزاهة ، ويحرر نفسه عن اتباع الشهوات والشراهة وأن يجعل شعاره الصفاء والفتوة والمروة ويجتنب الظلم والجور واتباع (قانون القوة) يستطيع بجده وجهده أن يتخلى عن هذه الرذائل ويتحلى بتلك الفضائل .. أو يترك الفضائل ويسلك سبيل الرذائل . . حتى يسقط في بحر الشهوات ويغرق في لجة النقمات . .

نعم ؛ ليس (الوجدان) هو الذي يحكم على العادات والتقاليد ، وانما العادات والتقاليد هي التي تحكم على الوجدان ! والشيء الوحيد الذي يستطيع أن يحكم عليها هو (الايمان) وليس الوجدان ! .

---

(١) الكهف ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الانعام ٤٣ .

ان الذين استجابوا لفطرتهم فآمنوا بربهم ؛ يلبون نداء الوجدان ويحسبون طاعة لهداية الله التكوينية ثم لايحسون بأي ثقل من هذه الطاعة ، بل على العكس من ذلك تماماً يحسون براحة في الضمير .

من السهل أن يتابع الانسان نداء الوجدان مالم يقع التزاحم بين (الوجدان) و (الغرائز) ، ولكن يشكل الامرعندما يستلزم أتباع الوجدان مصارعة احدى الدوافع الذاتية ، فان من الطبيعي ان تتغلب (الغريزة) على (الوجدان) اذا لم يكن مدعوماً بالايمان ، وهكذا تنجح الغرائز في نهاية المطاف . .

نعم ؛ ان (الايمان) هو الذي يدعم (الوجدان) عندأمس الحاجة اليهفي الساعات الحرجةمن حياة الانسان . . وبالايمان استطاع الرجال المؤمنون أن يعصموا أنفسهم في الساعات الحرجة من حياتهم ، وأن يؤدوا ماعليهم من أوامر الله !

وبهذا الصدد يقول احد علماء النفس «ان الرجل الاخلاقي - غير المتدين - يطيع القوانين الاخلاقية الحاكمة على الكون والحياة والمجتمع ولكن طاعته هذه لتلك النظم الاخلاقية لاتخلو عنده من ثقل وملل ؛ وعلى الافل فانه لايجد في قلبه بهذه الطاعة أي وجد أو شوق ، بل لايكاد يفارقه الاحساس بأن هذه القوانين أصبحت عليه كثقل على كاهله !

ولكن نجد هذا بالعكس تماماً عند المؤمن المتدين ؛ فان هذه الطاعة العمياء عند الاخلاقي المحض سوف يعطي مكانه عند المؤمن المتدين الى استقبال حار من كل عمل بار ، بحرارة تملاؤه وكل شيء حوله باللطف والكرامة والنشاط !

ان مثل قوانين الاخلاق من دون الدين ؛ كمثل بلسم يوضع على الجرح فيستر من دون أن يريح صاحبه من الالم ؛ وهنا يأتي دور الدين ليهب لنا حالة روحانية لانجدها في غيره قط» (١) .

---

(١) الدين والنفس ص ١٩ .

المسلمون بين الحاضر والغابر

السيد محمد علي المكي - الكويت

المسلمون : بين الغابر . . والحاضر :

مرت على الامة الاسلامية مراحل كثيرة . . واجهت الأمة فيهابعض العقبات واجتازت منها الكثير . . وبقى القليل . وكانت الامة في فترة الاجتياز ، في أوج عظمتها ورقيها . وعزتها وفخرها . وكل ذلك .. كان بفضل رائد الامة الاسلامية ، ومتابعة المسلمين لذلك القائد . . ونظامه الخالد .

ثم . . توقف الزحف . . وبدأ الهبوط . . ذلك عندما انحرفت الامة عنخط الاسلام .

فكيف كانت الامة قبل الاسلام . .؟ وكيف بلغت ذروة المجد . . وقمة الخلود فى فترة قصيرة . . ؟ !

العالم . . قبل الاسلام :

كان المجتمع العربي قبل الاسلام يسوده الاضطراب والانقسام : حيث كانت حياتهمرتبكة لااثر فيها لنظام يفى بالحاجة . . ويكفل السعادة التي هي انشودة كل

أمة في الحياة . وكانت ـ الجزيرة العربية ـ اسماً جغرافياً لارض تسكنها شعوب، وقبائل . . تتكلم بلغة واحدة ، لكنها لم تكن أمة واحدة ذات رسالة خاصة في وطن واحد تسير في الحياة باتجاه واحد . .وخطةواحدة . .كما كانت الحالة في(ايطاليا) قبل انجاز وحدتها القومية عام (١٨٦٠) على يد (كافور) و (فيكتور عمانوئيل) ملك (بيد منت) . أو في (المانيا) عشية حرب السبعين مع فرنسا ، حين فازت بـوحدتها القومية بمساعي(بسمارك) و (غليوم الاول) ملك بروسيا .

فكانت العرب آنذاك . . شعوباً وقبائل منشقة على نفسها . . منقسمـة فيما بينها . . تموج بهم الأحقاد والعصبيات ، والثارات ! . .

العصر الجاهلي . . والقرون الوسطى :

وكان العصر الجاهلي قبل الاسلام . . بمثابة (العصور المظلمة) من القـرون الوسطى في تاريخ أوروبا . وتمتد (القرون الوسطى) الى مايقارب من ألف سنة . تبدأ من سقوط الدولة الرومانية الغربية على يد (البرابرة) عام (٤٧٦ م) ، و تنتهـي بسقوط (القسطنطينية) عاصمة البيزنطيين . . بيدـ السلطان محمد خان الفاتح ـ عام (١٤٥٣ م) . أو : بأكتشاف أميركا على يد (كولمبس) عام (١٤٩٢ م) .

ومن الطريف . . ان العصر الجاهلي .. والعصور المظلمة في تاريخ أوروبا، مقترنة أحداثهما مع الاخرى من حيث الزمان . غير ان الجاهلية في (الجزيرة العربية) أقدم عهداً منها . لانها تبدأ بقرون قبل سقوط روما عام ٤٧٦ م . وتنتهي بظهور نور الاسلام عام (٦١٠ م) . في حين ان ـالعصور المظلمة ـ في أوروبا . . تبدأ في عهد متأخر عن بدء الجاهلية. كما وأنها . . تبقى مستمرة الى مابعد ظهور الاسلام بأربعة قرون اذ انها تنتهي في اواخر ـ القرن العاشر ـ للميلاد .

ويبدو من ذلك . . أمران : ١ ـ ان العالم بأسره قبل ظهور الاسلام كان في جهل مطبق . . وظلام دامس : اذ كانت هناك الجاهلية في ـ الجزيرة العربية ـ و ـ العصور

مظلمة – في اوروبا . فتبدد هذا الجهل . . والظلام . . بنور الاسلام .

٢ – ان الجزيرة العربية كانت قد تنورت ، وتبدد جهلها ، ومشت خطوات واسعة وسريعة في نور العلم والحضارة والتقدم التكنولوجى . . في حين أن (أوروبا) بأسرها كانت متخبطة في ظلمات الجهل والتأخر .. سنين طويلة .

فكانت (القرون الوسطى) عصوراً مظلمة – بحق – بالنسبة لاوروبا ، وعصوراً نيرة – بحق ايضاً – بالنسبة للجزيرة العربية . . والامة الاسلامية ! ! . .

ثم انعكست الاية بعد ذلك . . فكانت العصور المتأخرة . . عصوراً مظلمة بالنسبة للمسلمين . . و عصوراً نيرة (من حيث الحياة المادية) بالنسبة لاوربا ! . .

فجر الاسلام :

كانت الانظار شاخصة الى من ينقذ أبناء الجزيرة العربية . . ومن ثم . . العالم كله . وكانت الدعوة الجديدة في سلالة هاشم أسياد العرب . حمل رأيتها النبي محمد بن عبد الله (ص) . فبزغ الاسلام ، ووحد كلمة الامة .. واستأصل جذور الجاهلية .. وسار بالامة العربية والاسلامية الى عالم افضل وأمثل في الحياة . كما استطاع الاسلام في مدة وجيزة بين البعثة . . ورحلة المؤسس (ص) . أن يأتي بمعجزة كانت . . وتكون من اعظم المعجزات في تاريخ البشرية !..

ولد صاحب الشريعة الاسلامية عام (٥٧١ م) . وقام بالدعوة عام (٦١١ م) . وتوفى عام (٦٣٢ م) . أى ١١ هجرية وعندما نلاحظ الزمن من عام قيام الدعوة ، الى سنة الوفاة (٦١١ – ٦٣٢) وهو زمن قصير جداً بالنسبة لحجم العمل ، نرى ان الاسلام في هذه المدة الوجيزة من عمره ، قام بتخطيط دقيق وشامل لينشر الدعوة في العالم ويتغلب على الملوك والبابوات الذين كانوا يعيشون عصر الدعوة الاسلامية ، كما انه تمكن من التغلب على الحالات السائدة آنذاك . ثم شق طريقه بكل جدارة الى العالم الرحيب . . واخذ مكانه اللائق به في الوجود . وتربع على كرسي الحضارة مدة

من الزمن . . وهو على استعداد كامل لمواجهة المشاكل المعاصرة . . وحلها حلاً سليماً لو تتاح ..له الفرصة ! ! . .

في تلك الفترة الزمنية القليلة ـ عشرين سنة تقريباً ـ وما اقصر هذا العمر! وعلى صيحة الله اكبر . . وهتاف : لااله الا الله .. تجمعت تلك القلوب المتناثرة في عرض الصحراء .. وزحفت على ملك الاكاسرة.. والقياصرة .. فاجتاحتهما .واقامت (الدولة الاسلامية الكبرى) لتترامى من اواسط ـ آسيا شرقاً .. الى شاطىء المحيط الاطلسي غرباً . . ولتحكم شعوباً ذات حضارات عريقة ، وثقافات واسعة ، والسن متباينة .كل هذا. بسلاح الايمان والعقيدة ،والمثل الاسلامية الرفيعة .وكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ! ! . . وخلال نصف قرن أو مايزيد عليه بقليل تحول العالم العربي والاسلامي . . من الحضيض الى القمة ومن الجهل الى العلم ، ومن البداوة الى الحضارة . فكان :

أ ـ ان صك العرب اول قطعة من (العملة) في تاريخهم الحضاري العريق في ـ الكوفة ـ وقد وجد بعض القطع من هذه ـ العملة ـ في (القبور القديمة) في البلاد (الاسكندنافية) أقصى شمال اوربا ، مما يؤيد أن العرب المسلمين في ذلك العهد . . قد وصلوا الى تلك البقاع النائية ! ..

ب ـ وأصبحت اللغة العربية . . اللغة الرسمية في الدولة العربية الاسلامية الشاسعة ، وكان الفضل الاكبر في ذلك للقرآن الكريم ـ رائد اللغة العربية !. . ـ

ج ـ كما ان القرآن اتخذ مكان الصدارة في المجتمعات . .فكان يتلى في بيوت الله ، وفي بيوت الناس . . من (فارس) الى(الاندلس) . واصبح دستوراً للمسلمين : به يأمرون .. وبه ينهون ! . .

د ـ واستبدل البعض من ابناء الشعوب المختلفة . .أسماءهم الاعجمية القديمة بأسماء عربية . . تقرباً منهم الى قادة المسلمين الاوائل ، رواد العلم . . والحضارة العالمية . وابتعاداً عن رواسب الجهل والتأخر التي كانت مهيمنة عليهم زمناً طويلاً.

هـ ـ وانسع مدى التجارة مع العالم الخارجي . . شرقه وغربه . . فجاءت

١ ـ الثياب الهفهافة من (الصين) .

٢ ـ والتوابل . . والافاويه . . من (جزر الهند الشرقية) .

٣ ـ واشتروا الفراء والجلود وغيرها . . من نتاج (الشمال المثلوج) . وان
ـص(السندبادالبحرى)لتكشف عن المدى البعيد الذي بلغته معلومات رواد البحار
مسلمين في ذلك العهد الزاهر عن البحار .

و ـ وتحولت (المساجد) من حجر وبيوت للعبادة ، الى (جامعات) يحتشد
ها طلاب علوم الدين والدنيا . . ليدرسوا على ايدي اساتذة العقيدة ، والاخلاق،
لشريعة ، والفلسفة ، والطب ، والفلك ، والرياضيات .وكانت لاول مرة في تاريخ
الاسلام ، اسماء مازال لهابريقهافي ساحة العلم والمعرفة ،ولمعانهافي سماءالحضارة
الثقافة العامة . . على المستوى الرفيع،من أمثال : ابن حيان والخوارزمي ،وابن
سينا ، والفرغاني ، والفارابي ، وابو معشر ، ونصير الدين الطوسي ، وبهاء الدين
عاملي ، وغيرهم من العلماء .

ولا تزال جامعات (باريس) و (لندن) و (روما) و (برلين) تدرس آثار هؤلاء
لاعلام في الفلسفة .. والرياضيات . وان سمتهم بأسماء غير عربية . . فقالوا :

عن الفراغاني (الفراحانوس) . وعن ابي معشر (البوماكير) . و عن الـرازي
رازيس) . وعن ابن سينا (أفينسا) ! ...الخ . وكانت (جامعة نابولي) التي أنشأها
الامبراطور فردريك الثاني) تعتمد في دراسة الفلسفة على اللغة العربية ، والكتب
لعربية الاسلامية . وكان الامبراطور نفسه يلبس الثياب العربية .. ويأخذ بالتقاليـد
لعربية الاسلامية في حياته ! ..

ز ـ وفي ميدان الفتوح العسكرية.. حرر المسلمون سلسلة من البلدان الشرقية
ن سلطان اغريقي ـروماني مسيحي ـمن سوريا الى اسبانيا عبر شمال افريقيا وكانت
لك البلدان .. تحت الحكم الاغريقي ، او الروماني ،نحو ألف من السنين. .فمنذ
تح الاسكند الكبير ، للامبراطورية الفارسية ، واسقاط الرومانيين لقرطاجنه ، وبعد
ذلك بين القرنين : الحادى عشر .. والسادس عشر .. واصل المسلمون فتحهم (للهند)

على مراحل .. فنجحوا في الاستيلاء عليها كلها تقريباً . وفوق ذلك . . ساردينها سلماً لاحرباً الى أبعد من تلك الانحاء :

أولا : توغل الاسلام في (اندونيسيا) و (الصين) في الشرق ! . .

ثانياً : في (افريقيا) الاستوائية في الغرب ! . .

ثالثاً : كانت (روسيا) خاضعة زمناً غير قليل في العصور الوسطى المتأخرة للتتر الذين اصبحوا مسلمين ، فتأثر القسم الكبير من شعبها بالعقيدة الاسلامية !..

رابعاً : افتتح العثمانيون المسلمون في القرنين : الرابع عشر . . والخامس عشر .. مابقي من ـ المسيحية الارثوذكسية الشرقية ـ في آسيا الصغرى . . وفي جنوب أوروبا الشرقي . حاصر هؤلاء الاتراك (فينيسا) للمرة الثانية ، في زمن لايتعدى (١٦٨٢ - ١٦٨٣ م) ! . .

هكذا . . اخذ الاسلام ناصية الثقافة والحضارة .. والعلم والاختراع . . والعقيدة الاصيلة . . ودار بها حول العالم .. حتى ارتشف منها كل بلد .. بمقدار حاجته ومقدرته! بل شكلت هذه . بضاعة الاسلام التي بيد اعدائه . الذين تفوقوا بها على الامة الاسلامية! والآن .. اين تلك الثقافات ، والعبقريات ، المادية ..والمعنوية . . والمقدرة السياسية والعسكرية ؟ ! . . ذهبت ؟ .. أجل ! ذهبت ادراج الرياح ..واخذت مكانها اوهام المستعمرين : أعداء الشعوب . . أعداء الدين !..وبامكان (القارىء) حينئذ ـ مقارنة ذلك الوضع الغابر . . والعهد المليء بالعزة الفخار .. وهيمنة الاسلام عليه ، مع وضعنا الحاضر المعاصر .. هذا العهد المغطى بالبؤس ، والذل والهوان .. ثم نصل الى نتيجة .. لكنها .. نتيجة مؤلمة ! ..

ماهي . . تلك النتيجة ..؟ . .

ان الرسالة الحكيمة التي تمكنت من القضاء علـى تلك الاوضاع الفاسـدة ، والنزاعات الاقليمية ، في الجزيرة العربية .. وفي جزء كبير من العالم: وفي

وقت قليل من الزمن .. وتمكنت - ايضا - من السيطرة على شطر كبير منها . . وهدم معظمها .. وارست على انقاضها بناء الاسلام الشامخ ، المؤسس على العدالة الاجتماعية . . والحرية الصحيحة والمساواة. .والعلم والحضارة.وساقت الأمة الى ذروة المجد سنين طويلة . . هي . .ذاتها -تستطيع مواجهة المشاكل المعاصرة ووضع حلول صحيحة لها ! ! . .

اذن . . كيف أبعد الاسلام عن المجتمعات . .وعن مرافق الحكم في الاراضي العربية .. والاسلامية ؟؟!! ..

وكيف انحدرت الامة الاسلامية الى الهاوية .. ؟ !

واخيراً .. كيف تتمكن هذه الامة المغلوبة على أمرها .. من النهوض على قدميها المرتعشتين . . والتخلص من هذا الواقع المؤسف .. وارجاع المجد التليد ؟ !.

هذه الأسئلة .. وكثير منها .. ترتسم في الافق .. وتتطلب الاجابة .. وهذا المقال ، محاولة متواضعة لطرح المشكلة ، وعرضها على المجتمعات الاسلامية وروادها المفكرين المخلصين .. وماهي الارسالة اؤديها .. عسى الله أن يوفق الامة لاعادة النظر في هذا الواقع ..

وتغييره بالجهد والعمل المتواصل .. حيث « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. » . والله هو الموفق ! ..

هل الدنيا والآخرة... ضرتان

بقلم: الشيخ مرتضى المطهري ترجمة : الشيخ محمدهادي اليوسـ

روى السيد الشريف الرضي (رض) في الجزء الثالث من (نهج البلاغة) في باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ومواعظه ؛ أنه قال : «ان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان ، وسبيلان مختلفان ، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الاخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما ، كلما قرب من واحد بعد من الاخر وهما بعد ضرتان» (١) .

وهنا يتجه هذا السؤال : مامعنى هذا ؟ وكيف نجمع بينه وبين ما سبق مما استفدناه من منطق القرآن ونهج البلاغة في الدنيا ؟

وللاجابه نقول : ان من الضروري أن الاسلام لايمنع الجمع بين العمل للاخرة والدنيا بمعنى الاستفادة منها وانما الممنوع منه في الاسلام هو الجمع بينهما بمعنى الهدف والغاية . وبعبارة أخرى : ان الاستفادة من الدنيا ليست مما يوجب الحرمان من نعم الاخرة ، وانما الذي يوجب حرمان العبد من نعم الاخرة هو ارتكاب الذنوب والاثام ، وليس الاستفادة من نعم الله الحلال في هذه الدنيا : « قل من حرم زينة الله

---

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٩ الحكمة ١٠١ .

لتي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة
وم القيامة» .

والعكس أيضاً هكذا ؛ فليس الايمان والعمل الصالح مما يوجب حرمان العبد
ن الدنيا وما فيها قط، فان كثيراً من الانبياء والمرسلين والائمة؛ وعباد الله المؤمنين
الصالحين ؛ الذين لايشك في ايمانهم وصلاحهم ؛ كانوا متنعمين بكثير من حلال
لله في هذه الدنيا .

وعلى هذا نقول : لنفترض أنا فهمنا من هذه الرواية مايوهم أن بين الدنيا
الاخرة عداوة متنافرة ؛ فانا سنرفع اليد عنه بحكم تلكم الادلة القطعية المخالفة .

ولكن الأولى ان نقول :أن علاقة المسلم بالدنيا لاتخلو من احدى حالات ثلاث:

١ ـ أن يجعل الدنيا اكبر همه ، والاخرة نصب عينيه !

٢ ـ ان يجعل الدنيا امام عينه ، والاخرة خلف ظهره !

٣ ـ ان يجعل الدنيا وسيلة ، والاخرة غاية .

فالحالة الاولى : هي حالة العداوة والمنافرة ، وهي الحالة التي يكون فيها
ثلهما كمثل الضرتين ؛ او المشرقين والمغربين والماشي بين هذين .

واما الحالة الثانية : فهي ـ والاولى ـ التي ورد النهي عنها في الايات والروايات.

واما الحالة الثالثة : فهي ـ وحسب ـ التي ارتضاها الله لنا ورسوله (صلى الله
عليه وآله وسلم) .

وفي (نهج البلاغة) مايبين لنا هذا اذ يقول : «الناس في الدنيا عاملان : عامل
ي الدنيا ، قد شغلته دنياه عن آخرته ؛ يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه؛
يفني عمره في منفعة غيره .

وعامل عمل في الدنيا لمابعدها ؛ فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل ؛ فأحرز
لحظين معاً وملك الدارين جميعاً ، فأصبح وجيها عندالله لايسأل الله حاجة فيمنعه»(١):
وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

---

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٠٠ الحكمة ٢٧٤ .

وهناك حديث آخر كثر السؤال والجدال حوله ، روي عن الرسول(ص
وعن امير المؤمنين (ع) أخرى ، وعن الامام الحسن المجتبى في وصيته لجناد
امية أيضاً ، بألفاظ مختلفة ومضمون واحد : «كن لدنياك كانك تعيش أبداً ، و
لاخرتك كانك تموت غداً» (١) .

فقدتأرجح هذا الحديث بين معنيين متضادين :

يقول الاول : ان معنى هذا الحديث : أن يبادر الانسان الى العمل بالوظا
التي تتعلق بالاخرة كأنما يرى أنه يموت غداً فلا يصل الى العمل بها قبل حلو
أجله ، ولكنه لايحرص على المبادرة في العمل للدنيا اذ لاداعي له الى المبادرة فيـ
حيث يرى أنه سيعيش فيها ابداً ، فان لم يعمل لها اليوم فسيعمل لها غداً او بعد
وهكذا . . .

ويقول الاخر : ان معنى هذا الحديث : ان يبادر الانسان الى العمل للاخر
كأنما يرى انه يموت غداً فلا يصل الى العمل لها قبل الموت ، وهكذا يقوم بالعمل
بما تفرض عليه الحياة في هذه الدنيا احسن قيام ؛ كانما يرى أنه سيعيش فيها ابد
فينبغي له التزود لهذا العمر المديد .

واذاكان ولابد من الترجيح لاحدهذين المعنيين المتأرجحين ؛ وراجعنا سائر
الروايات والاحاديث لنرجح احدهما على الاخر ؛ فلابد لنا من ان نرجح هذا المعنى
الثاني ، وذلك بالنظر الى سائر الروايات والاحاديث الواردة بهذا الصدد :

في (الكافي) فيما اوصى به رسول الله (ص) علياً (عليه السلام) ؛ قال: «ان هذا
الدين متين فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوف انه يموت
غداً » (٢) .

---

(١) الحديث الثاني من الباب ٢٨ من أبواب مقدمات التجارة من كتاب (وسائل الشيعة).

(٢) البحار ج ١٥ قسم المواعظ والاخلاق .

وفي (سفينة البحار) عنه (ص) فيما اوصى به (جابر بن عبد الله الانصارى) قال : «ان هذا الدين لمتين ، فأوغل فيه برفق .. فاحرث‌حرث من يظن انه‌لايموت واعمل عمل من يخاف انه يموت غداً» (١) .

وفي (نهج الفصاحة) عنه (ص) : «اصلحوا دنياكم ، وكونوا لاخرتكم كانكم تموتون غداً» .

وفيه عنه ايضاً : «اعمل عمل امرىء يظن انه لن يموت ابداً ، واحذر حذر امرىء يخشى ان يموت غداً » .

وفيه عنه ايضاً : «أعظم الناس هماً المؤمن ؛ يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته» .

وفي (تحف العقول) عن الامام الكاظم عليه السلام أنه قال : «ليس منا من ترك دنياه لدينه ، أو ترك دينه لدنياه» (١) .

ولنضرب هنا مثالا يوضح لنا مدى تأثير هذه النظرة الى الحياة في سلوك الانسان المسلم :

اذا كان الانسان يعيش في دار يعلم أنه سوف ينتقل منها الى دار أخرى يعيش فيها أبداً ؛ ولكنه لايعلم متى ينتقل اليها لااليوم ولا الشهر ولاالسنة .. فهو سيعيش حالة التردد في تعهد العمران بالنسبة الى كلا الدارين ؛ فانه اذا كان يعلم انه سينتقل من هذه الدار في القريب العاجل جداً كان يصرف همه للعمل لتلك الدار ويهمل العمل لهذه ، وبالعكس اذا كان يعلم انه سوف لاينتقل من هذه الدار الا بعد لأي من الزمن فانه سيصرف همه لتعهد العمران في الدار التي هو فيها وأهل الاخرى ؛ ويقول في نفسه : يجب عليّ أن أعمل الان لهذه التي أنا فيها ، وأما الاخرى فسوف نصل للعمل لها فيما سيأتي من الايام ، فان الفرص كثيرة و «الاقرب يمنع الابعد» .

وفي حالة التردد ـ الاولى ـ يأتي دور هذا المعنى للحديث ليقول له : بالنسبة الى هذه الدار افترض أنك تعيش فيها طويلا من الزمن ؛ فان كانت بحاجة الى

---

(٢) مادة افق .

(١) سفينة البحار مادة نفس .

العمران فتعهدها بالتشييد والاتقان . . وبالنسبة الى تلك الدار الاخـرى فاف
بالعكس أنك ستنتقل اليها غداً فعجل بتعهد عمرانها وتشييدها «قبل الفوت » و
الموت» .

والنتيجة الحتمية لهذه النظرة الى الحياة الدنيا والاخرى : أنه سيعمل
لكلا الدارين . . فلنفترض ان انساناًمسلماًيريدأن يطلب علماًأو يؤلف كتاباًاو يؤ
خيرية تستغرق ردحاً من الزمن ؛ فانكان يعلم أن عمرهلايكفي للقيام بهذا العمل
سيبقى أثراً ناقصاً ؛ فهنا يقال له : افترض أن عمرك أطول من جميع هذه الا
ولكن نفس هذا الانساناذاأراد أن يقوم بعمل من أعمال الاخرة : من التوبةوالا
والزكاة وأداء الحقوق التي عليه لله والناس وقضاء مافاتمنها ؛فانه يقال له :افتر
انك تموت غداً «فعجل بالتوبة قبل الموت ، وبالصلاة قبل الفوت» و«صـل صـ
المودع» .

اذ لوكان هنا أيضاً يفترض أنه سيعيش أبداً فانه سوف يسوففي الاعمال
تبلغ به الاجال .

المؤهلات القيادية

في شخصية الرسول

الشيخ علي اكبر برهان

ان الاسلام شأنه شأن اية نهضة عالمية يحتاج في سيره ونجاحه الى قائد مدير ومحنك قدير والقائد قبل توليه للقيادة لابد ان تكون له مؤهلات وشرائط مسبقة لكي تمكنه من ان يقوم باعبائها فلا يمكن للانسان بين عشية وضحاها ان يصبح قائداً دون ان تكون له شرائط مسبقة تؤهله فمثلا النبي العظيم (ص) لولا سوابقه والاعمال التي كان يقوم بها قبل البعثة لما كان يتقدم في دعوته بالشكل المطلوب ومن هنا كان لزاماً علينا ان ندخل في الجوانب الهامة من تاريخ النبي قبل البعثة لنتعرف الشرائط والمؤهلات التي كان تتوفر لدى النبي (ص) بحيث جعلته في ذلك المستوى الرفيع والمؤهلات التي نلاحظها فيه (ص) على قسمين : قسم منها خارج عن حدود اختيار النبي (ص) فتكون لاارادية ، وقسم منها ارادية وداخلة تحت اختياره .

فاما القسم الاول من المؤهلات فيمكن ان نعد منها مايلي :

١ ـ الحسب . . والنسب فان النبي كان من بني هاشم وهم خيرة قريش

اذ كانوا سدنة البيت الحرام والكعبة وكانت سقاية الحاج بيدهم وانهم لينتهون
ابراهيم الذي كان مقدساً عندقريش واهل الكتاب ومما زاد في مقامه الاجتماعي تزو
من خديجة (رض) فانها كانت من اشراف قريش ومن الواضح جداً ان الحسب يل
دوراً هاماً في اعطاء الانسان شخصية قيادية خاصة في ذلك المجتمع الذي يسـ
النظام القبلي ويتأكد ذلك خصوصاً اذا استطعنا ان نعثر على وجود نظرة تنزيهية آنذ
لهـذه السلسلة من النسب وانه (ص) من اصلاب طاهرة .

فهذه الصفة وهي كون النبي من اصلاب طاهرة تعطى للنبي شخصية مقد
بامكانه استثمارها في مجال الدعوة .

٣ ـ كونه ابن عبد الله الذي تعين من بين اخوته لان يذبح في سبيل الله و
لنذر ابيه عبد المطلب وهذا المعنى يعطى عبدالله القدسية العظمى وتنتقل تلك القدس
الى النبي (ص) مما له الاثر الكبير في اعطاء النبي شخصية مقدسة يمكنه استثمار
في سبيل الدعوة ولذلك نجد ان النبي (ص) حينما يباهي بنسبه يقول : انا ابن الذبيح
مشيراً الى قصة اسماعيل جده وابيه عبد الله .

٤ ـ الاحداث الغيبية التي ظهرت حين ولادته وبعد ولادته وفي هذه الصا
يقول اليعقوبي في تاريخه: ولما ولد رسول الله رجمت الشياطين وانقضت الكواكـ
فلما رأت ذلك قريش انكرت ذلك وقالوا ماهذا الا لقيـام الساعة واصابت الـا
زلزلة عمت جميع الدنيا حتى تهدمت الكنائس والبيع وزال كل شيء يعبدون ا
عزوجل عن موضعه وعميت على السحرة والكهان امورهم وحبست شياطينهم وطلعـ
نجوم لم ترقبل ذلك فانكرتها كهان اليهود وزلزل ايوان كسرى فقطعت منه ثلاث
عشرة اشرافة وخمدت نارفارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام وروي عن والدته (ع
انها قالت : رأيت لما وضعته نوراً بدا مني ساطعـاً حتى افزعني ولم ارشيئاً مما يرا
النساء .

ومما ركز ذلك الامور الحسية التي كانت تؤكد شأنه العظيم عند السماء .
ومنها ان قريش كانت تستقي به الغمام والى ذلك يشير ابو طالب مادحاً اباه :

وينهض قوم نحوكم غير عزل ببيض حديث عهدها بالصياقل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (١)

٥ ـ كونه معززاً ومحترماً عند عبد المطلب الذي كان سيد قريش وبعده ابو ب فكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة وكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش جاء النبي (ص) كان يدنيه منه ويجلسه على الفراش معه (٢) .

وليس هذا الاعزاز والتكريم من قبل عبد المطلب نابعاً من عواطف قبلية او جهة كونه يتيماً وانه ابن عبد الله الذي توفي في ريعان شبابه وتوفيت امه وله العمر ست سنين بل لما كان يعلم من ان لهذا الطفل شأناً كما يدل على ذلك وصيته ي طالب حين وفاته فقال له : قد خلفت في ايديكم الشرف العظيم الذي تطأون رقاب العرب وقال :

اوصيك ياعبد مناف بعدي بمفرد بعد ابيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد فكنت كالام له في الوجد
تدنيه من احشائها والكبد فانت من ارجى بني عندي
لدفع ضيم اولشد عقد . (٣)

هذا التعظيم والتكريم من قبل سيد قريش وشيخ البطحاء للنبي (ص) وهو ل لم يبلغ الحلم يمنحهم صورة اخرى عنه (ص) .

٦ ـ فصاحته وبلاغته فانه كان افصح العرب اطلاقاً وطبعاً هذه الفضيلة لها لاثر الكبير في اعطاء الانسان شخصية قيادية .

اما الخصائص التي جاءت بشكل ارادي والتي هي القسم الثاني فمنها مايلي :

١ ـ رفضه لجميع العادات والمعتقدات السيئة التي كانت عليها قريش فكان يرفض بادة الاصنام رفضاً باتاً وكان يبغضها اشد البغض وكان ينعزل عن طقوس قومه تماماً

---

(١) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥ .
(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٠٧ والسيرة لابن هشام ج ١ ١٧٨ .
(٣) نفس المصدر ص ١٣ .

وعن مجالس لهوهم ومرحهم ويتخذ غار حراء انسألو حدته وعزلته وطبعاً هذا الجانب يؤ
النبي (ص) للقيام بدور قيادي لرسالته العظمى ولولا هذه السنـة لما نجحت دعو
بالشكل المطلوب اذ كيف تنجح دعوة انسان كان قبل لحظات يعبد الاصنام ويسـ
للاوثان ثم يترك ذلك ويدعو الأمة الى التوحيد ويقول : قولوا : لااله الا الله تفلحو
فمثل هذا الانسان يكون مورداً للسخرية والاستهزاء ومن هنا نقول : بلزوم عصـ
النبي (ص) حتى قبل نبوته عن كل المزلات .

٢ ـ اخلاقه الفاضلة من الصدق والأمانة حتى انه لقب بالصادق الأمين ومن
حسن عشرته حتى نزل في شأنه (انك لعلى خلق عظيم) ويقول صاحب الطبقات عن
ابي عبد الله الجدلي قال : سألت عائشة كيف كان خلق النبي (ص) في بيته ؟ فقالت
كان احسن الناس خلقاً لم يكن فاحشاً ولا مفحشاً ولاصخاباً (١) في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح (٢) .

ويقول اليعقوبي وكان يبدأ من لقي بالسلام وكان جل جلوسه القرفصى وكان
اذا اخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها واذا سأله
سائل حاجة لم يرده الا بحاجته او بميسور من القول (٣) .

وقد بلغت هذه الفضائل الخلقية في النبي (ص) حدها الاقصى حتى اعتبرها
قريش نقطة ضعف بالنسبة له والى هذا تشير الاية الكريمة «ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا
منكم» (٤) فهذه الفضائل الاخلاقية لها الاثر الكبير في تكوين الشخصية القيادية في
في النبي (ص) ولولاها لما نجحت دعوته ورسالته والى ذلك تشير الاية الكريمة

---

(١) يقول صاحب مجمع البحرين : صخب صخباً من باب تعب كثير اللفظ الى ان يقول ومنه الخبر المنقول عن التوراة محمد عبدى ليس بفظ ولا غليظ ولاصخوب في الاسواق .

(٢) الطبقات الكبير ج ١ القسم الثانى ص ٩٠ .

(٣) اليعقوبى ج ٢ ص ١١٦ .

(٤) سورة التوبة ٦١ .

ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم و شاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين (١) .

٣ ـ حسن تدبيره وتفكيره في القضايا الاجتماعية كما في قضية رفع الحجر الاسود حينما هدمت الكعبة ،فاختلفت قريش في رفع الحجر فاشتد الخلاف بينهم واختصموا فيه فكل قبيلة تريدان تحضى بنفسها بهذا الشرف دون غيرها حتى تحالفوا واعدوا للقتال فقربت بنوعبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدواهم وبنوعدي بن كعب على الموت فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمساً حتى اجتمعوا وتشاوروا وتناصفوا فيما بينهم فقال رجل منهم : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد ليقضي بينكم فيه ففعلوا فكان اول داخل عليهم رسول الله (ص) فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال (ص) هلم الي ثوباً فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه(١)

وكذلك قضية حلف الفضول الذي حضره رسول الله وله من العمر عشرين سنة وقال (ص) بعد بعثته : حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً اعظم بكثير من حطام الدنيا ونعيمها ولو دعيت اليه اليوم لاجبت وكان هذا الحلف عند منصرف قريش من حرب الفجار فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاماً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة اى الى الابد (٢) .

وكان النبي (ص) هو العضو البارز في هذا الحلف فرعى شؤونه خير رعاية وقام بالغاية المنشودة من تأسيسه على الوجه الاكمل وكان يحامي عن المظلوم والضعيف فكان مجرد التهديد بالشكاية اليه كافياً لردع القوي المعتدي (٣) .

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) روح الاسلام سيد امير علي ص ٢٥ .

وهذه المؤهلات لها ارتباط بالجانبين التقديسي والقيادي فالنبي الذي يريد ان يصبح قائداً وحاملا لرسالة من السماء الى الامة يحتاج في سيره بخاصة الى هذين القسمين من المؤهلات فالمؤهلات التقديسية تعطي له الصفة القدسية والمؤهلات القيادية تعطي له الشخصية القيادية والاجتماعية ووراء كل هذه العوامل والمؤهلات هناك عامل معنوي داخلي هو الذي كان يعصمه عن الاخطاء والمزلات وكان يرافقه في جميع الحالات ليؤيده و يسدده وهناك نصوص تدل على هذا المعنى نذكر اثنين منها .

١ - من خطبة لمولانا امير المؤمنين (ع) «ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت معه اتبعه الخ

٢ - رواية ابي بصير قال : سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ؟ قال : خلق اعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد وهو مع الائمة يسددهم وليس كلما طلب وجد (١)

فهذه الرواية تدل بوضوح على ان هناك قوة سماوية قد اودعها الله في نفس النبي والائمة الاطهار (ع) لتسددهم وتعصمهم من الخطأ .

---

(١) البحار ج ٦ ص ٢٦٣ .

لقطات من زوايا المقالات

السيد هاشم نصر الله

الملفت للنظر في هذا الباب، هو أن أغلب اللقطات والتعليقات تدور حول المرأة. وهذا تخطيط حاولنا أن نسلكه، ويرجع الى حرصنا عليها، واهتمامنا بها اذ ان جاهلية القرن العشرين تحاول مع رأسماليها المتاجرة بالمرأة، متخذة منها بضاعة رائجة الهدف الاول والاخير منها الربح لا غير ...

واننا كلنا أمل بذلك اليوم الذي تستيقظ فيه المرأة من سباتها .. فتعي الواقع وتبصر الحقيقة الذي حاولت ان تغطيها سحب الضلال .

□ ذكرت مجلة الحسناء اللبنانية في عددها ٥٨٢ أن ثري اليونان الشهير أوناسيس زوج جاكلين عقيلة الرئيس الامريكي الاسبق جون كنيدي ، يهتم بمعدته اهتمامه بتجاراته وأرباحه المختلفة ، فبينما لا يجد بعض الناس خبزاً يسدون جوعهم فيستعطون رغيفاً أو يستقرضونه من جار ، فان اوناسيس لا يشتهي خبز أفران اليونان مما دفعه الى تكليف موظف خاص في شركة الطيران اولمبيك التي يملكها شراء الكمية اليومية الضرورية من الخبز المصنوع في الأفران الباريسية ونقله طازجاً في أوقات وجبات الطعام التي يتناولها الملياردير العجوز وزوجته جاكلين ، مما يدعو الموظف الى السفر مرتين في اليوم من باريس واليها لنقل الخبز الشهي !!

وأخيراً ذهب اوناسيس الى ربه ، تاركاً أمواله وراء البحار وفي أعماقها بعد حياة طويلة تجاوزت السبعين عاماً ، وكانت كلها اسرافاً وترفاً وتبذيراً . ذهب دون أن يترك أثراً يخلد أسمه الا المال الذي لا قيمة له مادام بعيداً عن جادة الخير ، يتصوره المريض في مستشفى مجاني يحلم ببنائه ، ويشتهيه الفقير في رغيف خبز يفقد قيمته ، ويحن اليه العاري في ثوب لا يستطيع شراءه . واوناسيس الراحل الذي لم يساهم في أي مشروع خيري ـ على ذمة وكالات الأنباء العالمية ـ حتى في تعمير كنيسة او بناء مستشفى ، سوف يسأل في عالمه الجديد الخالد الذي ارتحل اليه، حيث الحق والعدل ، عن تلك الثروة الهائلة التي يحتاج خبراء المحاسبة الى ١٦ سنة لاحصاءها (١) .

ولكن اولا كان اوناسيس على الاقل في مثل المليونير الامريكي استانلي سولتكي «الذي يبذل من امواله في سبيل رفع عاهات المصابين دون اجر ، وقد بلغ عدد من اجريت لهم عمليات على حسابه الخاص سبعة آلاف شخص .

واتجه استانلي نحو السجناء الذين كانت عاهاتهم سبباً في قيامهم بأعمال

---

(١) الحوادث عدد ٩٥٨ .

اجرامية . وسئل مرة عن اسباب ذلك فأجاب :

هل يوجد ماهو افضل من ادخال السرور الى قلوب الاخرين من بني الانسان؟»

هذا اذا تجاوزنا عن اصل جمعهم لتلك الثروة وكيف قامت على اسس من النهب الحرام لثروات البلاد الفقيرة .

□ صرح الملاكم المشهور محمدعلي كلاي لصحيفة سويسرية بالنص التالي:(١)

«ان المراة في عالم الاسلام لا قيمة لها ، ولا تؤثر حياتها على شيء يذكر، ان الرجل هو كل شيء هو الذي يقود الامور العامة والخاصة ، هو الذي يلقي الاوامر وهو الذي يستطيع ان يحكم ايضاً على ماهو الخطأ والصواب حتى في حياة المراة الخاصة ، واذا كانت احدى النساء تسبب المتاعب فان ضربة او ضربتين من اللكمات تكفي لاعادتها الى الهدوء».

ولم تكد الصحيفة السويسرية تنشر الحديث مع البطل حتى انهالت عليها الخطابات بالاحتجاج من جميع انحاء اوربا .

في هذه السطور القليلة ، الحقيقة فوق كل العواطف ولذا فنحن نقول للملاكم:

ان المراة في العالم الاسلامي ليست كما تقول لاقيمة لها وان الرجل كل شيء، وذلك لان هناك ميادين خاصة تعتبر المراة فيها كل شيء كحضانة الاطفال منذ نعومة الاظفار ونحوها . وهي مضافاً الى ذلك تؤثر على حياة الرجل والاسرة ، بل على المجتمع بأكمله كالرجل تماماً . . .

وافكار محمدعلي التي نشرتها الصحيفة السويسرية ، بعيدة عن روح التشريع الاسلامي الخالد ، لانها تمثل افكاراً جاهلية ابتدعها الراحل اليجا محمد ، وهي تباين المفهوم الاسلامي الصحيح للمراة ، الذي جعلها شريكة للرجل ، وكفواً لـه .

كلمة اخيرة نحب ان يعرفها القارىء وهي : ان محمدعلي ـ مع كل تقدير لاعتناقه للدين الاسلامي ـ هو بطل حلبة وملاكمة ، ويتكلم احياناً عن الاسلام من هذه الزاوية ـ بحكم تأثير الحرفة ـ فيخلطـه مع غيره . . . وهـذا خطأ واضح

---

(١) مجلة حواء المصرية ، ٩٦١ .

لا يمكن السكـوت عنه ابداً لانه يمس العقيدة ويفتح نوافذ التشكيك والتشنيـ امام الآخرين . . .

[ ] السرقة المسلحة اصبحت سمة من سمات هذا العصر ، ففي المدن الامريكـ والاوربية يحدث في اليوم الواحد اكثر من حادث سطو مسلح . وقد بدا هذا الا موضة امريكية ثم اخذ بالانتشار في كافة انحاء العالم وخصوصاً البلدان الصناعيـ الاوربية . ففي فرنسا مثلا تقع ٧ حوادث سطو مسلح في اليوم الواحد .

وقد ابتكر الكنديون جهازاً الكترونياً للانذار الفوري وهو يجعل مهمة اللصوص تستغرق اكثر من ٩٠ ثانية وبالتالي تعرض للفشل ، اذ ان الجهاز يلزمهم بالبقاء ٥ دقائق تقريباً قبل الاهتداء الى طريقة فتح الخزائن المملوءة بالمال ، والخزائن موصولة بأقرب مخفر للشرطة بواسطة صفارة انذار ، يشبه صوتها صوت صفارة سيارة الاطفاء وقد لوحظ ان مجرد انطلاق صوت الصفارة ، كفيل ببلبلة نفسية اللصوص وارباك اعصابهم ويوقعهم في الحيرة المؤدية الى فشل العملية .

هذا بالاضافة الى انطلاق عبارات مسجلة سلفاً من مكبرات الصوت ، تحذرهم بأن الشرطة قادمون فوراً لان الانذار بوجودهم وصلها . وزيادة في الحيطة فان اصحاب الاختراع يقولون انه يجب على المؤسسات التي تضع جهاز الانذار المذكور ان تضع على جدرانها لافتات واضحة تحتوي على التحذير التالي : انتبه المؤسسة موصولة بمخفر الشرطة ، بواسطة جهاز انذار الكتروني .

هذه هي النتيجة الحتمية لمجتمع يبلغ عدد العاطلين عن العمل فيه ما يزيد عن ثمانية ملايين ، مضافاً الى انه يحاول السيطرة على جميع شعوب العالم كأنه الا لا منازع له وما يحدث في امريكا وغيرها من حوادث قتل وشغب وسرقة - يرجع في نظرنا - الى الفراغ الهائل والى الحماية التي تسبغها العصابات على المحترفين والمنحرفين والتي يتجاوز دخلها السنوي ٤٥ مليون دولار .

والاسلام بالاضافة الى ما فيه من تعاليم واخلاق ، حارب الفراغ واصدر احكاماً قاسية على مجرمي المجتمع وجرائمه ، والتي لو طبقت لكفت المؤمنين شر القتال واغنتهم

عن الاجهزة الالكترونية ولاراحت رجال البوليس الذين لا يتمكنون من القبض الا على واحد من كل خمسة مجرمين بفضل التطور في اساليب الحماية . . . (١)

[] في مقابلة مع مجلة الحوادث قالت ـ ماركي ـ الصحافيةالفنلنديه :

في مجال الجنس تعتبر بلادنا مرتعاً له ولحريته ، وأعتقد بأننا في هذا المجال سبقنا جميع بلاد العالم مدة خمسين عاماً . وتتابع ماركي :

الا ان هناك في فنلندا مشكلة نعاني منها مع أكثر البلاد الاسكندنافية ، اذأن عمل المرأة خارج المنزل طوال النهار كما هي العادة في فنلندا ، يخلف تفككاً في العائلة وأكثر النساء اليوم يحنن الى تكوين عائلة موحدة، وتحت سقف موحد بعيد عن تعقيدات العصر ومشاكلة .

ان ما بلغهانسان القرن العشرين من تقدم وحضارة يتضائل أحياناًكثيرة ويصغر أمام الانحرافات الخلقية التي تسود كوكبنا الارضي . . .

وهذه الصحافية الفنلندية يثير لدينا ـ تصريحها ـ شكوكاً هي ذات بال ، اذ انها تصرح بذلك في عالمنا العربي الذي يعتبر اولا وآخراً عالماً اسلامياً ، بعيداً كل البعد عن العالم الاسكندنافي وتقاليده وعاداته .

ومع ذلك كله ، فانها تناقض نفسها بنفسها ، فتارة تقول ان بلادها سبقتفي مجال الجنس جميع بلاد العالم ، واخرى تقول ان هناك تفككاًفي الاسرالفنلندية، حيث النساء يحنن الى اطفالهن في الملاجيء عند المربيات . . .

واين هذا السبق في مضمار الجنس ، واين هذاالتقدممن الاحصاءاتالمتكررة في اكثر البلاد الراقية ، التي تقول ان غالبية اطفال الملاجيء ينشأون قليلي الذكاء والمواهب تبعاً للروتين السائد على الاعمال العامة . فتموت العبقرية في نفوسهم الرشيقة وتتحجر عواطفهم ، بينما نجد اطفال البيوت ينشأون متوفري الملكات والامكانات لانهم ينالون من حضانة الام ومرونتهاالكمية المعينةمن العناية المنسجمة مع نداءات الفطرة (٢) .

(١) الحوادث عدد ٨٣٧ .

(٢) كتاب الوعي الاسلامي ص ١٨٩ .

خرافات واساطير

قصة أرينب بنت إسحاق

السيد جعفر مرتضى

من القصص التاريخية الشائعة بين الناس قصة أرينب بنت اسحق ، زوجة الا
العراقي عبد الله بن سلام ..

وهي قصة بديعة وطريفة بحد ذاتها ، حتى ولو لم تقرأ بأسلوب العلايلي
كتابه «أيام الحسين» (١) ، الذي حاول ان يضفي عليها من خياله ماشاءت له مقدر
وهي بذاتها وبدون أية محسنات، تأخذ بمشاعر القارىء وتستبد بأحاسيسه . .

وملخص هذه القصة أن يزيداً عشق أرينب بنت اسحاق وشكا الى و صي
لمعاوية اسمه رفيق تباطؤ أبيه في أمره ، وتفريطه فيه ،فاعلم ذلك الـوصيف أ
معاوية بشكواه هذه ، التي لم يعرف سببها فقال معاوية : علي به ، وكان معاوية
أتته الامور المشكلة المعضلة ، بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاته

---

(١) راجع : الامام الحسين ، الحلقة الثالثة ابتداء من ص٣ ٥ ٠ ،وذكرها ملخصاً ابتداء من ص٣

واستسهال معضلاتها ، فلما جاءه الرسول قال : أجب أمير المؤمنين ، فحسب يزيد أنه انما دعاه الى تلك الامور التي يفزع اليه منها ، ويستعين برأيه عليها . . فجاء ، وسأله معاوية عن سرشكواه هذه وكان من جملة ماقاله له : «فأي ولد أعق منك وأكيد وقد علمت أني تخطأت الناس كلهم في تقديمك ، ونزلتهم لتوليتي أباك ، ونصبتك اماماً على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفيهم من عرفت ، وحاولت منهم من علمت ؟ !!» .

فشكا اليه حبه لارينب التي كان قدشاع فضل جمالها ، وكمال أدبها بين الناس وكان يرجو ان لايدع أبوه النظر له في امرها ، ولكنه ترك ذلك حتى استنكحها عبد الله بن سلام ، مع أنه لم يكن قد أخبره بحبه لها قبل هذا الوقت . .

فأمره بكتمان أمره ، قال : وكانت أرينب بنت اسحاق مثلا في أهل زمانها في جمالها ، وتمام كمالها ، وشرفها ، وكثر مالها ..

ثم أرسل الى عبد الله بن سلام القرشي ، الذي تزوجها ، والذي كان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل . . وكان معاوية قد استعمله على العراق - أرسل اليه - أن أقدم لامر حظك فيه كامل . . فقدم ، ونزل منزلا كان قد اعده له..وطلب من أبي هريرة وأبي الدرداء أن يخبرا عبد الله بن سلام أن معاوية يريد أن ينكحها بنته لدينه ، وفضله ، ومروءته وأدبه .. وانه كان قد وعدها أن يجعل لها في نفسها شورى .. فخرج ابو هريرة وأبو الدرداء من عند معاوية الى عبد الله بن سلام ، واخبراه بالامر ، ففرح ، ثم ارسلهما الى معاوية خاطبين ، فاعرب لهما معاوية عن رضاه وسروره وقال لهما : قد كنت أعلمتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى ، فادخلا اليها ، واعرضا عليها الذي رأيت لها . .

قال : وكان معاوية قد أوصاها أن تظهر رغبتها في هذا الامر وأنه لا يمنعها منه الا أن تحت ابن سلام ارينب بنت اسحاق .. وأنها لاتتزوجه الا اذا فارقها . .

فعندما جاءاها يعرضان عليها ذلك أجابتهما بذلك ؛ فأعلما عبد الله بن سلام بالامر ، فطلق زوجته أرينب ، واشهدهما على ذلك . . وارجعهما اليه خاطبين أيضاً

فخطبا .. وأعلما معاوية بطلاق عبد الله لزوجته ، فاظهر كراهته لذلك .. وصرفهما ليعودا اليه في وقت آخر ، وكتب الى يزيد يعلمه بما جرى ..

فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رأيها لانه كان قد جعل لها في نفسها شورى . . فقالت لهما : انها تريد أن تستشير عنه وتستخير . . بعد أن سمعت منهما تقريظاً لعبدالله وماهو عليه من الفضل والكرم المروءة ، وكرم المحتد ـ سمعت منهما ـ ماالقول يقصر عن ذكره . . واعترفت هي له بذلك حيث قالت لهما : «.. وانه في قريش لرفيع» . .

فخرجا عنها ، واعلماه بالامر . . وشاع الامر بين الناس ، ولم يشك أحد في غدر معاوية اياه . .

فاستحث ابن سلام ابا هريرة وابا الدرداء ، وسألهما الفراغ من أمره ، فأتياها فقالت لهما : انها سألت عنه فوجدته غير ملائم، مع اختلاف الناس الذين استشارتهم فيه بين ناه عنه وآمر به . . فأعلماه بالامر وهلع ساعة ، واشتد عليه الهم ، ثم انه فحمد الله ، وأظهر الرضا بقضاء الله ..

قال : وذاع أمره في الناس ، وشاع ، ونقلوه الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار وفي الليل والنهار ، وقالوا : خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وانما ارادها لابنه ، فلما بلغ معاوية ذلك قال : لعمري ماخدعته . .

فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد ، حتى قدمها ، وبها يومئذ الحسين بن علي (ع) ، سيد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وبذلا ، فاحب أبو الدرداء أن يلقاه قبل ان يقوم بأي عمل ؛ فأتى الحسين فلما رآه الحسين ، قام اليه فصافحه اجلالا له ، ومعرفته لمكانه من رسول الله، وموضعه من الاسلام ، وقال له : أحدثت لي رؤيتك شوقاً الى رسول الله (ص) وأوقدت مطلقات أحزاني عليه ، فاني لم أر منذ فارقته أحداً كان له خليلاً ، واليه حبيباً ، الا همت عيناي ، وأحرقت كبدي أسى عليه ، وصبابة اليه ؛ فغاضت عينا ابي الدرداء لذكر رسول الله ، وقال : جزى الله لبانة أقدمتنا عليه ، وجمعتنا بك خيراً ، ثم أخبره بما

يوجهه به معاوية ، فطلب منه الحسين أن يخطب عليه وعلى يزيد ، ولتختر من احتاره الله لها ، وأن يعطيها من المهر مثل مابذل لها معاوية عن ابنه، ففعل أبو الدرداء ذلك..
وطلب منها أن تختار ، فسكتت طويلا ، ثم قالت : ياابا الدرداء ، لو ان هذا الامر جاءني وانت غائب ، لاشخصت فيه الرسل اليك ، واتبعت رأيك . واما اقطعه دونك على يدك وكلامك ، وبعد دارك . .

فاختارت ابن بنت رسول الله ، فتزوجها الحسين ، وساق اليها مهراً عظيماً، وقال الناس ، وبلغ الامر الى معاوية فتعاظمه ذلك جداً ،ولام أبا الدرداء لوماشديداً.

قال : وكان عبدالله بن سلام قد اطرحه معاوية ، وقطع جميع روافده عنه لسوء قوله فيه ، وتهمته اياه على الخديعة ، فلم يزل يجفوه ويغضبه ، ويكدي عنه ماكان يحديه حتى عيل صبره ، وقل مافي يده ، ولام نفسه على المقام لديه . . فخرج من عنده راجعاً الى العراق . .

وكان له مال عند ارينب كان استودعها اياه ، وكان يتوقع أن تجحده لسوء فعله بها ، وطلاقه اياها على غير شيء انكره منها .. ولكنه مع ذلك لقي الحسين، وذكر له المال ، وطلب منه أن يذكر لها أمره ، ويحضها على رد ماله اليه ، فسكت عنه الحسين ، وانصرف الى أهله ، وذكر لها الامر ، وحضها على أداء ماله اليه فاعترفت بأنه كان قد استودعها مالا ،ولكنها لاتدري ماهو ، وانه لمطبوع عليه بطابعه ماأخذ منه شيء فأثنى عليها الحسين خيراً ، وأدخل عبد الله عليها ؛ لتبرأ اليه من المال كما دفعه اليها ؛ فأخرجت البدرات ، ووضعتها بين يديه ، وقالت له : هذا مالك ، وشكر لها ، واثنى عليها ، وخرج الحسين ، ففض عبد الله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات ، وقال : خذي ، فهذا قليل مني لك ، واستعبر جميعا ، حتى تعالت أصواتهما بالبكاء أسفاً على ماابتليا به ، فدخل الحسين عليهم وقد رق للذي سمع منهما ؛ فقال : أشهد أنها طالق ثلاثاً ، اللهم انك تعلم أني لم استنكحها لمالها ولا جمالها ،ولكني أردت احلالها لبعلها الخ . . ولم يأخذ مما ساق اليها في مهرها قليلا ولا كثيراً ، وقد كان عبد الله سأل أرينب التعويض على الحسين

فلم يقبل عليه السلام ، فتزوجها عبد الله بن سلام ، وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله ، وحرمها الله على يزيد ، والحمد لله رب العالمين . .

هذا ملخص ماذكره ابن قتيبة في الامامة والسياسة (١) عن هذه القصة .. و... أذكرها بطولها لان ذلك لايتسع له المجال هنا ونحن نشك في صحة هذه الرو... ونكاد نقطع أنها مفتعلة . .

أما الدوافع التي نعتقد أنها الباعثة على افتعال هذه الرواية ، فلسوف نتعرض الى جانب منها في أواخر هذا البحث .

واما مانستند اليه في حكمنا على هذه الرواية بالاختلاق والافتعال فيتلخص فيما يلي :

١ ـ ان أحد الشخصيات البارزة في هذه الرواية هو ابو الدرداء واذا رجعنا الى تاريخ وفاة أبي لدرداء فاننا نجد أنه لايساعد على صحة هذه الرواية . .

وذلك لانهم يقولون انه : توفي قبل عثمان بسنتين ، قيل توفي سنة ثلاث ، أو اثنين أو أربع أو واحد وثلاثين بدمشق وقيل توفي بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين ، والاصح والاشهر ، والاكثر عند أهل العلم واهل الحديث أنه توفي في خلافة عثمان ، بعد أن ولاه معاوية قضاء دمشق (٢) .

واستدل ابن الاثير على أصحية موته في خلافة عثمان بقوله : «ولو بقي لكان له ذكر بعد مقتل عثمان ، اما في الاعتزال ، واما في مباشرة القتال ، ولم يسمع له

---

(١) الامامة و السياسة ابتداء من ص ١٦٦ ، ج١ ، طبع الحلبى . .

ونهاية الارب ج ٦ ابتداء من ص ١٨٠ ، و لكن قال ان اسمها زينب ،والاتحاف بحب الاشراف للشبراوى ابتداء من ص ٧٩ نقلا عن ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) راجع : الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٦٠ ، واسد الغابة ج ٤ ص ١٦٠ و ج ٥ ص ١٨٦ ، و الاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ١٧ ، ١٨ ، و ج ٤ ص ٦٠ .

يذكر فيهما البنة (١) » .

وعلى أي من التقادير ، سواء اعتمدنا القول الاصح والاشهر ، أم اعتمدنا القول الاخر ، فان هذه الحادثة غير متصورة تاريخياً ؛ لان صريح هذه الرواية أن هذه القضية وقعت بعد البيعة ليزيد بولاية العهد ، أي بعد سنة ٤٩ التي فيها توفي الامام الحسن (٢) ، أي بعد مضي سنوات عديدة على وفاة ابي الدرداء فكيف يكون أبو الدرداء أحد ابطالها !

٢ ـ اذا كانت وفاة أبي الدرداء هي ماذكرنا ، واذا كانت ولادة يزيد نفسه سنة ٣١ على مايقوله المسعودي (٣) وغيره أو في سنة ٢٧ ، أو ٢٦ كما يقوله آخرون (٤) فان ابن سنة واحدة أو اربع أو خمس ، أو اثنا عشر على اختلاف النسب والاقوال لايكون مؤهلا لما اهلته له هذه الرواية من ذلك العشق المضني ، والهوى الجارف ولايكون مؤهلا ايضاً لتلك النقاشات القوية ، التي جرت بينه وبين أبيه معاوية اللهم الا اذا كان قد أوتي الحكم صبيا ! .

---

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ١٦٠ . و لعل من مؤيدات بقاء ابي الدرداء الى سنة ثمان ، أو تسع و ثلاثين ماروا‌ه نصر فى صفينه و الدينورى فى الاخبار الطوال من أن معاوية أرسل أبا الدرداء ، و أبا أمامة الباهلى الى على ، يطلب منه ان يسلم اليه قتلة عثمان ، فأقبلا الى على وأخبراه بذلك ؛ فاعتزل من عسكره زهاء عشرين الف رجل ، فصاحوا جميعاً : «نحن قتلنا عثمان» . فخرج أبو الدرداء ، و أبو أمامة ، فلحقا ببعض السواحل ، و لم يشهدا شيئاً من تلك الحروب (راجع : قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦) .

(٢) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ٢٢٨، و الامامة و السياسة ج١ ص ١٥٠، و١٥١ بل فى مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧ : أنه انما بايع ليزيد بولاية العهد فى سنة ٥٩ ، وعلى هذا فأبو هريرة أيضا لم يكن حينئذ حياً ! ! ! .

(٣) راجع مروج الذهب ج ٣ ص٥٣ ويؤيده كلام ابن حزم فى (نقط العروس) المقتضى لان يزيد تولى الخلافة ، و عمره ما بين العشرين والثلاثين سنة على ما ذكره عنه فى مآثر الانافة ج ١ ص ١١٦.

(٤) راجع : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ و مآثر الانافة ج ١ ص ١١٧ ، و البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٦ .

ولا يكون مؤهلا ايضاً لان يكون مستشاراً ومفزعاً لابيه في المعضلات والا[illegible]
لعظام، حسبما نصت عليه هذه الرواية . .

٣ – وبعد ماتقدم: فانه حتى لو كانت وفاة أبي الدرداء في سنة ثمان[illegible]
وثلاثين فالحسين لم يكن في هذه الفترة سيد أهل العراق، فقهاً، ومالا، و[illegible]
وكرماً؛ وذلك لوجود أبيه علي، واخيه الحسن، اللذان هما أعرف وأشهر [illegible]
في مختلف الجهات. . وذلك لان وفاة علي كانت سنة ٤٠ هـ . .

٤ – قد ذكرت هذه الرواية بطلا آخر لابد من ملاحظة دوره هنا هذا البطل
هو: «عبد الله بن سلام» . . وذكرت أنه كان والياً على العراق من قبل معاوية.

ولقد راجعت العديد من كتب التاريخ، فلم اجد فيمن استعملهم معاوية على
العراق . . لا على غيره من الامصار طيلة فترة حكمه، رجلا يحمل اسم: عبد الله
بن سلام . . رغم عناية المؤرخين الفائقة في ذكر المعزولين، والمولين [illegible]
على مختلف الولايات والامصار.

٥ – هذه الرواية تنص على أن عبد الله بن سلام كان واليا على العراق من
قبل معاوية . . وكلنا يعلم أن العراق لم يدخل في حكم معاوية الا في سنة ٤١ [illegible]
بعد صلحه مع الامام الحسن عليه السلام وبعد وفاة أبي الدرداء بمدة طويلة . .

٦ – ولقد راجعت عدداً من كتب الرجال والتاريخ، فلم أجد ذكراً الا[illegible]
رجال باسم عبد الله بن سلام. اثنان منهما زمانهما متأخر عن تلك الفترة، لكونهما [illegible]
عاش في القرن الثاني، والثالث هو عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وهذا [illegible]
لايمكن أن يكون مراداً لعدة امور:

فأولا: هو ليس قرشياً، والرواية تنص على قرشية بطلها المذكور . . [illegible]
هو اسرائيلي أنصاري، وكان من بني قينقاع.

وثانياً: ان هذا قد توفي سنة ٤١، حسب قول أبي رية (١) وسنة ٤٣ [illegible]

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٠ .

قول آخرين فحينئذ نقول فيه نفس ماقلنا اولا وثانياً ، وثالثاً ،فراجع . .

وثالثاً : الظاهر ان الحسين قد انصرف بعد سنة ٤١ مع اخيه الحسن الى المدينة ولم يكن بالعراق . . وعند ماكان فيه لم يكن هو سيد أهل العراق مع وجود أخيه الحسن ، ووالده علي من قبل . .

ورابعاً : ان سن عبد الله بن سلام الاسرائيلي كان في هذه الفترة عالياً ،وكان شيخاً كبيراً ، وهذا لايتناسب مع ماتوحي به هذه الرواية من العرام المتبادل بينه وبين زوجته ارينب ، التي كانت في ريعان الصبا ، والتي عشقها يزيد ، قبل أن يتزوجها عبد الله ! .

وكيف تقدم طفلة يضرب بجمالها المثل ، وتسير به الركبان على الاقتران بشيخ كبير ، ثم تغرم بحبه ، حتى تفضله على كل احد حتى على ولي عهد المسلمين !.

وخامساً : لانعلم ان هذا الحبر اليهودي قدم العراق أصلا وليس فيما بأيدينا من كتب التاريخ والرجال مايشير الى ذلك . .

٧ - اسلوب الرواية غريب وعجيب ، وهو أشبه بأسلوب القصة التي تونق، وتنمق في مجالس السمر والسهر ،ويبدو عليها الاصطناع واضحاً جلياً، اذاماقورنت بنظائرها من القصص والروايات التاريخية . . وعلى كل فان الاسلوب المسرحي التمثيلي المصطنع هو الصفة الطاغية على الرواية ، سيما بملاحظة بعض التعبيرات التي فيها مما لايكاد يخفي على أحد . . وليراجع العرض الكامل لها في كتاب : الامامة والسياسة وغيره مما تقدم .

٨ - يلاحظ في الرواية ان طلاق الحسين (ع) لارينب - الوهمي - قد جاء موافقاً للطريقة التي لايرتضيها اهل البيت ، وليست من مذهبهم . . ولاعرفت عنهم الا في حالات نادرة من تقية ونحوها مما ليس محله هنا ..

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٧ ، واسد الغابة ج ٣ ص ١٧٧ ، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٢ ، والاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ ، نقلا عن الطبرى . والهيثم بن عدى وابن سعد ، وأبو عبيد ، والبغوى ، وأبو أحمد العسكرى ، وغيرهم . .

٩ ـ تعظيم الحسين الشديد لابى الدرداء ، الذي لم يعرف بعلاقاته الطيـ مع أهل البيت ، بل كان على العكس من ذلك ـ ان صح التعبير ـ فلقد كان مـ المتعاطفين مع الامويين ، ان لم نقل انه كان من المتحمسين لهم ، سيما بملاحظ ان معاوية كان قد ولاه قضاء دمشق . . وملاحظة ثناء معاوية عليه ، حيث نراه يقول عنه : « الا ان ابا الدرداء احد الحكماء» (١) ويثني عليه ايضاً حسب رواية ولده يز عنه ، فيقول : « ان ابا الدرداء من الفقهاء العلماء ، الذين يشفون من كل داء» (٢).

وقد راينا كيف انه اعتزل حرب صفين ، ولم يحارب الى جانب علي عليه السلام ولعل المقصود لهم من هذا هو ان يظهروا أبا الدرداء بصورة عظيمة ، ويضفوا عليه هالة من الجلال والمكانة ، ليتأيد به العرش الاموي ، ويتقوى بـه ، كما كان الحال بالنسبة لكعب الاحبار ، وتميم الداري ، واضرا بهم . .

هذا . . واخيراً فقد بقيت مواضع عديدة ملفتة للنظر في هذه الرواية نذكر منها ماذكر من مكانة ومنزلة عبد الله بن سلام في قريش ، ومكانتـه مـن معاوية بالخصوص ! .

وايضاً : ان يزيداً يشكو اباه على تقصيره في امره بالنسبة لارينب حتى تزوجها رجل آخر مع العلم ان اباه لم يكن يعلم بحبه لها ! وانما كان يتوقع ان يخطبها لمجرد اشتهار جمالها وكمالها وادبها . . .

وكذلك كون ارينب مثلا في اهل زمانها في جمالها الخ ! !

مع العلم بعدم وصول ذلك الينا الا من طريق هذه الرواية ، رغم اعتناء كتب الادب والتاريخ بمثل هذه الامور عناية فائقة ! .

وايضاً كيفية الاخذ والرد بين معاوية وبين عبدالله بن سلام ، وكيفية المحاورات التي جرت بينهما وما يتضمن ذلك من أن عبد الله خطبها من معاوية اكثر من مرة رغم أن معاوية كان هو الذي طلب من عبدالله هذا الامر عن طريق أبي الدرداء ورفيقه

---

(١) الاصابة ج ٣ ص ٣١٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١١٥ ،
(٢) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٦٠ .

وكذلك قوله وكتب الى يزيد يعلمه بما جرى ! أين كان يزيد آنئذ عن هذه المسرحية ، ولماذا أبعده عنه مع انه هو المستشار له في المعضلات ، والمفزع له في الملمات ! .

واذا كان قد ذاع أمره بين الناس ، وشاع ، ونقلوه الى الامصار ، وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار ، فلماذا يغفل عن ذكر قضيته التي لاتدانيها طرافة وغرابة أية قضية اخرى . . أشهر المؤرخين ، كالطبري وابن الاثير ، وابن كثير واليعقوبي والمسعودي وأضرابهم ! . مع اهتمامهم الشديد بكل غريبة ، وايراد كل عجيبة ، سيما اذا كانت تتعلق بخلفاء بني أمية وبني العباس ، وترتبط بهم ! .

وكيف ينكر معاوية أنه قد خدع عبد الله بن سلام ! .

ولماذا اختارت أن ترسل لاستشارة أبي الدرداء في امرها حتى ولو كان في أقاصي البلاد ، وهل كان من أهل قرابتها ، وأهل نحلتها وبلادها ، وماذا يمثل أبو الدرداء في أمر كهذا ! .

الى آخر ماهنالك مما لايتسع المجال لذكره هنا .

وأما اذا أردنا أن نتكلم عن الدوافع التي دعت الى وضع هذه الرواية فلعلنا نستطيع أن نضيف الى بعض ماذكرناه سابقاً ، والى ارادة اظهار دهاء معاوية ، وحسن دراية يزيد الذي كان اهلا لان يستشيره أبوه في المعضلات ، ويستعين به على الملمات - لعلنا نستطيع أن نضيف الى ذلك - ارادة تخفيف حدة اللوم الذي يتوجه الى يزيد بقتله الامام الحسين ، وذلك بسبب وجود أحن وأحقاد قديمة ، كان الحسين هو السبب في وجودها ، سيما وان ماأقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفية ، وطعنة نجلاء في صميم قلب يزيد ، الذي برح به الهوى ، والمظ به الشوق .. وواضح ان ذلك يعتبر من الاسباب الرئيسة في تخفيف فظاعة الجريمة ، واضعاف عقابها ، وبعد ذلك يأتي الحديث الذي ثبت عند ابن كثير ! : «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم (١)» !

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٩ .

وكان على راس هذا الجيش يزيد بن معاوية قاتل الحسين ، وهادم الكعبة ومبيح المدينة ثلاثة ايام ، واللاعب بالقرود وشارب الخمر وتارك الصلاة و والخ .

فيزيد هذا اذن مغفور له ! .عجب ! ، والف عجب ! .

هذا . . بالاضافة الى امور اخرى ذكروها بالنسبة لمعاملة يزيد لآل بيت الحسين ولولا ان المقام يطول لتعرضنا الى جانب منها ، وبينا خطله وفساده . .

وقد يبدو هذا الذي جعلناه من دوافع وضع هذه الرواية غريباً للوهلة الاولى ويصعب قبوله والتسليم به . .

ولكننا اذا راينا : ان كاتباً اسلامياً مشهوراً ، ومشهوداً له بحسن النظر ، ودقة الملاحظة – كالاستاذ العقاد – اذا رايناه .. يقول – بعد ان ارجع اسباب التنافس بين الحسين ويزيد الى التراث الموروثة . فالسياسة ، فالعاطفة الشخصية ! فالى اختلاف الخليقة ، والنشأة والتفكير – تحت عنوان : زواج الحسين :

« . . . وكانما كانت هذه المنافسة الموصلة الجذور لاتكفي قصاص التاريخ فأضاف اليها اناس من ثقاتهم ! قصة منافسة اخرى ، هي وحدها كافية للنفرة بين قلبين متآلفين ، وهي قصة زواج الحسين رضي الله عنه ، من التي كان يهواها يزيد هوى ادنفه واعياه . . »

ثم بعد ان ساق هذه القصة قال :

«فان صحت هذه القصة ، وهي متواترة في تواريخ الثقات ! !

فقد تم مانقص من النفرة والخصومة بين الرجلين » (١) . .

وطبعاً يريد العقاد ان يقول ، ويستنتج من ذلك ان هذه النفرة والخصومة هي السبب في الذي كان ، ممالايجهله احد ..

ولانستغرب على العقاد مثل هذه الاستنتاجات ، سيما واننا رايناه يحاول تبرير

---

(١) ابو الشهداء الحسين بن علي للعقاد ص ٣٧ ، و ص ٣٩ .

ويلاحظ هنا انه يريد ان يوحي للقارىء بصحة هذه الرواية . وبذلك يضمن العقاد صحة استفاداته واستنتاجاته منها ! .

حرب الجمل ، التي اهريق فيها دماء الالاف الكثيرة من المسلمين الابرياء ـ يحاول تبريرها ـ بما يرجع الى اسباب عاطفية كانت هي السبب في العداء بين ام المؤمنين (رض) وبين علي عليه السلام ، على اعتبار انه عليه السلام كان قد اشار على النبي في قصية الافك بطلاقها . . واذن فمن الطبيعي ان تحقد عليه ام المؤمنين بسبب هذه المشورة غير الموفقة ـ على حد تعبيره ـ (٢) ولا يكون ثمة أية غضاضة في وقوفها ضده ، بعد ان تكتمل الدواعي ، وتتعاضد الأسباب لذلك . .

* * *

هذا . . واخيراً ، فقد وردت هذه الرواية بنحو آخر ، ونسبت الى الامام الحسن عليه السلام ، ونعتقد فيها بمثل اعتقادنا في قصة أرينب ، ونأمل ان نوفق لبحثها فيما يأتي ان شاء الله تعالى .

---

(٢) راجع كتاب : الصديقة بنت الصديق للاستاذ العقاد . .

أهل البيت

انسانية فذة .. وعطاء خالد

«٤ ــ ١»

ب ـ خطب الامام ودورها في غرس الهدفية والالتزام

«اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة»

«نهج البلاغة»

- ☐ الانسان الواعي ... من هو ؟
- ☐ تحديد مركز الانسان من الكون وهدفه فيه .
- ☐ المسؤولية العظمى .
- ☐ المقياس الصحيح .
- ☐ اسلوب العمل .
- ☐ الاطار العام لاداء المسؤولية ـ اتباع الحق .
- ☐ الموقف في الشبهة .
- ☐ الدخول المجموعي في الاطار .
- ☐ الخلاصة .

الشيخ : محمد علي التسخيري

قلنا سابقاً :

ان الحماس الذي رافق توجه الامة نحو الامام أمير المؤمنين (ع) طالبة منه ان يقبل البيعة له بالخلافة كان يمثل عنصراً يقل وجوده لتحريك الامة ضد اعدائها وبعثها كأمة مسؤولة، وان الامام ركز هذا العنصر بعدأن طعمه بالهدوية والالتزام القبل وذلك بواسطة بعض الامور كان أولها . . . الامتناع المشروط الذي تحدثنا عنه، اما الامر الثاني فهو الرواء الفكري، والتربية التوجيهية عن طريق خطبه وكلماته التي كانت اشبه ما تكون بالبيانات الرسمية الهامة والاوامر العامة التي يصدرها قائد الامة في سبيل بنائها من جديد :

ب ـ خطب الامام تبني الانسانية الواعية الملتزمة :

وقبل الدخول في توضيح هذه الحقيقة نود ان نذكر ـ كما ذكرنامراراً ـ باننا هنا نحاول ان نشير اشارة عابرة الى معالم الصورة التي نريد ان ترتسم في ذهن القارىء الكريم . . اما التفاصيل والحقائق المتفرعة فلها مجالهاالواسعفي دراسات اعمق واوسع نرجو ان يتوفر عليها مفكروا الامة ويستنبطوا منها أروع الأفكار .

كما اننا نود ان يكون القارىء الكريم على علم باننا ـ ونحننتعرض لخطب الامام (ع) ـ نعلم بان الكثير الكثير من كلماته القيمة وتوجيهاته السديدة قد طواها عامل الزمن واخفتها يد الغير عن شعور او لا شعور، ولعل أهممصدريمكن انيعتمد عليه في هذا المجال هو الكتاب القيم الرائع «نهج البلاغة» والذي حاول فيه السيد الرضي رحمة الله عليه ان يجمع ماشاء له اختياره الرفيعشذرات من كلام الامام(ع) لا كل الكلام ـ وهذا واضح من المقاطع التي ينقلها بعبارة «ومن خطبه (ع) » او ومنها » وغير ذلك من التعبيرات التي تعبر عن الاقتطاع من الخطب المروية التي تنقص هي في أصلها حتماً عن مجموع كلماته التي عبر فيها خلالحياته وخصوصاً في اواخرها عن روح الاسلام بحذافيرها .

ولكنا ندعي انه رغم ضياع الكثير من كلماته (ع) فان المتبقي منها يمكنه ان يمنح الانسان الباحث المدقق صورة كاملة عن اطروحة البناء الفريدة التي خطط

لها (ع) كي يبني الانسان المسلم الواعي الملتزم، ويبقي بالتالي على منابع الحماس الاجتماعي الثرة والتي تمكنه بالتالي من بناء الانسانية الواعية الملتزمة كل دم على ضوء تعاليم الرسول الاكرم (ص) والقرآن العظيم ومتطلبات الواقع الانساني

الانسان الواعي من هو ؟

انه الموجود الذي امتلك قدرة فكرية ميزته عن باقي الموجودات الكون الاخرى ، وبهذه القدرة العجيبة ـ وعلى ضوء هدى السماء ـ استطاع ان يعرف حقيقة الوجود العام ومبدأه وخالقه كما استطاع على ضوء ذلك ان يحدد مركزه من الوجود ، وبعد تحديد المركز عمل على ان يعرف هدفه في حياته وبعد تحديد المركز والهدف رجع الى تلك القدرة الفكرية يستنطقها مسؤوليته في الطريق الى الهدف لتجيبه بالرجوع مرة ثانية الى هدى السماء كي يعرف مسؤوليته العامة تلك وكي يستمد منها مقياسه العام لتمييز المسار الصحيح وأخيراً ليستمد نوعية الاطار الذي يجب ان يؤطر عملية تنفيذ مهام المسؤولية ليخلص بالتالي الى نوع التنفيذ فتستريح نفسه الوالهة وتطمئن روحه الى النتيجة فينذر لها وجوده وحينئذ فهو الانسان الواعي الملتزم .

خطب الامام تحدد مركز الانسان وتوضح هدفه :

ولقد شكلت خطب الامام (ع) ـ كأصفى نفس انسانية تتبع الرسول الاكرم (ص) واروع تجسيد لتعاليم القرآن الكريم ـ شكلت واسطة الهدي السماوي الذي اثار الطاقة الفكرية لدى الانسان نحو حياته المثلى التي أشرنا اليها .

فأول ما يطالعنا في هذا البين هو تصنيف الامام للناس الى ثلاثة اصناف والتركيز على صنف واحد هو الصنف المتحرك العامل بأقصى سرعة، الواعي

يدور حوله والمتبع للطريقة الوسطى التي تضيء معالمها تعاليم الكتاب وآثار النبوة فلنسمعه (ع) يقول من خطبة له :

«شغل من الجنة والنار أمامه ، ساع سريع نجا ، وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى ، اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة ، واليها مصير العاقبة» ويعلن فيها بأروع تعبير «وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره» ويصف الانسان الواعي بأنه «نظر وأبصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده ، فشرب نهلا ، وسلك سبيلا جدداً ، قد خلع سرابيل الشهوات ، وتخلى من الهموم، الا هما واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى ، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى قد أبصر طريقه وسبيله وعرف مناره وقطع خماره واستمسك من العرى باوثقها - ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» ص ١١٨ - (١)

فما هو قدر الانسان وما هو مركزه الواقعي ؟

انه (ع) يوضح للانسان المسلم مركزه بتوضيحه الأسس العقائدية التي تحدد المركز والنقطة العقائدية الاولى التي تلقي الاضواء على كل شيء يأتي بعدها، هي مسألة التوحيد الخالص التي تشكل روح كل النظرات الاسلامية في مختلف المجالات، التوحيد الذي ينزه الله عن كل شبهة شريك ونظير وكفء والذي يرجع الامور كلها اليه تعالى فهو الاول لا شيء قبله ، والاخر لا غاية له ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس . . . وهذه قبسات من كلماته (ع) في هذا المجال :

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي

---

(١) هذا النص وما يليه من نصوص كلها مأخوذة من نهج البلاغة - فهارس الدكتور صبحي الصالح .

حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي لـ
لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل محدود ، ا
الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه ، اول الد
معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحـ
الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه . . . أنشأ الخلق انشاء وابتد
ابتداء . . . احال الاشياء لاوقاتها ، ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها . . .» ص ٣٩، ٤٠

فاليه ترجع الامور كلها ، وهو تعالى مبدأ الكون وخالقه ، بمقتضى رحمته ومن رحمته الواسعة خلق الانسان بهذا الشكل الرائع .

«ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها ، تربة سنها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت . . . ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انسا ذا اذهان يجيلها ، وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل . . . واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الأذعان بالسجود له والخنوع بتكرمته . . .)ص ٤٢ .

وهكذا تتقرر حقيقة كرامة الانسان كما تتحدد وظيفته كخليفة وأمين لله في الارض عليه ان يعمرها في ظل هدي السماء فكل شيء حوله مملوك له ـ تعالى ـ «وانما المال مال الله» ص ١٨٣ .

«ثم اداء الأمانة فقد خاب من ليس من اهلها» فيجب ان يقوم بحقوق الأمانة لما كان اميناً على اعمار الارض .

ويتكاثر ابناء آدم والفطرة تحكمهم بصفائها ، يعيشون بنعمة من الله ورحمة، وشيئاً فشيئاً بدأ الانسان يبدل عهد الله ويجهل حقه ولما صار المبدلون الاكثرية شاءت الرحمة الالهية ان تبعث اليهم الانبياء «واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته . . .

على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور» ص ٤٣ ـ ٤٤ فرحمته تعالى وسنته قضت على مر الدهور ان ترسل السماء سلسلة من اعاظم الانسانيه كي يقودوها ويواصلوا عملية التربية الكبرى للبشرية وكان خاتم تلك السلسلة الطاهرة الرسول الاكرم (ص) «الى ان بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لانجاز عدته واتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته ، كريماً ميلاده . . .» ص ٤٤

ويقول (ع) فيه (ص) في موضع آخر « ارسله بالدين المشهور والقلم المأثور والكتاب المسطور ، والنور الساطع» ص ٤٦ ويقول (ع) «ارسله على حين فترة من الرسل ، وتنازع الالسن ، فقفى به الرسل ، وختم به الوحي » ص ١٩١ .

فالنبي اذن خاتم الانبياء جميعاً ورسالته خاتمة الرسالات التي لابد من ان تكون رسالة خالدة مع البشرية انفاذاً لسنة الله في الارض والتي لابد وان تكون الرسالة السماوية هي التي تنهض بعبء هدايتها ما دام لها وجود .

ثم يأتي دور تحديد مركز أهل البيت (ع) من الرسالة الخالدة كحملة لها وعيبة علم ، ولجأ أمر ، وكقادة يواصلون عملية التربية الكبرى تلك ويبقون مع البشرية على امتدادها ليواصلوا نشر الاسلام والتعريف باحكامه من منابعه الصافية وصيانته من كل شبهه والتباس ، ويلاحظ هنا التركيز الشديد على مركزهم (ع) وذلك نظراً لتضاؤل النظرة الحقيقية في النفوس وضياع مفعول الكثير من التوصيات والاحاديث النبوية الشريفة فيهم (ع) فنراه (ع) يصفهم بانهم موضع سر النبي ولجأ أمره وانهم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي . وبهم يلحق التالي ، وهم أزمة الحق وأعلام الدين والسنة الصدق، وهم خير العتر ، وهم كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم ، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم، وينابيع الحكم ، وعندهم ابواب الحكم وضياء الامر ، وان نطقوا صدقوا ، وان صمتوا لم يسبقوا ، وهم عيش العلم وموت الجهل وان بهم عاد الحق الى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه «راجع ص ٧٣٣ ـ ٧٣٤ لتتبين مواضع تلك الصفات».

وهكذا سار الامام امير المؤمنين (ع) من بدء الخلق حتى وصل الى مركز

القيادة الحقيقية وهم اهل البيت الذين يمثلهم هو (ع) آنذاك . . فهل يبقى بعد ذلك اي غموض عند المسلم بما يتصل بمركزه وهدفه ، ان مركزه وهدفه يتلخصان على ضوء ذلك في : ان الانسان فرد من المخلوقات الكونية التي خلقت كلها برحمة الله تعالى وقد اقتضت رحمة الله ان تميزه بالعقل والمعرفة والارادة ليقوم باعمار الارض عارفاً بالله محققاً رضوانه تحت ظل قيادة معصومة بدأت بآدم (ع) ومرت بالانبياء جميعاً وكان خاتمهم رسول الله (ص) والذي جاء بالدين الخالد ونصب الاوصياء المستحفظين على الدين وهم اهل البيت (ع) الذين يمثلهم امير المؤمنين (ع).

فالمنطلق هو حق الاستخلاف في الارض **والهدف** تحكيم عبادة الله وتحقيق الانسانية الملتزمة بعهد الله تعالى السائرة الى هداها تحت ظله **والطريق** هو الاسلام والاسلام لا غير **والقائد** الوارث لقيادة الانبياء كلهم عموماً والرسول الاكرم (ص) خصوصاً هو الامام (ع).

المسؤولية العظمى :

اذا توضح كل ذلك في خلد المسلمين توضح ان المسؤولية الكبرى التي يجب على الامة حملها هي الاسلام لانه الطريق الوحيد لها «وان في سلطان الله عصمة لامركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها ، والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبداً حتى يأرز الامر الى غيركم» وذلك تحت لوائه (ع) والعمل على نفي كل السبل الا السبيل التي يفردها فيها (ع) فلن يجدوا غيره اماماً يطأ بهم طريق الدعوة والبناء ، يقول (ع) «اتتوقعون اماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل » ٩٣ ، ويقول (ع) «اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، واعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم» ص ٢٠١ .

المقياس الصحيح

اما المقياس الصحيح الذي لا يزيغ فهو كتاب الله المجيد الذي يجب ان يشكل كل شيء في حياة المسلمين فـ (الحكم للقرآن الذي لا اختلاف فيه) و(كفى بالقرآن حجيجاً وخصيماً) وهو (احسن الحديث ربيع القلوب ، وشفاء الصدور ، وأنفع القصص) ، وهو (كتاب الله بين أظهركم ، ناطق لايعيا لسانه ، وبيت لا تهدم اركانه ، وعز لا تهزم أعوانه»وهو (كتاب الله تبصرون به،وتنطقون به،وتسمعون به » و (لا تخلقه كثرة الرد ، ومن قال به صدق ، ومن عمل به سبق) والخلاصة هي (ان القرآن عصمة للمتمسك) «راجع ص ٧٥٧ من فهارس صبحي الصالح» .

واما اسلوب العمل بالاسلام فهو وعي الاحكام والعمل بها اولا ثم حملها على وعي الى الاخرين عن طريق فريضة الامر بالمروف والنهي عن المنكر «وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه ، وانهما لايقربان من اجل ، ولا ينقصان من رزق» ٢١٩ «فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» ٢٩٩،ثم القيام بحمل الجهاد الثقيل في مختلف المجالات وبمختلف الوسائل (فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة» ص٦٩ «اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه ،وقرأوا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها» ١٧٨ ويقول (ع) «وعضوا على الجهاد بنواجذكم» ١٧٩ .

الاطار العام لاداء المسؤولية :

بعد ان عرفنا ماهي المسؤولية ، وما هو مقياس العمل لاجلها وما هي كيفية القيام بحملها وجب علينا ان نستبين الاطار العام الذي يجب ان يؤطر عملية التنفيذ وذلك كما توضحها لنا خطب الامام (ع) وبعض معالم ذلك الاطار .

والعنوان العام لذلك الاطار هو اتباع الحق اينما كان ومهما كانت المصاعب التي تترتب على اتباعه والعقبات التي تقف في طريقه من فقدان مصالح شخصية وقلة النصير ، وتقولات الناس الى غير ذلك وهذا ماتؤكده النصوص التالية :

«ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه ، وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده» ١٨٣ .

«لايؤنسنك الا الحق ، ولا يوحشنك الا الباطل» ١٨٨ .

«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه» ٨١ .

«ايها الناس اعينوني على انفسكم، وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها» ١٩٤ .

الموقف في الشبهة :

هذا اذا كان الموقف واضحاً والحق منبلجاً امـا اذا غامت الاجواء والتبس الحق بالباطل كما يقول (ع) «وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولااظهر من الباطل» ٢٠٤،٢٠٥ في مثل هذا الموقف لابد من ملاحظة امرين

الامر الاول : نفي الاسباب الممهدة للانحراف عن الحق ، والتي تلقي غشاً في رؤية الانسان فيعشى عن تشخيص الحق من الباطل .

والامر الثاني : الرجوع الى السبيل الاقوم دائماً وهو القرآن واهل البيت (ع) ففي الجانب الاول يعلن (ع) ان اكبر الاسباب التي تنحرف بالانسان عن الحق هو اتباع الهوى وطول الامل «ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى وطول الامل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ،واما طول الامل فينسي الاخرة» ٨٣.

«فرحم الله امرأ نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه ، فان هذه النفس ابعد شيء

منزعاً وانما لاتزال تنزع الى معصية في هوى ٢٥١ .

واعلموا ان الامل يسهي العقل ، وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور» ١١٨ .

ويصف الانسان الواعي في خطبة مر ذكرها فيقول : «قد اخلص الله فاستخلصه فهو من معادن دينه ، وأوتاد ارضه ، قد الزم نفسه العدل ، فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به» ١١٩ .

وكلا هذين العاملين علاجهما يكمن في الزهد الذي يعني في معناه الصحيح ماتتطلبه العبودية الخالصة لله من تحرر من كل ماعداه اما اولئك الذين تركوا الزهد فقد كان (ع) يصف لهم صفاتهم التي قد لايشعرون بها لطغيان حب المادة عليهم ثم يدفعهم لنبذها والتحلي بالزهد وان لاتغرهم الدنيا المادية الرخيصة فيقول (ع) «مابالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ، وقلة صبركم عمازوي منها عنكم كأنها دار مقامكم» ١٦٨ .

وكتب الى عامله سهل بن حنيف في شأن قوم من اهل البصرة لحقوا بمعاوية «وانما هم اهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا اسوة فهربوا الى الاثرة فبعداً لهم وسحقاً» ٤٦١ ويقول (ع) «اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع» ٥٠٧ .

ويمكننا ان نعد التعصب نوعاً من الهوى المستحكم وقد حاربه (ع) بكل شدة «ولقد نظرت فما وجدت احداً من العالمين يتعصب لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما لم يعرف له سبب ولا علة . . . فأن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال ، ومحاسن الامور» ٢٩٥ .

هذا في الجانب الاول اما الجانب الثاني فهو الرجوع مرة ثانية الى موئل الحق والصراط المستقيم وهو ماتركه النبي (ص) للامة مستمسكاً ونقصد به (الكتاب

والعترة) فقد ركز على الرجوع اليهما اذ يقول في نص رائع جداً «فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب ، والباري من ذي السقم ، واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فانهم عيش العلم وموت الجهل ،هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصحتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لايخالفون الدين ولا يختلفون فيه،فهو بينهم شاهد صادق،وصامت ناطق» ٢٠٦.

الدخول المجموعي في الاطار :

ثم ان اتباع الحق له مجالان فردي واجتماعي والثاني يجب ان يبتني على الاول ويتفرع منه وذلك واضح في مجتمع يريد أن يكون طليعة الأرض وقائدها نحو الحق ومن هنا فيجب الدخول المجموعي تحت راية الحق يشد الكل الى الآخرين شعور عميق بالوحدة وتربطهم عاطفة قوية ابتنيت على اسس واقعية عقائدية وهي الاخوة وهنا يقول (ع) «واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما ان الشاذ من الغنم للذئب » ٨٤ وقال(ع) «الخلاف يهدم الرأي»٥٠٧ وفي مجال الاخوة وحقوقها يقول (ع) :

«احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين واياك ان تضع ذلك في غير موضعه أو ان تفعله بغير اهله وامحض النصيحة حسنة او قبيحة » ٤٠٣ .

والوحدة ، والاخوه يركز عليهما الامام لانهما سمتان بارزتان من سمات مجتمع المتقين الذي أكد عليه كثيراً بل كان هو الغاية من اطروحته ،اطروحة اعادة الاسلام بكل وضوح وقوة الى النفوس وغرسه في قلوب الاجيال كلها ليبني الانسانية المتمتعة بكل مزايا الكمال في كل جوانبه فيقول (ع) .

(واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الاخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركو اهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ماسكنت وأكلوها بأفضل ماأكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، واخذوا منها ماأخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ ، والمتجر الرابح ، اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غداً في آخرتهم» ص ٣٨٣ ونجدوصفاًرائعاً لهذا المجتمع في خطبة له يجيب فيها على سؤال عن صفتهم فيقول(ع):

(فالمتقون فيها (يعني الدنيا) هم اهل الفضائل : منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد . .عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في اعينهم . . فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين . .)٣٠٣ .

والخلاصة :

هي ان الامام (ع) بخطبه المقدسة عمل على تربية :

الانسان الواعي الذي حدد مركزه وعرف مسؤوليته بمعرفته بالحقيقة الالهية العظمى وانه مخلوق لها ومكلف بحمل رسالتها وبناء مجتمعه على ضوئها وتحت قيادة تعينها السماء تمثلت في النبوة وتمثلت بالامامة اذ انحصرت النبوة الى الابد في نبوة الرسول الاكرم (ص) والوصية في اهل البيت الذين يمثلهم هو (ع) فعلا

الانسان الواعي الذي حدد مقياس حمل المسؤولية وعرف اسلوب الوفاء والقيام بعهدتها .

الانسان الواعي الذي عرف ان الاطار العام لحمل المسؤولية يكمن في اتباع الحق اينما كان ، وما هو الاساس الذي يشخص فيه الحق عند الالتباس .

الانسان الواعي الذي يعمل على اقامة مجتمع الأخوة والوحدة مجتمع المتقين وبعد هذه اللمحة الخاطفة لما هدف اليه الرواء الفكري لخطب الامام وبعدما سوف يأتي في المستقبل من خطوات يتوضح لنا التناسق والتلاؤم الكامل في مخططات الامام الفريدة في الاستفادة من لحظة الوعي المتدفق التي حصلت في الأمة ابان البيعة التاريخية له بالقيام باعباء الخلافة والقيادة .

من حياة الامام زين العابدين ع



رجل في المدينة

الشيخ حسين شحّار

. . . استبد الحكم الاموي بالمسلمين . . وعاث في الارض مفسداً عابثاً .

فلا يكاد يخلو بيت من بيوت الواعين من مأساة . . . فالنفي والقتل والسجن

الهوية التي كان يعرف بها كل من والى علياً وآله الاطهار . . . واليتامى . . والثك

كانوا قدراً مشؤوماً لكل بيت يعلن الرفض امام طغاة بني امية . . .

وعلى حساب الجوع والالم والتشرد . . . عاشت الفئة الطاغية الموالية للط

في تخمة ورفاه يميت في الانسان . . مشاعر الانسان .

في هذا الجو الخانق الحقود . . . سار همام الهاشمي في ازمة المدينة هائماً على وجهه لا يلوي على شيء . . . فمن مطلع الفجر وحتى المساء لم يلق من تجواله المضني وبحثه عن كسرة الخبز الا لفحات الشمس ترسم على وجهه البائس امنة الفشل.

الله من ظلمهم ... والله من عصيانهم . .

الا يعرف القلب الجريح طريقه للشفاء ؟

الا تعرف العين المسهدة راحة النوم الهني؟

هذه النفس الأبية هل تستسلم اخيراً لقد سقطت رايتها منذ سقط آخر فارس للامة فهل تترك السلاح ؟

الحصار عليها قوي جداً حصار في داخلها يمتك بها بأنيابه السود !

والحصار الخارجي لئيم . . لئيم . . يسخر من ضعف الطين ! !

ولا زالت الخيبة تطارده بكل ما فيها من شراسة وبكل ما فيها من مراره .

الديون تتراكم عليه . . وجهه الهارب أبداً من وجوه الدائنين ،

طفلاه الصغيران . . هل يقفان الآن على بوابة الدار يحملان البؤس على الجسد الضامر الهزيل . . وعلى الثوب الممزق . . وفي العيون الشاردة وهي تستطلع عمق الجراح . .

وزوجته أمن لزوجته الصابرة . . على محن الدهر وصروف الايام ؟

يكاد يستسلم . . وينهار . . وباستسلامه يحظى بمنح الخليفة وعطاياه . .

ولكن !

ها هو ذا يسمع صوتاً في داخله يمر على قلبه كما يمر العزاء وكما ينبت من صخور اليأس امل . .انه القرآن وانها الاية الكريمة :

«ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . . »

* * *

مشى همام الى داره يحمل على كيانه ملامح التعاسة والشقاء . . ويحمل في

ذهنه حواطر الحيرة وصور الذين ينتظرونه على جوعهم كماينتظرون استجابة الد
بلهفة تشبه لهفات الاغصان الذابلة لقطرة ماء . .

قاسيةهذه الصورة . . وهل يقوى على التحديق بها . . ان قلبه ليتفطر والد
لتجزع وان جفونه لتطبق على عينيه خوفاً من ان ترى مالا يحب فينهزم وتزيع

ها هي الشمس تنطفىء رويداً رويداً وها هم السابلة يمرون امامه متعبين ن
انهم فرحون بما لديهم وبما في ايديهم من طعوم مختلفة وسحت على شفة صاح
آهة وحسرة وايقظت في نفسه من جديد تلك الصورة الحزينة تتمايل في صمت
كالقدر المرسوم .

ولا يمكن الا ان يمسك رأسه بكلتا يديه كأنه يحاول ان يعصره او كأنه يحد
عليه الانفجار لا . . لا . !

ان ينام طفلاه..الليلة تخنقهم أكبادهم العرثى !

لا . . انك يا ربي لن تسمح بذلك !

لا . . ما نام كافر في ظل رحمة الله جائعاً . . فكيف بطفل مسلم بريء . ن
كيف بعائلة مسلمة تذكر الله كثيراً . . كثيراً لكل حين .

وفجأة . .

برقت في ذهنه خاطرة جميلة اوضحت له معالم الطريق ، وبددت عن كاهله
الحيران ركام الحزن والالم . .

لماذا لا يقصد زين العابدين(ع) .وهو القريب اليه المحبب عنده وهو الذي
قال لسائل . . لا .. اعجبته الفكرة واطمأن اليها . . فليذهب الى زوجه وليطمئن على
ولديه . . ثم فليستعد بعد ذلك لمقابلة السجاد . .

* * *

وصل همام الى داره . . وتلفت يميناً وشمالا يبحث عن طفليه لقد تعود ان
يراهما امام الدار يحملان اليتم في عيونهما لكل عابر سبيل .

عجباً . . اتراها تحطمت تلك الصورة الحزينة القاسية ؟ فاين اشلاؤها وابن

اياها ؟ ام ان لمسات الرحمة مرت على شخوصها فأبعدت اشباح الفقر عنها و ...حتها
، وجودها الكريم ظلا سخياً ناعماً من الدعه والسلام . ؟

استقبلته زوجته فرحة مسرورة يملأ شفتيها الاستبشار . . على غير ما تعود ان تلقاه.
الها عن فلذتي كبده فاجابته انهما في الداخل ينعمان بصنوف من الطعام الشهي .
، أكملت تقاطع تساؤله . . « قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بر حساب» فقبيل مجيئك بساعة . . طرق باب دارنا رجل ملثم يحمل على كتفه
راً مليئاً بما سوف تراه فسلم علي وناولني بعض ما يحمله على استحياء شديد . .
لا انسى انني رأيت في عيونه دموعاً صافية كلها اعتذار .

فمشى وهو يقلب وجهه في السماء . . وكانني سمعته يتحدث مع الافق البعيد .

ولكن . . الم يخبرك عن اسمه . . ومن يكون ؟

لا . . ربما يكون ولياً صالحاً من اولياء الله . . !

أطرق همام مفكراً في من يكون هذا الطارق في ليل الجراح ؟

وحمت الاشجان المدفونة تحت اقدام الظلم ؟

من يكون هذا الطارق في ليل الوحدة والغربة ؟

لقد سمع كثيراً عن رجل في المدينه يحمل على كتفه احلام الفقراء ويحمل
ي قلبه دموع المساكين في وقت تنام فيه «امية» بخمر الغنى والترف متخمة بمجون
لمتعة الحرام وعبث النعيم الملوث بالدم .!

ترى هل قدر لهمام اخيراً ان يعرف حقيقة ذلك الرجل . . حينما قضى زين
العابدين وعلى كتفه علامة سوداء اصرت على ان تشي بما سعى طيلة حياته ان يخفيه؟

* * *

ومر يوم كان همام يسير فيه متوجهاً الى دار علي بن الحسين ..وبينما هو يفكر
ذلك الحياة الخشنة التي يعيشها في شظف من العيش كواحد منهم . . التقى بجار
له يعرف فيه المكر والنفاق ويرى على شفتيه دائماً ابتسامة مخادعة ثعلبية . . وفي
مشيته حركة تفضح المرء .. كيفما سار . .

فلقد تعّود همام في معترك حياته ان يصطدم بهذه الوجوه المزيفة،فلا الا بالنظرة العميقة الساخرة وكلمات ربما تخلف وراءها نوراً الخيال فينتبه ويستقيم . .

فبعد ان القى التحية على جاره . . . وعرف الاخير مايعانيه همام،ص قال له . . لماذا لاتذهب الى زين العابدين . .عجيب امر هذا البيت يدعون الله لايردهم عن شيء من طلباتهم ويعترفون اخرى بالعجز عن اصلاح حال اصحابهم .

غضب همام . . ونظر اليه تلك النظرة العميقة الساخرة ارتجفت لها جاره .. وكلمه وفي كلماته قوة الحق تتدفق على لسان مؤمن عزيز :

انهم امامنا عاجزون ـ ظاهراً ـ ككل انسان يمر عليه اعصار الزمن لنؤمن بهم وبرسالتهم اقوياء وعاجزين .

اما انتم ذووا النفوس الحائرة فلن تقبلوا بهم الاقوياء قادرين لانكم لم بهم الا كذلك .. ان المؤمن لاتنقصه المعجزة في ايمانه . . انما المعجزة لمن ايمانه الشك والريب والظنون ..

* * *

تلقى السجاد صاحبه كاجمل مايكون اللقاء .. وحدثت المفاجأة التي ينتظرها همام بلهفة الصابرين .. فبعد ان قص على الامام حكايته مع المنافق أجابه مطمئناً ومسلياً : اذن .. فقد اذن الله في خلاصك .. ثم نادى خادمته ان تحمل فطوره وسحوره فحملت قرصتين فقال علي بن الحسين فليس عندنا غيرهما فان الله يكشف بهما وينيلك خيراً واسعاً منهما .

ثم رفع وجهه الى السماء يدعو بقلبه الحزين المكلوم . .

«سبحانك سيدى مااحلمك واعظم شأنك في حكمك واعلى سلطانك يارب مهلت عبادك في بلادك حتى ظنوا انك مهلتهم ابداً وهذا كله بعينك لايغالب قضاؤك ولا يرد المحتوم من تدبيرك كيف شئت وانت اعلم به منا يارب العالمين» .

وما ان اتم تطوعه النابع من اعماق اعماقه حتى خاطب همام وكأنه احسن بما في حواطره : ثم بدا كأنه يريد ان يقول له :

حاربوهم بالكلمة الطيبة تردوهم الى حظيرة الايمان .

حاربوهم بالسلوك الطيب الهادىء يردهم الى ايام الله ويبعث في نفوسهم ذكريات الرسول (ص) .. ولعلهم يتذكرون .

وانتم قلة .. حاولوا ان تكسبوهم الى صفوفكم ..

وثقوا .. انكم ان سرتم على ذلك .. سيهل عليكم قريباً ذلك الفجر الموعود .!

* * *

حمل همام القرصين بين يديه ، وقبض عليهما كما يقبض على آخر أمل له ..

لازالت تمر عليه بين ذلك آفاق الصورة القاسية الحزينة مليئة بالضباب السابح في وحه التنهدات .

ترى هل ينفجر الشعير من بين اصابعه الى ذهب وياقوت ..

ربما .. فحينما يتهكم الكفر على رب الكون في شخص عبد من عباده المخلصين تخلع كل الحكايا اثواب غرابتها ..

هذا ما حصل .. فلقد بادل همام باحدى قرصتيه سمكة رخصت في يد مالكها لانها بيعت على البيع .. ولم يكن همام ليتوقع .. ان يضع الله نهاية لاحزانه ومآسيه في بطن سمكة ... لؤلؤتان فاخرتان كانتا حجة .. وكانتا فرجاً كبيراً فتح امام صاحبنا آفاق المستقبل المشرق السعيد ..

مرت سحابة الصيف وتقشعت من سمائه الغيوم ..

شيء وحيد ظل يؤرق ليالي همام .. هذا الحكم الاموي الغادر .. تلك الذئاب المتوحشة .. الى متى تعيش الفئة الباغية الظالمة على حساب الجوع والالم ينهش كبد الفقراء وهم يحملون ابداً لواء الرفض .

الى متى ، هل ينبلج ذلك الفجر الموعود .. هل يهل علينا ..

أجل ..

عندما تشتد قسوة الضغط يولد الانفجار .. واي انفجار ..

تسبيح الكائنات وحقيقته

الشيخ جعفر سبحاني

« كشفت اذاعة موسكو ، عن نتائج جديدة ،
«لتحقيقات علماء روس في (عالم النبات) ، حيث قالت:
«بأن العلماء توصلوا مؤخراً الى : أن للنباتات أجهزة
«عصبية شبيهة بالاجهزة العصبية في (الحيوانات)!
«ولقد توصل العلماء الى هذه الحقيقة بعد أن علقوا
«أجهزة (سمع وبث) الكترونية دقيقة على ساق نبات
«القرع ؛ ثم لاحظوا بوضوح ظهور: (ردود فعل) غريبة
«على ساق النبات المذكور ، عندما راحوا يقطعون
«بعض جذوره ! ! .

«وفي الوقت ذاته ، كانت قد اجريت اختبارات
«مشابهة ، في المختبر الفسيولوجي للنبات بأكاديمية
«العلوم الزراعية ، أفرزت نتائج مشابهة أيضاً !

«ففي هذه الاختبارات ، وضعوا جذور احدى
«النباتات ، في ماء ساخن ، فنبعثوا على اثره:(صيحات
«الم وأنات ، صدرت من النبات ؛ غير أن هذه الاصوات
«لم تسمع بالطبع بالاذن المجردة ،وانما أجهزة تسجل
«الاصوات الالكترونية الدقيقة هي التي التقطت هذه
«الصرخات ، وسجلتها على اشرطة خاصة ! ! »

(صحيفة اطلاعات الايرانية)

ترجمة : جعفر الهادي

لعل هذا الخبر العجيب لم يكن الاول والاخير من نوعه ، اذا علمنا بأن ثمة
رات من امثاله ، تطلع بها علينا المختبرات العالمية ، كل يوم .

موضع الاهمية ـ في الواقع ـ لايكمن في أنه يعد كشفاً ، حديداً ، في عالم
بات ، لم يسبق له مثيل في تاريخ التجارب العلمية ، وانما لانه جاء يؤكد حقيقة
رنية ، كشف عنها (القرآن) لاول مرة ؛ أيام لم تكن جزيرة العرب تعرف :ماهو
مختبر ، ولا ما هو الميكرسكوب ، والاجهزة الاليكترونية !

أي تماماً في عهد الظلام العلمي !

فالخبر هذا جاء يؤكد لنا نظرية : (الشعور النباتي) الذي تحدث عنه القرآن
سياق حديثه عن : شعور الكائنات ، بصورة عامة .

ومهما تكون نتائج التحقيقات ، التي توصل اليها ، علماء النبات، في مجال
ات : (العمق العاطفي) للنباتات ، وفي مجال : تسجيل ردود الفعل لديها ممايشبه
ود الفعل عند الحيوانات ، لدى مواجهة أية كارثة .

ومهما يكون مدى امتداد هذه النظريات في المستقبل .

مهما يكون أهذا أو ذاك ، فان الذي يدعونا الى تأمل أكثرهو : ان (القرآن)
ب الى أبعد من ذلك كثيراً ، حتى أنه لم يكتف بالحديث عن وجود : (عمق
طفي) في النباتات خاصة ، وانما أثبت ـ وبدون تحفظ ـ وجود مثل هذا العمق
عاطفي بل و (الشعوري) في كل الموجودات على الاطلاق !

حتى أنه أعلن في كثير من آياته عن : أن (الكون كله ليس الا لساناً واحداً،
لح بذكر الله ، وينطق بحمده ، ويسبح بمجده ويخشى من هيبته) مما تعنيه هذه
كلمات حقيقة ! . .

والاعجب ،هوأن القرآن لم يقتصر على اثبات التسبيح في هذه الموجودات ،
ما راح يثبت لها : (السجود) ، وهو امر يتطلب منا الاعتقاد
أن هذه الموجودات تقوم ـ ولا شك ـ بنوع من الحركة الفعلية ، ضمن
ابيس خاصة ، لاداء هذا السجود ، الذي يمثل أقصى أنواع : الخضوع

والتسليم ! (١) .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان القرآن يعتبر مسألة التسبيح أمراً مفروغاً عنه .

ومن يدري ، فقد يأتي اليوم ، الذي يقدم لنا (العلم) فيه ، صورة صوتية حية، تدعم هذه الحقائق الكونية الكبرى التي أعلن عن وجودها (القرآن) الكريم بكل صراحة .

لكن يبقى أن نعرف أن هناك : جدلا بين مفسري القرآن ، القدامى ، حول هذه الايات ، التي تتحدث عن : تسبيح الموجودات ، وحول ما تعنيه ـ بالضبط ـ من كلمة : تسبيح ؛

أهو تسبيح حقيقي ؟ !

أم هو تعبير مجازي عن التسبيح ؟

غير أن هذا الجدل ـ رغم ما يطرحونه من أدلة ـ لن يشكل أي (نقض) لما قلناه عن : وجود عمق شعوري (حقيقي) في الموجودات . . كل الموجودات .

وربما يتأكد صواب هذا القول بصورة أفضل ، اذا استعرضنا كل : (الآراء) التي تحاول ، عبثاً ، ان : تنحرف بالظاهر القرآني الصريح ، نحو (تأويلات) ، لا تنبع الا عن ضعف : (الأداة العلمية) في عهود أولئك المفسرين . . والذي أصبح الان على أعتاب الاختفاء ، بفضل ما تنتجه : (نهضة التكنولوجيا) كل يوم .

على ان ما أثبتته : (الاجهزة العلمية) ، من وجود العمق العاطفي في النبات ، جعل اثبات مثل هذا العمق في الموجودات غير النباتية ، كالأجرام والذرات ، وشيكاً ، ومحتملا .

خاصة اذا أضفنا الى هذا التفاؤل : ما قدمه الينا (العلم) عبر وسائله الدقيقة

---

(١) سيأتي البحث حول السجود مع ذكر ما يدعمه من آيات قرآنية في مقال آخر انشاء الله .

ا ، من معلومات عجيبة عن مظاهر النظام والانضباطية ، في قسم من الخلاياالتي
ت ـ الى الامس القريب ـ تصنف الى صنف الاموات ، الامر الذي يدل علـى
ع خلفيات شعورية لدى هذه الموجودات !

والان الى الايات :

وقبل أن نستعرض الاراء ، يجدر بنا أولا ، أن نستعرض الايات القرآنيـة ، نها ، وماتعنيه هذه الايات ، ليتسنى لنا بعدئذ ، معرفة صحة الاراء المطروحة، بعد نستعرضها واحداً واحداً ، وما يرد عليها من ردود .

ولا بد ان نعلم مسبقاً بأن الايات الواردة في هذا المجال على اصناف :

١ ـ فمنها ما تشير ـ بصراحة ـ الى : (التسبيح الكوني الشامل) ، ومن هـذا صنف قوله تعالى في سورة (الحديد) : الاية الاولى :

«سبح لله ما في السماوات ، والارض ، وهو العزيز الحكيم» .

على أساس أن (ما) تطلق على عامة الموجودات ، ما عقل منها وما لم يعقل .

ومن هذا الصنف أيضاً ، قوله تعالى في سورة (الاسراء) : الاية ٤٦ :

«وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم»

ففي هذه الاية دلالة ـ لا تقبل جدلا ـ على أن تسبيح الله لم يكن مقصوراًعلى طائفة خاصة ، او صنف خاص من الموجودات ، طالمـا أن كلمة (شيء) تصـدق على كل موجود .

وبذلك يتأكد الشمول ، ببساطة .

على ان الذي يؤيد صدور مثل هذا التسبيح عن (كل) الموجودات ، هو قوله : «وما تفقهون تسبيحهم» الذي يمكن اعتباره اشارة صريحة الى ان (كل) الموجودات (تسبح) دون شك ، وان كان البشر لا يعلم شيئاً عن تفاصيل هذا :

(التسبيح الكوني) .

وللعلامة الطباطبائي في تفسيره : (الميزان) تحقيق متين في هذه الاية يؤكد مسألة التسبيح الحقيقي في عموم الموجودات دون تحفظات . .

يقول العلامة الطباطبائي :

«فان قلت مجرد الكشف عن التنزه لا يسمى تسبيحاً حتى يقارن القصد ، والقصد مما يتوقف على الحياة ، و (الحال أن)أغلب هذه الموجودات عادمة للحياة، كالارض والسماء ، وأنواع الجمادات ، فلا مخلص (ولا محيص) من : حمل التسبح على المجاز ؛ فتسبيحها دلالتها بحسب وجودها على تنزه ربها . .

قلت : كلامه تعالى في قوله(وان من شيء الا يسبح بحمده) مشعر بان العلم سار في الموجودات مع سريان الخلقة ، فلكل منها حظ من العلم على مقدار حظه من الوجود ، وليس لازم ذلك أن يتساوى الجميع من حيث العلم ويتحد من حيث جنسه ونوعه ، او يكون عنده كل ما عند الانسان من ذلك او أن يفقه الانسان بما عندها من العلم . . قال تعالى حكاية عن اعضاء الانسان : «قالوا : انطقنا الله الذي انطق كل شيء» حم السجدة / ٢١ وقال : «فقال لها وللارض : ائتيا طوعاً أو كرها قالتا : أتينا طائعين» حم السجدة / ١١ والايات في هذا المعنى كثيرة . .

واذا كان كذلك فما من موجود مخلوق الا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور وهو يريد بوجوده اظهار نفسه المحتاجة الناقصة التي يحيط بها غنى ربه، وكماله؛لارب غيره ، ويسبح ربه ، وينزهه عن الشريك وعن كل نقص ينسب اليه .

وبذلك يظهر ان لا وجه لحمل التسبيح على مطلق الدلالة مجازاً فالمجاز لايصار اليه الا مع امتناع الحمل على الحقيقة» (١) .

٢ ـ أما الصنف الاخر من آيات التسبيح فهو ذلك الذي يركز على تسبيح (الطور) ومنها قوله تعالى في سورة (النور) : الاية ٤١ :

---

(١) تفسير الميزان ج ١٢ الصفحة ١١٦

«ألم تر أن الله يسبح له من فى السماوات ، والأرض ، والطير صافات، كل قد علم صلاته ، وتسبيحه» .

ومن الواضح ان قوله : «كل قد علم صلاته وتسبيحه» دليل قاطع على انهذه الطيور تدرك تماماً (ما تفعله) فما يصدر عنها لا ينبع الا من: (معين شعوري) مختزن.

٣ ـ والصنف الثالث هو الذي يركز على تسبيح الجبال عندما يقول تعالى في سورة : (ص) : الاية ١٨ :

«انا سخرنا الجبال معه ، يسبحن ، بالعشي والاشراق» .

٤ ـ أما فى الصنف الرابع فنقرأ قوله تعالى عن تسبيح الرعد حينما يقول في سورة (الرعد) : الاية ١٣ :

«ويسبح الرعد بحمده» .

هذه مجموعة من الايات التي تتحدث بوضوح عن تسبيح كل أصناف الموجودات، وهي ـ كما تبدو ـ صريحة في اثبات نوع من : (التسبيح الكوني الشامل) لا يقبل الشك (١) .

بيد أننا قد لا نؤكد هذه القناعة الا اذا اطلعنا بصورة دقيقة على ما تعنيه كلمة (تسبيح) .

التسبح فى اللغة :

ولكن هذا ليس مشكلا اذا عرفنا بان التسبيح فى اللغة يعني : التنزيه .

فالتسبيح ـ حسب اللغة ـ يعني التنزيه عن العيب أو النقص ، فيقال عنك، اذا

(١) وهناك جملة اخرى من هذه الايات اليك جدولا سريعاً بها :

أ ـ الاية الاولى من سورة الحشر . ب ـ الاية الاولى من سورة الصف

ج ـ المقطع الاخير من الاية ٢٤ سورة الحشر د ـ الاية الاولى من سورة الجمعة .

هـ ـ الاية الاولى من سورة التغابن . و ـ الاية ٧٩ من سورة الانبياء .

نزهت موجوداً من الاتصاف بعيب أو نقص أنك : سبحته .

من هنا ، يصبح المقصود بالتسبيح في الايات السابقة واضحاً تماماً . . . يصبح أي تفسير لكلمة التسبيح بغير هذا المعنى ، تفسيراً غير واقعي ، وغير صحيح للكلمة . .

على أن هذا المعنى الواقعي لكلمة (التسبيح) لما كان يقتضي أن نتصور صادراً عن (شعور وادراك) لواقع معنى النقص وواقع معنى التنزيه ، فان طائفة م مفسري القرآن تمسكوا بالاية الاولى في سورة الحديد (المذكورة في مطلع الايات فعمدوا الى القول بأن كلمة (ما) في تلك الاية تدل على (ذوي العقول) ويقصدمنه الانسان والملائكة الذين حباهم الله بالعقل والادراك والحياة . . ثم سحبوا هذا الحكم على بقية الايات المشابهة على السواء .

غير ان كثيراً من المفسرين رفضوا هذا الرأي ، واعتبروه عزوفاً عن المداول الحقيقي للفظة (ما) . . التي تشتمل على العقلاء وغير العقلاء ، وتعم من يدرك ومن لا يدرك ، بلا جدال .

هذا بالاضافة ، الى ان الظاهر القرآني في الاية المذكورة يؤيد هذا الرأي الاخير - وهو اطلاق لفظة (ما) على العقلاء وغير العقلاء - خاصة اذا علمنا أن (ما) استعملت في القرآن عندالحديث عن (كل الموجودات) بعكس (من) التي اطلقت غالباً على العقلاء فحسب .

ولكي لا يواجه أصحاب هذا الرأي الاخير ، مشكلة : كيفية تسبيح الموجودات غير العاقلة ، فانهم لجأوا الى اعطاء كلمة : (التسبيح) ذاتها ، تفسيرات ، تثبت من جانب وجود (تسبيح) ما في هذه الكائنات ، وتنفي من جانب آخر ، تسبيحاً لا ينسجم مع واقع الكائنات غير الحية أو غير العاقلة - على حد تعبيرهم - .

وبهذا يكون هذا الفريق الذي يثبت وجود تسبيح في غير العقلاء ، قد خرج بتفسيرات جميلة بل ومعقولة - في حد ذاتها - ولكن دون ان تتناسب أبداً مع

مانعطيما اياه اللغة لكلمةالتسبيح ، او مايقصده القرآن ؛ وهو:التنزيه ، الذيلايمكن ان يتم الا بالنطق ، والتعبير اللفظي ليس الا .

وفيما يلي آراء هؤلاء المفسرين . . مع مناقشتها .. :

آراء المفسرين :

أ : قيل أن المراد بالتسبيح هو : (التسبيح التكويني) بمعنى ان (وجود الموجودات وكينونتها على ماهي عليه من عظمة الصنع تدل على ان لها خالقاً ، منزهاً عن العجز والنقص والضعف ..

وهذا هو التسبيح المقصود في غير العقلاء .

ولكن هذا التعبير يظل عاجزاً عن اعطاء المعنى الحقيقي لكلمة التسبيح ..

وكلمة التسبيح تعني : التنزيه عن النقص كما سبق ..

فما هي العلاقة بين اثبات الخالق المنزه ، وبين تنزيهه العملي من النواقص ؟

ب : وقيل أن المقصود بالتسبيح هو (خضوع)الموجودات المطلق ،لارادة الله ، وسننه في الكون والحياة .. واستدلوا بالآية التالية من سورة (فصلت): الآية ١١

«ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض : ائتيا طوعاً او كرها قالتا : اتينا طائعين » .

الا أن هذا التفسير ـ كسابقه ـ هو الآخر لايؤدي المعنى الحقيقي للتسبيح ..

ولا علاقة لمسألة الخضوع بمسألة التنزيه ، وليس من الصحيح أن نخلط بينهما .

ج : وقيل في التفسير الثالث ان المقصود من التسبيح هو (دلالة) النظام الدقيق السائد في تركيب الكون ،(على) حكمة الله ، وقدرته الواسعة ،وعلمه المطلق وتنزهه عن نقاط النقص والضعف .

على اساس ان دقة النظام تدل على قدرة المنظم ، وتنفي عجزه ،ووحدته تدل

على وحدانيته ، وتنفي تعدده ..

وهذا الرأي مردود هو ايضاً ، وان كان يعتمده جملة كبيرة من المفسرين والرد عليه يأتي من ثلاث نواح :

اولا : اذا كان هذا (التسبيح التكويني الصامت) هو المقصود حقا ، فماذا يعني قوله تعالى : «ولكن لاتفقهون تسبيحهم» مع العلم ان جملة لاتفقهون فلا مناسبة هنا بعد أن اطلعنا ـ بمثل هذا الوضوح والبساطة ـ على كيفية تسبيح الكائنات ،ـ كما تقولون ـ .

والعجيب ان البعض حاول ان يتخلص من هذا الاشكال عندما قال بان «لاتفقهون» هنا تعنى انكم (غافلون) ، وليست تعنى (لاتدركون) .

ولكننا نسأل : ألم يكن من الانسب في هذه الحالة أن يأتى القران هنا بجملة (وانتم عنه غافلون) ، اذا كان فعلا يقصد من جملة «لايفقهون» الغفلة ؟

مضافاً الى ان تفسير «لايفقهون» بالغفلة عزوف لامبرر له، عن الظاهر القرآني

ثانياً : اذا كان التسبيح التكويني الصامت هو المقصود فماذا يعني قوله :«كل قد علم صلاته وتسبيحه» ؟

ومن الواضح جيداً ، ان هذه العبارة تكشف عن صدور التسبيح في هذه الكائنات عن سابق شعور وادراك ، بينما لايدل التسبيح التكويني الا على دلالة تكوينية صامتة ، لاتوحي بوجود خلفيات شعورية ، وانما توحي بان هذا التسبيح يصدر عن عامل تلقائي قهري لااثر فيه لعامل الشعور كما اذا دل وجود صورة حائطية صامتة على وجود مصور .

فهل دلالة هذه الصورة على مصورها تكشف عن شعور لدى الصورة .

لا . . طبعاً .

ثالثاً : اذا كان المراد هو التسبيح التكويني الصامت فلماذا قيد الله هذا التسبيح بالزمن . . كما في قوله تعالى في الاية ١٨ من (ص) ؟

«يسبحن بالعشي ، والاشراق»

فهل التسبيح التكويني الصامت يقع في وقت دون وقت أو أنه مستمر على طول الخط . . وفي كل لحظة من لحظات الزمن ؟

ألا يدل هذا التوقيت على وجود تسبيح خاص غير هذا التسبيح ـ كما ذكروا ـ (١)

وهكذا يبدو هذا التفسير ايضاً غير منسجم مع مانقصده الآيات بالضبط .

د : نظرية الفيلسوف الاسلامي الكبير صدر المتألهين (٢) : فهو يعتقد :

بأن العلم والادراك والحياة ، أمور توجد في كل مراتب الوجود ابتداء من ذاته المقدسة ـ يعني الله ـ ونزولا الى عالم النبات ـ والجماد .

غير ان هذا العلم والحياة والادراك ، يختلف حسب اختلاف مراتب الوجود شدة وضعفاً . . دون ان يخلو موجود عنها البتة ، اذ العلم ـ كما يقول ـ عين الوجود

على ان هذه الموجودات كلما ازدادت تحليقاً في آفاق التجرد عن المادة والماديات ازداد هذا العلم والحياة والادراك شدة وكلما اقتربت الى المادة ازدادت هذه الامور ضعفاً حتى ليخالها المرء فارغة من هذا الادراك والعلم والحياة ، بينما لايكون ذلك صحيحاً . . فهي في الحقيقة ، حية عالمة مدركة ، حياة وادراكاً وعلماً لايستطيع البشر ان يطلع عليها لضعفها . .

ثم يخلص الى القول :

---

(١) الا ان يعتبر التوقيت هذا كناية عن شمول التسبيح لكل اطراف النهار والليل .

(٢) هو الملا صدر الدين محمد بن ابراهيم ، المعروف بصدر المتألهين . . وهو من كبار علماء الحكمة ومن عظماء الفلاسفة الاسلاميين المحققين .

عاش في القرن الحادى عشر الهجرى الاسلامي .

ولد في شيراز ـ ايران عام ٩٧٩ هـ وتوفى في طريق الحج عام ١٠٥٠ هـ عن عمر يناهز الحادية والسبعين .

امتاز بآراء وتحقيقات غنية ، وجليلة وعميقة في مختلف حقول الفلسفة والعلوم الالهية ، وقضايا المبدأ والمعاد ، وبذلك يعد فريداً من نوعه بين الفلاسفة الاسلاميين .

«جميع الموجودات، عند أهل الكشف، بالمعنى الذي ذكرناه،
عارفون بربهم، مسبحون له، سامعون لكلامه، واليه الاشارة بقوله تعالى:
شيء الا يسبح بحمده، ولكن لاتفقهون تسبيحهم» والتسبيح والتقديس لايتـ
بدون المعرفة، وقوله تعالى: «انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون
واضح على كون كل من الموجودات عاقلا، يعقل ربه، ويعرف مبدعه، و
كلامه، اذ امتثال الأمر مترتب على السماع، والفهم بالمراد على قدر ذوق ا
واستطاعة المدرك، وبحسب مايليق بجنابه المقدس عن الاشباه والامثال؛ و
تعالى للسماوات والارض: «ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: اتينا طائعين» (١).

وهكذا يستنتج هذا الفيلسوف من تسبيح الموجودات بان ذلك التسبيح
ـ ولاشك ـ على وجود شعور مسبق لدى هذه الكائنات على السواء، مما يدل
ان التعبير القرآني لم يكن الا تعبيراً حقيقياً، وليس مجازياً..

وبعد هذا التفسير لايكون هذا الفيلسوف الكبير، قد حافظ على (الظاهر القرآ
فقط وانما ايضاً تمشى مع ظواهر آيات اخرى حاول المفسرون ان يسلكوا بها
التأويل والمجاز، دون مبرر وجيه..

وهو اقتناع ذهب اليه بعض المفسرين القدامى، ممن اتيح له أن يتحرر
الشيء من النظرة الضيقة المحدودة، فراح يحتمل هذا الوجه ـ ولو مجرد احتم
على الأقل ـ، ومن هذا الفريق نذكر:

أ ـ ابن عباس.. فقد روي عنه في قوله تعالى: انا سخرنا الجبال
يسبحن بالعشي والاشراق» أنه قال: ويحتمل أن يكون الله سبحانه خلق في الجـ
التسبيح. (٢)

ب ـ الجبائي الذي قال في معرض تفسيره لآية «والطير محشورة

---

(١) الاسفار الاربعة ج ١ ص ١١٨ طباعة دار المعارف الاسلامية ـ بايران.
(٢) مجمع البيان ج ٧ ـ ٨.

داود»: لايمتنع ان يكون الله تعالى خلق الطيور من المعارف ماتفهم به أمر داود ونهيه. فتطيعه فيما يريد، وان لم تكن كاملة العقل. (١)

وهكذا تنتصر نظرية: (التسبيح الكوني الحقيقي) كحقيقة علمية سبق اليها وأيدتها نصوص من السنة (٢) كما أيدتها الفلسفة الاسلامية .. بانتظار ان تتكامل حلقات التجارب العلمية في هذا المضمار: ليكون العلم هو الآخر سنداً حياً يؤيد وجود الشعور في الكائنات غير الحية، كما اثبت بالامس وجود مثل ذلك الشعور في (النباتات) فضلا عن الكائنات الحية.

وعندما تنتصر النظرية:

ولكن بعد ان تنتصر النظرية ينطرح سؤال هو:

اذا كان هذا العالم حقاً يتمتع بمثل هذا الشعور والادراك، واذا كان كل جزء من اجزائه يعي - ولو على طريقته الخاصة على الاقل - فكيف يسمح الانسان لنفسه ان يظلم وينحرف ويتمرد ويقترف المنكرات؟

وهل بامكان هذا الانسان أن يخفي جرائمه أو يحسبها تمر بلا تسجيل؟

كيف والقرآن يصرح بأن كل هذه تشعر وتدرك؟!

ان ما يميز الاسلام عن المبادىء المادية هو: أن الاسلام يعتقد بأن اعمال كل انسان لن تمر بلا تسجيل، وان هذه الارض والسماء وكل شيء يحيط بهذا الانسان سيشهد على الانسان بما اقترفت يداه من آثام وما ارتكبه من ظلم. !

فالآن تصوير هذا الوجود لن تترك ظلماً او تمرداً او اثماً دون ان تضبطه وتصوره

---

(١) مجمع البيان ج ٩ - ١٠.

(٢) حيث جاء في الدعاء المأثور: تسبح لك الدواب في مراعيها، والسباع في فلواتها، والطير في وكورها وتسبح لك البحار بأمواجها، والحيتان في مياهها ...!!

لتعرضه يوم الحساب (١) .

ولات حين مناص

وبهذا المنطق العلمي يكون الاسلام قد وضعنا أمام حقيقة لا نستطيع اغفالها وتجاهلها :

فهذه الحقيقة تفرض على كل واحد منا ان يتحفظ في تصرفاته واقواله مادام الوجود ـ بأكمله ـ يتعقبه ، ويراقبه لحظة بلحظة وشبراً بشبر . .

وفي ذلك ذكرى لمن القى السمع وهو شهيد .

* * *

---

(١) خاصة بعد أن استطاع العلم الحديث اكتشاف بعض الجرائم عن طريق صور المجرمين المطبوعة على درات الاثير ـ في مكان الجريمة ـ ! !

(المترجم)

ضرورات الحياة الروحية للحياة الانسانية

«١»

بقلم :
الدكتور مقداد يالجن
ـ القاهرة ـ

ن هناك عدة ضرورات تدفعنا الى الالتزام بالحياة وحية . وعدم ادراك هذه الضرورات هو السبب في ال هذه الحياة أو تجاهلها لدى بعض الافراد أو ماعات ، لكن لما ترتب على هذا الاهمال وهذا هال من أضرار خطيرة في حياة الناس وخاصة في المجتمعات التي ألغت هذه الحياة الروحية وأوغلت الحياة المادية وعندما أدرك هذه الخطورة بعض العلماء والفلاسفة في تلك المجتمعات رفعوا واتهم عالية بالدعوة الى العودة الى الحياة الروحية بينوا ضرورات هذه الحياة وقيمتها من النواحي ختلفة من الناحية النفسية والطبية والاجتماعية لاقتصادية وما الى ذلك وسوف نشرح ذلك بالتفصيل ل تحليلنا للموضوع ومعالجتنا من الجوانب المختلفة هم تلك الجوانب هي الآتية :

ضرورتها من حيث أنها حاجة أساسية في الطبيعة الانسانية.

: ضرورتها للوقاية من الامراض المختلفة التي يؤدي ها ترك الحياة الروحية .

: ضرورتها لتحقيق السعادة الانسانية لانها عنصر من اصر هذه السعادة .

: ضرورة الحياة الروحية كعامل من عوامل التسامي لتكامل والتقدم المادي والمعنوي معاً .

وسوف نتناول بالتفصيل كل موضوع من هذه موضوعات في مقال مستقل .

ونبدأ في هذا المقال بتناول الموضوع الأول وهو ضرورة الحياة الروحية كحاجة أساسية فى الطبيعة الانسانية .

ان الحياة الروحية حاجة روحية كما ان الحياة المادية حاجة جسمية ، ذلك ان الروح حقيقة فى الطبيعة الانسانية وان أنكرها الماديون كما ان المادة حقيقة في هذه الطبيعة وان أنكرها الروحيون فان الله وضع هذه الحقيقة الروحية في طبيعة الانسان وركبها فيها عندما خلقها «ألا يعلم من خلق» وقال تعالى عن خلق الانسان «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» وقال «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» .

وقد أضفى وجود هذه الروح فى الطبيعة الانسانية صفات خاصة على حياته فجعلها تتميز عن حياة الحيوان فلعدم وجود هذه الروح فى الحيوان لا يحيا الا حياة حسية محدودة بمحدودية المادة .

أما الانسان فحياته أوسع من الحياة المادية فحسب وتختلف عن حياة الحيوان في أنواع اخرى من الحياة مثل الحياة العلمية والاخلاقية والروحية والجمالية وكلما تقدم الانسان في هذه المجالات من الحياة زادت بهجته ومتعته وآفاق سعادته بل ان سعادته مكمونة في هذه المجالات الحيوية المتميزة أكثر مما هي مكمونة في الحياة المادية ، لان هذه الحياة المادية كما قلنا محدودة لايستطيع الانسان الاستمرار فى التمتع بها فمثلا لا يستطيع الانسان أن يأكل وأن يشرب في كل وجبة الا كمية محدودة فاذا حاول الاستزادة زاد نفوراً منه وعلى العكس من ذلك فى تلك المجالات الحيوية المتميزة التي يمتاز فيها الانسان عن الحيوان ، اذ ان الانسان كلما تقدم في الحياة العلمية والعقلية وكلما اكتشف جانباً من المجهول زاد بهجة واشراقاً .

وكذلك الامر فيما يتعلق بالحياة الاخلاقية اذ انه كلما ازداد فى التكامل وعمل الخيرات بالنيات الخيرة زاد احساسه بخيرية ذاته ثم بهجته برقيه في عالم الخير والامر مثل ذلك فى الحياة الجمالية فانه كلما أمعن في جمال الكون وبدائع المخلـوقـات فى السمـاء والارض ، في جمـال السمـاء وجمـال

الزهور والاشجاروالفواكهالمختلفة الاشكال والالوان وفي جمال الحيوانات، والطيور من الفراشة الصغيرة الملونة الى الطيور ذات الرياش الملونـة التي رسمتها يـد الخالق المبدع ، زاداحساسه بقيمة الجمال ومعانيه .

وكذلك الامر فيما يتعلق بالحياة الروحية فكلما توغل الانسان في هذهالحياة وتقدم زاد شعوراً بالانشراح والبهجة والسرور الدائم لانها حاجة الروح والحاجات الروحية مستمرة وليست كمحدودية الحياة المادية .

ولهذا كله فكما أن الجسم اذا حرم من حاجته فلابد من أن يصاب بأضرار أو أمراض بحسب درجةحرمانه ومدةهذا الحرمان ، كذلك اذا حرمت الروح من حاجتها يصاب الانسان بأمراض روحية وان كان هناك فرق بين هذين النوعين من الامراض وطريقة الاصابة بهما اذ ان اصابة الانسان بالامراض الجسمية نتيجة الحرمان من الغذاء المادي يكون سريعا ويقدر درجة الاصابة بدرجة الحرمان ومدة هذا الحرمان ، أما بالنسبة للامراض الروحية فان الانسان قد لايشعر سريعا بضرر الحرمان كما لايصاب بهذه الامراض بعد الحرمان مباشرة بل قد يظهر أثرذلك بعد مدة طويلةوقدلايشعر المريض أن سبب ذلك حرمانه من الحياة الروحيةوهذا ماظهر بصورةواضحة في المجتمعات التي توغلت في الحياة المادية ونسيت الحياة الروحية أو أهملتها تماما . وقدلاحظ ذلك كبار العلماء والمفكرين الاجتماعيين في تلك المجتمعات . فمثلا يقول الدكتور ألكسيس كارل العالم الفرنسي في هذا الصدد «ومن الغريب ان الانسان الحديث قد استبعد من الحقيقة الواقعية كل عامل نفسي «روحي» وبنى لنفسه وسطا ماديا بحتا غير أن هذا العالم لايلائمه بل نراه يصاب فيه بالانهيار وقد اعتاد اسلافنا طوال آلاف من السنين أن يعدوا وجود العناصر الروحية في وسطهم أمرا ضروريا . وكان الدين يسيطر على احداث الحياة العامة ، ويزود كل شخص بالشجاعة التي تمكنه من العيش ويبدو جيدا انه يجب على البشرية المتحضرة لكي تتجنب ترديها النهائي في وهدة التنافر والفوضى أن تعود الى بناء المعابد في ذلك العالم الفاخر الصارم الذي يعيش فيه علماء الطبيعة والفلك» ثم يبين كيف أصبح يضيق الانسان المادي في العالم المادي ، كما يضيق

الانسان الكبير في ثياب الطفل الصغير اذا لبسه فيقول « فالعالم يبدولنا كالثوب المفرط في الضيق بمجرد ان يطبعه مذهب الحرية الفردية أو المذهب الماركسي بطابعه ومما لايقبله العقل ان يصبح الواقع الخارجي أضيق من أن يشمل الانسان في كلته وألا يكون تركيبه متفقا مع تركيبنا من بعض الوجوه فمن الحكمة اذن ان نجعل لعالم الروح نفس الموضوعية التي لعالم المادة » ويتكلم عن مدى خطورة ترك الحياة الروحية وما ينتج عن ذلك من الامراض الاخلاقية التي تهدد الحياة الاجتماعية فيقول «ولم يفهم المتحضرون حتى الان مقدار الخطر الذي يكمن في عدم الخضوع لقانون النمو العقلي «الروحي» خضوعا تاما فهم يتوهمون ان تربية الذكاء تضاهي تربية الروح . ولم يكتشفوا بعد أن هناك الى جانب التفكير المنطقي ضروباً أخرى من النشاط الروحي الضرورية . حتى يكون السلوك في الحياة سلوكا عقليا وقد ردت الحياة على هذا الجهل بجواب بطيء صامت بدت مظاهره جلية في القرى والمدن وهو الزحف التدريجي للقبح والقذارة والفظاظة والسكر وشهوة الترف وحب السلام والحسد والنميمة والبغض المتبادل وتلك الرذائل التي يعدها دائماً أحط مايتسم به البشر ، وهي النفاق والكذب والخيانة ، هكذا أجابت الحياة بطريقة آلية على رفض الخضوع لقانون الارتقاء الروحي فقضت على نفسها بالانحطاط والانحلال».

ويقول سير رتشرد لفنجستون وكيل جامعة اكسفورد «اننا نعيش جميعاً في عالمين: العالم المادي والعالم الروحي معاً . . . والاخير هو عالم القيم ولو اننا ضحيناه على مذبح العلوم أو الاقتصاديات أو الاجتماعيات أو أي شيء آخر لكان في ذلك هلاكنا مثلنا في ذلك كمثل من يحذف الفيتامينات من طعامه» ومع ذلك فاننا لانولي هذه الحقيقة العناية الكافية . ولهذا يبين الله أن من أهمل الحياة الروحية أو اعرض عنها فانه يعيش حينئذ حياة شقية فقال تعالى «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون».

* * *

القياس
في نظر الشرع والعقل*

ترجمة و تحقيق
عز الدين محيي الدين

«السيد جواد المصطفوي الطرقي»
مساعد أستاذ في قسم القرآن والحديث

القياس هو أحد المواضيع التي اختلفت فيه آراء علماء المسلمين بشكل ملحوظ، وذهب كل طائفة منهم الى جانبي الافراط او التفريط فيه، حيث نرى البعض ذهبوا الى اعتبار القياس مقدماً على عموم القرآن والحديث (١) كما أن الفرقة الظاهرية زعمت ان العموم اللفظي هو «القياس» ولذلك ردته، و بشكل عام فان كلا الطرفين لا يقفان بجانب النفي او الاثبات حيث لا يمكن الجزم باعتبار كل طرف مثبتاً كلياً

---

* نشر هذا المقال في مجلة «نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامى» في جامعة مشهد - العدد الثاني .

(١) اصول الفقه محمد ابو زهره ص ٢١٠ .

(٢) يراجع الفصل (٦) من هذه المقالة .

او نافياً بشكل مطلق للقياس ، بل هناك آراء مختلفة بالنسبة الى اقسام وشرائط القياس وكذلك في تحديد موارد النفي والاثبات وطرق الاستدلال والنواحي الاخرى، وقد احدثت هذه الاختلافات تعقيداً في دراسته .

ومن أجل ايضاح الموضوع وتحليل الجوانب السالفة سنبدأ هنا بمحاولة تعريف القياس ، وبيان مقوماته ، واستعراض انواعه ، وطرق الاستدلال عليها ، وتاريخه :

١ ـ تعريف القياس :

القياس لغة بمعنى: «تقدير شيء بشيء وتمثيله به» كما في العبارة التالية «قست الارض بالقصبة» بمعنى تقدير الارض بالقصبة ، وفي جملة «فلان لا يقاس بفلان» أي لا يوازيه ولا يساويه (٣) وفي اصطلاح علم الاصول والكلام «القياس هو يثبت للمسكوت عن حكمه مثل حكم المنطوق بحكمه لعلة جمعت بينهما» (٤) أو ماشابه هذه العبارة مثل «القياس أجراء حكم الاصل في الفرع لجامع بينهما» (٥)

٢ ـ القياس في رأى المنطقيين :

ان ما قيل في تعريف القياس لدى الفقهاء والمتكلمين هو «التمثيل» أو «المثال» عند علماء المنطق وذلك لان اباعلي بن سينا في «دانشنامه علائى» يقول «المثال هو أن يحكم على الشيء الذي يشابه ما شاكله عليه» (٦) ولابد أن يكون المقصود بكلمة «حكم» التي تقال في تعريف القياس والتمثيل في علم المنطق هي الحكم العقلي وفي علم الفقه الحكم الشرعي .

---

(١) قوانين الاصول ص ٩٨ .
(٢) عدة الاصول ص ٩٨ .
(٣) قوانين الاصول ص ٣٠٣ .
(٤) دانشنامه ص ٩٤ .

فالفقهاء يضربون مثلا للقياس هو «أن النبيذ (١) حرام كالخمره وذلك لاشتراكهما في الاسكار» ويقول المتكلمون «السماء حادثة لانها شبيهة بالدار من ناحية التجسيم والتركيب»، حيث أن علماء المنطق لا يقرون بحجية التمثيل - كما سنتطرق لذلك - ويذكرون المثال التالي «الروح قوة في البدن يجب ان لا تبقى بعد مفارقتها الجسم كما أن رؤية العين قوة لا تبقى» (٢) .

٣ ـ اركان القياس :

القياس او التمثيل له أربعة أركان متفق عليها من قبل الفقهاء والمتكلمين والمنطقيين وهي : ١ ـ الاصل ٢ ـ الفرع ٣ ـ الجامع او العلة ٤ ـ الحكم أو الفتوى وعلى هذا يكون تطبيق القياس على المثال الاول كمايلي : ١ ـ الخمر ، الركن الاول . (الاصل) . ٢ ـ النبيذ ، الركن الثاني (الفرع) . ـ الاسكار ، الركن الثالث ، (الجامع او العلة) . ٤ ـ حرمة شرب الخمر الركن الرابع، أي (الحكم او الفتوى) .

٤ ـ اعتبار القياس في رأى المنطقيين :

يقول المنطقيون : التمثيل (القياس) لا يمكن تعميمه لانه لا ينتج اليقين . كما أنه يبطل بالعكس في بعض الموارد كمثال بقاء الروح بقياس رؤية العين ، وعلى هذا لا يكون التمثيل (القياس) قابلا للاحتجاج او الاعتماد . . ويقول أبو علي بن سينا «المثال أضعف من الاستقراء» ثم يذكر الروح ورؤية العين مثلا لذلك. ويقول أهل المنطق : أن أهم دليل ذكر لاثبات حجية التمثيل (القياس) هو موضوع

(١) الشراب الذى يحصل عليه من العنب او التمر بوسائل خاصة ، ويكون مسكراً .

(٢) نقلا عن «رهبر خرد» من «دانشنامه علائي» . رهبر خرد ص ٢٤١ . دانشنامه ص ٩٦ - ١٠٥ . فى اثبات القياس بدليل العقل يكون هذا المثال صحيحاً .

«الدور والترديد» والذي ثبت قصوره وعدم اعتباره ـ كماسنبحثه في الفصل الخامس ـ وعلى هذا يكون التمثيل جديراً بأن يكون اقرب الى الخطابة والشعر منه الى البرهان.

٥ ـ بطلان الدور والترديد :

لقد ذكر الدور في كتب منطق الاسلاف باسم «الطرد والعكس» والترديد باسم «السبر والتقسيم» والان لنتطرق لكل واحد منهما :

الدور : وخلاصة هذا الدليل هو انه «في التمثيل يكون ، وجود الحكم وعدمه دائراً مدار وجود الجامع بينهما وعدمه».

ففي كل مورد يكون الجامع موجوداً والعلة في الفرع موجودة يكون الحكم موجوداً ، مثلا الحكم بحرمة الخمر لا يصح قبل أن يكون مسكراً كما اذا كان بصورة خل او عنب أو عصير ، وبعد تحول الخمر خلا لم يكن له ذلك الحكم ، فهو حرام في كونه خمراً ومسكراً فقط . ومن هنا يظهر لنا ان الاسكار أينما كان وفي أي وقت كان موجوداً يكون الحكم بحرمته موجوداً وكذلك النبيذ أحدهما» .

يجيب أهل المنطق قائلين أن دليلكم مصادرة على المطلوب ونفس المدعى. وذلك لان الحكم على كليات الدور مبنية على ثبوت الدور في مورد الخلاف، وهذا نفس الادعاء ، أن الدور بالحكم بالحرمه والاسكار بالنسبة للخمر مسلمة ، ولكن بالنسبة للنبيذ من اين ؟ واذا كنتم تتمسكون بدليل القياس، نقول أن هذا عين الدعوى وأول الكلام .

الترديد : هو التحقيق والتفحص في الاوصاف الموجودة «للاصل» وابطالها واحداً تلو الاخر لعدم انطباقها على الحكم ، حتى لا يبقى سوى الوصف الذي يوجد في الفرع . وبهذا الطريق سيكون الاستناد في «الحكم» على الوصف المذكور وثبوت الحكم للفرع قطعياً ومسلماً به . فمثلا يقال أن سبب حرمة الخمره ، اما لكونها سائلا او ذات الطعم واللون الخاص بها ، او استخلاصها من الكرم او . . ولكن اي واحد من هذه الاوصاف لا يكون سبباً لحرمتها ، ذلك لان هذه الاوصاف

موجودة في أشياء اخرى ولم تسبب لها الحرمة ، اذن الموجب الوحيد للحكم هو كونها مسكراً والذي هو متوفر في النبيذ أيضاً، اذاً فالحرمة بالنسبه للنبيذ مسلم بها.

وهذا الدليل باطل للاسباب التالية :

١ ـ من الممكن أن لا يكون الحكم الاصلي مرتبطاً بوصف بعينه ، كورود الاوامر الامتحانية للمولى مع العبد ، ومثل الآية الشريفة «فبظلم من الذين هـادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم» (١) ، حيث أن علة حرمة الطيبات على اليهود ، هو ظلمهم كما هو مبين .

٢ ـ عدم امكان استقصاء جميع الأوصاف ، اذ من المحتمل ان يكون الوصف مربوطاً بوصف لم يذكر .

٣ ـ احتمال مدخلية الوصف الخاص بالاصل في عروض الحكم . كأن نقول أن الاسكار الحاصل من الخمر يوجب حرمتها لا أسكار آخر ، كما ان الجهل بالثمن ـ على قول بعض الفقهاء ـ في خصوص البيع يوجب افساده لا في الصلح والنكاح (٢). بالنسبة لمجهولية البدل والمهر .

٤ ـ احتمال مدخلية اجتماع الاوصاف في عروض الحكم، كأن نقول السكر، وكونه مأخوذاً من العنب كلاهما علة في الحرمة لا ان الحكم بالحرمة مختص بالاسكار فحسب .

٥ ـ على فرض التسليم بالعلة في الوصف المذكور ، فهناك احتمال وجود مانع في «الفرع» يوجب عدم تطابقه مع العلة فيبطلها ، كما هو الحال في حرمة النظر الى الأجنبية بسبب احتمال وقوع الفتنة او الزنا ولكن هذا الاثر يبطل بسبب العسر والحرج بالنسبة الى الطبيب والمريض ، والقياس في مثل هذه الموارد باطل .

ويظهر مما ذكرنا من أنه اذا انسدت السبل في مورد ما من احتمالات الاقسام الخمسة وثبت وسلم الاستناد الى وصف معين لا غير جرى القياس .

---

(١) النساء ـ ١٦٠ .

(٢) أصول الفقه ـ المظفر ج ٤ ص ١٨٩ .

٦ ـ تاريخ القياس الشرعي :

الى هنا عرفنا حال القياس في نظر المناطقة .

واما القياس فى رأي الفقهاء والاصوليين الاسلاميين فهو موضوع ذو جوانب متعددة اذ كتبت كتب مختصة وغير مختصة في اثباته او ابطاله . وهناك من اقروا بحجية القياس وأثبتوا اعتباره ، وعدوه مدركاً ومستنداً مستقلا الى جانب الكتاب والسنة والاجماع ، وفي أي مورد لا يكون هناك نص او اجماع لجأوا الى القياس واستنبطوا منه الحكم الفرعي ، ـ وكما قلنا ـ هناك من علماء السنة من رجح القياس على القرآن والحديث .والان قبل ان ندخل فى الاقوال وطريقة الاستدلال نذكر تاريخاً موجزاً للقياس .

لانشاهد منذ صدر الاسلام حتى زمان التابعين وقبل عصر ابي حنيفة فى الاثار الاسلاميــة بحثاً حول «القياس» باعتباره أحد الأدلة الاستنباطية ، عدى القليل مــن الأخبار القصيرة التي نلاحظ فيها لفظة القياس والرأي ، والتي سنذكرها فيما بعد (١) ولكن مثبتي القياس يقولون «ان القياس من البديهيات العقلية وأركان الاستــدلال وليس له اختصاص بزمان معين ، ونرى ان العقلاء دوماً يجرون قانون تساوي الاحكام لتشابه الصفات والافعال» (٢) وفى المواضيع التالية سيتضح أن القياس فى الاحكام الشرعية أضعف من القياس فى المنطق الذي برهن علمياً عدم اعتباره . في حين يبدو أن اباحنيفة المتوفي سنة (١٥٠هـ) هو اول شخص قال بالقياس باعتباره أحد الادلة الاستنباطية (٣) . وله جدل مع الامام الصادق (ع) فى هذا المجال ، وكان الامام يوقفه عن أعماله ومتابعة القياس بأدلة تناقض القياس . كما أن ابن حزم الاندلســي (المتوفي ٤٥٦هـ) يقول :قال الامام الصادق(ع) لابي حنيفة «اتق الله ولا تقس . »(٤).

---

(١) فى فصل الاخبار ، شرح القول الثاني بند (١١) من هذا المقال .

(٢) اصول الفقه ـ محمد أبو زهره ص ٢١٠ بتصرف .

(٣) اصول الفقه للمظفر ج ص ١٨١ .

(٤) ابطال القياس ص ٧١ طبعة دمشق سنة ١٣٧٩ .

ثم أن ثلاثة من الفقهاء الآخرين في العصر العباسي قد وضعوا القياس في مستوى القرآن والسنة في كونهما من مصادر الاحكام ، وتوسعوا في أبحاثه ، وكتبوا له شروطاً واستدراكات ، واستنبطوا بواسطته فروعاً كثيره ، وغالباً ما أفتوا بشكل متناقض ومخالف لبعضهم الآخر ، وذلك لان الجامع والعلة في القياس مختلفة ومتفاوتة في نظرهم .

وكان رد الفعل امام هذا الافراط بالنسبة للقياس هو ان داود بن علي الظاهري (٢٠١ ــ ٢٧٠) الذي كان في البداية من فقهاء الشافعية أبدى معارضة شديدة لأهل القياس واكتفى بظواهر القرآن والسنة فقط ، حتى أنه حصل على اتباع وأصحاب كثيرين ، وكان يحضر دروسه أكثر من ٤٠٠ من الطلاب والفضلاء (١) و أوجدوا المذهب الخامس في الاسلام باسم «الظاهرية» (٢) .

يقول الظاهرية بما أنه جاء في الحديث أن «القتل بالسيف يوجب القصاص من القاتل» لا يمكن اذاً قياس ذلك على القتل بالحجارة او العصى او الحديد ، وكذلك فقد قرروا ان بول الانسان نجس للنص عليه وبول الخنزير طاهر لعدم النص وعلى هذه القاعدة قالوا ان لعاب الكلب نجس وبوله طاهر (٣) .

وفي عصر داود بن علي الظاهري نفى بعض المعتزلة القياس وأبطلوه وكان على رأسهم ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، والذي هو استاذ الجاحظ «المتوفي سنة ٢٢١) ، (٤) وفي القرن الثاني بعد داود ، جاء الرجل الثاني في المذهب الظاهري وهو علي بن حزم الاندلسي (المتوفي سنة ٤٥٦) فتابع بشدة أكثر المخالفة مع القياس ، وكتب كتاباً مستقلا باسم «ابطال القياس» وقد أصبح مدار بحث العلماء بعده ، واستشهد منكروا القياس بأقواله بينما تصدى المؤيدون للرد والاعتراض عليه،

---

(١) ريحانة الادب ج ٣ ص ٤١ .

(٢) اعتباره الخامس لانه ظهر من بين المذاهب الاربعة .

(٣) اصول الفقه ــ محمد ابو زهره ص ٢١٧ .

(٤) الذريعة ج ٢ ص ٦٧٤ ، اصول الفقه ص ٢١٤ .

وابن حزم في كتاب «الاحكام» يوضح أيضاً أبطال القياس في ٢٢٣ صفحه «٩٢٩-١١٥٥» ويذكر في فصل «تناقضهم في التعليل»متناقضات القياس ومن جملة مايقول: «مثال ذلك أن يقول الحنفي والمالكي: لما كان الوقوف بعرفة لا يصح الا بمعنى آخر يقترن اليه وهو الاحرام وجب ان لا يصح الاعتكاف الا بمعنى آخر يقترن اليه وهو الصيام فيقول الشافعي لما كان الوقوف بعرفةلا يقتضي الصيام وجب ان يكون الاعتكاف لا يفتقر الى الصيام وعلتهم كلهم فيما ذكروا أن الوقوف بعرفة والاعتكاف لبث واقامة في موضع مخصوص ومثل هذا لا يعجز أن يأتي به من استجاز الهذيان في حال صحته من البرسيام «مرض معين» ثم يقول ابن حزم ولو تتبعنا ترجيحاتهم العلل لاوردنا من ذلك مضاحك تغني عن كل ملهى» (١).

ومن العلماء المعاصرين لابن حزم، علي بن محمد بزدوي الحنفي (المتوفى سنة ٤٨٢) وهذا العالم كتب كتابه «الاصول»و قيد فيه القياس بقيود اثبتها وقد كتبت شروح كثيرة لكتابه هذا قبل ان اوسعها كتاب «كشف الاسرار»لعلاءالدين البخاري (المتوفى ٧١٠)و «تنقيح الفصول» للقرفي المالكي (المتوفى٦٨٤) والتي شرحها مؤلف مولى حلولو ايضاً (٢) ثم ان معظم علماء السنة بالمقدار الذي نعلمه قد تطرقوا الى القياس واثباته بشكل او بآخر في كتبهم وتكلموا حوله في كتب الاصول، اما علماء الشيعة فيغلب عليهم جانب الابطال والنفي له فلا يتعرضون له لثبوت بطلانه مسبقاً وقد تطرق السيد المرتضى علم الهدى المتوفى (٤٣٦) بشكل مفصل الى القياس في كتاب «الذريعة» و بين عشرة اقوال بالنسبة الى القياس، وقد اثبت جواز القياس، عقلا وعدم وروده في الاحكام الشرعية، وهذا الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠) طريق أستاذه في «عدة الاصول» ثم ان العلامة في «النهاية والمحقق الحلي وصاحب المعالم والميرزا القمي وصاحب الفصول قدأكدوا فقط على القياس المنصوص العلة وقياس الاولوية بشروط اثبتوها واعتبروا بطلان القياس المطلق من

(١) الاحكام ج ٨ ص ١١٤٥ .
(٢) كشف الظنون ج١ ص٤٩٩

ضرورات المذهب، كما ان المتأخرين مثل الاخوند الخراساني واصحاب التقارير من بعده لم يتطرقوا للموضوع أطلاقا ويلاحظ في كتب اهل السنة المتأخرين ابطالهم للقياس في الاحكام التعبدية والعقوبات (١) حتى ان ابا زهرة العالم المعاصر قد ابدى حدوداً في تعريف القياس وشروطه وقيوده هي في اعتقادنا أقرب الى النفي الكلي وابطال القياس مع انه في نقل الاقوال بالنسبة الى القياس يقول : «قد طلعت منها الطائفة الشيعية والظاهرية بنفيها للقياس»!! ولكنه في تعريفه العلة. يقول :«ان اساس القياس هو العله المشتركه بين الاصل والفرع التي اوجبت التساوي في الحكم ولابد من دليل عليها (٢)» وحسب رأي الكاتب ووفقاً لهذا التعريف فأن النزاع بين المثبتين والنافين قد رفع كلياً ، ولكن المؤسف ان البعض ينسون شروطهم هم حين العمل واستنباط الاحكام على طريق القياس ، كما سنبين امثال ذلك فيما بعد .

القياس المعتبر :

قبل بيان الاقوال ونقض وابرام ادلة المثبتين والنافين للقياس . تجب الاشارة الى ثلاثة امور لتحرير محل النزاع هي :

١ ـ العموم اللفظي ٢. ـ القياس المنصوص العلة . ٣ ـ القياس بالاولوية (القياس الجلي) .

أ : العموم اللفظي :

نجد في بعض الاحيان خلال الادلة التي ينقلها المثبتون للقياس شواهد وامثلة ينقلها النافون للقياس ويعتبرونها مشمولة للعموم اللفظي لا القياس مثال ذلك :

١ ـ ان بعض اهل السنة يرون أن المصافحة والمعانقة مبطلة للطهارة كالجماع

---

(١) اصول الفقه محمد ابن زهره ص٢٢٣ . بداية المجتهد ج١ ص١٧٢

(٢) اصول الفقه ص ٢١٥

فالذين يرجحون القياس قاسوا المصافحة والمعانقة بالجماع لانها جامعة للتلذ الشهوي ، واما منكروا القياس فيقولون: ان لفظة «الجماع» ، او «الملامسة» المستفادة من الاية الشريفة «اولامستم النساء» (١) تشتمل بعمومها على كل من المصافحة والمعانقة ولاحاجة للتمسك بالقياس .

٢ ـ قالت خثعمية لرسول الله (ص) : ان ابي مات وكان عليه حج ، أويجب علي ان اقضيه ؟ فقال (ص) «ارايت لو كان على ابيك دين اكنت تقضيه ؟ قالت: نعم فقال (ص) فدين الله احق ان يقضى» «٢» .

يقول مثبتوا القياس : ان النبي قد امرها وعلمها القياس ، واما المنكرون فيقولون ان عموم لفظة «دين» توجب بيان اداء كل قسم من ذلك .

٣ ـ ان ولاية الأب على اموال الابن تثبت من خلال الحديث «انت ومالك لابيك» ولكن بالنسبة الى ولاية الجد على اموال الحفيد، فالمثبتون يتمسكون بالقياس اما المنكرون فيعممون لفظة «اب»

٤ ـ قال الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) . . ان الرجل اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى فأجلدوه حد المفترى» (٣). يقول مثبتوا القياس ان الامام قد استعمل القياس في هذه المسألة ، اما المنكرون فقد تمسكوا بعموم لفظة «قذف» وانه (عليه السلام) بين حكماً مستقلا .

٥ ـ في الاية الشريفة «ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ...» (٤) لقد اثبت مثبتوا القياس التصرفات بغير الأكل والنافون اثبتوها بعموم لفظ «اكل» .

ونشاهد نظير هذه الموارد كثيراً في كتب القياس ولان الطرفين قد اتفقا في النتيجة ، فالنزاع لفظي اذن ، وبما ان العموم اللفظي مورد اتفاق الطرفين والقياس يعتبر حجة من طرف واحد واذ لم اجد دليلا لحجية القياس في هذه الموارد فسأعبر من العموم اللفظي فيما يأتي من البحث .

---

(١) النساء ـ ٤٣

(٣) وسائل الشيعة ج ١٨ .

(٢) سيوضح هذا الحديث في البند ١٣ في اثبات القياس عن الطريق الشرع

(٤) النساء ـ ٢٩

ب ـ القياس المنصوص العلة :

هو ماإذا كان «الجامع» قدصرح به في متن الدليل : مثل «الخمرحرام لانـه مسكر» فالاصوليون يختلفون كثيراً حول العلـة والمنصوصية في مباحثهم . فالشيخ محمد ابو زهره يقول العلة هي الاصل الذي قام عليه القياس. ولقد صرح فخرالاسلام اليزدوي بأن العلة ركن القياس اي الاساس الذي قام عليه» (١) . ثم يذكر تعريفين للعلة : ١ ـ «انها الوصف الظاهر المنظبط المناسب للحكم ٢ ـ «انها الوصف المتميز الذي يشهد له اصل شرعي بانه مناط الحكم» . وبعد ذلك يذكر خمسة شروط لتأثير العلة : ١ ـ ان يكون وصفا ظاهراً بحيث يكون امراً يجري عليه الاثبات ، فثبوت النسب يكون عليه قيام فراش الزوجية او الاقراروكذلك العلة في تقديم الاخ الشقيق على الاخ لاب في الميراث هو قوة القرابة فتكون علة لتقدمه في الولاية على النفس ٢ ـ ان يكون منضبطاً ، اي لايختلف باختلاف الاشخاص ولا باختلاف الاحـوال ولا باختلاف البيئات كالسكر علة لتحريم الخمر باعتبارها من شأنها ان تسكر عادة وكذلك الشركة سبب لطلب الشفعة ولايناط طلب الشفعة بالضرر من المشترى الجديد لان ذلك غير منظبط . ٣ ـ ان تكون ثمة مناسبة او ملاءمة بين الحكـم والـوصف الذي اعتبر علة كالقتل علة مناسبة لمنع الميراث . اذ ان اساس الميراث صلة تربط بين الوارث والمورث وان القتل ـ بلا ريب ـ ينافي هذه الصلة ويقطعها . ٤ ـ في الوصف الذي يعتبر علة يصح القياس بأن تكون العلة متعدية غير مقصورة على موضع الحكم ، كالسفر الذي هو علة للافطار ولكنه لايتعدى بان يكون موجباً لترك الصلاة ٥ ـ ان لايكون مخالفاً للنص الصريح . كما افتى به القاضي الاندلسي حيث ذهب الى ان كفارة افطار يوم من رمضان صيام شهرين . وهو مقدم على عتق الـرقبة وذلك لان علة الكفارة هي الردع والمنع من الوقوع في المعصية والاثـم وذلك يكون بالصوم لابعتق الرقبة ، وهذا الحكم مخالف صريح لنص الروايات وقد رد وبرأي الكاتب بانه اولا ليس لدينا دليل على اعتبار هذه الشروط . وثانياً . أن هذه الشروط

---

(١) اصول الفقه محمد ابن زهره ص٢٢٧

تختلف بأختلاف الانظار . ولهذا صدرت قياسات متضاده من مثبتي القياس . ثالثاً: الاولى والاهم من الشروط الاربعة ان تكون العلة تامة يعني ان الحكم والفتوى يجب ان يلازما بلاانفكاك العلة او الجامع كما سنوضح ذلك في البند ١٠ في مثال القمر والشمس .

اما بالنسبة الى المنصوصية فصاحب القوانين يقول : العلة اما ان تستفاد من صريح اللفظ او من دلالة التنبيه والايماء التي لاتدل ألاعلى الدلالة الالتزامية ،وكل واحد من هذين يختلفان في الوضوح والخفاء ، والعلة الصريحة أن تقول مثلا«العلة كذا ، او لانه كذا ، او كي يكون كذا ، واذن يكون كذا . . ونحو ذلك ودونها في الظهور اللام والباء» ثم يوضح دلالتةالتنبيه والاشارةوحاصل اقواله اعتبارظهور اللفظ في العلة ، كما بين في مباحث الالفاظ .

اما حول اعتبار القياس المنصوص العلة ، فيقول الميرزا القمي :«لقدأختلف أصحابنا في حجيته ، فالسيد المرتضى قد منعه والاخرون أجازوه ويقول المحقق الاول : اذا ماصرح الشارع بالعلةوكان هناك شاهد حال يسقطاعتبار غير تلك العلة لثبوت الحكم يجوز تعدي الحكم انذاكويكون حينئذ برهاناً وصاحب الفصول قد اشترط لحجية هذا القياس كونه تام العلة ، ويقول العلامة : اذا كانت العلة منصوصة وموجودة في الفرع فهي حجة ، وقد استدل في كتاب (النهاية)على هذا وأجاب على اشكال الاشخاص الذين احتملوا اختصاص العلة بموضوعها كما وان صاحب المعالم قد اختار قول المحقق الاول ، والشيخ محمد رضا المظفرفي كتابه «اصول الفقه» قد أناط الاعتبار والحجية بظهور اللفظ ويعطي مثلا على ذلك بحديث «ماء البئر واسع لان له مادة» فيتعدى الحكم بالنسبة الى ماء العين اوالنهر أو انابيب الاسالة المتداولة اليوم ، وخلاصة البحث هوأن علماء الامامية كل واحد منهم قد اعتبره حجة بشرط أو قيد . عدا السيد المرتضى والشيخ الطوسي الذي يفهم من ظاهر كلامهما أنهماينفيانه كلياً. والسيدالمرتضى في الذريعة يقول: ان بيان العلل

في احكام الشريعة كبيان الدواعي والمصالح التي لايمكن تعديتها الى مورد آخر مثل ما لواحسن شخص لفقير ولمثله في الفقر لايحسن ، وليس هناك علة الا وجود الداعي في الاول دون الثاني ومن كلام ابن حزم يستفاد ذلك (١) .ولكن بالتدقيق والتأمل في المباحث المفصلة التي يقوم بها السيد المرتضى حول القياس ، يستنتج أنه قد قبل الكثير من موارد القياس المصطلح عليه باسم آخر . كما اشرنا الى ذلك فيما سبق . اذ أن السيد (قدس سره) في آخر الفصل في مقام الجواب على رواية الخثعمية وتقبيل الصائم . والرجل الذي ولدت امرأته مولوداً أسود يقول (٢) «ولانه أيضاً مع التنبيه على العلة قد أثبت الحكم في الاصل والفرع معاً وماهذه حاله لامدخل للقياس فيه» (٣) ومن مجموع الاقوال التي نقلت في هذا الباب يستفاد ان مايدعونه باسم «القياس المنصوص العلة متفق على حجيته واعتباره من قبل الجميع بشروط ، وأن هذه الشروط هي نفس شروط الشكل الاول للقياس الاقتراني لعلم المنطق وبعبارة اخرى سد الاحتمالات الخمسة التي ذكرت في دليل الترديد فمثلا يقال يستفاد من عبارة «الخمر حرام لانه مسكر» ان كل مسكر حرام وحينئذ جملة النبيذ مسكر تضاف اليه ومن هذه الصغرى والكبرى يستفاد كون النبيذ حراماً .قال المحقق : ففي هذه الحالة سيكون برهاناً » أي أنه لايرتبط بالقياس وليس هناك أصل او فرع ـ كما قال السيد ـ بل شمول العلة لافراد متعددين في مرتبة واحدة . وفي مقابل القياس المنصوص العلة يقف القياس المستنبط العلة وهو القياس الذي لايكون الحكم به بنص الشارع بل انه عن طريق الاستحسان والاستنباط العقلي . وليس بين علماء الشيعة من يقول بحجيته واعتباره الا ابن الجنيد الذي كان يقول بها في ابتداء الامر ثم تراجع (٤) . ولكن هناك جماعة من اهل السنة يقولون باعتباره وسيتضح عدم جواز

(١) الاحكام فى اصول الاحكام ص ١١٠ . نقل ذلك عن السيد بتصرف .

(٢) هذه الروايات ستشرح فى الفصل ١٥ .

(٣) الذريعة ج٢ ص٧٩١

(٤) القوانين ج٢ ص٣٠٣

القياس في البحوث التالية وبطلانه .

ج ـ القياس الجلي :

وهو ماسمى «بقياس الاولوية» او «فحوى الخطاب» وعبر البعض عنه: «مفهوم الموافقة» وهو القياس الذي يقتضي الحكم او الفتوى في الفرع قبل الاصل لان العلة والجامع في الفرع أقوى وأآكد كالاية «ولاتقل لهما أف» (١) التي يقاس بها ضرب الابوين وشتمهم بجامع الايذاء. والاية «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» (٢) التي فيست باكثر من مثقال ذرة ، ومن هنا فقد سمي هذا القياس أيضاً «بالتنبيه بالادنى على الاعلى» كما يضربون مثال اذن صاحب الدار لضيفه في دخول الدار للاستفادة من مرافق الدار قياساً على ذلك وسمي في عرف الفقهاء «بأذن الفحوى».

كما ان الاصوليين يذكرون هذا البحث في بحث المفاهيم ويعتبرون حجيته من الواضحات ، ولكن عمدة الاشكال هو في تشخيص الجامع والعلة وقوتها وشدتها في «الفرع» وذلك لان جماعة قد اشتبه عليهم الامر في هذا الصدد كقياس ابليس. وقدأبطل بعض الاخباريين هذا القياس ، فالشيخ العاملي في فهرست عناوين كتاب الوسائل يقول : «باب عدم جواز القضاء وأبطال القياس حتى قياس الاولوية» والمرحوم المظفر يشترط الظهور اللفظي ، وصاحب القوانين يذكر شروطاً لاعتباره . والذي يبدو لنا هو وجوب تشخيص العلة وشدتها في الفرع ففي حالة حصول هذا الشرط سيكون اعتبارها من الواضحات وليست بحاجة للاستدلال سواء سميناه بمفهوم الموافقة أو القياس الجلي .

---

(١) الاسراء ـ ٢٣ .

(٢) الزلزلة ـ ٧.

خمائل الشعر

في حمى القرآن

الشيخ قاسم عباس الحائري

في حمى القرآن دستور السماء		تعمر الارض وتحيا في هناء

* * *

في حمى القرآن كم عشنا كراما		يوم طبقناه في الارض نظاما
واتخذناه علي الدرب اماما		وغدا في الكون خفاق اللواء

* * *

لو تسابقنا الى رفع لواه		ونصرناه وعشنا في ولاه
لرعانا بعطاياه الاله		وصنعنا النصر في يوم اللقاء

* * *

عاشت الدنيا بأمن في حمانا		تتبع النور وتمشي في خطانا
لم يحررها من الذل سوانا		يوم سرنا في طريق الانبياء

* * *

قد تخطى ركبنا كل الخطوب		ماضيا في درب تحرير الشعوب
يحمل القرآن مابين القلوب		يزرع النور ويمضي في صفاء

* * *

سوف يعلو في ذرى الافق لوانا		ويشع النور من قلب ربانا
لو من القرآن نستوحي هدانا		ومن العترة أصحاب الكساء

تحت راية الاسلام*

الشاعر : محمد مهدى الجواهرى

ردي يا خيول الله منهلك العذبا   ويا شرق عد للغرب فاقتحم الغربا
ويا طارق الجبل الجديد تلفتاً   الى جبل اجتازه طارق دربا
أثرت لنا في غمرة النصر خطرة   من الذكر فيها ما نحب ، وما نأبى
هززنا بها ذكرى ، وتهنا بزهوها   بدواً ، ونحنا من تصورها عقبى
لمثل الذي تبغي من الحق قادها   الى الموت،ام تسأل به السهل والصعبا
حدامن جيوش الوحي والنصر ماحدا   وعبا من الايمان بالنصر ما عبا
كنار «ابن عمران» التي جاء قابساً   سناها حريق في سفائنه شبا
وألواحها الالواح لولا رسالة   على «قرشي» لم ترد عينه الربا

* * *

تخطت الى «محمية» الغرب أمة   حمت فأجادت قبلها عن حمى ذبا
تحدت عباب البحر تزعج حوته   ومن قبلها فى البر ازعجت الضبا
أولاء البداة الغامط الناس حقهم   وتلك التى منها نرى العرب العربا

---

* القيت القصيدة فى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى الذى انعقد فى الجزائر .

لتلك قلوب ننشد اليوم مثلها   أبى دينها أن تجمع الله والرعا
سرت كشعاع النور في فحمة الدجى   ومثل النسيم الرحب في يبس هبا
وفي ذلة عزاً ، وفي ضلة هدى   وفي جنف عدلا ، وفي جدب خصبا
وفي عصبيات غلاظ تسامحاً   وفي ملتو من نهجها منهجاً لحبا
أطلت على «مدريد» تسمع دعوة   وسارت الى «باريس» تسمع من لبى
ودبت مدب الروح في الكون رحمة   وشدت لجسم خائر متعب صلبا
ومدت برفق كفها فتلمست   جراح بني الدنيا فآست لهم ندبا
وآوت من الاديان شتى وأطلعت   من الخطرات النيرات بها شهبا
وحامت يراعاً جال في جنباتها   وصانت «عليها» . . «أولها» مقولا ذربا
وما سملت عيناً ، ولا قطعت يداً   ولا حجزت رأياً ، ولا حرقت كتبا
نظرت الى ما كان منها ، وما جرى   عليها ، وما يأتي الشقاق اذا دبا
وكيف أفاءت – ما أرادت – ظلالها   وكيف اغتدت مستثقلا ظلها نهبى
فقلت . . وبعض القول عتبى وبعضه   عتاب ، وشر القول عتب بلا عتبى
أساءت صنيعاً أمة مستكينة   صبور على البلوى الى امة غضبى

مختارات من الصحف والمجلات

مفاجأة في الاعداد للمهرجان الاسلامي بلندن

قضية الغاء اضخم جهد لتقديم حضارة الاسلام

حدثت مفاجأة في الاعداد لمهرجان العالم الاسلامي المقرر اقامته في لندن العام القادم .

اذ قرر مجلس الأمناء الغاء الندوة العلمية التي اتفق على تنظيمها ضمن برنامج المهرجان ، الأمر الذي ترتب عليه استبعاد ابرز صور النشاط العلمي التي اقترحت واغلاق الباب تماماً امام الجهد الكبير الذي بدأه حوالي مائة من خيرة العقول في العالم الاسلامي لتقديم الحضارة الاسلامية من خلال حوالي مائة بحث كان مقررا عرضها على الندوة في عمل موسوعي لاول مرة .

وبهذا القرار الغامض فان مهرجان العالم الاسلامي،سوف يصبح مقصوراعلى اقامة بعض المعارض الفنية والتاريخية ، مع طبع حوالي ١٥ كتاباً مختلفاً لعددمن العلماء المسلمين ، أي ان فكرته تقلصت في الحقيقة حتى اصبح مهرجاناً سياحياً بالدرجة الاولى وثقافياً في الحدود التي تعد من قبيل ذر الرماد في العيون !

وقد اثار هذا القرار مجموعة كبيرة من علامات الاستفهام والتساؤلات حول

الاهداف الحقيقية للمهرجان ، والخطوات التي تم اتخاذها حتى الان والمعروف ان فكرة اقامة مهرجان العالم الاسلامي كانت قد نشأت لدى عدد من الشخصيات البريطانية ، وبدأت تدخل حيز التنفيذ منذ عام٧٣ وكان ملاحظا ان اعضاء مجلس الامناء وبينهم اللورد كارادون مندوب بريطانيا السابق في الامم المتحدة وسير هارولدبيلي سفير بريطانيا السابقفيمصر ، هؤلاءكانوايتبادلون المواقعفيالمستويات الثلاثة للاعداد للمهرجان ، احدهم مسئول عن مجلس الامناء والثاني مدير للشركة و الثالث مدير للاحتفال . وهكذا ، و كل منهم بمرتب حوالي ٥٠٠ جنيهاسترليني في الشهر ، من ميزانية المهرجان التي قدمتها دول البترول العربية !

كذلك لوحظ ان مجلس الامناءالذيضم واحداًفقط عنالعالم الاسلامياعتذر بلباقة عن قبول فكرة زيادة تمثيل الاعضاء المسلمين فيه ، كما رفض فكرة تكوين مجموعة من السفراء المسلمين في لندن ، لتكون حلقة اتصال ومتابعة لعمليات الاعداد للمهرجان ، خصوصاً وان الدول الاسلامية هيالتي تمولالمشروعبالكامل.

واصبح مفهوما ان مجلس الامناء يريد من الدول الاسلامية ان «تدفع» ، فقط وتترك لها بقية التفاصيل . وبالفعل ساهمت الدول العربية بحوالي ربع مليون جنيه استرليني ليقام المهرجان الكبير وكانت مساهمة مصر متمثلة في الجهد العلمي ، وعرض مجموعة التحف الاسلامية المتوفرة لديها .

ومن هذا المبلغ رصد ١٠٠ الف جنيه للندوة العلمية ، التي اختير الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء السابق رئيسالها ، والدكتور مصطفى مؤمن نائباً للرئيس ، والدكتور حسين مؤنس سكرتيرا عاماً .

وفي اكتوبر الماضي دعيت الهيئة المشرفة على الندوة للاجتماع في لندن ، لوضع خطة العمل وبالفعل عقد الاجتماع ، واتفق فيه على تقسيم العالم الاسلامي الى ٦ مناطق جغرافية ، واختير بعضالمفكرين المسلمين في كل منطقة ، منالشرق الاقصى الى تجمعات المسلمين في امريكاليساهموا بابحاثهم في الندوة .

وتدور الابحاث كلها حول تقديم تصور عالمي شامل ـلاول مرة ـللمجتمع الاسلامي ، ماضيه وواقعه ، وحضارته . واختير لكل منطقة مقرر ، يتولى هو متابعة الابحاث والاتصال بالعلماء المكلفين باجرائها .

ولكن المفاجأة حدثت اخيرا ، عندما قرر مجلس الأمناء «بمنتهى الحزن والأسف» ولاسباب تتعلق بالميزانيةوضيق الوقت ، الغاء الندوة ووقف هذا الجهد العلمي الكبير ! ! وارسل بول كيلو مدير الاحتفال خطابا بهذا المعنى الى رئيس الندوة الدكتور عبد العزيز كامل ، والى مقرري المناطق الاسلامية الست !

بقيت بعد ذلك عدة اسئلة : اين ذهبت ميزانية الندوة ؟ ومن الذياستفاد منها حقيقة حتى الان ؟ وما هو موقف الدول الاسلامية ؟

وقد وجهت الصحيفة بعد ذلك هذا النداء : بعنوان : من يتبنى الندوةالعلمية؟

بعد الغاء الندوة العلمية التي كان مقرراً اقامتها ضمن مهرجان لندنالاسلامي لماذا لاتتبنى الدول الاسلامية مشروعها ؟ خصوصاً وان برنامج عمل جاد وشامل قد وضع لها ، وان هناك حوالي ١٠٠ من خيرة العقول في العالم الاسلامي يعدونالان أبحاثاً تطرق كل جوانب الحضارة الاسلامية والواقع المعاصر .

اناهدار هذا الجهد وضياعه هو خسارة كبيرة للعالم الاسلاميوفرصةلاتعوض، لماذا لايتبنى المؤتمر الاسلامي اقامة الندوة العلمية وطبع كتبها ؟ .

وختمت الأهرام نداءها بان اهابت بالجهات القديرة كي تتحمل مسؤولية لقيام بهذا المشروع الضخم ودفعه حتى يخرج الى النور .

الاهرام ٧٥/٧/١١ ص ١١

الهادى ـ وهذا نموذج واحد من النماذج التي تدلنا على لزوم مسك زمام مبادرة بأيدينا في كل شيء . . . وان لانكون حسني الظن الى هذا الحد لأعداء التقليديين .

* * *

هذا الغزو الذى تتعرض له افريقيا :

ماهو موقف الدول الاسلامية منه ؟

في الشهر الماضي انطلق الالوف من الفتيان والفتيات في اوربا لجمع التبرعات للمنظمات التبشيرية في أفريقيا وقد جمعت مبالغ ضخمة واجتمع بالمدة الاخيرة باسبانيا مجلس للرهبان لدراسة المرحلة القادمة .

ومن المعلوم ان عدد المبشرين في افريقيا يزيد على مائةالف وان عددالمعاهد الكنسية دون مستوى الجامعة يصل الى ١٦/٦٧١ وان عدد الجامعات والكليات التي يديرها المبشرون يصل الى ١/١١٣ وان عددابناء المسلمين الذين يشرف مبشرون على تعليمهم يفوق ٦ ملايين وعدد المستشفيات التابعة للارساليات يقرب من الالف .

وقد وصل مبلغ ماينفق سنويا على المبشرين اكثر من ستمائة مليون دولار .

اذ اعلم ذلك فما هو العمل الذي نقوم به لمواجهة هذا الغزو ؟ ان افريقياقارة مسلمة عمل الاستعمار دائماًعلى ابعادها عن الاسلام ولكنهادوماً أثبتت وجودها كقارة مسلمة متمسكة بدينها .

ولكن مع هذا فلابد من الوقوف في وجه كل المؤامرات الصليبية ولابدللدول الاسلامية ان تتخذ اجراء ايجابيا في افريقيا .

اخبار العالم الاسلامي
العدد ٤٢٩ ــ ١٥/٥/٩٥هـ



القسم التعليمي

اجريت الامتحانات النهائية للسنة الدراسية وحلت العطلة السنوية لجميع الصفوف التعليمية . . وقد اصدرت ادارة القسم التعليمي بياناً حددت فيه شروط القبول للسنة التالية ، وهي تشرع في اول شوال ١٣٩٥ .

الشخصيات الزائرة

قامت بعض الشخصيات بزيارة الدار وتفقد شؤونها ومنها :

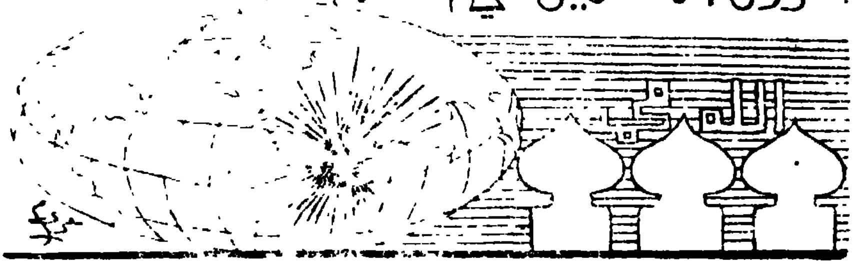
الأستاذ حسين الحبشي رئيس المركز الاسلامي في اندونيسيا .

الدكتور وزير الحسن عابدي من باكستان .

مكتبة دار التبليغ الاسلامي

في خلال الاشهر الثلاثة (جمادى الاولى ، وجمادى الثانية ، ورجب) بلغ عدد الكتب الواردة للمكتبة ٧٥٢ كتاباً وعدد المجلات ٧٣ مجلة وعدد المطالعين ٨٨/٤٢٥ شخصاً وعدد الكتب المطالعة ١٢٨/٩٥٠ كتاباً.

شؤون المسلمين في العالم



ابو مقداد

جزر القمر . . تستقل

اعلنت جزر القمر الواقعة في المحيط الهندي جنوب شرق افريقيا . . استقلالها عن فرنسا من طرف واحد عندما بدا لها ان فرنسا مترددة في منح الجزر استقلالها على رغم الاستفتاء الذي جرى مؤخراً هناك اذ ابدى السكان رغبتهم في انهاء الحكم الفرنسي الذي استمر ١٣٠ عاماً .

والمعروف ان عدد سكان جزر القمر يبلغ ٢٩٠ الف شخص معظمهم من المسلمين .

□ نبارك لجزر القمر الاسلامية استقلالها ونرجو ان يتبع ذلك بخطوات من شأنها تركيز الاستقلال الفكري واعطاء الشخصية الاسلامية المميزة لهذه البلاد ، وهذا هو الاساس في اي استقلال حقيقي وسيادة صادقة ، نقول هذا لجميع المسؤولين في البلاد الاسلامية اذ لا استقلال في الواقع اذا كنا في افكارنا وعاداتنا وشخصياتنا نتبع

ونقتفي آثار من استعمرونا بالامس هذا ولايفوتنا القول باننا كنا نتوقع مزيداً من الت
من الدول الاسلامية لهذه الجزر ودعمها في موقفها وخطوتها نحو الاستقلال والس
خاصة بعد ما ذكر من وقوف فرنسا ضد الاستقلال واحتمال غزو الجزر او بعض
على الاقل لتبقى تحت الحماية الفرنسية .

* * *

مرة اخرى مع

مؤتمر وزراء خارجية البلدان الاسلامية السادس

عقد في مدينة جدة في الفترة من ٣ - ٧ رجب ١٣٩٥ هـ الموافق ١٢-١٦ تموز ١٩٧٥ م المؤتمر السادس لوزراء الخارجية في البلدان الاسلامية ، وقد بحث في مواضيع عديدة تهم العالم الاسلامي سياسياً واجتماعياً ، وقد خرج بقرارات وتوصيات كانت في اغلبها تكراراً لنتائج المؤتمرات السابقة .

وكان اهم قرار اتخذه المؤتمر هو الدعوة الى طرد اسرائيل من الأمم المتحدة لعدم التزامها بقرارات الهيئة الدولية وتمردها عليها .

□ ومع تقديرنا للجهود التي تبذل في مثل هذه المؤتمرات والتي نرجو أن تكون جهوداً مخلصة لله وحده دون تدخل اى حسابات ومصالح وغايات اخرى في البين الا اننا نكرر ماسبق وان قلناه في معرض التعليق على مناسبات اخرى من هذا القبيل ذلك:

١ - لازالت روح المجاراة وعدم اثارة حساسيات بعض الأطراف والمصالح الضيقة تسيطر على الاجواء ويترتب على هذا عدم بحث بعض الامور الخطيرة والتي تمس العالم الاسلامي بالصميم تفادياً للاثارة ورعاية لبعض الجهات ونحن نرى ان هذه الروح بعيدة كل البعد عن الاسلام الذي يرفع شعار المصلحة الاسلامية العامة ويجعلها فوق اي اعتبار اخر ، ونتيجة لهذه الروح لم تبحث بجدية وحزم القضية

الارتيرية او قضية الاقليات الاسلامية والمطالبة بحقوقها المهتضمة في روسيا او الصين او تايلاند وحتى الفلبين .

٢ ـ اننا نرى انه من الضروري للمؤتمر الذي ينعقد تحت لـواء الاسلام ان يتبنى اعضاؤه نظام الاسلام وتعاليمه نصاً وروحاً فكيف يتفق هذا مع مانعرفه من ابتعاد اكثر النظم في البلاد الاسلامية عن النظام الاسلامي بل واعتباره العدو الاول الذي يجب التخلص منه بكل الصور الممكنة .

٣ ـ انطلاقاً من حديث النبي (ص) حيث قال «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعينه» فان من الضروري حين يجتمع بعض الذين هم في سدة المسؤولية في البلاد الاسلامية ان يبحثوا في شؤون المسلمين واحوالهم في نفس البلاد الاسلامية حيث يتعرض العلماء والعاملون في بعضها للقتل والحرق والسجن والاضطهاد . فهل حاول بعض المسؤولين اثارة ذلك في وجه مندوبي تلك الدول ام عملوا بالمبدأ القائل : اذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة ام سكتوا محافظة على مايسمى بالعلاقات الطيبة ؟

٤ ـ وعن قضية القضايا «فلسطين» ماذا اتخذ من قرارات ملزمة لتحريرها او احقاق الحقوق المشروعة لشعبها، لقد مللنا الكلام وسئمنا من الاسطوانات المتكررة الفارغة من اي محتوى او مضمون، ولنبدأ بالعمل الجاد المخلص اذ في هذه الحالة فقط سيكون الله معنا وسيسدد خطانا على طريق النصر والعزة والكرامة .

«ياايها الذين امنوا لم تقولوا مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون» .

واخيراً فاننا هنا نرفق مذكرة الوفد الفلسطيني التي قدمها حول القدس الشريف لاهميتها :

مقتبسات من

مذكرة الوفد الفلسطيني حول القدس الى وزراء خارجية البلاد الاسلامية

وزعت وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» النص الكامل لمذكرة وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية والمتعلقة بالقدس . وهذا هو بعض ماجاء فيها : تعقد هذه الدورة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية والقدس مازال تحت الاحتلال الصهيوني الذي يجثم على صدرها ويعبث بمقدراتها ويغير معالمها ويضيق الخناق على سكانها العرب ، متجاهلا الحق العربي الاسلامي في المدينة المقدسة ، ضاربا عرض الحائط بكل القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ، وعن مجلس الأمن الدولي ، وعن منظمة الاونيسكو ، وهي القرارات التي تنص على عدم شرعية الضم وعلى المحافظة على وضع مدينة القدس ، ووقف الاجراءات التي تؤدي الى تغيير معالمها .

ان مدينة القدس ، والمناطق العربية المجاورة لها ، كادت تصبح منطقة يهودية صهيونية فسلطات الاحتلال الصهيوني لم تتوقف عن محاولات تهويد المدينة المقدسة والمناطق العربية المجاورة لها ، فبالأضافة الى احراق المسجد الاقصى فان الحفريات التي يقوم بها العدو تهدد الحرم القدسي الشريف وقد قامت سلطات الاحتلال بنزع ملكية الأراضي العربية المحيطة بالمدينة واقامت المستوطنات الصهيونية عليها ، حيث اصبحت تشكل امتدادا لها وشملت سياسة التهويد هذه كل المناطق المقدسة في فلسطين وفي مقدمتها الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل حيث قامت سلطات العدو بتحويله الى «كنيس يهودي» ثم يطلب الوفد باتخاذ القرارات التالية :

« تأكيد تمسك العالم الاسلامي بمدينة القدس ، واصراره على المحافظة على عروبتها وعدم اعترافه بكل ما اتخذته سلطات الاحتلال من اجراءات فنيا لتهويدها لتغيير معالمها» .

- اتخاذ التدابير اللازمة لدعم الصمود العربي والاسلامي في مدينة القدس ورصد المبالغ الكافية لمصلحة دائرة الاوقاف الاسلامية في القدس، في تدعيم الوجود العربي والاسلامي وتعمير اراضي وانشاءات الاوقاف الاسلامية في القدس وفي المناطق المحتلة.

- اتخاذ الاجراءات المناسبة على الصعيد الدولي لوقف ضم المدينة المقدسة للكيان الصهيوني وايقاف عمليات التهويد في المناطق المحتلة.

* * *

العلاج في الاسلام الصحيح ... لا في العلمانية

اجرت مجلة الحوادث اللبنانية مقابلة مع احسان صبري وزير الخارجية التركي جاء فيها:

□ منذ عام ١٩٢٣، اي منذ سقوط الامبراطورية العثمانية وقيام جمهورية مصطفى كمال اتاتورك، عزلت تركيا نفسها عن الشرق ولا سيما الشرق العربي وفتحت الابواب على اوروبا، اي ارادها اتاتورك تركيا اوروبية لا تركيا شرقية. فماذا حصدت بلادكم طوال هذه السنوات الخمسين؟ الا تتصور ان تجربة تركيا الاوربية لا الشرقية في حاجة الى مراجعة؟

واجاب وزير الخارجية وكأنه يواجه اتهاماً للاتاتوركية:

- اولا.. لم يقطع اتاتورك مع الشرق، وانما حرر تركيا من الوقوع تحت تأثير رجال الدين، واخضعها للعصرنة او التحديث. كانت تركيا مزروعة بالتكايا ومدارس «الكتاب شيخ» رفصات مزروعة بالمدارس الحديثة التي تعلم كل لغات العالمين الانكلو ساكسوني والاوربي. كانت مسرحاً لاربع واربعين طريقة دينية كطريقة النقشبندي، وطريقة السهر وردي، فاذا باتاتورك يمشي على خطى المفهوم القائل «لارهبانية في الاسلام» ويوحد الاتراك في امة واحدة وبوتقة ثقافية واحدة، ويؤسس الدولة العلمانية ويحرر المرأة بعد ان كانت عنصراً مشلولا ويعطيها حقوق المواطنية، واولها تلقي العلم.

ويحق لنا هنا أن نقول:

□ حاول الوزير في اجابته أن يربط بين تحرير تركيا من بعض انماط الجهل

والواقع المتخلف والتقاليد البالية والخرافات التي لاتمت الى الاسلام بصلة الاتجاه العلماني وفصل الدين عن مرافق الحياة وتنظيم شؤونها وفي هذا مغا كبيرة أو جهل بحقيقة الاسلام وتعاليمه ، فليس هناك ادنى شك في ان الاسلام ضد الحقوق الواقعية للمرأة ومنها حقها في التعلم فهو يريدهاعنصراً مؤثراً لامش كما ان الاسلام ليس ضد تعلم اللغات الاجنبية والاطلاع على الثقافة العالمية ، يكن من الممكن الرجوع الى الاسلام الاصيل وحقائقه الناصعة لتحرير المج من واقعه البئيس المتخلف دون الرجوع الى العلمانية وسن القوانين المستوردة وا لم تجن منها الامة بعد كل هذه السنين الطوال سوى مزيد من القلق والفوضى والتخ والبعد عن التاريخ الاصيل .

واخيراً فاننا نهمس في اذن من يريد معرفة الحقائق ، بان اتجاه تركيا نح العلمانية واتخاذ القوانين الاوربية انما كان احد الشروط التي املتها قوات الحل بعد الحرب العالمية الاولى عليها من اجل خروج قوات الاحتلال منها .

* * *

طرح مندوب صحيفة المهار البيروتية على محمد زياد بري رئيس المجل الحاكم في الصومال في مقابلة اجراها معه عدة اسئلة كان منها :

قامت ضجه حول عشرة من علماء الدين اعدموا قبل شهر ، وقيل ان الاعدا لاعتراضهم على تعديل قانون الاحوال الشخصية بحيث ساويتم بين الرجل والمرأه لجه الارث ؟ فاجاب الرئيس الصومالي :

الاعدام عندنا تم في حق المتأجرين بالدين لاالعلماء . شرعنا قانونا رأينا ا في مصلحة المجتمع فقام ادعياء الدين هؤلاء بالتحريض على الثورة ورجالها . كنا في معركة مع الموت الذي يهدد مليونا ومئتي الف من ابناء شعبنا بسبب الجفاف فجاء هؤلاء يحرضون السكارى واللصوص على الثورة ، حتى انهم حللوسفك دمائ وكان علينا تفادي الردة بالقضاء على دعاتها نحن في نظام ثوري اقمناه بعدما عمت الفوضى وحلت بنا الكوارث وانهار اقتصادنا وتحطمت معنويات الشعب اقمنا القانون ووضعنا الشريعة للحفاظ على المجتمع لاعلى الافراد . ونحن في

شغضم جملة البناء جاء ادعياء الدين ينشرون الاكاذيب ويتهموننا بالقضاء على الاسلام ، إعتقلنا المضللين واعطيناهم حق الدفاع عن النفس ! ! ومن ادين نفذت في حقه الاحكام

وسأل مندوب النهار :

□ لماذا عدلتم قانون الارث الا يخالف ذلك الشريعة ؟

فاجاب محمد زياد بري :

في رأينا لا ، عدلنا القانون لتصحيح الاوضاع (!)

وفي جواب على سؤال المندوب عن اختيار الاشتراكية العلمية نظاماً للصومال المسلم ، قال :

انه عندما تسلم زمام الحكم في الصومال وجده بلداً يفتقد كل شيء . ليس فيه مال ولاصناعة لذلك لايمكنه اختيار الرأسمالية كمذهب للحكم «درست كل المذاهب وغربلتها ووجدت ان الاشتراكية العلمية هي وحدها التي تناسب الصومال وافريقيا كلها وتحل مشاكلها . واخترتها عملية حتى لاتكون الاشتراكية نظرية فقط بل اشتراكية قابلة للتطبيق . وانني على ثقة ان الاسلام والاشتراكية العلمية لايتعارضان !! .

ليس في القرآن الكريم نص يحرمها . ولاهناك حديث شريف ضدها . وفي رأيي ان في امكان الدين والاشتراكية ان يتعايشا .

الهادى :

□ في جواب ابن زياد هذا موارد كثيرة للنظر والتأمل :

فهو اولا يرى القانون الذي شرعه اخيراً في مصلحة المجتمع الحقيقية وهل كل من استطاع الوصول الى الحكم بدبابة ومدفع صار قيماً على المجتمع ويحق له التحكم في مقدرات الامة ؟

وثانياً : فان الامة اليوم قد وعت وادركت مدى صحة الاتهامات والاقاويل التي توزع بالجملة والمفرد ، فكل من وقف في وجه قانون يسنه هذا الحاكم صار خارجاً عن القانون ويصنف ضمن اللصوص والمتآجرين ومن قوى الردة والتخلف .

وثالثاً : ماهي علاقة تغيير قانون الارث الاسلامي بموضوع الجفاف الذي

يتهدد الاف المواطنين ؟

هذا بالاضافة الى اننا نعرف مسبقاً حق الدفاع عن النفس الذي تلطف به الحاكم ، وطبيعة مثل هذه المحاكم وكيفية ادانتها للابرياء وبالنسبة الى جوا الاخرعن اختياره للاشتراكية العلمية المستوردة من الملاحدة والتي تبتني على الم التاريخية ،هذه الاشتراكية التي فرضت على الشعب الصومالي المسلم نقول :
هل نحن بين اختيارين اما الرأسمالية او الاشتراكية العلمية ؟ وهل درس هـ الحاكم الاسلام حقاً ثم رجح عليه الاشتراكية ؟

ام انه يعتقد بان لاتعارض بين الاسلام والاشتراكية العلمية ،الا يكشف هذا ء جهل بالاسلام ، او عن تعمد تشويه الاسلام وتظليل المسلمين لغاية لاتخفى اليـو على احد ؟

لايا ابن زياد فلست في مركز يؤهلك ان تستنبط وتجتهد وتدعي ان في امكا الدين والاشتراكية أن يتعايشا اذ لاآية في القرآن او حديث نبوي يعارض ذلك !

وبهذه المناسبة فاننا نحيل القراء على كلمة التحرير لهذا العدد ليجد انه ليس من حق اي مدع ان يستنبط الاحكام الشرعية ، واخيراً فان هذه التصريحات تكشف عن جهل فاضح او متعمد بالاسلام واحكامه ونظامه الاقتصادي الرفيع الذي يسمو فوق كل المذاهب الاخرى لانه من رب السماء وخالق الانسان .

فادرسوا الاسلام بدقة واخلاص ثم احكموا له او عليه ايها الناس بعد ان تكونوا بمستوى الحكم .

بقية صفحة ١٦

وأموالهم - ولا عماحدث بعد ذلك من نقض صارخ لتلك العهود واكراه المسلمين على التنصير بأشنع الوسائل وأفظعها ،وحرمانهم من التخاطب بالعربية ، والتسمي بالاسماء العربية ، ولبس الثياب العربية ، ومن سائر تقاليدهم القديمة ، ولا عما أصابهم من التعذيب والتحريق،ومختلف العقوبات المروعة على يد محاكم التحقيق الشهيرة ، التي أنشئت للعمل على ابادة بقايا الامة الاندلسية،لاحاجة بنا الى الاضافة في شيء من ذلك ، ويكفي أن نقول بايجاز أنه لم يمض على سقوط غرناطة زهاء خمسين عاما حتى أستحالت بقايا الامة الاندلسية الى طائفة الموريسكيين المتنصرة، تشهد القداس في الكنائس وتتحدث بالقشتالية ، وتعيش في صفة رذلة تحت رقابة الكنيسة الصارمة ، بيد أنه كانت تختفي تحت هذه الظاهرة المحزنة ، لمحة من الدين القديم ، تتأجج بين الجوانح ، وشغف يضطرم بتقاليد الاباء والاجداد ، واستمساك حتى الموت ، بهذه الارومة القديمة ،وكل ماكان لها من طهارة العقيدة ومن ثم فقد اضطرم الموريسكيون بالثورة غير مرة ، يحاولون تحطيم هذا النير البغيض ، ولكن ثوراتهم أخمدت تباعا ، ولم يبق لهم الا الاستسلام والسكون.

ولكن الموريسكيين لم يستكينوا ولم ييأسوا ، فقد كانت تساورهم آمال غامضة وكانوا يبحثون عن العون في ظلمات المجهول . وكانت تلوح لهم عن بعد تلك القوة الاسلامية الجديدة ، قوة الترك العثمانين ، وقد سبق أن أشرنا الى ماحاوله مولاى الزغل سلطان مالقة من الاتجاه بصريخه الى قسطنطينية ، قبيل سقوط غرناطة بقليل ، ولكن لم يكن لصريخه أي صدى. ولما حلت النكبة وأكره المسلمون على التنصير، وبالغت الكنيسة الاسبانية ومحاكم التحقيق في اضطهادهم وتعذيبهم رأى الموريسكيون أن يتجهوا بصريخهم الى تلك القوة الاسلامية العظمى . وبدأوا بذلك في عصر مبكر ، عقب التنصير بأعوام قلائل ،حيث بعثوا بصريخهم الى السلطان بايزيد الثاني (١٤٨٢ - ١٥١٢ م) ، في رسالة محزنة يصف فيها كاتبها في شعر ركيك ولكنه مؤثر قوي التعبير ماتتركه اسبانيا النصرانية برعاياها الجدد ، ومايصيب المتنصرين من عسف ديوان التحقيق وروائع مطارداته وعقوباته ،واليك بعض أبيات هذه القصيدة

مد ماورد فيها من ديباجة شعرية طويلة في تحية السلطان بايزيد :

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم — بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة
وخان عهودا كان قد غرنا بها — ونصرنا كرها بعنف وسطوة
وكل كتاب كان في أمر ديننا — ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم — ولا مصحفا يخلى به للقراءة
ومن صام أو صلى ويعلم حاله — ففي النار يلقوه على كل حالة
وقد بدلت أسماؤنا وتحولت — بغير رضا منــــا وغيـــــر ارادة
فآها على تبديل دين محمد — بدين كلاب الروم شر البرية
وآها على تلك الصوامع علقت — نواقيسهم فيها نظيـــــر الشهادة
وآها على تلك البلاد وحسنها — لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة
فلو أبصرت عيناك ماصار حالنا — اليه لجادت بالدموع الغزيرة

ومن المرجح أن هذه الرسالة وجهت الى السلطان بايزيد الثاني عقب ثورة لبشرات وماتلاها من اجراءات القمع الذريع ضد الموريسكيين ، وذلك حوالي سنة ١٥٠٥ م .ويبدومماوردمن أبيات القصيدة بعدذلك أن السلطان بايزيدكان قدبعث الى رناندو الكاثوليكي رسالة بالكف عن مطاردة الموريسكيين كمايبدوان الموريسكيين وجهوا في نفس الوقت بصريخهم الى مصر، وان مصر بعثت برسالة مماثلة، ولكن الملك لنصراني لم يقم أي وزن لهذه المساعي ، وهذا ماجاء في القصيدة موضحا ذلك :

وقد بلغ المكتوب منكم اليهم — فلم يعملوا منه جميعاً بكلمة
وما زادهم الا اعتداء وجرأة — علينا واقداما بكل مساءة
وقد بلغت ارسال مصر اليهم — ومانالهم غدر وهتك لحرمة
وقالوا لتلك الرسل عنا بأننا — رضينا بدين الكفر من غير قهرة

ومضت فترة أخرى ، ظهر فيها في غربي البحر الابيض المتوسط عنصر جديد في تطور الحوادث ، هو ظهور البحارة الترك، وعلى رأسهم الاخوان الشهيران أوروج (عروج) وخير الدين . واستطاع أن يستولي على الجزائر في سنة ١٥١٧ م . ولما

قتل في العام التالي ، في معركة نشبت بينه وبين الاسبان استولى اخوه خير الدين على الجزائر ، ثم استولى على عدة ثغور أخرى ، وعينه السلطان سليم حاكما على تلك الانحاء ، وأمده بالسفن والجند . ثم تألق نجم خير الدين من ذلك الحين ، وأصبح اسمه يقرن بذكر أعظم أمراء البحر في هذا العصر. والذي يهمنا من أعمال خير الدين ، هو غاراته الجريئة المتكررة على شواطيء اسبانيا الشرقية ، واتصاله بالموريسكيين في بلنسية وغيرها ، واستطاعته أن ينقل منهم اعداداكبيرة الى الثغور المغربية ، تقدر بنحو سبعين ألفا ، ولم تكن هذه الغارات محض جهاد في سبيل الله ولكنها كانت تنظم في نفس الوقت لتحقيق الربح والمغانم . وكان الموريسكيون من أغنى الطوائف في أسبانيا . وفي تلك الاونة التي لاح فيها للموريسكيين شط من الأمل ، عادوا فبعثوا بصريخهم الى قسطنطينية في رسالة موجهة الى السلطان سليم في سنة ٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م . وفيها يبثون الى السلطان آلامهم وما يلقون من الاضطهاد والتعذيب آناء الليل وأطراف النهار ويشيرون فيها الى خير الدين وعلمه بأحوالهم لما كان بالجزائر ، وقيامه بنقل الكثير منهم الى الارض الاسلامية ، ويلتمسون من السلطان أن يستجيب الى ندائهم بارساله لغوثهم ولا سيما بعد أن خذلهم جيرانهم واخوانهم في المغرب .

وليس لدينا مايدل على أن السلطان سليمان قام بأية اجراءات عملية لاغاثة الموريسكيين . وكل ماهنالك هو أن البحارة الترك استأنفوا غاراتهم على الشواطيء الاسبانية الشرقية بقيادة أمير البحر طرغود الذي خلف خير الدين في الرياسة، يحملون فيها اعدادا من الموريسكيين الى شواطيء المغرب .

وانه ليبدو أن سلاطين آل عثمان - وأمتهم ليست من الامم المنشئة للحضارة - لم تكن لديهم فكرة واضحة عن مدى العظمة القومية والحضارية التي كانت للامة الاندلسية ، ولا مجادها الجهادية ، ولا مكانتها الرفيعة في التاريخ بين الامم الاسلامية ولم يذكروا أنها هي الامة التي أخرجت عبدالرحمن الناصر والمنصور . واخرجت ابن حزم والزهراوي وابن باجة وابن زهر وابن رشد ، وابن الطفيل ،وبثت اشعاعها

العلمي قويا الى نهضة أوروبا العلمية . أجل ، لم تكن لديهم أية فكرة واضحة عن ذلك كله ، ولم تكن لديهم للتأثر بصريخ الموريسكيين سوى الاخوة الاسلامية ، ولو أن بلاط قسطنطينية استجاب الى صريخ ملوك غرناطة الاواخر ، وحاول ان يمارس نوعا من الضغط على ملكي قشتالة فرناندو وايسابيلا وقد كان بوسعه أن يمارس هذا الضغط قويا ، لان القوات العثمانية البرية والبحرية كانت منذ أواخر عهد محمد الفاتح تحتل مقاطعة اترانتوا جنوبي ايطاليا ، وعلى مقربة من جزيرة صقلية التي كانت يومئذ أملاك اسبانيا ـ لو أنه حاول شيئا من ذلك ، لكان من المرجح أن تتطور الحوادث في الاندلس ،وأن تبقى مملكة غرناطة في الوجود حقبة أخرى . ثم أنه في الوقت الذى بلغ فيه اضطهاد الموريسكيين ذورته ، وبلغت بهم التعاسة والمحن اقصاها ، كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها ، وأوج مجدها العسكري البري والبحري ، ولو شاءت قسطنطينية أن تمديدها لانجاد الموريسكيين لكانت لديها الوسيلة الناجعة ، سيما وقد كانت قواها البحرية تسيطر يومئذ على مياه غربي البحر المتوسط كله ،ولو أبدت يومئذ ضد اسبانيا أية حركة جادة ، لتحقق للموريسكيين ماكانوا يرومونه من الخلاص والخروج من اسبانيا بأولادهم وأموالهم قبل مأساة النفي بزمن طويل .

ولكن سلاطين آل عثمان شغلوا عن بذل أية حركة نبيلة في هذا السبيل ،بأمجادهم العسكرية الجديدة المتواصلة ، وبفتوحاتهم المخربة لمصر وبلاد المشرق العربي والسيطرة على اقدارها ، والقضاء على مقوماتها وتراثها الحضاري،واستصفاء اموالها وثرواتها ، كما شغلوا بفتوحاتهم العقيمة في اوربا ، في بودوليا واليوكرين ، وفي المجر وغيرها ، وهي الفتوح التي اثارت اوربا النصرانية كلها على الاسلام ،ودفعتها الى التكتل لمناوأته وكفاحه في حملات صليبية جديدة .

البحث صلة

توصيات
الملتقى التاسع للفكر الإسلامي

منشورات القسم العربي ـ مجلة الهادي
دار التبليغ الاسلامي : قم - ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

اشتركت مجلتنا (الهادى) فى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى الذى عقدفى في مدينة تلمسان بالجزائر .

وقد كان ذلك بدعوة قيمة من قبل المشرفبن على نطبم الملتقى فقام فضيلة العلامة الاستاذالسيدهادىالخسر وشاهى ممثلا لاسرة مجلة الهادىودار النبليغ الاسلامى بالاشتراكفى جلسات المؤتمر وقد قام ضمن اللجنتين الخامسة والسادسة بالاسهام فى اعداد التوصيات المتعلقة بموضوعين من مواضيع الملتقى.

هذا وقد انعقد المؤتمر فى جو من الموضوعية والعمق وخرج بتوصبات هذما نقتبس اهم ماجاء فيها نظراً لضيق المجال خصوصاً والمجلة شارفت على الصدور عند وصول التوصبات .

اللجنة الاولى :

مساهمة تلمسان

فى الفكر والحضارة الاسلاميين والعالميين

نظرا لما يكتسيه تاريخ الجزائر على عهد بني عبد الواد من أهمية بالغة، ونظرا لما تحظى به مدينة تلمسان من مركز مرموق في المشرق الاسلامى بصفة عامة وفي المغرب الاسلامي بصفة خاصة .

ونظرا للدور الهام الذي قامت به عاصمة بني عبد الواد في صد المد الصليـ الشرس الذي صمم على اقتسام شواطيء بلاد المغرب .

ونظرا للفائدة العظيمة التي يجتنيها جيلنا الحاضر والقابل من مزيد دراسة لتار هذه المنطقة .

ونظرا لما يطمح اليه عالمنا الاسلامي من بناء مستقبل سعيد يجمع شتات الا واوصالها .

ونظرا للواجب المقدس الذي يفرضه التاريخ بصدد ضرورة التعريف بمظاه الحضارة ومعالم العمران التي كانت تتوفر عليها وما تزال مدينة تلمسان .

ونظرا للموقع الجغرافي الذي يجعلها من اقرب النقاط صلة وصل بالمغرب والاندلس ، وما كان لهذا الوضع من أثر على التطور الحضارى المستمر للمنطقة كلها .

ونظرا للثروة العلمية ، التي تتميز بها المدينة على غيرها ، اعتبارا للعديد من رجال الفكر الذين ينتسبون اليها على اختلاف أصولهم .

ونظرا لكون هذه الثروة هي ملك للعالم الاسلامي كله قبل أن تكون ثروة للمنطقة ذاتها .

فان اللجنة الأولى تتقدم بالتوصيات التالية :

١ ـ الحث على السير قدما وبصفة مستمرة في احياء معالم تلمسان التاريخيه ، وخاصة فيما بعد الفتح الاسلامي على اختلاف المراحل ، كماتوصي بانشاء جمعية على مستوى ولاية تلمسان تضم عددا من المؤرخين والمثقفين والأثريين والباحثين يكون هدفها المحافظة على المعالم التاريخية لتلمسان بمختلف الوسائل .

٢ ـ الاهتمام كذلك باعداد جرد للمباني والمواقع التاريخية التي تم تشييدها على عهد المرابطين وبني عبدالمؤمن ، وبخاصة أيام بني عبدالواد وبني مرين .

٣ ـ توصي اللجنة باعداد مجسم (ماكيت) للساعة المائية العظيمة التي كانت تتوفر عليها مدينة تلمسان أيام أبي حمو الثاني ، وفي انتظار اعداد ذلك فان اللجنة

تقترح اعداد لوحة رخامية منقوشة تتضمــن وصفاً للساعة المائية المذكورة ، علــى نحو ما ذكره المؤرخون ، وتنصب تلك اللوحة على باب المشور بجانب الساعــة الفرنجية التي نصبت أيام الاحتلال .

٤ ـ توصي اللجنة بأن يجعل في بناية المشور كلها متحف وطني يحتــوي على كل مظاهر الحضارة في تلمسان ، كما يحتوي على خزانة تضم المخطوطات والوثائق والمصورات والأفلام التي تمس تاريخ تلمسان ، وتشتمل في جهة اخرى على جوانب تختص بعرض أدوات الجهاد التي كان يستعملها المناضلون القدامى ، كما يخصــص جانب منه للملابس الوطنية والتحف والأدوات المنزلية والحلــي المستعمل للزينة ، ويخصص جانب منه للعملة والحرف التقليدية، ونماذج للمقاييس والاوزان والمكاييل التي كانت مستعملة في مدينة تلمسان على أن يزود المتحف أيضاً بدليل مطبوع بمختلف اللغات يشتمل على الخرائط من شأنه أن يعطي عن تلمسان فكرة مدققة عن هذه المدينة العظيمة .

٥ ـ نظراً للثروة الضخمة التي تركها التنافس البناء بين علماء فاس وعلمــاء تلمسان ، ونظراً للرباط الوثيق الذي جمع بين المدينتين عبر التاريخ ، فان اللجنة تدعو الى التوأمة بين مدينتي تلمسان وفاس على نحو ما هو معهود بين المدن المتشابهة في التاريخ والعادات ، وتهدف هذه التوأمة الى دعم أواصر التعاون الثقافي والعلمي بين المدينتين .

٦ ـ توصي اللجنة بتجميــع وتدوين سائر الفتاوى الفقهية التي كانت محــل نقاش بين علمــاء المدينتين ، نظراً لكون تلك الفتاوى تكون مظهراً من مظاهــر الثراء الفكري علاوة علــى ما تعكسه من صور جميلة تؤدي فكرة عن نوع الحياة التي كانت تعيشها المدينتان التوأمتان .

٧ ـ نظراً للفائدة الجلى التي لافــادات الرحالة الذين مروا بتلمسان ، ســواء عن طريق البر أو عــن طريق مرسى هنين وارشقول ، فان اللجنة توصي بتدويــن جميع ما ورد في تلــك الرحــلات ، سواء منها رحلات الحج التي كان يقوم بهــا

سفراء الأندلس والمغرب ، الى جانب تدوين جميع ما قيل عن المدينة من طـ
الجغرافيين وأصحاب المعاجم ، على أن يكون في هذه المجامع وفي هذه المدو
معجم يضبط سائر أسماء المدن والقرى والمواقع التي تشملها ولاية تلمسان ، ويش
معانيها ، سواء أكانت تحمل أسماء ما زيغية أو عربية .

٨ ـ كما توصي اللجنة باعداد معجم للشخصيات التلمسانية التي كانت جـ
للمحبة وعمدة لنشر العلم والثقافة بالقارة الافريقية والتي كانت مثلا صادقاً للمواء
الصالح ، الذي يستهدف بناء عالم اسلامي قوي مؤمن بالله .

٩ ـ نظراً للحرص الشديد على اعداد تاريخ سياسي كامل شامل لهذه المد
التاريخية العتيقة ، ونظراً لما يجب أن يستهدفه هذا التاريخ من توحيد كلمة المسلم
وتوطيد أواصر الأخوة بين أقطار المغرب العربي ، فان اللجنة توصي بأن يهمـ
المؤرخون في الأقطار المغربية على ضرورة الاطلاع على سائر الوثائق الموجود
في الدول الشقيقة والدول الأخرى بما في ذلك ايران وتركيا واسبانيا وفرنـ
وايطاليا . . . الخ ، تلك الوثائق التي من شأنها أن تلقي الضوء على بعض فترات
ذلك التاريخ ، وتكشف عن ان سائر ما كان يجري من مواجهات بين بلاد المغرب
انما كان بتواطؤ خبيث ، يقصد الى نسف وحدة هذه البلاد وتفتيت جهودها وتلاحمها
حتى تصرفها عن تقديم مساعدتها للاندلس الجريحة التي استطاعت بفضل يوسف
ابن تاشفين والمنصور الموحدي وأبي الحسن المريني أن تحتفظ بحياتها ، وتصرفها
عن اجلاء الاجنبي الجاثم على الثغور ، سواء بتونـس أو الجزائر أو المغـرب ،
ومن أجل ذلك فان اللجنة تؤكد على المؤرخين لبلاد المغرب أن ينتبهـوا لما كان
يحاك لهم خارج بلادهم ، فيقدموا ـ نتيجة لذلك ـ تاريخاً سليماً من شأنه أن يترفع
عن التعرض للحوادث الجانبية ، كما يترفع عن اثارة النعرات الطائفية ، كما يترفع
عن الاكتفاء بالسرد السطحي للوقائع ، ويحلل ذلك التاريخ باسلوب ينشيء الجيل
الصاعد على الشعور بالوحدة التي كانت تسود المنطقة في العصور الزاهية .

١٠ ـ ونظراً لما توفر لدى اللجنة من معلومات جد مفيدة ، سواء عن طريق

المحاضرات والبحوث المقدمة ، أوعن طريق الكتب ومختلف المطبوعات الموزعة على أعضاء الملتقى ، فان اللجنة توصي بمتابعة التحقيقات الدقيقة الكاملة المواقع التاريخية والمعالم الاثرية وبخاصة في منطقة تاجرة قرب هنين ، مولد عبدالمؤمن بن علي ، وذلك بالرجوع الى المصادر الدفينة ، حتى نقدم لجيلنا تاريخاً يرتكزعلى نتيجة البحث العلمي والدراسات الهادفة .

١١ ـ وبالنظر لشعور اللجنة بواجبها نحو المشرفين على الملتقى التاسع ، فانها تتقدم بالاعراب عن التقدير الكامل لسائر السادة الدين عملوا بصدق نية ونبل هدف لكي تتم أعمال الملتقى في ظروف جد طيبة ، ويخصون بالشكر وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية على ما بذلته وتبذله من جهد لتزويد المكتبة الاسلامية بما ينير طريق الباحثين فيها ، ولا تنسى اللجنة كذلك عائلات ولاية تلمسان التي فتحت بيوتها وقلوبها للملتقى ، فكانت بذلك تعكس كرم جدودها وأسلافها .

* * *

اللجنة الثانية :

موقف دول المسلمين من سقوط الاندلس والغزو الاوربي

وقد درس الاعضاء المجتمعون الموضوع الثاني من جدول أعمال الملتقى موقف اسطنبول وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها ، وامام غزو الاوربي للعالم الاسلامي عموماً .

وتبين من مجموع المحاضرات التاريخية والمناقشات التي دارت أنه لا الدولة

العثمانية ـ أعظم دول الاسلام يومئذ ـ ولا مصر الاسلامية ، ولا امارات المغرب المختلفة ، قامت بمجهودات فعالة لانجاد آخر مسلمي مملكة غرناطة ولا بعد ذلك لانجاد الموريسكيين أو العرب المتنصرين بقية الامة الاندلسية المغلوبة ، ولئن قامت بعض الدول في المغرب الكبير بنقل الكثير من مسلمي الاندلس الى بلدانها وادماجهم فيها ، وانقاذهم من جحيم ديوان التفتيش ، فان ذلك لم يقهم من مصيرهم الذي هو الطرد من بلادهم والجلاء عنها نهائياً .

وفيما يتعلق بالدفاع عن العالم الاسلامي أمام الغزو الاوروبي لم تسمح الظروف للدولة العثمانية ببذل المجهودات الفعالة اللازمة لانجاد العالم الاسلامي لاسباب كثيرة تستحق الدراسة .

أما الدول الاسلامية الاخرى فقد اتسم موقفها غالباً ازاء بعضها أمام الغزو الاوروبي الاستعماري لها بالتآمر ، أو على الاقل بالتواطؤ والموقف السلبي ازاء شقيقاتها التي كان ينقض عليها الاستعمار ، مما سهل مهمته، وجعله يمتد الى الواحدة تلو الاخرى حتى كاد يشمل الجميع .

ومن خلال ذلك يمكن للجنة أن توصي بما يلي :

١ ـ أن تبذل جهود ودراسات جديدة وافية لالقاء أضواء جديدة على أحداث هاتين الحقبتين من التاريخ ، وهما مرحلة سقوط الاندلس ومرحلة الغزو الاوروبي .

٢ ـ العمل على اعادة النظر في الكتب المدرسية فيما يتعلق بتاريخ الدولة العثمانية وموقفها على ضوء ما تكشفه الوثائق والبحوث الموضوعية .

* * *

اللجنة الثالثة :

الشعر : هل كان سبباً لمأساة الاندلس ام انعكاساً لها

بعد الاستماع الى مادار حول النقطة الثالثة «هل كان الشعر في الاندلس سبباً

في انحلال اخلاقها ثم سقوطها أم كان لها مجرد «مرآة وانعكاس» بين محاضرة ومناقشة من جانب الاساتذة والطلاب ، تبين للاعضاء ان انحراف بعض الادباء في الاندلس عن طريق تمجيد أعمال الطغاة ، وتسويغ الأخطاء ، واقبالهم الشديد على متع الحياة خضوعا للروح الفردية المترفة ، التي كانت تضع مصلحة المجتمع جانبا . . الى غير ذلك من جوانب سلبية ـ أن هذا الانحراف وغيره كان له أثره في اضعاف النفسية الاندلسية . هذا دون أن ينسى الاعضاء ماكان لبعض الجوانب في الشعر من ايجابية واضحة في مواكبة حركة الجهاد ، وفي التنبيه على مايحيق بالاندلس من أخطار . . الى غير ذلك من النواحي الايجابية البناءة .

ان الشعر الاندلسي لم يكن مجرد انعكاس لحياة الاندلس وحسب ، كما لم يكن مسئولا المسئولية الكلية المباشرة عن انهيار الأخلاق والسقوط الحضاري فيها ، وانما كان ظاهرة حضارية شاركت مع غيرها من الظواهر الحضارية الاخرى في ناحيتى الايجاب والسلب ، تتحمل نصيبها من المسؤولية بقدر حجمها في حركة الحضارة الاندلسية .

وقد رأى المجتمعون أن يوصوا ـ في ضوء ذلك كله ـ بما يلي :

١ ـ تشجيع دراسة الشعر والأدب الاندلسيين ، لكي نبرز القيم الفنية ، بالاضافة الى مانفيده من الصورة الحضارية في ظلال هذا الشعر .

٢ ـ دراسة الحضارة الاندلسية ، أدبا ، وتراثا ، وتاريخا ، وحضارة ، دراسة مخبرية من اجل استخلاص القوانين التي أسقطت هذه الحضارة .

٣ ـ تنظيم بحث التراث الاندلسي بين العاملين في هذا الميدان في شتى البلاد العربية والاسلامية .

٤ ـ جمع التراث الاندلسي (في الجزائر والمغرب وتونس) ثم التراث المغربي ، وتوفير وسائل الاطلاع للدارسين ، وتشجيع هؤلاء الدارسين ومساعدتهم.

٥ ـ اقامة ندوات وملتقيات خاصة بالتراث الاندلسي والحضارة الاندلسية ،

٦ ـ التعاون الوثيق وتنسيق الجهود بين الباحثين في مختلف مجالات الحضارة

الاندلسية .

٧ - ضرورة معرفة اللغة الاسبانية لكل دارس للادب الاندلسي .وذلك للاطلاع على الدراسات التي تكتب بتلك اللغة فيما يتعلق بالاندلس .

٨ - الدعوة الى ترجمة الابحاث والدراسات المتعلقة بالاندلس الى اللغة العربية ترجمة علمية نقدية .

٦ - وبهذا نتوجه الى القائمين على الشعر المعاصر - شعراء ونقادا - أن يفيدوا من التجربة الاندلسية ، وأن يتذكروا دائما مسئوليتهم الحضارية تجاه أمتهم من خلال فنهم .

١٠ - العناية باختيار النماذج الفنية الصالحة في الادب الاندلسي وتدريسها الطلاب في مختلف مراحل الدراسة .

١١ - استحداث مسابقات بجوائز تشجيعية للطلاب الذين يقدمون أبحاثا ذات وزن في الدراسات الاندلسية .

١٢ - تشجيع زيارة الاندلس والتعرف على الاثار الاندلسية بالضرورة في المدارس والجامعات العربية من خلال رحلات توجه الى هذه الاماكن .

١٣ - مراعاة ماأصاب الاندلس من خلال سلبية كثير من الجوانب ، ومنها الشعر ، في فنوننا الحديثة ،وذلك في مجال توجيه الابناء وسائر المجالات التربوية.

* * *

اللجنة الرابعة :

دور الاداب والفنون عموماً في تعزيز الاخلاق او انحلالها

وبعد الاستماع الى مادار حول النقطة الرابعة دور الاداب والفنون عموما في

تعزيز اخلاق أمة أو انحلالها ، وفي شحذ عزائمها أو قتل روحها بين محاضـرات ومناقشات من طرف الاساتذة والطلاب ، توصي بما يلي :

ـ نظرا لما للاداب والفنون من أثر في تقويم سلوك الجيل وتهذيب ذوقه اوفي افساده وحل عزائمه ،

ـ ونظرا للغزو الاجنبي الذي يقذف الينا بمجلاته وافلامه ، وأسطواناته من من تلك التي تتسم بالخلاعة والابتذال ،

ـ ونظرا لان هذا كله خطر على كيان الامة وشخصية أبنائها ،

ـ ونظرا لما لهذا أيضاً من صلة بالصراع الفكري .

ورغبة في تحرر البلاد الاسلامية من جميع هذه الآفات في الثقافة والعقيدة،

ـ ونظرا للمكانة التي ينبغي ان تحتلها الأخلاق في الادب والفن حتى يتمكنا من أداء رسالتهما الاجتماعية ،

وبعد الاستماع الى المحاضرات والمناقشات واسئلة الطلبة ، توصي اللجنة بما يلي :

١ ـ اقامة المدارس الادبية والفنية على اسس لاتخالف التربية الاسلامية .

٢ ـ ننتظر من الادباء والفنانين ـ على اختلاف ميادين نشاطهم ـ ان يجعلوا اتجاههم نحو النتاج الجدي ، واذا مالوا الى الفكاهة فلتكن سليمة بريئة .

٣ ـ نهيب بالحكومات والمنظمات الثقافية ان تحرص على الزام الادبـاء والفنانين بمراعـاة القيم الاسلامية في كل ماينتجونه وعلى ان تكون وسائـل الاعلام في خدمة هذه القيم .

٤ ـ ان يتجه الفن والادب الى شحذ العزائم وتعزيز الاخلاق وصقل الذوق الجمالي وتأييد القضايا العادلة في العالم الاسلامي عموما وقضية فلسطين خاصة .

٥ ـ ان يتجه ادباؤنا وفنانون الى تاريخنا يستوحون منه صورا مشرقة تزيد أجيالنا اعتزازا بأمتهم .

٦ ـ تنظيم مسابقات لاعداد ماتحتاج اليه الطفولة من غذاء أدبي وفني: كتب

مجلات ، مسرحيات ، اناشيد ،اسطوانات،افلام وغيرهافي اطارالمبادىء الاسلا

٧ ـ وبما ان التجديد سنةمن سنن الله وقانونمنقوانين الاجتماع فاننانهي بالادباء وبالفنانين الى أن يكونوا واعينلرسالاتهمفي المجتمعالاسلامي وانيدخلا المفيد من الجديد علىنتاجهم الادبي والفني متجنبين كل مامنشأنه ان يشيع التبعي والميوعة ، والانحلال .

٨ ـ طبع النتائج الادبيوالفني الصالحوبيعه بأثمان زهيدة ليكون فيمتناو الجميع .

٩ ـ تعليم اللغة العربية ونشرها في العالم الاسلامي باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة .

١٠ ـ نقل مختارات من الاداب الاسلامية من لغاتها الأصلية الى سائر لغات العالم الاسلامي .

١١ ـ ان تهتم وزارات التعليم والثقافة في العالم الاسلامي بجمع الشعر التربوي والاخلاقى الجيد وادراجه في برامج التعليم .

١٢ ـ ان تتولى الوزارات والجامعات تشجيع تبادل الزيارات الثقافية .

* * *

اللجنة الخامسة :

العدالة الاقتصاديةوالاجتماعية فىالاسلام
وأوضاع الامة الاسلامية اليوم

وقد استمعت الى المحاضرات والابحاثوالمناقشات التي دارت حولالنقطة

الخامسة العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام وأوضاع الامة الاسلامية اليوم وترى اللجنة أن مثل هذه الابحاث المفيدة تعالج موضوعا خطيرا في حياة الامة وجانبا هاما من جوانب عيشها ، ولذا فهي ترى ان الحاجة ماسة لمزيد من متابعة البحث والتعميق والتحديد والتقنين للوصول الى اسلم الحلول للمشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الامة الاسلامية اليوم .

وقد تبين للجنة بعد الاستماع للمحاضرات جملة من الحقائق والقواعد الاقتصادية النابعة من الشريعة الاسلامية الغراء .

أما الحقائق فأهمها :

اولا : أن القواعد الاقتصادية في الشريعة الاسلامية تستند الى الاساس الاول في العقيدة الاسلامية وهو الايمان بالله وحده الذي استخلف الانسان في الارض ليعمرها بالعبادة والطاعة والعمل الصالح .

ثانياً : أن القواعد الاقتصادية في الشريعة الاسلامية جاءت متكاملة شاملة تتناول جوانب الحياة الانسانية كافة وهي متميزة متفردة عن النظم الاقتصادية الوضعية .

ثالثاً : أن القواعد الاقتصادية في الشريعة الاسلامية صالحة لكي تكون أساسا ومنبعا لنظام اقتصادي متميز يصلح للتطبيق في واقع الحياة الانسانية .

وأما القواعد الاقتصادية فأبرزها :

اولا : أن الاسلام عني عناية خاصة بالثروة وعدها وسيلة من وسائل استمرار الحياة الكريمة الهادفة لعبادة الله واسعاد الخلق ، والمسلمون مدعوون الى مزيد من فهم موقع الثروة وأهميتها في الحياة اكتسابا وتداولا وتوزيعا واستثمارا .

ثانياً : أن الحقوق في الاسلام مقيدة بمصالح الجماعة ولايجوز للفرد أن يتعسف في استعمال حقه المشروع بقصد الاضرار بغيره .

ثالثاً : أن الملكية الفردية في الاسلام مصونة وتقوم بوظيفة اجتماعية هامة ولا تنزع من صاحبها الا لمصلحة عامة معترف بها .

رابعاً : كل مال نمى عن طريق الظلم والاستغلال والاضرار بالمجتمع فهو مال

باطل لايحترمه الأسلام ولا يصونه .

خامساً: الدولة ـ اي الشرعية منها ـ مكلفة بحماية المصالح الجماعية، ويجب عليها التدخل في الحريات عندما تتعرض مصالح المجتمع لخطر الاستغلال .

سادساً : يدعو الاسلام لوضع تشريعات اجتماعية للعمال الصناعيين والزراعيين وغيرهم لتأمين حقوقهم التي أقرها الاسلام لهم وصانها .

ومن هذه المنطلقات يوصي الملتقى وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر باعتبارها منظمة لهذا الملتقى بما يلي :

١ ـ توجيه دعوة الى أن تنظم الهيئات والمجامع والمؤسسات الاسلامية في العالم الاسلامي مؤتمرا يخصص لدراسة أهم المشكلات التي تواجه الفكر الاقتصادي الاسلامي وأنواع المعاملات المصرفية وصور العقود والفوائد السائدة في العالم الاسلامي والتي تخالف المبادىء المقررة في التشريع الاسلامي وقواعده ونظمه في مسائل الثروة واكتسابها وتداولها وتوزيعها واستثمارها على أن يكون من الاهداف الاساسية لمثل ذلك المؤتمر الخروج بصور واضحة للبديل الاسلامى في تلك القضايا.

٢ ـ دعوة المنظمات والهيئات الاسلامية لوضع صيغ محددة وقوانين اقتصادية نابعة من القرآن والسنة والفقه الاسلامي مما يمكن معه وضعها موضع التطبيق العلمي في واقع الحياة لتكون للجيل هادياً ومنطلقاً نحو آفاق من الوعي الاسلامي لحمل دعوة الله الى الناس كافة .

٣ ـ الاتصال بالجامعات العلمية في العالم الاسلامي أجمع لادخال مادة الاقتصاد الاسلامي جنباً الى جنب مع ما يدرس من أنظمة اقتصادية وضعية أخرى في كليات الاقتصاد ليطلع أبناء هذه الامة على الفكر الاسلامي المستنير في جوانبه الاقتصادية المتكاملة .

٤ ـ حث الدول الاسلامية الغنية على منح الدول الاسلامية النامية قروضاً بلا فوائد لتنفيذ مشاريعها الانمائية والعمرانية التي تساعد على تحقيق القسط الاوفر من العدالة الاجتماعية في حقول الزراعة والصحة والتعليم والتدريب المهني

والخدمات الاجتماعية .

٥ ـ الكتابة والاتصال بدول البلاد الاسلامية للعمل على تشجيع البحث في ميدان الاقتصاد الاسلامي ودراسة انشاء مؤسسة اقتصادية اسلامية تعمل على قيام تكامل اقتصادي منظم بين البلدان الاسلامية .

٦ ـ دعوة البلاد الاسلامية لانشاء مصرف اسلامي في كل منها تقوم معاملاته على غير النظرية الربوية ويكون انموذجاً حياً واقعياً لتطبيق جانب هام من النظام الاقتصادي الذي يمارسه المسلمون في حياتهم اليومية .

٧ ـ دعوة علماء البلاد الاسلامية الى انشاء مؤسسات للزكاة في كل منها تتولى جمع الزكاة وانفاقها وفق الاحكام الشرعية وذلك لاعطاء الصورة المشرقة عن هذا الركن من أركان الاسلام وما يمكن أن يحققه من رخاء للمسلمين حتى يطبق النظام الاقتصادي الاسلامي تطبيقاً كاملا يشمل كل مرافق الحياة .

* * *

اللجنة السادسة :

اهداف الحج

والطريقة التي يؤدى بها اليوم

على ضوء الابحاث التي ألقيت في موضوع **«مقصد الشريعة من الحج والطريقة التي يؤدى بها اليوم»** أو وزعت ، وبعد سماع المناقشات التي جرت بين المحاضرين والمناقشين تبين لها : ان في أداء ركن الحج توبة المسلمين الى ربهم وانابة ، واستجابة لامره وتلبية ، وتطهيراً لقلوبهم ، وتزكية لنفوسهم بتعظيم

شعائر الله وحرماته والاكثار من ذكر الله باللسان والقلب ، في الركوع والسجود والطواف والسعي والوقوف بعرفة وعند المشعر الحرام، وشكره على نعمه،وشهود منافع لهم روحية ومادية ، واجتماعهم - عملياً - كأمة واحدة على مستوى واحد لا يتميز احد منهم بشيء على أخيه .

ولقد تبين ان كثيراً من الحجاج اليوم قد خفيت عنهم مقاصد الحج وغفلوا عن معانيه السامية بسبب الجهل وطول الامد ، فنتج عن ذلك مالايرضي الله ورسوله، ولا يليق بقاصدي البيت الحرام كما هو مشاهد في أقدس الاماكن ، وأثناء القيام بأعظم الشعائر في الطواف والسعي والوقوف بعرفة، ورمي الجمار، وتقديم الذبائح.

وترى اللجنة انه يجب على المسلمين افراداً وجماعات ، هيئات وحكومات ان يعينوا على اداء هذه العبادة على اكمل وجوهها لتحقق مقاصدها ، وتكون سبباً في رقي المسلمين وفوزهم العظيم روحياً وماديا، دنياً وديناً ، وتجنب المسلمين ارتكاب ما يفسد عبادتهم او يدنس اماكنهم المقدسة ، او يلوث سمعتهم وينفر الناس منهم ومن دينهم . ولذلك فان اللجنة ترجو من الملتقى ان يوصي بما يلي :

١ - وجوب توعية الحجاج في بلدانهم توعية اسلامية صحيحة من قبل العلماء والمسؤولين حتى يكونوا على بصيرة مما هم قادمون عليه ، ولا يرتكبوا ما ينافي العبادة ويبطلها ويؤذي المؤمنين ، وهذه التوعية تكون بالدروس في المساجد وبكل وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

٢ - وجوب تنظيم الحجاج وقوافلهم تنظيماً محكماً ، لتسهل وقايتهم من الوقوع في المكاره والاخطاء التي تؤذيهم او تفسد عليهم عبادتهم ، وذلك بأن يصحب كل قافلة مرافق ومرشد من العلماء .

٣ - العمل الجدي لمنع ازدحام الحجاج ازدحاماً مضراً بهم في جدة وغيرها وذلك بسرعة نقلهم وحسن ايوائهم ، والتخفيف من الاجراءات الادارية حتى تسهل تحركاتهم وبقيام كل وسائل النقل من برية وبحرية وجوية داخلية وخارجية بواجباتها وتعهداتها في اوقاتها ، كما يجب العمل لوجود بعثات طبية في عين المكان بمطار

جـدة ـ باتفاق بين جـمعيات الهـلال الاحمر الاسلامية ـ تقدم فوراً الاسعافـات الضروريه للمصابين .

٤ ـ وجوب المحافظة التامة على النظافة الكاملة ، واجتناب القذارة في كل مكان ، وخصوصاًفى الاماكن المقدسة او حولها ، حيث يتجمع المؤمنون بالمئات والالاف ، اذ النظافة من الايمان والقذارة مهلكة للارواح والابدان . ولذلك يجب توفير دور المياه في كل مكان ، وتوعية الحجاج بخطيئة من يدنس الاماكن المقدسة او يتسبب في ايذاء المسلمين وتعريضهم للاخطار .

٥ ـ تخفيفا لاخطار الزحام الشديد ترى اللجنة أيضاً التوصية :

ـ بتوعية المسلمين عموما والحجاج خصوصا بأن الحج فرض مرة في العمر أوجبه الله على المستطيع وأعفى منه المريض والعاجز فمن لايستطيع أداءواجبات الحج كالطواف والسعي ، والرمي ، أولا يستطيع السفر الا بأن يشق على غيره من المسلمين في نقله لايطلب منه الحج . ومن كان مستطيعا وأداه مرة واحدة كفته،فان كان له فضل من مال فليتصدق به ، وليعمل به عملا يعلي من شأن دينه وامة الاسلام فان في ذلك خيراً كثيرا ، فان كان التكرار للحج مما تقتضيه ظروف بعض الحجاج فلا يكون الا بعد سنوات .

٦ ـ وجوب توعية الحجاج ـ في الطواف ـ ان يكتفوا بالطواف الواجب أثناء أيام الزحام الشديد ، وان يتركوا المطاف لاخوانهم القادمين والمفيضين ،وان طواف الافاضة له وقت واسع ، وان استلام الحجر الاسود ليس بركن ولا واجب في الحج فليتق الله من يزاحم عليه فيؤذي اخوانه المؤمنين والمؤمنات فيتسبب في جرحهم أو موتهم . وان ترك الطواف المندوب ايثارالاخوانه أفضل من مزاحمتهم مزاحمة تؤدي الى اذيتهم .

٧ ـ وان الملتقى يسجل باستحسان وتقدير لرجال المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي موقفهم من مشكلة رمي الجمار ،وايجادهم حلاشرعياً يخفف كثيراً من وطأة الزحام على الرمي بافتائهم بجواز الرمي ليلا احدا بمذاهب العلماء

المجتهدين الّذين يرون جواز ذلك (١) ويود أن ينظروا فيما بقي من مشا ذل ليجد لها حلولا شرعية توافق مقاصد الشريعة ، ولا تصادم روحها .

٨ ـ ويلاحظ الملتقى مايلاقيه الحجاج من عنت شديد من جراء قيامهم بالهد سواء اثناء ذهابهم أو ايابهم الى السوق ثم الى المسلخ أو اثناء الذبح ، او بعـ الذبح من ضياع اللحوم أو فسادها مما قد يعود بالضرر العظيم على صحتهم . و المعلوم أن قتل الحيوان وطرح لحمه دون انتفاع بها فساد لاتقره الشريعة كما ج في الاية الواردة اثر آيات الحج مباشرة : «ومن الناس من يعجبك قوله في الح الدنيا» الى قوله تعالى : «ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد» ، كما ان ع الانتفاع بلحوم الاضاحي من فعل الجاهلية فالواجب التفكير في معالجة هذا الـ وذلك بايجاب حل شرعي للهدى أو حل عملي اجتماعي ، مثل وجوب تعدد المجاز بمنى وبمكة وضواحيها وتوعية الحجاج بأن يقتصروا على الهدى الواجب كهد التمتع أو القران أو جزاء الصيد أو النذر ، أو الاحصار ، فلعل ذلك يخفف بعـ الاضرار الواقعة ريثما يجد المسلمون وعلماؤهم حلا نهائيا لهذه المشكلة على مستو العالم الاسلامي كله .

٩ ـ ويلاحظ الملتقى ان من الأسباب التي جعلت الناس يطرحون لحو الذبائح ولاينتفعون بها ان كثيرا منها هزيل أو مريض لايصلح للاضحية فمن الواجـ ابعاد مثل ذلك عن اسواق الحجاج ومنع ذبحه كما هو معروف في المسالخ العاد وافهام الحجاج ان كل ذلك لايجزيهم عن نسكهم . وان تراقب الحكومة ذلك مراقبة حازم

١٠ ـ ويوصي الملتقى الحجاج من المسلمين بأن عليهم ان يجعلوا الحج زيادة على اداء مناسكهم وذكرهم لربهم ـ مؤتمرا سنويا يحضره أولو الرأي والتدبـ منهم ، يتدارسون فيه مشاكلهم ، ويعالجون امراضهم ، ويطلبون وسائل رقيهم ويحققو فيه التعارف بين أممهم وشعوبهم ويمتنون الروابط المختلفة بينهم مما يعز دينه ويسعدهم في دنياهم زيادة عن أخراهم .

---

(١) وقد حل الفقه الشيعي هذه المسألة من قبل فافتى بجواز الرمي ليلا لبعض الاصـ ... يتأذون من الرمي نهاراً . ... ذى .

١١ ـ وان اللجنة لترى ان الملتقى التاسع للفكر الاسلامـى اذ يتقدم بهـذه التوصيات يكون قدأسهم بمقدار فى معالجة هذه المشكلة ريثما تحل جميع مشاكله نهائيا ، وحاول ان يعيد لهذه الشعيرة من اركان الدين اصالتها مما يجعلها تحقق مقاصد الشريعة وتربط المسلم بحقائق دينه ومشاهد تاريخه المجيد وتجعله يحيا هذا الركن من اركان الاسلام عمليا مما يترك فيه آثارا باقية حتى بعد الحج لبقية حياته .

الهادي ... مجلة كل مثقف مسلم

اخي المثقف المسلم ...

الهادي ... مجلتك التي لن تجد فيها الا ما ينمي الجانب المعنوي في حياتك ... ويوسع من الآفاق الفكرية لديك ... وما يطلعك على مشاكل العالم الاسلامي التي تتطلب الحلول الناجعة ... ويطرح امامك بعض تلك الحلول ...

الهادي ... مجلتك الرائدة .. التي مازالت تتخطى العقبات الصعبة .. في سبيل تأدية ما عليها من واجب تجاه عقيدتها الحية .. وامتها التي ينتظر لها أن تقود أمم الارض الى سعادتها .

.. فساهم ايها القارىء العزيز باقتناءها بانتظام ... واعمل على نشرها بين الشباب المتطلع .

.. ومن الله نستمد التوفيق جميعاً .

مكتب إسلام

مجلة فكرية إسلامية جامعة

العدد الرابع

السنة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

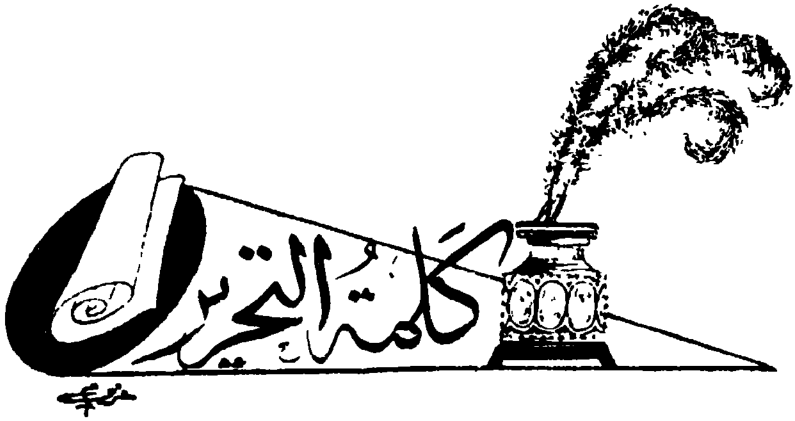
حكمة العدد

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوالِ الأَغْنِياءِ
أَقْواتَ الفُقَراءِ فَما جاعَ فَقيرٌ إِلاَّ بِما مُتِّعَ
بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعالى سائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ

الإمام أمير المؤمنين علي

نهج البلاغة - شرح عبده - الجزء الرابع
ص ٧٨

في هذا العدد



المرأة المسلمة وثقافتها الإسلامية

يكاد يكون من نافلة القول الحديث عن الدور الذي قام به الإسلام لإنقاذ المرأة من الحضيض الذي تعيشه وتسميها الاجتماعية الى المستوى الذي يجعلها تقف على قدم المساواة مع الرجل من حيث امكانية الوصول الى اعلى مستوى يمكن ان يبلغه الانسان بمقياس التفاضل الصحيح .

وبينما كانت بعض الشعوب —وما زالت الى عهد قريب— تشك في انسانية المرأة، نجد القرآن الكريم يضرب للذين آمنوا جميعا وعبر التاريخ كله مثلا ونموذجاً انسانيا ساميا يتمثل في امرأة فرعون :

«ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله».

ونجد الاسلام يحدثنا عن ارتباط رضا الله برضا امرأة عظيمة اخرى هي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها .

الى غير ذلك مما لامجال للحديث عنه مفصلا الآن . وانما اردنا ان نكون اشارتنا هذه منبهة لمخطط تربوي دقيق خاص وضعه الاسلام ليرفع به المرأة الى المستوى المطلوب منها اي ان للاسلام تخطيطا تربويا عاماً للانسان من حيث هو انسان وتخطيطات تخص بعض الجوانب ومنها التخطيط الحكيم الذي يخص برفع مستوى المرأة وعلاج حالاتها المميزة .

وهذا التخطيط الخاص يمكننا استقراء معالمه على ضوء الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الجانب والثروة الحديثية الكبرى التي وصلتنا من النبي العظيم (ص) والائمة المعصومين من اهل البيت (ع) .

حركة نسوية نشطة نحو المعرفة والعمل :

ومما يبدو كظاهرة عامة في عصر صدر الاسلام ما اوجده الاسلام في المرأة من شوق وتطلع شديدين نحو معرفة الاسلام والتفاعل مع أهدافه والقيام بادوار اجتماعية مهمة لايمكن اهمال شأنها وقد يكون بعضها مصيريا .

ومن ذلك دور خديجة الكبرى ام المؤمنين في اسناد الدعوة بكل طاقاتها ودور الزهراء في اعطاء اروع نموذج للمرأة الطاهرة المعلمة المجاهدة الواعية المخلصة. وكذلك دور اولئك النسوة المجاهدات اللواتي تركن عشيرتهن وهاجرن في سبيل الله وتحملن المشاق الكبرى في ذلك وبايعن النبي على كل مايريده منهن الاسلام.

ولعل جانب التثقيف النسوي هو من الجوانب التي لم نعط العناية اللازمة للبحث من قبل المؤرخين لتلك الحياة الزاهرة مع وجود العلائم التي يمكن ان تلقي اضواء على هذا السبيل .

ومنها مانص الامام العسكري (ع) انه قال : حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (ع) فقالت : ان لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في امر صلاتها شيء وقد بعثتني اليك اسألك فأجابتها فاطمة (ع) عن ذلك فثنت فأجابت ثم ثلثت الى ان عشرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت : لاأشق عليك يا ابنة رسول الله ، قالت

فاطمه : هاتي وسلي عما بدالك : أرأيت من اكترى يوماً يصعد الى سطح بحمل ثقيل وكراه مائه الف دينار يثقل عليه ؟

فقالت : لافقالت اكتريت انا لكل مسأله بأكثر من ملء مابين الثرى الى العرش لؤلؤافأحرى ان لايثقل علي . . . الحديث) (١) .

وفي خبر آخر: قالت فاطمه (ع) ـ وقد اختصم اليها امرأتان فتنازعتا في شيء من امر الدين احداهما معاندة والاخرى مؤمنة ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا ـ فقالت فاطمة (ع) ان فرح الملائكه باستظهارك عليها اشد من فرحك وان حزن الشيطان ومردته بحزنها اشد من حزنها ...الحديث

المعروض والواقع :

نعم كان المفروض في المرأة المسلمة ان تكون واعية لعقيدتها ولما يجري حولها ومدركة لدورها الخطير في البناء الاجتماعي . وكان هذا هو الواقع في عصر صدر الاسلام . حيث حققت المرأة الاسلامية شوطا كبيرا فيه الا انها لم تواصل سيرها لتعرض لعوامل كثيرة منها ضياع القيادة الرشيدة للمجتمع وانشغال المفكرين الرسميين في امور بعيدة عن الجانب التربوي العام فضلا عن الجوانب الخاصة .. فظلت المرأة في سبات عميق .. بل اعمق مما كان عليه الرجل واوضح !

في مرحلة المواجهة :

وجاءت اخيرا فترة المواجهة مع الفكر الغربي الكافر الذي كان يخطط بخبث منقطع على المقاومة القرآنية التي واجهته فكريا وعمليا فانطلق لفقدان تلك المسألة من تعاليم الاسلام والامة من آثار التربية والوعي الاسلامي .

وكان وضع المرأة واحدة بعد من خلالها الاستعمار الى الجذور . جذور هذه الامة فيحرفها بحجة اصلاحها بعد ان يقارن وضعها مع وضع المرأة عنده .

ومن الظلم حقا ان ننكر الادوار التي قام بها بعض المفكرين الاسلاميين للتوعية

والتنبيه على هذا المخطط ، ولدراسة النظام التربوي الاسلامي الخاص ومقارنته بالنظام التربوي الذي يراد من المرأة ان تسير نحره، وكشف الاقنعة الجميلة الحالية للوجه الكالح القاتم للمرأة في الغرب وكيف تحولت الى لعبة وآلة مطواع لخدمة اغراض الرجل المستغل .

مواقف متباينة :

ان حصيلة تلك المواجهة كانت متمثلة في مواقف متباينة للمرأة فمن موقف الانحراف التام مع التيار الغربي والابتعاد التام عن النور الى ظلمات الكفر وهن يحسبن - اي المنحرفات - انهن يحسن صنعاً الى موقف التقوقع والانعزال السقيم والعيش في قبو الجهل وظلمات البعد عن المفروض في حين وجدت النهضة الصحيحة طريقها الى قلوب البعض الواعي فمشين في طريق تعود بهن الى المفروض ويبعدهن عن مهاوي الضلال فسعين لطلب العلم بالحقيقة وقام البعض منهن بمهمة التوعية العامة.

اعتراف مرير :

والذي نريد ان نعترف به هنا هو ان الصنف الاخير لايشكل الا نسبة ضئيلة من النساء المسلمات - مع الاسف - في حين انضم السواد الاعظم الى النمطين الاولين.

كما ان مايجب أن نعترف به في هذا المجال هو الابواب الكبرى التي تفغر افواهها لتبتلع المرأة الاسلامية فتفودها افواجاً افواجا نحو الانحراف - ومن هذه الابواب : المجلات الخلاعية . والحفلات الصاخبة ووسائل الاعلام الاخرى التي تجلب المرأة اليها موحية لها انها تستطيع ان تتنفس في ظلها بملء رئتيها فاذا بها تنفتح من خلالها على عالم مغر يجرها الى الانحراف جراً .

وقد استعمل في هذا المجال كل ماتثير في المرأة عاطفتها وتطلعها الغريزي نحو الجمال والزينة لتركيز انحرافها .

وأصبحنا نجد المرأة المسلمة وهي لاتستغني عن الاستعانة بمثل تلك المجلات مثلا لتخطط لها مسيرتها من حيث اللباس والشكل والسلوك والتفكير ... نعم حتى التفكير . . باعتبار المسيرة التي يريدها والحلول التي تطرحها .

أمل يلح على تحقيقه :

ولئن كنا قد ركزنا على جانب القيم في حياة المرأة اليوم — فإن الأمل كبير بنهضة اسلامية في المجال بدأت تلوح بوادرها وسوف تسود نحو حسم للمرأة وللامة بعد ذلك .

وبوادر هذا الأمل الكبير تتمثل في :

أ — تزايد عدد المسلمات الواعيات لمسؤوليتهن واللاتي يحملن هم العمل لصالح الاسلام وبالتالي تزايد عدد الندوات النسائية التي تنشر ثالف خير رغم ضيق حدودها واهدافها .

ب — وجود بعض الدراسات الدقيقة التي تعرض اوضاع المرأة على ضوء الاسلام وتقارن بينه وبين الوضع المنحرف الذي اقتدت المرأة الحاضرة اليه .

ولكنا اذا أردنا أن نكون اكثر واقعية من هذا كان علينا ان ندرك ان هذا المستوى ان يكفى لتحقيق تلك النهضة الكبرى ما لم نعمل على توسيعه وتطعيمه بعناصر اكثر فعالية واتساعاً . ومما نقترحه في هذا السبيل :

أ — ان نعمل على ايجاد الوسائل الاعلامية الضخمة المختصة بهذا الجانب والتي تتوفر على امكانيات مسك ازمة التوجيه في مختلف النواحي وذلك لكي تقوم بقطع الصلة بين المرأة المسلمة والوسائل المشبوهة ولأخذ بيدها وتوجيهها على سلوك الطريق الافضل وتثقيفها بالثقافة الحقيقية .

ب — ان تقوم الجمعيات النسوية الاسلامية انطلاقاً من ان تشكل منظمة اسلامية نسوية تعمل على تحقيق هدف التوعية الاسلامية وتعقد المؤتمرات المحلية والعالمية التي تناقش فيها موقفها تجاه التطورات والمغريات الفاسدة والحلول التي وضعها الاسلام لمواجهة المشاكل المعترضة .

واخيرا فندعو المولى العلى القدير .. ان يوفق العاملين في هذا السبيل . ويهدى الجميع لاستماع القول واتباع احسنه .

انه هو السميع المجيب

«هيئة التحرير»

في رحاب الإمام الحسين

الشيخ محمد مهدي الآصفي

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

لكي نفهم الابعاد الحقيقية لثورة الحسين عليه السلام لابد ان نقف وقفة قصيرة عند الظروف السياسيه التي املت على الحسين عليه السلام هذه الحركه التي سجلها التاريخ وخلد ذكرها .

لا يعرف التاريخ ثورة غنية في محتواها، عميقة في دلالاتها وابعادها كالاسلام . فقد كان ظهور هذا الدين على وجه الارض انقلاباً شاملا وعميقا لكل المقاييس والمعايير الاجتماعية و... القيم والاعراف التي كانت تسود المجتمعات البشرية قبل الاسلام .

ولم تكن هذه الثورة من قبيل الثورات التي تزيح جهاز احاكما وتضع آخر مكانه ، ولا يتسع نطاقها الاكثر من انقلاب في الجهاز الحاكم وشكله. ...

يتناول هذا الدين كل شيء في هذا المجتمع واخضعه لمقاييسه وموازينه التي انزلها الله سبحانه وتعالى نورا وهدى في حياة الانسان .

وما تبع من هذا الانقلاب الشامل تغيير المراكز والمحاور والمواقع الاجتماعية ونزل الذين كانوا يحتلون القمم الاجتماعية ومراكز القوة في المجتمع الى الحضيض وتسلق المستضعفون الذين كانوا يخافون ان يتخطفهم الناس الى القمة . ذلك ان الرسالة الجديدة جاءت الى الناس بقيم جديدة من لدن رب العباد .

واسترجعت هذه الرسالة حق الحاكمية في حياة الانسان من الطواغيت الذين كانوا يحكمون في حياة الناس الى الله سبحانه وتعالى ، وسلبت هؤلاء الذين كانوا يشكلون المحاور الاساسية للحياة لحد ذاته كل الحقوق والميزات التي غدروها لانفسهم من غير حق .

وعلى نحو الاجمال فقد كانت الثورة التي قادها هذا الدين اعمق ثورة عرفها تاريخ البشرى ، وكفى أن تضع هذه الثورة ابا لهب الذي يعتبر قمة من قمم الجاهلية في الحضيض . وان يرفع من امر بلال وصهيب وسلمان وغيرهم من المستضعفين . ويكون سلمان من أهل بيت رسول الله ، وأبو لهب مطرودا من هذا البيت .

* * *

وهذا ما كان يترقبه أصحاب المراكز القوية في المجتمع الجاهلي منذ أوبده من امر هذه الرسالة يوم أعلن صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم دعوته قوية بكلمة لا اله الا الله .

فحشروا على مراكزهم ومصالحهم ومواقعهم الاجتماعية . وتصدوا لهذه الرسالة التي جاءت لتغير القيم وتبدل المراكز والمحاور والمفاهيم . وتريد ان تسلبهم مراكزهم القوية التي تمتعوا بها في المجتمع الجاهلي .

ولذلك كانت المواجهة لهذا الدين قوية وعنيفة من قبل هؤلاء وبلغ عنف هذه المقاومة ان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما اوذي نبي مثل ما اوذيت) .

ولكن مشيئة الله كانت فوق ارادتهم

ويد الله فوق ايديهم ، وانتصر هذا الدين وخفضت الرؤوس الشامخة ، وجرفهم التيار الذى قدر الله له ان يشق الطريق الى القلوب والعقول . . وكان من العبث الصمود بوجه التيار الذى جرف الجزيرة واخذ ينحدر الى خارج الجزيرة فرضخوا للامر الواقع واستسلموا وانجرفوا مع التيار ، ونزعهم عن مراكزهم ، وحدث تحول كبير وحدث انقلاب فى المراكز والمواقع والقيادات وفى كل شىء من الحياه الاجتماعية (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

ودخل هؤلاء فى الاسلام مرغمين ، وفى قلوبهم حسرة ، وفى نواياهم خبث ومكر لهذا الدين ، وانضموا الى جبهة المنافقين الذين كانوا يضمرون الحقد لهذا الدين ، الا انهم لم يجدوا بدا من الانضمام الى صفوف المسلمين ، فقد كان التيار اقوى من ان يصده هؤلاء .

ولكن فكرة واحدة بعثت فى نفوسهم اشراقة الامل ، وجعلتهم يعيشون أمل العودة الى مراكزهم والقضاء على هذا

الدين . فان كان لا يمكن صد هذا ا
والحيلولة بينه وبين القلوب والعقـ
فهلا يمكن تحريف مجرى التيار ؟

وكان هذا هو الامل الذى ساور
يوم أخذ الشيطان يوسوس فى نفوس
حقيقة ان التيار لا يمكن صده اذا
قوياً ولكن بشىء من الدهاء والحـ
يمكن تحريف مجراه بسهولة واستر
كل الحقوق والميزات التى كانوا يتمتع
بها من قبل باسم الدين ، ومصادرة
مكاسب الثورة ومنجزاتها باسم الثو
نفسها .

فان كان لا يمكن صد الثوره والتغ
عليها فانه يمكن احتواؤها والاسـ
عليها وتحريفها ، لتخدم مصالح نفـ
الطبقة التى كانت تتمتع بالسلـ
والقوة قبل ظهور هذا الدين
تفريغ هذا الدين من محتواه الالهـ
الاصيل ، وتحريفه عن مسيره الـ
اراده الله تعالى له . فباسم الدين
يمحى الاسلام، ومالا يمكن القضاء
بالقوة يمكن الاستيلاء عليه بالحيلة
وتلك كانت امنية المنافقين

كانوا يتربصون بهذا الدين الدوائر وواجه الاسلام فى هذه المرحلة اخطر مؤامرة يمكن انتهددوجود هذهالرسالة وسلامتها .

وقدحاول المشركون فى حياةصاحب الرسالة صلى الله عليهو آله القضاء على هذا الدين ، وباءت المحاولة بالفشل .

واستعاد المنافقون بعد فشل هذه المحاولة خيوط المحاولة من جديد ليعيدوها بصورة جديدة أخطر من ذى قبل وهى مصادرة مكاسب هذه الثورة ومنجزاتها وتفريغ هذا الدين من محتواه .

* * *

تلك كانت على وجه الاجمال والاختصار الظروف السياسية التى املت على الحسين عليه السلام موقفه الشجاع والحريص على هذه الرسالةوالذى نحيى ذكراه فى شهر محرم الحرام.

فقد وجد الحسين عليه السلام فى غمره الظروف السياسية اباسفيان يستعيدمكانته التى انتزعها من الاسلام على يد ابنه معوية بن ابى سفيان وحفيده يزيد بن معويه .

وان المراكز والمحاور والمواقع التى تغيرت فى ظل هذه الرسالة بفعل الانقلاب الكبير الذى احدثه الاسلام تكاد ان تعود الى وضعها الاول قبل ان يظهر الاسلام وفى حياة الناس .

وان القيم التى انشأتها هده الرسالة على انقاض القيم الجاهليةتكاد انتنزوى وتخرج من حياة الناس ، لتحل محلها نفس القيم الجاهلية التى قضى عليها الاسلام .

وان القيادة الاموية الجديدة تعمل على مصادرة كل المكاسب والمنجزات التى حققتها رسالة الله على وجه الارض فى غضون سنوات قليلة بفعل هذا الانقلاب الالهى المعجز .

وان حفيد ابى سفيان يستتبع من وراثه القيم والمفاهيم الجاهلية التى كانت تسند زعامة جده من قبل واخطر من هذا وذاك ان هذا كله يتم باسم الاسلام وتحت عنوان امارة المؤمنين وهذا هو موضع الخطر الحقيقى الذى احس به ابن على بن ابى طالب عليه السلام يومذاك .

* * *

ولم يكن هدف الحسين – عليه السلام – من حركته الشهيرة وموقفه الكبير في كربلاء القضاء على يزيد بن معاويه واستلام الحكم منه فقد كان كل شيء في الموقف يدل على أن الجيش الاموى سوف يخرج منصراً من المعركة ولم يكن امر ذلك يخفى على الحسين عليه السلام . وصرح بذلك هو عليه السلام في أكثر من موقع ، ونعى نفسه قبل ان يخرج من المدينة الى أصحابه وذويه .

ولكن الحسين عليه السلام كان يريد ان ينتزع شرعية الحكم من الحاكم الاموى الشاب الذى كان يحكم بطيش وجهل . لقد كان موضع الخطر الحقيقى في سلطان يزيد انه يحكم بالاسلام، ويتمتع بشرعية الحكم ، وكانت هذه الصفة الشرعية التى اكتسبها في غيبوبة من وعى الامة تسهل له مصادره كل مكاسب هذا الدين ومنجزاته ، وتحريفه، وتفريغه عن محتواه، وهو الخطر الذى أحسس به الحسين عليه السلام بوضوح وتكلمنا عنه قريباً .

وكان لابد من مصادرة مكانة يزيد نفسه ، وانتزاع شرعية الحكم والسلطان منه ، وتفويت هذه الفرصة الذه[illegible]

واذا تم تجريد الحاكم الاموى [illegible] هذه الصفة الشرعية التى حققتها [illegible] في غيبوبة من وعى الامة فلا يشكل يزيد بعد خطراً على الاسلام ، وليس [illegible] خطورة يزيد على هذا الدين عن خطر جده ابى سفيان يوم كان يعمل [illegible] للقضاء على هذا الدين .

فان المواجهة سوف تكون مع [illegible] الرسالة من امام ، ولن تقع المواجهة مع دين الله من امام .

* * *

وكان لابد من عمل شجاع وجرئ وسريع لتجريد يزيد بن معاويه من [illegible] الصفة الدينية التى اضفاها على نفسه و[illegible] لابد أيضا من عمل قوى لايقاظ الا[illegible] من غيبوبتها العجيبة ، وايقاف الامة [illegible] حقيقة الجهاز الحاكم ونواياه واهدا[illegible] وخطره على الاسلام .

ولم يجد الحسين عليه السلام [illegible] من التضحية بنفسه واخوانه وبنيه والخيرة من اصحابه في مواجهة قوية مع الجيش الاموى وذلك لانقاذ دين الله من الخطر الذى كان يحدق به .

واقدم الحسين عليه السلام واخوته وبنوه واصحابه على التضحية الفريدة على ضفاف الفرات فى كربلاء ، ورغم كل وسائل الاعلام التى استخدمها السلطان الاموى لتغطية حادث الطف فقد انعكست مأساة كربلاء على الامة بصورة قوية جادة ونبهت الامة من رقادها الطويل وهزتها من الاعماق . واستشعرت الامة أبعاد المأساة فى حزن وكآبة حيناً وفى انفجارات ثورية هنا وهناك حيناً آخر . وبهذا كله فقد حقق الحسين عليه السلام ما كان يريد من تفويت الفرصة على جهاز الحكم . فقد بقى يزيد حاكماً بعد استشهاد الحسين عليه السلام ، ولكنه حاكم مخلوع فى نظر الامة من القيمة الشرعية ، لاتعترف له الامة بشرعية الحكم وتثور هنا وهناك لتعزله عن الحكم المغصوب ، او تراقب تصرفاته واعماله فى سخط وغضب مكتومين .

* * *

ولم يخص مفعول هذه الثورة يزيد بن معاوية فقط فقد امتدت هذه الثورة شعارا يحمله اى مسلم عبر التاريخ للقضاء على أى طاغية يتحكم فى رقاب الناس . ويحكم بغير ما انزل الله تعالى.

واستمر شعار (يالثارات الحسين) شعارا حيا نابضا بالحياة والحركة بايدى المجاهدين الذين وقفوا فى التاريخ الاسلامى فى وجوه الطغاة والجبابره الذين اباحوا حرمات الله وانتهكوا الحقوق والحدود واستمر هذا الشعار ينتزع قناع الدين والشرع من الوجوه التى تتخذ من هذا القناع وسيلة للوصول الى مآربها السياسية والشخصية واداة للاستغلال والاستثمار غير الشرعيين فسلام الله عليك يا ابا عبد الله يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً .

أدمعٌ مذبوحةٌ أم تتكلم ...

في ذكرى إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمد علي التسخيري

ذكراك حلق في مداها الملهم امداً ... وعاد بما حوته يحلـــم
دنياً تمد لها الغيوب معالمـاً في رجعها الشفق المجرح يبسـم
أبداً تذوب الحادثات وتنطوى ولها على قمم الحوادث معلـم
ترد العصور معينها . . فتعبـه رغداً كما يحيي الفيافي زمـزم
وتسيـر للعليا بكل كـريمـــة وتظل توحي ـ للسـراة ـ وتلهـم

* * *

ذكراك ذكرى الهادفين متى دعوا للحق . . .رجوا عـزمهم وتضرموا
جفلت خيول الدهر الا انهم ابـدأ . . تظـل خيولهم تتقـدم
رفعوا القلوب على الاكف بعزمة غراء تشعلها الوغـى ، وتقحمـوا
ما الموت الا نسمة قـدسيـة تبقى الحياة بسـرهـا تتنسـم
والجرح الا جـدول متـدفـق غنى بـه طيف الكرائم لا الـدم

* * *

الظلم مد على البطاح ذيولـه ومضى بكـل شؤونها يتحكم
وتواثب الكفر الصريح على الهدى يغتال نبـت حقـولـه ويهشـم

وتنهد الأفق الحبيس: متى الضحى ... يرنو ؟ فيصحو من سناه النوم
ماتت عروقهم ومجهم السهى ... ومضت صروح وحودهم تتهدم
والليل شاب ولم يجد غير الونى ... وكانه فيهم قصاء مبرم
كم صرخة ضجت تهز عروقهم ... كى ينهضوا من نومهم وهم هم
مات الحفاظ ، وهومت امجادهم ... وعفت ولم تنفع هنالك لوَّم
فبعثت اعصار الفدى تدعوهم ... كى ينهضوا ويحاسبوا ويصمموا

* * *

عفواً أبا الشهداء هذى أدمع ... مذبوحة ولو انها تتكلم
لله ! سرك غاص فى أعماقنا ... فلكل جرح غائر هو بلسم
ولكل عين عبرة وتألم ... وبكل قلب من لظاه مأتم
قدمت أغلى ما ملكت فعالم ... للتضحيات امامنا يتجسم
حتى اذا وفيت دينك حقه ... وبنيت مجداً بالنجوم يطعم
ركع الخلود على وريدك يلثم ... ومضت تهاوى دون رأسك انجم

* * *

ماج الفضاء ورنحت أبعاده ... وتكورت سحب الظلام تدمدم
وتساءلت دنيا الحقيقة مابها ؟ ... فأجاب سائلها نداء مبهم
هيا انظرى. . . فتلفتت. .فاذا بها ... تحد البتول وفى حماها مريم
جلست ..وحركت الحجارة والقنا ... فبدا لناظرها الشهيد المسلم
«فهوت لتلثمه فلم تر موضعاً ... لم يدمه حر السيوف فتلثم»

مسيرة التقدم البشري بين الاسلام و المسيحية

السيد هادي الخسروشاهي

متى وأين وجد الدين؟ :

ان تاريخ ظهور الدين ـ كظاهرة غير مادية ـ على ظهر هذا الكوكب يرجع الى تاريخ وجود الانسان نفسه .

وهو ـ كما يقول العلماء الاوروبيون ـ البعد الرابع للروح الانسانية ، اذ أن مفهوم الالوهية هو المفهوم الرابع المستقل المتمم للمفاهيم الثلاثة الأخرى : الصدق، والجمال ، والاستقامة (١) النابعة من النفس والقائمة في لا شعور بني الانسان .

وان كل محاولة للبحث عن كيف ومتى وجدت الاديان الاولى ـ والذي أشار القرآن الكريم الى بعضها ـ سوف تكون أمراً في منتهى الصعوبة ـ شأنها في ذلك شأن جميع مسائل ما قبل التاريخ ـ بل قد تنتهي بالفشل .

يقول : ((جان . ر . ايورث))(٢) استاذ جامعة كولومبيا في هذا الصدد :

«لن تستطيع العثور عند أي امة من الامم على مدنية أو ثقافة لاترجع في اساسها الى دين من الاديان .

أن جذور الدين قد امتدت في أعماق التاريخ الى أبعد بكثير مما استطاع الانسان ادراكه والوصول اليه .

وبأى شكل من الاشكال حاولنا البحث فى القضايا الدينية سوف نجد ان الدين كان موجوداً فى الماضى كما هو موجود فعلا ولا شك فى انه سوف يوجد فى المستقبل». (٣)

ماهو الدين ؟ :

الدين فى مفهومنا هو توجيه البشرية الى الحياة الراقية السعيدة . وارشادها الى طريق الخلاص، وهو توجه الى العبادة والدعاء لاشباع الجانب الروحى المادى معاً .

أما فى مفهوم الماديين فهو رد فعل فى مقابل المجهولات والخوف . وهو انتظار حياة أفضل فى عالم الخيال ! (٤)

وهم عندما يواجهون بدين كالدين الاسلامى اشتمل على قوانين سياسية واجتماعية خاصة ، وبنى حضارة ومدنيات عظيمة وأنشأ سلطات مهمة استطاعت تسيير شؤون الامة على أكمل وجه ـ فانهم يضطرون الى تفسير الدين بأنه ظاهرة مادية ناشئة عن وضع اقتصادى خاص (٥) . ودين الاشتراكيين هذا ليس ببعيد الشبه عن اشتراكيتهم الخيالية فليس غريباً اذن أن نسميه (بالدين الخيالى) .

وليس بين هذا الدين الخيالى وبين الدين الذى نحن بصدد البحث فيه أى وجه شبه . لان الدين موضوع بحثنا هو ـ كما اسلفنا ـ ظاهرة غير مادية ونوع من النظم الاجتماعية ، وهو ذو وجود فطرى وضرورة تاريخية لا غنى للمجتمع البشرى عنها، اذ بدونها سوف تختل الحياة البشرية وتفقد سعادتها واطمئنانها .

و الدين الذى هو موضوع بحثنا هو المرحلة النهائية والمتكاملة للاديان والشرائع المختلفة التى ظهرت على وجه الارض منذ بدء ظهور البشرية . وهو الدين الذى بلغ مرحلة الكمال من قبل الله سبحانه وارتضاه لعباده منهاجاً يسيرون عليه . وهو الاسلام . قال تعالى :

«اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً»(٦) وقال تعالى :

«ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»(٧) ان هذا الدين الذى هو المرحلة المتكاملة للاديان السابقة والذى يضمن للبشرية

سعادتها وراحتها المادية والمعنوية هو ما يمكن ان نطلق عليه اصطلاحاً اسم ((الدين العلمي)). والذى سيصبح ((بالضرورة التاريخية)) بمقتضى وعد الله تعالى ديناً عالمياً تدين به البشرية جمعاء. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك صريحاً فى قوله تعالى:

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»(٨)

أديان العالم الحالية:

ان أشهر الأديان والمذاهب الموجودة فى عصرنا الحاضر هى شرائع كل من: بودا - جيبى، هندو. كنفوشيوس. لاوتسه، شيتو. وأديان: الزردشتية، واليهودية والمسيحية، والاسلام (١).

والاسلام - طبعاً - لا يعترف بشرعية هذه الأديان كلها، ولا يرى منها اديان سماوية الا اليهودية والمسيحية، وعلى قول الزردشتية وما سواها ليس الا شكلا من أشكال الوثنية لا يمكن أعتبارها سماوية بحال من الأحوال. بل هى ناشئة عن مجموعة من الفلسفات اليونانية والشرقية وجدت بواسطة مرتاضين وفلاسفة ورجال كان لهم شأن لدى اممهم.

ولكل واحد من هذه المذاهب فى عصرنا الحاضر اتباع كثيرون ربما تجاوز مئات الملايين من البشر.

الا أنها بسبب نقصها من جميع الجوانب أصبحت غير صالحة للوفاء باحتياجات عالمنا المعاصر ولا يمكن له ان يتقبلها. ولهذا فهى تسير بسرعة نحو هاوية السقوط والانحطاط.

وهذا هو ما دفع بالمسيحية (المنحرفة) لاستغلال الموقف ومحاولة جذب اليها - خصوصاً اتباع هذه المذاهب والديانات - بشتى وسائل الدعاية والاعلام.

وليس اهتمامها بانشاء المستشفيات والمدارس والجامعات فى مختلف انحاء العالم الا واحداً من أساليب الدعاية التى تستهدف تحويل الناس عن وثنيهم الى

يعيشونها الى الشرك والتثليث المزعوم . هذا الى حسب مختلف الاساليب الخداعة التى اتبعوها فى هذا السبيل .

وعلى مر العصور جاء من قبل الله سبحانه انبياء كثيرون ، وجاءت اديان ومذاهب مختلفة كانت كلها تهدف الى هداية البشر .

ومع مرور القرون والاعصار ـ ولما تقتضيه طبيعة ترقي فكر الانسان ـ كان لابد من نسخ تلك الأديان واحدا بعد الآخر والغاء دين قديم لتحل محله دين جديد يتلاءم مع عقلية الانسان المترقية .

كان آخر هذه الاديان السماوية وأكملها على الاطلاق هو الدين الاسلامى بما تقوم عليه من أساس التوحيد وبما يحتوى عليه من رسالة سماوية ، عنيه لكى ما يضمن لها الخلود من وسائل المرونة ومنها فتح باب الاجتهادفى القضايا المعاصرة والامور التى تحتاجها الشعوب والذى سوف يحمل معه دائماأعلام الفخروالاعتزاز على مر التاريخ .

ان الأديان والمذاهب الاخرى الموجودة فى عصرنا الحاضر سماوية كانت أو غير سماوية لن تستطيع البقاء ولا التقدم بسبب وجود نواقص وتحريفات لا تجبر .

لكن المسيحية (المحرفه والمتلاعب بها) ـ بسبب ما فيها من أساليب الدعاية والاعلام وتأييد أكثر الحكومات والدول الاستعمارية لها . وما تبذله من جهود جبارة فى جميع أنحاء العالم ـ استطاعت الحفاظ على وجودها حتى الآن . وهى مع ذلك كانت ولا تزال جادة فى محاربة الاسلام بشتى الوسائل والطرق اللاأخلاقية ، والبعيدة عن منطق العقل والفكر .

فيمكن القول اذن ان فى العالم اليوم دينين اثنين فقط يتسارعان البقاء والسلطة خصوصاً فى قارتى آسيا وأفريقيا .

ونحن فى بحثنا المختصر هذا نود ان نقيم كل واحد منهما من وجهة نظر تاريخية . ثم نعمل بعد ذلك على تقييم ما يعود من كل منهما على البشرية لكى نرى

من ثم ان المسيحية ـ مع مالها من التاريخ والسوابق المعلومة ـ هل هي قادر
على قياده البشرية ؟ أم أن الاسلام فقط هو الذى سوف يعود البشرية الى شاطئ
الأمان ويدير جميع شؤونها الحياتيه .

ظهور المسيح (ع) :

غيَّر اليهود دين موسى (ع) وعملوا على اظهاره للناس بصوره جافة وجامدة
ونشروا في أوساط الشعب روح الماديه .

حتى استفحل الامر وبلغ السيل الزبى ولم يبق مجال للفرار والعوده الى
الخط السليم .

وفي مثل هذه الظروف بالذات أرسل الله سبحانه نبيه الطاهر المسيح عيسى
بن مريم عليه السلام يحمله رسالة الاصلاح للبشرية ويأمره بالقضاء على الجهل
المادى اليهودى المنحط وتحطيمه .

لذلك . . . لم يكن له (ع) همّ الا تهذيب النفوس وتطهيرها من كل ما يشوبها
من دنس .

وقد استطاع (ع) ـ وكان نفسه مظهر الصفاء والطهاره ـ بمعونة الله سبحانه
ان ينجي البشرية من اقذار المادية اليهودية وادرانها .

غير انه حيث لم يكن للمسيحية اصول وقوانين تعمل على حل المسائل الاجتماعية
أو السياسية للمجتمع فلم تكن السلطات الكنسية تتدخل في الشؤون السياسية
الحكومية بل والاجتماعية .

واستمر الحال بهذا النحو حتى سنه ٧٥٦م. عندما جعل امبراطور فرنسا قسماً
من الاراضي تحت تصرف البابا . ثم اضيفت اليها بعد ذلك اراض جديده ، فكان
ذلك بدء سلطان الكنيسة وجلالها ، وجبروت السلطات الكنسية وعلى رأسها البابا .

وحينما أصبحت الكنيسة قوية من الوجهة المادية أخذت تتدخل في الامور
السياسية والاجتماعية والاقتصادية لاوروبا من أجل المحافظة على قدرتها المالية
والاقتصادية وخرجت من عزلتها السابقة جاعلة وراء ظهرها كل تعاليم الزهد والتقشف

التي كان يأمر بها المسيح (ع).

وكان دخول الكنيسة الى معترك السياسة ـ وهي تفتقر الى القوانين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ـ وعدم اهتمامها بما سوى كسب النفوذ والنفوذ سببا في بروز الصراع بينها وبين رجال السياسه.

يقول «البير مالة» في هذا الصدد :

«... منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر وقعت بين البابا والاباطرة الذين اعتلوا عرش الحكم حروب شعواء : كان سببها طموح كل منهما الى فرض سيطرته الكاملة على جميع أوروبا المسيحية». (١٠)

حكومة الكنيسة :

أظهرت الكنيسة نفسها على انها المظهر الكامل والممثل الحقيقي لروحانيه السيد المسيح (ع) وتسامحه : فاتجه اتباع المسيح ومحبوه نحوها . ويعاضدوا معها . وأيدوها بكل ما يستطيعون . وخصوصا الطبقات المحرومة والفقيرة . والتي كانت تعد ان الاباء الروحيين لا يعملون الا لمصلحتها . ولا يقفون في وجه السلطان الحاكم الا من أجل راحتها واطمئنانها .

لكنهم عندما تبين لهم أن رأس مصالح الكنيسة ـ ولو على حساب مصالحهم ـ كان يكفي ليس لامتناعها عن محاربة السلطان وحسب بل وكان دافعا لها الى التعاون معها ـ عندما رأوا ذلك ـ تغيرت نظرتهم اليها وحل الحقد والسخط في قلوبهم محل الحب والاخلاص لها فأدى ذلك الى انهيارها بشكل لم يسبق له مثيل .

وبسبب الصراع على السلطة والدور وقع لكثير أكثر من عشرة اشخاص من الملوك والعظماء في فرنسا والمانيا بواسطة الباباوات مما أدى الى خلعهم وسقوطهم واعلان تويتهم !

فمثلا في سنة ١٠٧٥ كفّر البابا «غريغوري السابع» الملك «هنري الرابع» ملك المانيا المجرد أنه لم يعمل بأوامره (١١) وجاء في قرار التكفير قول البابا :

«... انني باسم الله المتعال الأب الابن والروح القدس اخلع الملك المتمرد

والمتكبر عن حكومتي ألمانيا وايطاليا لانه لم يحترم الكنيسة » .

وقد وصل الحال بالملك «هنري الرابع» الى أنه اضطر الى ان يعلن التوبة ويطلـ التشرف بمقابلة البابا . . وبعد انتظار دام ثلاثة أيام، سمح له البابا بمقابلته وقـ منه التوبة ! .

وفي سنة ١٠٩٤ م حكم البابا «اوربين الثاني» بالكفر على الملك «فيليـ الاول» .

وفي سنة ١١٤٠ م كفر البابا «اينوسان الثاني» الملك «لويس السابع» .

وفي سنة ١٢٠٥ م وقع خلاف بين «الملك جان» ملك انكلتره والبابا «اينوسا الثالث» حول من ينبغي ان يسلم زمام الامور في «كانتربري» ، فشن الملك حـ حملة ضد الاساقفة ، دفعت البابا الى اصدار قرار بتكفيره ؛ فاضطر الملك بعد فتر قصيرة الى ان يكتب المنشور التالي :

« اخبرنا ملاك الغيب بأن على دولتي انكلترة وايرلندا أن تخضعا للسيـ المسيح وحوارييه وخلفائه الكاثوليكيين .

ونحن منذ الان سوف نكون حكاماً للدولتين المذكورتين بالنيابة عـ قداسة البابا والاباء الروحيين .

وقد استقر رأينا على تقديم ألف ليرة فضية انكليزية كل سنة ندفعـ على قسطين للاباء الروحيين في روما . وكل من يخالف ما جاء في هذا المنشو منا أو من احفادنا سوف يحرم من المملكة » . (١٢)

محاكم التفتيش وآثارها :

أخذت الكنيسة ـ مستندة الى قدرتها المقدسة ـ في اصدار أحكام التحـر والتكفير والاعدام ، وامضاء صكوك الغفران والحرمان من الجنة وأصبحت الحاكـ المطلق على أوربا لا ينازعها في ذلك منازع .

واستطاعت بمساعدة «محاكم التفتيش» (١٣) ان تقف في وجه جميع الفئا والقضاء على كل من يخالف أوامرها أو يقف في وجهها .

يقول «مارسل كاشن» فى كتابه «العلم والدين» :

((فى هذا العهد «عهد الكنيسة» تم القضاء على خمسة ملايين شخص بالتعليق على المشانق أو الحبس حتى الموت فى زنزانات رطبة ومظلمة تحت الارض .

وفى ما بين سنة ١٤٨١ م و ١٤٩٩ م تعرض فى مدة ١٨ سنة تم احراق ١٠٢٢٠ شخصاً فى حال الحياة ! وتقطيع ٦٨٦٠ شخصا !

وتعذيب٩٧٠٢٣حتى الموت كل ذلك تنفيذاً لاوامر محاكم التفتيش)).(١٤)

الحروب الصليبية :

استغلت الكنيسة نفوذها وقدرتها أسوأ استغلال عندما جاءت لمحاربة المسلمين ـ بحجة انها تريد خلاص بيت المقدس ـ وأراقت الدماء البريئة بشكل وحشى لم يسبق له مثيل .

وقد عرفت هذه الحروب ـ وكانت ثمانية ـ بالحروب الصليبية .

وكان وقوعها فيما بين سنتى ١٠٩٥ م . و ١٢٧٠ م .

ولم تتمكن الكنيسة خلالها الا من تحقيق أمر واحد فقط ، وهو القتل الوحشى واراقة الدماء بلا رحمة حتى للنساء والأطفال (١٥) .

كتب احد المبشرين المسيحيين فى رسالة له الى البابا يقول :

((اذا كنت تريد أن تعرف المعاملة التى لقيها اعداؤنا فى بيت المقدس فيكفى أن تعلم أن أصحابنا كانوا يخوضون فى بحر من الدماء داخل الهيكل حتى الركب . . ولم يستطع أحد من الكفار (المسلمين) الخروج سالما . ولم نعف عن أحد حتى النساء والأطفال)).(١٦)

وفى أسبانيا أيضاً ـ حيث أسس المسلمون مدنية عظيمة ووصلوا بالبلاد وبأهل المسلمين الى درجة عالية من الرقى والتقدم ـ أصدر القساوسة والآباء الروحيون فتوى ـ لا يبررها الا الجهل والتعصب الاعمى ـ تقضى بوجوب قتل جميع المسلمين

دون تمييز بين الرجال والنساء والكبار والصغار .

ثم أصدر «فيليب الثاني» ـ بأمر البابا أمراً مؤسفاً آخر يقضي بطرد جميع المسلمين من أسبانيا . . وقبل أن يتمكن المسلمون من الفرار والنجاة بأنفسهم تم القضاء على ثلاثة أرباعهم بأمر الكنيسة . . والذين استطاعوا النجاة من الموت أصدرت في حقهم محاكم التفتيش أحكاماً بالاعدام .

وبعد «فيليب الثاني» وفي زمان حكومة «فرديناند» «شارل الخامس» عاش المسلمون في ضيق واضطهاد شديدين .

وقد تم القضاء خلال هذه المدة على ثلاثة ملايين مسلم دون مبرر الا جهل الكنيسة وتعصبها . (١٧)

النهضة :

في أواخر القرون الوسطى ، وعلى اثر ظهور المصانع والمؤسسات الصناعية واتصال الشعوب المختلفة بعضها بالبعض الاخر ، ـ وترجمة الآثار الفكرية للامم الاسلامية ونشرها في أوروبا ـ (١٨) ، حدث تحول وتبدل في جميع شؤون الناس الحياتية . وكان هذا العصر جديراً باسم ((عصر الصناعة)) الذي سمي به .

وكان تفتح أعين الناس وادراكهم لما يدور حولهم ، وما يراد بهم بعد عهود طويلة من الجهل والظلام ، سبباً في اضمحلال نفوذ الكنيسة وزوال قدرتها ونفوذها وتفرق الناس عنها ليتوجهوا بكل امكانيتهم نحو العلوم الجديدة والصناعة والاختراع .

ومن المضحك جداً أن يجعل المسيحيون عصور الظلام هذه عصور ظلام للعالم الاسلامي ، في حين يقول الفليسوف الانكليزي «برتراند راسل» :

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش حياة وحشية جداً وصلت المدنية الى أوج عظمتها في الصين والدول الاسلامية . . غير أن الاوربيين ـ وبكل وقاحة ـ يسمون هذه العصور عصور الظلام في الوقت الذي لم يكن الظلام فيه يخيم الا على أوروبا وحدها ، أو فقل على أوروبا المسيحية فقط

لان اسبانيا - وهي اوروبية - كانت تملك ثقافة ومدنية مشرقتين ؛ وما ذلك الا لانها كانت تحت سيطره المسلمين . (١٩)

وكيف كان فان الكنيسة لم تستطيع بقوتها وجبروتها ادامة سلطنها العاشمة بعد ان ابتعد عنها العلماء والمفكرون أولا ثم تبعهم عامة الشعب . .

واستمرت أوروبا في تقدمها في جميع الميادين خصوصا في الميدان الاقتصادي. وكان من نتيجة ذلك ظهور طبقتين متضادتين: احداهما طبقة البرجوازيين . والأخرى طبقة العمال . . ولما كانت الكنيسة قد اعتادت الاعتماد على منبع القوه والثروة ، فقد انحازت الى جانب البرجوازيين والرأسماليين وأصبحت بذلك أبعد ما تكون عن الطبقات الاصيلة في المجتمع .

ولقد كان نزاع الكنيسة مع رجال السياسة حول القدره والثروة وعداؤها للعلم والفكر الحديد .. وابتعادها عن طبقة العمال والمحرومين . . سببا في انزوائها واشتهار ان الدين والعلم عدوان وان رجال الدين يدافعون عن الرأسماليين وأصحاب النقود .

ولو أن الكنيسة افاقت من غفلتها قبل هذا الوقت الاستطاعت ان تغسل عن الدين ما علق به من ادران وما اثيرت حوله من شبهات كانت هي سببها . ولكن التاريخ يحدثنا ان الكنيسة ليس فقط لم تفق من غفلتها بل هي قد استمرت - ولا تزال - سادرة في غيها تعمل على خلاف ما تقتضيه مصالح الشعوب الضعيفة والمحرومة.

الكنيسة في القرن الحديثة :

لا زال البابا والكنيسة حتى القرون الجديده - أي ما بعد القرون الوسطى - تحت نفوذ وسيطرة الملوك والحكام فمثلا يتحدث ((البير ماله)) عن اثر المعاهدة التي عقدت بين الملك ((فرانسوا الاول)) والبابا ((ليون العاشر)) في سنة ١٥١٦ م . فيقول:

قدم الملك للبابا مبالغ طائلة من المال وأعطاه البابا حق تعيين الموظفين في الوظائف المدنيه والكنسية فوزعها الملك على جماعه ممن يتقربون اليه من غير الكهنوت من الرجال والنساء ، بل وعلى جماعة من الفرسان .

أما القساوسة والرهبان فقد عاش الكثيـرون منهم فـي جوار الملك وأصبحوا من حاشيته ، ووصل عدة منهم الى رتبة المستشارين السياسيين بينما انخرط آخرون منهم في صفوف العسكريين . (٢٠)

وفيما كتبه (ادوارد ديبرو) زعيم الحزب المنشق عـن الحـزب الاشتراكي الفرنسي في كتابه (تجديد الاشتراكية) خير دليل على صحة ما قلناه فقد كتب يقول:

هناك شواهد تاريخية كثيرة تدل على ان الديمقـراطية والجمهورية في فرنسا كانتا توأمين ، وان الديمقراطية لم تكن لها وجود قبـل أن توحد الجمهورية .

وكانت الكنيـسة الكاثوليـكية في فرنسا ـ طـوال سنـين متمادية قبل الجمهورية ـ قد ربطت نفسها بالسلطة برباط وثيق متناسية كل الطبقات الاخرى مما جعل آمال الناس جريحة وزادمن حقدهم عليها ودفـع بالمزارعين والقرويين في كثير من القرى والارياف الى العمل ـ بكل ما يستطيعون من قوة على بسط ونشر نفوذ الجمهورية رغماً عن الاقطاعيين المؤيدين من قبل الكنيسة..

ان الطريق الى حل المسألة هي ان يتخذ الدين طابع عدم الانحياز(٢١)

نعم ان التاريخ يحدثنا بأن اعمال الكنيسة نفوذها وقدرتها ضد الشعب والامة لم يقتصر على القرون الوسطى وحسب بل كان ذلك أيضاً في الايام الاولى لقيام البرجوازية ، وفي الايام الاولى لنهضتها اي فيما قبل عصر النهضة (Renaissance) بقليل ، في القرون الحديثة أيضاً لاتزال الكنيسة عاملا من أهم عوامل الجهل وسفك الدماء والتنافي المزعوم فيما بين الدين والعلم .

وقد وقفت الكنيسة الكاثوليكية طوال هذه العهود في صف اللاوطنيين وضد عـامة الشعب، والطبـقات المثقـفة ، وحكـمت على آلاف الاشخاص منهم بالحبس والاعدام . وكان هذا سبباً دفع بالبعض الى أن يقول بصراحة : (٢٢)

كان الدين دائـماً آلة في أيـدى الطبقة القوية تستغلها فـي استعمار

الطبقات الادنى . وكانت المسبحة والصليب والحربة على الدوام تتحرك في اتجاه واحد وتعمل لهدف واحد.(٢٣)

وليس من شك في ان ثمة ديناً كان دائماً في صف الطغاة والظالمين ضد طبقات المجتمع المحرومة . وأنه كان (افيون الشعوب وآلة في يد الرجعية والاستعمار) . وهو دين الكنيسة الذى لم يحمل تاريخه ـ ومع كل أسف ـ سوى الفضيحة والعار .

والمسألة الجديرة بالاهتمام هى أنه اذا كان الصليب والحربه توأمين في اوربا والدول المسيحية وكانا يعملان معاً ضد مصلحة الشعوب المكافحة فما هو ذنب الاسلام!؟

ولماذا جعلت المسبحة توأماً للصليب ! ؟

اذا كنا ممن ينصف الدين والحق فعلينا أن نعترف بما يقره التاريخ ويعترف به من ان تاريخ الاسلام لم يكن في وقت من الاوقات بهذه الصفات .(٢٤)

ونحن اذا لاحظنا تعاليم الديانة الاسلامية وجدناها تدعو الى تحصيل العلوم ـ بدلا من محاربتها ـ وتلزم بوجوب الجهاد ضد كل انواع الجور والظلم والطغيان، كما تلزم المسلمين بالجهاد في سبيل استرداد حقوقهم المشروعة .

والاحداث كلها تثبت انه ليس بين الاسلام والمسيحية (المحرفة) اى نقطة التقاء لا من وجهة النظر التاريخية ، ولا من وجهة النظر السلوكية . . ولكن ـ مع كل أسف ـ كان وضع الكنيسة وسلوكها سبباً في أن ينظر الناس ـ كل الناس ـ خصوصاً الطبقات المثقفة الى الدين ـ عامة ـ نظرة الحقد والكراهية ، ويعملوا بكل ما أوتوا من قوة على محاربته .

ولم يكن سلوك الكنيسة اللاوطني ـ هذا ـ منحصراً في فرنسا وألمانيا وانكلترا وايطاليا و . . بل تعداها الى غيرها من الدول ، فروسية القيصرية مثلا كانت تعاني من نفس الوضع وكان هذا من أهم العوامل التي ساعدت على نجاح الشيوعيين هناك. يقول (فردوف) :

كان «تزار» رئيس الكنيسة الارثوذكسية ، فكانت هى كنيسة الدولة

الرسمية ، وكانت جزءاً لا يتجزأ منها ، وكان الاساقفة والقساوسة يأخذون مرتبات من الدولة في مقابل أوامرها . ولم يكن أحد يستطيع الدخول في مدرسة أو الاشتغال بعمل اذا لم يحصل على رضا الكنيسة ويأخذ توصيةمنها .

وكانت الكنيسة تتخذ من الاعتراف وسيلة للتجسس على افرادالشعب فتطلع الدولة على شأن كل من اعترف لديها بما يشعر بميله الى القول بحرية التفكير أو انهيحمل آراء سياسية مخالفة لآراء الدولة .

وهكذا فقد كانت الكنيسة «تزارية» وكان رجال الدين رجال شرطة في لباس الرهبان . (٢٥)

ثم يبين «فردون» أوضاع الكنيسة الروسية وقسيسيها فيقول :

كانت الكنيسة في روسيا القيصرية«التزارية»تملكما لا يعد ولايحصى من الاموال المنقولة وغير المنقولة ؛ حتى بلغت أملاكها الخاصة ملايين الهكتارات من الاراضي وبلغت ودايعها في المصارف والبنوك مئات الملايين من الروبلات الذهبية .

وكانت الكنيسة والمعابد الاخرى تستغل مساحات شاسعة من الغابات والمراعي كما كانت لها موارد عظيمة من صيد الاسماك والتجارة والصناعة وغيرها .

وفي الوقت الذي كانت الكنيسة فيه من اكبر الرأسماليين وملاكي الاراضي وأصحاب المصارف في روسيا كانت تستثمر الفلاحين بأشكال خالية عن الشفقة والرحمة وكانت جهود العمال من أجل تحسين أوضاع عملهم تذهب ادراج الرياح حتى بلغ من غضب العمال والفلاحين ، وحقدهم على الكنيسة ان سموا العاملين بها «مؤيدي العبودية والاستغلال في لباس الكهنوت» (٢٦)

لقد كان اسلوب الكنيسة غير الوطني ، والمعتمد على القهر والاجبار دريعة لمحاربة زعماء الشيوعية للدين حرباً لا هوادة فيها . وان يسموه «افيون الشعوب»، وان يعرفه«لينين»تبعا لماركس بأنه الآلة التي يستعملها البرجوازيون والرأسماليون

لاستثمار الطبقة العاملة :

ان أساس نظرية الماركسية حول الدين هي قول ماركس المعروف «الدين أفيون الشعوب» . ويرى اتباع ماركس أن جميع وكل المراكز والمجامع الدينية ماهي الا آلات يستغلها الرأسماليون في سبيل استثمار طبقة العمال (٢٧)

هذا بالاضافة للاهداف السياسية الاخرى . للبحث صلة

مصادر هذا البحث

(١) راجع مقال (Tahneguy-de Quenetain) ترجمة «المهندس بياني مكتب تشيع السنة الاولى صفحة ـ ٢٨٣ .

(٢) (John . R . Evereth)

(٣) «مذهب در آزمايشها ورويدادهاى زندگى بشر» ترجمة «مهدى قائنى» طبع طهران صفحه ـ ٩ .

(٤) تاريخ الاديان «هاشم رضى» . و «نگهبانان سحر وافسون» صفحه ١٢ ـ ٣٠ .

(٥) «عرفان‌واصول‌مادى» «للدكتور آرابى» من ١٥ - ١٦ . و «نگهبانان‌سحروافسون» صفحه ٣١ - ٦٦ .

(٦) المائدة ٣ . (٧) آل عمران - ٨٥ .

(٨) الصف - ٩ والايتان ٢٢ - ٢٢ فى سورة التوبة بنفس المضمون .

(٩) راجع «تاريخ الاديان» للدكتور «علي‌أكبر ترابى» . و «سرگذشت دينهاى بزرگ» «حورف عوير» ترجمة «ايرج پرشك نيا»).

(١٠) تاريخ «البير ماله» المجلد الثالث «القرون الوسطى» ، ترجمة «عبد الحسين‌هجير» صفحه ٢٤ .

(١١) تاريخ «البير ماله» المجلد الثالث صفحه ٢٤٧ .

(١٢) تاريخ «البير ماله» . و «تحولات اجتماعى» تأليف «مرتضى راوندى» مجلد ٢ طهران

(١٣) (Inguisition) .

(۱٤) «تاریخ تحولات اجتماعی» المجلد ۲ صفحه ۱٤۳ .

(۱۵) راجع «تاریخ تحولات اجتماعی» . وکتاب «جنگهای صلیبی» تألیف محمد رشاد

(۱٦و۱۷) «تاریخ تحولات اجتماعی» مجلد ۲ طبع طهران .

(۱۸) مجلة «الهلال» الباکستانیة عدد - ۱۲ مقال «برتراند راسل» نظرة فی یقظة الشرق. وقد اعترف بهراسل فی کتابه «تاریخ الفلسفه الغربیة» ص۴۱۹. راجع کتاب «جاذبیة الاسلام» «chasm of Islam» صفحه ۲ طبع باکستان .

(۱۹) تاریخ «البیر ماله» «القرون الحدیثة» مجلد ٤ ترجمة الدکتور «سید فخرالدین شادمان» صفحة ۱۰۷ و ۱۰۸ .

(۲۰) «تجدید الاشتراکیة» ترجمة خلیل ملکی . «الاشتراکیة والدین» . «العلم والحیاة» الکتاب الثانی صفحه ۵۹ . الدورة السادسه .

(۲۱) «تاریخ تحولات اجتماعی» المجلد ۳ صفحه ۳۸ فما بعدها .

(۲۲) «تاریخ تحولات اجتماعی» مجلد ۳ صفحه ٤۹ .

(۲۳) راجع الفصل الاول من کتاب «العدالة الاجتماعیة فی الاسلام» تحت عنوان «الدین والمجتمع من المسیحیة والاسلام» صفحه ۲۸ الی ٦۰ .

(۲٤) «الدین فی الاتحاد السوفیاتی» تألیف «س . فردوف» ترجمة «عباس باقری» طبع طهران صفحه ـ ۳

(۲۵) «الدین فی الاتحاد السوفیاتی» صفحه ۷ .

(۲٦) لینین «نظریة حزب العمال حول الدین» سنه ۱۹۰۹ م .

مشكلة نقل القلوب

الدكتور حمزة ابوبكر

نشرت مجلة العالم الاسلامي في عددها الثالث من العام الجاري صفحة ٢١ مقالة مفيدة للسيد الفاضل أحمد حسين يعرض فيها مسألة نقل القلوب والقلوب الصناعية أرى من الواجب علي ـ ان لم يكن ذلك مني تجاسراً ـ أن ألحق بها بعض الملاحظات تتعلق بنقل القلوب الذي أحدث ثوره في عالم الطب اعتباراً للمقالات التي نشرتها الجرائد والمجلات العالمية ومفاوضات المؤتمرات العديدة التي انعقدت للبحث في هذه المشكلة في عواصم امريكا وأوربا من جهة اخرى بالنسبة للدعاية الصاخبة التي صاحبتها والتي لم تزل أصداؤها تدوي الى الان .

فمما لا يخفى على أي مؤمن ذي بال أن تلك المشكلة العصرية لها أهمية كبرى من ناحية العلم والدين وأنها لذلك تهم الاسلام بصفة خاصة لاسباب شتى . فمن واجب علماء الاسلام أن يرشدوا اخوانهم في الدين بنظرهم في تلك العملية المدهشة في ظواهرها ومعانيها حتى لا يغتر بها من لا خبرة له بحقيقة تلك العملية أو يعطي للحضارة المادية قدراً فوق قدرها .

والحق الذي لا غبار عليه هو أن الاسلام دين وشريعة كما هو أيضاً مدنية وثقافة

أو بعبارة اخرى حياة روحية وعلوم متنوعة واسعة الميادين عـميقة الابحاث العقليـه والنقلية والتجربية وأن الأطباء المعاصرين مهما كانت ديانتهم وجنسيتهم يعترفون بأن أطباء الاسلام كانوا لهم أساتذة . هذا من جهه ومن جهة اخرى أن الشرع الاسلامى يتضمن فى كيانه المشاكل الانسانية أينما ومتى ومهما كانت .

اذن لا يتأتى لاى أحد أن ينكر حق الاسلام وكفاءته اذا عزم على التدخل فى مسألة نقل القلوب من قبيل الطب أولاومن قبيل القانون ثانياً ومن قبيل الدين أخيراً

فمن الناحية الطبية يجب أن نفرق قبل كل شيء بين العليل المستفيد بقلب غيره والمانح قلبه لغيره .

فان الاستفادة الصحية من السكن أن تعتبرها نوعاً من العلاج المباح الذى لا يحتاج الى مفاوضة لان الانسان ليس بكامل يضطر دائماً الى اصلاح ذاته سواء أكان هذا الاصلاح علاجا صحياً أو ارتقاءا نقافياً لان علاج الجسد والاكتسابات العلمية والمعنوية من الواجبات التى أوصى بها الاسلام .

لكن فيما يتعلق بالمانح فان مثبتات عملية نقل القلوب عديدة لانها تظهر كمغامرة من المغامرات التى لم تخـل من الشك العلمـى ومن الخطـورة الطبيعية وكيف لا والقلب من تلك الاعضاء البشرية مثل الدماغ والكبد التى يعتبرها علماء الطب فـى الماضى والحاضر أعضاء شريفه وذلك لان انتهاء الحياة يترتب على استيصالها والطب العصرى لم يثبت لنا بطريقة واضحة الى الان السبب الظاهر لتوقف الحياة كمـا لا يثبت اللحظة المعينة ولا الحد الفاصل بين الحياة والموت وبعبارة أفصح هل يتعلق انهاء الحياة بموت الدماغ أو بموت القلب ؟

والواقع . أنا نرى أوربا وأمريكا فى اختلاف متزايد فيما يخص هده النقطة الرئيسية فيقول بعض الجراحين مثلا أن انتهاء الحياة يتقرر بزوال كل نشاط دماغى وغيرهم يرفض هذا الرأى كما قد رفضه قبلهم رفضاً مطلقاً أطباء الاسلام مثل الرازى وابن رشد وابن زهر والحسين بن سينا . فقد قال ابن سينا فى ارجوزته الطبية :

ان الدماغ بالنخاع والعصب   يحفظ نار القلب الا تلتهب

فان قال ان الدماغ يحفظ نار القلب لم يقل ان الحياة تتعلق به لأن الحياة في نظره تتعلق باذن الله بالقلب لا بعضو غيره اذ قال :

القلب يغذو الجسم بالحياه   لولاه كان الجسم كالنبات

ونظر هذا الطبيب المسلم العبقرى قدس الله روحه فى الجنة قد أثبته علم الطب العصرى لأن اساتذة فن الجراحة والاخصائيين فى فن الدماغ يعترفون بأن التسجيل الكهربائى السلبى أى عدم كل نشاط للدماغ سواء أكان هذا النشاط شعورياً أو لا شعورياً ليس بدليل قاطع على انتهاء الحياة البشرية ولا علامة محققة للموت .

فاذا كان الاختلاف بالنسبة لدعامة الحياة الحقيقية بين الأطباء الماديين شيئاً غريباً فان اختلافهم فيما يخص علاقة الدماغ والقلب بالنسبة للموت شىء أغرب وأخطر .

فمنهم من يقول أن زوال النشاط الدماغى تابع لتوقف القلب ومع ذلك ان توقف القلب لا يعنى ضرورياً موت القلب .

وهنا السؤال الأكبر والنقطة الرئيسية لانه اذا مات القلب قبل نقله يصير لا فائدة فى استخدامه بالمعنى الطبى مطلقاً من جراء التغييرات الكيميائية التى تصيبه وهذا باتفاق الاطباء بأسرهم وعلم الطب وعلم الكيمياء متفقان على أن تلك التغييرات لا اصلاح لها بتاتاً .

اذن ان لم تكن أى فائدة علاجية لنقل القلب بعد موت صاحبه بلحظة قصيرة فما هى نتيجة هذا الازدراء لكرامة الانسان والعبث بجسده مجاناً . أفلا تعتبر هذه العملية كتلاعب طبى ؟ والجراح برنارد نفسه وأنصاره يقرون بأن نجاح العملية فى هذا الباب لا يمكن الا بنقل قلب حى من جسد مانح الى جسد مريض صعيف القلب .

وزيادة على ذلك لا يخفى على الأطباء أن الرئة لا تستطيع أن تؤدى دورها كما ينبغى بدم من قلب آخر وبصفة اجمالية فان الجسد البشرى يرفض تبديل عضو شريف كالقلب بقلب آخر لظاهرة لا يعلم سرها الا عالم الغيب والشهادة سبحانه

وتعالى .

ومع المجهودات الخارقة للعادة التي بذلها الأطباء لاكتشاف الوسيلة أو الدواء الذى بفضله يستطيعون أن يذللوا هذا الرفض الطبيعي يبلغوا فانهم لم الغاية المنشودة بل نراهم الآن يحاولون اضافة قلب مانح الى مستفيد فيرجع الأنسان ذا قلبين قلب رئيسي وقلب مساعد والله يعلم الى أى حد من الطغيان يقود السير فى هذا الطريق ومهما كان الامر فالسؤال لا يزال مطروحاً: ممن يؤخذ القلب الحي السالم من كل تغيير سواء ليعوض قلب آخر كقلب رئيسي أو كقلب مضاف لاعانة قلب ضعيف.

أمن انسان حى أو من انسان مشرف على الهلاك ؟

فهنا نجد انفسنا مضطرين الى ان نتبع الأطباء الماديين الى نفس الميدان الذى اختاروه للبحث ونعتبر اعتبارا فرضيا أسباب الموت كما يعتبرونها .

ولله در من قال :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحد

ان الأسباب لا تقع دائما فى الوقت المطلوب وحسب أماني الجراحين. وما علينا الا ان نميل الى الاعتقاد بأن هذه القياسات الافتراضية تحدث نطاقا من الريبة فى الذهن وعدم الأمن بالمعنى الاخلاقى .

وحيث انتهى بنا البحث الى هذا الحد فمن الواجب أن نتساءل عن مسؤولية الجراح حيث أنه يختصر حياة مانح القلب برضائه أو غير رضائه طمعا فى شفاء مريض باعدام مريض آخر أو شخص مشرف على الهلاك قد حكم عليه الجراح حكماً طبياً بمبلغ علمه وحسب رأيه بدون حق شرعى يبيح له التصرف فى الحياة البشرية لاستخدام قلبه بقيمته الوظيفية لاجل عملية مشكوك فى نجاحها .

والخلاصة التى نستخرجها من هذا التحليل هى :

أولا : عدم أى فائدة طبية فى علاج قلب مريض بقلب ميت .

ثانياً : ان كان طمع طبى فى تبديل قلب شخص مريض بقلب صحيح صاحبه مشرف على الهلاك فهذا التبديل معناه علاج مريض باعدام مريض آحر قبل أجله.

ومن هنا يتبين لنا بكل انصاف أن نقل القلوب مهما كانت ظروفه وحداقة الجراحين قتل لا يحتاج الى الجدال .

وهذا التحقيق يفتح الطريق لتدخل القانون من جهة وتدخل الدين من جهة احرى .

فاذا وضعنا مسألة القانون فى الاعتبار يجب أن نميز طبعا بين الشرع المادى مصدر قوانين أوربا وقوانين أمريكا والشرع الروحى منبع قوانين الاسلام .

والظاهر أن القوانين المادية تبيح قاطبة لصاحب القلب فى حياته ولاسرته بعدموته التصرف فى جسده ومن الممكن أن نتخيل الى أى حد تستطيع أن تقودنا جريمة تعادل جريمة قتل كهذه . كما يمكننا أن نفترض أن يوجد مانحون لهم مصلحة فى التبرع أو بيع قلوبهم حسب مآربهم وأهوائهم الشخصية،مثلا هذا يبيع قلبه لحل مشاكل عائلية،وهذا يضحى بقلبه لاجل حب خال من الامل،وآحر محكوم عليه بالاعدام يهدى قلبه لينتفع به بعض المحظوظين من أبناء جنسه حتى يعيشوا بعده،وهذا يتخلص ببيع قلبه من دين . . . الخ .

ومن الممكن أيضا أن تفتح باسم تقدم الجراحة وتطور الحضارة المادية معامل حيوية كمحطات اصلاح السيارات أو على الأقل سوق للقلوب تتصرف بواسطة المال فى التعامل بقلوب الناس .

فاذا كان هذا هو التقدم البشرى الذى تؤدى اليه القوانين المادية فلا مكان له ولا قبول من أى وجه فى الشرع الاسلامى وذلك لان الاسلام فرض حتمية احترام الجسد طول الحياة وبعد الموت الذى له فى نظر الأطباء المسلمين علامات مسبقة أو فورية مثل توقف سريان الدم والتنفس وانعدام الانعكاسات العقليه ودلائل متأخرة مثل الزرقة الضاربة للسواد والاقنوم وهبوط حرارى الى مستوى حالة الطقس

كما حرم الاسلام قتل النفس وكل ما يؤدي الى ازهاقها وقطع أي عضو أو استئصاله من جثة آدمية معتبراً ذلك كقطعه أو استئصاله من جسد حي .

قال المولى جل وعلا وهو أصدق القائلين في سوره الروم . «**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**» . وقال في سورة الانعام «**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**» .

ونجد في حديث شريف اتفق عليه أئمة الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام. «أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور» وفي حديث شريف آخر قال الرسول عليه الصلاة والسلام . «كسر عظم الميت ككسره حيا» .

وقد اصاب السيد احمد حسن في مقالته بذكره الحديث . «كفى بالموت واعظاً» غير انه لم يخرجه الا الطبراني والبيهقي عن عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول ابن العياص وقد ذكره الغزالي في باب الموت من احياء علوم الدين .

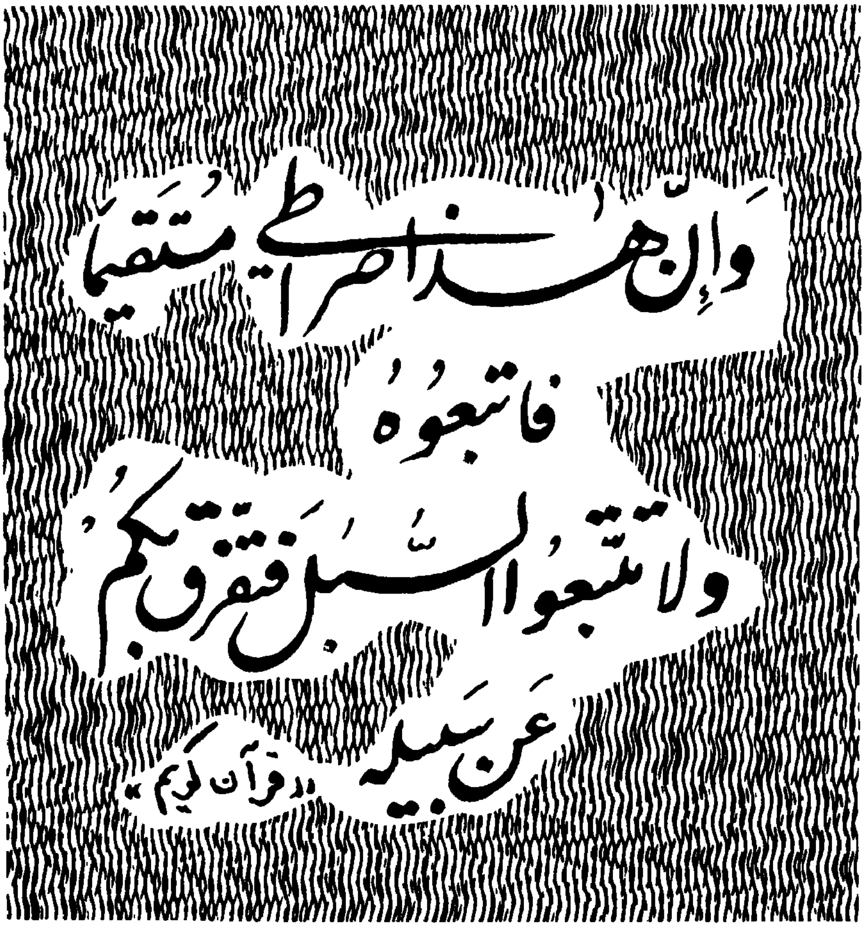
وبمقتضى هذه المصادر فيما يخص القلب نهى الاسلام عن نقله نهيا واضحاً مطلقاً وحرم على الفرد وعلى اسرته بعد موته التصرف في اى عضو من اعضاء جسده الشريف كما حرم حرق جثه الميت والتصرف في اى جزء من اجزائه اللهم الا بتجهيزه ودفنه وهو فرض عين على اهله واقاربه والا فعلى الامة الاسلامية قاطبه باتفاق المذاهب الفقهية بدون استثناء .

مـذكـرة

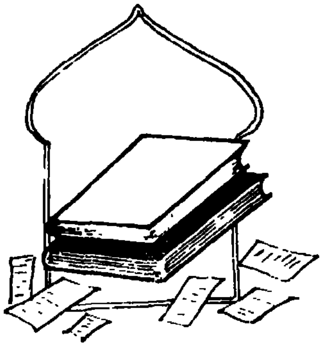
دعينا بصفتنا عميد المعهد الاسلامي وجامع باريس لمؤتمر الاطباء الذي انعقد في شهر يونيو سنه ١٩٧١ في باريس لاجل البحث في نقل القلوب ، وفي مؤتمر الاطباء الذى انعقد في شهر اغسطس سنة ١٩٧٢ في واشنطن. واستقبل أعضاء هذين المؤتمرين هذا البحث باعتناء خاص وأثنوا على موقف الاسلام في هذا الموضوع

بناء على ما سمعوه مني حيث قال الدكتور لوبيجر عميد كلية الطب باريس «ما علينا الا أن نعترف بما طالبنا به انفسنا من ناحية العلم وطالبنا به الاسلام من ناحية الحق . اننا لا نقدر التراث الطبي الاسلامي حق قدره» .

ويوم ٣ حزيران ١٩٧٥ الماضي وقعت بيني وبين الدكتور برنارد في نفس الموضوع في اذاعة فرنسا مناقشة قد أعلنت عنها الجرائد الفرنسية ومنها جريدة الفيجارو .



أبو بكر الرازي
فيلسوف اسلامي فذ



الدكتور
عبد اللطيف محمد العبد
دكتوراه في الفلسفة الاسلامية ـ كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

كان لي شرف دراسة فلسفة الرازى (محمد بن زكرياء) والمحصول بها على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم جامعة القاهرة. وكان موقفي في هذه الدراسة موقف من يبغي الحق وحده دون تأثر بآراء السابقين.

لقد كان من نتيجة الاعراض عن فلسفة الرازى حدوث خلط واضطراب وتناقض ازاء شخصه وفكره ، فهو مؤمن وفيلسوف في رأى البعض ، وغير مؤمن ولا فيلسوف في رأى البعض الاخر

وكيف يستقيم هذا الامر لفلسفة يقف منها موقف العداء امثال ابن سينا والبيروني وابن حزم وابن حاتم الرازى والكرماني؟ وقد اثبت بعض الباحثين ان الرازى مفكر ممتاز وحاولوا من جانب آخر تثبيت فكرة انه ملحد لا يحترم الاسلام ، وأنه ايضاً ينكر النبوة . وفي هذا مكر كبير للتآمر على الاسلام بهدم اعلامه ومفكريه

لقد كان ابو بكر الرازى،

شخصية جديرة بالتقدير، حيث كان ذا خلق سام وجدية وثقافة وادب وكان فيلسوفاً كبيراً ، وطبيباً ماهراً كما ثبت من سيرته نظراًوتطبيقاً .

وعاش طوال حياته زاهداً من مظاهر الحياة ، مع انه كان يجالس الامراء ، لكنه لم يعتبر نفسه سوى طبيب او ناصح لهم . وكان ذكياً فطناً مجتهداً هادئاً ورزيناً ، كريم النفس ، براً حنوناً ، يعطف على المرضى والفقراء، ويحترم تلاميذه احتراماً يفوق احترامه للامراء، وفى طبعه حب الرحمة والعدل والنصح والعفة وعدم مجادبة الناس ومماحكتهم .

وكان يمجد الفلسفة والفلاسفة وأمسى انه من اهل هذا الميدان، حيث كان يتحلى بسمات الفيلسوف الحق الذى لا يدعى القدرة على حل جميع المشكلات ، لكنه كان قادراً على اثارتها .

وقدم للبشرية خلاصة فكره الحر ، معتزاً بمؤلفاته وعلمه ، حتى صار فيلسوف الوضوح والحق والخير والعقل والتجربة .

وقد لحظنا ان للرازى ميولا ادبية الى جانب فكره الفلسفى . حيث يميل الى الاستشهاد ببعض ابيات حكمية من الشعر . كما ان له اسلوبه الجزل الرصين كقوله عن الحسد مثلا : «اى سلاح احق واولى بالاطراح من الذى هو جنة للعدو وجارح للحامل» .

وقدره المنصفون من الشرق والغرب ، فوصف بأنه «اوحد دهره وفريد عصره» وانه «شخصية فذة قل نظراؤها» . وحق لبعض الباحثين ان يسمى النصف الاول من القرن العاشر الميلادى «عصر الرازى» ، حيث اعطى ارفع تعبير عن الفكر الفلسفى الانسانى الكريم .

ومن خلال كتابات الرازى نلحظ انه فيلسوف انسانى . حيث يحترم الانسان ويكرمه غاية التكريم فالانسان يشبه الملائكة فى انه حى ناطق مائت ، ويشبه الحيوان من انه حى ميت فقط كذلك فان

الانسان عالم صغير مشتق من العالم الكبير وهو الكون . وقد منحه الله تعالى حرية يتصرف بها ويحاسب على اساسها . ويجب الحرص على سلامته جسداً وروحاً . وعليه هو ان يكون فاضلا متديناً ، متعففاً مؤدياً واجباته الدينية والاجتماعية ، مفضلا لذات الاخرة على لذات الدنيا الفانية . وبهذا ينال رضاء الله تعالى . وان نموذج الانسان كما يراه الرازى هو الانسان المحكوم بعقله دون الانسان المحكوم بهواه .

وقد اكد الرازى ضرورة الفلسفة لهذه الحياة ، وهى عنده تشبّه بالله عزوجل بقدر طاقة الانسان وهى ايضاً طريق يوصل للحق ، وامثل وسيلة لاصلاح الفرد والمجتمع وسبيل الخلاص من عالم الفساد الى عالم الخلود . وليست الفلسفة وقفاً على الفلاسفة ، لانها اجتهاد ونظر وقوة ارادة ضد الهوى ، وتحصيل لقوانين البرهان والمعارف الالهية والرياضية والطبيعية ، الى اقصى حد مستطاع .

وقد امتدت فلسفة الرازى الى بحث ما يمكن فيما وراء الطبيعة ، حيث يقر بوجود الله تعالى . ويقدسه تقديساً مطلقاً ، ناسباً اليه جميع صفات الكمال . ويرى الله سبحانه خالقاً مبدعاً ، وقد حدث العالم عنه سبحانه بالارادة ، ويقر الرازى بأنه لا بقاء ولا دوام لشىء من هذا العالم .

وهو يرى الطبائعيين مخطئين حيث قالوا ان الطبيعة جوهر مؤثر لان الله تعالى هو الخالق القادر العالم الحكيم كما يثبت الرازى وجود الزمان والمكان مطلقين ومضافين . كما يثبت النبوة ، ويوجب احترام تعاليم الدين ، كما يوجب

احترام الانبياء فى اشخاصهم الكريمة وسيرتهم العطرة .

وتنص الفلسفة التجريبية لدى الرازى على انه لا غنى للحياة عن التجربة ؛ لانها اصلاح للانسان ، وهى اجتهاد ونظر وقوامها الاخلاص

والتعقل ، وهى فى الطب أصعب ما تكون ، لكنها أيضاً أوجب ما تكون ، احتراماً لحياةالانسان.وان التجربة تنتج القوانين التى تسيطر على عناصر الكون ، فيتحقق جزء من سعادة الانسان .

وهو يرى الكيمياء واجبة للفيلسوف . حيث تجعله منزهاعما فى أيدى الناس .

وكان الرازى فيلسوفاً كثير الدهشة والتساؤل . وهو يعتقد أن لكل شيء سبباً أو علة ، ولابد من التنقيب عن العلل ما أمكن ظاهرة أو خفية ، فلا مجال لليأس فى فلسفته . كما تشمل فلسفته الايمان بصدق الفراسة التى لا ينكرها العلم الحديث .

وان النزعة التجريبية لدى الرازى تشير الى تفاؤله ، حيث كان كبير الأمل فى شفاء الامراض المزمنة ، ويتحدث بنعم الله التي لا تحصى ، وهو لا ينكر وجود الشر فى الدنيا ، لكنه يراه خيراً.

والرازى فيلسوف عبقرى ، له قدرة على الملاحظة ، وصبرودقة فى اجراء التجارب . وهو أيضاً مؤمن بتقدم المعرفة . وفيه اثراء للحضاره واسعاد للانسان .

وفى فلسفة الرازى جوانب اخلاقية رائعة . أطلق عليها«الطب الروحانى» لما للروح من علاقة وثيقة بالأخلاق وترتكز فلسفته الاخلاقية على نظريته فى اللذة والالم . وطبق هذه النظرية على خمس عشرة رذيلة،خلقية نفسية ، ذاكرا العلاج لكل منها، وناصحاً بالاعتدال فيها .

ولكون الرازى فيلسوفاً عقلياً فقد اصطبغ فكره بالعقل ، حيث يعتبر عقل الانسان من أعظم نعم الله تعالى وهو يوجب أن يكون العقل حاكماً لا محكوماً ، حيث يسعد به الانسان .

وهكذا كانت فلسفة الرازى فلسفة انسانية شاملة ، حيث تقيم توازناً بين المادية والروح وما أحوج المجتمعات الى الاخذبها. وقد تتاح لنا فرصةاخرى لتوضيح بعض ما أجملناه من فلسفة الرازى ان شاء الله تعالى .

ضرورة الحياة الروحية

للحياة الانسانية

الدكتور مقداد يالجن - القاهرة

- ٢ -

عالجنا فى المقال الاول موضوع ضرورة الحياة الروحية للحياة الانسانية من حيث انها حاجه أساسية من حاجات الطبيعة الانسانية ونعالج فى هذا المقال موضوعاً آخر وهو ضرورة الحياة الروحية لوقاية الانسان من الامراض التى يؤدى اليها ترك هذه الحياة .

وهذه الامراض كثيرة منها ماهى نفسية ومنها ماهى جسمية وأخرى اجتماعية.

ويمكن تقسيمها الى قسمين:

الاول : الامراض المباشرة مثل الشعور بالضيق والقلق والاضطراب والكآبة والشعور بالضعف أمام المسؤوليات والانهيار أمام المشكلات وقد ينتهى ذلك بالانتحار . وقد وجدنا كثيراً من المنتحرين انتحروا لاسباب ترجع الى أحد هذه الامور أو كلها .

والقسم الثانى : من الامراض التى تؤدى اليها انعدام الحياة الروحية وهى بدورها قسمان : القسم الاول : الامراض الجسمية التى تتأثر بالحالات النفسية المرضية السابقة . والثانى: الرذائل الاخلاقية والجرائم التى يرتكبها الذين انعدمت عندهم الحياة الروحية ثم تؤدى هذه الامراض الاخلاقية الى الامراض الجسمية .

فمثلا تفشى فوضى الحياة الجنسية يؤدى الى انتشار الأمراض المعدية، لان كل مرض معدى يمكن أن يتعدى عن طريق الزنا وخاصة الأمـراض السرية مثل الزهرى والسيلان والقرحة التى وصلت نسبة انتشارها فى بعض المجتمعات التى تفشت فيها الفاحشة الى ٧٠٪ ويقول الدكتور توماس باران عن المرض الزهرى «انه أفتك وأضر بمائة مرة من مرض فالج الاطفال وأن خطـره فى أمريكا مثـل خطر السرطان والتهاب الرئة حتى أن واحدا من كل أربعة أشخاص انما يذهب ضحية الموت بسبب الزهـرى مباشرة أو غير مباشرة . ومعـروف أن جـراثيم هذا المرض أينما انتقلت من الاعضاء اتلفتها . فاذا انتقلت الى المخ يصبح الانسان فاقد العقل أو مجنوناً واذا انتقلت الى جهاز البصر يصبح أعمى ، واذا انتقلت الى جهاز الاذن أصم ، واذا حملت الأم المصابة به جاء الطفل مشوهاً فى الخلقة ، ثم لا يعيش الطفل الا قليلا . واذا انتقلت الى مركز الاعصاب يصاب الانسان بالشلل العام. ولهذا تعلو صرخات كبار الأطباء والاجتماعيين فى تلك المجتمعات باغلاق بيوت الدعارة ومنع الزنا فى المجتمع . حتى أوصت الامم المتحدة بمنع الفاحشة . كما اتخذت جامعة الدول العربية قراراً بهذا الشأن . ويقول بعضهم هنا اذا كان الامر كذلك يجب منع الزواج أيضـاً . والحقيقة ان هناك فرقاً بين الامرين : ففى الاول يمكن للفـرد الواحد أن يتصل بعشرات والعكس صحيح . ومن ثم يعدى كل يوم العشرات من الناس . وأما الثانى : فان المعاشرة فى الزواج تكون مقصورة على الزوجين فقط. ثم ان القوانين تمنع الزواج اذا كان أحد الطرفين مصاباً بهذا المرض . وبالرغم من اتخاذ الناس هناك العلاج الوقائى فلم يستطيعوا الوقوف أمام انتشار هذا المرض، لان طريقة انتشاره عجيبة . هذا وقد يطول بنا الحديث لو ذكرنا ذلك بالتفصـيل ، فنرجع من شاء الى الكتب الطبية فى هذا الصدد .

وكذلك ادمان المخـدرات التى تؤدى الى كثير من الامراض فى المـدمنين وذرياتهم أيضاً . وقد درس تلك الأمراض المؤتمر الدولى المنعقد فى بلجيكا وأقرها

ثم دونها الدكتور أحمد غلوش مندوب مصرفي هذا المؤتمر في كتابه «أثر الخمور في الحياة الاجتماعية» والذى قامت بطبعه جامعة الدول العربية . وهكذا نجد عند البحث أن كل رذيلة وخطيئة لابدمن أن تؤدى الى ضرر في حياة الفردأو المجتمع. يقول هنا الدكتور الكسيس كارل العالم الفرنسى الذى نال جائزة نوبل الدولية «ليست الخطيئةوهما الا اذا اعتبرنا السل أو السرطان أو الجنون أوهاماً هي الاخرى. والرذيلة هي اعتياد ارتكاب الخطيئة فان الانسان لم يدرك بعد فداحة النتائج التى تترتب على الخطيئه فكل خطيئة تؤدى الى اضطرابات عضويةأو عقلية أو اجتماعية وهي اضطرابات لا يمكن علاجها على وجه العموم ، واذا كانت التوبة لا تشفى تليف الانسجة لدى السكير أو الامراض العصبية لدى أولاده ، فهي تعجز أيضاً عن اصلاح الاضطرابات الناجمة عن الحسد والاسراف الجنسى والغيبةوالنميمةوالبغضاء. كما أنها كذلك لاتبعد الشقاء عن الشواذ الذين يولدون لابوين مصابين بالعيوب ، فالخطيئة تؤدى ان عاجلا أو آجلا الى التدهور والموت للجانى نفسه أو للوطن أو للنوع » ويقول أيضا «فالواقع ان معظم الخطايا الارادية وغير الارادية التى يرتكبها الفرد لا تضر الفرد وحده بل تضر بجيرانه ايضاً . لان نتائج بعض الرذائل لاتبدو في معظم الاحيان الا بعد سنين عديدة بل بعد اجيال عديدة في بعض الاحيان. فاننا مثلا لم نعرف حتى الآن فداحة الدور الذى يقوم به السكر والاثرة والحسد في تقويض دعائم الامم . فعادة اغتياب الجار وبذر التفرقة بين المعارف وخيانة الاصدقاء واستغلال الاجراء وسرقة العملاء لا تضر الجانى نفسه بقدر ما تنزل بالامة الى الحضيض . وهناك الى جانب الخطايا القديمة كالكبرياء والحسد والافراط ازدهرت خطايا جديدة، فمن جانب أتاح لنا التقدم المعرفة العلمية بالقوانين الطبيعية أن نعرف جيدا دلالة الاخطاء التى كانت تبدو لنا جد تافهة فيما مضى» .

واذا كانت هذه الامراض والشرور ناتجة عن انتشار الرذائل الاخلاقية في المجتمع فان الحياة الروحية خير وقاية من السقوط في الرذيلة لان الحياة الروحية

تكون مع الله ومرتبطة به ومستعينة ببصرته . ومن كان شأنه ذلك لايمكن أن يقع في الرذيلة ومن كان بعيدا عن تلك الرذائل والخطايا كان بعيدا عن أن يصاب بتلك الامراض والشرور السابقة التي يؤدي اليها الوقوع في الرذيلة .

ومن الغريب ان الحياة الروحية لا يقتصر دورها في حماية الانسان من تلك الامراض الناشئة عن ابتعاد الانسان عن الحياة الروحية بل ان لها دوراً أيضا في شفاء الانسان أو استعجال شفائه من بعض الامراض . وهذا ما يقرره بعض الاطباء ويؤيده علماء النفس أيضاً . لان الحالة النفسية السيئة أو المرضية كما تؤدي الى تأخر الشفاء أو زيادة المرض ومضاعفاته فان الحالة النفسية الراضية المطمئنة والآملة في نصرة الله وشفائه تساعد على استعجال الشفاء . يقول هنا الدكتور الكسيس كارل عن دور النشاط الروحي في الشفاء «يمكن أن تصحب بعض أوجه النشاط الروحي تغييرات تشريحية أو وظيفية في الانسجة والاعضاء على السواء ، وتلاحظ هذه الظواهر العضوية في أحوال مختلفة أشد الاختلاف ، من بينها حالة الصلاة. وينبغي أن نفهم الصلاة لا على انها مجرد ترديد آلي لبعض الصيغ والعبارات ، بل على أنها تسام صوفي يستغرق فيه الشعور في تأمل المبدأ الذاتي الذي يرقى بالعالم ، هذه الحالة النفسية ليست عقلية بل انها ليست مفهومة عند الفلاسفة ورجال العلم وهي بعيدة عن متناولهم ، ولكن يبدو وكأن البسطاء يمكنهم أن يحسوا الله بنفس السهولة التي يحسون بها حرارة الشمس ، أو وجود صديق ، للصلاة التي تصحبها آثار عضوية وبعض مميزات خاصة ، فهي أولا وقبل كـل شيء متجردة تماماً ، يقدم الانسان نفسه كاللوحة للمصور أو الرخام للمثال (الفنان) ، وهو فـي نفس الوقت يلتمس نعمته ويبسط له حاجته وعلى الاخص حاجات أمثاله ، فـي العادة ليس من يصلي لنفسه هو الذي يشفى وانما الذي يشفى من يصلى للاخرين وهذا النوع من الصلاة يتطلب كشرط أساسي التجرد عن الذات وهو تلك الصورة

البالغة السمو من الزهد » ثم يواصل الكسيس كارل كلامه قائلا «تستند الفكرد التى لدينا فى الوقت الحاضرعن تأثيرالصلاةعلىالحالات الباتولوجية (المرضية) الى ملاحظة المرضى الدين شفوا على نحو فورى تقريباً من أمراض مختلفةكسل العظام أو سل البريتون أو الخراج البارد أو الجروح والصديوم او اللبوس أو السرطان . . . الخ . تختلف طريقة الشفاء قليلا بين شخص وآخر وكثيراً ما يحس المريض بألم شديد يعقبه شعور مفاجىء بالشفاء التام . وقد لا تمضىبضع ثوان أو بضع دقائق أو بضع ساعات على الأكثر الا وتلتئم الجروح وتختفى الأعراض العامة وتعود الشهية كما كانت . وأحيانا تتلاشى الأضطرابات الوظيفية قبل العطب التشريحى . . . ان الشرط الوحيد الدى لابد منه لحدوث الظاهرة هو الصلاة . . . وهى تثبت الاهمية الموضوعيه لاوجه النشاط الروحى التى لم تكن موضع اهتمام علماء الصحة والاطباء والمربين وعلماء الاجتماع ، الا بقدر يسير جدا . انها تفتح أمامنا عالماً جديدا.واذا كان الامر كذلك فان للحياةالروحية أهمية عظيمة من هده الناحية ومن الحماقة تغافلها »

ولهدا قرر الأسلام الجياد الروحية لوقاية الانسان من تلك الامراض التى تترتب على تركها مثل الأمراض النفسيةوالاخلاقية والجسمية الناتجة عنها . ومن العجيب أن الرسول (ص) أشارالىهده الحقيقةالتى أثبتها العلماءأخيرا . فقالالرسول(ص) «من ساء خلقه عذب نفسه . ومن كثر همه سقم بدنه» . ولماذا نذهب بعيدا فقد أشار الى هذا القرآن فقال تعالى «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فىالصدور» . ويقول الفخر الرازى فى تفسير هدهالاية «انمحمدا(ص) كان الطبيب الحاذق وهدا القرآن عبارة عن مجموع الادوية التى بتركيبها تعالج القلوب المريضة»

موقف قسطنطينية

وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها

محمد عبد الله عنان

٢

والخلاصة أن موقف قسطنطينية ازاء مسلمي الاندلس أولا، قبل سقوط غرناطة ثم بعد سقوطها، ازاء الامة الاندلسية الموريسكية، لم يكن متسماً بأية بادرة مشكورة أو موقف مشرف، يستحق تسجيل التاريخ وتقديره .

ولنحاول الان أن نلقى بعض الضياء على موقف الامم الاسلامية من الامة الموريسكية ومصايرها عقب النفي وخروجها النهائي من اسبانيا .

لقد أصدرت اسبانيا قرارها التنهير بنفي الموريسكيين من سائر الاراضي الاسبانية في شهر سبتمبر سنة ١٦٠٩ . الموافق شهر رجب سنة ١٠١٩ ، وخرجت جموع غفيرة منهم . من ثغور بلنسية ودانية وثغور اسبانيا الجنوبية . وسافرت جموع كبيرة منهم على السفن الحكومية في مناظر مبكية من البؤس والجوع والمهانة . وسافر منهم ألوف من الاغنياء والموسرين على نفقتهم الخاصة ، وألقت بمعظم المنفيين الى ثغور المغرب ومدنه المختلفة ، وهلكت منهم الوف كثيرة خلال السفر من الجوع والمرض والاعتداء . وبالرغم مما اقترن بالنفى من المحن والالام والمناظر المبكية ، فقد اعتبره معظم الموريسكيين نذير الخلاص ، وتحقيقاً

لما كانوا يسعون اليه منذ بعيد ، من مغادرة، جحيم الكنيسة الاسبانية وديوان التحقيق الاسباني ، وتقدر معظم الروايات الوثيقة عدد الموريسكين المنفيين بنحو ستمائة الف ، ويقدرهم دون لورنتي مؤرخ ديوان التحقيق بمليون نسمة ، وقد عاد سائر المنفيين الذين نزلوا بالبلاد الاسلامية الى الاسلام ، ودين الاباء والاجداد ولم تخمد مائة عام من التنصير المغصوب والاضطهاد المروع فى نفوسهم جذوة الاسلام.

لقد كان لهذه الخاتمة المؤسية لبقايا الامة الاندلسية المجيدة ، أعمق وقع في سائر أنحاء العالم الاسلامي ، ولا سيما أقطار المغرب القريبة من مسرح المأساة . وأبدت كلها مزيد الترحيب والعطف لاستقبالهم ، وتضميد جراحهم . يقول لنا المقرى وهو معاصر للمأساة في وصفها مايلي :

«الى أن كان اخراج النصارى اياهم (أى الموريسكيين أو العرب المتنصرين) بهذا العصر القريب عام سبعة عشر وألف . فخرجت الوف بفاس ، والوف اخرى بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس ، فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله في الطرقات ونهبوا اموالهم . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها ، وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر . ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكراً جرارا ، وسكنوا سلا ، كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الان : وحصنوا سلا ، وبنوا بها القصور والحمامات والدور . وهم الان بهذه الحال . ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام ، وغيرها من بلاد الاسلام ، وهم لهذا العهد على ما وصف» .

هذا ، ولقد كان لتونس فيما يبدو ، اعظم الفضل فى استقبال الموريسكيين المنفيين ، واحاطتهم بعطفها ورعايتها ، ويقدر من نزل منهم بالاراضى التونسية وحدها بنحو ثمانين الفا . واليك ما يقوله ابن دينا المؤرخ التونسي عن مقدمهم الى البلاد التونسية ، وقد كتب رواية بعد مأساة النفى بنحو سبعين عاما ، وذلك فى حوادث سنة ١٠١٧ ﻫ (١٠١٨ﻫ) :

«وفي هده السنة والتي تليها جاءت جالية الاندلس من بلاد النصارى ، نفاهم صاحب اسبانيا ، وكونوا خلقاً كثيرا . فأوسع لهم عثمان داى البلاد ، وفرق ضعفاءهم على الناس ، واذن لهم ان يعمروا حيث شاؤوا . فاشتروا الهناشير وبنوا فيها ، وانسعوا في البلاد ، وعمرت بهم ، واستوطنوا عدة اماكن .

«ومن بلدانهم المشهورة سليمان وبلي ونيانو وقرنالية وتركي والجديدة وزغوان وقريش الواد ، وطبرية ، ومجاز الباب والصلوقية ، وتستور ، وهي من اعظم بلدانهم واحضرها ، وغير ذلك بحيث تكون عدتها ازيد من عشرين بلدا ، فصار لهم مدن عظيمة ، وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ، ومهدوا الطرق بالكراريط ، وصاروا يعدون من اهل البلاد »

ويقول صاحب (الخلاصة النقية) ، وهو من الكتاب المتأخرين «وفي سنة ستة وعشرة والف قدمت الامم الجالية من جزيرة الاندلس ، فأوسع لهم صاحب تونس عثمان داى كنفه ، واباح لهم بناء القرى في مملكته ، فبنوا منها نحو العشرين قرية واغتبط بهم اهل الحضرة ، وتعلموا حرفهم ، وقلدوا ترفهم» .

ولقد حظيت خلال زياراتي لتونس بالتجوال في هذه المنطقة الموريسكية ، ولا سيما حاضرتها الزاهرة «تستور» التي تشبه بخططها ، ودورها البيضاء ذات الأفنية الاندلسية ، والتي تضم اشجار النارنج مدينة استجة الاندلسية والتي ما زال كثير من أهلها يحتفظون بالقابها الموريسكية القديمة مثل برفينو، ومرتيلة، وبلنسين، وبلانكو وبومست، وكامش، ومركيكو، ومدينة، والكوندي، فليبو وغيرها .

وكذلك لقي الموريسكيون في ثغور المغرب ومدنه الاخرى أعظم ترحيب وعون ولا سيما في تطوان وفاس وتلمسان والرباط وسلا وغيرها ومازالت الاسر التي نزلت بها وتنتمي الى اصول موريسكية تحتفظ بأسمائها القديمة ولا تبغى بها بديلا اعتزازاً بأرومتها الاندلسية النبيلة فنرى بها اسماء بركاش، ونكيطو، وملاط، وبرميخو ومرشينة، ومورينو، وفرتون، وقديرة، وفلوريش، وملينة، ومدينة، ومورا ريش، وغيرها .

ونزلت طوائف قليلة من الموريسكيين بمصر ولكن آثارهم قد غاضت منذ

بعيد ومن الصعب أن نتتبع اصولها اليوم .

ونزلت طوائف منهم كذلك بقسطنطينية . هذا ولدينا ما يدل على ان الموريسكيين حاولوا بعد قرار النفي وخروجهم من اسبانيا ان يحصلوا على معاونة السلطان لاخوانهم الذين لجأوا الى فرنسا عن طريق البرقية وأن أحد زعمائهم واسمه الاندلسي أبو العباس الحنفي كان قد وصل الى مدينة بلغراد وهنالك لقى مراد باشا وزير السلطان أحمد الاول بن محمد الثالث (١٦٠٣ - ١٥١٧) فقص على الوزير ماحل بالموريسكيين في جنوب فرنسا من المحن. فكتب السلطان أحمد الى ملكة فرنسا يومئذ ماري دى مديتشي الوصية على ولدها لويس الثالث عشر يطلب أن يخرج من كان بفرنسا من الموريسكيين ويوجهوا اليه في سفن من عندها وقد استجابت ملكة فرنسا الى رسالة السلطان وأمرت باخراج المسلمين وان يركبوا من سواحلها في السفن الفرنسية الى حيث شاءوا من بلاد المسلمين .

تلك هي قصة الاندلسيين الموريسكيين أو العرب المتنصرين، بقايا الامة الاندلسية المجيدة . قصة مؤسية تفيض بألوان الاستشهاد المحزن ولكن تفيض في نفس الوقت بصحف من الاباء والجلد، تخلق باعظم وانبل الشعوب .

وقد لبثت السياسة البربرية التي اتبعتها اسبانيا النصرانية واتبعها ديوان التحقيق الاسباني ازاء العرب المتنصرين على كر العصور مثار الانكار والسخط يدمغها المفكرون الغربيون وكثير من مفكرى الاسبان انفسهم حتى يومنا باقسى النعوت والاحكام .

ويرى النقد الحديث أن العمل على ابادة الموريسكيين كان ضربة شديده لعظمة اسبانيا ورخائها ولم تنهض اسبانيا من عواقب هذه السياسة الغاشمة بل انحدرت منذ نفي الموريسكين وقد كانوا من انشط وأذكى وأقدر عناصر سكانها وحرمت من الثروات العقلية والفنية والصناعية والزراعية التى كانت تستمتع بها بقايا الامة الاندلسية، نقول ان اسبانيا انحدرت من جراء نفي هذا العنصر القدير العامل الذكى من اوج عظمتها في عصر شارلكان وفيليب الثاني الى عصر التدهور

والانحلال الذى مازال يلازمها حتى عصرنا .

وبالعكس فان سائر الدول الاسلامية التى استقبلت طوائف الاندلسيين المنفيين قد استفادت أعظم الفوائد من تقدمهم وحلولهم بين سكانها واقتبس اهلها الكثير من براعتهم فى الصناعة والزراعة ومختلف الفنون . وقد كان الاندلسيون أبرع أهل الارض فى الزراعة وغرس الحدائق واقامة المنشآت العمرانية كما اقتبسوا الكثير من مواهبهم الحضارية وعوايدهم المترفة وشمائلهم الرقيقة .

وقد وقعت مأساة الموريسكيين فى ظروف أخذت فيها الروح الصليبية الاوربية القديمة تقوى وتشتد ازاء الاسلام . وكان سقوط قسطنطينية وانتهاء الدولة الرومانية الشرقية على يد الترك العثمانيين فى سنة ١٤٥٣ (٨٥٧ هـ) حادثاً جللا اهتزت له اوروبا من اقصاها الى أقصاها ، وكان عاملا جديداً فى اذكاء هذه الروح . بالرغم من أن افتتاح الترك لقسطنطينية كان يتسم بثوب المجد الحربى أكثر من أى لون آخر ، فانه اعتبر ضربة شديدة للكنيسة وللنصرانية . فلما استولى القشتاليون على مملكة غرناطة ، وانتهت بذلك دولة الاسلام فى الاندلس ، اعتبر ذلك تعويضاً فى معنى من المعانى عن سقوط قسطنطينية فى يد الاسلام . ثم كانت الفورة الصليبية التى جاشت بها اسبانيا عقب سقوط الاندلس ، والتى اتخذت سبيلها فى افتتاح عدد من قواعد المغرب وثغوره . وكان على رأس هده الحملات الصليبية الجديدة رجلان يضطرم كلاهما بأشنع ضروب التعصب والبغض للاسلام ، هما فرناندو الكاثوليكى فاتح الاندلس ، والكردينال خمنيس سسنيروس ، المسؤول عن تنصير بقايا الامة الاندلسية المغلوبة . ونحن نعرف أن الذى قاد الحملة البرية والبحرية الكبيرة التى قامت بافتتاح وهران فى سنة ١٥٠٩ م ، انما هو الكردينال خمنيس نفسه ، وأن هذا الفتح قد تم فى مناظر مروعة من السفك والتقتيل لاهلها المسلمين .

ثم أن فتح قسطنطينية كان فاتحة لسلسلة طويلة من الفتوح والانتصارات العثمانية فى البر والبحر . ولم تأت أواسط القرن السادس عشر ، حتى استطاع الترك أن يبسطوا سلطانهم على مناطق شاسعة فى أوروبا الوسطى مثل المجر وجنوبى بولونيا واجزاء من شرقى النمسا ، وزحف الترك على مدينة فينا وحاصروها لاول مرة فى

سنة ١٥٢٩ ، ثم حاصروها للمرة الثانية فى سنة ١٦٨٣ ، وبالرغم من فشل الترك فى هذين الحصارين الشهيرين ، فان مجرد وصول الفتوح العثمانية الى قلب أوربا النصرانية على هذا النحو ، كان مثار الروع فى سائر الامم الاوروبية ، وكان فى أحيان كثيرة عاملا فى جمع كلمة العروش النصرانية واتحادها على مقاومة خطر الاسلام المشترك ، ورد الغزاة الى الجنوب والشرق . وكان ملوك أوروبا النصرانية يشعرون بأن الغزو التركى يهدد اوطانهم ودينهم ، وينسون خصوماتهم كلما تجدد الخطر ، وكانت تحدوهم فى الاجتماع على مقاومته نزعة صليبية لا شك فيها . وكان يهدىء من اضطرام هذه النزعة نوعاً ما ، ماتميزت به الفتوحات التركية من الصفة العابرة المؤقتة . وعدم الاستقرار فى معظم الأقطار المفتوحة شمالى نهر الدانوب .

ومن المحقق أن هذا التكتل الصليبى ضد الجبهة الاسلامية التى كانت الدولة العثمانية تحمل لواءها ، قد استمر حتى أواخر القرن الثامن عشر ، حينما دخلت الدولة العثمانيه فى دور انحلالها ، وانهارت قوى الانكشارية الغازية ، وأضحت بفتنها المتوالية ، خطراً على الدولة العثمانية ذاتها ، وعندئذ تطور هذا التكتل الاوروبى الى تكتل سياسى استعمارى وأخذ سبيله الى تقسيم افريقية وامما الاسلاميه بين الدول العظمى كما أخذ سبيله الى تحقيق مثل هذه الغاية بالنسبة لعدد من الدول الأسيوية الاسلامية ، أما ببسط السيطرة الكاملة ، أو التقسيم الى مناطق النفوذ . وكان القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أشد الاحقاب الزمنية وطأة على الاسلام والمسلمين .

مفهوم العبادة في الاسلام

السيد عبد الكريم الحسيني القزويني

العبادة في الاصطلاح اللغوي

ذكر الفيروزآبادي في قاموسه : ان العبودية والعبودة والعبادة ، الطاعه (١) .

وجاء في المنجد : «عبد عبادة وعبودة وعبودية ومعبدا ومعبدة الله وحده ، وحّده وخضع وذل وطاع له (٢) وقال صاحب لسان العرب :

«ويقال : فلان عبد بيّن العبودية والعبدية : وأصل العبودية الخضوع والتذلل .

وفرق الزهري بقوله :

احتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك : ولا يقال عبد يعبد عبادة

الا لمن يعبد الله .

ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله والعابد الموحد . ولما جاء في الحديث النبوي : «لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي» (٣) ويستنتج من جميع هذه التعاريف اللغوية ان العبادة بمعناها اللغوي هي الخضوع والخشوع والطاعة لله سبحانه وتعالى .

العبادة في المصطلح الشرعي

وأما العبادة في الاصطلاح الشرعي، فهي كل عمل يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى، فهي تؤدي نفس المعنى اللغوي، الا انها تتخذ طابع الطقوس الخاصة مع قصد القربة لله تعالى ، التي تركز مفهوم الخضوع والخشوع والطاعة بشكل اعمق وأكمل ولا سيما بعد ان صارت الفاظ هذه العبادات حقائق شرعية عند المتشرعة، فاذن هناك توافق وترادف بين المعنيين اللغوي والشرعي، لان كلا الاصطلاحين يؤديان ويعبران عن معنى الخضوع والخشوع والطاعة لله سبحانه وتعالى لغة وشرعاً .

تشريع العبادات في الاسلام

ـ الغرض الاصلي من تشريع نظام العبادات في الاسلام ، ليس هو مجرد هذه الطقوس والمراسيم التي تؤدى في أوقات وازمنة معينة ، وبهذا الشكل المتعارف عندما يمارسها الانسان المسلم وانما هناك وراء ذلك هدف اسمى وارقى من هذه الطقوس والمراسيم التي نمارسها.

وخاصة في المجال التربوي ، لان هذه العبادات ترفع بالانسان من عالمه المادي الضيق الذي يحيطه ويسيطر على مشاعره وافكاره ، الى عالم الروحانية الواسع ، عالم الخير والكمال، فتربطه بخالقه وموجده وهو الله سبحانه وتعالى، وتجعل ايمانه حياً ذا قوة وروحانية فيقوى جانبه الروحي ويسمو .

الانسان والعناصر الثلاثة

وذلك لان الانسان يتكون «من عناصر عدة : الجسمي العضوي ، والعقلي ، والروحي . .» .

فاذا عني بتنمية جسمه بالغذاء والرياضة كان قوي الجسم ، ويشاركه في ذلك الحيوان بل الحيوان أكمل منه في هذا الجانب . .

واذا عني بتنمية الجانب العقلي بالعلوم التي تنمي ملكة العقل والتفكير بشتى ضروبه ، نما فيه العقل، ولكن قد يكون أحط الناس خلقاً وأسوأهم هدفاً واتجاها

مـع تميزه بقـوة التفكير ، فكثيـر من اللصوص ولا سيـما فى عصر المـدنية الحاضرة اذكيـاء بل متعلمون للعلـوم العقلية وكذلك كثير من الجـواسيس والجناة» (٤) .

واذا عنى بتنمية روحه واستفاد مـن طاقاتها ومعنوياتها ، استطاع أن يسيطر على قوته الجسدية ، التى نماها بالغذاء والرياضة . وعلى قوته العقلية والفكرية التى غذاها بالعلوم والمعارف ، ويجعل من هاتين القوتين اداة خير وكمـال ، ويستعملها فى الصالح العام .

الارتباط الثلاثي المنتج

ولا يكون ذلـك الا بهـذا الارتباط الثلاثى بين هذه «القوة الجسديـة وقوة العلم والعقل وقوة الروح» فيصبح الانسان الشرير بهدا التعاون والارتباط ، مـلاك طهور فى قـوته وفى فكره وفى روحه ويكون اشرف من الملائكـة كـمافى الحديث الشريف .

«اذن فالعـبادات هـى التى تجعـل العقيدة الاسلامية أو التصور الاسلامـى للوجود - حية فـى النفس وتنقلها مـن حيز الفكر المجرد الى حيز القلب الذى يحس ويشعر فتجعلها بذلك قوة دافعة ، لها حرارتها ولها نورها ، فشتان بين من يعلم عقلياً ويقتنع فكريا بوجود الله، ومن يحس ويشعر باشراقه وهيمنته عليه وبعلمه بسره وعلنه ويتصور تصوراً قلبياً حتمية لقائه وحسابه .

فالعبادة فى الاسـلام هى الوسيلة التى تنقل الانسـان من الحالة الاولـى الى الحـالة الثانية فهـى توقد جـذوة العقيدة وتغذيها وتتعدى بـها وتحييـها وتحيا بها » (٥) .

أقسام العبادة

والعبـادات فى الشريعة الاسـلامية تكون على قسمين :

العبادة ذات النفع العام :

القسم الاول : من العبادات مايكون لها آثار عامة تهدف الى خدمة اجتماعية تعود على الامة بالنفع العام وذلك كل عمل خير يقوم به الانسان متقرباً به الى الله تعالى ، كالـزكاة والجـهاد والامـر بالمعروف والنهى عن المنكر، فان هذا اللون من العبادات يعود اثرها ونفعـها على عامة الامة . ولا يتأتى لنا ذلك الا بدراسة مقتضبة وموجزة لهذه العبادات

المذكورة ليتصح لنا ما قلناه .

الـزكاة وأثـرها الاجتماعي:

والزكاة لو نطرنا في اهدافها وكيفية توزيع حصصها على المستحقين لها من الاصناف التى ذكرت في القرآن الكريم لرأينا أثرها الاجتماعي ونفعها العام ولا بأس من استعراض موارد صرفها ليتجلى لنا هدفها بشكل أوضح وهى كما يلي :

١ ـ الفقراء وهم الذين لا يملكون مؤونة سنتهم لهم ولعائلاتهم بالفعل بمعنى انهم لا يملكون مالا أو قوتا لمدة سنة، أو بالقوه : بمعنى انهم لا يستطيعون القيام باى عمل لمرض أو شيخوخه ونحوها .

٢ ـ المسكين : وهو اشد حالا من الفقير بحيث لا يملك قوت يومه .

٣ ـ العاملون عليها : وهم الجباة والسعاة لجمعها .

٤ ـ المؤلفه قلوبهم : وهـم طائفة من الكفار يستميلون بالمال حتى يؤمن من شرهم ويكسب ودهم .

٥ ـ العبيد تحت الشدة : فيشترون من مال الزكاة ويعتقون .

٦ ـ الغارمـون : وهـم من كانـت ديونهـم أكثـر من ما يملكـون بحيث يعجزون عن الوفاء فأمر الشارع المقدس بايفاء ديونهم من بيت مال المسلمين.

٧ ـ في سبيل الله: وهو كل عمل خير ننتفع به الامة ـ كتعبيـد الطرق وبناء الجسور ، والمستشفيات ، ودور للعجزة والفقراء ، والمساجد . والمدارس الدينيه ونشر الكتب الاسلامية وغير ذلك من المصالح العامة .

٨ ـ ابن السبيل : وهو المسافر الذي نفدت نقوده أو فقدها ولا يستطيـع ان يرجع الى بلاده وان كان غنياً في بلده . فيعطى من مال الزكاة ما يوصله الى بلده بحسب حاله .

الجهاد:

وكذا الجهاد ، فان به تحفظ الاوطان والاموال ، وتدفـع الاخطـار ، وتصان الانفس والاعراض .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهكذا قل أيضاً عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان له جانبين الاول يمثل الامر بالمعروف ، وهو كل عمل يكون معروفاً ومألوفاً لدى الامة، وغير مخالف للشريعة الاسلامية الغراء .

والثاني : وهو النهي عن المنـكر

وله مراحل ثلاث :

١ ــ مرحلة اللسان: وهو انكار المنكر باللسان ويمثل الدور التربوي والتثقيفي

٢ ــ مرحلة اليد : وهو يمثل دور القوه والسلطة للشخص الناهي وهو أكمل مراتب الايمان .

٣ ــ مرحلة القلب: وهو انكار المنكر بالقلب ، ويمثل دور المقاطعة ويحلي أثره ونفعه العام ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام ، «ان بالامر بالمعروف تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب وتمنع المظالم ، وتعمر الارض وينتصف للمظلوم من الظالم . ولايزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر فاذالم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء» .

وبهذا الحديث تظهر آثاره ومنافعه العامة ، التي تعود على الامة كلها بالخير والسعادة كما ذكرها الحديث الشريف.

القسم الثاني:

القسم الثاني من العبادات مايكون اثرها خاصا يتعلق بنفس الانسان المباشر لها كالصلاه والصيام والحج وغيرها من الامور العبادية التي تتصل بنفس الشخص المباشر اتصالا مباشرا للتأثير على سلوكه الفردي والاجتماعي .

فان هذه العبادات وان كانت اموراً تعبدية امر بها الشارع بابتائها الا انها ذات معزى تربوي عميق . يهدف الى صقل وتهذيب سلوك الانسان وضبط تصرفاته لكي لاتتعدى حدود الشريعة المقدسة .

غريزة التدين وطرق اشباعها:

والعباده هي اشباع لغريزة التدين المتأصلة في النفس الانسانية . وهي كسائر الغرائز الاخرى . من أمثال الغريزة الجنسية . وغريزة حب الذات . وغريزة الجوع والعطش والى ما هنالك من الغرائز ... الخ ولكن غريزة من هذه الغرائز طريقة خاصه في اشباعها. فمثلا اشباع الغريزة الجنسية لا يكون الا عن طريق الممارسة الجنسيه وغريزة الجوع والعطش مثلا . لا يمكن اشباعها الا بالاكل والشرب وهكذا القول في بقية الغرائز المحكمة في النفس الانسانية .

غريزة التدين:

والدين هو احدى تلكم الغرائز الموجودة لدى الانسان ، ولا يمكن له ان يتجرد عنه بحال من الاحوال لانه معناه التجرد عن ذاته ونفسه وهذا لا يمكن أبداً ، ولا بد من اشباعها اسوة بأخواتها من الغرائز الاخرى .

اصالة غريزة التدين وعمقها:

وذلك لاننا لو أرخنا حياة البشرية في جميع أدوارها ومنذ وجودها الاول الى يومنا هذا ، لرأينا غريزة التدين تسايرها وتعيش في واقعها ووجدانها ولم تفارقها لحظة من حياتها ، كما تعيش الغرائز الاخرى لدى الانسان ، بل هي أكثر عمقاً واصالة وتأثيراً من كل الغرائز الاخرى ، لانها لعبت دورا هاماً في حياة البشرية واقامت دولا وأسقطت اخرى ونشبت حروب من اجلها ويؤيد ما قلنا ، ما ذكره الاستاذ ول ديورانت . في كتابه بقوله : «ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعاً اعتقاداً سليماً ، وهذه في رأى الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية من حيث قدم ظهورها ودوام وجودها : فما اساس هذه التقوى التي لا يمحوها شيء من صدر الانسان ؟ (٦) .

ونحن لانريد في موضوعنا هذا ان نتكلم عن غريزة التدين ومدى اصالتها وتحكمها وضرورتها للانسان ، لان لهذا البحث مجال آخر سوف نبحثه انشاء الله .

ولكننا نقول هنا ان الدين في واقعه ومعناه .

«انه عبارة عن تقديس وأتباع»

تقديس شيء ما واتباع طقوس وتعاليم خاصة ، وهذا المفهوم الديني قد لازم البشرية ، على مختلف قومياتها واجناسها وثقافتها ، في جميع عهودها ومراحلها التاريخية .

ففي العصر البدائي ، كما يقال ، كان انسانه متديناً ولكنه يعبد الشجر او الحجر او النار أو الشمس او أحد مظاهر الطبيعة الاخرى ، لانه كان يرى ويتخيل ان من هذه المعبودات ، مظاهر قوة ومناعة تحميه وتصونه من بعض العوارض فعبدها وقدسها واتبع بعض تعاليم طقوسها .

الانسان العصري والانسان الملحد متدينان:

وهكذا القول في العصور المتأخرة عنه أيضاً ، حتى عصرنا المعاش ، فنرى انسانه أيضاً متديناً .

سواء كان بالأديان السماوية أوغيرها وحتى الانسان الملحد الذي لايعترف بخالق ، هو متدين بطبعه أيضاً ، لانه لابد له من أن يؤمن ويقدس شيئاً ما ، ويتبع تعاليم ما يقدسه من فكر أو انسان اوحزب او مادة ، اذن فهو متدين أيضاً ولكن دينه الحزب ، وعبادته اتباع تعاليمه ، ومثله مثل الانسان البدائي الذي كان يعتقد ويؤمن بالشجر أو الحجر أو الشمس فيدين بها ويقدسها ويعبدها .

ويتحصل لنا من هذا العرض ، ان التدين غريزة متأصلة في النفس الانسانية ولا تستطيع ان تتجرد وتستغني عنه بحال من الاحوال ، لانه معناه التجرد من ذاتها وانسانيتها كما ذكرنا .

اشباع غريزة التدين:

وهذه الغريزة المتأصلة في النفس الانسانية لابد لها من الاشباع اسوة باخواتها الغرائز الاخرى ، كما قلنا سلفاً في كيفية اشباع الغرائز الاخرى ، واشباع غريزة التدين لا يكون بالاكل والشرب ولا بالجنس ، لانها غريزة مستقلة قائمة بنفسها مثلها كمثل سائر الغرائز الاخرى ، فكما لا يمكن اشباع غريزة الجوع بالممارسة الجنسية ولا العكس أيضاً ، فكذلك لا يمكن اشباع غريزة التدين الا بما يتلائم وطبعها ، فيكون الاشباع منحصراً بالعبادة .

التدين بوليس داخلي:

وانما زود الله تعالى الانسان بغريزه التدين وجعلها جزءً من ذاته كسائر الغرائز ، لكي تتمكن هذه العريزة بعد اشباعها بالعبادة من أداء وظيفتها ، ان تتحكم في الضبط والسيطرة على بقية الغرائز ، وتنظيم طريقة اشباعها وملىء فراغها حتى لا تتعدى حدود المجال المشروع لها ، فلهذا جعلت غريزة التدين كبوليس داخلي على بقية الغرائز تراقبها وتنظم سيرها ، لان هناك ترابطاً وصلات وثيقة بين هذه الغرائز لانهن احوات في جسم الانسان لا يمكن ان تستغني كل واحدة عن الاخرى والا فانها تنحرف

وتشذ عن طريقها ونهجها المحدد، وتسير على غير هدى .

وبالاضافة الى هذا ان غريزة التدين التى اودعها الله فى النفس البشرية لكى تسوقه الى كماله الروحى ، وتدفعه الى الفحص عن غذاء انسانيته الروحى كما تدفعه غريزة المعدة الى الفحص عن الطعام والشراب فغريزة التدين تعبر عن الدافع الاصيل فى الانسان والذى يغريه بالارتفاع الى آفاق أرحب من نطاقه المادى المحدود ويفتح مشاعره على صلة روحية كبرى تتضاءل من يديها كل صلات المادة وعلائقها وهى صلة الانسان بالخالق الحكيم . صانع الكون ومدبره .

واذا كان التدين غريزة وكان اداء كل غريزة لرسالتها وتحقيقها لحكمتها موقوفاً على طريقة اشباعها ، فمن الطبيعى أن يهتم الاسلام بوصفه النظام القيم على الانسانية وغرائزها وسلوكها بتنظيم هذه الغريزة وتحديد محتواها الحقيقى وتعيين الاساليب الصحيحة فى اشباعها .

فالمحتوى الحقيقى لغريزة التدين فى نظر الاسلام هو شعور الانسان بالارتباط بخالق ، حكيم ، عادل ، عالم ، قادر ، جدير بالعبادة والحب والتقديس ، لانه واجد كل كمال ومنبع كل رحمة .

وأما أساليب اشباع هذه الغريزة وبمعنى آخر أساليب التعبير عن ذلك الارتباط وما يفرضه من خضوع وحب وتقديس ، فهى العبادات التى شرعها الاسلام ونظم بها وسائل اشباع غريزة التدين وحددها بالشكل الذى يحقق هدفها ويواكب الاهداف الخيرة لسائر الغرائز الانسانية دون أن يعتدى عليها . أو يفرط بشأنها ، فنظام العبادات فى الاسلام لا يقر اشباع غريزة التدين على حساب الغرائز الاخرى اشباعا رهبانيا يقطع صلة الانسان بأرضه وكونه .

وانما يقر الاسلام اشباع غريزة التدين بالشكل الذى يعبر تعبيرا صادقا عن محتواها الحقيقى ويركز فى نفس الانسان صلته الروحية بخالقه ويجعله يستشعر بهذه الصلة ويستوحى منها ويعتمد عليها فى سرائه وضرائه ويستمد منها قوة الارادة وخلوص النية وطهارة الروح (٧)

العبادة رقيب داخلى :

وبالاضافة الى كل ما تقدم ، فان

وظيفة العبادة لا تقتصر على اشباع غريزة التدين فقط ، بل تتعداها الى مجالات أوسع وأشمل وخاصة في المجال التربوي والسلوكي ، فهي الى جانب كونها اشباعاً لغريزة التدين لها وظيفة اخرى وهي تحديد وتقييد تصرفات الغرائز الاخرى لكي لا يتعدى في أشباعها على المجال المحدد الشرع لها فهي كرقابة عملية داخلية تؤدي وظيفتها الواجبة والمستحبة (٨)

العبادة وترتيبها الزمني :

وظيفتها : وهذه العبادات بترتيبها الزمني لها وظائف وادوار مختلفة كما نراها فيما يأتي :

أ - قسم يؤدي دور الرقابة اليومية لاعمال الانسان كالصلوات اليومية .

ب - قسم يؤدي دور الرقابة والتقوية والشحن في المجال السنوي وهو فريضة الصوم .

ج - قسم يقوم بدور التنظيف والتشذيب والصقل في عمر الانسان وهو فريضة الحج .

ونحن بدورنا هنا لابد لنا من شرح لهذه الاقسام التي ذكرناها بشكل مختصر وموجز كلا على حده .

١ـ الصلاة :

والصلاة كما قلنا هي الرابطة الروحية التي تربط الانسان بخالقه وبالعالم الروحاني وهي التي تقوم بدور الرقابة والتنظيم لسلوك الانسان وتصرفاته الفردية والاجتماعية ولو لاحظنا الصلاة بترتيبها الزمني لعرفنا واستفدنا منها ذلك .

الصلاة ومسبباتها :

صلاة الصبح :

عندما يفيق الانسان من نومه، ويتنفس الكون بصباحه ويعم بضوئه ، ويروم الانسان الخروج الى معترك الحياة ليساهم في بنائها وادارتها واستمرارها على وجهها الاكمل، ليعيش هو وجميع أفراد البشر في بحبوحة العيش ورفاهية الحياة

بوصفه لبنة من لبنات هذا الزخم البشري ليؤدي وظيفته الاجتماعية وواجبه

الانساني من ادارة حياته ومعاشه ، فانه عندما يهم بالخروج، تقدم لهلائحة الصباح ، ويطلب منه التوقيع والتصديق عليها والالتزام بموادها ، والسير على ضوءها ، والتقيد في تصرفاته وضبط سلوكه وأقواله ، على وفقها .

وقد تصدى الى هذا المضمون ما جاء في كلام أمير المؤمنين علي (ع) يوصي به أصحابه قائلا :

((تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها وتقربوا بها ؛ فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً الا تسمعون الى جواب أهل النار حين سئلوا : «ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين . وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق الربق شبهها رسول الله (ص) بالحمة (٩) تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن ؟! وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع . ولا قرة عين من ولد ولا مال

يقول الله سبحانه وتعالى : «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة» (١٠).

مواد اللائحة :

واما مواد اللائحة التي لابد له من الالتزام بها والتصديق عليها فهي مايلي :

١ ـ ان لا يسرق .

٢ ـ ان لا يخون امانة ولا بلاده وامته.

٣ ـ ان لا يغش .

٤ ـ ان لا يغصب .

٥ ـ ان لا يرتشي .

٦ ـ ان لا يعتدي .

٧ ـ ان لا يرابي .

٨ ـ ان لا يحتكر .

٩ ـ ان لا يزني .

١٠ ـ ان لا يقامر.

١١ ـ ان لا يكذب .

الى ما هنالك من المنكرات والمحرمات ، فاذا اؤتمن على مال أو عرض حفظ المال وستر العرض ، وان تاجر اوشارك في تجارة رعى الامانة وحفظ العهد ، وان تعرضت له مفاتن الحياة من شهوة تغريه ، ذكر الله فعف، او ما يطغيه أشرق النداء في نفسه ـ الله أكبر ـ فساد الهوى ولم يبق لشهوة المال في نفسه شأن يذكر ، وان تولى رعاية أمر

ـ وكلنا راع ـ أحسن الرعاية (١١) .

المنبه الاول فى صلاة الصبح :

فصلاة الصبح بمثابة التوقيع والالتزام بمواد هذه اللائحة ـ ايجابا أو سلبا ـ فتكون صلاة الصبح المنبه الاول، ثم يمضي الانسان مع الحياة ومع معاشه ومع مجتمعه، وربما تنسيه كثرة اشغاله وضخامة اعماله، ذلك التوقيع الذى وقعه على اللائحة الصباحية .

المنبه الثانى فى صلاة الظهر :

فيأتى دور المنبه الثانى فى صلاة الظهر . فيذكره ويجدد توقيعه على تلك اللائحة قبل ان ينحرف عن واقعه وينحرف مع تيار شهواته ولذائذه .

المنبه الثالث فى صلاة العصر :

وقبل ان تستهويه المغريات واطماعها . يأتيه المنبه الثالث فى صلاة العصر .

واذا انتهى من اعماله وأراد أن ينصرف من عالم الجدية والنشاط الى عالم الراحة والسكون .

المنبه الرابع فى صلاة المغرب:

فيأتيه المنبه الرابع بتقديم اللائحة من جديد، للتوقيع عليها فى صلاة المغرب فهى صلاة تدقيق فى حسابه واحصاء لاعماله وتصرفاته اليومية .

المنبه الخامس فى صلاة العشاء :

وحتى اذا ما أراد الخلود الى فراشه ونومه . جاءه المنبه الخامس فى صلاة العشاء للتوقيع على اللائحة الاخيره ، فهى صلاة تذكير وتنبيه لافعاله ومدى التزامه بموادها وانسجامه معها أو ما شذ أو عزف عنها ، فهى صلاة تذكير وتأنيب بما فعل وبما شذ أو عزف.

الخاتمة الصلاتية الرائده :

وهكذا تكون الصلاة فى أوقاتها . ضابطا لسلوك الانسان وحافظة له من الانزلاق والانحراف عن طريق الله ، وكيف لا تكون كذلك وقد قال الله سبحانه وتعالى : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

(١) قاموس المحيط ج ١ ص٣١٢ .

(٢) المنجد ص ٤٨٣ جلد ١٩ حرف .

(٣) لسان العرب ص ٢٧١ ج٣ دار الصادر بيروت .

(٤) نظام الاسلام العقيدة والعبادة ص ١٩٠ محمد المبارك .

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) قصة الحضارة ج ١ ص ٩٩ ولديورانت ترجمة زكى نجيب محمود .

(٧) مجلة الاضواء السنة الاولى العدد ٢٤ ص ٦٨٨ .

(٨) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا الصوم تاريخه تشريعه احكامه ص ٤٩ .

(٩) الحمه عن تينع بالماء الحار يستشفى بها من العلل فكذلك الصلاة تشفى فى العلل النفسية ويطهر من الذنوب والاوثان .

(١٠) نهج البلاغة شرح محمد عبدة ص٢٠٤ ج٢ .

(١١) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية تأليف محمد الراوى ص١٧٤ فى سلسة من الشرق والغرب دار القومية للنشر والتوزيع .

الشيخ آقا بزرگ الطهراني

بقلم . محمد رضا حكيمي *

ترجمة : مرتضى مرتضى

هو الشيخ محمد محسن المعروف بـ «الشيخ آقا بزرگ الطهرانى» و «صاحب الذريعة» .

ولد فى طهران ليلة الخميس ١١ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ هـ فى بيت كان يجمع بين العلم والتجارة . . وكان والده الحاج على المتوفى ١٣٢٤ من تجار طهران المتدينين واهل الفضل والتقوى . أما أمه فكانت من العلويات المعروفات بالصلاح فى ذلك الوقت .

ألف والده كتاباً فى موضوع تحريم التنباك وفتوى الميرزا الشيرازى فى هذا الصدد وهو موجود فى مكتبة الشيخ آقا بزرگ فى النجف الاشرف .

فى مثل هذه العائلة الكريمة المعروفة بالتدين والفضل ولد الشيخ ونشأ وترعرع وتربى . . وبعد ان تعلم القرآن عند احدى نساء العائلة وصار عمره سبع سنوات سنة ١٣٠٠ هـ . ذهب الى أحد الكتاتيب القريبة منهم فى نفس محلتهم (پامنار) فى طهران . . وفى كتاتيب هذه المحلة درس شيئاً من اللغة الفارسية والشعر ثم شيئاً من العلوم الدينية والحساب .

---

* نشرته مجلة «نگين» الطهرانية .

وحينما بلغ العاشرة من عمره عقد المرحوم والـده مجلساً حضره جمع مـن علماء طهران . وفيه البسوه العمة وتزيا بزى أهل العلـم فهنأه الحاضرون واشـاروا عليه ان يبدأ بدراسة جامع المقدمات . ولما كان يحمل اسـم جده الأكبر «الحـاج محسن» فقدكانوا ينادونه بـ «آقا بزرگ» (١) ثم اضافوا اليها كلمة الشيخ بعد ان لبس العمامة فصار يعرف بالشيخ آقا بزرگ .

* * *

لبس الشيخ لباس اهل العلم وشرع فى دراسة العلوم العربية ، واستمر يدرس مدة ١٢ سنة فى طهران من سنة ١٣٠٣ الى ١٣١٥ درس خلالها النحو والصرف عند الشيخ محمد حسين الخراسانى والشيخ محمد باقر معز الدولة . . وتعلم خط النسخ والنستعليق عند الخطاط المعروف زين العابدين محلاتـى . ودرس التجويد عـند الشيخ محمد رضا القارى . . والمنطق عند الميرزا محـمود القمى . . والفقه عنـد الميرزا محمدتقى الگرگانى (الجرجانى) والشيخ على النورى الايسلكانى . . واصول الفقه عند السيد عبد الكريم اللاهيجـى . . والرياضيات عنـد الشيخ على النـورى والميرزا ابراهيم الزنجانى .

وفى سنة ١٣١٣ تشرف مع اخيه بزيارة العتبات المقدسه فى العراق وعاد فى السنة التاليه الى طهران . ثم عقد العزم فى سنه ١٣١٥ على الانتقال الى جوار أمير المؤمنين (ع) فى النجف الاشرف واكمال دراسته فى جامعتها الدينية لما لها من الاهمية العلمية والتربوية والمعنوية ولانها كانت مجتمع كبار العلماء .

وبعد وصوله الى العراق توجه الى كربلاء فزار الامام الحسين (ع) فى يوم النصف من شعبان واستمد منه النشاط والحماسة ثم توجه بعدها الى النجف الاشرف الى جوار باب مدينة علم النبى (ص) فوصلها يوم الاربعاء السابع عشر من شعبان من نفس السنة .

---

(١) كلمة فارسيه تعنى بالعربيه (السيد الكبير) .

وبعـد ان استقر فى النجف الاشرف شرع فى الدراسـة عند جماعة من كبار علمائها ، وقطع اشواطاً بعيدة فى المعارف الاسلامية . ووصل الى رتبة الاجتهادفى الفقه والأصول والحديث والاخلاق ومعرفة الكتب والاجازات . وكان من جملة من درس عندهم فى النجف الاشرف :

١ ـ السيد محمد كاظم اليزدى المتوفى ١٣٣٦ .

٢ ـ الملا محمد كاظم الخراسانى المعروف بالآخوند المتوفى سنة ١٣٢٩ .

٣ - الحاج ميرزا حسين الحاج ميرزا خليل المتوفى سنة ١٣٢٦ .

٤ ـ المحدث الكبير الميرزا حسين النورى المتوفى سنة ١٣٢٠ .

٥ ـ الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنة ١٣٢٣ .

٦ ـ السيد مرتضى الكشميرى المتوفى سنة ١٣٢٣ .

٧ ـ الميرزا محمـد تقى الشيرازى «صاحب الفتوى الشهيرة فى ثورة العشرين فى العراق» المتوفى سنة ١٣٣٨ .

٨ ـ ملا فتح الله المعروف بـ (شيخ الشريعة الاصفهانى) المتوفى سنة ١٣٣٩ .

وقد بقى الشيخ آقا بزرك فى النجف الأشرف منذ وصوله فى سنة ١٣١٥ الى السنة التى توفى فيها الملا محمد كاظم الخراسانى وهى سنة ١٣٢٩ فانتقـل الى مدينة سامراء لحضور درس الميرزا محمد تقى الشيرازى .

وفى سامراء اعتزل الناس واشتغل بتأليف كتابه (الذريعة) وبقى هنـاك حتى سنة ١٣٣٥ هـ . ١٩١٧ م أى قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بسنة واحدة : فانتقل الـى مدينـة الكاظميـن (ع) وبقـى فيها سنتـين عاد بعـدهما فى سنة ١٣٣٧ الـى مدينة سامراء وبقى فيها حتى سنة ١٣٥٤ هـ . وكانت مدة اقامته فيها ٢٤ سنة اتـم خلالها مقدارا كبيراً من أعماله العلمية وتأليفاته القيمة . . وفى هذه السنة عاد فشد الرحال الى مدينة النجف الأشرف وبقى فيها حتى نهاية عمره الشريف فى سنة ١٣٨٩هـ .

وبمجرد وصوله الى النجف فى سنة ١٣٥٤ اسس مطبعه باسم (مطبعة السعادة) لاجل ان يطبع فيها كتابه الكبير (الذريعة) لكنه اضطر الى التخلى عنها بسبب بعض

الموانع ؛ فباعها وشرع بطبع (الذريعة) بثمنها ؛ فخرج المجلد الاول منهالى حيز الوجود فى سنة ١٣٥٥ ثم تلاه المجلد الثانى والثالث . وبعد ذلك بدأ بطبع بقية المجلدات فى طهران .

* * *

وقد امضى الشيخ طيلة السنوات التى اقامها فى النجف الأشرف ـ كما امضى سائر ايام حياته ـ فى الاشتغال ليل نهار بالتدقيق والتحقيق ، واكمال رسالته العلمية والعمل على تأليف ونشر معلوماته بكل أمانة واخلاص دون أن تحد من نشاطه أو تشل حركته الحوادث المؤسفة والأمراض المؤلمة التى كثيراً ما كانت تعترض أيام حياته .

لقد كان الشيخ انموذجاً فريداً من نوعه فى اخلاقه الاسلامية وتقواه وطهارة ضميره وكان يذكرنا بأصحاب الأئمة الطاهرين وكبار علماء الشيعة ، وكان كماعبر عنه العلامة الامينى «بقية السلف الصالح» .

وكان رحمه الله مع كل هذه المشاغل العلمية لا يغفل ـ لحظة ـ عن واجباته الدينية ، ومسؤولياته الشرعية والاشتغال بترويض النفس وتهذيبها ؛ فكان يذهب فى ليلة الأربعاء من كل اسبوع الى مسجد السهلة الذى يبعد ١٠ كيلومترات عن النجف سيراً على الأقدام وهناك يشتغل بالصلاة والدعاء . وقد استمر على هذه الحالة الى ان وصل الى سن الثمانين من عمره .

كان رحمه الله يصلى اماماً فى مسجد الشيخ الطوسى القريب من الصحن العلوى الشريف حتى سنة ١٣٧٦ وفى هذه السنة اضطر الى ترك الصلاة فيه لبعده عن المنزل بعد أن أصبح عاجزاً عن السير طويلا بسبب حادث اصطدام وقع له فى طريق كربلاء واختار عوضاً عنه مسجد الطريحى القريب من منزله .

وقد بقى الشيخ خمساً وثلاثين سنة اى من سنة ١٣١٥ الى سنة ١٣٥٠ فى العراق لم يخرج منه الى اى مكان . وفى هذه السنة سافر الى ايران بدعوة من

عمه (الحاج حبيب الله محسنی) .

وفي سنة ١٣٦٥ سافر من النجف مرة اخرى الى ايران وعندما وصل الى كرمانشاه نزل ضيفاعلى عالمها (حيدرقليخان سردار كابلي) المتوفى سنة ١٣٧٢ ومن هناك سافر الى مدينة قم المقدسة . . وفي يوم ٢٧ شعبان من نفس السنة وصل الى مشهد الامام الرضا (ع) في خراسان . وكان سفره هذا ذا فوائدجمة لانه استطاع ان يجمع نسخا فتوغرافية لكثير من الكتب والمصادر لكتابه الذريعة .

وفي سنة ١٣٧٩ سافر مره اخرى الى مشهد الامام الرضا (ع) بقصد الزيارة.

وكان آخر سفر له الى هناك في سنة ١٣٨٣ .

وفي سنة ١٣٦٤ تشرف بزيارة بيت الله الحرام وكان سفره هذا علمياً بالاضافة الى كونه عبادياً لانه التقى فيه بكثير من علماء المسلمين فيالمدن الواقعة في طريقه وفي مصر وسوريه والحجاز . كما التقى بالكثير من علماء السنة في مكة والمدينة والقاهرة وحصل منهم على اجازاتفيرواية الحديث . وقد ذكر الشيخ رحمهالله في اجازته التي اعطاها للعالم الجليل والمحدث والمؤرخ المتتبع الشيخ نجم الدين العسكري في ١٢ صفر سنة ١٣٧٢ اسماء هؤلاء الذين اجازوه كما انه رحمه الله ـ باعتباره من كبار المحدثين وشيوخ الاسلام واركان الحديث ـ قد منح الكثير منهؤلاء العلماء المشاراليهماجازاتفي روايةالحديث. ثم تشرف بزيارة بيت الله الحرامرة اخرى في سنة ١٣٧٧تصحبه زوجته . وكان سفره هذه المرة تلبية لدعوة وجهها اليه أحد رجالات الشيعةالهنود وهو : (نواب عبد الكريم خان أمير رامپور) وتكفل بدفع جميع نفقات السفر وقام مع زوجته بخدمة الشيخ طيلة الرحلة . . وفي هذه المرة أيضاًتشرف الشيخبزيارة مرقدالنبي الاعظم (ص) حيث جدد له العهد على الاستمرار في خدمة الدين الحنيف والعمل على حفظ التراث الاسلامي واحياء مآثر علماء الامة رضوان الله تعالى عليهم .

اجازة رواية الحديث :

ان واحدة من أهم المسائل فی تاریخ الثقافة الاسلامية وخصوصا الثقافة الشيعية هي مسألة الصداقة فی الرواية واجازة رواية الحديث فمنذ الايام الاولى للاسلام كان النبي الأعظم (ص) والائمة الطاهرون (ع) واصحابهم يعطون مسألة رواية الحديث ونقله اهميه خاصة ولا يقبلون الرواية من أي شخص كان الا بعد تحقق الشروط المطلوبة للقبول من حيث تقوى الراوی وعلمه بالحديث وفهمه مضمونه وما لم تجتمع تلك الشروط لم يكونوا ليعطوه اجازة برواية الحديث كما لم يكونوا ليقبلوا بما يرويه .

وكان هذا الأمر سببا لان تظهر الى الوجود مسألة سلسلة الاجازات فی علم الحديث ويصبح للمحدثين ثقافتهم الاسلامية الخاصة وطابعهم الخاص بهم من وجهة النظر العلمية والاخلاق العلمية .

ولقد كان كبار العلماء يلتزمون بالحصول على الاجازة من اساتذتهم مشافهة ومكتوبة واينما سمعوا بأستاذ في الحديث أو شيخ صاحب اجازة هرعوا اليه للحصول على اجازته والالتزام بما يمليه عليهم من الشروط فی كيفية الرواية عنه واسنادها الى النبي الاكرم (ص) والائمة الطاهرين (ع) والصحابة الاجلاء رضوان الله تعالى عليهم .

ولكن مما يؤسف له كثيراً ان مسألة اجازة رواية الحديث فقدت في المدة الاخيرة اهميتها تلك واصبحت شبه منسية في الحوزات العلمية الدينية . وأصبح الكثيرون ممن ليس لهم حظ من ثقافة الحديث الواسعة وفهم الاحاديث وأصول نقدها ينقلون الاحاديث في شتى المجالات دون وعي أو تدبر .

واسوأ من ذلك جماعة آخرون يحملون في مجتمعاتهم القاباً كبيرة من قبيل كاتب ديني او خطيب ديني وهم على جهل تام أو شبه تام بالعقيدة واحكام العقيدة.

ولا شك في انه ربما يكون في ضمن هذه الجماعة اشخاص ذوو ثقافة عالية

ومعرفة واسعة في ميادين اخرى بل وربما تخصصوا في تلك الميادين الا ان على المجتمع ان يكون بالنسبة اليهم على حذر أيضا لان فهم الحديث شيء وتخصص اولئك شيء آخر. وان فهم الدين والحديث بحاجة الى تخصص فيه وتعمق في فهمه . . والامر العجيب انهؤلاء السادةلا يسمحون لاحد ان يدخل فيما هو من اختصاصهم في الوقت الذي يصدرون الاحكام والاراء في مختلف القضايا الدينيه والمسائل المذهبية وينقلون او يرفضون ما شاءوا من الروايات والاحاديث دون ان يعتمدوا في ذلك على اساس متين أوقاعدة صحيحه وتكون نتيجة عملهم هذا نشر الاحاديث الضعيفة على انها وردت عن الرسول وأهل بيته أو الاستشهاد بأحاديث وردت في مناسبات اخرى . . وينتهي الامر الى انحطاط مستوى الثقافة الاسلامية وايجاد انحطاط في الفهم الديني لدى عامة الناس . وكل ذلك يكون نتيجه طبيعيه لعدم الاطلاع على مجموعة واسعة من الثقافه اللازمة التي لابد منها لمعرفة نقل الاحاديث وتفسيرها وتشخيصها

وعلاوة على هؤلاء الساده فهناك جماعة آخرون من الكتاب ـ كتاب الجرائد والمجلات ـ الذين ليس لهم أي تخصص أصبحوا ـ بدون أية مراعاة للاصول والقواعد ـ مفسرين للقرآن الكريم ومحدثين بالسنة الشريفه يصدرون آراءهم على اساس انها غير قابلة للمناقشة والجدل .

بل ان بعض الفرق قد ادعت بأن مصطلحات علم الحديث وضعت في القرون المتأخرة أي في القرن السادس أوالسابع ولذا فهم لا يرون وجوب العمل بها : وما ذلك الا لكي يستطيعوا ان يلقنوا الناس ما شاءوا من الاحاديث المجعولة والمبتدعة دون أن يعترض عليهم أحد. وكأنهم لم يعلموا أو تجاهلوا ان الدقة في نقل الاحاديث والتريث في قبولها كان معمولا بها منذ زمان النبي الأكرم (ص) وأمر به القرآن الكريم: جاء في سورة الحجرات الاية السادسة قوله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً

بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين» .

كما ان علماء الدين الامناء والمخلصين قد راعوا هذه الشروط منذ اليوم الاول وميزوا بين الصحيح والضعيف من الاحاديث وان لم يكن لهم اصطلاحات خاصة بهم . تماماً كما كان الحال في علم النحو فان قواعده كانت تراعى بشكل دقيق حتى قبل ان تصاغ قواعده وتدون في الكتب ؛ فكان كل عربي مثلا عندما يتكلم بالحال يأتي به منصوباً وان لم يكن يعرف ان اسمه حالا .

ان القرآن الكريم قد أمر بالتعرف على الرواة وتبين كلامه عندما قال تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . .) بينما أراد هؤلاء المنحرفون أن يقبل منهم عوام الناس كل ما يقولونه دون معارضة .

وأسوأ من ذلك ان اتباع هؤلاء أصبحوا يرون آراءهم مقدمة على الاحاديث والروايات . . وهكذا أخذوا يتلاعبون بالدين والمجتمع كما شاءوا .

وقام من جهة اخرى بعض المستشرقين ـ الذين لا يخفى على اللبيب ما يبيتون من نوايا سيئة ـ بالعمل على التعريف بهؤلاء وبمذاهبهم وأقوالهم واطلقوا على مذهبهم جهلا أو لحاجة في نفس يعقوب اسم (الحكمة الألهية الشيعية) .

وهكذا فان المجتمع الاسلامي لن يستطيع ان يكون بمأمن ـ حتى لحظة واحدة ـ من كل هذه الذئاب المترصدة .

* * *

قبل عدة سنوات تحدثت في رسالة «آواى‌روزها» عن حياة الشيخ آقابزرگ وآثاره العلمية في فصل تحت عنوان «كتابشناس بزرگ» وتحدثت فيه عن أهمية اجازة رواية الحديث وكيف اهملت تماماً في هذه الايام . . ونظراً لما لهذا الموضوع من الاهمية أعود فأذكر لك خلاصة ما كتبته هناك :

«ان الوصول الى اساتذة عظماء ومربين لائقين هو من التوفيقات الخاصة التي لا تحصل الا لبعض الاشخاص . ومن هؤلاء الشيخ آقا بزرگ .

فقد اتصل في أول وروده الى النجف الاشرف بالعلامه والمحدث المعروف المرحوم الحاج ميرزا حسين النوري وتعلم على يديه ثم حصل منه على اجازة في نقل الحديث . وكان في طليعة كبار اساتذته وهو الذي كان يصله في أيام شبابه بكبار الاساتذة والمشايخ السابقين في سلسلة رواد الاحاديث .

ويتصل الشيخ آقا بزرگ في عملية رواية الحديث واتصال الاسانيد بمختلف مشايخ المسلمين وعلماء البلاد من مختلف المذاهب الاسلامية . ومن جملة من وردوا في طرق اجازته السيد حسين الهندي من علماء الشيعة في الهند ابن العلامة المجاهد (مير حامدحسين الهندي المتوفى ١٣٠٦) وصاحب الكتاب القيم (عبقات الانوار) .

وقال الشيخ في اجازته لكاتب هذه السطور : وقد ذكرت في ذيل كتاب (المشيخة) المطبوع في بيروت بعضاً من طرق رواياتي واسانيدي عن اساتذتي في الحديث وكلهم من العلماء المسلمين في القاهرة ومكة والمدينة .

كما اعطى الشيخ اجازات في رواية الحديث لجماعة من هؤلاء العلماء ممن وجد عندهم اللياقة وذكر اسماءهم في بعض مؤلفاته .

ولقد كنت اتمنى دهراً طويلا أن أحصل من الشيخ آقابزرگ على اجازة في الرواية لأتصل بواسطتها بالمحدث الكبير المرحوم النوري وسلسلة اسناده المتصلة الى الائمة عليهم السلام ولاكون [illegible] نقل الحديث على خلاف المرسوم في وقتنا الحاضر ـ وعندما تشرف الشيخ بزيارة مشهد الامام الرضا (ع) زرته في حرم الامام وطلبت منه اجازة في رواية الحديث فتأثر كثيراً وتأوه وقال : آسف كثيرا لانني لم أجد في هذا العصر الا شخصاً واحدا يفكر في الحصول

علـى اجارة الرواية ويحتاط في نقل الحديث . اين هي تلك الايام التي كانو
يهتمون فيها بوصل الاسانيد وكيف جرى لتلك الاهمية التي كانت تعطى لذلك كم
تأسف كثيرا على ضياع الاحاديث . (آواى روزها) ص ٥٣ - ٥٧

وبعثر خلال تصفحنا لحياة الشيخ العلمية على أعمال غير عادية . وفي صدد (المجيزين) (والمجازين) يعثر على كثير من الاسماء المهمة . حتى قيل انه قد يوجد أحد من كبار العلماء قد بلغ الى ما بلغ اليه الشيخ ، من حيث عدد الاجازات وكيفيتها سواء من حيث أخذه للاجازة والاشخاص الذين أجازوه أو من حيث اعطائه لها والاشخاص الذين استجازوه . ونذكر هنا اسماء بعض العلماء الذين حصل منهم على اجازات في الرواية من الشيعة والسنة :

١ - الحاج ميرزا حسين النوري . ٢ - السيد محمد علي شاه عبد العظيمي ٣ - الشيخ علي الخاقاني . ٤ - الشيخ محمد صالح آل طعان الهجرابي ٥ - الشيخ موسى بن جعفر الكرمانشاهي ٦ - السيد ابو تراب الخوانساري ٧ - الشيخ علي كاشف الغطاء (والد المصلح الكبير العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء صاحب كتاب أصل الشيعة واصولها). ٩ - الشيخ محمد علي الازهري المكي المالكي (رئيس المدرسين في المسجد الحرام في مكة المكرمة) . ١٠ - الشيخ عبد الوهاب الشافعي (امام المسجد الحرام). ١١ - الشيخ ابراهيم بن أحمد الحمدي (من علماء المدينة المنوره) . ١٢ - الشيخ عبد القادر الخطيب الطرابلسي (مدرس الحرم الشريف) . ١٣ - الشيخ عبد الرحمن عليش الحنفي (مدرس الجامع الازهر وامام مسجد رأس الحسين (ع) في القاهرة) .

وهذه أيضاً أسماء عدد من كبار العلماء المعاصرين الذين حصلوا على اجازة في نقل الحديث من الشيخ آقا بزرگ :

١ - المرحوم آية الله البروجردي. ٢ - العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ٣ - العلامة الاميني (صاحب كتاب الغدير) . ٤ - السيد عبد الهادي الشيرازي

٥ ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين . ٦ ـ الشيخ محمد حسن المظفر . ٧ ـ السيد هبه الدين الحسيني الشهرستاني . ٨ ـ الميرزا محمدعلي الاردوبادي . ٩ ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي .

وبالتأمل في هذه الاسماء تتضح اهمية هذا الموضوع من ناحيتين :

الناحية الاولى : ان كبار العلماء كانوا يهتمون بموضوع اجازة الحديث الى حد يتناسون معه اختلاف مذاهبهم ، ويستجيز الجعفري والمالكي والحنفي والشافعي من بعضهم البعض .

والثانية :ان عظماء الرجال الذين كانوا ـ بالاضافة الى مقاماتهم العلمية والدينية ـ اقطاب الاجازة وشيوخ السند كآية الله البروجردي والسيد عبدالحسين شرف الدين والعلامة الاميني وغيرهم من كبار العلماء قد أخذوا عن الشيخ آقا بزرگ اجازات في الرواية ونقل الحديث .

انظر مثلا الى آية الله البروجردي (المرجع الفقيد) وهو يأخذ الاجازة بعد سنوات من تدريس الفقه والحديث ويحمل اجازات من كبار الفقهاء . وقس ذلك الى الوضع في وقتنا الحاضر والى كيفية نقل الجماعة التي اشرت اليها في أول البحث للاحاديث .

وقد أطال الشيخ آقا بزرگ البحث في موضوع اجازة الرواية وتحدث كثيراً عن مدى ما لها من الاهمية والف في ذلك كتاباً خاصه . ومن ذلك أنه ذكر في المجلد الاول من الذريعة (٧٧٩) اجازة حديثية كتبها اساتذة علم الحديث لطلابهم . مضافاً الى ما ورد في الذريعة من اجازات تحت اسم آخر غير (اجازة) أو (الاجازة) .

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (كيف تكتب بحثاً أو رسالة) : حينما أردت ان أعد رسالة الدكتوراه التقيت شخصاً بعده من كبار العلماء واتصلت بعلماء النجف حول ما كتبته عن مذهب الشيعة ومن جملتهم الشيخ آقا بزرگ الذي استفدت منه كثيرا بالنسبة الى تاريخ انتهاء الرسائل العلمية والاجازات .

(الطبعة الثانية ص ٥٩)

وكتب المحقق العراقي الدكتور عبد الله فياض في كتاب (الاجازات العلمية) تحقيقاً مفصلا حول هذا الموضوع أوضح فيه مدى أهمية العلامة الشيخ آقا بزرگ في هذا الباب وخصص ١٦ صفحة لنقل ما كتبه الشيخ من الحواشي على الاجازات.

ومما ساعد الشيخ على الوصول الى هذا المقام اللائق في دنيا العلم ـ بالاضافة الى سنوات طويلة قضاها في حضور درس كبار العلماء ، وفي التحقيق والتتبع والعمل ـ طول عمره الشريف فقد كان له نعم المعين وكان ذلك من توفيقاته الربانية.

وكان رحمه الله بالاضافة الى عمله الدائب ليل نهار في التحقيق والتأليف والاستنساخ والسفر لاجل التعرف على الكتب والمصادر والانزواء من أجل تنظيم وتصنيف مدخراته العلمية واعدادها للاجيال القادمة، لا يغفل لحظة واحده عن وظائفه الاجتماعية .

وحينما كان اساتذته ومن جملتهم الاخوند ملا محمد كاظم الخراساني والحاج ميرزا حسين والحاج ميرزا خليل يعملون على التعريف بمفاهيم العدالة ويقودون الامة للعمل على تحقيق هذا الغرض كان هو يترجم كتاب (المدنية والاسلام) تأليف فريد وجدي الى الفارسية ويعمل على نشره .

للبحث صلة

كتاب في مقال :

دوافع الاتجاه نحو المادية

بقلم :

الشيخ مرتضى المطهري

تقديم : محمد علي التسخيري

هذا الكتاب يضم محاضرتين للمؤلف القاهما بهذا العنوان فى معهد ثقافى ثم اضاف لهما بعض التعديلات حتى يصلح الموضوع للنشر .

وفي مطلع الكتاب يتحدث المؤلف عن المادية وماذايقصدبها ، فقداستعمل هذا المصطلح فى معانى مختلفة منها ان يقصد به أصالة المادة وأنـها امر واقعى لا انها تعبر عن تفكير ذهنى كما يدعى المثاليون ـ وهنا يكون الالهيون ماديين ولا تنافى بين هذا المعنى ووجود الله بل إن العالم المادى مخلوق له تعالى وعلامة على وجوده وقد يراد بها انكار عالم ماوراء المادة اطلاقاً ـ وهو مدار البحث.

وليس هذا الاتجاه امراً مستحدثاً ناتجاً من التطور العلمى بل له جذور تاريخية قديمة ترجع الى ما قبل سقراط وقد سجل القرآن قول بعضهم على عهد الرسول (ص) (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر).

المادية فى العصر الاسلامي :

أطلق على الماديين اسم الدهريين ونحن نلاحظ الكثيرين ممن انتحلوا هذه النحلة فى العصور الاسلامية وخصوصاً العباسية وذلك لتلك الحرية الفكرية المتوفرة آنذاك وقد كانوا يجادلون المسلمين بكل حرية كما تدلنا عليه كثير من الروايات ومنها رواية المفضل بن عمر وكيف أبصر ابن ابى العوجاء وبطانته فى مسجد النبى يخوضون فى الكفر وانكاره عليهم ثم ذهابه الى الامام الصادق (ع) وعرض الامر عليه مما دعا الامام لان يعلمه الكثير مما يرد به عليهم .

الانسان الهى أم مادى :

إن تساؤلنا عن علل الاتجاه نحو المادية يكشف عن أن المادية هى الاستثناء لانها الامر المخالف للتركيب الكونى والفطرة الانسانية وهذا أمر يخالف ماتعارف عليه علماء الاديان من البحث عن سر نشوء الدين واثبات هذا المدعى يؤجل الى وقت آخر ولا نعنى بقولنا هذا أنه ليس هنا اسئلة عقلية حول الدين، بل أن هناك تساؤلات مهمة قد تطرح بادىء الامر ولها أجوبتها المقنعة ، والتشكيك اذن لا يكشف دائما عن الانحراف بل انه أمر طبيعى لتحصيل اليقين والايمان ـ طبعاً هذا ـ اذا كان الشك

شكاً هادفاً للوصول للحقيقة ، نعم ان اللوم يتوجه الى اولئك الذين يتلذذون من التشكيك وحسب. وهؤلاء هم الذين نناقشهم ونقول في قبالهم باننا نعتقد أن المادية وان ادعت انها اتجاه قاطع لكنها لا تعدو ان تكون من مدارس الشك وهذا هو الذي اكده القرآن الكريم .

المادية في القرون الحديثة :

نظراً لعدم التفريق بين المدرسة الفكرية والتمايل نحو الفكرة فقد نسب بعض الباحثين المادية الى بعض المدارس اليونانية في حين انها لم تصبح مدرسة الا في القرنين ١٨ ، ١٩ ، وهذا السعي هو الذي خلق احتمال ان تكون المادية وليدة التطور العلمي وذلك ما يسعى لاثباته الماديون . وان كان ذلك امرا سخيفا . والا لكان كل تقدم علمي لأي فرد دافعاً نحوها وهو خلاف الواقع فاذا وجدنا «راسل» ملحدا ، رأينا انشتاين وباستور ووليم جيمز وبركسون وكاريل مؤمنين . نعم نجب البحث عن علل تحول المادية الى مدرسة ويمكن ان نلخص هذه بما يلي :

١ ـ قصور المفاهيم، والعنف عند الكنيسة :

فعندما سلمت مسألة «الله» الى القساوسة في العصور الوسطى نسجوا حولها تصورات صبيانية ادت بالتالي الى نفور المثقفين فقد اعطيت الصورة الالهية شكلا بشرياً ولقن الاطفال بذلك ولكن ما ان نضج هؤلاء حتى رأوا التنافي بين ذلك والموازين العلمية والعقلية الصحيحة ولذلك فقد رفضوا الدين كلياً ولم يلتفتوا الى التفريق بين الدين كأصل وتحريفات الكنيسة وهذا ما أكده «فالتراوسكار لندبرك» في بحثه العلمي عن الله في كتابه «الله يتجلى في عصر العلم» كاحدى علتين للاتجاه نحو المادية .

هذا في الغرب اما في الشرق فانه وجد اتجاه مادي فردي الا انه لم ينتج عن بعض انواع التبليغ السيء والذي كان يرى في بعض الاماكن وانما نتج عن التقليد الاعمى للغرب . فقد كانت هناك دائما في العالم الاسلامي الجهة التي تستطيع أن تشبع تطلعات كل طالب للحقيقة في الجوانب العقائدية وهذا ما عدمته الكنيسة بتاتاً ،

يقول فلا ماريون فى كتابه (الله في الطبيعة)((ان الكنيسة عرفت الله بأن المسافة بين عينه اليمنى واليسرى تبلغ ٦٠٠فرسخ)).

الله كما يصوره أوغست كونت :

ينقل فلاماريون عنه انه قال بان العلم عزل ابا الطبيعة عن عمله وساقه الى الانعزال بعد ان قدر له خدماته المؤقتةاو فقل قاده الى قمة عظمته ، ويقصدبذلك ان الناس كانوا يعللون الحوادث بأمر الله ولكن كلما اكتشف العلم علة كلما انحسر ذلك التعليل وهكذا اكتشف العلل الكثيرة التي اقنعت العلماء بأن الحوادث الباقية لها علل مشابهة فلا داعي اذن لبقاء الاعتناء بالله ، ومن تعبيره عن الله بـ(اي الطبيعة) نستكشف التأثير الكنسي في تفكيره ، والذي يبدو انه يجعل الله عاملا من العوامل المؤثرة الاخرى في العالم ولكنه عامل مجهول خفي ، وان كل حادثة مجهولة لابد وان تفسر بالعامل الخفي حتى تكتشف علتها الحقيقية .

وقد كان اسلوبه هذا يشكل نموذجاً لاسلوب عصره في التفكير .

المقام الالهي :

ان الخطأ يكمن كما اشرنا في ان نجعله تعالى جزءاً من هذا العالم ونخصه بعمل من بين الاعمال فتكون النتيجة كما توصل اليها كونت اذ تكون المجهولات هي العلائم الوحيدة على وجوده وبانتفائها ينتفي وجوده (ما قدروا الله حق قدره) والحقيقة هي انه تعالى اله العالم وان نسبة الاشياء اليه متساوية وان كل الاشياء مظهر لقدرته وحكمته بلا فرق بين معلوم العلة ومجهولها ودائرة الموجودات أعم من كونها في مكان وزمان متناهيين أو غير متناهيين هي متأخرة عن وجوده تعالى :

المراحل الثلاثة لاغست كونت :

ان تقسيم كونت للادوار الرئيسية للحياة البشرية يعتبر طفولياً من قبل المطلعين على الفلسفة الاسلامية فقد قسمها الى ١ ـ المرحلة الالهية حيث تفسر الحوادث بالقوى الميتافيزيقية ٢ ـ الفلسفية حيث اطلع الانسان على مبدأ العلية ولكنه لم يعرف

العلل فكان يقول ان لهذا علة اجمالا فافترض مجموعة علل مؤثرة في الكون ، ولما كان يفكر أنذاك تفكيرا كليا فلم يبحث عن ماهية العلة ٣ ـ المرحلة العلمية وهي التي توصل فيها الى علل الأشياء بالتفصيل.

وقدتكون هذه المراحل عندالعامه صحيحة بل ان البعض لحد اليوم يفسرون المرض بعلل حسية ثم صدقوا بوجود علل طبيعيه احتمالية ثم اكتشف العلل الحقيقية ولكن هذا التقسيم مغلوط للفكر البشرى فلم يمر بهذه المراحل مطلقاً .

ولنأخذ الفكر الاسلامي مثلا كحلقة فكرية فان كل تلك التصورات يمكن جمعهافيه اى يمكن ان يكون للفكر اسلوباً علمياً وفلسفيا والهيا في تفسير الحوادث .

العنف الكنسي :

وقد كان الكنيسة دورها الاخر في سوق الناس نحو المادية وذلك هو مجال التحميل العقائدى وفرض المعلومات المغلوطة المتوارثة عن الفلسفات القديمة على العلماء ولانريد الحديث عن التفكير النزيه الذى يجب ان يكسف عملية الايمان كما اصر على ذلك الاسلام ومنعته المسيحية فذلك له مجال آخر وانما نريد ان نبين انالكنيسة اخطأت اولا في ادخال عقائد الفلاسفة القدماء الى المسيحيةواعتبارها مبادىء لا يمكن الخروج عليها . واخطأت ثانياً في اسلوبها العنيف في محاربة الخارجين وانشاء محاكم التفتيش أى تفتيش العقائد والقيام بتلك الفجائع الغريبة التى لا يمكن ان يطويها الزمن فبلغ عدد الضحايا من سنة ١٤٨٠ الى١٤٨٨م.٨٨٠٠ محروق و٩٦٤٩٤ محكوماًبالعقوبات الشاقة ! !

وغير ذلك من الفجائع وهكذا عاد الدين المسيحى يشكل العقبة الكبرى في وجه التقدم العلمي والمقصلة التى تطيح برؤوس الالوف باسم الدين فماذا ينتظر بعد ذلك ؟

٣ ـ قصور المستوى الفلسفي في اوربا :

وهو امر قد يستغربه البعض وكأنهم يتصورون ان التقدم التكنيكى

يلازمه تقدم في محتلف الحقول ، ولكن الاطلاع والمقارنة تثبتان قول المؤلف وعلى اى حال فانه كان لهذا القصور دوره في اللجوء الى الماديه ، وذلك لانطراح مسائل امام الفلسفة وعجزها عن اعطاء الجواب القانع .

وهنا يعرض الشيخ المؤلف الى بعض النماذج في هذا الباب ويتعرض لحل رموزها والاجابة عليها مفصلا من وجهة نظر الفلسفة الاسلامية .

فيتعرض بادىء ذى بدء الى **«مشكلة العلة الاولى»** ويذكر بعض التقريرات لهذه المشكلة من قبل فلاسفة عديدين ثم يرى ان سر ترديد هؤلاء يرجع في الحقيقة الى أن الفلسفة الغربية عجزت عن حل مشكلتين فلسفيتين هامتين هما (اصالة الوجود) و (مناط الاحتياج للعله) في حين ان الفلسفة الاسلامية اعطت اروع الحلول في ذلك. ومن هنا يمضي المؤلف الى توضيح الامر فيهما بحيث يبدو مستوى الفلسفه العربية ضئيلا جدا الى جنب المستوى الفكرى الذى بلغته الفلسفة الاسلامية ومن ثم فهو يستنتج من بحثه :

أ ـ ان عباره (كل شيء او موجود يحتاج للعله) امر باطل بل الصحيح أن (كل ناقص يحتاج للعلة) .

ب ـ ان العلة الاولى هي الذات القديمة الكاملة اللامتناهية واجبة الوجود .

وهنا قد يخطر للبعض سؤال لماذا كانت هي العلة الاولى ولم يكن غيرها كذلك ؟

ولكن سخافة هذا السؤال تبدو في انه افترض ان من الممكن ان لا يكون واجب الوجود واجب الوجود، أو يكون ممكن الوجود ، ولم يلتفت السائل الى أن مرتبة كل موجود عين ذاته كما ان مرتبة كل عدد عين ذاته فاذا كان موجود غنياً كاملا فليست لاية علة اخرى أى تأثير في ذلك .

هذا السؤال بقي بلا جواب عند الغربيين مع أنه تماماً كما لو تساءلنا لماذا كان عدد الواحد واحداً وبعد هذا ينقل المؤلف عن (راسل) كلاماً يبين مدى ضعف نظريته وسخافتها تجاه مشكلة العلة الاولى .

ثم يتعرض بعد ذلك الى مسألة كان لها اثرها في الدفع نحو المادية وهي مسألة (تصور التعارض بين الالهية والقول بنظرية التكامل الطبيعي) ويعرض الاجابة عنها مفصلا كما ينتقل بعد ذلك الى النموذج الاخر وهو مسألة (ازلية المادة) واعتقاد تنافيها مع الاعتقاد بالله في حين انه لا ارتباط بينهما .

واخيراً الفت النظر الى ماتصوره الانسان العربي من وجود تناقض بين القول بحرية الارادة الانسانية والاعتقاد بالمشيئة الالهية مما دفع الكثيرين بدافع اثبات حريتهم الى رفض الايمان بالله ، وحاول بالتالي ان يعطي بيانا موجزا عن الحل الصحيح لهذا المعنى بحيث ... ى الى حفظ مرتبة كل منهما .

كل هذه النماذج كان لها دورها الكبير في تشويه الصورة الدينية وتكوين المدرسة المادية .

٣ ـ عدم نضج المفاهيم الاجتماعية والسياسية :

... ... حدثان انصار الاستبداد السياسي كانوا يتمسكون بنظرية مسئولية الحاكم امام الله لا غير لاضطهاد الشعب مما يخلق نوعا من الارتباط في الاذهان بين استرجاع الحقوق وانكار الله . يقول الدكتور صباغ (كانت مسألة الاستبداد السياسي وان الحريه في الاصل للدولة لا للافراد تعتبر في اوربا توأما لمسألة وجود الله) .

ولو نظرنا الى وجهة النظر الاسلامية في المبين لرأينا ان مسؤولية الحاكم أمام الله تقتضي قيامه بالوظائف الاجتماعيه واعطاء حقوق الافراد .

وهكذا تعاونت هذه العلل في دفع الاتجاه نحو المادية في الغرب .

وهناك علل ثلاث اخرى لا تختص بالغرب وهي كما يلي :

٤ـ ابداء النظر من قبل من هم ليسوا في المستوى المطلوب :

مما يجر بالتالي الى نتائج لها أثرها في تشويه النظرة عن الدين ، فالمعرفة الالهية وان بدأت بشكل فطري لكنها تنجر الى بحوث معقدة تحتاج الى أعمال نظر كما في مسألة القضاء والقدر في حين اننا نرى الكثير من عديمي المستوى

يتصدرون للافتاء في الدين ، ولا ننسى ذلك القسيس الذى ضرب مثلا على (العدالة في الكون) بالخطوط الموجوده على قشرة البطيخ وانها جعلت لتقسيم القسمة العادلة عند التوزيع على الآكلين .

٥ ـ الوقوف بوجه الغرائز باسم الدين :

والدعوة الى الرهبنةورفض التمتع بالمال والجنس وغير ذلك . وهنا حاول البعض استغلال المحرمات والواجبات ليصوروا للناس بأن الدين عندما يحرم من بعض الاشياء وبلربما بالاحرىفانه يريد شقاء هذه الدنيا لضمان سعادة الآخرة . وهذه محاولة خبيثة اذ كل ما جاء في الدين قائم على اساس ان له التأثيرالايجابي في حياة الانسان وتكامله (احل لكم الطيبات وحرم عليكم الخبائث) ، فاذا اشبعنا تلك الفطره وقع الانسان في مرحلة تردد بين غرائزه وعقيدته وتمزقت شخصيته ثم استسلم للمادية في نهاية المطاف ، وهذا ما يؤكده راسل في احد اقواله .

٦ ـ الجو الاجتماعي والاخلاقي غير الملائمين :

وهنا يحاول المؤلف ان يشرح حقيقة هامة هي ان البيئه المادية عملا أي البيئة التي لا تتقيد بالتعاليم الالهية في مجال نظمها لابد ان تؤدى الى المادية الفكرية يوماً ما : فهناك ترابط وثيق بين المادية الفكرية والمادية الأخلاقية اذ ان الانسان اذا انتهى الى عدم وجود خالق في الكون فلابد وان يكون عبثيا مستغلا في حياته. ولا ينحصرمبرر اللجوء الى المادية الاخلاقية في هذه الحالة في ارتفاع سنر العفاف والتقوى فانه قد يكون المبرر هو نفس هذا القلق الذى يصيبالانسان جراء ايمانه بالعبثية . مما يدفعه للجوء الى عالم المخدرات واللهو الفاحش ، وعكس هذه الحالة صحيح أيضاً فان من يعيش حياة ذات قيم مادية لا يتبع فيهاالا اللذدوالشهوةسيصبحمادياًفانذلكالجو سيؤثرعلىمستوىفكرهوذلك لان الايمانليس أمرا سلبياً تجاه العمل كالرياضيات مثلا بل هو يمتد الى جوانب الوجود فمتى ما آمن الانسان بالله تعالى انجر للبحث عن صفاته وعن الهدف من خلقه وعن المساحة

التي يملكها الانسان من الكون وهل تقتصر حياته على هذه الحياة ام يعداها الى حياة اخرى ، واذا وصل الأمر الى هذه النقطة لزم البحث عن وجود تكاليف وعدمه وهكذا . . . ومن هنا تبدأ الحياة العملية وفق مقتضيات الايمان لو لم يوفر ذلك الجو العملي فان الجذور ستصيبها الجفاف فالايمان تماما كالبذر في تربة الارضية المستعدة.

هذا بالاضافة الى أن العصيان يهبط بالانسان من مستواه الروحي الى مستوى سافل وهذا ما يفسر لنا المقصود من ان الفعل الاسود أي فعل الذنوب يوجد القلب الاسود والقرآن الكريم يقول : (ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله) .

المادية تنصب من نفسها معمماً للثوره :

العلل المذكورة سابقاً ترتبط بالتاريخ وهناك علل ترتبط بالاتجاه الحاضر نحو المادية ومنها أن المادية اتخذت لنفسها موضع المصدر والباعث على الثورة والخلاص من الظلم والاستعمار . وبعد ان ذاب تأثير تلك النظرة السابقة التنافي بين العلم والدين ـ تقريبا ـ حدث نظرة اخرى تربط الاستسلام بالدين والثورية بالمادية والذي ساعد على حصول هذه النظرة ما يشاهده الشباب من كون الثورات الحديثة قائمة على أكتاف أصحاب الفلسفات الماديه. كما انه يجب الاعتراف بقلة الحماس للمفاهيم الدينية من قبل معتقيها لضعف درجة الايمان عندهم فاذا لاحظنا ردود الفعل التي يحدثها الظلم في نفوس المظلومين ولاحظنا وجود غريزة حب الكمال والبطولة عرفنا تأثير الدعايه المادية ومبلغ أخذها من الناس. وهذا أمر غريب جداً وذلك اذا لاحظنا ان الايمان بالله يعطي الانسان أبعاداً أوسع ويخلق في نفسه التضحية بالاهداف الرخيصة المادية وهي غاية ما يمكن أن تعطيه المادية للانسان ، هذا علاوة على أن التاريخ يحدثنا عن دور الانبياء في نصرة الحق والعدل في حين أن الاية الكريمة توضح لنا سلوك اولئك الذين ان مكنوا في الارض اقاموا الصلاة

وآتو الزكاة . وهناك الاية الاخرى التى تجعل اعطاء مقام القيادة متوقفاً على الجهاد والوعى (وجعلنا منهم ائمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وهكذا نجد (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص).

ولكن لم تراجع الالهيون عن اتخاذ موقع الثورة ؟ ان هذا قد تسهل الاجابة عليه بالنسبة لاتباع غير الاسلام اما بالنسبة اليهم فهو امر غريب واننا نعتقد ان لتسلم القيادة من قبل اشخاص من أهل الدنيا والطمع الاثر الكبير فى اخفاق هذا الجانب، وقد حول البعض المعالم الدينية الرائعة الى وجه لا يتنافى مع مصالحهم .

فمثلا مبدأ (التقية) مبدأ يؤيده القرآن والعقل ويعنى التكتيك المعقول فى الصراع مع الباطل من جهة وحفظ القوى، وتنميتها من جهة اخرى فهى تعنى التأثير الاكبر والتأثر الاقل فى حين اننا نجد ان هذا المفهوم تحول الى مفهوم تقوقعى انهزامى

ـ وهكذا خلت المواقع الثورية من الالهيين .

ولتسلم الماديين تلك المواقع عوامل قائمة بنفسها ومنها ان للكنيسة وخرافاتها العقائدية وضغطها واسنادها للاستبداد دورها الفعال فى دفع المادية لكى تحتل موقع الثورة بعمل زعمائها على الثورة والنضال ، وقد آمن الاتباع بأن المادية بسكنتها أن تخلق القائد غافلين عن ان المادية لم تخلق هؤلاء الاشخاص الثائرين وانما عمل هؤلاء على تخليدها بالانضمام اليها .

وأكبر مثل على هذا الترابط ارتباط المادية بالاشتراكية مع انه لا ارتباط بينهما مطلقاً .

على اننا لا ننسى بعض المواقع الثورية التى أخذ المسلمون يتسلمونها فى العصر الحاضر لكنها لا تصل الى مواقع الماديين .

وفى **النتيجة** : يقول المؤلف بأن هذا التحقيق ليس كافيا للوقوع على العلل الرئيسية خصوصاً وان البعض يرجع بالامور الى اسس اقتصادية .

ثم يطرح هذا السؤال : ما العمل فى هذا الظرف خصوصاً ونحن نعتقد

ان نجاة الانسانية مرهون بالايمان بالله وان اشاع الجانب الروحي ضروري لسعادة البشر ؟

اذا لاحظنا ما سبق وجب العمل بما يلي :

المرحلة الاولى :

عرض العقيدة الاسلامية عرضاً سليما أصيلا والتركيز على مسألة تنزيه الله من كل كفؤ وهذا يحتاج الى مدرسة استدلالية واعية تعتمد على التراث الفلسفي السابق .

واذا نظرنا الى التاريخ الاسلامي نجد حصول نزعة فكرية جامدة هددت المعلومات الاسلامية ولكنها فشلت امام التقدم الحثيث للمعلومات الاسلامية. ومما يؤسفنا أن نشاهد بعض الكتاب العرب يتخذون نفس الموقف اليوم حرصا على الاسلام ويعد منهم بعض الكتاب المعاصرين كوجدي والندوي اذ دعى هؤلاء الى عدم البحث في عالم ماوراء الطبيعة بحجة انا غير مكلفين بذلك ولم يتجاوزوا بالالهيات عالم النظام فكأنه تكفي كتب أمثال (موريس مترلينك) لتكوين دراسة الهية كاملة وهي لا تبحث الا عن اعاجيب الطبيعة. والحقيقة ان ذلك يشكل الخطوة الاولى وقد اثبتنا في هوامشنا على كتاب (المذهب الواقعي) للعلامة الطباطبائي ان الطريق لتحصيل معارف ما وراء الطبيعة ليست منسدة امام الانسان ، وان الناس مكلفون – اسلامياً – او مسموح لهم على الأقل بمعرفة حقائق ما وراء الطبيعة .

وان طريق الحس يوصلنا الى الحد الفاصل بين الطبيعة وما بعدها فيثبت وجود الخالق ، ولكن هل هو مخلوق لغيره ؟ وهل هو بسيط، هل هو واحد ؟ هل يتناهى علمه ؟ وغير ذلك، كل هذه الاسئلة لا يجيب عليها الا البحث الفلسفي الدقيق .

المرحلة الثانية :

يجب تشخيص الترابط بين المسائل الالهية والمسائل الاجتماعية والسياسية وهنا يدعو الى دراسة الاسلام بنظمه من جديد .

وأخيراً لنقف امام الفوضى التبليغية وابداء النظر من قبل غير المتخصص واعطاء مسألة الجو العام الاهمية الكبرى بتنفيد مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي الختام يدعو المؤلف لاعادة روح الحماس للمفاهيم الدينية وذلك يحتاج الى جهاد فكري وعملي دائبين .

الملاحـظات :

لابد وان يكون القارىء قد لاحظ الجهد الحقيقي المبذول في تأليف هذا الكتاب القيم . . ونحن اذ نقدر ذلك تمام التقدير من الأستاذ الشيخ نود أن نذكر بعض ما عنّ لنا من الملاحظات راجين أخذها بعين الاعتبار .

١ ـ لم يتعرض المؤلف الى بعض العوامل التي كان لها تأثيرها الكبير في تكوين الاتجاه المادي وذلك من قبيل :

أ ـ سيادة العقلية التجريبية بعد أن وفقت التجربة للكشف عن حقائق كثيرة مما جعل الناس يعبدون التجربة ويعرضون عن الامور العقلية ويعتبرونها سبباً لتخلفهم وعادت التجربة الأساس الوحيد لكل العلوم والمعارف .

ب ـ روح الشك التي سادت العقول بعد انقلاب الحقائق التي لم يكن اساس كمفهوم مركزية الارض للعالم وبتزعزعها تزعزع الايمان العام وساد الشك ونشأت عده من المدارس السوفسطائية من جديد .

٢ ـ ان ظلم الكنيسة وان كان له الاثر الفعال في اوربا وهو مما لانجد له مثيلا في الشرق المسلم لكنه ينطوي تحت عنوان أعم ، وهو سلوك بعض الالهيين سلوكاً شخصيا مادياً بحتاً مما أوحى للاخرين بوجود الترابط بين هذا النمط السلوكي والعقيدة التي يحملها السالك وهذا قد يجد له مواقعه في عالمنا الاسلامي أيضا

وما أكثر اولئك الذين تملقوا للقيادة المنحرفة من ادعياء العلم والدين في تاريخنا الاسلامي .

٣ ـ كان الموقف من معارضي نتائج الفلسفة يتراوح بين الافراط والتفريط فلئن افرط البعض ممن انتقدهم المؤلف في الجمود على الظواهر وعدم استعمال الطاقات العقلية في الوصول الى تكوين عقائدي متكامل فقد افرط المؤلف في دعته اليهم مادام من رأيه يكفي الباحث في التوحيد ان يقرأ كتاب ... عن اعاجيب الطبيعة حتى يؤمن بالله وتفريعات الايمان به والذي اعتقده ان هؤلاء وخصوصاً الكتاب ـ وان كنا نعى على الكثير من آرائهم وقصورها ـ كانوا يركزون على لزوم اتباع الأساليب القرآنية والروائية في هذه المسائل العقائدية الحساسة وعدم الاعتماد على مجرد طرق الفلاسفة في ذلك ولا أظن ان المؤلف ينكر هذا القول خصوصاً بعد ان انتهى المطاف بالبعض من الفلاسفة الى موارد لا تحمد عقباها وخصوصاً وان الاساليب القرآنية تشكل اقصى ما يمكن ان تتقبله الفطرة الانسانية من اسلوب اخاذ نافذ الى الشعور بعد اقناعه للعقل .

والذي يسدد هذا التصور عن هؤلاء انهم لا يستطيعون ان يغضوا الطرف عن استدلالات القرآن نفسه في المسائل التي طرحها المؤلف مثل : هل هو مخلوق لغيره ام لا ؟ وهل هو واحد أم متعدد ؟ هل يتناهى علمه ؟ وهكذا .

وهـذا الموقف الوسط هو الذي أكدت عليه روايات أهل البيت (ع) على العموم .

٤ ـ كانت المنهجية تقتضي من المؤلف ان لا يغفل البحث في الاجابة عن النماذج من مثل مسألة العلة الاولى ، والقضاء والقدر وغير ذلك ولكن البحث فيها كان جداً معقداً ومن هنا فنحن نلاحظ انه لم يعط موضوعا مهما مرتبطاً بهذا البحث حقه مادام قد تصدى لنفي مفعولها ـ اي النماذج ـ من وجهة النظر الاسلامية وذلك البحث هو ما تدعيه الماركسية من أن المدرسة المادية ومفاهيمها التطورية هي النتاج المتطور لتقدم وسائل الانتاج باعتبار الفلسفة من المتغيرات الاجتماعية التي تواكب تغيير القوى المنتجة ، في حين تدعى ان الفلسفة التي تسميها بـ (المثالية) وتقصد بها ما ما يشمل (الفلسفة الالهية) تنمو في المجتمعات الرجعية .

٥ ـ قال المؤلف «ونحن نرى الآن توفر نوع من العلاقة المصطنعة بين الاشتراكية وهي ترتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمجتمع وبين المادية . وذلك عند بعض ذوى الانظار الضيقة مع انه لا يوجد هناك اى ارتباط بينهما فى الا تقيمه»

والذى نراه ان الاشتراكية لو اخذناها بمعناها المصطلح وهو الظاهر من كلامه فهى وان لم يكن امرا تحتمه المادية . ولكن لا بد ان يستند الى قاعدة مادية حتما لانها مبدأ وضعى يقوم على اساس من نظرة مادية معينة الى المجتمع كأصل ..واما الكلام فى استطاعة الاشتراكية بشتى مدارسها ان تقوم بمهمة اشاعة العدالة الاجتماعية مع الحفاظ على مستوى الاشباع الغريزى للجوانب الاخرى عند الانسان وهذا هو ما يميز النظام الاقتصادى الاسلامى عنها ويفضله عليها .

٦ ـ قال المؤلف بان المادية لا يمكننا ان نعتبرها كمدرسة الا فى العصور الاخيرة فى حين وصف المادية السابقة بانها مجرد اتجاه مادى وهذا أمر يحتاج اثباته الى كثير من البحث ولربما كانت الشواهد ترفض ذلك فالمدارس المادية مع الاحتفاظ بنسبة التوسع الذهنى كانت قائمة فى العصور المادية أيضا وما مدرسة الدهريين التى اشار اليها المؤلف الا نموذجا لذلك فهى تمتلك قاعدة فكرية وسلوكا معينا يبتنى على ذلك .

٧ ـ اما وان كنا نقبل ان اساس التدين فطرى الا ان ذلك لا يمنع من ان يقوم علماء الاديان بالبحث عن الاسس الاخرى التى دفعت بالانسان للتدين ونسوا ان كانت عوامل منبهة للفطرة .

٨ ـ فى مجال تهيئة الجو المناسب والملائم المعتمد دعا المؤلف ـ وحسنا فعل الى الالتفات لمهمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وياحبذا لو أشار أيضا الى ضرورة الالتفات الكامل لتطبيق النظام التربوى الاسلامى وخصوصا للمراحل الاولية لحياة الانسان لكى يتسنى فى المستقبل ذلك الجو الصحيح . . هذا وان عرضنا لوجود الهيمنة الاسلامية المرنة من تأثير فى جعل الاجواء الاسلامية اثر كبير مهم لذلك .

لقطات و تعليقات

السيد هاشم نصر الله

□ قال رئيس تحرير احدى المجلات في حديثه الشهري :

. . . حتى عقوبة الاعدام تفضل الكثيرون من علماء النفس الحديثين. وتطوعوا ن النظر في الدوافع التي تدفع القاتل الى القتل . فوجدوا أنها كثيرا ماتكون ن مرض نفسي نشأ في الطفولة ثم ترعرع حتى صار مرضاً عضالا انتهى بسفك .ماء . والمريض يجب أن يرحم فهو لم يقتل لانه قاتل . وانما يقتل بسبب أنه يص ، فعقوبة الاعدام اذن هي نفسها عمل اجرامي تقوم به الدولة ، فيجب الغاؤه لواقع أنه ألغي في كثير من البلدان .

وعلق على ذلك قائلا : الذين يرون ما في حكم الاعدام من بشاعة ، يجب أن كروا الجريمة التي سبقت ، ولعل البشاعة فيها بشاعة مضاعفة والحياة قصاص .

مضافاً الى ما علقه فان لنا تعليقاً آخرا وهو : ان هؤلاء الذين يبررون أعمال نف والشغب ، تبريراتهم تلك تفوق أعمال القتلة المنحرفين ، لانهم بذلك جعون شواذ المجتمع على القتل والاجرام .

والذي نظنه ـ بل نعتقده ـ أن هؤلاء العلماء يوافقون العالم الاسترالي في ب والذي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠ حيث دعا الى عدم علاج أي شخص

تجاوز عمره الخامسة والستين من مرض السرطان أو أي مرض آخر مميت وذلك على اساس أن من يبلغ هذا السن لا يمكن أن يفيد المجتمع . . . (١)

وما أعظم الاسلام عندما شرع قتل القاتل منطلقا من القاعدة الفذة «ولكم في القصاص حياة» والتي ادركتها مدنية الغرب بناء على [ما نقلته وكالة الاسوشيتدپرس من ان مجلس الشيوخ الامريكي قرر اعادة عقوبة الاعدام بحق الجواسيس والمجرمين ومختطفي الناس والطائرات] (٢) .

□ قال الدكتور حسان حتحوت خلال محاضرة له في الرباط :

سمعت بعض الزملاء الانكليز في معرض الدفاع عن اباحة الاجهاض يقول : كلما جلست في عيادتي مع احدى النساء لتعرض على مشكلتها ،الاحظ ان المشكلة اولا واخيرا ينبغي ان تكون ثنائية بيننا نحن الاثنين المريضة والطبيب . ويتابع الدكتور حسان قائلا :

والحق انني ما جلست نفس الجلسة مع احدى مريضاتي واحسست انناائنان. كان احساسي دائماً ان معنا طرفا ثالثاً صامتاً ، لا يستطيع ان يبدي وجهة نظره، ولا ان يدافع عن حقه في الحياة ازاء حق امه في تحديد عدد اسرتها . . . هذا الطرف الثالث هو الجنين الذي هو انا وانتم وكل الناس .

تأمل - اخي القارىء - في البون الشاسع بين اخلاقنا،وبين اخلاقهم الحضارية المنحطة ! تأمل . . واعجب . . . ثم احكم .

وسوف ترى في النهاية ان الاسلام هو الذي يجب ان يأخذ بيد البشرية الضائعة وانسانها التائه الحيران .

فالجنين - الذي هو نحن جميعا - لا اهتمام ولا كيان له عند الانسان الاوربي انه شيء ثانوي بل اقل من ذلك مما يدعوا الانكليزي الى اللامبالات فيه وعدم حسبه بينما هو كل شيء عند الانسان المسلم . تجب المحافظة عليه الى ان يولد...ويموت

هذا وان هناك مشاكل كثيرة ، وازمات عديدة نعيشها اليوم، كما عاشتها الاجيال من قبل ، عبر القرون ، والتي مردها الوحيد - كما ثبت - طرح الدين في

زاوية . والانطلاق مع الهوى حيث اللاشعور واللامسؤولية الى سقر المادة وجحيمها.

* * *

☐ نشرت مجلة الشبكة اللبنانيه في عددها المرقم ٩٤٠ هذا الاعلان :

نساء من العالم . ملحق رائع تقدمه الشبكة . فيه تحقيقات طريفة مبردة وصور طبيعية بالالوان لاجمل نساء العالم احجز نسختك من الآن . . . نساء من العالم ملحق يزهو بالجمال تقدمه الشبكة . . . فترقبوه .

ونفس هذه المجله لها مسابقة اسبوعية ثابتة تحت عنوان هات اجمل تعليق وحد خمس وعشرين ليرة لبنانيه تطلب فيها من القارىء ان يراقب غلاف العدد جيدا الذي موضوعه دائما امراة حسناء من هوليود ـ ويتأمل وجه صاحبته مليا . وتعلمه ان يقول في نفسه ترى ماذا يدور في خلد صاحبة الغلاف ، وماذا تريد ان تقوله في هذه الصورة؟ وهذه المسابقة ـ كما ترعم ادارة المجلة ـ تستهدف الرياضة الذهنية وقوة الملاحظة ورشاقة التعليق . . .

مسكينة حواء ليتها تعرف ما يسح حولها ! انهم يتاجرون بكيانها المعرى على كل صعيد . فحلقوا فيها مورداً مالياً ضخماً يفوق كل مورد(٢) . وطفح الكيل اخيرا ـ في عالمنا العربي والاسلامي ـ عندما فسح المجال امام جماعة لا تعرف الا المال . . . ثم المال . . . ثم المال . ولا مبالغة في القول اذا قلنا ان هذه الجماعة كانت سبباً مهماً من جملة اسباب الهزيمة . . . وهي كما ترى ! فبدلا من ان يكون تفكير جيلنا الصاعد في غد افضل ، وحياة هنيئة ترفرف فوقها راية النصر ، تطلب منه ان يكون تفكيره منصباً على ملحق لصور حسناوات . وبدلا من ان يفكر شبابنا المثقف في أرض ترزح تحت الاحتلال منذ سبع وعشرين عاماً اغتصبها عدو غادر ـ تطلب ادارة المجلة منه أن يتأمل وجه امرأة ملياً ليكتشف ماذا يدور في خلدها !

وأخيراً ليتنا نعرف مع حواء أن هذه هي مشاكلنا ! . . .

☐ أعلن برتراند راسل قبل موته في حديث تلفزيوني :

أنه مسرور للغاية ، لانه شهد تحقق ما كان يدعو اليه من اقامة صلات بين طلبه الجامعة وطالباتها بشرط أن يجتنب حدوث الحمل . . .

وأخيراً وبعد أن استقر الفيلسوف الانكليزى في مثواه الاخير ، نسأل أتباعه: ما رأيهم فى ما أكده علماء الطب من أنه ليست هناك وسيلة من وسائل تحديد النسل ومنعه الا وتحدث مؤثرات سيئة فى صحة المرأة وجهازها العصبى ؟

فالادوية العامة تؤذى المرأة وتؤدى بها الى الموت المفاجيء !

والوسائل الألية الموضعية التى تتم بأدوات خاصة ، قد تصل لانقاب الرحم ويمكن أن تؤدى للعقم . وعملية افراغ الرحم بالتجويف الجارية فى أغلبية الدول توجب النزيف .

وما رأيهم ـ من الناحية الاخلاقية ـ فى تلك الفتاة التى أجهضت بعد أن عمل لها الطبيب عملية الاجهاض ، اذ هى تعود حاملا بعد أشهر . فلما اظهر الطبيب لها شيئاً من الملامه هزت عطفها وقالت : وهل تستطيع انت الامتناع عن التدخين...؟

واخيراً ـ لا آخراً ـ :

ما راى قارئنا العزيز فى الاختلاط بين الطلاب والطالبات فى المدارس والمعاهد والجامعات؟ خاصة بعد ذلك العرض الموجز! وماراية ايضاً فى اقامة صلات بين بعضهم البعض المؤدية الى تحطيم الاخلاق وانتشار الامراض ؟ . .

* * *

---

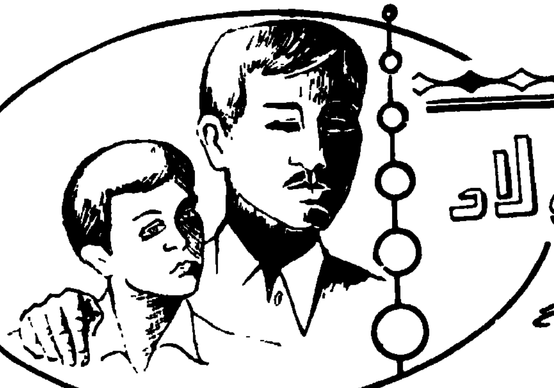
(١) مجلة الحسناء اللبنانية عدد ٥٨٥ .

(٢) نقلا عن مجلة الفكر الاسلامى عدد ١١ السنة الثانية .

(٣) رأسمال مجلة الشبكة مع بقية المجلات الاخرى الصادرة عن دار الصياد بلغ ثلاث ملايين وثلاث مائة ألف ل . ل . وصاحب هذا الدار هو سعيد فريحة الذى يرى أن الميني جوب ليس من صنع الصهيونية كما يتصور البعض ، لان فيه من الفن والذوق وصحة الحياة مايعتبر غريباً عن الصهيونية وأساليبها فى صنع الاشياء والازياء . . .

ولقد غاب عن الاستاذ فريحة أن الصهيونية لا تبذر بذورها ولا ترمى شبكاتها الا عن هذا الطريق

(٤) محاضرات الروابط الصادرة عن الاتحاد العالمى لتنظيم الوالدية .



حقوق الاولاد في الاسرة المسلمة

الدكتور محمد الغفراني

ترجمة : محمدهادى اليوسفى الغروى

يشكل الولد الركن الثالث للاسرة ، وقد وضع الاسلام مهمة رعاية حقوقهم الشرعية والاخلاقية على عهدة الابوين المسلمين ، وجعلهما مسؤولين عن تربيتهم أمام المجتمع المسلم .

وقد حرض الاسلام الوالدين على أن يحرصوا على تربية أفلاذ أكبادهم وتعليمهم من عهد الطفولة الناعمة . وحيث أن الاسرة تشكل الوحدة الاساسية لاى مجتمع ؛ فقد أولى الاسلام اهتمامه الى تربية الطفل تربية صالحة صحيحة . ووجه الى والديه في كل مرحلة من مراحل التكامل الروحي للاطفال أوامر مثمرة ، ونحن نستعرض بعضها هنا :

فمنها : أصول التربية ورعاية حقوقهم فى الاسرة . وعسى أن يتعرف الاباء والامهات والمربون على أصول التربية والتعليم فى الاسلام ، لعلهم يتبعون تعاليم الرسول العظيم (ص) الذى قال : «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» فيؤدون ما عليهم من الحقوق المشروعة لاولادهم وأفلاذ أكبادهم ، من حين قدومهم الىهذا العالموالى أن يجدوا شخصيتهم الاجتماعية المتكاملة فى المجتمع المسلم .

لقد بنى الاسلام الاسرة المسلمة على أساس عزة النفس ، ومعرفة النفس ، والعفاف ، وطهارة العرق . وحينما ننظر الى سيرة عظماء الاسلام نجد حياتهم

مليئة من الخصائل الانسانية والفضائل الاخلاقية . . وليس هذا كله الا من تلك التربية الصالحة الصحيحة التي تلقاها اولئك في «حجور طابت وطهرت» وقد ملئت من المحبة والعاطفة الصحيحة ، وفي كنف العطف الابوي الشريف المبتني على الأسس التربوية الاسلامية ، ومن هنا يتجلى لنا مدى أهمية وظيفة الاباء والامهات في رعاية حقوق الاولاد بشكل جدي .

الولد في الأسرة ركن من أركانها ؛ وأي غفلة أو اهمال لحقوقه يعتبر اهمالا لحقوق المجتمع عامة ؛ فان هؤلاء الاولاد رجال الغد ، فلابدأن يهيؤوا التحمل أعباء المسؤليات الفردية والاجتماعية في مجتمع الغد . وان من البديهي ماللاسرة من الدور الخطير في بناء شخصية الطفل ، ولهذا فقد أولى الاسلام أهمية خاصةلتربية الطفل حتى في دور الرضاع .

وقد روي في هذا الموضوع عن الرسول الاعظم والأئمة الهداة عليهم السلام والصلاة روايات عديدة :

فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال :«ان الولديشب على اللبن»(١) وهذا مما يدل على مدى تأثير اللبن في تربية الطفل من طريق الام أو المرضعة ، ولذلك فنحن نرى الفقهاء قد أفتوا في كتب الفقه الاسلامي باستحباب التفحص والغور في أخلاق المرضعة وصفاتها النفسانية ، بل وحتى لم يغفلوا عن التصريح باستحباب اختيار المرضعة الجميلة ، وذلك لما له من الاثرفي الصفات الروحية والجسمية للطفل المرتضع ، وقد أصبح هذا المعنى اليوم من مسلمات علم النفس الحديث .

وروي عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على تأثير الابوين في تربية الطفل وتوجيهه الوجهة الدينية والفكرية والأخلاقية ؛ فقد قال : «كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه» .

والذي يستفاد من هذين الحديثين معاً : هو أن الاسلام لايرضى بالتربية المهملة من قبل الآباء والامهات ، ولا يقبل في هذا المجال أي عذر في التقصير أو الاهمال.

ففي مورد الرضاع بالخصوص : يؤكد علم النفس الحديث على أن يكون الطفل مشبعاً بروح المحبة وعاطفة الامومة ، حتى أنه يؤكد على الامهات اللاتي لا يرضعن أولادهن بلبنهن أن يرضعن أولادهن حين الرضاعة في حجورهن . ويؤكد على ان هذا ايضاً مما يؤثر في احساس الطفل بعاطفة الامومة . حرصا على ان لا يتخلى بعده عن حجر الام الحنون بصورة عقد نفسية في شخصيته الاجتماعية :

ويؤكد هذا العلم على انه يجد الدور التي تلعبه الام في روحية الولد محسوساً ملموساً ، بحيث لا يستطيع اى عامل آخر مادياً كان او معنوياً ان يخلف عاطفة الامومة في روح الرضيع .

وما اسعد تلك العوائل التي تعمل بموصيات الاسلام العظيم في تربية ابنائها وأفلاذ أكبادها . كي تستطيع أن تصنع للمجتمع من هذه العناصر الصغيرة نفوساً سليمة متواضعة بعيدة عن الأمراض الروحية والمفاسد الاخلاقية .

ومن المناسب هنا أن نورد بعض الاحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال، عسى أن يحملها الاباء والامهات والمربون: دستوراً لهم في تربية أولادهم وهم رجال الغد:

أ ـ في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال : «يا علي حق الولد على والده : أن يحسن اسمه . وأدبه ، ويضعه موضعاً صالحاً» (٢)

ب ـ وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله قال : «حق الولد على والده: أن يستحسن اسمه . ويعلمه كتاب الله ، ويدربه على الرمي والسباحة» (٣)

ج ـ وفي حديث آخر عنه (ص) قال : «من حق الولد على والده ثلاثة: «يحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويزوجه اذا بلغ» (٤) .

اشير في هذه الاحاديث الثلاثة الى ثلاثة من الأصول التربوية في الاسلام:

١ ـ التسمية الحسنة : والتي هي بدورها من احدى العوامل الهامة في تربية شخصية الوليد . وخصوصاً عند وصوله الى ريعان الشباب الرغيد . الذي هو دور يفكر فيه الانسان في بناء شخصيته من كل شيء حتى من الاسماء والالقاب . . وكم شاهدنا بام أعيننا اناساً حاولوا حفظ شخصيتهم الاجتماعية عن الهمز واللمز والغمز

بين المجتمع بتغيير أسمائهم وألقابهم أو استعاره أسماء غير واقعية ! وكلنا يعرف من هذا القبيل عدداً غير قليل لا نحتاج معه الى المثال في هذا المجال .

٢ ـ تعليمه الكتابة ، وبالخصوص كتاب الله الذى هو منبع لجميع المعارف الانسانية . . ومن الجدير بالملاحظة والتقدير ، ان الرسول الكريم بتأكيده هذا على تعليم الاولاد كتاب الله العظيم صبغ التربية الاسلامية صبغة عبادية يتقرب بها الى الله تعالى ويطلب بها مرضاته حل وعلا . . وهده النصوص مما يدل على وجود تكليف خاص على الاباء هى وطيفة تعليم أبنائهم كتاب الله تعالى ؛ واذا كان هدا تكليفاً مفروضاً فمن الطبيعى أن يكون أى تقصير او اهمال فى هـذا المجال اعراضاً عن أوامر الله تعالى وارتكاباً لمعاصيه . وحينئذ يجب علينا أن نوجه الى انفسنا هـذا السؤال : ترى هل نحن نؤدى هده الوظيفة الشرعية ؟ !

٣ ـ التربية البدنية وتهيئة الاولاد لتحمل المسؤوليات الاجتماعية فى المستقبل ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «علموا أولادكم السباحة والرماية» (٥) دستور تربوى يكلف الاباء بتربية ابنائهم تربية بدنية حربية ، ويوظف المربين أن يجهزوا أبناء المسلمين بتربية ماديه ومعنوية . . ان الجندى القوى المسلح دعامة لضمان بقاء أية أمة على مسرح الحياة ، والذى لا تستطيع الامه بدونه أن تحرس سننها وآدابها وفضائلها الاخلاقية وموازينها القيمة من تعدى الايدى العادية ، ولا ان تبقى بين سائر الامم شريفه رافعة الرأس.. والسباحة والرمى لايعدوان أن يكونا مصداقين للتعاليم الحربية . . ولابد للامة أن تربى أبناءها عليها . .

وفى سبيل ترغيب الاباء لابرار محبتهم للابناء :

د ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «اكثروا من قبله أولادكم ؛ فان لكم بكل قبلة درجة فى الجنة» (٦) .

هـ ـ وقال (ص) : «من قبل ولده كتب الله له حسنه» (٧) .

والجدير بالملاحظة : أن رسول الله (ص) فى هده الاحاديث صبغ المحبة الابوية بلون العباده والقربه الى الله تعالى ، وجعلها وسيلة الى حيازه ودرجه الى

رضوانه ، حتى يتسابق الاباء في ابراز محبتهم الى الابناء . ونهضوا بذلك للحياة الزوجية رونقاً وبهاء . ويخرجوا من هذه المدرسة أولادهم وأفلاذ أكبادهم رجالا متخلقين بالاسلامية العاليه . .

والخلاصة : ان الابوة والامومة المربيه من اقدس الوظائف الانسانية التي وضعت على عهدة الاباء والامهات .

و ـ وقال الامام الصادق عليه السلام : «اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم» (٨) .

ولنا في رسول الله اسوة حسنة . فان سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في العمل بحقوق الاولاد خير نموذج للمجتمع الاسلامي : فقد كان رسول الله (ص) اذا دخلت عليه فاطمة (ع) قام اليها وأخذ بيدها وقبلها وأجلسها مجلسه : واذا أراد السفر كان آخر من يودعه ابنته فاطمة . واذا قدم من السفر كان اول من يبدأ به ابنته فاطمة . وبهذه الكيفيه من الكرامة الابويه عرف الاباء والامهات مقام الاولاد عموماً ـ والبنات خصوصا ـ في التربية الاسلاميه . . ولا يخفى على أحد كيف كان رسول الله (ص) يلاطف سبطيه الحسنين (ع) وكيف كان يركبهما على ظهره ويقول : «نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان أنتما» ! .

ان اظهار المحبة من الاباء بالنسبة الى الابناء جد مؤثر في تربيه عواطفهم الانسانية النبيلة . والتحقيقات النفسية تؤكد : أن اولئك الاطفال الذين حرموا في حياتهم العائلية من عاطفة الابوة وحنان الامومة يفقدون الاعتدال الفكري والنفسي وسوف ينجرفون بسرعة الى هوة الانحراف الروحية والاخلاقية . . وأن تقبيل الاطفال من أحسن مظاهر العاطفة الانسانية في الاباء والامهات . . ولذلك فنحن نرى أن رسول الاسلام يهدد من خلا من هذه العاطفة الابوية بالنار :

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل الى النبي فقال : «ما قبلت صبياً لي قط» ! قال رسول الله (ص) : «هذا رجل عندي من أهل النار» (٩) .

وبما أن رعاية⁽٦⁾ التساوى بين الاولاد من أهم العوامل فى تربية عادلة ؛ وأن أى تبعيض بينهم سيؤثر فيهم آثاراً جائرة سوف تنعكس على أفعالهم وأعمالهم فى حياتهم ؛ فقد روى فى هذا المجال أحاديث عديدة تنبه الاباء والامهات الى ما على عهدتهم فى هذا المقام :

ز ـ قال رسول الله (ص) : «ان الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل» .

ح ـ وقال (ص) : «اعدلوا بين أولادكم بالنحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف» .

ولا يخفى أن فى الاكثار من اظهار المحبة للاولاد بما يبلغ حد الافراط ـ أيضا ـ نفس المحذور الذى يخاف منه فى التفريط عن اظهار المحبة لهم ، بل قد يكون الضرر المترتب على الافراط فى اظهار المحبة لهم أكثر بكثير من التفريط فيه .

ولذلك فانه يجب على الاباء والامهات أن يحذروا ـ كذلك ـ من أن يخرجوا عن حد الاعتدال والوسط فى اظهار المحبة لاولادهم .

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٨٧ باب ٧٨ ح ١ و ٣ .
(٢) الوسائل ج ١٥ ص ١٣٣ ح ٤ باب ٢٢ عن الصدوق فى الفقيه .
(٣) الوسائل ج ١٥ ص ١٩٩ ح ٧ باب ٧٦ .
(٤) المصدر نفس الباب ح ٩ ص ٢٠٠ .
(٥) الوسائل ج ١٥ ص ١٩٤ باب ٨٣ ح٢ .
(٦) الوسائل ج ١٥ ص ٢٠٢ باب ٨٩ ح ٣
(٧) المصدر نفس الباب ح ٢ .
(٨) الوسائل ج ١٥ ص ١٩٥ ح ٩ .
(٩) الوسائل ج ١٥ ص ٢٠٢ باب ٨٩ ح ١ .

محنة المسلمين في المأساة اللبنانية

حسين أحمد شحادة

. . مما يعمق الشعور بالوحدة الاسلامية التفاعل المخلص الهادف مع آمال كل انسان مسلم وآلامه . . . في أى بقعة من بقاع الارض كان . . . ومن أىحنس من اجناس البشرية كان . .

ونحن اليوم . . مع المأساة اللبنانية . .علينا أن نستطلع عما حرىلاخوانلنا في الدين . . .

فماذا لقى هؤلاء الا حبه العزيزون على قلوبنا . . .

ماذا اصابهممن بلاء؟ .

ما هو دورهم في هذا الصراع المدمر المخيف ؟

وبعد . . . ما هو واجبنا الديني تجاههم . . . ؟

فلقد دخلت المأساة المروعة الى بيوتهم الآمنة وتركت في كل قلب ، وفي كل روح . . جرحاً بليغاً ولوعة قلقة على ما يخبئه المستقبل الأسود من احداث.. وراح ضحيتها ابرياء كثيرون منهم من الدين دفعهم الجوع والبحث عن المأوى الامن الى المغامرة بحياتهم . . . فسقطوا بين يدى خاطف مراهق لا يرحم او صرعوا برصاص قناص مرتزق مجهول . . يتاجر بالموت على الساعة اجر معلوم.. وعلى القتيل اجر مضاعف معلوم !

كثيرة امثال هذه الصورة التى عاناها المسلمون اليوم فى بيروت . . هذه الصور الحزينة علمتنا اخيرا كيف يعيش الانسان المتوحش فى غابة وحشية . . علمتنا كيف يتعرى الانسان من انسانيته ومن ضميره ومن عقله فيشرب الدم بظمأ بربرى مجنون . . ويسكر بجمجمة أخيه الانسان .

علمتنا أن نيرون لم يمت . . لقد عاد الى بيروت من روما مرة اخرى . . ليس حلماً . . فها هى بيروت تحترق وتحت ركام الفندق الغربى وتحت انقاض اسواقها.. وفى الشياح . . وفى برج حمود . . مسلمون يئنون من نزيف الجرح ويلفظون انفاسهم الاخيرة بصمت وكأنه ليس فى العالم مسلم يواسى الجراح . . هذه الصور المؤلمة التى يعشاها الحزن . . لابد أن تمر فى مخيلتنا . . ليستيقظ الحس فينا . .

* * *

. . كانت سيارة الاسعاف تنقل جريحاً الى المستشفى لعلهم ينقذون حياة مظلوم.. فى الطريق الموحش . . يستوقفهم حاجز شرس غدار . . يسأل عن الهوية . . الهوية التى أصبحت قدر الانسان المشؤوم وتحولت الى وثيقة اتهام وادانة وموت.. لحظات ويجهزون على الجريح . . منطقهم فى ذلك انه ليس من طائفتهم . . !

فى منطقة اخرى . . كانت عائلة مسلمة فقيرة . . تتناول سحورها لتصوم فى الغد . . وتدعو الله ان ينقذ لبنان وأهله . . من هذا البلاء المر ومن هذا الخوف المزمن . . فجأة . . وقبل ان يكمل دعاؤها المخلص . . كانت القذيفة الحارقة المهدمة تحيلهم الى اشلاء . . وتحيل سحورهم الى رماد . .

أخرسوا كل شىء . . لم يبق الا الليل وزخات الرصاص العنيفة وصدى الدعاء الحنون يشكو : الى متى يا رب تمهلهم ؟

. . على الجانب الاخر من الشارع كان رجل عجوز يسير وكانت الساعة الثانية والربع بعد الظهر ثم انطلقت رصاصة . . سمعنا صرخة خفيفة.. نظرنا باتجاه الرجل كان العجوز قد اصيب وحاول العجوز التحرك ولكنه كان يزحف عبثاً وهو يطلق

صرخات خافتة والناس القلائل فى الشارع لايستطيعون عمل شىء له . . لا يستطيعون الاقتراب منه فهو فى الحقيقة مجرد طعم .

اذا ما اقترب منه منقذون اندفع القناص يطلق الرصاص بالعشرات يقتل اى اى عدد وهو سعيد جداً «حكى مراسل وكالة رويتر ... انه التقى بقناصين من ذلك النوع ...الواحد منها لا يزيد سنه على سبعة عشر عاماً وقالا له لقد قتلنا ستة من الاعداء فى التو واللحظة . . . ١ -»

غامرت احدى سيارات الأسعاف وتقدمت الى الجريح العجوز ولكن الرصاص كان فى انتظارها واخترق زجاجها فعلا.. صعد أربعة شبان الى اسطح بعض المنازل ثم هبطوا فى حارة قريبة وقذفوا بحبل الى الرجل وربطه حول وسطه وجروه .

وهنا كان رصاص القناص يتفجر فى جنون . . كيف يفلت الطعم من يديه وقد قصد به اصطياد العشرات ؟ وحينما جيء بالرجل الى بر الامان . . كان معه كيس اغبر ممزق يحتوى على فرشة للدهان ورغيف خبز . . ومن الصور الحزينة .. تلك الصورة التى تحولت فى - الطريق الجديد - الى مجزرة .

ذهب ضحيتها ما يقارب من أربعين مسلماً بين قتيل وجريح . . ابرياء لاذنب لهم سوى انهم يسكنون فى حى اسلامى . . وجريمتهم انهم خرجوا بعد يوم أسود قاتم مليء بحقد القنابل والصواريخ . . بحثاً عن لقمة العيش . . عن رغيف يقيهم ويقى اطفالهم ضراوة الجوع . فتجمعوا امام احد الافران فى المنطقة فى عيونهم البؤس والجزع .. ينتظرون بفارغ صبر ان تنتهى الأزمة بسلام . . وهم بين ذلك يتحدثون عن الرعب . . وعن ذكريات التشرد والدمار . . متى ينتهى ولصالح من ؟ من المستفيد من هذه الكارثة غير العدو المشترك اسرائيل .

لقد أدرك الجميع أن هذه الوحشية امر لا يقره الدين.. الان الكتائب وغيرها من الذين لا يمثلون مشاعر المسيحيين والمسلمين ارادوا استقطاب طوائفهم . . لمساندتهم ودعمهم . . فتاجروا باسم الدين والدين منهم براء . .

---

(١) صباح الخير - العدد - ١٠٢٩ .

الشهادة

في سبيل الحق

«ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما»

سيد الشهداء

الإمام الحسين بن علي (ع)

مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

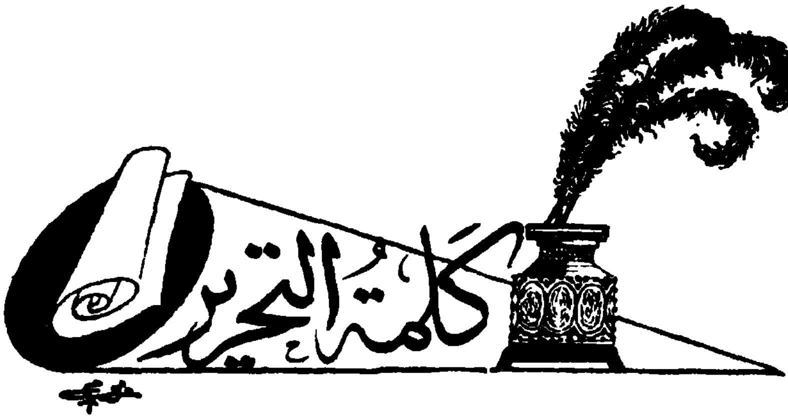
العدد الخامس

السنة الرابعة

١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد



الحيوية المبدعة والشخصية الإسلامية

لن نأتي بجديد اذا قلنا انه كان من المفروض ان تتسنم امتنا المركز الوسط بس الامم وتكون فى الطليعة القيادية لها، كما ان من نافلة القول التأكيـد على ان امتنا اليوم ليست بذلك المستوى المطلوب بل ماعادت تملك نتيجة عوامل متكثرة حتى مقومات الامة الواحدة مع الاسف .

فاذا اضفنا الى هذا انه مامن شك فى ان العوامل الضرورية لتكون اية امةحية بل وبلوغها ارقى المستويات العالمية متواجدة فى امتنا ـ وان كان ذلك على الصعيد النظرى ـ وذلك بشهادة التاريخ ومختلف القواميس والمقاييس الاجتماعية .

اذا تصورنا كل هذا ثار فى اعماقنا هذا السؤال :

اذن لماذا نحن اليوم امة اقل ما يقال عنها انها تفقد الحيوية المبدعة ؟ والحقيقة ان «الحيوية المبدعة» انما تكون بعد تكامل الشخصية العامة للامة ، وبدون وضوح

معالم الشخصية العامة لن نتوقع للامة -اى امة- ان تقوم بالدور التاريخى الفعال.

والشخصية العامة تقوم على اساس انشداد الوحدات المكونة لها ،وانغراسها فى نوع الافراد انغراساً يجعل ايديولوجيتهم وسلوكهم يتفاعلان ضمن معالم تلك الشخصية العامة .

فهل تملك امتنا اليوم هذه الشخصية الاسلامية العامة لنتوقع منها تلك «الحيوية المبدعة » ؟

وقبل محاولة الاجابة على هذا السؤال يلزمنا التمييز بين الرأى العام والشخصية العامة ،على اساس ان الرأى العام قد لايعبر عن شخصية متماسكة عامة فيقوم على اسس عاطفية سارية او حتى اشاعات مغرضة تثيره وتصور له مايضرب مصالحه او ينافى موروثاته الدينية او القومية فى حين ان الشخصية العامة لها مقوماتها الثابتة من وحدة عقائدية متأصلة الى تلاؤم سلوكى وممارسة جماعية لنظام متلائم مع تلك العقيدة ومحاسبة متبادلة على اساس ذلك .

وهنا نقول ان من غير المنطقى انكار وجود راى عام اسلامى يفرض نفسه كقوة رئيسة واحياناً كقوة اعظم فى مجالات مختلفة قد يكون البعض منها مصيرياً . ولكن من المبالغة فى حسن الظن أن يدعى وجود شخصية اسلامية عامة فى امتنا على اتساع مداها المترامى وهذا مما يؤسى له ويؤسف اشد الاسى والأسف .

وآية هذا اننا نكاد نعدم اهم الجوانب التى يجب ان تترك أثرها فى المسيرة البشرية عبر التاريخ ونقصد بها (الحيوية المبدعة) الآنفة .

ان الابداع الحضارى يعنى تقديم البديل الاكمل لكل مشاكل الانسان لا الانجراف مع تيار المشاكل والتأثر بموجباتها وهو ما نشاهده فى كثير من قطاعاتنا انه يعنى اخذ زمام المبادرة ، والعمل على شل فاعلية المعوقات التى يضعها قصور الانسان امام تقدم الانسانية نفسها لا التبعية المقيتة المشينة التى لن تصنع شيئاً سوى تقوية العوائق بدلا من تفتيتها ، وهذا ايضاً مايجب ان نعترف به -بكل حياء- .

ان من يلاحظ مانملكه من مخزون فياض لمثل هذا الابداع من جهة وما يصدر منا من انماط سلوكية وفكرية من جهة اخرى ليعجب اشد العجب من سكوتنا عن حقنا الطبيعي ، وشربنا الكدر ، والنمير العذب على مرأى منا ومسمع .

انك لن تمر على ارض اسلامية الا ووجدت فيها مايؤكد لك انعدام الشخصية العامة التي هي سر الابداع ، **فهناك على ارض الشمال الافريقي نزاع بين فئتين مسلمتين على ارض اسلامية ولا تفاعل اسلامي عام مع القضية ، وهناك على ارض لبنان شعب مسلم يصهره الحقد الكافر ولا منجد له ولامعين ، وهكذا يصدق القول بالنسبة الى ارتيريا والفليبين و ... و... وهلم جراً .**

أليس التماسك والتفاعل الشعوري بين اجزاء الأمة هو ركن اساس في المجتمع الاسلامي الواحد ؟! أليس التواصي بالحق والتواصي بالصبر .والتعاون على البر ، والتألم للاخرين ، والتحاض على سدجوعة الجائعين وو . . من الخطوط المقومة للشخصية الاسلامية العامة ؟ !

ألسنا نمر في مجتمعاتنا على صور لااسلامية كثيرة ثم لانعبأ بالامر وكأن شيئاً لم يحدث ...ألسنا نسمع بان الطوائف الاسلامية المختلفة المتفرقة تستنجد بناوهي تذوب فلانعيرها الا اذناً صماء .

انها كلمة صريحة ـ وان كانت مؤلمة حقاً ـ ان نقول اننا نفتقد الشخصية الاسلامية العامة المتماسكة المبدعة .

كما ان الواقع يصرخ بنا كي نعود الى ايماننا فنقيمه من جديد وندرك مستلزماته بكل وعي واخلاص فنعمل على اشاعة مفعولها على الصعيد العام بكل مانملك من قوة وأمل .

«ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابانفسهم» صدق الله العلي العظيم

حروف مضيئة

«من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام»

النبى الاعظم (ص)

«قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك : وجاهل متنسك» .

الامام على (ع)

«فجعل الله . .. والزكاة تزكية للنفس ، ونماء فى الرزق والصيام تثبيتاً للاخلاص ،والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة وامامتنا اماناً للفرقة»

الزهراء (ع)

قيل ما النجدة قال :«الذب عن الجار،والصبر فى المواطن، والاقدام عند الكريهة»

الامام الحسن (ع)

«ان الله تبارك وتعالى لايخدع عن جنته ولا ينال ماعنده الا بطاعته

الامام الحسين (ع)

«واما حق اخيك ؛ فتعلم انه يدك التى تبسطها،وظهرك الذى تلتجىء اليه ، وعزك الذى تعتمد عليه».

الامام السجاد(ع)

«الكمال كل الكمال : التفقه فى الدين ، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة».

الامام الباقر (ع)

«لو ان الناس أدوا زكاة اموالهم مابقى مسلم فقير أمحتاجاً ولاستغنى بما فرضه الله له ، وان الناس ماافتقروا ولااحتاجوا ولا جاعوا ولاعروا الا بذنوب الاغنياء».

الامام الصادق (ع)

«ياهشام ! لايكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو» .

الامام الكاظم(ع)

«صديق كل امرىء عقله وعدوه جهله»

الامام الرضا (ع)

«من غلب جزعه على صبره حبط أجره»

الامام الجواد(ع)

«ان الله لايوصف الا ماوصف به نفسه»

الامام الهادى (ع)

«اورع الناس من وقف عند الشبهة»

الامام العسكرى (ع)

«ان الله معنا فلا فاقة بنا الى غيره ، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا»

الامام المهدى (ع)

هل نزل القرآن سوراً كاملة أو آيات متفرقة ؟

السيد أبو الفضل مير محمدي

ان القرآن الكريم لم ينزل على النبى (ص) دفعة واحدة ، وانما نزل تدريجاً وفى اوقات مختلفة . قال تعالى « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة . كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا »(١) أى كذلك نزلناه متفرقاً لنثبت به فؤادك ونقويه به بانزال الايات فى الموارد المختلفة ،وكلما دعت الحاجة الى ذلك لان النبى (ص) حين يرى أن الله سبحانه يؤيده بالايات ، و يبطل ما تحمله أعداؤه من أجل ابطال أمره ،يتشجع ويصبح أكثر اندفاعاً فى تبليغ الدعوة . قال تعالى : «ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»(٢) والمثل هو الكلام القليل النادر. وهذا وعد من الله سبحانه أن يأتيه بالحق على أكمل وجه واتم صورة ليدحض به أباطيل أولئك كلما جاؤا بكلام يعارضون به كلام الله سبحانه ، نظير قوله تعالى حكاية عنهم : « لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً .انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . » (٣)

والمراد بالامثال هو أباطيلهم واقوالهم التى جاءوا بها .

ثم ان السور التى نزلت دفعة واحدة أوقيل بنزولها كذلك كثيرة ومتعددة فمنها:

١ — سورة المائدة : ويدل عليه ماروا‌ه العياشى عن عيسى بن عبد الله عن

ابيه عن جده عن علي عليه السلام ، قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، وانماكان يؤخذ من أمر رسول الله (ص) بآخره ، وكان من آخر مانزل عليه سورة المائدة فنسخت ماقبلها ولم ينسخها شيء . لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقعت ، وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض وأغمي على رسول الله (ص) حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي ، ثم رفع ذلك عن رسول الله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملنا . (٤)

وباسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك (٥) ولكن السيوطي في الاتقان لم يعدها مما نزل جملة واحدة .

٢ ـ سورة الانعام : ويدل عليه عدة روايات :

اولا مارواه علي بن ابراهيم في تفسيره قال : حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (ع) قال : نزلت الانعام جملة واحدة ويشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبحوا له الى يوم القيامة .

ثانياً : مارواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير قال :سمعت أبا عبد الله(ع) يقول ان سورة الانعام نزلت جملة واحدة وشيعها سبعون ألف ملك حين انزلت على رسول الله (ص) فعظموها وبجلوها الخ . . .

ثالثاً : ما عن الطبراني بطرق مختلفة عن رسول الله (ص) وعن مجاهد وعن عطاء أنها نزلت جملة واحدة (٦) .

رابعاً: ما رواه الحاكم في المستدرك عن جابر قال ؛لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله (ص) . . . ثم قال شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق .

خامساً :ما ذكره صاحب مجمع البيان وهو ماروى عن أبي بن كعب وعكرمة و قتادة أنها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا .

ولكن هناك أقوالا و روايات أخرى تدل على أنها لم تنزل جملة واحدة ،بل نزلت آيات منها بالمدينة وأخرى في مكة ، فاذا صحت هذه الاقوال و الروايات

فلابد من التأويل والقول بأن بعض الايات نزل ثانياً بعد ما نزل في ضمن الكل. لاجل التذكير أو لبيان مقدار ما لهذه الايات في الاهمية .

٣ ــ سورة التوبة : ويدل عليه ما عن الثعلبي باسناده عن عائشة عـن رسـ الله (ص)أنه قال : مانزل على القرآن الا آية آية وحرفاً وحرفاً خلا سورة البر وقل هو الله احد فانهما نزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة كل يقو استوصى بنسبة الله خيراً(٧) .

غير أن السيوطي في الاتقان لم يعدها مما نزل جملة واحدة ، ويؤيده ماء على بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن فضل عن ابن أبي عمير عن أبي الصباح الكنا عن أبي عبد الله (ع) قال : نزلت هذه الاية بعدما رجع رسول الله (ص) من غ تبوك في سنة تسع من الهجرة الى أن قال: فلما نزلت الايات من سورة البراءة الخ...

هذه الرواية خصوصاً قوله عليه السلام(فلما نزلت الآيات من سورة البرا دالة على نزول هذه الايات مجردة عن غيرها ويؤيده أيضاً بعض الاقـوال الوا في شأن نزول الايات مثل ماروى السيوطي في اسباب النزول (٩) عن مسلم وا حيان وأبي داود عن النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله (ص) في من الصحابة ، فقال رجل منهم ماأبالي أن لا أعمل لله عملا بعد الاسلام الا أن ا الحاج . وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر بل الجهاد فـي س الله خير مما قلتم فزجرهم عمر وقال لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله(وذلك يوم الجمعه . ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله (ص) فاسـ فيما اختصمتم فأنزل الله«أجعلتم سقاية الحاج...»الى قوله «لايهدى القوم الظالم

فظهر أن القول بعدم نزولها جملة لايخلو عن رجحان لكثرة الاثار الدالة نزول بعض الايات مجرده عن غيرها .

٤ ــ سوره المرسلات : وقد عدها في الاتقان مما نزل جمعاً ثم روى المستدرك عن ابن مسعود،قال: كنا مع النبي(ص) في غار فنزلت عليه «والمرسـ عرفاً» فأخذتها من فيه وأن فاه رطب بها فلا أدرى بأيها ختم « فبأى حديث يؤمنون أو وأذا قيل لهم اركعوا لايركعون » (١٠) .

ولكن السيوطي قال في أسباب النزول :أسباب نزول آية ٣٨ من المرسلات أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله « واذا قيل لهم اركعوا لايركعون » قال نزلت في ثقيف ، وفي تفسير مجمع البيان عند تفسير الاية قال مقاتل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله (ص) بالصلاة ، فقالوا لا ننحني ، والرواية لاننحني فان ذلك سبة علينا . فقال (ص) لاخير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود . أقول :

ولكن بعد أن تردد ابن مسعود في شأن هذه السورة ولم يعرف أن رسول الله (ص) ختمها بقوله تعالى : «واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» حتى تبقى منها الايات أو بقوله : «فبأي حديث بعده يؤمنون» حتى تتم السورة ، فان هذه الروايةلا تثبت انها نزلت كاملة مضافاً الى مانقل عن مقاتل ان قوله تعالى «واذا قيل لهم اركعوا لايركعون» نزل في ثقيف، والى ما قال الفاضل البحراني في البرهان عند تفسير السورة انها مكية الاية ٤٨ .

٥ ـ سورة الصف : حيث عدها السيوطي في الاتقان مما نزل جمعاً مستنداً في ذلك الى ما رواه الحاكم في المستدرك وغيره عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفراً من اصحاب رسول الله (ص) فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال أحب الى الله لعملناه فانزل الله سبحانه «سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون» حتى ختمها. قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله (ص) حتى ختمها لكن الموجود في المستدرك عند تفسير الصف هكذا: عن عبدالله بن سلام الى ان قال : فأرسل الينا رسول الله (ص) فجمعنا، فجعل يؤمي بعضنا الى بعض فقرأ علينا رسول الله (ص) (سبح لله ما في السموات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لاتفعلون»الى آخر السوره.

وفي أسباب النزول للسيوطي أخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم» قال المسلمون لو علمنا ما هذه التجارة لاعطينا فيها الاموال والاهلين فنزلت «تؤمنون بالله ورسوله» وفي تفسير مجمع البيان نزل قوله «لما تقولون» في المنافقين ـ عن الحسن ـ . **اقول** : ان الاعتبار يقتضي نزول السورة متفرقاً لان مضامينها مختلفة

ولان المفهوم منها ان بعض الايات كانت كانها مسبوقة بالسؤال كقوله تعالى «لما تقولون ما تفعلون» كما قيل . وروى عن مقاتل قوم كانوا يقولون اذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ، ثم لم يفوا بما قالوا ، وانفلتوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله (ص) وكسرت رباعيته (١٢) .

٦ - سورة الفاتحة : وقد عدها السيوطي مما نزل جمعاً ثم قال : قال ابن حبيب واتبعه ابن النقيب من القرآن ما نزل مشيعاً وهو سورة الانعام ، شيعها سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون الف ملك (١٣) .

لكننا لم نعثر على من صرح بنزول سورة الفاتحة جملة واحدة الا ما ذكره السيوطي . ويؤيده ان الاعتبار يقتضي نزول السور القصار دفعة كاملة .

٧ - سورة العاديات : لم يعدها السيوطي مما نزل جمعاً ولكنه قال في اسباب النزول: اخرج البزاز وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال بعث رسول الله (ص) خيلا ولبثت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحاً . وروى علي بن ابي ابراهيم في تفسيره عن الحسين بن علي بن ابي حمزة عن ابيه عن ابي بصير عن ابي عبدالله (ع) في قوله «والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً» قال : هذه السورة نزلت في اهل وادي اليابس ...الخ . .

وفي تفسير مجمع البيان عن مقاتل ان المنافقين قالوا: ان سرية رسول الله (ص قتلوا جميعاً فنزلت السورة وقيل نزلت السورة لما بعث النبي (ص) علياً الى ذات السلاسل

فظهر أن نزولها دفعة لا يخلو عن شواهد .

٨ - سورة الضحى : عن ابن عباس ، احتبس الوحي عنه (ص) خمسة عشر يوماً فقال المشركون ان محمداً (ص) قد ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة (١٤) .

ونقل صاحب تفسير مجمع البيان أقوالا دالة على نزولها دفعة، ولكن السيوطي عدها مما نزل مفرقاً . وقال ان اول ما نزل منها الى قوله فترضى كما في حديث الطبراني ، وقال أيضاً في اسباب النزول : اخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال اشتكى النبي (ص) فلم يقم ليلة أو ليلتان فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله «والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى» .

وروى الحاكم في المستدرك عن حماد بن زيد عن عطية بن السائب عن سعيد
ن ابن عباس ان النبى (ص) قال : سألت الله مسألة وددت أنى لم اكن سألته، ذكرت
سل ربى فقلت يا ربى سخرت لسليمان الريح وكلمت موسى فقال تعالى «ألم اجدك
يماً فآويتك وضالا فهديتك ، وعائلا فأغنيتك . فقلت نعم فوددت انى لم اسأله(١٥).

فظهر أنها مما اختلفوا في نزولها مفرقاً أو جمعاً .

٩ - سورة الاخلاص : عدها في الاتقان مما نزل جميعاً. وقال في مجمع البيان
ى تفسير سورة الاخلاص قيل : ان المشركين قالوا لرسول الله(ص) انسب لنا ربك،
نزلت السورة ، عن ابى بن كعب وجابر ،وقيل أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة
خو لبيد ، النبى (ص) ، وقال عامر الى ما تدعونا يا محمد؟فقال: الى الله. فقال صفه
لنا أمن ذهب هو أم من فضة ، أم من حديد أم من خشب؟ فنزلت السوره. وأرسل الله
الصاعقة على اربد فأحرقته ، وطعن عامر في حنصره فمات ،عن ابن عباس .وروى
السيوطى فى أسباب النزول عن الترمذى والحاكم وابن خزيمة من طريق ابى العالية
عن أبى بن كعب : ان المشركين قالوا لرسول الله (ص) انسب لنا ربك فانـزل
لله قل هو الله أحد الخ . **أقول:** هذه أيضاً مما لاخلاف في انها نزلت جمعاً ويشهد
عليه مضمون السورة التى كلها أوصاف لله تعالى ، مضافاً الى ان الاعتبار فى السور
لقصيرة يقتضى نزولها دفعة كاملة كما لا يخفى .

١٠ - سورة الكافرون : لم يعدها السيوطى فى الاتقان مما نزلت جمعاً ،ولكنه
قال في اسباب النزول : أخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس أن قريشاً
دعت رسول الله (ص) الى ان يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، و يزوجوه
ما أراد من النساء . فقالوا هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء،
فان لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة . قال : حتى أنظر ما يأتينى من ربى . فأنزل الله «قل
يا أيها الكافرون» الى آخر السورة وأنزل:قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون.

١١ - سورة الكوثر : عدها فى الاتقان مما نزل جمعاً وروى عن مسلـم عن
أنس قال بينا رسول الله (ص) بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة فرفع رأسه متبسماً.فقال:
نزلت على آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها

... الحديث (١٦)وقال في اسباب النزول : أخرج ابن المنذرعن ابنجريح قال بلغني ان ابراهيم ولد النبي (ص) لما مات قالت قريشأصبحمحمد أبترفغاضهذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر تعزية له .

وفي تفسير علي بن ابراهيم : دخلرسولالله(ص)المسجد وفيهعمرو بن العاص والحكم بن ابي العاص قال عمرو يا أبا الابتر وكان الرحل في الجاهلية اذالم يكن لهولد سمي أبتر. ثم قال عمرواني لاشنأمحمدا أي أبغضه، فانزلاللهعلىرسوله(ص) «انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك - اى مبغضك - عمرو ابن العاص - هو الابتر ، يعني لا دين له ولا نسب .

فيظهر مما تقدم أن الكوثر نزلت دفعة - وما نقل في اسبابالنزولعنالبزار وعميرة بسند (قال انه صحيح) - عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الاشرفمكة فقالتله قريش أنت سيدهم الا ترى هذا المنبتر من قومهيزعمأنه خير مناو نحنأهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة . فقالأنتم خيرمنهفنزلت «انشانئكهوالابتر» فلعل الآية في ضمن السورة فلا منافاة .

١٢ - سورة تبت : عدها في الاتقان مما نزل جمعاً وقال في اسباب النزول أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال : صعد رسولالله (ص) ذاتيومعلىالصفا فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش . قال أرأيتم لو أخبرتكمأنالعدو مصبحكم او ممسيكم اكنتم تصدقوني ؟ قالوا بلى . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تباً لك ، الهذا جمعتنا ؟ فانزل الله :تبت يدا ابيلهب...الى «وامرأته حمالة الحطب» .

واخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله ، ورواه صاحب مجمع البيان فيتفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . والذي يظهر انسورةتبت نزلت جملة واحدة اذ اني لم ار خلافاً في ذلك .

١٣ - سورة البينة : عدها السيوطي في الاتقان مما نزل جميعاً قال : اخرج احمد عن ابي حبة البدري قال لما نزلت لم يكن الذينكفروا من اهل الكتابالى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ان ربك يأمرك ان تقرئها واني لم ار فيهاخلافا

الا ما رواه في تفسير البرهان عن الاعمش عن عطية عن الخدري .

وقد روى الخطيب الخوارزمي عن جابر انه لما نزلت هذه الاية « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك خير البرية» قال النبي (ص) علي خير البرية.وفي رواية جابر كان اصحاب رسول الله (ص) اذا اقبل علي قالوا جاءخير البريه.ولكن من الممكن ان الاية نزلت في ضمن السورة الكاملة لا وحدها ، حتى لا ينافي ماسبق. وانها بجميع آياتها نزلت دفعة ، فاذن لا خلاف بين الاقوال .

١٤ ـ سورة النصر : عدها في الاتقان مما نزل جمعاًوقال في اسباب النزول: اخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال : لمادخل رسول الله(ص) مكة عام الفتح ، بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش باسفل مكة حتى هزمهم الله ، ثم امر بالسلاح فرفع عنهم ، فدخلوا في الدين فأنزل الله «اذاجاءنصر الله والفتح» حتى ختمها . وفي تفسيرعلي بن ابراهيم انها نزلت بمنى في حجةالوداع «اذا جاء نصر الله والفتح» فلما نزلت قال رسول الله (ص) نعيت الى نفسي فجاء الى مسجد الخيف فجمع الناس الخ . .

وفي تفسير البرهان عن الواحدي انه روى عكرمة عن ابن عباس قال : لمااقبل رسول الله (ص) من غزوة خيبر وانزل الله سورة الفتح قال: يا علي ويافاطمةاذاجاء نصر الله والفتح الى آخر السورة .

وفي تفسير مجمع البيان نقل عن مقاتل لمانزلت هذه السورة قراهاعلى اصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى الخ . .

أقول : ان الاعتبار يشهد في امثال هذه السورة القصيرةالمرتبطة المضمون على انها نزلت جملة .

١٥ ـ المعوذتان : عدها في الاتقان مما نزلت جملة ، بل السورتان نزلتا معاً (١٨) ، وقال في النوع الاول من الاتقان : المختارانهمامدنيتان لانهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الاعصم كما اخرجه البيهقي في الدلائل . وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن بكر بن محمد عن ابي عبد الله (ع) قال كان سبب نزول المعوذتين انه وعك رسول الله (ص) فنزل جبرئيل بهاتين السورتين فعوذ بهما . وفي تفسير البرهان عن الفضيل بن يسار قال : سمعت ابا جعفر (ع) يقول ان رسول الله (ص)

اشتكى شكوة شديدة ، ووجع وجعاً شديداً فأتى جبرائيل وميكائيل عند رجليه، فعوذ
جبرائيل بقل اعوذ برب الفلق ، وعوذه ميكائيل بقول اعوذ برب الناس .

فالاعتبار ايضاً يشهد على نزول السورتين دفعة واحدة فان مضمونهما وهـ
الاستعاذة واحد . ثم ان الاعتبار يشهد كذلك ، على نزول جميع السور القصير
دفعة واحدة .

(وبهذا يتبين لنا الجواب على السؤال والحمد لله اولا وآخراً .

الهوامش

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٢

(٢) سورة الفرقان آية ٣٣

(٣) أيضاً سورة الفرقان الايتين ٨ و ٩

(٤) تفسير العياشي في سورة المائدة

(٥) تفسير مجمع البيان في سورة المائدة .

(٦) الاتقان للسيوطي ـ باب فيما نزل مفرقاً ص ٣٧

(٧) تفسير مجمع البيان في سورة البراءة

(٨) تفسير البرهان في سورة البراءة

(٩) هامش تفسير الجلالين

(١٠) الاتقان ص ٣٨

(١١) الاتقان ص ١٣

(١٢) مجمع البيان في سورة الصف

(١٣) الاتقان ص ٣٧

(١٤) مجمع البيان في تفسير سورة الضحى

(١٥) المستدرك في تفسير الضحى

(١٦) الاتقان ص ١٤

(١٧) الاتقان أيضاً ص ١٤

(١٨) الاتقان ص ٣٧

سجود الموجودات كيف يتم؟

بقلم: الشيخ جعفر السبحاني   ترجمة: جعفر الهادي

«بعد أن قدم آينشتاين، نظريته العلمية، حول: (تفجير الذرة)، الى احدى المختبرات العالمية، ونجح المختبر في: تفجير الذرة، لاول مرة في تاريخ العلوم الطبيعية؛ آنذاك عقد الصحفيون حواراً مع آينشتاين، حول هذا الحدث العلمي العظيم، والذى تمثل في: (تجزئة الذرة) بعد أن كان كل العلماء بالاجماع يعتقدون بأن الذرة هي: (الجزء الذى لا يتجزأ)! .

«ومن بين الاسئلة الكثيرة التى طرحها الصحافيون على العالم كان السؤال التالي:

«كم هي نسبة معلوماتكم الى مجهولاتكم؟» .

وما كان من اينشتاين الا ان اشار الى سلم صغير كان في مكتبته، «ومضى يقول في كثير من الجد؛

«ان نسبة ما أعلم الى ما لاأعلم مثل ما بين هذا السلم الصغير، الى «تلك السماء العظيمة، من النسبة والفاصلة» ! !

على هامش هذا الخبر، لنا أن نتساءل: ماذا كان ذلك العالم الكبير، يقصد

القرآن في الاية (٧٤) من سورة البقرة بقوله تعالى : «وان منها لما يهبط من خشية الله» ،

وهي آية صريحة في نسبة الخوف الى الحجارة ، وبديهي أن الخوف ليس سوى (انفعال) صادر من أعماق الشعور ، الامر الذي يعني : أن الحجارة تشعر... فهي اذن تخاف . . . (٧)

ومثل هذه الدلالة الصريحة ، لايمكن أن ننقصها بتصور عابر مفاده: أن الحجارة لا تملك حياة ، فكيف اذن تشعر ، وهو تصور غير علمي ، لانه لا ينطلق من استكناه كامل لاعماق الحجارة ، ولايقوم على احاطة كاملة وشاملة بحقيقتها .

٢ - الجبل وظاهرة الخشوع :

وتكشف عن هذه الظاهرة الاية (٢٢) من سورة الحشر عندما تقول :«لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً منصدعاً من خشية الله» ، على اساس ان الخشوع هو أيضاً انفعال صادر من الشعور .

وربما حاول بعض المفسرين تأويل الاية مدعياً بأن الاية تعني : ان الخشوع قد يصدر من الجبل اذا فرض حلول الحياة فيه ، بدليل حرف (لو) ، فلا يكون التعبير بالخشوع في هذا المورد الا تعبيرا مجازياً . .

ولكن هذا التأويل وان كان على حق نسبياً ، الا أنه لا ينسجم وقاعدة :(الظهور القرآني) (٨) ، كما انه يتعارض نوعاً ما مع «أدب القرآن» الذي اتسم بالدقة المتناهية ، وتقرير الحقائق النهائية . . مضافاً الى انه تأويل لا داعي له بعد أن قرر القرآن في مواضع اخرى ، تسبيح الحجر ـ كما لاحظنا نموذجاً منه في الآية السابقة ـ . .

٣ ـ الارض تتحدث :

وهذه حقيقة اخرى يقررها القرآن في سورة (الزلزال) حيث يقول : «يومئذ تحدث اخبارها * بأن ربك أوحى لها».

ويتجلى في هاتين الايتين بوضوح كيف ان الله يوجه وحيه الى الأرض . ثم تنطلق الارض تتحدث عن اخبارها ، وذلك في يوم القيامة .

والارض ـ هنا ـ هي هذه الارض التي نعيش عليها ، هي هذا التراب والصخر والحجر . . وليس غير ذلك .

أما الحديث . . فهو الكلام الذى ينقل الى السامع ما يعتلج فى نفس المتكلم وضميره ، وباطن شعوره . .

وهى تعابير لا تتحمل تأويلا . .

ولذلك يقول العلامة الطباطبائى فى تفسير هذه الآيات :

(قوله تعالى : «بأن ربك أوحى لها» المعنى : ان الارض تحدث أخبارها ، بسبب ان ربك أوحى لها أن تتحدث، فهى شاعرة بما يقع فيها من الاعمال، خيرها وشرها ، متحملة لها، يؤذن لها يوم القيامة ، بالوحى ، ان تحدث اخبارها، وتشهد بما تحملت ، وقد تقدم فى تفسير قوله تعالى : «وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤ ، وقوله : «قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء» حم فصلت : ٢١ ، أن المستفاد من كلامه سبحانه : ان الحياة والشعور ساريان فى الأشياء وان كنا فى غفلة من ذلك) (١) .

ثم يمضى العلامة الطباطبائى فى بيان وجهة نظره فى الاختلاف الذى وقع من المفسرين حول : ما يعنيه (تحدث الارض) على وجه الدقة،وهل أنه بالمعنى الحقيقى أم لا ؟ فيقول :

(وقد اشتد الخلاف بينهم فى معنى (تحدث الارض - ثم يقول - : ولكن لا محل لهذا الاختلاف بعد ما سمعت.. [من آيات النطق الحقيقى] (١٠) .

٤ - الارض والسماء قبل الاوامر :

وهذا هو ما نلحظه بجلاء فى الاية (١١) من سورة فصلت، حيث يخبرنا الله قائلا: «ثم استوىٰ الى السماء وهى دخان، فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين» .

والاية صريحة فى توجيه الاوامر الى السماء والارض ، وهو يكشف عن وجود قابلية لتحمل التكليف فى السماء والارض ، اذ كيف يصح توجيه المسؤوليات الى شىء لم يكن قابلا وأهلا بطبعه لذلك ، بداهة أن تكليف من لا يصلح للتكليف محال على الله ، - كما يقول المتكلمون - فهو (التكليف بالمحال) سواء .

على اننا نواجه نفس التفسير فى آية: «اناعرضنا الامانة على السماوات والارض» الاحزاب/٧٣ ، سواء بسواء .

وهكذا تأتى هذه الايات (الدالة على

وجود الشعور والادراك في عموم الكائنات لتبرهن - بلا تردد - على: (امكانية التسبيح) في هذه الكائنات رغم ان الانسان لا يستطيع الوقوف عليه.

واعتقد اننا سنكون اكثر تسليماً لهذا الواقع الكوني اذا عرفنا ان القرآن تجاوز هذه المرحلة، الى اثبات (السجود) في هذه الموجودات .

ومن أجل ان نستطيع قبول هذه الحقيقة بنحو أفضل يجدر بنا أن نستعرض الايات التي تشير بصراحة الى قضية السجود في الموجودات ليتسنى لنا بعدئذ التحدث عنها بتوسع (١١) .

واوضح الآيات في هذا الشأن هي :

١ - الاية ١٩ من سورة الحج: «الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر . . . الخ» .

٢ - والاية ٧ من سورة الرحمن : «والنجم والشجر يسجدان» .

٣ - والاية ٤٩ من سورة النحل: «اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون» .

ولكن قبل التعمق في هذه الايات لابد من مراجعة اللغة لمعرفة معنى كلمة السجود . .

اذن :

ماذا يعني السجود في اللغة ؟

السجود في اللغة يعني: غاية الخضوع والتذلل .

فاذا قيل : سجد فلان فان ذلك يعني انه خضع أشد الخضوع ، وأظهر غاية التذلل .

وبهذا المعنى للسجود يتضح ان السجود عملية تأتي عقيب سلسلة من الانفعالات الباطنية (الشعورية) .

والان الى الايات نفسها :

١ - تنص الاية الاولى بشكل صريح على أن السجود الذي تمارسه الموجودات امام الله . . لم يكن مقصوراً على الانسان أو ما يماثله في الدبيب والحركة، وانما هو عمل يشمل الشمس والقمر والنجوم

والجبال والشجر . . حيث تقول الاية : «الم تر ان الله يسجد له .. .والشمس والقمروالنجوموالجبالوالشجر...الخ»

٢ - ثم ينص القرآن على سجود نوعين من الموجودات . هما النجم والشجر على اساس ان الشجر هوالمادة الاكثر التصاقاًبحياةالانسان ، وان النجم علامته التي بهايهتدي وعلى ضوئها يسير فتقول الآية: «والنجموالشجريسجدان».

٣ - ثم تتوسع الدائرة في الاية الثالثة لتشمل كل الموجودات حتى افيائها والظلال ، حيث يقول : «أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤوا ظلاله . . . سجداً لله» .

وفي كل هذه الايات يتجلى بوضوح أن عموم الموجودات تسجد لله ، على الاطلاق ، بمعنى أنها تظهر من نفسها غاية الخضوع والتذلل أمام الخالق العظيم، ذي القدرة المطلقة والارادة الاعظم . . وذلك يجعلنا مرة اخرى امام حقيقة : وجود الخلفيات الشعورية لدى هذه الكائنات . . تلك الخلفيات التي يصعب على الانسان العادي ادراكها والوقوف عليها ، لتناهيها في الدقة والغموض والخفاء .

غير ان هذه الايات - أيضاً - لم تسلم - رغم صراحتها - من التأويلات التي تسعى لاسباغ صفة المجارية على مدلولاتها .

حيث ذهب بعض المفسرين الى أن السجود هنا تكويني أيضاً . . مرةبحجة انها عديمة الحياة والشعور، ومرةاخرى بحجة ان التنصيص على سجود الانسان في سياق الاية ١٩ من سورة الحج دليل على أن سجود القمر والشمس والجبال انما هو سجود تكويني، اذ ذكرفي قباله سجود الانسان بصورة خاصة .

فهؤلاء المفسرون يصرون على ان سجود هذه الموجودات هو بمعنى الخضوع اللاارادي لسنن الله في الكون والتكوين ليس الا،فيكون اطلاق السجود على هذه الموجودات بالمعنى المجازي.

ولكن ضم هذه الايات الى آيات التسبيح - والايات التي سبق الحديث عنها في مطلع هذا المقال - يجعل هذا

الرأى ضعيفاً هو الاخر ، اذا انتهى بنـا الجدل الى التحاكم الى قاعـدة : (الظهور القرانى) ، وقاعدة (الادب القرانى) الذى يحرص على أن يضع كل شيء فى موضعه المناسب ،ويمنحه مساحته المناسبة . .

السجود الكوني وارتباطه بنا :

ومهما يكن تفسيرنا لهذه الايـات فان هناك حقائق كثيرة تطرحهاهذه الايات علينا واهمها حقيقتان لايمكن الفرار من مجابهتهما وهما :

اولا : اذا كانت الكائنات كلها تسبح وتسجد لله حقاً فما الذى يسوغ لهذا الانسان ان يعرض عـن مثل هذا السجود والاطاعة والخضوع ،وماالذى يسوغ له ان يتمرد وهو يرى بأم عينيـه أن كل هذا الكون وهو اصغر و أعجز مافيه خاضع لخالقه ، طوع أمره ونهيه؟

فما الذى يجوز له أن ينحرف عن تحقيق نظم اللهو تشريعاته،ويتكاسل فى انفاذ مشيئته ، وحكمه..فى نفسهاومجتمعه؟ / ليس سجودالكائنات وخضوعها- اذا تدبر - حجة عليه بالغة ؟ . « ولله الحجة الحجة البالغة » .

ثانياً :اذا كانت هذه الكائنات تشعر وتدرك حقاً واذا كانت كل ذرة فى هذا الكون ليست سوى : (آلة تسجيل) و (عدسة كاميرا) تسجل كل نأمة،وتصور كل صورة ، وتضبط كل حركة ..فكيف يسمح هذا الانسان لنفسه ان ينطلق فـى اقواله بلا حساب ، وينساق مع شهواته بلا حدود ، و يتمادى فى جرائمه دونما تفكير . .

اذا كانت هذه الأرض ستخبـر - يوم يمثل الانسان امام ربه - عن كـل مارتكبه . . لقطة بلقطة ، ولفظة بلفظة ، و ذرة بذرة . .

فى ذلك اليوم ماذا يصنع المجرمون؟

وبماذا يعتذر المتكاسلون ؟

والى اين يفر المذنبون ؟

وماذا يجدى الانسان اذا هوحاول أن يتلصص فى ارتكاب جرائمه ، و اذا هو حاول ان يغطى ، ويستتر ، فهل كل ذرة فى الجدرالتى يتستر بها عن الاخرين والاغطية التى يتخفى بهاعن الناظرين، بل وهل كل ذرة من خلايا جسمه وجلده الا

(عدسة كاميرا) و (شريط تسجيل) تشهدعليه،وتخبر عنه،وتفضحهوتبدى مساويه؟؟!

«ويوم يحشر أعداء الله ، الى النار ، فهم يوزعون!
حتى اذا ما جاؤها ، شهد عليهم سمعهم ، وابصارهم، وجلودهم ، بما كانوا يعملون ! !
وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ ! قالوا : انطقنا الله الذى انطق كل شىء ، وهو خلقكم أول مرة ، واليه ترجعون ! !
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ، ولا جلودكم، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ! !
وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ، فاصبحتم من الخاسرين !
فان يصبروا فالنار مثوى لهم ، وان يستعتبوا فما هم من المعتبين !»

سورة فصلت من الاية ١٩/٢٤

الهوامش

(١) الطريف ان الانسان الحديث ليس فقط توصل الى فلق الذرة . بل استطاع ان يراقب ـ من كثب ـ كل تفاعلاتها ، ابتداءً من تجزئها الطبيعى ، الى تحولها الى الطاقة ـ فى الاجسام المشعة ـ كالراديوم ، بل ونجح فى تحويل الذرة الى الطاقة . . وتوصل الى ما هو أعمق، وفى هذا ما يدل على قصور علم الانسان بل وضآلته تجاه معلومات الكون الجمة . ويؤيد ما يقوله اينشتاين . — المترجم —

(٢) للتوسع الاكثر ، راجع كتاب : (الانسان ذلك المجهول) وكتاب: (آفاق لا تحد).

(٣) كما حدث الان بالنسبة الى كثير من القضايا التى كان الانسان بأبى ان يقبلها بسهولة، وكان يعدها ضرباً من المحال ، حتى اذا جاء العلم تحولت كثير من المحالات الى حقائق ملموسة.

— المترجم —

(٤) المقصود بالصمت العلمى هو التأمل والتفكير البناء وهو نقيض الصمت اللامبالى.

(٥) قد يعد من مفاخر المسلمين ان تكون هذه القاعدة هى مذهبهم طوال قرون الحضارة الاسلامية الغابرة ، وهى كانت ـ أيضاً ـ سبب تقدمهم فى العلوم . . وهذه القاعدة يلخصها أحد فلاسفتهم الكبار وهو الشيخ الرئيس ابن سينا قائلا : (كلما قرع سمعك فذره فى بقعة الامكان مالم يقم عليه قائم البرهان) ! او ما لم يذدك عنه واضح البرهان . ـ المترجم ـ

(٦) وهذا هو الغرض الاساسي من هذه البحوث ، بل وهو الغرض الاساسي من عرض القرآن لايات الانفس والافاق التي يزخر بها ذلك الكتاب الالهي الخالد . - المترجم.

(٧) ذهب العلامة الطبرسي في تفسيره مجمع البيان الى هذا الرأي ولكن في صورة احتمال ، حيث قال : (ان الله اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله)

ثم ذكر بعض الروايات التي تؤيد امكانية وجود الشعور في الجمادات منها قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -(ان حجراً كان يسلم علي في الجاهلية ، واني لاعرفه الان)! راجع مجمع البيان المجلد الاول ص ١٤٠ في تفسير الاية اعلاه . - المترجم .

(٨) والمتفق عليه أن الظاهر القرآني حجة في نفسه ما لم ترد قرائن صارفة عنه، والثابت أنه ليس هنا أو في مواضع مشابهة قرائن تعارض ظواهر هذه الايات ،سوى تصورات بعض المفسرين.

- المترجم -

(٩) وقد جاء في تفسير مجمع البيان مجموعة من روايات يمكن اعتبارها أدلة صريحة على هذا الاتجاه :

(منها) : قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - في تفسير الايتين المذكورتين : (أتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا . . هذا اخبارها) . !!

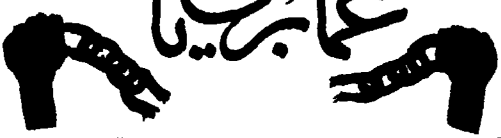
(ومنها) قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (حافظوا على الوضوء ، وخير أعمالكم الصلاة، وتحفظوا من الارض فانها أمكم ، وليس فيها أحد يعمل خيراً أو شراً الا وهي مخبرة به)!!

مجمع البيان مجلد ١٠ ص ٥٢٦

(١٠) تفسير الميزان - المجلد العشرون - ص ٤٨٥ .

(١١) يجب ان يكون معلوماً لدى القارىء الكريم انه ليس قصد الكاتب هنا ان يثبت ان السجود أو التسبيح - عند ماعدا الانسان - يتم تماماً بالطريقة التي يصدر بها عن الانسان ، فذلك لا سبيل اليه -في الواقع- الا أن غاية ما يرمي اليه هو ان يثبت على ضوء هذه الايات أن كل هذه الموجودات تتحلى بنوع من الشعور والادراك لنعرف بعد ذلك أن العالم هذا ليس في الحقيقة الا بمثابة جهاز واحد يدرك ويرى ويعي وان الانسان محاط - اينما ذهب - بالعيون الساهرة، والاذان السامعة ، وعدسات الملاحظة التي تتعقب اللحظات والخطى والحركات . - المترجم.

عمار بن ياسر



إنّ عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي *

" حديث شريف "

ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية

" حديث شريف "

د. عز الدين علي السيد

" كلية اللغة العربية بالرياض "

يامن رآه بنير الكفر عمار !   الهول من حوله ـ والقيد ـ والنار!

في كل يوم أكف البغي تصرعه   والمشركون على ماجاء ثوار

يعذبون الفتى ! لاذنب قارفه   وماله بينهم ظهر ولا جار !

فالام في النار تحمى مثل والده   والقلب مضطرم ،والقوم كفار

يحرقون الضحايا في محارقهم   حتى يزيد الضنى . . والعزم ينهار !

قضت (سمية) ظمأى ! ياهناءتها   في جنة الخلد ! نعم الاجر والدار !

أولى الشهيدات في الاسلام عندك من   اشهى المشارب ألوان و أنهار

وذا قرينك . . ماجربت فرقته   ثاني الشهيدين ، والاشهاد أبرار

بذا المقام رسول الله بشركم   طوبى لكم .. في جوار الحق أطهار!

* * *

مر الرسول بعمار يعذبه   بالنار باغ . . لها لفح واضرار

* مقتبس من مجلة هدي الإسلام الأردنية رمضان ١٣٩٦ هـ

دنا الرسول وفي عينيه دمعهما ومست الوجه كف منه معطار
وقال : كوني لـه برداً فما فتئت حتى بدا بعدها للكف اسرار
فأهنأ هنيئاً أبا اليقظان وامض على درب الجهاد . .فملء الدرب أنوار
وان لفظت بماشاءوه من عبث والعقل في غيبة . . فالله غفار
قد انزل الله فيمن أكرهوا كلماً فيها رجاء . .واكرام . ..واعذار
واليوم اذ تركت مخزوم يائسة تلك الحماقة . . والجانون قد ساروا
فالحق بركبك ركب النور محتسباً يحدوك من بدرهم حب وايثار

* * *

طاف المطاف بعمار وقد أزفت ساعاته الغر . . والجهال أغرار
فكان ردء (على) في خصومته للمعتدين وقد ضلوا وقد جاروا
في حرب «صفين» أبلى مثل عادته حتى دعته الى الاحباب أقدار
فقال وهو يلبى الصوت في فرح وحوله من دعاة الحق أنصار
وأنزاح عن فئة البغي التي غبرت بها نبوءة خير الخلق أستار
ياويحه فئة العدوان تقتله . ! حقاً فمن يقتل الاطهار غدار
وأدرك الامر حزب البغي فارتجفوا وثار فيهم من الانذار اعصار
فصاح من فوقهم يدعو (معاوية) : المرجفون بهذا القول أغمار
لسنا البغاة ولكن من أهاب به للحرب قاتله . . والبغي مكار
عمار . .بشراك..قد ادركت منزلة تناقلتها عن المختار أسفار
لقيت في جنة الفردوس من سبقوا وكل نفس لها بالموت مقدار
عمار . . ألف سلام من محبك ما ناحت على الايك في الاسحار أطيار

اصلاحات الامام علي (ع)

١٥

الشيخ محمد علي التسخيري

- ▢ الاستثمار السريع .
- ▢ اهم ـ مجالات الاصلاح الاجتماعي ـ أ ـ مجال الحقوق .
- ▢ المشكلة المالية .
- ▢ ضد البخل والترف ـ التزهد بالدنيا .
- ▢ المساومة الفاشلة .
- ▢ الدقة في التوزيع .

الاستثمار السريع :

مرّ بنا ان الحماس الذي رافق توجه الامة نحو الامام امير المؤمنين (ع) طالبة منه ان يقبل البيعة،كان يمثل عنصراً يقل وجوده لتحريك الامة ضد اعدائها و اصلاح شؤونها،وفرصة مساعدة نادرة لتحقيق الخطوات الواسعة التي تتطلب الجهود الكبيرة . . . ورايناكيف ان الامام (ع) ركز هذا الحماس بالامتناع المشروط عن البيعة تارة،و بالرواء الفكري و التربية التوجيهية عن طريق خطبه الشريفه تارة اخرى . . . وها نحن في هذا الفصل نتعرض للاستثمار السريع الذي قام به (ع) لهذه الحالة الفريدة،لتحقيق بعض اهم الخطوات المطلوبة له . . .

وقد كان لهذه السرعة في تطبيق الاصلاحات الجذرية اثرها المزدوج الذي تتعاون شقاه في الايصال نحو الهدف، فهو من جهة: يستفيد من الطاقات المتأججة فعلاً والتي تسترخص البذل في سبيل تحقيق النتيجة، ومن جهة اخرى: يشارك في ابقاء الجذوة متقدة لفترة اطول مما يساعد على امكانية التقدم بعملية الاصلاح وتركيزها في المجتمع. كما أن هذه السرعة ستفاجيء القوى المنحرفة فلا تدع لها مجالا للتخطيط للوقوف بوجهها.

وعلى ضوء ذلك نعرف ضرورة الموقف الجدي الصارم من كل انحراف، للاستفادة من هذه الفرصة بضرب اوكاره المنتشرة .

على اننا يجب ان لاننسى ان هذا الامر - وهو تحقيق الاصلاح بمختلف شؤونه التي سنتحدث عنها - هو الامر الذي دعا الثائرين للاتجاه الى الامام (ع) وليس من المعقول ان يتوانى الامام (ع) في تطبيقه، خصوصاً وهو ينسجم تمام الانسجام مع الاطروحة الاسلامية الصحيحة التي يمثلها أروع تمثيل .

اهم مجالات الاصلاح الاجتماعي :

كان الانحراف يتركز في مجالات اهمها:

أ ـ المجال الحقوقي، وبضمنه المجال المالي .

ب ـ المجال الاداري.

أ ـ المجال الحقوقي :

وقد أكد عليه السلام ان الامتيازات الحقوقية التي وضعتها الجاهلية و قدرها التركيب الطبقي آنذاك ؛ ملغية تماماً في نظر الاسلام، وان الجميع أمام الدين متساوون وان الفرص ممنوحة للجميع على حد سواء في الاستفادة من الحقوق و القيام بالواجبات؛ فالحق هو المقياس لاغير :

« الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » (نهج البلاغه) .

ويوصي الاشتر النخعي في كتابه القيم اليه :

« أنصف الله وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة اهلك، ومن لك فيه هوى من

رعيتك، فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ...... ولكن أحب الامور اوسطها في الحق واعمها في العدل» (ص ٤٣٨) ويقول في موضع آخر منه وهو يستوصيه خيراً بالطبقة الضعيفة: « واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فانك لاتعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم . وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه، فان هؤلاء بين **الرعية احوج** الى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه » **(ص ٤٣٩)**

ويقول في موضع آخر منه: (واجعل لذوي الحاجات منك قسماً، تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد جندك و اعوانك من حراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: « لن تقدس امة لايؤخذ للضعيف حقه من القوي غير متتعتع »)ص ٤٣٩ .

ويقول « وألزم الحق من لزمه من القريب و البعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة » ص ٤٤٢ .

ويقول عليه السلام وهو يتحدث في امر البيعة :

« ايها الناس اعينوني على انفسكم ، وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه، ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق، وان كان كارها » ص ١٩٤ .

ويكتب الى سهل بن حنيف وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية: « وانما هم اهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا الى الأثرة،

فبعداً لهم وسحقاً ، انهم والله لم ينفروا من جور،ولم يلحقوا بعدل » ص ٤٦١ .

ومن كلام له (ع) كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما:

« لقد نقمتما يسيراً وارجأتما كثيراً . الا تخبرانى اى شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ واى قسم استأثرت عليكما به؟ أم اي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام أخطأت بابه ؟ ! . . . .

اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق،والهمنا واياكم الصبر ؛ ورحم الله امرءاً رأى حقاً فاعان عليه،اورأى جورا فرده،و كان عوناً بالحق على صاحبه ! »(روائع نهج البلاغة ص ٩٢)

ويقول لعمر بن الخطاب:

«ثلاث ان حفظتهن وعملت بهن كفيتك ماسواهن ، وان تركتهن فلا ينفعك شيء سواهن . قال : وماهن ؟ فقال:الحدود على القريب والبعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط ، والقسم بالعدل بين الاحمر والاسود . فقال له عمر :أبلغت وأوجزت»(اليعقوبى ج ٢ ص٢٠٩) .

« وقضى على رجل بقضية فقال : ياأمير المؤمنين : قضيت على بقضية هلك فيها مالى ، وضاع فيها عيالى ، فغضب حتى استبان الغضب فى وجهه،ثم قال:ياقنبر! ناد فى الناس:الصلاة جامعة،فاجتمع الناس ورقى المنبر ،فحمد الله واثنى عليه ،ثم قال : اما بعد فذمتى رهينة وانا به زعيم، بجميع من صرحت له العبر،الا يهيج على التقوى زرع قوم ، ولا يظمأ على التقوى سنخ اصل ....»(اليعقوبى ج٢ ص ٢١١)

ومن كلام له عليه السلام،وننقله على طوله لانه من اروع الكلام :

« والله لان ابيت على حسك السعدان مسهداً ، أوأجر فى الاغلال مصفداً ، احب الي من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام .وكيف أظلم احداً لنفس يسرع الى البلى قفولها،ويطول فى الثرى حلولها؟!

والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعاً،و رأيت صبيانه شعث الشعور غبر الالوان من فقرهم ، كأنما سودت وجوههم بالعظلم،وعاودني مؤكداً ، وكرر على القول مردداً ، فأصغيت اليه سمعى فظن أنىّ أبيعه ديني،واتبع

قياده مفارقاً طريقتي ، فأحميت له حديدة ، ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذى دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له ثكلتك الثواكل. ياعقيل ؛ أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبه ، وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه ! أتئن من الاذى ولاأئن من لظى ؟ !

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ، ومعجونة شنئتها ، كأنما عجنت بريق حية أوقيئها ، فقلت : أصلة ، ام زكاة ، ام صدقة ؟ فذلك محرم علينا اهل البيت ! فقال : لاذا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت :

هبلتك الهبول ! أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟أمختبط انت أم ذو جنة ،ام تهجر ؟ والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على أن اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة مافعلته . وان دنياكم عندى لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها . مالعلي ولنعيم يفنى ، ولذة لاتبقى ! نعوذ بالله من سبات العقل ، وقبح الزلل ، وبه نستعين » (نهج البلاغة ص ٣٤٦) .

وشهد جماعة عند الأمام على (ع) على النجاشي ـ وكان من اصحابه ـ أنه شرب الخمر فأخذه علي وحده ، فغضب جماعة على على (ع) في ذلك منهم طارق بن عبدالله النهدي، فقال: ياأمير المؤمنين! ماكنا نرى أن اهل المعصية و الطاعة واهل الفرقة و الجماعة عند ولاة العقل و معادن الفضل سيان في الجزاء ، حتى ماكان في صنيعك بأخي الحارث ـ يعنى النجاشي ـ فأوغرت صدورنا! وشتت امورنا! وحملتنا على الجادة التي كنا نرى ان سبيل من ركبها النار !.

فقال على (ع): « انها لكبيرة الا على الخاشعين » ياأخا بني نهد! هل هو الارجل من المسلمين انتهك حرمة من حرمة الله واقمنا عليه حدها زكاة له وتطهيراً ؟! يا أخا بني نهد! انه من أتى حداً فأليم كانت كفارته ، ياأخا بني نهد! ان الله عزوجل يقول في كتابه العظيم: « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » فخرج طارق والنجاشي معه الى معاوية ، ويقال : انه رجع (المناقب ج١ ص٤٠) .

وعن ابن نباتة انه قال:« بينما علي (ع)يخطب يوم الجمعة على المنبر فجاء الاشعث بن قيس يتخطى رقاب الناس فقال :يا أمير المؤمنين : حالت الحملاء بيني و بين وجهك . قال : فقال علي (ع) : مالي وما للضباطرة (اى الذين لاغناء عندهم) أطرد قوماً غدوا اول النهار يطلبون رزق الله ، وآخر النهار ذكروا الله ؟ أفأطردهم فأكون كالظالمين » . (البحار ج٤١ ص ١١٨) .

وروى هارون بن سعد:قال عبد الله بن جعفر بن ابي طالب لعلي (ع):يا أمير-المؤمنين،لو أمرت لي بمعونة؛او نفقة،فوالله مالي نفقة الا أن أبيــع دابتي! فقال : «لا والله ما أجدلك شيئاً الأن تأمر عمك ان يسرق فيعطيك»(البحار ج ٤١ ص١٣٧).

وروى ابو اسحاق الهمداني:ان امرأتين اتتا علياً (ع) احداهما مــن العـرب والاخرى من الموالي،فسألتاه فدفع اليهما دراهم وطعاماً بالسواء ، فقالت احداهما اني امرأة من العرب وهذه من العجم ، فقال:اني والله لاأجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني اسحق » (البحار ج ٤١ ص ١٣٧) .

المشكلة المالية:

وعلى ضوء هذه السياسة الحكيمة العادلة،والتي لاتأخذها في الحق لومة لائم، ولا تقوم الا على الاسس الاسلامية المرسومة بدون حيد اوحيف؛عالج الامام المشكلة المالية « وكانت تواجهه فيما يتعلق بهذه السياسة نقطتان هامتان : احداهما الثروات التي تكونت في ايام عثمان باسباب غير مشروعة،والثانية:اسلوب توزيــع العطاء » (ثورة الحسين ص ٤٠) .

ولذا فقد قام بمصادرة قطائع عثمان للطبقة الارستقراطية « أيها الناس ، اني رجل منكم ، لي مالكم وعلى ما عليكم ، واني حاملكم على منهج نبيكم ، و منفذ ما أمر به ، ألا وان كل قطيعة أقطعها عثمان،وكل مال أعطاه من مال الله ،فهو مردود في بيت المال،فان الحق لايبطله شيء،ولو وجدت قد تزوج به النساء وملك الاماء، وفرق في البلدان لرددته ، فان في العدل سعة ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه اضيق » (نهج البلاغة ص ٥٧) .

وقال (ع) فى خطاب آخر: « ألا لايقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً. اذاما منعتهم ماكانوا يخوضون فيه ، واصرتهم الى حقوقهم التى يعلمون ، فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون : حرمنا ابن ابى طالب حقوقنا ! ألا وايما رجل من المهاجرين والأنصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ان الفضل له على سواه لصحبته فان الفضل النير غدا عند الله ، وثوابه واجره على الله ، وايما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل فى ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده : فانتم عباد الله ،والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية لافضل لاحد على أحد ، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء ، وافضل الثواب ؛ لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجرا ولا ثواباً ، وما عندالله خير للابرار.واذا كان غد ـ ان شاء الله ـ فاغدو علينا فان عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلفن احد منكم ، عربى ولا عجمى . كان من اهل العطاء أو لم يكن ؛ الّا حضر، اذا كان مسلماً حراً » .

فلما كان من الغد ، غدا وغدا الناس لقبض المال ؛ فقال لعبيد الله بن ابى رافع كاتبه : ابدأ بالمهاجرين فنادهم ، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ، ثم ثن بالانصار فافعل معهم مثل ذلك ، ومن حضر من الناس كلهم : الاحمر و الاسود فاصنع به مثل ذلك .

فقال سهل بن حنيف : ياأمير المؤمنين ، هذا غلامى بالامس ، وقد اعتقته اليوم؛ فقال:نعطيه كما نعطيك.فاعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضل أحداً على احد.وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم،ورجال من قريش وغيرها»(شرح ابن ابى الحديد ج٧ص٣٧-٣٨).

ضد البخل والترف:

وقد شن (ع) حملة لاهوادة فيها ضد البخل والترف والتكون الارستقراطى ليشل

قدرته على خلق البون الشاسع بين الطبقات الاجتماعية وجعل المال دولة بين طبقة خاصة
فهو يخاطب البخلاء بالمال والنفس فيقول: « فلا أموال بذلتموها للذى رزقها، و
انفس خاطرتم بها للذى خلقها، تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباد
(نهج البلاغة ص ١٧٤) .

ويذم حالة الترف التى تقعد عن الجهاد و العمل فيقول مهدداً :
« ويل لسكككم العامرة ، والدور المزخرفة التى لها اجنحة كأجنحة النسو
وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم...) ص ١٨٦

ومن كتاب له الى زياد يذمه على ترفه:
« فدع الاسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً، وامسك المال بقدر ضرورت
وقدم الفضل ليوم حاجتك .
أترجو ان يعطيك الله أجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين ! و تطم
ـوانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ـ ان يوجب لك ثواب المتصدقين؟» ص ٧/

التزهيد بالدنيا :

وقد شاعت اقواله (ع) في التزهيد بالدنيا الدنية التي جعلت هدفاً من قبل البعض
والتحرر من اسر الشهوات، والانتقال بنقطة الهدف الى مجال اوسع بكثير ،
اطارها الضيق، ونفى الحرص وتركيز الرضا في قلب المؤمن .

فقد كتب الى عبد الله بن عباس يقول: « اما بعد فان المرء قد يسره درك ما
يكن ليفوته، ويسوؤه فوت مالم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرت
وليكن اسفك على مافاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ،ومافاتك من
فلا تأس عليه جزعاً ،وليكن همك فيما بعد الموت» وكان عبد الله يقول: « ما انتفع
بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام» ص ٣٧٨ .

وقد اشتهر عنه قوله (ع) « اخوف مااخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل
كل ذلك لتعالج به الحالة المالية المتردية عند الاغلب في حين يتكدس الذهب والفضة

ند من استغلوا شيئاً من ماضيهم وقرابتهم بجمعه وحرمان الامة منه .

المساومة الفاشلة :

«وبقدرما كانت هذه السياسة مصدر فرح وجذل للطبقة المستضعفة الفقيرة الرازحة حت اثقال من الظلم، كانت ايضاً صفعة لقريش ولغرورها وخيلائها واستعلائها على ناس، فمن اين لها بعد اليوم ان تحوز الأموال العظيمة دون ان تنفرج شفتان لتقولا ا : من اين لك هذا ؟ وكيف لها بعد اليوم ان تستعلي وتستبد ، وتفرض على الناس ي ظل الاسلام سلطانها عليهم في الجاهلية؟» (ثورة الحسين (ع) ص ٤٢) .

ولم تنفع مساومات هذه الطبقة مع الامام(ع) وتهديدها له في تركه، فقد رفض ل مطاليبها واعلن امام الملأ :

«فأما هذا الفيء فليس لاحد على احد فيه أثره ، وقد فرغ الله من قسمته ،فهو مال الله وانتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله به اقررنا وله اسلمنا، وعهد نبينا بين اظهرنا، فمن لم يرض به فليتول كيف شاء» (شرح النهج ج ٧ ص ٤٠٣٩)

وقدمشت طائفة من اصحابه اليه وهي مخدوعة بالموقف فقالت له :

« يا أمير المؤمنين أعط هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن نخاف عليه من الناس فراره الى معاوية. فقال لهم أمير المؤمنين: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ؟ لا والله ما افعل ماطلعت شمس ولاح في السماء نجم، والله لو كان مالي لواسيت بينهم ، و كيف و انما هو اموالهم » (البحار ج ٤١ ص ١٠٩ و كذلك تراجع ص ١١٠)

الدقة في التوزيع:

واخيراً فان لنا ان نشير الى دقته في مسألة التوزيع وحرصه الشديد على ايصال الحقوق الى اصحابها بشكل يدعو للاكبار ، وقد ركز على مسألة التساوي في العطاء رافضاً اي امتياز لاي احد محتجاً بأن ذلك كان من سنة الرسول صلى الله عليه وآله.

عن هلال الجحدري قال سمعت جدي حرة ـ أو حوة ـ قال : شهدت على ن أبي طالب (ع) أتي بمال عند المساء ، فقال : اقسموا هذا المال ، فقالوا : قد

امسينا ياأمير المؤمنين فاخرهالى غد .فقال لهم : تقبلون ان أعيش الى غد ؟ فقالوا: ماذا بأيدينا قال فلا تؤخروه حتى تقسموه فأتى بشمع فقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم (البحار ج ٤١ ص ١٠٧) .

وعن ابن نباته انه قال : كان امير المؤمنين على بن ابى طالب (ع) اذا أتى بالمال أدخله بيت مال المسلمين ، ثم جمع المستحقين ، ثم ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء لاتغريني ، غرى غيرى .

هذا جناى وخياره فيه   اذ كل جان يده الى فيه

ثم لايخرج حتى يفرق مافى بيت مال المسلمين ، ويؤتى كل ذى حق حقه ثم يأمر أن يكنس ويرش ، ثم يصلى فيه ركعتين ، ثم يطلق الدنيا ثلاثاً يقول بعدالتسليم: يادنيا لاتتعرضن لى ،اولا تتشوقن الى ولا تغريني فقد طلقتك ثلاثاً لارجعة لى عليك » (امالى الصدوق ص ١٧٠) .

كان هذا غيضاً من فيض كلام على (ع) فى هذا الجانب الحساس خصوصاً في ذلك الظرف الدقيق .

ولئن لم يستطع (ع) ان يواصل مسيرته الرائعة الى النهاية لبروز عوامل فى في الموقف فانه (ع) لم يكن يتعامل مع فترتهالزمنية ـ كما سيأتى ـ بل كانيتعامل مع التاريخ ليشهده روعة العدالة الاسلامية وعدم سماح الأسلام لاى تضخم طبقى على حساب الاخرين .

ولئن كان أعلن نظرياً ـعنالاطروحة بخطبهالتى رسمت الانسانالواعى فانه(ع) نفذ عملياً هذه الاطروحة وساربها الى مااستطاع ان يصل اليه مقتحماً كل الأذرع الاخطبوطية التى انتشرت امامه .

ضرورة الحياة الروحيّة

للحياة الانسانية

بقلم الدكتور مقداد يالجن

- ٣ -

تكلمنا في المقالين السابقين عن مدى ضرورة الحياة الروحية كحاجة أساسية للطبيعة الانسانية وضرورتها لوقاية الانسان من بعض الامراض النفسية والجسمية والاجتماعية . ونتكلم في هذا المقال عن ضرورة الحياة الروحية كعنصر أساسي من عناصر السعادة .

ان الحياة الروحية عنصر من العناصر الضرورية لتحقيق السعادة المنشودة ذلك انه اذا كانت هذه الحياة حاجة انسانية بحكم تركيبها الطبيعي كحاجتها الى الحياة المادية فانه من المستحيل تحقيق سعادة للانسان بحرمانه من حاجته الأساسية أو من بعض حاجاته الاساسية ، هذا الى أن الحياة الروحية تجعل الانسان يحيا في عالم أوسع من عالم المادة اذ تجعله يعيش في السماء كما يعيش في الارض وكلما كانت آفاق الحياة أعم وأشمل كان ذلك أكثر انتعاشا وأكبر بهجة وأعمق شعوراً وأكثر تنوعاً بتنوع الحياة . فمثلا في حياة الحيوان لون واحد من ألوان الحياة وهي الحياة المادية بمقدار حاجته المادية بينما نجد في حياة الانسان الحياة المادية و العلمية

والادبية الجمالية والاخلاقية والروحية وكل لون من هذه الالوان من الحياة له متعته ولذته الخاصة ثم ان الانسان خلق لعالم أوسع من عالم المادة وليس كالحيوان الذى خلق للحياة المادية فحسب ، ولهذا لما حصرت الحضارة المادية حياة الانسان فى المادة فقط، وبالرغم من تقدم هذه الحياة وهذه الحضارة، لم تستطع أن تسعد الانسان بل اشقت من جهة بقدر - او اكثر - ما أسعدت من جهة أخرى ، وقد يدرك هذا من يدرس حياة الانسان فى تلك المجتمعات من خلال تعبير كبار مفكرى تلك الحضارة و علمائها وحكمائها و نقدهم لها. وقد ضربنا لذلك بعض الأمثلة فى المقال السابق، ومنها أيضا ما قاله ألبرت أشفيتسر عن تحديد الحضارة الحقيقية بقوله: «ان الحضارة هى التقدم الروحى والمادى للافراد والجماهير على حد سواء» ثم ينتقد الحضارة الغربية المادية البحتة ويقول «نحن نعيش اليوم فى ظل انهيار الحضارة وهذا الوضع ليس نتيجة الحرب وانما الحرب مجرد مظهر من مظاهره ، لقد تجمد الجو الروحى فى وقائع فعلية ينعكس أثره عليها وهذا له نتائج مدمرة من كل ناحية .... اننا نبحر بالسفينة فى تيار مليء بالامواج العاتية تحت شلال هائل ولابد من مجهودات جبارة لانقاذ السفينة ، سفينة مصيرنا من المجرى الجانبى الخطير الذى سمحنا لها بالانطلاق فيه، ومن اعادتها الى المجرى الرئيسى ان كان ثمت أمل فى ذلك أبدا ». ثم يقرر لذلك علاجاً حاسماً فيقول « ولابد من اشاعة الروحية فى الجماهير . . . انهم مفتقرون الى الروحية لانهم ليس لديهم غير فكرة مضطربة عن الروحية» ثم يتساءل قائلا «هل سيكون ممكناً تحقيق هذا التطور ؟» ويجيب على ذلك بقوله «لابد من ذلك اذا كنا لانريد أن يقضى علينا مادياً وروحياً ، ان كل تقدم فى الكشف والاختراع يتطور فى النهاية الى نتيجة قاضية اذا لم نضبطه بتقدم مماثل فى روحياتنا ، فبالقوة التى نسيطر بها على قوى الطبيعة نهيمن بوصفنا كائنات بشرية على كائنات بشرية أخرى هيمنة ظالمة مشئومة ، فان فرداً واحداً أو شركة لامتلاكها لمائة آلة تسيطر على جميع الذين

يرون هذه الالة.ولعل اختراعاً جديداً أن يمكن رجلا واحداً بحركةواحدة من ان
تل ليس فقط مائة بل عشرة آلاف من اخوانه بني الانسان ، وليس ثمت نضال
كن فيه تجنب تدمير بعضنا بقوةاقتصادية أو فيزيائيةوفي أحسن الفروض ستكون
نتيجة أن يستبدل الظالم والمظلوم دور الواحد بدور الاخر . والامر الوحيدالذي
كن أن يساعدنا هو أن نتخلى عن السيطرة التي على الاخر ، لكن هذا فعل من
عال الروحية .

لقد أسكرنا التقدم في الكشف و الاختراع الذي غمر هذا العصر فنسينا أن
هتم بتقدم الانسان في الشئون اللامادية ، وانزلقنا دون تفكير ولا وعي الى تشاؤم
لانسان بكل أنواع التقدم دون الايمان بالتقدم الروحي للفرد والانسانيه » .

والحقائق تدعونا الان الى التفكير كما أن حركات السفينة الموشكة على
لانقلاب تدفع البحارة الى الصعود الى ظهرها وتوثيق الاوقات والاشرعةبالحبال...
نا جميعاً نريد هذا التقدم الروحي ونرجوه مرة أخرى ، ذلك هو قلب الدفةالذي
جب ان نفلح في تحقيقه ، اذا كان يراد لسفينتنا في اللحظة الأخيرة ان تنتصب من
جديد و تواجه الريح » .

ويقرر الدكتور الكسيس كارل«ان عاطفةالحاسة الخلقية والجمالية والتقديس
هي التي تجلب لنا القوة و البهجة وهي التي تهب الفرد قدرة الخروج من نطاق
نفسه والاتصال بالاخرين وحبهم والتضحية من اجلهم »ومن قبل قرر ذلك الرسول
شكل آخر عندما قال (ص)«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما، وان يحب المرء لايحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر
كما يكره ان يقذف في النار » .

ويقول الفيلسوف الامريكي«وليم جيمس»عن دور الايمان بالله باعتباره جزءاًمن
الحياة الروحية في سعادة الانسان « ان الايمان بالله هو الذي يجلب للحياة قيمةو
هو الذي يمكننا من ان نستخرج من الحياة كل مافيها من لذة وسعادة » .ويقول

الفيلسوف الالماني «ليبنتز» عن دور الايمان في طمأنينة النفس «ولازالة القلق النفسي و الروحي ان يؤمن بالله عن طريق العقل وان يملا نفسه بسرور عقلي لان القلق ناتج عن الشك ،والشك وسيلة لتفتيت القلب» وقرر الرسول ذلك بقوله «ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط»

ويقول افلاطون عن دور الطهارة الروحية من الرذائل في طمأنينة النفس «ان النفس تجد طمأنية تامة وقوة ايما قوة عندما تتفق احساساتها واعمالها فتغتبط بأنه ليس لها ان تعود باللائمة على نفسها في فكرة او عمل ظالم في حق الله او في حق الناس» . تلك هي تجارب الناس عن دور الحياة الروحية في سعادة الانسان .

وهذا هو رايي في الموضوع ،ومن اراد الاستزادة بصورة كاملة عن دور الحياة الروحية كعنصر من عناصر السعادة الكاملة ، فليرجع الى كتابي « طريق السعادة» (تحت الطبع) حيث حددت فيه ماهية السعادة والعناصر الاساسية فيها .

ولهذا كله فاننا نجد الاسلام يقرر ان الحياة الروحية اشراق وهدى و وسيلة لعلاج الانسان و سعادته في هذه الحياة فقال تعالى في محكم تنزيله «ا لم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالعيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون» كما بين الله سبحانه ان من اتبع هداه في هذه الحياة فلا يضل فيها ولا يشقى فقال تعالى «فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى».

الاتجاهات الفقهية الإسلامية حول ملكية الأرض

محمود المظفر

تتجه آراء الفقهاء والباحثين المسلمين من ملكية الأرض اتجاهات مختلفة ، من الممكن بلورتها وحصرها باتجاهين متميزين (١) : (أحدهما) ـ وهو المشهور ينزع الى القول بتقرير الملكية الخاصة على الارض ، أما (الاخر) فيذهب ـ على العكس من ذلك ـ الى القول بالغاء هذه الملكية واختصاص الدولة بالتالى بها . ولكل من هذين الاتجاهين سنده ودليله من النصوص كما سنرى تفصيله :

الاتجاه الأول : الملكية الخاصة :

ويرمى هذا الاتجاه الى اعتبار الملكية الخاصة هى الأساس الذى تقوم عليه العلاقات فى حيازة الاراضى ، كما هو الشأن فى سواها من القطاعات والعناصر الأخرى،فليس هناك من فرق فى رأيهم بين الاراضى وبين غيرها من الاشياء والاموال فى ورود الحقوق الخاصة عليها ولا يضر عندهم فى الاخذ بهذا الاصل فى الارض وجود بعض الملكيات العامة الى جانب الملكيات الخاصة ، كما فى الأراضى والعقارات الموضوعة للمنافع العامة ، وكما فى الاراضى المعمورة التى دخلت الاسلام عنوة او بالصلح .

ويستدل هؤلاء ببعض الايات :

حيث قالوا : « ان الانسان انمايعلق بالارض غرضين أساسيين هما الزراعة والبناء فالقرآن يسلم بالملكية الشخصية على الارض لكل من هذين الغرضين ، ففي سورة الانعام : «كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده» وامثالها. اما الغرض الثاني فقد جاء ذكره في قولة تعالى : ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم» (٢) كما يمكن ان يستدل لهم بآية : «هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعاً» ونحوها من الايات المضافة باللام وكاف الخطاب .

وكذلك استدلوا :

بالاحاديث :

ومن أظهرها أحاديث الاحياء المضافة باللام كما في قوله (ص) : «ومن احيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق» (٣) وقوله ايضاً :« موتان الارض لله ولرسوله ثم هي لكم مني أيها المسلمون» (٤) «وعادي الارض لله ولرسوله ثم هي لكم » (٥) وقول الامام الباقر (ع) : « ايما قوم أحيوا شيئاً من الارض اوعمروها فهم أحق بها وهي لهم» (٦) وقد استدل بهذه الأحاديث او بعضها سائر فقهاء المذاهب الفقهية المعروفة (٧) .

كما استدل البعض من الباحثين المحدثين (٨) بأحاديث وآثار كثيرة أخرى جاءت في باب كل من المساقاة ، المزارعة ، الأجارة ، احياء الموات ، اثبات غصب العقار ، الشفعة ، الهبة ، الوقف ، الخلع .. ونحوها (٩).

واستدلوا كذلك :

بالاقرار بالواقع السائد :

قالوا : «ان مسألة ملكية الارض كانت جارية في الدنيا منذ أزمنة سحيقة ولكن الاسلام بعد مجيئه لم يمنعها ، كما لم يأمر الناس امراً صريحاً بالغائها ، ولم يشرع قاعدة أخرى مكانها، فكان معنى ذلك أن الله تعالى اقر هذه القاعدة الجارية وامضاها (١٠)

* * *

ويكاد هذا الاتجاه القائل بملكية الارض ملكية خاصة والذى استدل لهبالادلة المذكورة : يطغى على ماسواه منالاتجاهات الاخرى ، بل انه يكاد يبلغ فىشهرته (١١) بين الفقهاء وغيرهم من الباحثين حد الاجماع (١٢) ولكنهم فى نفس الوقت وقفوا من صفة هذه الملكية الخاصة ـ عموماً فى الارض وغيرها ـ موقفين مختلفين حيث وصفها بعضهم بالاطلاق (١٣) ، بينما جعلها آخرون مقيدة باطار المصلحة العامة وفى اطار وظيفتها الاجتماعية كما سنرى :

الصفة المطلقة :

فممن وصفها بالأطلاقفريقمن الاحناف ، من بينهم صدر الشريعة الثانى (١٤) والسيد الجرجانى اللذان عرفا الملكية بانها (١٥) : «اتصالشرعى بين الانسانوبين شيء يكون مطلقاً لتصرفهفيه وحاجزاً عنتصرف غيره» وذلكتبعاً لما تقتضيهالقاعدة العامة عندهم فى هذا المضمار (١٦) .

وتطبيقاً لذلك صرح الكاسانى (١٧) بقوله : «ان للمالك أن يتصرف فى ملكه أى تصرف شاء سواء كان تصرفاً يتعدى ضرره الى غيره او لا يتعدى ، فله أن يبنى فى ملكه حماماً أو رحى أو تنوراً ، وله أن يحفر فى ملكه بئراً أو بالوعة وان كان يهن من ذلك البناء ويتأذى به جاره ، وليس لجاره أن يمنعه حتى لو طلب جاره تحويل ذلك لم يجبر عليه ، لان الملك مطلق للتصرف فى الاصل ، ولو فعل شيئاً من ذلك حتى وهن البناء وسقط حائط الجار لا يضمن لانه لاصنع منهفىملكالغير».

ومثلهم جوزالشافعية(١٨)هذهالتصرفات الضارةونحوها حيث قالوا :«يتصرف كل واحد من الملاك فى ملكه على العادة فى التصرف وان تضرربه جارهأو أفضى لاتلاف ماله» (١٩) .

وبنحوه صرح الظاهرية (٢٠) ، كما صرح الزيدية ، بشكل أكثر اطلاقاً . . حيث قالوا : «لكل ان يفعل فى ملكه ما شاء وان ضر الجار اجماعاً» (٢١) .

اما الامامية فقد ذهب اليه منهم الاكثر ، تمسكاً بالخبر المشهور : «الناس

مسلطون على اموالهم» (٢٢) ومن أبرز من وصف منهم الملكية بالاطلاق : أصحاب كل (٢٣) من المهذب والغنية والسرائر والتذكرة وجامع المقاصد والمسالك ، ونظائرهم حيث قالوا : «لكل ان يتصرف في ملكه كيف شاء ، ولو تضرر صاحبه فلا ضمان ، فلو جعل ملكه بيت حداد أو قصار أو حمام على خلاف العاده فلا منع» (٢٤) .

هذا وقد حمل بعض هؤلاء الامامية الاخبار الواردة في هذا الصدد مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا ضرر ولا ضرار» ومتفرعاتها على ما اذا كان المالك ليس له من غرض في عمله سوى الاضرار بالغير (٢٥) ، والا فلا مانع كقاعدة عامة من اجراء ما يشاء من التصرفات في أملاكه ، وان تسبب في لحوق الضرر بهذا الغير.

(ب) الصفة المقيدة :

أما أبرز من مال من هؤلاء القائلين بالملكية الخاصة الى تقييد حق المالك فى التصرف بملكه تصرفاً مطلقاً فهم فقهاء المالكية (٢٦) ، ويظهر ذلك من تعريفاتهم للملكية أمثال تعريفات القرافي وهامشه (٢٧) وابن الشاط وغيره: بانها حكم شرعى او صفة شرعية . . الأمر الذى يجعله صالحاً ومهيئاً لان يقيد بما تقضى به الاحكام والدلائل الشرعية من القيود (٢٨) كما جاءت فتاوى صريحة عن مالك نفسه تحظر على صاحب الملك التعسف في استعمال حقه ، كالقول بعدم جواز منع الشخص من وضع خشبة على جدار جاره ، اذا احتاجها ذلك الشخص فى بنائه ، استناداً الى قوله (ص) : «لايمنعن جار جاره ان يغرز خشبة في جداره» خلافاً للفقهاء الاخرين (٢٩) ، وكالقول بعدم جواز منع الشخص من امرار المياه التى يحتاجها لبعض شؤونه على أرض الغير فيما اذا لم تلحق بهذا الغير بعض الاضرار (٣٠) .. ونحوها من القيود الواردة عن مالك (٣١) .

ومثله مال الى هذا الاتجاه فقهاء الحنابلة (٣٢) ـ كما يظهر من أقوالهم - حيث صرحوا فى غير موضع بحرمة احداث كل ما يضر بالجار من حمام أورحى او تنور او من سقى يتعدى الى بناء هذا الجار ، وللجار منعه (٣٣)، كما له تضمينه

بفعل هذه الاضرار (٣٤) .

ومن بين الذين مالوا الى ذلك أيضاً بعض فقهاء ألامامية كالعلامة الحلـى فى التحرير (٣٥) وفى القواعد فى بعض الصور التى أوردها عن تزاحم الحقوق(٣٦) وكالشهيد الاول فى اللمعة (٣٧) وفى الدروس (٣٨) ،وغيرهم .

كذلك جاء مثله عن بعض الاحناف المتأخرين من أصحاب الفتاوى الـدين استحسنوا وضع القيود على تصرفات المالك (٣٩) . . وذلـك تبعاً لما ذهـب اليه أبو يوسف فى الموضوع ، حسبما يستفاد من بعـض كلماته (٤٠) . وبـهدا الرأى أخذت مجلة الأحكام العداية فى مادتيها ١١٩٧ ، ١١٩٨ .

نظرية التعسف في استعمال الحق :

ولعله من أجل كل تلك القيود ونحوها مال الكثير من الباحثين المعاصرين الى جعل «نظرية التعسف فى استعمال الحق» نظرية اسلامية قبل ان تكون نظرية وضعية ، فان ما جاءت به الشريعة الأسلامية من قواعـد وأحكام تحد من تصـروات المالك فى ملكه وتمنعه من استعمال البعض من حقوقه ، كالاحكام المتعلقة بالمصالح العامة ، والمتعلقة بالتزامات الجوار ، والشفعة ، وحقوق الارتفاق ، ومنع الاحتكار والتسعير، وكالقواعد المعروفة بالقواعد الضررية مثل (لاضرر ولا ضرار)ومنفرعاتها(٤١)

ان ذلك وغيره كفيل لان يشكـل فى رأيهـم عناصر تلـك النظرية ومقـوماتها الاساسية .

اعتبار الملكية وظيفة اجتماعية :

هذا ومن الملاحظ ان هذه الفكرة التى تنزع الى الحد من تصرفات المالك المطلقة ترمى - كماهوفى التصوير الحديث - الى اعتبار حق الملكية وظيفة اجتماعية تتحدد مسؤوليتها ونطاقها ليس بالمالك المختص وحده ، وانما بمجتمعه وبيئته وبنوعية الخدمات والوظائف التى تتصل بماله الخاص .

ان من النصوص التى يمكن منها استفادة هذه الفكرة الوظيفية للملكية : تلك الايات التى تضيف الاموال الى الله تعالى والتى توضح أنه خلقها لمنفعة الناس جميعاً وأنه استخلفهم فيها ، والايات التى تبين ما تقتضيه خلافة الانسان فى هذا المجال

من اضافة المال الخاص الى الجماعة وايجاب الانفاق فى سبيل الله ، وتحريم عزل المال عن وظيفته الاجتماعيه والنهى من تبذيره او اكتنازه ، والحث على انفاقه فى سبيل الله والمصالح العامة ، ونحوه مما اتى على ذكره غير واحد من الباحثين المحدثين بالتفصيل (٤٢) .

---

(١) قد يحسب البعض ان هناك اتجاهاً ثالثاً بين اتجاهات الفقهاء المسلمين . وهو القول بملكية الله تعالى للارض ملكية مجردة ، نظير الاتجاه المعروف بين قدماء الاباطرة والمشرعين وهذا الاتجاه يمكن استفادته ـ بشكل من الاشكال ـ من بعض النصوص التى لا تبعد فى ظاهرها عن هذا المدلول ، كما فى قوله تعالى : «ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» وقد استشهد الرسول (ص) بهذه الاية ـ فيما يروى ـ جواباً على رسالة بعثها اليه مسيلمة الكذاب وأراد فيها تقسيم الاراضى بينهما ، حيث يمكن الاستدلال ظاهراً من فحوى الرسالة والرد على عائدية الارض لله تعالى وليس للرسول او غيره أى حق فى تملكها .

كما ربما يمكن استفادة هذا المعنى من الخبر المروى عن عروة ، وهو قوله : «أشهد أن رسول الله قضى أن الارض ارض الله والعباد عباد الله» ، والخبر الاخر المروى عن عائشة وهو : «العباد عباد الله والبلاد بلاد الله» .

غير أن الواقع أن كل ما ورد بهذه النصوص ونظائرها . . مضافاً فى ملكيته الى الله تعالى . لا يمكن أن نعتبره دليلا على هذا الاتجاه ، لانه لا يلتئم أساساً مع فكرة الاسلام ونظامه العام فى التشريعات المالية ، ولعل التصوير الصحيح لتلك النصوص ونحوها والذى يمكن أن ينسجم مع واقع هذا النظام ، هو التصوير الذى يعطى لملكية الله معنى ملكية المجموع ، او ما يسمى بملكية الدولة العامة فى الاصطلاح الحديث . . اذ لا معنى فى هذا المجال لملكية الله اذا ما أريد بها شىء يختص به تعالى مثلا . . هذا على أنا نجد أن المقصود (بالوراثة) الواردة فى فى الاية المذكورة هى وراثة (الملك) بالضم وليس الملك بالكسر . . حيث جاء ذلك على لسان النبى موسى رداً على فرعون .

ثم انه ليس هناك واحد ممن وقف الى جانب تلك الاتجاهات اوغيرها .. عدا الماديين الذين ينكرون وجود الخالق أساساً : فليس هناك من ينكر فى الاصل ملكية الارض اوغيرها من عناصر هذه الحياة الى الله بارئها تعالى ، فكل هذه الاشياء والعناصر هى من نتاج خلقه وابداعه فهى مملوكة له بهذا الاعتبار ، ولا تعارض فى هذه الملكية الابداعية مع الملكية الاصطلاحية الخاصة او المشاعة بين الافراد للاشياء . . ان للاشياء من ناحية الملكية اضافتين : اضافة الى الله باعتبار تكوينه لها وابداعه واضافة الى المجموعات والافراد باعتبار حيازتهم لها واختصاصهم بها وخلافتهم بالتصرفات فيها .

ولعل فكرة الاستخلاف التى نصت عليها بعض الايات كقوله تعالى «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»، تعكس فى جوانب منها وجهة النظر فى تلك الاضافة المزدوجة . حيث انه خالق هذه الاشياء وباعثها ، والانسان هو خليفته فى التصرف بها فى تأدية وظائفها الاجتماعية

(٢) المودودى ، مسألة ملكية الارض فى الاسلام ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) الموطأ ج ٢ ص١٧ . ابو عبيد فى الاموال ص ٢٨٦ القرشى فى الخراج ص٨٤ ابو يوسف فى الخراج ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الحافظ فى التلخيص ص ٢٥٦ .

(٥) ابو عبيد فى الاموال ص ٢٧٢ .

(٦) الطوسى فى التهذيب ح ٧ ص ١٤٩ ، ١٠٢ ، وفى الاستبصار ح٣ ص ص ١٠٧ ، ١١٠ الكلينى فى الكافى ح ٥ ص ٢٩٧ .

(٧) راجع : زين الدين فى المسالك/احياء الموات . والاصفهانى فى تعليقه على المكاسب والحكيم فى نهج الفقاهه للامامية .

الكاسانى ج ٦ ص ١٤٩. والبابرتى فى شرح العناية على الهداية ج ٨ ص ١٢٧ للاحناف

الخرشى فى الهامس ح ٧ ص ٦٩ للمالكية .

الشافعى فى الام ج ٤ ص ١٤ للشافعية .

ابن قدامة فى المغنى ج ٦ ص ١٤٧ . والبهوتى فى الروض المربع ح ٢ ص ١٢٥ للحنابلة

(٨) السايس ، المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية ص ٢٠٨ - ٢١٤ .

(٩) انظر : نيل الاوطار للشوكانى ج ٥ ، ج٦ للوقوف على النصوص الاحاديث الواردة فى تلك الابواب .

(١٠) المودودى فى مسألة ملكية الارض ص ٢٠ .

(١١) ولشهرة هذا الاتجاه او هذه الفكرة بين الفقهاء لم يستطع بعض الكتاب المحدثين أن يقف على غيرها من الاتجاهات التى تعوزها الشهرة ويعوز قائليها الجرأة . . حيث نسب ذلك الى الاسلام بشىء مطلق وكأنه شىء مفروغ منه ، بل انه لم يكتف بذلك ، وانما عالج الموضوع بصورة غير مهذبة فقال : «اما ما يرتئيه البعض من أن النبى (ص) كان ينوى الغاء ملكية الاراضى وجعلها مشاعة ، أى ملكاً للجماعة أو الامة ، فهذا سوء فهم لا يؤبه به ، لان هذه الافكار المتطرفة لم تكن - على حد تعبيره - تخطر على بال النبى حتى فى الدور الاول من حياته الاجتماعية، لاسيما وان مشكلة الاراضى لم تكن فى ذلك الوقت وفى ذلك الوسط من المشاكل المهمة !!».. بندلى جوزى فى «تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام» ص ٤٦ .

ويبدو انه هذا الباحث المحترم تصور ان التشريعات الاسلامية هى من باب الخطور على الذهن - ذهن الرسول - وليس من باب الوحى او التنزيل وان ما جاء به النبى (ص) من

تعليمات واحكام كان من وحي المشاكل والشؤون التي تهم مجتمعه واقليمه وزمانه ليس الا.

(١٢) راجع النصوص التي نقلها السايس في مجموعة المؤتمر الاول لمجمع البحوث لاسلامية من ٢١٦ - ٢٢٥ ، والتي تمثل في نظره آراء فقهاء المذاهب الاربعة بشأن ثبوت لملكية الارض ومنافعها للافراد .

(١٣) ان وصف الملكية بالاطلاق تارة وبالتقييد تارة اخرى ، هو في الحقيقة امر نسبي، لانه ليس هناك واحد من الفقهاء بما فيهم القائلون بالاطلاق من ينكر وجود بعض القيود على صرفات المالك ، كما في الشفعة ونحوها ، ولكن فيهم المقتصد وفيهم المسرف ،وعليهفالاطلاق التقييد هما أمران نسبيان في هذا المجال .

(١٤) الحسيني ، الملكية في الاسلام ص ١١ .

(١٥) القرافي في الفروق ج ٢ ص ٢٣٤ .

(١٦) الناهي ، حق الملكية في داته ص ١١٨ .

(١٧) بدائع الصنائع ج ٦ ص ٢٦٤ .

(١٨) الابتهاج في شرح المنهاج (خطى) . الرملي في نهاية المحتاج ج ٥ ص ٣٣٣ . لدمشقي في رحمة الامة في اختلاف الائمة ج ٢ ص ١ . ابن حزمفي المحلى ج ٨ ص ١٤١. لتذكرة ، باب احياء الموات . وانظر أيضاً : أبا زهرة في الملكية ونظرية العقد ص ١٠٥ .

(١٩) الرملي ج ٥ ص ٣٣٣ ، راجع الشرح الكبير للحنابلة ج ٦ ص ١٦٦ .

(٢٠) قالوا «ولكل أحد أن يفتح ما يشاء في حائطه من كوة أوباب ، أو ان يهدمهانشاء ى دار جاره او في درب غير نافذ او نافذ الا انه يمنع من الاطلاع فقط ، وهو قول أبيحنيفة الشافعي وأبي سليمان ، وقال مالك : يمنع من ذلك كله» المحلى ج ٨ ص ٢٤١ .

(٢١) أحمد بن يحيى في البحر الزخار ج ٤ ص ٧١ .

(٢٢ - ٢٣ - ٢٤) راجع العاملي في مفتاح الكرامة ج ٧ ص ٢٢ .

(٢٥) نفسه ج ٧ ص ٢٢ . ويلاحظ أن القانون المدني العراقي م ٧ قد أشار الى هذه لناحية بقوله : «ويصبح استعمال الحق غير جائز اذا لم يقصد بهذا الاستعمال سوى الاضرار بالغير» . وقد اعتبر دلك من معايير نظرية التعسف في استعمال الحق . . (انظر البدراوى ي الحقوق العينية بند ٨٢ والناهي في حق الملكية في ذاته ص ١٢٥) .

(٢٦) ابن جزى في القوانين الفقهية ص ٢٤١ . والدمشقي ج ٢ ص ١ . والحلى في لتذكرة ، باب احياء الموات . وابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٢٤١ .

(٢٧) انظر الفروق ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢٨) الخفيف ، الملكية في الشريعة الاسلامية ص ١٨ - ١٩ .

(٢٩) انظر حاشية احكام الاحكام ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣٠) الموطأ ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣١) كقوله أيضاً بالمنع من احداث بئر أو كنيف أو نحوهما مما يضر بجاره ، ومن

(٣٢) الحجاوى فى الاقناع ج ٦ ص ٢٨٨ والدمشقى ـ المصدر السابق ج ٢ ص ١ .

(٣٣) ابن قدامة فى المغنى ج ٦ ص ١٨٣ . والبهوتى فى الروض المربع ج ٢ ص ٢١٠ – ٢١١ ، وابو البركات فى الشرح الكبير ج ٦ ص ١٦٦ .

(٣٤) البهوتى ـ الحاشية ج ٢ ص ٢١٠ .

(٣٥) مفتاح الكرامة ج٧ص٢٣.

(٣٦) قواعد الاحكام ص ٦٧ – ٦٨ (كتاب الصلح) . ان من بين صور تزاحم الحقوق أغصان الشجرة وعروقها الممتدة الى ملك الغير ، وما يطلق عليه بالرواشن الممتدة فى الطرق لشوارع العامة ، والحائط والسقف المشترك ونحوها (انظر مغنية فى فقه الامام الصادق ج ٤ ، ٩٧ – ٩٩) .

(٣٧) عن مفتاح الكرامة ج ٧ ص ٢٣ .

(٣٨) حيث أجاز للاشخاص مثلا : الاستظلال والاستناد على الجدار المملوك ـ اذا كان مجلس مباحاً ـ وهو من باب منع التعسف فى استعمال الحق (انظر الدروس فى باب تزاحم حقوق ص ٢٨٢) .

(٣٩) ابو زهرة ، الملكية ونظرية العقد فى الشريعة ص ١٠٦ .

(٤٠) انظر الناهى فى حق الملكية فى ذاته (ص ١١٩ الهامش) ، وعلى حيدر فى شرح مجلة ج ١٠ ص ١١١ .

(٤١) راجع بحوث ابى زهرة ،ومحمود ابى سنة ، وعبد المقصود شلتوت . . المنشورة فى مجموعة (اسبوع الفقه الاسلامى) عن نظرية التعسف فى استعمال الحق ، وكذلك الناهى فى المصدر السابق ص ١٢٤ – ١٢٧ .

(٤٢) راجع الخفيف ، الملكية فى الشريعة الاسلامية ص ٢٤ – ٢٥ ، ونظرية التعسف فى استعمال الحق ، بحث منشور فى مجموعة (اسبوع الفقه الاسلامى) ص ١٥٠ – ١٥٤ .

إنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أئمَّةِ العَدْلِ أنْ يُقَدِّرُوا أنفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بالفَقِيرِ فَقْرُهُ

" الإمام علي ع "

معاركنا الخالدة
معركة احد

حسين احمد شحادة

. . . مشى ابو سفيان تلتهب في نفسه احقاد الجاهلية، وتتأجج في روحه نوازع الحسد وتعتوره نوبات الكبرياء المقيت. . . . من محمد ؟ ليتم له كل هذا النصر.. وكل هذه العظمة من غزوة السويق الى غزوة ذى امر..الى غزوة القردة ثم القينقاع ..!

ان لاسمه سحراً على الشفاه . . وما هو الا محمد !

هكذا سار ابو سفيان بين دروب مكة يؤرقه طيف هذا الانسان الذى كان بالامس القريب من الرعاة !

آه . . كيف نسيت بدراً الكبرى وهي وهى ..والجرح لما يندمل . .ياللثار ! اين الرجال يامعشر قريش ؟

ويستقبل قريش بصناديدها . . . اما فيكم حمية ؟ اين غيرتكم ؟ عام كامل مضى . . . ونساؤكم لازلن يبكين على قتلاكم ، ان الدمعة اذا خرجت مسحت بعدها الحزن والاسى ويبقى محمد واصحابه شامتون بكم وبنسائكم وبدماء القتلى من آبائكم . . فيا للانتقام . .

اهتزت مشاعر القوم وانتفضت احاسيسهم كما ينتفض الجمر المخبأ بالرماد. . واذا بالايدى تشتد على مقابض السيوف . . واذا الانفاس تضغط على الحناجر بقوة وفى الوجوه الغاضبة وميض مليء بالانفعال .

وتنطلق الصيحات من كل جانب :لنجمع الرجال كل الرجال . . كلنا سوف نحمل السلاح . . . حتى الاحابيش..ولتخرج النساء معنا . . . فلا نواح بعد اليوم ولا نديب ولا حداد . .

وتململ ابو سفيان فى وقفته ..ولندع الحلفاء من كنانة و غيرها . . .
من محمد . . ؟
بعده . . سيكون للخمرة مذاق آخر.. سيعم الفرح مكة كل مكة..يافرحةهبل.

* * *

. . . وتصل الأنباء الى المدينة يحملها التجار معهم . . ويدور الهمس فى الأندية:ان قريشاً تريد محمداً واصحابه . . ترى ماذا عن رسول الله ؟ الم يكف المشركون ماعانوه من بدر ؟

وتبلغ النبى (ص) هذه الاخبار فيجمع اصحابه . . ويتكلم،ولكلماته مدى الحنان الفجرى المنعم وهو يسرى الى قلوب المؤمنين«لقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة» . . وانه لينصركم كل حين مادمتم على هداه . . فليس بين الشهادة والجنة الا قطرة دم تراق فى سبيل الله . . . واعلموا: ان فوق كل بر بر حتى يقاتل الرجل فى سبيل الله فليس فوقه بر . .

ان قريش قد خرجت بخيلائها و جبروتها يصدون عن اسلامكم،و يلاقى من يسير على خطاكم كل عذاب وهوان ...يريدون ان يطفئوا نور الله،ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كرهوا . . .

لذلك ارى ان تخرجوا اليهم فماذا ترون ؟

يبتدره عبد الله بن أبى وجماعة قائلا : يارسول الله اننا لانخرج من المدينة حتى نقاتل فى ازقتها،فيقاتل الرجل الضعيف،وتقاتل المرأة،ويقاتل العبد والامة على افواه السكك وعلى السطوح،فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن هنا فى حصوننا ودورنا . . وما خرجنا الى اعدائنا الاكان الظفر لهم علينا !

خيم على الحاضرين الصمت فلم تلاق منهم هذه الفكرة قبولا ولا استحساناً ...

فقام سعد بن معاذ فتكلم وشاركه جماعة من الاوس ... مؤيدين :

يارسول الله..ماطمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام،فكيف يطمعون فينا وانت فينا؟!لا .. حتى نخرج اليهم فنقاتلهم،فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان قد جاهد فى سبيل الله !

اثارت كلمات سعدفي نفوسهم ذكريات حروبهم المجيدة بما تحمل من صور التضحية والبطولة،واستشعروا في اعماقهم مبادىء القضية التي يحاربون من اجلها.. واحسوا بنعومة الايمان في موانىء قلوبهم يبحر الى رضا الله ... وتكون كلمات سعد كالضوء الاخضر يمر امام لهفة العيون آذناً بالمسير .

ويبتسم النبي (ص) فرحاً بالصحابة وهم يتهيأون للقتال،وينظر الى السماء في صفائها نظرة عميقة فيها من الشكر . . اسرار وكلام .

«واذ غدوت من اهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم»

* * *

ويخرج النبي القائد لمواجهة اعداء الله،يحمل بين جنبيه قلبه الكبير وايمانه الاكبر ... يتبوأ بجنوده مقاعد للقتال...وخرج معه سبعمائة مسلم . . كانوا يسيرون خلفه يحلمون بالنصر ويحلمون بالشهادة،حتى النسوة كان لهن في هذا الموكب الحافل احلام المشاركة في الجهاد .

فلم يتخلف عنهم سوى عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج ماكان فيهم من العجز شيء .. ولكنها النفس البشرية تأبى الا ان تستبد برايها حينما تشتعل باوار النزعات.

ومما يلي طريق العراق . .. تصل القافلة جذلة ملؤها الثقة والأمل والدعاء .

هناك يضرب النبي عسكره ويدعو اصحابه ليرسم لهم خطة الحرب .

انت ياعماه . . وانت يا علي في المواجهة .

ويا مصعب انت صاحب الراية في الميدان .

اما انت ياعبد الله فتقف في خمسين من الرماة على باب الشعب،فانني اشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان ... فان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا امكانكم،وان رأيتموهم قدهزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم .

* * *

وينطلق صخر بن حرب من مكة وفي صدره العربية نار تأكل بعضها، وخلفه ثلاثة الاف فارس وألفا راجل، يرجزون بغرور ويهتفون هتافات النصر، والخمرة لاتزال في رؤوس بعضهم تحمل اغنيات العهر فتجنح بهم الى الخيال المتوهج بالليل والنشوة والنساء .. وعلى ايقاعات الدفوف وانغام الطبول كانت بنت عتبة تتغنى بفسفها الطروب:

نحـن بنات طـارق   نمشي على النمارق
والمسك في المفارق   والدر في المخانق
ان تقبلـوا نعانـق   او تـدبـروا نفـارق
فراق غير وامق

وعلى مشارف احد . . يخيم صخر بن حرب مع رجاله فيعطي الراية لطلحة بن ابي العبدري، ويدعو خالد بن الوليد فيضعه على راس مأتي فارس ويقول له :ان رايتمونا اقد اختلطنا بهم فاخرجوا اليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم ويشير الى حيث كان يربض عبد الله بن جبير .

ثم يعود صخر في صوته الابح يحرض الرجال ويوقد في قلوبهم جحيم الحقد واللؤم حتى اذا ما امتلاوا غيظاً وتحركت فيهم شهوة القتل والذبح والعداء ..واستشعروا كأن اظافرهم مخالب وكأن اسنانهم انياب وكأن كل اصبع من اصابعهم خنجر وكأن في روح كل منهم مارد... تحركوا مزمجرين كالاعصار الاسود الى حيث كان المسلمون.

* * *

...في احد كان صليل السيوف وصهيل الخيل والصراخ والعويل والدماء والرمال المحروقة المجنونة المتناثرة في دوامة الغبار . . مخيفة كالرعد . . مرعبة كالعاصفة تحبس الانفاس كالموت . .. هو الموت ..ويلف وجوه المقاتلين الصلدة دوار شرس عنيد، حميت الحرب . .وعبيد اهل مكة الاحابيش المرترقة يقاتلون بضرواة وقسوة لايرحمون .

يشق جموعهم ابو دجانة مستبسلا كالليث يفرقهم هنا وهناك . . !

وفي ميسرة قريش حيث عكرمة و طلحة ومسافع ينادون وفي النداء سخرية:

اين انت يامحمد؟ واين رجالك الاشداء ؟ تزعمون انكم تجهزونا باسيافكم الى النار ونجهزكم باسيافنا الى الجنة! فمن شاء ان يلحق بجنته فليبرز . . .

وبرز على (ع) كالصاعقة تزلزلهم . وفي عيونه الصارمة الحذرة بريق يترك في كيان مبارزه رجفة وارتعاش وجزع . . . ويجهزهم علي الى النار . . . وتسقط الراية من يد طلحة ممرغة بالدم و التراب ورسول الله (ص) مع الانصار و المهاجرين في قلب المعركة يحملون على المشركين مهللين . . فهم يشعرون بقوى خفية تسرى في سواعدهم . ان رسول الله يقاتل معهم وان جراحه التي تلمع كالنور تمدهم بتلك القوى الخفية الهائلة فاجسامهم كالصخر وقلوبهم حديد و احلامهم اشواق . .

شوق الى الجنة، وشوق الى النصر، وشوق يحوم في افق مكة العزيزة . . .

وينهزم المشركون هزيمة شنعاء . . وتفر هند وصواحبها ينادين على خدامهن وقد نسين اغنيات الهجر ودندنات الكبر ومثل خزات الشوك كان في آذانهن ينعق الغراب!

ويستشهد من المسلمين حنظلة بن ابي عامر . . وليس بينه و بين السماء حجاب.

ويلحق به سعد بن الربيع وهو يلمح على ذوائب رفيقه اكليلا ابيض لايعتمره الا الشهداء .

ويتحرر عمرو بن ثابت من قلبه ومن نفسه ويلوح اسلامه على وهج الصباح، فيأنس لم ير مثل هذا الطيف الناعم في كل ماضيه . . . وتمر امام ناظريه مدارج النور وينعاه رسول الله (ص) انه شهيد . . . و اول شهيد لم يصلّ لله ركعة.

ويسقط حمزة وهو يرى من عليائه ملائكة تطوف حوله . . . ومشاهد حريرية الخيوط شفيفة على الوانها الحلوة ومن سناها المدلّه يعبر العطر فيحتمي بصدره الغارق بالدم . . . ويبقى الحزن الموجع يحدق في ذلك الفم الوحشي فم هند بنت عتبة وهو يلوك بعضاً من بقاياه . .

يا بشارة الشهيد . . . ياصدق الوعد . . .ياوفاء المواساة . .

* * *

.. في الطرف الآخر من الساحة وعلى باب الشعب كان اصحاب عبد الله بن جبير ينظرون الى هزيمة المشركين فيأخذهم الطمع المشبوب ويهزهم اهاب الغرور . .

لتفتون الى قائدهم : مايقيمنا ههنا وقد غنم اصحابنا . ونبقى نحن بلا غنيمة ؟!.
ها العيون القلقة يخدرها شبح السراب ،وسكرةالفرح الرخيص تنسيهم الماضسي
لمستقبل فتسترخى امالهم الكبيرة وتتمايل برغبة الوهم والذهول . . فيذكرهم عبدالله
نوى الله وباوامر رسول الله وجراحه : لقد امرنا الانبرح هذا المكانولن نبرحه.

الا ان مخاوف الحسرة على هذا المتاع القريب كانت اقوى من جراح النبى..
ء الانسان ! وتطوح خطاهم ، وهم يتخلون عن مراكزهم. .وينسلون من مواقعهم وفى
ركاتهم اغراء يحمل فى عريه تنازلا خطيراً .

وامام هذه الفرصة الذهبية وامام الغيمة الهاربة من مطر الحب العلوى . . .
ب خالد بن الوليد و جنوده على البقية الصامدة من المسلمين . . .

انها فرصة ذهبية لن تنساها قريش . . انهم لايتجاوزون العشرة . . و انقضوا
يهم يدفنون فى اجسادهم المباركة لوعة اليأس . . وابتسامة التشفى وضحكةالفرج
مدوية بالاثم يملا الصدور . واستعقبوا المسلمين الاخرين يضعون فى رقابهم السيوف
رب منها فى هوس الجنون ونشيج الظمأ النارى الجديب .

ويتوجه عبد الله بن قميئة الحارثى فيرمى الرسول بحجر اسود . . . بكل ما
ن يده الأثمه الشريرة من قوة..شلت يداه . وتزيدجراح النبى جرحاً آخر ويقطر
ن الدم فيسيل على عنقه الشريف.ويصيح قميئة و كأن صلوعه هى التى تصيح بعنفوان..
ى قتلت محمداً . . . ويردد الصيحة آخر:الا ان محمداً قدقتل!وتخيل المؤمنون
ثمان آخر نبى يسقط بين الرمال الشقية . . . هل انتهى العالم . . ؟

ويحسب المسلمون ان السماء تنتهى وعمرنا الخريفى ينتهى مع آخر ورقة
اوية يلفها الابد الهلوك ،وترد السماء على القلوب القاسية «وليمحص الله الذين
منوا و يمحق الكافرين » .

وترد على العيون المصلوبة بالدمع وهى تهرب من وقع المفاجأة،حيرى تتبدد
كخفافيش الظلام:«ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون»
... « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل،افان مات او قتل انقلبتم على
عقابكم.ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً،وسيجزى الله الشاكرين » .

ويكشف النبى القائد عن رأسه فيناديهم . . . الي اين تفرون عن الله؟ الي اين ياعباد الله ؟ الي يا عباد الله !

لاشيء الارجيع صوته يعود الى روحه جرحاً صامتاً اعمق من كل الجراح.. لاشيء الا الاهة الحزينة الداعية وهي تدارى ان تفضحها الدموع .

* * *

. . . زاغت الابصار وتمزقت صفوف المسلمين وتلاشت عزائمهم،وزادهم جزعاً ماسمعوه عن الخيانة وعن موت قائدهم فاستبد بهم الخوف والقلق ..اى مصير مجهول ينتظرهم ؟!

ويمر انس بن النضر على جماعة منهم فيخاطبهم مايقعدكم هنا ؟ أجابوه عن الفاجعة: لقد قتل رسول الله!. يهتز ضمير انس ويود لوان الارض تبتلعه فيقول : وانتم ايها الصحابة ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟!

اذهبوا فموتوا على مامات عليه .. اذهبوا فقاتلوا عن دينكم،ان مات محمد فان الله حي لايموت .

وقريباً من النبى وهو يدعو الهاربين الى الله كانت نسيبة بنت كعب تلك المجاهدة بصبر وصمت تداوى الجرحى وتحنو على صرعى المسلمين .. وفجأة تلمح ولدها فلذة كبدها يريد ان ينهزم ويتراجع فتصيح به كالملسوعة:الى اين يابنى ؟ تفر من العز والكرامة الى التيه والهوان! فيعود ولدها،ويقتل فتشرق على وجهها دمعة شكر وولاء !

وعلى البعد ينظر النبى(ص) الى رجل من المهاجرين يتباطأ ويلقى ترسه خلف ظهره مرتبكاً،فيناديه النبى: ياصاحب الترس! اعط الترس لنسيبة وارحل الى النار!. ويسمع نداء المشركين بقتل النبى علي وسهل بن حنيف وآخرون.. فيهرولون الى رسول الله (ص) و للدماء فى جسمه ضوء كانبعاث الحياة،وعلى فمه كلمات تموج لها وقع لايعرف سره الا المؤمنون.. الله اكبر .

ويلمحون ابا سفيان وقد صعد على الجبل يستفز النبى قائلا: يوما بيوم يامحمد

ان الايام دول وان الحرب سجال ..

فيجيبه الأصحاب الخلص : حسبنا ان قتلاناشهداء وقتلاكم فيالنار .

فيردعليهم ابوسفيان مفاخراً : لناعزىولاعزى لكم ويفاجئه النبى (ص) اللهمولانا ولامولىلكم،فيغضب ابو سفيان ويقول: اعل هبل .

ويصر النبى (ص): الله اعلىواجل « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين »

* * *

يلتفت النبى الى علي وهو يرى بعينيه تفرق رجاله وانصرافهم عنه فيقول له وفى كلماته دعوة للعزاء . . وانتياعلى ؟

يحس علي كأن الجبال القت كل ثقلها عليه بماذا يجيبه وكل ذرة فى كيانه تتمنى لو تفدى الرسول .. لو تحمل عنه الالم،يكاديعجز عن الاجابة،الا ان النبى يؤكد عليه حانيا . . وأنت ياعلى ؟ فيتكلم : والله لاابرح حتى اقتل او يخرج الله لك ماوعدك من النصر . . يبتسم النبى فلازال ساعده الأيمن قوياً كأقوىمايكون :انها البشارة ياعلىابشرفاناللهمنجزوعده . ولن ينالوامنامثلهاابداً..

وينصرفان الى المدينة وفى قلبيهما كان الجرح الصامتينز ألمأعلقمى الطعم تضيق منه الصحراء .

وفى المدينة ـوهى تعيش ايام الحزن والحداد-يقف النبى الاعظم فى مسجده ليبلغ الوحى .. ماذا عنالمعركةمن بدايتها الى نهايتها القاتمة ؟ ماذا عن الاخطاء ؟صورالوحى تتلاحق عبر الصوتالمتسامحالطهور .. انهامحك .. ومرحلة كان لابد للمسلمين ان يذوقوا مرارة النكسة .. ليشعروا بقيمة النصر حين يهبط من الله،كان لابد ان يأخذوا درساً فى تحرير النفس من اسارها قبل ان يتم الشروق الكبير «انالذين تولوامنكميوم التقى الجمعانانما استزلهمالشيطان ببعض ماكسبوا،ولقد عفى الله عنهم،ان الله غفور حليم» ..

* * *

مسيرة التقدم البشري

بين

الاسلام و المسيحية

«٢»

السيد هادي الخسروشاهي

الكنيسة في القرن العشرين :

نلاحظ فى هذا القرن ان السياسات الغربية ترزح تحت نفوذ الكنيسة والفاتيكان من بعض الجهات . ونلاحظ من جهة اخرى ان الفاتيكان والكنيسة عاملين للامبريالية فى الوطن الاسلامى ينفذان مآربها . ونلاحظ من جهة ثالثة ان الهيئات التبشيرية فى الدولة الاسلامية ، وفى افريقيا وآسيا بشكل خاص تقوم بمهمة التجسس وجمع الاخبار لصالح الدول الاستعمارية ، وقد لوحظ فى بعض الدول ان ثمة اشخاص ذوى مكانة عالية ومقامات مهمة وحساسة لهم ارتباط وثيق الصلة بالمشاريع الصحية والخيرية للكنيسة ، مما يدل على مقدار مالها من تسلط ونفوذ فى السياسات الغربية الاستعمارية وما للسياسة من نفوذ فى الارساليات التبشيرية .

ولا يقتصر نشاط الارساليات التبشيرية فى البلاد الاسلامية على الجاسوسية وتبليغ المسيحية فقط بل يتعداها الى ميادين اخرى . فقد ذكر أحد الصحفيين الايرانيين فى احدى الدول العربية :

« ان اذاعة الفاتيكان كانت تصدر اوامر بالشيفرة الى كرادلتها فى الدول الاسلامية للقيام باحداث بلبلات واضطرابات بين المسلمين لزيادة التفرقة بين

طوائفهم المختلفة».(١)

والحقيقة هي ان الكنيسة والاستعمار يعملان متعاونين على الحد من التقدم الاقتصادى والانتاج في الدول الاسلامية وابقاء الشعوب المسلمة في فقر دائم وذلة وحقارة . ثم هم بعد كل ذلك يرددون بمختلف وسائل اعلامهم ان الاسلام كانهو السبب في كل هذه الامور .

وهذا هوالذي يدفعنا الى الاعتقاد بأن مجيء «الكاردينال اسپلمن» اسقف نيويورك الى ......واستقباله العظيم من قبل شخصيات سياسية وعسكرية خارجية لم يكن أمراً عادياً ناشئاً من احترام هؤلاء للدين ورجاله .

ان الاستعمار كما يصدر الينا بضائعه ومنتوجاته فانه يريد أيضاً أن يصدر الينا الدين الذى يخدم مصالحه أوفقل قيداً جديداً يقيد به الشعوب المسلمة ويحكم قبضته عليها.

وقد اعترفت بهذا الأمر احدى المجلات المسيحية التي ظلت تصدر في طهران طوال ١٥ عاماً وهي مجلة «نور عالم» الناطقة بلسان المسيحيين الايرانيين عندما كتبت مقالا اعترفت فيه بالتعاون بين المسيحية والاستعمار جاء فيه ما يلي :

لما كانت المسيحية جانباً من جوانب المدنية الغربية فقد ساعد الاستعمار الغربي على نشرها في هذه الدول .

وقد سارت الكنيسة على مدى القرون الثلاثة الأخيرة جنباً الى جنب مع الجيوش الغربية في دول جنوب شرقي آسيا فانتشرت المسيحية هناك بشكل واسع حتى لقد وصلت اقدام المبشرين الغربيين الى القرى والارياف الواقعة في اقصى تلك المناطق (٢)

المسيحية في خدمة الامبريالية :

وبما ان علاقات الكنيسة بالدول الاستعمارية والامبريالية - كانت ولا تزال - ودية جداً فان الكنيسة تكرس كل جهودها ونشاطها لخدمة تلك الدول خصوصاً وان مواردها المالية تعتمد اعتماداً كلياً على ما تقدمه لها مما تأخذه من الشعب باسم

ضرائب الكنيسة .

وبالاضافة الى عمل الكنيسةللاهداف الاستعمارية بشكلغيرمباشر وغيررسمى فان بعض القسيسينوالاساقفة كانوأعضاءرسميينفى منظماتتابعة للدول الاستعمارية.

وتعمل الارساليات الدينية والكنائس فى خدمة دولها بواسطة الاشراف على المؤسسات الصحيةوالخيرية .

يقول السياسى الهندى «مادها پانيكار» :

«ان اكثر اعمال التربية والتعليمفى المستعمراتالبريطانية والبلجيكية هى تحتاشراف الفرق التبشيرية المسيحية .

ومع ان الهدف من هذا التعليم هو تبليغ المسيحية ونشرها فى تلك المناطق الا ان بموازاته هدفاً آخر ، وهو تربية الافريقيين على الاخلاص فى خدمة القوى الاستعمارية والشركات التجارية .

وقد جعلت هذه التعاليم الافريقيين السود فى اول الامر يعتقدون ان البيض اشخاص لهم منزلة خاصة عند الله ، وان طاعتهم وتنفيذ أوامرهم واجب لايجوز الاخلال به .

ولكن كان لابد من قيام ثورة اجتماعية جديدة ، وعلى اثر اللقاءات التى كانت تتم بين الجماعات الافريقية المسلمة التى تذهب الى الحج ، وبين الطلاب المسلمين فى الدولالاخرى، واللقاءاتالتى كانت تتمبينهم وبين المبلغين المسلمين ،أخذالمسلمون فى افريقيا الغربية يسيرون بخطى حثيثة نحو نهضة اساسية فى المجتمع الاسلامى هناك .

واذا كانللاسلام ارتباطوثيقبالدولة المصرية فان الكنائس المسيحية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالدول الغربية .

ويمكن معرفة نشاط كل واحدة من تلك الدول عن طريق ملاحظة

مؤسساتها التبشيرية ، فالجمعية التبشيرية المسيحيةتعمل على حفظ مصالح بريطانيا بينماتعمل الجماعات التبشيريةالمعمدانية على حفظ مصالح أمريكا. كما ترتبط الكنيسة فى افريقيا الفرنسية ارتباطاً وثيق الصلة بالسلطةهناك.

والشيء الذى تهتم به الكنيسة فى مناطق النفوذالبريطانية والبلجيكية هو الأشراف على امور التربية والتعليم والامور الصحية . ولكنها بـدلا من ان تنشر بين الأفريقيين تعاليم السيد المسيـح فانها تعلـمهم ان لمدنية البيض حقاً كبيراً فى اعناق السود وان عليهم القيام بالواجب نحوها، كما يتوجب عليهم الأطاعة الكاملة لحكومات البيض فى افريقيا (٣) »

وعلى هذه القاعدة جرت فرنسا فبذلت جهـوداً غير مجـدية وانفقـت ملايين فرنكات فى سبيل جعل الشعوب المسلمة فى شمال افريقيا مسيحية .

وقد صرح وزير الخارجية الفرنسي ـ وكان يتحدث فى البرلمان الفرنسي عن زوم تقديم المساعدات المالية ، وغير المـالية الى الجمعيات التبشيـرية ـ بقوله : صحيح ان فرنسا ضمن حدودها غير متدينة ولكن يتحتم عليها أن تكون دولةمتدينة ى الخارج» . وقد خصصت الحكومة الفرنسية مبلغ مليونى فرانك من اجل عقد ؤتمر فى تونس للمسيحيين فى شمال افريقا (٤)

يقول المرحوم الاستاذ **علال الفاسي** احد زعماء حزب الاستقلال المغربى :

« . . لكى لا يبقى رجال الكنيسة متأخرين عن رجال السياسة والدولة فى الدول الاستعمارية فانـهم كانوا يسمـون الدول الأفـريقية المتـخلفة بالمستعمرات نصف المتوحشة .

وكان رجال الكنيسة متفقين اتفاقاً كاملا مع رجال السياسة فى حرب الجزائر الى حد انه عندما تحدث احد القسيسين فى مجمع للاساقفة عن القتل الوحشى ، وسفك الاستعمار للدماء البريئة طرد من المجمع ثم احضر للمحاكمة فى المحاكم الاستعمارية .

والان وبعد انتصار الثورة الجزائرية أخـذ المبشرون المسيـحيون يشجبون بشدة سفك الدماء واعمال القتل . ولكن لماذا بقي حـضراتهم ساكتين في حرب الجزائر التي استمرت ثماني سنـوات ذهب ضحـيتها مليون مسلم؟ ! بل وكانوا يشجعون السياسيين ويدفعونهم الى ادامة الحرب(٥) وكان بعض القسيسين احياناً اعضاء رسميين في مؤسسات الجاسوسية .

يقول الدكتور «ميمندى نجاد» :

ارسلت انكلترة آلافاً من الجواسيس بصور واشكال مختلفة الى منطقة الشرق الاوسط من اجل بسط نفوذها في تلك المنطقة . . ومـن هـؤلاء الدكتور «ولف» الذى جاء الى منطقة خراسان في سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٣ بحجة انه يدعو الى المسيحية ويبشر برجوع السيد المسيح . (٦)

وهناك شواهد كثيرة على الجهود الاستعمارية التي يبذلها الرهبان المسيحيون في البلاد الاسلامية في سبيل الاستعمار ، ومن جملتها هذين الخبرين من الباكستان:

١ ـ كراتشي ـ يونايتدبرس ـ اتهمت جمعية النساء الباكستانيات ، الارساليات الدينية المسيحية في تلك البلاد باستغلال مهمتها المكلفة بها س توزيـع الاغذية والدواء . . في افساد عقائد الناس ،ونشر روح عدم الايمان والسخط فيما بينهم .

وقد طلبت الجمعية في مذكرة لها بعثت بها الى الحكومة الباكستانية ان تتولى ـ الحكومة ـ بنفسها مهمة توزيـع المساعدات الخارجية التي توزع حاليا بواسطة الارساليات التبشيرية المسيحية وان تعمل على الحد من تدريس الكتب المقدسة المسيحية في المدارس المسيحية والحد من تعليم المسيحية في المستشفيات التي تدار بواسطة هؤلاء (٧)

٢ ـ راول پندى ـ يونايتدبرس ـ صرح السيد عبدالعزيز عضو الجمعية الوطنية الباكستانية بانه يتعين طرد المبشرين المسيحيـين من الباكستان ؛

لقيامهم بنشاطات تجسسية وتخريبية .
وصرح بأنه يعتزم تقديم مذكرة بهذا الشأن الى الحكومة الباكستانية يطلب فيها مصادرة جميع المدارس والمستشفيات التي يشرف عليها المبشرون المسيحيون ، وطردهم من الباكستان . (٨)
وهذا أيضاً خبر آخر في نفس الموضوع نشرته المجلة المسيحية «نورعالم»:
أصدرت السفارة السودانية في الولايات المتحدة الاميركية بيانأجاء فيه : ان المبشرين المسيحيين في السودان يتدخلون في الشؤون السياسية والداخلية لدولة السودان ، ويعملون على بلبلة الأوضاع في تلك المنطقة. وقد طلبت السفارة اليهم مغادرة البلاد (٩)
وهذا هو بعض ما دفع بالحكام الجدد عندما تسلموا زمام الأمور في كوبا الى الحد من نشاط الآباء الروحيين في ضواحي البحر الكاريبي واعتبار أكثرهم عملاء للاستعمار . وقد صرح الرئيس الكنغولي السابق لومومبا عقيب اعلان استقلال الكونغو بأن جماعة من الآباء الروحيين كانوا اعضاء رسميين في الجيش البلجيكي.
وقال «لومومبا» في كتابه «حياتي وكفاحي» الذي نشرته جريدة «فرانس سوار» (Francesoir) الباريسية :
لم افهم ابداً لماذا كانوا يعلموننا في المدارس انه يجب احترام تعاليم المسيحية ، ويجب ان تقوم علاقات الناس على الصداقة المتبادلة في الوقت الذي كان الاوروبيون خارج المدرسة يقومون بأعمال تناقض هذه التعاليم ، ويدوسون بأقدامهم كل اصول المدنية والانسانية .
لقد كانت التعاليم التي يعلموننا اياها في المدارس تتناقض تماماً مع سلوك الاوروبيين تجاه الافريقيين السود (١٠)

التبشير والاستعمار :

أورد الدكتوران «خالدي وفروخ» في كتاب «التبشير والاستعمار» (١١) ـ معتمدين على عشرات المصادر ـ الاجنبية ـ مئات من الشواهد الحية وغير القابلة للانكار على

التعاون الوثيق بين السياسات الاستعمارية الغـربية وبين الارساليات والجـماعات التبشيرية المسيحية .

وقد بين المؤلفان فى كتابهما كيف تستخدم السياسـات الغربية المبشريـن المسيحيين وتسخرهم لخدمة اهـدافها . كما اشارا الى ان الأرساليات التبشـيرية المسيحية تعمل للقضاء على الاسـلام وسحـق النهضات الوطنية الاسلامية فـي آسيا وافريقيا ، وتتعاون فى سبيل تحقيق هذا الهدف حتى مع الصهيونية العالمية.(١٢)

الكنيـسة والنفـط :

ان مسألة النفط ـ مع مالها من القيمة والأهمية فى عالم اليوم ـ تحتاج بنفسها الى بحث مستقل . .

ولقد كان من حسن الحظ ـ او من سوء الحظ ـ ان ايران كانت من الدول النفطية . . ولكن منذ اليوم الاول الذى علم فيه الامبرياليون الغربيون بوجود النفط فى ايران اسرعوا ـ ومع كل اسف ـ بالمجيء الى وطننا الأسلامى وعملوا بكل ما يمتلكون من قوة للحصول على امتيازات تخولهم استخراج النفط.

ولكى نفهم فى المرحلة الاولى كيف سلب نفطنا منا لابدمن القول بأن«الزى الدينى» او رجال الدين المسيحيين كانوا هم السبب فى ذلك .

وكان ابتداء القصة بهذا الشكل :

مر احد المهندسين الاستراليـين الاثرياء ويدعى «كنوكس دارسى» (١٣) فى الاراضى الايرانية ، وقام بأعمال كانت موضع الاستحسان والاعـجاب من الملـك مظفر الدين شاه .

فنشأت على اثرها صداقة متينة بينهما ، وابدى الشاه شكره لدارسى على جهوده التى بذلها فى سبيل التقدم والرقى .

وفى (مايو) ايار ١٩٠١ اصدر الشاه فرماناً باسم «دارسى» يعطيه الحق لمدة ٦٠ سنة فى التنقيـب عن المـعادن الموجودة فى باطـن الاراضى الايرانية واستخراجها (١٤)

حمل دارسى الفرمان وتوجه الى كندا عن طريق مصر حيث التقى هناك بعمال

شركة (انتليجنت سرويس الانجليزية) (ـ servise British intelligente) فعرضوا عليه أن يبيعهم الامتياز المذكور مقابل ستة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، لكنه رفض ذلك وتوجه مبحراً من الاسكندرية قاصداً كندا . . وفي السفينة التقى بقسيس بروتستنتي تظهر عليه علامات الزهد وحب العزلة ، وكان في طريق عودته من افريقيا ؛ فعرض عليه دارسي انه يريد انفاق جميع ثروته في سبيل المسيحية ، وأنه يتمنى أن يرى ايران يوماً ما وقد أصبحت دولة مسيحية، لكن الاب المحترم! لم يظهر لدارسي اى ميل للتكلم في المسائل المادية .

الا انه وقبل أن تصل السفينة الى ميناء نيويورك اقترح عليه الاب الجليل! أن يعطيه الامتياز الثمين ليصرفه في خدمة السيد المسيح. واضاف: ان شاه ايران لايسمح للاباء الروحيين والمبشرين المسيحيين بالدخول الى الاراضي الايرانية ، فاذ كان هذا الامتياز في ايديهم استطاعوا بواسطته الدخول الى ايران ؛ لان الفرمان المذكور يجيز الدخول الى ايران لعمال دارسي وابنائه واصدقائه ، وعندها فقط يستطيعون ان يجعلوا من ايران المسلمة دولة مسيحية .

ولم يتوان دارسي في تقديم الامتياز المذكور للاب الجليل! دون مقابل ، خدمة للسيد المسيح وللمسيحية! .

وما ان تسلم الحبر الجليل! الامتياز المذكور حتى اختفى عن الانظار ليتضح فيما بعد ان السند الثمين قد أصبح في ايدى المخابرات البريطانية .

ثم علم فيما بعد أن القسيس البروتستنتي لم يكن الا «المستر روزنبلوم آلياس سيدني ريلي» Rosenblum Alias Sidney Reilly اليهودى الانجليزى المعروف . وكان من أهم عملاء شركة «انتليجنت سرويس» ثم أصبح فيما بعد رئيساً لشعبة الجاسوسية الانجليزية في روسيا بالتعاون مع الكابيتان «هيل» وأصبح من المقربين لرئيس الوزراء البريطاني «ونستون تشرشيل» ، ولكنه في سنة ١٩٢٦ غاب فجأة عن الانظار ولم يعثر له على أثر (١٥)

وما عتمت أن ظهرت نتائج جهوده الجبارة عندما أعلن عن تأسيس «شركة نفط

ايران وانجلترة» (١٦)

شاهد آخر من اقوال نهرو :

وفيما ذكره رئيس الوزراء الهندى الراحل «نهرو» فى كتابه «انجلترة تجبر الصينيين على استعمال الافيون» شاهد آخرعلى صحة ما نقول ؛ فقد كتب يقـول:

قام الانجليز فى سنة ١٨٤٠ بشن عدوان على الأراضى الصينية بحجة الدفاع عن مصالحهم الوطنية .

وقد عرف عدوانهم هذا باسم «حرب الافيون» لان الانجليز لم يشنوا هجومهم هذا الا من أجل الحصول على امتياز تصدير الأفيون الى الصين. وقد تم لهم ما أرادوا . . ولكن منذ ذلك الحيـن بدأت متاعب الصين الكثيرة ، وبدأ نضالها ضد القوى الأمبريالية الغربية . ومنذ ذلـك الحين أيضاً خرجت من عزلتها واضطرت الى الاتجار مع العالم الخارجى، كما اضطرت الى القبول بدخول المبشرين المسيحيين الى بلادها .

وقد لعبت الهيئات التبشيرية فى الصين دوراً بارزاً ومهماً ، وكانت فى الحقيقة طليعة القوى الامبريالية والاستعمار (١٧)

وكانت تلك الهيئات سبباً لكثير من المتاعب التى حصلت فى الصين.

ولم يكن البلاط الصينى حينذاك يستطيع شيئاً فى مقابل هؤلاء؛ خصوصاً وان القوانين الجديدة كانت تقضى بعدم شمول القوانين الصينية للاجانب وهو ما أطلق عليه اسم «كاپيتاليسيون» CaPitalition أو «امتيازات الاجانب»

وقد قام صينى ـ اعتنق المسيحية ـ اسمه «هونـغ» باثارة الشغب فى الصين مما ادى الى وقوع فتنة استمرت عشر سنوات أو اثنى عشر سنة ذهب خلالها ٢٠ مليون قتيل . وكان (هونـغ) مع كل ذلك يلقى التأييد الكامل من قبل المبشرين المسيحيين .

وكان الصينيون يعتقدون ان هؤلاء المبشرين لم يأتوا الى بلادهم من اجل تبليغ المسيحية ونشرها ، وانما كانوا عمالاً للامبريالية، يعملون على تنفيذ مآربها .

وقد كتب أحد الكتاب الانجليز يقول : «ان الصينيين يعتقدون ان الامور تجرى بهذا الشكل : يأتى المبشرون الدينيون أولا ثم تأتـى فى أثرهم السفن الحربية ، وبعد ذلك يبدأ احتلال الاراضى (١٨)

المسيحية والمستقبل :

هل تستطيع المسيحية ـ مع تاريخها المعلوم ـ ومع ما تعانيه من فقر فى القوانين ونقص عام فى جميع جوانبها بسبب تحريفات الاباء الروحيين لها ـ هل تستطيع ـ فى المستقبل ان تكون موضع قبول من عامة الناس ؟

والجواب بالنفى طبعاً !

لان المسيحية مضافاً الى انها قد ملأت تاريخها بالصفحات السوداء فهى قد رسمت فى اذهان الناس صورة مشوهة لجميع الاديان .

يقول المستر «والتر ليبمن» المفسر السياسى الامريكى المعروف بعد أن أطال البحث فى المسيحية التى يعتنقها وتخيل ان جميع الاديان السماوية الاخرى هى كالمسيحية المحرفة ناقصة ولا يمكن القبول بها . ـ قال : ـ

لم تجد المسائل الضرورية الفورية ، والمشاكل اليومية التى تعترض فى طريق الانسان حلولا مناسبة لدى جميع الانبياء العظام والحكماء والعلماء الا الوعظ والارشاد .

ولذا فان كل من يحاول العثور على حلول ملائمة لمشكلاته الدنيوية عند هؤلاء وفى كتبهم سوف ينتهى بالفشل .

ونحن اذا تأملنا جميع الاديان وجدناها جميعها توصى اتباعها بالا يقفوا فى وجه المجرمين والمذنبين ، والا يعدوا الفقر شيئاً مذموماً ، وان

يحاربوا غرائزهم النفسية ويمنعوها عن كل ما تشتهيه (١٩)

وطبعاً فان السيد «ليپمن» يخطيء كثيراً عندما يقول ان جميع الاديان ناقصة؛ لان الدين الذى نحن بصدد بيانه ليس فقط يمتلك قوانين تحل جميع المشاكل الدنيوية والاجتماعية بل هو يأمر أتباعه بالوقوف دائماًفى مواجهة الظلموالعدوان. ومحاولة ردع المجرمين والمذنبينبوسائل مختلفةوالعمل على استئصالالفقروالمذلة من بينهم ، والاستفادة من غرائزهم النفسية بشكل مشروع وضمن حدود معينة .

نعم انها مسيحية السيد «ليپمن»هىالتى «لا تفى بحاجات المجتمع فىعصرنا الحاضر وتعانى من النقص فى جميع جوانبهاوتجرالمجتمع الى الشركوالحرب» وهى بالاضافةالى الحروب ـ الدينية ـ التىاثارتهافىالقرون الوسطى ضدالمسلمين وضد المسيحيينانفسهم، كانت منأهم الاسبابالتى أدتالىوقوعالحربينالعالميتين.

وليس من شك فى ان المسيحية لو استطاعت ان تدير شؤون الشعوب المسيحية (٢٠) وان تحقق آمال هؤلاء وترضى امانيهم بطريقة مشروعة ، ولوانهالم تضيقالخناق عليهم ؛ لكان وضع ومستقبل المسيحية العالمية أحسنمما هو عليهالان بكثير . ولكن . . فات الاوان .

للبحث صلة

مصادر هذا البحث

(١) جريدة « وظيفة » عدد ٢١٤ الدورة الجديدة طبع طهران .

(٢) مجلة (نور عالم) الشهرية عدد ٨ السنه ١٤ طبع طهران .

(٣) «ثورة افريقيا» تأليف «مادها پانيكار» تعريب «خيرى حماد» طبع بيروت، الصفحات ٦٤ و ٦٥ و ١٤٥ .

(٤) «الحركات الاستقلالية فىالمغربالعربى» تأليف الاستاذ «علال الفاسى» طبع المغرب ص ٦٠

(٥) «مجلة حضارة الاسلام» العلمية الشهيرة طبع دمشق، عدد٤ سنه ٣ صفحة ٨٠

(٦) « نعل وارونه . كلاه بزرگ » يعنى (الحذاء المقلوب . القبعة الكبيرة) صفحه٣٨

طبع طهران .

(٧) جريدة « كيهان الايرانية » ٢٠ خرداد ١٣٤١ .

(٨) جريدة « اطلاعات » الايرانية ٣٠ خرداد ١٣٤١ .

(٩) مجلة « نور عالم » الناطقة بلسان « البروتستانت الايرانيين » عدد ٢ ، سنة ١٥ اردیبهشت ١٣٤٢ صفحه ٤٠ .

(١٠) يعيش في الكونغو ثلاثة ملايين مسلم «الاسلام في المشارق والمغارب » تأليف الدكتور جمال الرمادي طبع القاهرة (ص ١٠٣) منهم ٢٣٦٠٠ مسلم يعيشون في « استانلي ويل » مركز اقليم «اوريانتال »

(١١) طبع بيروت وهو احسن كتاب ألف في هذا الموضوع كما أن مؤلفيه من كبار الشخصيات في العالم العربي .

(١٢) للمزيد من الاطلاع راجع بحث «السياسة طريق التبشير» من نفس الكتاب، الفصول ٥ و ٦ و ٧ صفحة ١١٣ الى ١٧٥ الطبعة الثانية .

(١٤) « حرب النفط الباردة » تأليف « بيرفوتش » ترجمة الدكتور « شمس الدين أمير علائي » طبع طهران سنة ١٣٣٧ صفحة ٢١٠ و ٢١١ .

(١٥) مقدمة كتاب « جنگ نفت » حرب النفط تأليف « آنتون موهر » استاذ جامعة أسلو ترجمة محمود محمود طبع طهران صفحة ٥٣

(١٦) راجع كتاب (مختصر تاريخ النفط) طبع اصفهان . والكتب «حرب النفط الباردة» و « حرب النفط » و «النفط» ترجمه «مهندس فرزان» القسم الاخير من «ماذا اعلم ؟» رقم ٤٠

(١٧) يمكن القول بأن السبب الاصلي لسقوط الصين في احضان الشيوعية هو اعمال الاستعمار و تصرفات الجماعات التبشيرية .

(١٨) « نظرة في تاريخ العالم » تأليف « جواهر لال نهرو » ، ترجمه «محمود تفضلي» المجلد الاول ، صفحة ٩٤٥ ، طبع طهران .

(١٩) « الدين في اوروبا » الطبعة الثانية ـ تبريز ، صفحة ٢٠ ـ ٢١ وقد طبع هذا الكتاب اخيراً وللمرة الرابعة مع مقدمة و تعليقات من الكتاب وهو كتاب جدير بالمطالعة.

(٢٠) قال البروفسور «هنري كربن» العالم والمستشرق الفرنسي المعروف في جوابه عن سؤال عدة من الايرانيين حول تقدم المسيحية ـ وهو مسيحي بروتستنتي ـ « . يبذل الكاثوليك جهوداً جبارة في مجال التبليغ ويحرزون تقدماً . . . ولكن دون فائدة لان المسيحية اصبحت قديمة وميتة ، ولن تستطيع افكار مسيحيي عصر السيد المسيح و افكار ماقبل الفي سنة ان تفي بحاجات مجتمع اليوم وتجيب عن تساؤلاته »راجع كتاب « مرجعيت و روحانيت» صفحه ٦٥ .

الإسلام لكل الناس

الدكتور محمد الفحام - القاهرة

الاسلام لكل الناس :

جاء الاسلام على حين فترة من الرسل . . . كان المجتمع الانسانى يعانى الواناً شتى من المعاناة الدينية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية . . . والذى يستقرىء التاريخ يقف على أسوأ ما روى :

فالمانوية والمزدكية وغيرهما من ديانات ونحل كانت تسود الدولة الفارسية حتى لقد حقق بعض ملوكها اغراضهم بسمل عيون آبائهم وامهاتهم واخواتهم.

وكذلك كانت المآثم والمخزيات وسيلة المدارج التى صعد عليها ملوك الرومان. والحديث عن مظالم واستهتار نيرون مازالت تضج به صفحات التاريخ،

وكان العداء بين اليهودية والنصرانية قد جاوز كل حد . . . حتى لقد اشترى اليهود من الفرس ثمانين الفاً ممن اسروه من الرومان. ثم عرضوا رقابهم وبطونهم على الاسنة والرماح. وفى وحشية تخطت كل مقاييس الوحشية .

وكان رد الرومان ان حضروا اشرا‍ اليهود وسنوا التشريعات لا ذلاله وابادتهم . . . وكأن موسى وعيسى عليهما السلام لم يأتيا بعدالى هذا العال بالخير والرحمة والسلام . والحال فى المجتمع العربى لم يكن بأحسن منه فى المجتمعات الاخرى .

ووسط هذا كله . . . والعالم ت‍ الضلالات والمتناقضات . . . انبعث بطحاء مكة صوت عالى النبرة حا‍

الرنين ،يدوى فى سمع العالم لا اله الا الله . . . محمد رسول الله . ومما لاشك فيه ان هذا الاساس الذى ارسى الاسلام قواعده انما هو المحور الذى تدور حوله المجتمعات بألوانها واجناسها ، ولغاتها ، ومعتقداتها ، تسعد وتنعم وتشعر بالوحدة كلما كانت قريبة من منطقة الجاذبية من هذا المحور : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» .

فالاسلام اذ يشير الى أصل المساواة ينفى ان يكون اختلاف الناس الى شعوب وقبائل و مجموعات ، مبررا للمفاضلة بين الافراد ، بل ينظر الى هذا الاختلاف . . . . للتعارف . والـ . . . . . . من للتخاصم والتنابز .

ان المذاهب الفلسفية التى تتزاحم . . . هذا الصراع او ذاك ، على اساس من التدين الذى لا يعدو فى واقعه ان . . . . من آثار البيئة والعوامل . . . . او على اساس من الغنى ـ وهو . . . . للزوال ـ أو الفقر ـ وقد يتغير الى . . . . . على اساس من الامية التى قد تزول . او الثقافة التى لا يتصور صاحبها السلوك الحسن كما يتصوره الامى . .

ان هذه المعايير والمقاييس لا تصلح البتة اساسا للمفاضلة فى المجتمع الفاضل لانها لاتنبثق عن الطبيعة البشرية التى هى أصل المساواة .

لقد كان رأى الاسلام هو الامثل والاحكم . فى مساواته للطبيعة البشرية بين جميع الافراد فهم امام الله سواء : هو ربهم ، وهم عباده ولا مجال فى هذه المساواة التى أرادها الاسلام لمثل هذه الحواجز والفوارق فالناس سواسية كأسنان المشط ، لا أبيض ولا أسود ، لا آرى ولا سامى . . لا غربى ولاشرقى .

«يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا و نساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» . . . «لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا التقوى»

وليس وراء هذه النصوص دعوة للاخوة البشرية العالمية على اساس من الرحم والدم .

الاسلام هو الذى يقدم للناس التفكير

الثورى ، الذى يؤدى الى وحدة الجنس البشرى والتقارب بين الاجناس والالوان وفى هذا يقول الرسول الكريم (ص) «الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم الى الله انفعهم لعياله» .

لقد استطاع الاسلام خلال القرن الاول ان يبلغ بدعوته ما بين الشرق والغرب وان يضم تحت جناحيه امما وشعوباً ، اختلفت لغاتها والوانها وتباينت طبائعها وعاداتها وطرق تفكيرها . . .

وتلك حقيقة جديرة بالنظر والاعتبار ، حقيقة لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى حياة البشر ، وعلى تلك الصورة من الشمول والتصحيح الحكيم لموازين الفضيلة وقيم الاخلاق .

عرف التاريخ الاسكندر والمغول والتتار ، ونابليون وهتلر ولكن حروب هؤلاء وفتوحاتهم وانتصاراتهم كانت محدودة ومطبوعة فى الوقت نفسه بطابع القهر والغلب والتشفى والانتقام والتخريب والتدمير .

اما زحوف الاسلام فكانت موازين عدل وأمن ورحمة وحق وسلام .

جاء الاسلام وقد سما بالانسانية من ان يكون قيام مجتمعاتها على اساس من العصبية الجنسيه او الاقليمية او نحوها مما يدفع الى الدمار والبوار ، بل جعل الاساس الذى ترتكز عليه صروح المجتمعات هو الاعتصام بمبدأ الحب العام ، والعدل المطلق ، والرحمة الشاملة «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» .

ان الاسلام هو دين العالم حقا وصدقا وقد جعل «التقوى» معيار الافضلية «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» والتقوى ليس يحكم أحد من الناس ، وانما يعلمه الله تعالى وحده . ولذا كان التعقيب فى هذه الاية بقوله «ان الله عليم خبير» .

الإسرائيليات في التراث الإسلامي

أولاد آدم

الشيخ ابراهيم الانصاري

١ - اسطورة تزويج الاخوات .
٢ - شعر ينسب الى آدم .
٣ - حديث اسرائيلي يدعم به عقيدة الجبر .
٤ - نسبة الشرك الى آدم وحواء .
٥ - خطبة لامير المؤمنين (ع) في المقام .

روى الطبري في تفسيره بسند فيه ابن جريج عن ابن عباس قال : عفى ان ينكح المرأة اخوها توأمها ، وينكحها غيره من اخوتها ، وكان يولد في كل بطن ، رجل وامرأة ، فولدت امرأة وسيمة ، وولدت امرأة دميمة قبيحة فقال اخو الدميمة: انكحني اختك ، قال لا انا احق باختي فقربـا قرباناً ، فتقبل من صاحب الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع. فقتله ، فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله حتى اخرجه في فداء اسحق ، فذبحه على هذا الصفا في ثبير عند منزل سمرة الصراف ، وهو على يمينك حين ترمي الجمار ، قال ابن جريج: وقال آخرون بمثل هذه القصة ، قال فلم يزل بنو آدم على ذلك حتى مضى اربعة آباء ، فنكح ابنة عمه ، وذهب نكاح الاخوات(١)

مضمون هذه الرواية روى بعدة طرق في كتب التفسير والتاريخ والحديث وهذه الرواية من الاسرائيليات-اولا-لاشتمال سندها على ابن جريج اليهـودي مضافاً الى

انه ليس لروايته هذه اعتبار لعدم اسناده الى معصوم او نبى ينبىء عن الله تبارك وتعالى.

وثانياً : ان هذا مروى عن اليهود كما روى الطبرى عن محمد ابن اسحق عن بعض اهل العلم من اهل الكتاب الاول : ان آدم امر ابنه قينا ان ينكح توأمته هابيل وامر ابنه هابيل ان ينكح اخته توأمته قينا فسلم لذلك هابيل ورضى وابى ذلك قين وكره تكرماً عن اخت هابيل ورغب باخته عن هابيل اما لانهما من ولادة الجنة او لان اخته كانت اجمل من اخت هابيل الى آخر القصة (٢) .

وثالثاً : انها تشتمل على قصة تزويج الاخ لاخته وهو غير صحيح عندنا وموافق لمذهب المجوس بل الاخبار الصحيحة دلت على ان الله انزل من الجنة حوريتين لقابيل وهابيل اسمهما نزلة ومنزلة او انه تعالى انزل حورية لهابيل وجنية لقابيل فتزوجاهما ونكتفى هنا بذكر ما رواه شيخنا ابو جعفر الصدوق (رض) بسنده عن زرارة قال سئل الامام جعفر الصادق (ع) عن بدء النسل من آدم على نبينا وآله وعليه السلام كيف كان ؟ وعن بدء النسل من ذرية آدم فان اناساً عندنا يقولون : ان الله تعالى اوحى الى آدم ان يزوج بناته بنيه وان هذا الخلق كله أصله من الاخوة والاخوات فقال أبو عبد الله (ع): تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، يقول من قال هذا «بأن الله خلق صفوة خلقه وأحبائه وانبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب فو الله لقد تبينت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزى عليها ونزل كشف له عنها فلما علم انها اخته اخرج غرموله ثم قبض عليه باسنانه حتى قطعه فخر ميتاً وآخر تنكرت له امه ففعل هذا بعينه فكيف الانسان في انسيته وفضله وعلمه غير ان جيلا من هذا الخلق الذى ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات انبيائهم ، وأخذوا من حيث لم يأمروا بأخذه فصاروا الى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم كيف كانت الاشياء الماضية من بدء ان خلق الله ما خلق وما هو كائن أبداً ، ثم قال :ويح هؤلاء اين هم عما لا يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق ان: الله عزوجل امر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى يوم القيامة

قبل خلق آدم بألفى عام وان كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم فى كلها تحريم الاخوة مع ما حرم ، وهذا نحن قدنرى منها هذه الكتب الاربعة المشهورة فى هذا العالم التوراة والانجيل والزبور والقرآن انزلها الله من اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم اجمعين منها التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى والقرآن على محمد(ص) ليس فيها تحليل شيء من ذلك .

حقاً اقول ما اراد من يقول هذا اوشبهه الاتقوية حجج المجوس فما لهم قتلهم الله ؟... الى آخر الرواية (٣) .

وفى رواية معاوية بن عمار قال سألت أبا عبد الله (ع) عن آدم ابى البشر أكان زوج ابنته من ابنه ؟ فقال معاذ الله والله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله(ص) وما كان آدم الا على دين رسول الله (ص) وفى الرواية ان الله تعالى زوج قابيل بجنية اسمها جهانة وزوج هابيل بحورية اسمها ترك (٤) .

ورابعاً: ان الرواية تشتمل على ان الذبيح من ولدى ابراهيم هو اسحق وسيأتى ان هذا أيضاً من الاسرائيليات وان الذبيح هو اسماعيل (ع) .

وأيضاً تفيد الرواية ان اولاد آدم كانوا ينكحون الاخوات الى أربعة آبناء يعنى اولاد قابيل وهابيل واولاد اولادهما أيضاً كانوا ينكحون الاخوات وهذا مخالف لصريح جميع الروايات .

وخامساً: ان الصحيح من الاخبار دل على ان سبب حسد قابيل لهابيل هو ان الله عزوجل اوحى الى آدم انه «سبق علمى ان لا اترك الارض من عالم يعرف به دينى وان اخرج ذلك من ذريتك فانظر الى اسمى الاعظم والى ميراث النبوة وما علمتك من الاسماء كلها وما يحتاج اليه الخلق من الاثرة عنى فادفعه الى هابيل ففعل ذلك آدم بهابيل فلما علم قابيل ذلك من فعل آدم غضب...» الى آخر الرواية(٥) فكان سبب حسد قابيل اصطفاء الله تعالى هابيل لمقام الوصاية وحفظ الامانة دونه لا مسألة التزوج بالقبيحة أو الحسناء وقد صرح العلامة الكبير الشيخ محمد صادق

فخر الاسلام بأن مسألة تزويج ابناء آدم لبناته من العقائد اليهودية المستفادة من التوراة (٦) كما ان التوراة تصرح بأن سارة زوجة ابراهيم كانت اخته من ابيه (٧) وصرح مؤلفو كتاب (الهداية) وهم جماعة من علماء الانجيل بانه لم ينزل الله على آدم ولا على ابراهيم شريعة بحرمة تزويج الاخت ولا بتحليلها ولكنه كان من العادات التي اصطلح عليها القدماء قبل شريعة موسى (ع) (٨) .

وقال المسعودي في مروج الذهب «وذكر اهل الكتاب ان الله زوج اخت هابيل قاين واخت قاين لهابيل وفرق في النكاح بين البطنين وهذه كانت شيمة آدم» مروج الذهب ج ١ ص ٦٣ طبع ليدن .

٢ ـ قال المسعودي وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى آدم انه قال :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

الى آخره الاشعار... ثم نقل عن بعض كتب التاريخ اشعاراً اخرى اجاب بها ابليس آدم ، وروى بعضهم ان الالوان والطعوم تغيرت بقتل هابيل وقد نسب الطبري هذه الرواية الى الامام علي بن ابي طالب (ع) ولكن في النفس من هذه الاشعار ومن تكلم آدم بالعربية وكونه شاعراً شيء كما يظهر التشكيك فيها من المسعودي أيضاً .

٣ ـ روى الطبري في تفسيره وتاريخه عن الحسن البصري ان المراد بقوله تعالى «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ...الاية» رجلان من بني اسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه وكان القربان في بني اسرائيل» (٩) .

ولعله وقع في هذا التوهم من جهة قوله تعالى بعد ذلك « من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً» (١٠) .

ولكن لامانع من ان يصير حدوث حادثة في زمن آدم سبباً لكتابة حكم او امر في توراة موسى (ع) على بني اسرائيل ولا يلزم اتحاد زمانهما .

مضافاً الى أن قول الحسن مخالف لاجماع علماء التاريخ والتفسير والروايات المتواترة ولصريح الاية فانها دلت على ان هذا القتل كان بمنزلة قتل الناس جميعاً

ولا يكون كذلك في غير ولدى آدم من صلبه الذى سن القتل فى الناس .

وظاهر كلمة (ابنى آدم) ابناه لصلبه وأيضاً لو كان القاتل من بنى اسرائيل لم يكن جاهلا بدفن الميت حتى يتعلمه من الغراب .

٤ ـ وروى عن مجاهد انه قال كان يحمله على عاتقه مئة سنة لايدرى مايصنع به يحمله ويضعه الى الارض . . . (١١)

ليت شعرى ان كان يخاف من وضعه في الارض وتركه اطلاع آدم (ع) على فعله فحمله على عاتقه ادل على جنايته واشد فضيحة له من تركـه على الارض .

٥ ـ وروى الطبرى بسنـده الى عمر بن الخـطاب فى تفسير قـوله تعالى «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . . . » انه قـال سمعت رسـول الله يقول ان الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه واستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسـح على ظـهره بشماله فاستخـرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله (ص) ففيم العمل؟ قال :ان الله تبارك وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من عمل اهل النار فيدخله النار» (١٢) ـ

لاريب ان هذه الرواية من الاسرائيليات لما اشتملت عليه من عقيدة الجبر وعقيدة التجسيم من جهة اثبات اليمين والشمال لله تعالى وهما مأخودتان من اليهود كما سيأتى، نعم اصل علمه تعالى بمصير كل احد شقياً كان او سعيداً ثابت بالضرورة من دون تأثير لعلمه فى افعالنا .

٦ ـ روى الطبرى وغيره من العلماء في تفسير قوله تعالى «هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون»(١٣) ان المراد فى قوله جعلا له شركاء يرجع الى آدم وحواء فانهما جعل لله شريكا فى التسمية ذلك انهما اقاما زمناً

لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه ، فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما ولداتسميانه باسمي؟ قالا نعم وما اسمك قال الحارث فولد لهما فسمياه عبد الحارث .

وفي رواية اخرى ان حواء لما حملت اتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك ان تكون في بطنك بهيمة ؟فقالت لادم: لقد اتاني آت فاخبرني ان الذي في بطني بهيمة ،واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في هم من ذلك، ثم اتاها ابليس فقال ان سألت الله ان يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحارث فلم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحارث برضاء آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث» (١٤) رويت هذه القصة بعبارات مختلفة اكتفينا بواحدة منها .

وهذه الاسطورة من الخرافات الاسرائيلية واما كونها من الخرافات فلوجوه منها: ما ذكره الطبرسي في مجمع البيان من ان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الاية لعلمنا ان لها وجهاً يطابق العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك» (١٥) .

وقال السيد المرتضى قد «قد علمنا ان الدلالة العقلية التي قدمناها في باب ان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر والشرك والمعاصي غير محتملة ولا يجوز دخول المجاز فيها والكلام في الجملة يصح فيه الاحتمال وضروب المجاز فلابد من بناء المحتمل على ما لا يحتمل» (١٦) .

وقال الفخر الرازي ان الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجاء انسان ودعاه الى ان يسميه بمثل هذه الاسماء لزجره وانكر عليه اشد الانكار فآدم (ع) مع نبوته وعلمه الكثير الذى حصل له من قوله وعلم آدم الاسماء وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الذلة التي وقع فيها لاجل وسوسة ابليس كيف لا يتنبه لهذا الغدر» (١٧)، ومنها اتيان كلمة (يشركون) بصيغة الجمع في قوله تعالى «فتعالى الله عما يشركون» وذلك يدل على ان الذين اتوا بالشرك جماعة وكذا قو

بعد ذلك «ايشركونما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون» وما بعده من الايات صريحة في الشرك الحقيقي. قال العلامة البلاغي في كتابه «فانها لو كانت واردة على هذه القصة لكان الذي ينبغي ان يقال فيها : فلما آتاهما صالحاً جعلا له شريكا فيه فتعالى الله عما يشركان ، لانه لم يكن الشريك بحسب القصة الا واحداً وهو الحارث(ابليس) ولم يكن المشرك بحسب القصة الا اثنين هما آدم وحواء ولم يكن وجه صحيح للعدول عن كلمة (فيه) الى قوله «فيما آتاهما»(١٨) فالاقوى ان الاية لا ظهور فيها فيما ذكروا من كون المراد من النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء بل المراد كل اب وأم بالنسبة الى ولدهما فأن كل انسان خلق من بين رجل وامرأة،فيصدق ان الله خلقه من نفس واحدة وخلق منها زوجها والمراد بخلق الزوجة من الزوج كونها من جنسه ومشابهة له كما في قوله تعالى (خلق لكم من انفسكم ازواجاً» فالمعنى هو الذي خلقكم اى كل واحد منكم من نفس واحدة وهو ابوه وجعل من سنخه وجنسه زوجة ليسكن اليها فلما تغشاها الى قوله فلما آتاهما ولداً صالحاً اى سالماً عن العيب جعل أبواه المشركان له شركاء فيما آتاهما وصرفاه الى عبادة غير الله تعالى فتعالى الله عما يشركون اى الولد والوالدان وعندى ان هذا المعنى من الاية تفسير مطابق لظاهر اللفظ لا تأويل بخلاف الظاهر وان ارادة آدم وحواء من الاية مخالف لظاهرها عند التأمل في مجموع الايات وان كان لها ظهور بدوي ابتداء .

وهناك تأويل للاية رواه الصدوق عن الامام أبي الحسن الرضا (ع) حينما سأله المأمون عن قوله تعالى«فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء»الاية قال (ع) (فلما آتاهما صالحاً من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمان والعاهة كان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكرانا وصنفاً اناثاً فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزوجل قال تعالى«فتعالى الله عما يشركون») (١٩).

وقد ذكر السيد المرتضى (قدس سره) في كتابيه الغرر والدرر وتنزيه الانبياء والطبرسي في مجمع البيان والفخر الرازي وغيرهم وجوهاً أخر غير ما ذكرناه فليراجع .

٦ ـ روى الطبرى عن محمدبن‌اسحق الذى كان يكثر النقل عن اليهود ان : شيثاً نبى الله نكح اخته خرورة ابنة آدم فولدت له يانش ونعمه . . . » (٢٠) .

ثم روى عن ابن اسحق‌وابن عباس‌ان انوش‌بن شيث تزوج‌اخته نعمةفولدت له فتيان (٢١) وقال ان قينا نكح اخته اشوث بنت آدم فولدت له‌رجلاوامرأةخنوخ بن قين وعدل بنت قين فنكح خنوخ اخته فولدت له عيرد ومحويل وأبو شيل‌ابناء خنوخ ومولیث بنت خنوخ فنكح أبو شيل اخته موليث فولدت لامك الخ .

ليت شعرى ما أحرصهم على‌جعل ونقل‌مسألة نكاح‌الاخوات وهل كان له‌سبب سياسى اولا ؟ القدر المسلم ان ابن اسحق أخذ هذه الانساب من‌أهل التوراة .

---

(١) تفسير الطبرى ج ٦ ص ١٩٦ .
(٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٤٠ .
(٣) علل الشرايع ص ١٨ .
(٤) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٢٧ .
(٥) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٢٧ .
(٦) انيس الاعلام ج ٣ ص ٣٣٤ .
(٧) سفر التكوين الباب ٢٠ الاية١٢ .
(٨) الهداية ج ٤ ص ١٦٧ .
(٩) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٤٣ .
(١٠) المائدة ـ ٣٢ .
(١١) تفسير الطبرى ج ٦ ص ١٩٨ .
(١٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٣٣ طبع لندن .
(١٣) الاعراف ـ ٩١ .
(١٤) مجمع البيان ج ٤ ص ٥١١ تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٥٠ .
(١٥) نفس‌المصدر .
(١٦) تنزية الانبياءص ١٤ .
(١٧) تفسير الفخرالرازى ج ٤ ص ٥٠٨ .
(١٨) الهدى ج ١ ص٦٢ .
(١٩) عيون اخبار الرضا ص ١٠٩ .
(٢٠) تاريخ الطبرى ج ١ ص١٢٤ .
(٢١) المصدر ص ١٢٥ .

(الهادى) وردت فى المقال آراء غير منهى عنها

نظرة في كتاب

مفتاح الكتب الأربعة

الشيخ محمد هادي الغزوي

تداولت الايدى أخيراً - فهارس فنية وعلمية دقيقة وضعت جهد الفحص والتنقيب والتتبع البالغ عن روادها ، بعدما كانوا يعانون - فيما سبق - مشقة البحث والتتبع حتى يتمكنوا من الوقوف على ضالتهم المنشودة .

وتتزايد الحاجة الى أمثال هذه الفهارس على مدى حاجة المراجعة الى ذلك الموضوع الذى وضع له الفهرس؛ فكلما كانت حاجة المراجعة الى ذلك الموضوع أكثر كانت الحاجة الى وضع الفهرس له أشد .

ويمتاز بالدرجة الاولى من الاهمية في الاسلام موضوعان أساسيان يكثر حاجة الرجوع اليهما فى كل زمان ومكان ؛ بل ومن كل أحد؛ هما أساسا معارف الاسلام وأحكامه وتشريعاته وسننه وآدابه وثقافاته ؛ وهما : القرآن والاحاديث .

وقد تسابق المسلمون والمستشرقون من الغربيين الى وضع فهارس فنية لهذين المصدرين الخطيرين ، حتى خرج من ذلك فهارس متعددة ومتنوعة مختلفة، تفي بحاجات المراجعين على اختلافها .

وفي الحديث النبوى الشريف بخصوصه ، وضع جماعة من المستشرقين فهرساً خاصاً يسمى : «المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى» مطبوع .

* * *

تواتر الحديث عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب اتباع أهل بيته «عليهم السلام» من بعده في أحكام الاسلام ؛ كحديث الثقلين ، والسفينة، والنجوم .

وقد بين الائمة كل ذلك لاصحابهم في نحو اقل من «ثلاثمأة سنة» مع كل ما كانوا عليه من الاضطهاد والشدة والتقية وعدم بسط الايدي والافواه! وقد تحمل-من ذلك - أصحابهم الصعوبات الكثيرة في أخذ الاخبار عن المعصومين عليهم السلام وضبطها وتدوينها ؛ حتى بلغت مدوناتهم «أربعمائة أصل» .

وقام بعدهم جماعة من المشايخ الاقدمين«رضوان الله عليهم»بجمع تلك الاصول الاولية وتدوينها وتبويبها ؛ كل على حسب ما ترجح بنظره من الاكثار أو الاختصار؛ والترتيب والتبويب وقد تداول منها أربعة ؛ هي: «كتاب الكافي» للشيخ الاقدم محمد ابن يعقوب الكليني الرازي المتوفى ٣٢٩ ه ، و «كتاب من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ ه، و«التهذيب» و«الاستبصار» لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠ ه .

ثم قام جمع من الاعلام بعدهم فبذلوا قصارى جهودهم في تحقيق الفاظها ، وتهذيبها وتبويبها وايداعها في كتبهم المؤلفة لهذه الغاية الشريفة، على كثرتها. وكان المتداول منها أربعة أيضاً ، هي : «الوافي» للفيض الكاشاني «ره» و «بحار الأنوار» للشيخ محمد باقر المجلسي «قده» المتوفى ١١١١ ه ، و «وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة» للشيخ الحر محمد بن الحسن العاملي المتوفى ١١٠٤ ه ، و «مستدرك الوسائل» للشيخ حسين النوري «ره» فهذه المجاميع الثماني هي المصادر المهمة للاحاديث المروية عنهم عليهم السلام في الاحكام وغيرها . ولا ينفك العلماء - ولا يزالون - يبحثون في كنوزها وخزائنها عن حكم الله تعالى ، اقامة لدينه واحياء لشريعته .

واهتم جمع من العلماء - الى جانب هؤلاء - بتصحيح الاسانيد وبيان أحوال رجال السند ، والجمع بين الاخبار المتخالفة من حيث الدلالة وتوضيح جهات الصدور فيما لا يمكن الجمع الدلالي .. فكثر شراح الاحاديث ومؤلفو كتب الرجال؛

مع ما فى هذه الامور من الاتعاب الكثيرة ؛ لقلة المنابع وكثرة الموانع . .

واقتضت كثرة الشؤون المتعلقة بالاحاديث وتراكمها وماتستلزمها من الجهود الجبارة ، أن اشتغل العلماء بها عن التفكير فى وضع فهرس فني دقيق عام للاخبار المروية فى تلك المجاميع المعتبرة ، مع انه المرشد الضرورى لمن يريد الاطلاع على حديث يخص قصده ، بحيث لا يصده عن انجاح مقصده صرف الوقت فى تحصيل الحديث المقصود . وكم من حبر خبير وافاه التوفيق فأفنى عمره حتى استطاع - بعد التتبع الوافى والضبط التام - من الالمام بأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام فى الكتب الاربعة وغيرها ؛ ومع ذلك كثيراً ما كان يعسر عليه الدلالة على موضع حديث ذكر فى غير بابه، ولقد شكى من هذه المعاناة الكثير من المحققين واقطاب الفضيلة ورجال العلم، بل كل من أراد الكشف عن حديث فى تلك المجاميع المعتبرة ، فانها غير منسقة على الوجه الاكمل ، وغير موحدة فى الموضوعات بدقة، بل تجدها متداخلة متشابكة ؛ فكثيراً ما يكون حكم من أحكام الصوم - مثلا - فى حديث يعرض حكماً فى الديات ، أو على العكس من ذلك ، وهذا مما يكلف الفقيه والمتتبع جهداً بالغاً حتى يتمكن من الوقوف على الضالة المنشودة .

* * *

وهكذا كان كل من يهمه الامر ، يترقب أن يقوم شخص من النابهين المحققين بتحقيق ذلك ، وممن أدرك هذه المشكلة هو سماحة السيد محمود الموسوى الدهسرخى، فسنح بخاطره اشغال هذا الفراغ فى المكتبة الاسلامية ، فبادر بوضع كتاب مرشد يسهل به الوصول الى الاحاديث الواردة فى الكتب الاربعة من عدة مسارب ، وقام بالعمل فيه سنين متمادية بالجد المتواصل والجهد المداوم، وبذل غاية جهده فى تنقيحه حتى بلغ منتصف الكتب الاربعة، وهكذا باشر بطبع موسوعته فبرزت الى الاسواق فائقة الامال المترصدة ، اذ انه لم يقتصر فى فهرسه هذا على الاشارة الى الاحاديث من مادة واحدة ، بل أشار اليها - تارة - بواسطة الراوى بلا واسطة عن الامام عليه السلام، و - اخرى - بالكلمة الاولى من الحديث ، و - ثالثة - بالكلمة الثانية ، وربما

بالثالثة ، وجمع بذلك الأخبار المروية فى الكتب الاربعة فى مؤلفه ، فجاء فهرسه مفتاحاً للكتب الاربعة وكتاباً لاخبارها ، بستغنى الفقيه به عن غيره غالباً .

وقد استطاع أن يوفر ـ بذلك ـ جهد الفحص والتنقيب على رواد أحاديثنا ، وان ينوء بجهدهم هذا بمفرده . وهو أمر لم يسبقه اليه سابق خلال الموسوعات الكبرى .

* * *

لم يقتصر فى فهرسه هذا على الاشارة الى الاحاديث من مادة واحدة ، بل أشار اليها من عدة مسارب :

١ ـ الموضوع حسب العنوان الخاص ، لا العام ، وفيه حسب ترتيب حروف الهجاء أيضاً ؛ ففى موضوع «الاحرام» الرجوع الى مادته لا الى «الحج» ، وهكذا «التلبية» ، واذا كان موضوع الحديث «النفاس» مثلا لزم الرجوع الى حرف «النون» ، واذا كان موضوع الحديث «اعانة المؤمن» لزم الرجوع الى حرف «الألف» بالنظر الى كلمة «الاعانة» الذى هو مصدر «أعان» والى حرف «الميم» بالنظر الى كلمة «المؤمن» باعتبار كونه موضوعاً أيضاً .

ويقول المؤلف هنا : «كان بنائى على الاختصار وعدم ذكر تمام الحديث فى الموضوع ، ثم بدا لى ان أذكر تمام الحديث فى كل موضوع ، حتى لا يحتاج المراجع الى هذا الكتاب بعده الى مراجعة «الكتب الاربعة» بالنسبة الى متن الحديث ، وان كان من جهة السند محتاجاً الى ذلك ، وقد طبع الجزء الاول من الكتاب على البناء الاول ، فالتزمت أن أذكر ما فاتنى فيه من تمام الحديث فى موضوعه العام أو الاخص بعد هذا .

ولا يخفى انى جعلت «الموضوع» أهم طرق مراجعة الكتاب ، فأحلت تمام الحديث عليه فى سائر الطرق ؛ فاذا قلت فى حرف «الراء» : «رب فقير أسرف ـ انظر الاسراف» فمعناه لزوم المراجعة الى مادة «الاسراف» من الكتاب نفسه لتمام الحديث ، واذا قلت : «رجل مات وترك ستة ـ انظر الارث» فمعناه لزوم المراجعة

الى مادة «الارث» من الكتاب نفسه ، وهكذا .فالاحالةلا تكون الاالى الكتاب نفسه».

٢ الراوى الاخير عن الامام عليه‌السلام ؛ فاذا كان الراوى الاخير «زرارة»لزم الرجوع الى حرف «الزاى» واذا كان «سماعة بن مهران» لزم الرجوع الى حرف «السين» لان «سماعة» هو الراوى الاخير المتصل بالامام لهذا الحديث . فالمراد بالراوى الاخيرهو الذى يروى عن المعصوم مباشرة وقدصرح باسمه فى سندالحديث، ولا عبرة بالواسطة ان لم يصرح باسمه ، سواء أهمل ذكره رأساً، ام عبر عنه بلفظ مبهم «كبعض أصحابنا» أو «عن رجل» او «عن أبيه» . واذا كان الحديث هكذا : « . . عبيد بن زرارة ، عن أبيه . عن أبى عبدالله عليه السلام . . » فالراوى الاخير هو «عبيد بن زرارة» لا «زرارة» اذ لم يصرح به فى السند. واذاكان الاسم المذكور فى السند : «عبدالله بن سنان» فالرجوع الى «العين» واذا كان «ابن سنان» فالالف، وهكذا .

وأما اذا كان الحديث مرسلا ولم يذكر أحد من رواته أصلا ؛ كما اذا كان هكذا : «روى عن أبى عبدالله»او «قال الصادق» فلا يمكن استخراج الحديث بهذا الطريق .

٣ ـ الحرف الاول والثانى والثالث من الكلمة الاولى أو الثانية أو الثالثة من نصوص الاحاديث ؛ فان كان نص الحديث من كلام الامام عليه‌السلام فقط ؛ لزم الرجوع الى الحرف الاول من الكلمة الاولى منه وان كان متن الحديث مؤلفاً من كلام الراوى وكلام الامام ؛ لزم الرجوع الى الحرف الاول من الكلمة الاولى من مقول قول الراوى .

وانما يردد المؤلف المراجعين بهذه الطريقة ـفى الكلمات ـبين الكلمةالاولى والثانية والثالثة ؛ لانه استثنى من الكلمات ماكان يكثر وروده فى أوائل الاحاديث غالبا ؛ فحينئذ يجعل الرجوع الى اول حرف من الكلمة الثانية او الثالثة . كمانه يجعل ما يتقدم متن الحديث من لفظ «سألته» ومايرادفه خارجاً عن المتن أيضاً ؛ فاذا كان الحديث هكذا :

«قال : سألته عن الرجل يكون لامرأته عليه صداق . . » جعل أول كلمةمنههو لفظ «عن الرجل» . وكذلك اذا كان الحديث هكذا : «قال: كتبتالىابىجعفر(ع): أن اسحاق بن ابراهيم وقف ضيعة على الحج . . » جعل أول كلمة منه هـو : « ان اسحاق بن ابراهيم . . » وكذلك لايعتنى بكلمة « ان » لانه يكثر وروده فى أوائل الاحاديث ؛ ففى قوله عليه السلام : « ان أسماء بنت عميس نفست بمحمد بن أبى بكر . . » يحول على حرف «الالف» بالنظر الى كلمة «أسماء» ولا يعتنى بـ «ان». وكذلكلايعتنىبكلمة «رجل»مفرداً،ونحوه،لانهيكثر ورودهفى أوائل الاحاديثجداً.

وقد أرفق المؤلف كل جزء من أجزاء كتابه بقائمة ، فهرس فيها أسماء مـن ورد اسمه فى ذلك الجزء من الكتاب ،فاذا لميكن راوياً كتب بازائه رقماً واحداً دليلا على صفحة الكتاب التى ورد فيها ذكره ، واذا كان راوياً كتب ازاءه رقمين: الثانى دليل على الصفحة ،والاولدليل علىمجموع عدد رواياته فى«الكتبالاربعة» فمثلا : ذكر فى فهرس الجزء الاول من كتابه : « أبا الصباح الكنانى» ووضعفى يساره رقمين : الاول :(١٣٥) وهو دليل على أن«أبا الصباح الكنانى» من«الرواة» وله فى مجموع « الكتب الاربعة » : (١٣٥) حديثاً مباشراً .

ولا يخفى مافى هذا العمل القيممن التيسير على أقطاب الفضيلة ورجال العلم، ممن يعانون مشكلة الكشف عن الاحاديث فى هذه الكتب . وفق الله المؤلفلاتمام عمله وانجاز باقى الاجزاء ، ليتم هذا المشروع الجليل (١) .

---

(١) وقد انجز المؤلف جميع أجزاء الكتاب ــ وهى أربعون جزءاً ــ قبل تبييضه للطبع، وقد تم لحد الان تبييض عشرين جزءاً منه ، وطبع منه لحد الان ستة أجزاء ، والمجلد السابع تحت الطبع و سيتم قريباً .

وللمؤلف على الكتاب تعاليق وهوامش وملاحظات فى مقابلة الروايات و الاحاديث بعضها ببعض واختلاف نسخها ، و توضيح بعض الكلمات الغامضة .

الشيخ آقا بزرك الطهراني

محمد رضا حكيمي

ترجمة : مرتضى مرتضى

٢

آثاره العلمية :

وهنا تنبغي الاشارة الى ان الشيخ آقا بزرگ كان من أكثر علماء المسلمين نشاطاً وعملا فى القرن الرابع عشر الهجرى ، وان هناك عاملين اثنين قد ساعداه على ذلك : أحدهما طول عمره والاخر جديته فى العمل .

وقد ساعده هذان الامران على ان يترك بعده مجموعة من التأليفات الاسلامية تعد من أكبر المجموعات المؤلفة فى هذا القرن . . وليس غرضنا فى هذا المقال القصير ان نحيط بكل ما خلف من آثار علمية فان ذلك لا ينهض به كتاب كبير الحجم ، وانما المقصود هو الذكرى فقط بمناسبة مرور خمس سنوات على وفاة فقيد العلم والفضيلة واداء بعض ماله من حق دينى وعلمى واجتماعى وثقافى.. وانه لينبغي حقاً تأليف كتاب يبحث فى مختلف جوانب حياته ويكشف عما كان يمتلكه من روح علمية ، وعظمة ، وجد واجتهاد ، وفضائل نفسية كما يبحث فيه عن أهمية

الآثار التى خلفها . نظير ما فعل الاستاذ عبدالرحيم محمدعلى (عضو رابطة الادب الحديث فى القاهرة) حيث الف كتاباً بعنوان (شيخ الباحثين آغا بزرگ الطهرانى) طبع فى مطبعة النعمان فى النجف الاشرف سنة ١٣٩٠هـ . وقد استعنت به كثيراً فى كتابة هذا المقال .

وكما اسلفت فانني لااريد ان أطيل الكلام والبحث فى آثار الشيخ وانما اكتفى بالاشارة العابرة . . فقد ترك رحمه الله من المؤلفات مايقرب من خمسة و عشرين كتاباً تزيد على مائة مجلد اكتفى بذكر كتابين كبيرين منها ثم اذكر بعد ذلك كتاباً آخر لايزيد عن مجلد واحد ؛

١ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة:

الذريعة الى تصانيف الشيعة اسم أحد اثرين كبيرين خلفهما الشيخ رحمه الله. . . وهو فهرست كبير لما الفه علماء الشيعة طوال أربعة عشر قرناً من الزمان. ويقع فى ثمان وعشرين مجلداً أو ثلاثين وقد طبع منه حتى الان اثنان وعشرون مجلدا . وقد تحدث عنه صاحب ريحانة الادب ضمن حديثه عن الشيخ آقا بزرگ الطهرانى فقال :

من الواضح ان الاحاطة بمصنفات الشيعة مع تشتتها وتمزقها فى جميع انحاء العالم فى البيوت والمكتبات العامة والخاصة والرسمية وغير الرسمية فى كل مدينة وقرية هو من الامور المستحيلة عادة .

ولكن علامة وقته وبدافع من قوة دينه وحرصه على خدمة الاسلام اولى هذا الامر أهمية خاصة وبذل كل ما يقدر عليه من المساعى الحميدة من أجل تحقيق ذلك ، فكان تارة يسافر واخرى يسأل المكتبات العامة وثالثة يراجع فهارسها ورابعة يرسل الرسائل المتوالية الى كثير من المناطق النائية، الى غير ذلك مما كان يبذله من جهود جبارة تقتضيها طبيعة هذا العمل الكبير. وأصبحت كل طبقات أهل العلم مدينة لهذه الزحمات والجهود فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

ريحانة الأدب ج ١ ص ٢٢

وقد بلغ هذا الكتاب من الضخامة بحيث لو أن الذى أشرف على تأليفه كان واحدة من تلك المؤسسات الكبيرة التى كلفت اشخاصاً عديدين للعمل سنوات متواصلة ى انجازه لكانت قد ملات الدنيا ضجيجاً وصراخاً للتعريف بما انتجته، أما والمؤلف نو هذا الرجل الذى كان يعيش حياة تقشف وزهد وينزوى فى بعض الزوايا غير باحث ن المجد والشهرة فطبيعى جداً أن يبقى كتابه فى طى النسيان .

ولكن عمله العظيم هذا ان دل على شىء فانما يدل على انه قد قرن العلم الايمان والأيمان بالعلم لا يطلب من الناس جزاء ولا شكوراً .

ولا بأس ان يطلع القراء الاعزاء اجمالاً على الأسباب التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب ؛ فقد كتب مؤلف (شيخ الباحثين . .) فى هذا الصدد يقول :

كان الباعث على تأليف الذريعة هو ما ذكره جرجى زيدان المتوفى عام ١٩١٤ عن عمد او عن غير عمد [أنالا اتصور كيف يكون بدون غرض مايصدر عن انسان كجرجى زيدان بما لديه من الاطلاع الواسع وهو يصدر آراءه حول الشيعة وآثارهم] فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) حينما تحدث عن الشيعة فقال ما خلاصته : «الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يذكر وليس لها وجود فى الوقت الحاضر» ؛ فدفع هذا القول بالشيخ آقابزرگ ورفيقه فى العلم السيد حسن الصدر المتوفى عام ١٣٥٤ﻫ والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى ١٣٧٣ﻫ ان يتعاهدوا ويأخذ كل واحد منهم على عاتقه بيان جانب من جوانب الثقافة الشيعية الغنية ، والتعريف بالطائفة الشيعية ، ويردوا كلام هذا الكاتب المعرض الى فيه .

وقد تقرر ان يبحث العلامة السيد حسن الصدر حول الآثار العلمية الشيعية وبيان فضل الشيعة وسهمهم الوافر فى تأسيس علوم الاسلام. وظهرت ثمرة هذا البحث فى كتابه (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) . الذى طبع بمساعدة الشيخ آقا بزرگ سنة ١٣٧٠ ﻫ فى ٤٤٥ صفحة .

أما العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فقد تقرر ان يكتب نقداً لكتاب جرجى زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية) ويكشف عن كل اشتباهاته.

وقد نفذ رحمه الله هذه المهمة فكتب نقداً علمياً جامعاً للكتاب بمجلداته الاربع وأرجع اشتباهاته كلها الى اصولها والفت نظر المؤلف الى كل ما وقع فيه من اغلاط بما فى ذلك الاغلاط الاملائية .

ولكنه ـ رحمه الله ـ في نفس الوقت وعملا بالاية الشريفة (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) لم يبخس المؤلف حقه واثنى عليه لما بذله من جهدفى تأليف الكتاب . وقد طبع نقد الشيخ كاشف الغطاء للمرة الثانية فى (بوينس آيرس) وأثار ضجة كبيرة فى الاوساط العلمية آنذاك. وعندما كتب القس (انستاس ماري الكرملي) نقده لكتاب جرجي زيدان اعتمد كثيراً على كتاب الشيخ كاشف الغطاء دون ان يذكر اسم المؤلف أو الكتاب كمصدر

وأما الشيخ آقا بزرگ فقد تعهد ـ من بين هؤلاء الثلاثة ـ ان يكتب فهرستاً يجمع فيه اسماء كل مؤلفات الشيعة .

(شيخ الباحثين) صفحة ١٩ - ٣٠ طبع النجف

وهكذا نهض هؤلاء الرجال المخلصون للدفاع عن أركان الفضيلة والحق، والع بكل جهد واخلاص على بيان الحقائق لكي لا تبقى حقوق أمة بكاملها منسية ومه ولكي لا يتركوا عذراً للكتاب المغرضين ليكتبوا كما يشاؤون .

واشتغل أحدهم مدة ٦٠ سنة متواصلة فى تأليف كتاب يبلغ ٣٠ مجلداً، وض ما بين خمسين الى ستين ألفاً من مؤلفات الشيعة فى مختلف العلوم والفنون .

وكنت قد كتبت مقالا فى المجلد الاول من (ذكرى العلامة الامينى) ت عنوان (أربعمائة كتاب فى التعريف بالشيعة) تحدثت فيه عن كتاب الذريعة الذى منه حتى الان اثنان وعشرون مجلداً . وللمزيد من الاطلاع على ما تحتويه المجلدات راجع الكتاب المذكور (ذكرى العلامة الامينى) .

٢ ـ طبقات أعلام الشيعة :

يبلغ هذا الكتاب أيضاً ثلاثين الى اثنين وثلاثين مجلداً ويبحث فى أ آثار علماء الشيعة منذ القرن الرابع الهجرى وحتى القرن الرابع عشر .

وحينما كان الشيخ يتتبع خلال عشرات السنين في المكاتب العامة والخاصة ويبحث في آلاف من مجموعات الكتب الخطية للعثور على أسماء كتب ومؤلفات الشيعة واوصافها ومميزاتها ليدون ذلك كله في كتابه (الذريعة) كان في نفس الوقت يدون اسماء مؤلفي الشيعة وشعراءهم وأحوالهم في اوراق خاصة ثم جمعها كلها في كتاب سماه (طبقات أعلام الشيعة).

وقد بدأ الشيخ الكتاب بأعلام القرن الرابع بعد أن وجد ان كتب الرجال تبحث عن أعلام القرون الثلاثة بتفصيل واسهاب .. وطبع منه ستة مجلدات في حال حياة المؤلف، اثنان منهما في أعلام القرن الثالث عشر والاربعة الاخرون في اعلام القرن الرابع عشر وقسم من أعلام القرن الخامس الهجري حيث بحث في أحوال الشيخ الطوسي تحت عنوان (حياة الشيخ الطوسي).

وقد بدأ الان باعادة طبع هذا الكتاب القيم بشكل جيد ودقيق واخراج ممتاز وقد بدأ في هذه الطبعة من الكتاب من القرن الرابع (نوابغ الرواة) ووصل -حتى الان- الى القرن السادس (١).

ومن المناسب هنا ان ننقل هذه القصة لنتعرف بشكل أفضل على العلماء المحققين ولانها قد تبعث الايمان والامل في نشأة الشباب الباحث عن العلم والفضيلة. يقول الاستاذ عبد الرحيم:

أخبرني الخطيب الفاضل الشيخ محمد اليعقوبي صاحب كتاب (البابليات) انه في آخر سفر له الى لبنان سنة ١٣٧٥ هـ وبينما كان ذات يوم جالساً في مكتبة العرفان لصاحبها (ابراهيم الزين) جاء شخص فجأة وسألني هل أنت الشبيبي؟ قلت كلا انا اليعقوبي، قال: شكراً لله فأنا منذ مدة أبحث عنك لانني قد أوردت اسمك مرات عديدة في كتابي (مصادر الدراسة). والان اريد أن أسألك عن صاحب الذريعة هل هو حي؟ قلت: نعم قال: هل يمكن رؤية هذا الرجل العظيم؟ قلت: كيف لا يمكن وباب داره مفتوح من الصباح حتى المساء في وجه الطلاب، مضافاً الى انه يخرج من بيته ثلاث مرات في كل يوم لاجل صلاة الجماعة ؟!

ولم يكن السائل الذى كنت اتحدث معه سوى المحقق المسيحى المعروف الدكتور يوسف أسعد داغر البيروتى الذى اعجب بهذه الشخصية العظيمة وكان يتصور أن رؤية شخص كالشيخ آقا بزرگ أمر غير عادى وغير ممكن بهذه السهولة واليسر ويتخيل انه لابد وان يكون على باب داره حاجب وبواب و . . وانما أوردت هذه القصة لكى الفت النظر الى مقدار ما يتمتع به الشيخ آقا بزرگ فى خارج النجف وفى بقية المراكز العلمية من سمعة كبيرة ومقام شامخ لدى المحققين والعلماء من سائر المذاهب والملل .

شيخ الباحثين ٣٠ - ٣١

٣ هدية الرازى الى المجدد الشيرازى :

الف الشيخ هذا الكتاب للتعريف بالمرجع الاكبر للشيعة فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى الميرزا محمد حسن الشيرازى المعروف (بالميرزا الكبير) و (الميرزا الشيرازى) .

ويقول الأستاذ عبد الرحيم فى حديثه عن هذا الكتاب :

تحقيق قيم حول حياة المرجع الاكبر امام الشيعة فى عصره الميرزا محمد حسن الشيرازى (١٢٣٠ - ١٣١٢) هـ ، الشخصية النادرة ، الذى كان له فى قضية امتياز التنباك المعروفة اثر فعال . وخلاصة القصة هى ان ناصر الدين شاه منح احدى الشركات الانجليزية امتياز التنباك فى ايران مقابل رشوة تبلغ ١٥ ألف جنيه فى السنة بالاضافة الى ربع ارباح الشركة لكى يستطيع بذلك الاستمرار فى حياته الخليعة ولذائذه . فشعرت الامة بأنها قد سلبت كل امكاناتها ومقدراتها ولم يبق فى يدها شىء، واخذدمها يغلى للدفاع عن شرفها وحقها فى الحياة. ووصلت اخبار كل هذه الحوادث المؤلمة الى الميرزا الشيرازى بواسطة رسالة ارسلها اليه السيد جمال الدين الافغانى .

فأصدر الميرزا فتواه الشهيرة في تحريم التنباك ؛ فأصبح الامتياز عديم النفع واضطرت الحكومة القاجارية الى الغائه . . وكان الميرزا الشيرازى بالاضافة الى قدرته الشخصية ونفوذ كلمته فى المجتمع وتأثيره العجيب في قلوب الامة احد كبار العلماء في عصره . كما انه ربى طائفة كبيرة من العلماء و المجتهدين الذين تتلمذوا عليه .

شيخ الباحثين ص ٢٤

ثم ينقل المؤلف المذكور قضية تكشف عن مدى كرم اخلاق الميرزا وعظمة نفسه وتضحياته وذكائه السياسي والديني فيقول :

نقل لى أحد الاصدقاء الموثوقين قضية بهذا المضمون : كان شخص من أهل سامراء يضمر - لبعض الاسباب العاطفية - البغض للميرزا الشيرازى ويحقد عليه ؛ فعمد الى ابنه الاكبر (الميرزا محمد الشيرازى) فضربه ضربة شديدة ادت الى وفاته ؛ فالتزم والده الميرزا الصمت ازاء ذلك ولم يظهر منه أى رد فعل ، والفتت هذه الحادثة انظار اعداء الاسلام آنذاك فحاولوا ان يستغلوها وان يستفيدوا منها في سبيل ايجاد الفتن بين المسلمين. ومن اجل هذه الغاية ارسلوا وفداً الى سامراء فقابل الميرزا الشيرازى وقالوا بأنه لا ينبغي السكوت على قتل ولده وطلبوا منه اصدار الاوامر باتخاذ الاجراءات اللازمة وابدوا استعدادهم لتنفيذ تلك الاوامر. فزجرهم الميرزا بشدة وقال : أريد أن تفهموا انه ليس لكم الحق فى التدخل بالقضايا المتعلقة بنا نحن المسلمين وبوطننا . وان هذه الحادثة هى أمر عادي جداً وقعت بين اخوين .

فخرجوا من مجلسه لا يلوون على شيء بعد أن أدركوا فشل مخططهم . . ووصلت اخبار هذه المقابلة الى الباب العالي في اسطنبول فأعجب الخليفة العثماني بذكاء المرجع الشيعي وحكمته وسر كثيراً بتصرفه الحكيم وأصدر أوامره الى والي بغداد للقيام بمقابلة الميرزا شخصياً وابلاغه شكر الخليفة على التصرف وان يعتذر اليه عن وقوع الحادث الاليم ويعرب له عن اسفه الشديد .

شيخ الباحثين ص ٤٢ - ٤٣

وقدطبع كتاب (هدية الرازى) فى ١٨٧ صفحة من القطع الرقعى فى مطبعة الادا في النجف الأشرف سنة ١٣٨٦ . وقسمه المؤلف الى خمسة فصول:

الفصل الاول : من صفحة ١٤ الى ٢١ فى تاريخ ولادة الميرزا الشيرازى ودراسته وهجرته الى سامراء ووفاته .

الفصل الثانى : ٢٢ - ٤٥ فى ذكر بعض اوصافه واخلاقه ومواهبه وسيرته .

الفصل الثالث : ٤٦ - ١٧٢ فى ذكر جمع من طلابه الذين تربوا على يد ووصلوا الى رتب عالية من العلم والعمل والتأليف والخدمات الدينية والقيادة الاجتماعية والتعمق فى فهم الحوادث وادراكها .

الفصل الرابع : ١٧٣ - ١٨٦ فى ذكر بعض خواص أحواله وقدراته الروحية

الفصل الخامس : ١٨٧ فى ذكر آثاره .

وقد اورد المؤلف فى الفصل الثالث ترجمات مختصرة لـ ٣٦٠ شخصاً م تلامذة الميرزا وفيهم كبار العلماء من الذين تربوا على يديه. ومن خلال استعراض لهذه الأسماء نعثر على اسماء لامعة جداً نذكر بعضها مع تاريخ وفاة كل واحد منهم:

١ ـ الحاج ميرزا اسماعيل الشيرازى المتوفى ١٣٠٥ هـ .

٢ ـ الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانى المتوفى حوالى ١٣١٧ هـ .

٣ ـ الاخوند ملا فتح على سلطان آبادى الاراكى المتوفى ١٣١٨ هـ .

٤ ـ الحاج ميرزا حسين النورى المحدث والرجالى المعروف المتوفى ١٣٢٠ هـ

٥ ـ السيد اسماعيل العقيلى النورى صاحب كتاب (كفاية الموحدين المطبو فى أربع مجلدات) المتوفى ١٣٢١ هـ.

٦ ـ الحاج آقا رضا الهمدانى الفقيه المعروف المتوفى ١٣٢٢ هـ .

٧ ـ السيد مرتضى الكشميرى المتوفى ١٣٢٣ هـ .

٨ ـ الحاج ميرزا حبيب الله الموسوى الخوئى صاحب شرح نهج البلاغة ١ مجلداً المتوفى حوالى ١٣٢٦ هـ .

٩ ـ الحاج شيخ فضل الله النورى المتوفى ١٣٢٦ هـ .

١٠ ـ الحاج ميرزا حبيب الخراسانى العالم المشهور وصاحب الديوا

١١ ـ السيد عبد الله البهبهانى أحد زعماء المشروطة المتوفى١٣٢٨ﻫ .

١٢ ـ الاخوند ملا محمد كاظم الخراسانى المتوفى ١٣٢٩ﻫ.

١٣ ـ الحاج شيخ حسن على الطهراني وهو الذى كان يقرأ فى كل يوم مقداراً من نهج البلاغة بطلب من الميرزا نفسه (هدية الرازى ص ٨٧). المتوفى ١٣٣٠ﻫ.

١٤ ـ الحاج سيد أحمد الكربلائى العالم الاخلاقى المعروف المتوفى ١٣٣٢ﻫ.

١٥ ـ السيد محمد كاظم اليزدى (المرجع المشهور) المتوفى ١٣٣٦ ﻫ .

١٦ ـ السيد اسماعيل الصدر المتوفى ١٣٣٧ ﻫ

١٧ ـ الميرزا محمد تقى الشيرازى (الميرزا الثانى) صاحب الفتوى المعروفة فى محاربة الاستعمار البريطانى فى العراق المتوفى ١٣٣٨ﻫ .

١٨ ـ الحاج السيد على السيستانى المشهدى المتوفى ١٣٤٠ ﻫ .

١٩ ـ السيد محمد الطباطبائى (أحد زعماء المشروطة) المتوفى حوالى ١٣٤١ﻫ.

٢٠ ـ الحاج شيخ محمد على فاضل (المعروف بالحاج فاضل الخراسانى) المتوفى ١٣٤٢ ﻫ .

٢١ ـ السيد حسن الصدر صاحب المؤلفات الكثيرة والتى من جملتها (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) المتوفى ١٣٥٤ﻫ .

٢٢ ـ الحاج شيخ عبدالكريم الحائرى (مؤسس الحوزة العلمية فى قم) المتوفى ١٣٥٥ ﻫ .

٢٣ ـ الحاج ميرزا على آقا الشيرازى الفقيه المعروف (وهو ابن الميرزا) المتوفى ١٣٥٥ ﻫ .

٢٤ ـ الحاج شيخ على أكبر النهاوندى المشهدى المتوفى ١٣٦٩ ﻫ .

كانت هذه خلاصة مختصرة عن حياة وآثار العلامة الكبير قليل النظير خادم الدين والمجتمع وناشر العلم والفضيلة الشيخ آقا بزرگ الطهرانى رحمة الله عليه وقد كتبتها بمناسبة مرور خمس سنوات على وفاته. والسلام على من يخدم الحق لذات الحق

---

(١) لزيادة الاطلاع على هذا الكتاب والتعرف عليه راجع المجلد الاول من كتاب (ذكرى العلامة الامينى) ص ٥٤٩ ـ ٥٥١

منزلة العقل في فلسفة أبي بكر الرازي

الدكتور
عبد اللطيف محمد العبد
القاهرة

كانت الري موطن ميلاد أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي عام ٢٥٠ ﻫ ، وتوفي ببغداد عام ٣١٢ ﻫ ، بعد حياة عامرة بالجد ، وحافلة بالمعرفة . فقد كان في الطب جالينوس العرب ، وفي الفلسفة فيلسوف الاسلام .

وقد اعتبر الرازي ممثلا للاتجاه المنهجي المقنن للدراسات الأخلاقية ، ويمكن اعتباره مصلحا اجتماعيا ، الى جانب كونه عالما وفيلسوفا .

وهو يحذر من اتباع الهوى ؛ لأنه بمنزلة المبدأ لاصلاح الأخلاق ، حيث يقول في الطب الروحاني ص ٢٠: «ان أشرف الاصول ، وأجلها ، وأعونها ، على بلوغ غرض كتابنا هذا ،قمع الهوى ، ومخالفة ماتدعو اليه الطباع من أكثر الاحوال وتمرين النفس على ذلك». وهو شأن الصوفية الذين يرون الهوى كله ضلالة .

وكأنما كان الرازي يأسى لما يدور حوله في المجتمع العباسي من لهوو ملاذ؛ ولذا فقد حارب هذه الظاهرة طبيبا وفيلسوفا ؛ قاصدا اصلاح الفرد والمجتمع . وكان يدرك جيداً أن الانسان لايستطيع ادراك الحقيقة الا اذا جرد عقله من الهوى . ويركز الرازي هنا على أمرين : العقل والهوى ،فالهوى يضر الانسان روحا وجسدا ولن يقمعه الا العقل ، وهذا أشرف الاصول الاخلاقية . ويشترط أن يتم هذا بتدرج؛

حتى تتعود النفس . فهو لايذم الانفعال الانسانى ، لكن يذم فقدان ارادة الانسان ازاءه . ويلتقى علم النفس الحديث اليوم ، مع رأى الرازى ؛ حيث اثبت امكان تعديل الغرائز الطبيعية بالتربية .

ولاهمية العقل لدى الرازى نظر اليه باهتمام ، وأعلى من شأنه فى كل الامور ولم يكن الرازى مقلدا ، بل هو صاحب عقلية متميزة لايهمها السير على الشائع والمألوف.

وترتكز فلسفته فى توصيته بقمع الهوى على تحكيم العقل ، حيث يمجده ،ويعتبره من اعظم نعم الله تعالى ، التى تستوجب الحمد : «لواهب العقل الحمد ، بلانهاية كما هو أهله ومستحقه» .

وقد جهر الرازى بهذا الفكر فى وقت ظهر فيه المتزمتون والغلاة من رجال الدين والفرق .

ولم يكن هذا كله بمانع من ظهور الرازى وغيره ، من أعلام الفكر الحر ، الذين يعتزون بالعقل ، ويجعلونه الأداة الوحيدة للمعرفة ؛ مما كان سببا فى ازدهار العلوم الاسلامية .

ولم يرفض الصوفية جميعاً مساهمة العقل فى تحصيل المعرفة ، بل رأوا ضرورة استضاءته بالايمان . ومن ذلك دفاع التسترى عن العقل دفاعا حارا ؛ مما أثار انتقاد ابن عربى له .

وقد جعل الرازى العقل بمنزلة المبدأ لكل كلامه فى موضوعات الطب الروحانى ؛ لانه اصل لها . وفى ذلك تقدير منه للانسان ؛ حيث انه لايفرض عليه اصلاحا غير مستساغ فى العقل . وهو يذكر الانسان بان اول مافضله الله تعالى به على الحيوان انما هو العقل . وهو ملكة الارادة التى لاتطلق الفعل الا بعد روية : فالحيوان واقف عندما تدعوه اليه الطباع ، دون اقتناع منه ولا ترو . لكن الانسان يترك ذلك ، ويقهر طبعه عليه ؛ لمعان أدبية ، وهى ايضاً يمكن وصفها بأنها معان عقلية ، وهو مايختلف باختلاف عادات الامم وتقاليدها ، ويرجع فى الغالب الى التأديب والتعليم .

وليست الارادة هنا عنادا ، لكنها منهج ، كما أن الرازى ليس جبريـا ؛ ا
الجبرى لايؤيد القول بحرية العقل ، وقدرته على الادراك .

ومن محاسن فكر الرازى ، أنه لفت الانسان الى طاقة كامنة فيه ، تكون مصد
لسعادته ، لو أنه أحسن استخدامها ؛ فللعقل التأثير الاول فى الافعال ، كما نص ء
النفس الحديث ، وان الخلق قوة احتياطية للمرء تنفعه وقت الشدائد أما الانحط
النفسى فانه يقتل فيه العزة والكرامة .

واذا كان العقل هو الذى جعل الانسان مفضلا على الحيوان غير الناطق ، ف
بواسطة هذا العقل ملك الحيوان وساسه ، وصرفه فى الوجوه التى تنفع كلا م
من الانسان والحيوان . يقول الرازى فى طبه الروحانى ص ١٧ - ١٨ :

«ان البارىء - عز اسمه - انما اعطانا العقل ، وحبانا به ؛ لننال ونبلغ به
المنافع العاجلة والآجلة ، غايةمافى جوهر مثلنا نيله وبلوغه . وانه اعظم نعم الله ع
وانفع الاشياء لنا ، واجداها علينا ؛ فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق ، ح
ملكناهاوسسناها وذللناها وصرفناهافى الوجوه العائدةمنافعهاعليناوعليها. وبالفعل أدر
جميع مايرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل الى بغيتنا ومرادنا ، فانا بال
أدركنا صناعة السفن واستعمالها ، حتى وصلنا بها الى ماقطع وحال البحر دون
ودونه ، وبه نلنا الطب الذى فيه الكثير من مصالح أجسادنا ، وسائر الصناعا
العائدة علينا ، النافعة لنا» .

وهكذا يربط الرازى بين العقل وبين آثاره النافعة . لكنه فى الامور التوقي
لايترك للعقل حريته ؛ حيث تكفل الدين ببيان ذلك . وهو بهذا يختلف عن الاشعر
الذى يجعل العقل آلة للادراك فقط ، ويرى ان الوحى هو مصدر كل معرفة .

والحق انها مبالغة من الاشعرى ؛ فلقد ترك الوحى نفسه بعض المسائل الفر
وطالب العقل بالاجتهاد فيها . فليس الوحى بمانع للعقل أن يكون مصدر معرف
كذلك فان الرازى نفسه لم يمنع ان يكون الوحى مصدر معرفة ؛ فقد صرح بأ

تعالى أوكل الاشياء الجزئية الى الانسان يدبرها ، مما به قوام العالم وقوام المعيشة.

وعند الرازى انآفة العقل الهوى ، وهو المكدر له ، والحائدبه عن سنن الحق والرشد والصلاح . وبذلك يكون الانسان كما يصوره الرازى هو المحكوم بعقله لابهواه أو وجدانه . وهو يوجب تذليل الهوى للعقل ، وجبره على الوقوف عند أمره ونهيه ، وذلك مايتطلبه السلوك الأجتماعى . فاذا كان هذا مقدار خطر العقل وأهميته ، فمن الجدير بالانسان الا يحطه عن رتبته ، ولايجعله وهو الحاكم محكوما ولا وهو الزمام مزموما ، بل يرجع فى الامور اليه ، ويعتمد عليه ، فيمضيها على امضائه ، ويوقفهه على ايقافه ، دون ان يسلط عليه الهوى .

وينتج عن هذا أنه : « اذا فعلنا ذلك صفا ـ العقل ـ لنا غايةصفائه ، واضاءلنا غاية اضاءته ، وبلغ بنا نهاية قصد بلوغنا به ، وكنا سعداء بما وهب الله لنامنه،ومن علينا به ».

فالمعرفة لدى الرازى تنال بالتفكير العقلى ، لابالالهام ، ولا بالكشف الصوفى وقد أوجب علم النفس اليوم ، المحافظة على العقل ؛ حتى لايضعف الضمير. واهتم ديكارت بالعقل الى هذه الدرجة الكبيرة التى نجدها لدى الرازى .

ويرى الرازى أن من حاد عن حكم العقل جرفه الهوى الى الخطيئة والضلال ،وفيه مافيه من ضياع للانسان . وقد حرص تمام الحرص من أجل هذا على التفريق بين العقل والهوى والموازنة بينهما ، ويحذر من تدليس الهوى والتباسه بالعقل ،وهو باب عظيم من أبواب البرهان .

ويؤثر العقل الشيء الأفضل عند العواقب ،ويرى صاحبه ماله وما عليه ، مع تقديم الحجة والعذر الواضح . والهدى بعكس هذا كله ؛ ولذلك ينبغى للعاقل ان يتهم رأيه أبداً فى الامور التى هى له،لاعليه،ويظن به انه هوى لاعقل ، مع استقصاء النظر قبل امضاء اى شيء .

فالمدار على المنفعة هنافى المدى البعيد ، وليس على تطبيق المبادىء فى حياة

الانسان ؛ فالفعل الواحد قد يختلط خيره بشره ، والعقل هو الفيصل فى الترجيح تماما .

ونلاحظ هنا أن الرازى يستخدم الشك المنهجى ، للتثبت من الامور ، وقد سبق كلا من الغزالى وديكارت بذلك وقد نزع الرازى بذلك نزعة فكرية حرة من كل آثار للتقليد أو العدوى ، مؤكدا حق العقل وهو بهذا ينحو منحى تنويريا ؛ مما جعل منه شخصية فكرية من الطراز الاول ، وواحدا من احرار العقول المقتدرين .

ولاغرو بعد هذا ان نرى بعض الباحثين فى فلسفة الأخلاق ، يقتدى بآراء الرازى فى ذلك ، وينقل عنه نصوصا مطولة فى هذا المجال الأخلاقى .

ويرى الرازى أن الطب الروحانى هو الاقناع بالحجج والبراهين فى تعديل أفعال النفوس ؛ لئلا تقصر عما أريد بها ، ولئلا تجاوزه . وقد كونت النفسان الحيوانية والنباتية من أجل الناطقة . وتستعين الناطقة بالغضبية على قمع الشهوانية . فالنفس اذن تكتفى فى مصالح ذاتها بذاتها ، كما ان النفس الناطقة هى - فى رأى الرازى - الانسان على الحقيقة .

وان قوة الاراة ضد الهوى فضيلة يشرف بها الانسان ، ولن يبلغ اقصاها الا الفيلسوف الفاضل ، وبه يرتفع فوق درجات العوام ، كما يرتفع هؤلاء فوق درجات البهائم ، ويمكن ان يتعود الانسان زم الهوى بالتأديب والتعليم ، وان ينشأ الطفل على ذلك مبكرا .

فالوصول الى قمع الهوى فضيلة ، لكنه ليس أمرا سهلا ، ومن رام هذه الفضيلة فقد رام أمرا صعبا ؛ وعليه فان النفس فى حاجة الى تدريب ومجاهدة ، وهذا يختلف باختلاف الاشخاص فى الطباع .

وعلى العاقل ان يردع كلا من الهوى والطباع ، ولا يطلقها : «بعد تثبت و نظر من العاقبة ؛ لانهما يدعوان الى ايثار اللذة الحاضرة ، وعليه أيضاً ان يزن الامور ويتبع الارجح ؛ كيلا يألم ويخسر ، من حيث ظن أنه يلتذ ويكسب .

وعلى الانسان أن يحبس الشهوة متى وجد شبهة ما : فقد يكون في اطلاقها من سوء العاقبة مايؤلمه « ويحمله من المئونة أكثر مما يحتمل والاحسن أيضاً ان يردعها ان تكافأت لديه المئونتان ؛ فالمرارة المنجرعة أهون من المنتظرة ، ولابد من قمع النفس الشهوانية واصلاحها ، قبل تعلم الفلسفة .

ويجب على المرء أيضاً أن لايكون اسيراً لطبعه،والا قد فقد حريته وكرامته، وان أقدر الناس على ذلك هو الفيلسوف ؛ حيث يستطيع قهر طبيعته ، ويحذر من قالة الناس فيه .

وان قمع الهوى واجب في كل حال ؛ تمريناً للنفس . فاذا وقعت في ظروف قاسية ، كان من السهل عليها احتمالها . وكذلك لئلا تتمكن ألشهوات من الانسان؛ بحيث لايمكن مقاومتها ألبتة .

فليست ألاخلاق اذن بالشيء الثابت لدى الرازي، سواء أكانت حسنة ام رديئة. فهي تحدث بعد أن لم تكن ، وهي بالتالي يمكن اصلاحها وتطويرها ، وهذا دليل على نسبيتها . والله سبحانه ولي التوفيق .

لا فقرَ أشدُّ من الجهلِ

ولا مالَ أعودُ من العقلِ

(الرسول الأكرم ص)

لقطات وتعليقات

السيد هاشم نصر الله

«كل يوم تطلع علينا الصحافة الاجنبية بصرعة جديدة . آخـر هذه الصرعات استعمال العرى فى المرأة لاجتذاب الراغبين فى شراء الأشياء الثمينة الغالية السعر.

وآخر ماشاهدناه فى الصحافة الاجنبية حول هذا الموضوع ،اعلان عن سيارة «كورفيت» فقد عمدت صاحبة الشركة الى نشر اعلانات عن السيارة ، تصور فتاة حسناء فاتنة الجمال ، عارية تماماً فى عدة لقطات: صورة عارية الى جانب السيارة ، وأخرى وهى فى مقدمتها ، وثالثة وهى تقودها .

ولاعطاء فكرة عن السيارة وأنها سريعة وخير مايستعمل للسباقـات الكبـرى ، نشروا صوراً لفتاة عارية وهى تلبس قبعة ونظارات خاصة بسواق سيارات السباق الدولى .

وهذه بعض الصور التى نشرت حول الموضوع ... واسم الفتاة العارية ماريتان تريستر ...(١)

الغريب فى الامر ، ان المجلة الموقرة التى نقلت لنا هذه اللقطة ، وجعلت لها مصداقاً حياً بالصور الملونة قد غابت عنها صرعات الصحافة العربية المتفوقة نسباً على صرعات الصحافة الاجنبية ، بالاضافة الى نسيان النفس وانتقاد الغير لحاجة فى نفس يعقوب .

ونحن مازلنا نؤكد ـلقارئنا الكريم ـ المخططات الذكية المدروسة التى تنفذها ادارات تحرير المجلات العربية ـ كادارات مجلة الكامير وغيرها ـ متخطية صرخات الضمير وقيمه ، ومتجهة باخلاص شطر كعبتها ـ المادة ـ وكعبة أسيادها . .

وعلى هذه الصفحات القليلة ، وفى هذه العجالة نسجل ونقول بكل جرأة أن هذه المجلات وما شابهها يجب أن تعدم من مجتمعاتنا العربية والاسلامية ـ أوعلى الاقل ـ ان تبدل محتوياتها بما يخدمنا ويخدم قضايانا العادلة !

فنحن بكل صراحة بحاجة الى مجلات صادقة ، وصحافة حرة ، تذكر شبابنا بأرض ترزح تحت الاحتلال منذ اكثر من ربع قرن ، لا الى مجلات تجعل شبابنا لايعيش الا الجنس ، وفتياتنا لايفكرن الا به هذا ما اردنا قوله ،وعلى القارىء التفكير والمقبة ..

□ نيويورك : يشرب الشباب والفتيات فى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين سن ١٣ و١٥ خموراً بما قيمته ٢٥ ألف مليون دولار سنوياً .

جاء ذلك فى تقرير اصدره المعهد الوطنى لدراسة الخمور فى أمريكا ،وذكر التقرير أن ٦٣ فى المئة من الصبية الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٢ و١٣ سنة يشربون الخمور بصفة دورية ، بينما تصل نسبة الفتيات فى نفس السن الى ٥٤ فى المائة..

وقد القى التقرير اللوم على الاباء لتشجيعهم أولادهم على شرب الخمور.(٢)

لبت النتيجة تقف عند هذا الحد ! فالمشكلة أدهى من كل ذلك ؟ اذ انها أصحت عادة لايمكن تغييرها فى مجتمع بلغ أوج الحضارة ـ كما يزعم ـ وهذه العادة سوف تبقى مستمرة عند كل جيل مادام ديدن الاباء هو تشجيع الابناء على الشرب بدلا من النهى والتحذير .

ولعل هذا مادعى أحد المسؤولين فى الولايات المتحدة الامريكية الى الاعراب عن خوفه على مستقبل بلاده اذ يستحيل تسليم الادارات والمراكز الحساسة هناك الى شباب لايعرف الا الخمرة والعربدة والمخدرات واذا كان الامر كذلك فلماذا لا تصدر الهيئات التشريعية قراراً بمنع تعاطى هذا المشروب ، حتى نعضده الهيئات

التنفيذية ، كالقرارات الصادرة فى منع تعاطى الافيون والمخدرات ؟ ؟

ولماذا تنصرف الدول الكبرى الى خلق المشاكل العالمية والدولية ، تارة في الشرق الاقصى ، وأخرى فى الشرق الاوسط ؟ الحرى بها ان تنصرف الى حل مشاكلها الداخلية فتريح حينئذ شعبها من أزمات الحضارة وعيوبها . . .

فلنأخذ العبرة والعظة من غيرنا ، ولتكن ادارات الاقتصاد فى عالمنا الاسلامي فى حذر من استيراد الكميات الكبيرة من المشروبات الجهنمية ، التى اطلقت عليها حضارتنا المعاصرة المشروبات الروحية تزييناً منها لهذا الميكروب ، وتجميلا من عندها لهذه الجرثومة ، التى نحن فى غنى عن بيان أثرها على حياتنا بشتى جهاتها ونواحيها ! . . .

□ ذكرت احدى المجلات الفنية تحت زاوية : صيد من العالم :

من المضحك فعلا ان الانسان فى النيويورك . ممنوع عليه أن يموت مهما نكر عاله وأمراضه وزوجته لانه اذا مات الان فأنه لن يجد مكاناً يدفن فيه قبل شهور ذلك ان الاماكن المخصصة لايواء الذين يودعون الحياة محدودة جداً ، بعد أن استملك ألاحياء آخر ذرة من التراب الامريكى ،(٣) ولعل أغرب ما فى الموت الامريكى أن هنا شركات تتولى أمور الدفن وتوزع اعلاناتها على النحو التالى : ! ادفع لنا ونم مرتاح البال ، فنحن نتكفل بالباقى !

الواقع ان شركات الدفن فى امريكا قليلة العدد ، والموتى الاثرياء الذين يختارون الدفن ـ فى حال حياتهم ـ أكثر بكثير من تلك الشركات مما يسبب تأخير فى عملية التجهيز والدفن .

والذين يختارون الحرق أكثر من الذين يختارون الدفن ، وسبب ذلك ليس استملاك الاحياء لاخر ذرة من التراب الامريكى . بل لان تكاليف الدفن مرتفعة للغاية

وتأكيداً لهذا ذكر احد الصحافيين العرب فى تقرير له أن الامريكيين يفضلون أن تحرق جثثهم بعد الموت لاجتناب تكاليف الدفن . وطريقتهم فى ذلك هى

يكلفون أحد الطيارين بحمل علبة صغيرة تحتوى على كاء غرام ونصف من الرماد
ورق المحيط مقابل ٣٥ دولارا . ويطلبون من الطيار أن يصور الموقع الذى تناثر فيه
رماد جثة فرد من افراد اسرتهم . (٤)

سبب ذلك هو ان تكاليف الجنازة والدفن قد ازدادت حتى انها أصبحت تبلغ
١٦٠٠ دولار اذا اضيف اليها ثمن الضريح . . .

والقول بان مساحة الارض صغيرة ، وأنها لايمكن أن تسع الاحياء والموتى
معاً ، ماهو الا كلام سفسطة يروج له دعاته في الغرب هناك . وفى الشرق هنا .

[] ذكر احد الصحافيين :

بعد استعراض مختلف أنواع الطلاق الشائعة في البلد: كان لابد أن اسأل بعض
المطلقين والمطلقات عن السبب الذى دفعهم الى اختيار اكره الحلال عند الله . فخرجت
بهذه المجموعة النادرة من الاسباب المعقولة وهي : - زوجتي ترفض ان تماشى
الموضة بتدخين السيجار فأصبحت حياتنا مشحونة ، زوجتي مصرة على الاصطياف على
الشاطئ ، وأنا افضل الجبل ، رفض زوجي اطالة شعره وتربية لحيته وحمل اشارة السلام على
صدره ، ومايزال يفصل ثيابه عند خياط والده ... - أصبح لزوجي كرش ، ولايريد اذابته
بالريجيم ، انه يحب بطنه اكثر مني ... - زوجي لايجيد الرقص سوى التانغو ويغار
علي ان راقصت غيره . (٥)

اذا كانت هذه - عند المستعرض لكثرة أنواع الطلاق - هي الاسباب المعقولة ،
فياترى ماهي الاسباب غير المعقولة عنده ؟

وهذا الاستعراض - الفكاهي الى حد ما - ان دل على شيء . فانما يدل على
تسرب انواع جديدة الينا من الحياة الغربية التعيسة ... ففي الغرب شيء طبيعي أن
يطلق الزوج زوجته لانها تصر على الاصطياف في الجبل وكذلك ان ترفض الزوجة
الحياة مع زوجها لانه لايجيد الرقص الحديث او لانه يفصل ثيابه عند خياط والده
أيضاً .

البقيه فى صفحة ١٤٥

لا ضرر ولا ضرار في الاسلام

الشيخ
محمد صادق النجمى

كان لسمرة بن جندب (الصحابى المعروف) عذق فى حائط لرجل من الانصار وكان منزل الانصارى بباب البستان وكان يمر به الى نخلته ولا يستأذن فكلمه الانصارى ان يستأذن اذا جاء فابى سمرة فلما تأبى جاء الانصارى الى رسول الله (ص) فشكى اليه واخبره الخبر فارسل اليه رسول الله (ص) واخبره بقول الانصارى وماشكى وقال: ان اردت الدخول فاستأذن، فابى فلما ابى ساومه حتى بلغ به من أثمن ما شاء الله فابى ان يبيع فقال لك بها عذق يمد فى الجنة فابى ان يقبل فقال رسول الله (ص) للانصارى : اذهب فاقلعها وارم بها اليه فانه لا ضرر ولا ضرار .

اخرجه من المحدثين المشهورين باختلاف فى الفاظه الكلينى المتوفى ٣٢٩ ه واللفظ له فى الكافى ج ٧ ص ٢٩٢ ط طهران ١٣٩١ .

واحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ه فى المسند ج ٣ ص ٣٢٨ .

وابن ماجه المتوفى ٢٧٥ ه فى السنن ط مصر ١٣٧٣ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ج ٢ ص ٧٨٤ .

وابو داود المتوفى ٢٧٥ه فى السنن ط مصر ١٣٧١ ج ٢ ص ٢٨٢ .

وابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى ٤٦٠ ه فى التهذيب ط نجف ١٣٨٠ ج ٧ ص ١٤٧ .

والشيخ الحر العاملى المتوفى ١١٠٤ ه فى الوسائل ج ١٧ ص ٣٤٠ ط طهران ١٣٨٨ .

الكفاءة بين الزوجين في الإسلام

الدكتور محمد الغروي

ترجمة: محمد هادي اليوسفي

قضى الاسلام على التمايز الطبقي
الفارغ عن التفاضل على اساس الفضائل
الانسانية ؛ وأعلن : أن «لافضل
لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي
الا بالتقوى» : « ان اكرمكم عند الله
اتقاكم» (١) وبدل التفاضل الطبقي في
الروابط الاجتماعية بأصل الاخوة الاسلامية
فقال :«انما المؤمنون اخوة» (٢) والتي
هي من اعلى نماذج السياسة الاجتماعية
بين الافراد في المجتمع العقائدي الواحد.

ومع ذلك ؛ فانا نشاهد الفقه الاسلامي
في مسائل الزواج ـ وهي التي تشكل
أساس الاسرة في هذا المجتمع ـ قد شرح
لاتباعه أصلاثالثاً يكون من شأنه ـ اذا روعي ـ
أن يضمن للزوجين ومن وراءهما للاسرة
السعادة والرفاه ، وذلك الاصل هو الذي
يطلق عليه في المصطلح الفقهي الاسلامي
لفظ «الكفاءة» ، فقد أولى فقهاء الاسلام
هذا الاصل في كتاب النكاح في الفقه
الاسلامي اهتماماً خاصاً ، حيث أنهم
جعلوه أهم العوامل في تحكيم روابط
الزواج والاسرة ، ورووا في هذا الاصل
من أصول روابط الاسرة في الاسلام
أحاديث كثيرة عن النبي والائمة الهداة

عليهم السلام والصلاة، والتي تدل جميعها على الاهمية الخاصة «للكفاءة» .

ولاجل أن يتضح لنا مفهوم «الكفاءة» في الاسلام ؛ لابد لنا أن نورد بعض الاحاديث التي تفسر لنا معنى «الكفاءة»؛ فهاهو رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يخاطب الآباء والامهات فيقـول: «ياأيها الناس : ان الابكار بمنزلة الثمر على الشجر ؛ ان لم تجتن أفسدتها الشمس، وكذلك الابكار اذا أدركن ماتدرك النساء فليس لهن دواء الا البعولة ، والا لم يؤمن عليهن الفساد ،لانهن بشر . فقام اليه رجل فقال : يارسول الله ؛ ومن نزوج ؟ فقال: «الاكفاء» (٣) ثم فسر «الكفاءه» في حديث آخر له (ص) فقال :«اذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه ، فزوجوه» (٤) .

فالملاحظ في هذا الحديث أنه فسر «الكفاءة» في الحديث السابق بالديـن والخلق . . وان لنا في حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام توضيحاً اكثر اذ فسر الكفاءة فقال :«الكفؤ : أن يكون عفيفاً» (٥) وكلنا يعلم أن للعفاف معنـى وسيعاً يجمع الخصال الحسنة والصفا الطيبة .

وعلى أي حال؛ فانا نفهم من مفادهد الاحاديث الثلاثة : أن لاعلاقة للكفاءة في الاسلام بالامور المادية أبداً ؛ وانما تعم الحالة المعنوية للخاطب أو الخطيبة

وهذا يعني أن الاسلام يولي اهتما خاصاً بالحياة الزوجية من ناحيتها الرو لا الكيفية .

والخلاصة : أن الاسلام حينما اعت «الكفاءة» في الزوجين عند الزواج ؛ كا يهدف الى تقرير عامل مهم في استقرا روابط الاسرة في المجتمع الاسلام ونحن يمكننا أن نعبر عن هذا الاصل بالتوافق الاخلاقي والروحي بين الزوج من أي طبقة أو صنف كانوا ، من دو أي نظر الى الاعتبارات المادية الز الزائلة .

وذلك لان الصلاحية واللياقة الزوج يجب أن تبتني على أمور ذاتية موجو بوجود الزوجين .

فيجب على كل من الزوجين

حنيه لايقاً له من النواحي الدينية
الأخلاقية والروحية والمعنوية ، لا بالنظر
العوامل المادية والامكانات الدنيوية .
ان للفظ «الكفء» معنى وسيعا
حدد بحدود وقيود معينة . ولذلك
يفسر حسب ذوقه وسليقته الشخصية
بعد عن الواقع والحقيقه غالبا ،
يطبقه على الاسس الاجتماعية والعناوين
عتبارية في الحياة الشخصية السائدة
يوم والتي لاتلعب أي دور في شخصية
فرد من الرجل والمرأة .

ومن المؤسف حقا أن اكثر العائلات
اليوم تحكم على «الخطبة» بنفس هذه
الاحكام غير الصحيحة والبعيدة عن الحقيقة
الواقع في الكفاءة الزوجية بين الخطيبين
لربما أوردوا بأحكامهم الجائرة هذه

ى الضربات المحطمة للشخصية
اقعية للرجل والمرأة ، وأورثوا تزلزلا
المباني الانسانية بين الاسر في المجتمع
مسلم !

فلتفكر الاسر المسلمة ذات النظرة
واقعية في هذا الاصل الاسلامي الهام
تأمل اكثر ، ولتعلم أن مفهوم «الكفاءة»
في الاسلام ليس يعني التفاوت الطبقي
في الجامعة المسلمة : وانما تعني أن تجعل
من اللياقة الشخصية الدينية والاخلاقية
الروحية والمعنوية : عامل تفاهم وتعايش
سلمي أخلاقي اسلامي بين الزوجين ، بل
تحاول ـ اكثر من هذا ـ أن تحصر كل ما
هنالك من دعاوى الفخر و المباهاة بين
الاسر المسلمة في هذه الجهة الدينية
الاخلاقية ، وتطرح جانبا كل ما هنالك
من المفاهيم القشرية الزائلة غير الهادفة
في الحياة الزوجية والاجتماعية بين
المسلمين . والتي لاتستطيع أن تؤمن
للزوجين السعادة والرفاه الروحي والخلقي .

وليس بخاف أن كثيرا من الاضطرابات
العائلية انما تنشأ من عدم رعاية هذا الاصل
أو نتيجة للتلاعب به تفسيرا أو تطبيقا وتوجيهاً
طبق هوى النفس من قبل اناس كثيرين ..
يدور بخلد كل واحد منا الآن انماط من
نماذج هذا الموضوع «الكفاءة» مما لاحاجة
لنا معها الى ذكر مثال لذلك ..

ومن المؤسف حقا أيضاً أننا مع ما نرى
من الاضطرابات في الزواج في هذا
المجتمع بناء على هذه الاسس المغلوطة
لا نرضى أن نرفع اليد عن هذا التقليد
الاعمى ، وأن نقعد ونفكر في مصير حياتنا .

ملاحظة للمترجم

كان هذا المقال تعريباً لمقال الدكتور محمد الغفراني وهو يمثل الجانب الايجابي من الفقه الامامي في مسألة الكفاءة الزوجية ،ولا يخفى ان المسألة ليست موضع اتفاق في الفقه الأسلامي ، بل هي مسألة خلافية تأخذ مجالا واسعاً من الفقه المقارن فالفقه الامامي - كما مر - لايشترط في الزوج للكفاءة الزوجية اكثر من شرطين أساسيين هما : الدين ، واليسار ، ثم يفسر اليسار بما يتمكن معه الزوج من حفظ كرامة زوجته عما لايليق بها وشأنها . بينما يختلف فقهاء سائر المذاهب الاسلامية في شروط الكفاءة الزوجية اختلافاً ليس بالقليل؛ وهذا ماسنوضحه في مقال مستقل انشاء الله .

---

(١) سورة الحجرات، الاية ١٣ .

(٢) سورة الحجرات ايضاً ، الاية ١٠ .

(٣) وسائل الشيعة ج ١٤ باب ٢٣ ج ٢ ص ب ٣٩ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١ باب ٢٨ ح ١ و ٢ و ٣ .

(٥) وسائل الشيعة - ج ١٤ ص ٥١ باب ٣٨ ح ٤ و ٥ و ٧ عن فروع الكافي ومن لا يحضره الفقيه ، والتهذيب ، وفي آخره : «وعنده يسار» .

العدالة الاقتصادية *

●●●●●●●●●●●

الدكتور

محمد فاروق النبهان - سوريا

لقد اخترت موضوع العدالة الاجتماعية والاقتصادية فى الاسلام نظراً لاهمية هذا الموضوع فى عصرنا الحديث ، ولحاجتنا الماسة اليه ، فواقعنا الاجتماعى اليوم يحتاج الى اصلاح جذرى يستهدف احلال العدل محل الظلم. ومن المؤسف والمخجل حقاً ان هذا القرن الذى يشهد أعظم تطور حضارى وتكنولوجى ، يشهد فى الوقت ذاته أبشع صور استغلال الانسان لاخيه الانسان ، سواء على صعيد العلاقات بين الدول المتقدمة والنامية ، أو على صعيد العلاقات بين الافراد فى المجتمع الواحد . . .

وان مجتمعنا الاسلامى الذى عاش فترة تخلف وركود لفترة طويلة من الزمن مطالب بأن ينفض الركام عن نفسه ، ويعيد بناء ذاته اجتماعياً بمايكفل له بناء مجتمع اسلامى متوازن متحاب متعاون ، تمنح الحقوق للافراد فيه وفق معايير انسانية عادلة مستمدة من روح الاسلام وتعاليمه . .

ويجب أن نعترف فى البداية أن واقع الشعوب الاسلامية اليوم واقع قاتم شاحب بعيد عن عدالة الاسلام وروحه ، والظلم الاجتماعى اليوم يفرض نفسه

---

* من محاضرات الملتقى التاسع للفكر الاسلامى فى الجزائر .

علينا بشكل مغاير لكل القيم الدينية والانسانية ، وبالتالى فاننا مدعوون لاصلاح هذا الواقع من خلال رؤية اسلامية واعية ناضجة ، نستطيع من خلالها أن نصوغ واقعنا الاجتماعى صياغة يحل العدل فيها محل الظلم ، وينتصر الخير فيها على الشر ، ويطبق القانون على الناس دون تفريق بينهم . .

واذا كنا نشعر اليوم بهذا الواقع المتخلف الذى تعيشه شعوبنا المسلمة فان من واجبنا أن نتلمس الاصلاح من تعاليم الاسلام فى صورتها الحقيقية لا فى صورتها الواقعية القائمة . فالصورة الحقيقية للتعاليم الاسلامية أنجبت مجتمعاً ساده العدل الاجتماعى فى مجال حقوق الأفراد ، وفى مجال العلاقة بين الفرد والسلطة ، وفى مجال العلاقة بين الشعب المسلم والشعوب الاخرى . .

ومن أكبر المزالق التى نتعرض لها اليوم اننا نتلمس الاصلاح من خلال أفكار مستوردة من الغرب والشرق ، سادت تلك المجتمعات ، نتيجة ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية أدت اليها ، وهذه الافكار اذا صلحت فى المجتمعات التى نشأت فيها ـ مع انها لا تصلح لهم أيضاً ـ فان من المؤكد أنها لا تصلح لمجتمعات اخرى مغايرة لتلك المجتمعات فى طبيعتها وتكوينها وتقاليدها ونفسياتها لان الفكرة المجردة لا يمكن الحكم عليها الا من خلال ارتباطها بمجتمع معين ، وفق معادلة فكرية واجتماعية متوازنة .

واننى أدعوكم يا شباب المستقبل ان تكونوا أمناء مع أنفسكم اولا : وأمناء مع أمتكم ثانياً ، فامتنا أمة واحدة ، لها عقيدة متميزة ، ولها تصور فكرى وبناء تشريعى مستقل ومتكامل ، وعلينا ان نستمد بناءنا المستقبلى من فكرنا الاسلامى الخالد ، فى صورته النامية المتجددة على الدوام . . .

وعلينا أن نعيد للفكر الاسلامى دوره الرائد فى بناء مجتمعنا ، وأول خطوة فى ذلك أن نشجع الاجتهاد الاصيل الذى يمثل المصدر العقلى المتجدد على الدوام ، واذا كان التكليف الشرعى منوطاً بالعقل ، فان من واجب العقل أن ينطلق فى أداء دوره الاجتهادى الذى يكفل للفكر الاسلامى الدوام والاستمرار . . .

واذا كنا نطالب باحياء الفكر الاسلامى فان الاحياء الحقيقى لا يتم عن طريق

اعادة طبع كتب السابقين وتحقيقها في طبعات أنيقة فحسب . وانما يكون الاحياء عن طريق **الاضافة المتجددة** لذلك الفكر .ومعالجة **مااستحدث** من القضاياوالوقائع من خلال رؤية اسلامية معاصرة . .

مفهوم العدالة الاسلامية :

وحديثي هذا عن مفهوم العدالة الاسلامية في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة ، وسوف يتناول النقاط التالية :

أولا : مفهوم العدالة الاسلامية .

ثانياً : مضمون هذه العدالة .

ثالثاً : دور الدولة الاسلامية في تحقيق هذه العدالة .

معنى العدالة الاسلامية :

لقد استعملت كلمة العدل في القرآن في قوله تعالى : «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» ، والمراد بالعدل هنا هو أمر الشرع ، الذى يعتبر المصدر الذى يعطى للعدل مدلوله الدقيق : وقد ربط الاسلام بين العدل والاحسان ، ليشير الى أن أمر الشرع يجب أن يفهم في اطار مفهوم الاحسان والرحمةبالناس، لئلا يكون فيأوامر الشرع ما يؤدى الى الحرج والمشقة ، فجاء ارتباط العدلبالاحسان ليكونالتكامل قائماً بين العدل والوجدان ، وبين الواجب والاحسان . .

ومن المؤكد ان العدالةالتي تستمد مفهومهاوحدودها منتعاليمالسماءهيأكثر انسجاماً مع تطلعات الانسان ، وأكثر نزاهة وحياداً في اقرار الاحكام التشريعيةفي اطار مبادىء الرحمة والاحسان . .

مضمون العدالة الاسلامية :

اما مضمون العدالة الاسلامية فمن الصعب علينا أننحددبشكل متكاملمضامين هذه العدالة ، الا أننا نستطيع أن نعرض لاهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية في حياتنا المعاصرة ، لنرى موقف الاسلام منها ، ومن خلال هذه المواقف نستطيع

ان نتلمس مفهوم العدالة الاسلامية :

اولا : طبيعة الحقوق في الاسلام:

والحق في نظر الفكر الاسلامي **ذو طبيعة مزدوجة**، بين الفردية والجماعية. فهو ليس فرديا مطلقا ولیس جماعيا مطلقا ، وانما هو حق فردى له طبيعة جماعية. وتظهر هذه الفردية من خلال اقرار الاسلام لفكرة الحق أصلا ، ثم تظهر الصفة الجماعية للحق من خلال تقييد الحقوق بقيود كثيرة لمصلحة الجماعة .

والحق هو السلطة التي يمنحها الشرع للفرد على ماله ، كحق الانسان في التملك وحقه في الكسب وحقه في الانفاق ، ويرتكز تقييد الحق في الفكر الاسلامي على دعائم :

اولها: تقييد الحق بمصالح الناس ، ولا يجوز الفرد أن يتصرف في حقه الفردى فيما يضر المجتمع الذى ينتمي اليه . .

ثانيها : تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة ، ومن هذا المنطلق فقد أجاز الفقهاء الاستملاك الجبرى في حالة الضرورة كاستملاك الأرض المجاوره المسجد أو الطريق لتوسيعهما . وأجازوا أيضاً بيع المال المحتكر جبرا عن اصحابه، وأجازوا تحديد الأسعار والارباح عندما يتمادى البائعون في غبن المشترين، وأجازوا الحجر على السفيه حرصا على ماله ومال المجتمع . .

ثانياً : الطبيعة الجماعية للملكية الفردية :

وترتبط الطبيعة الجماعية للملكية الفردية بالطبيعة الجماعية لفكرة الحق، لان الملكية حق ، وتتقيد بما تتقيد به الحقوق . .

وهذه الطبيعة الجماعية لكل من الحق والملكية تؤكد معنى العدل الذى أراده الاسلام . لان الحق هو سلطة تقديرية يملكها صاحب الحق ، وهذه السلطة لايجوز ان تكون مطلقة عن الحدود والقيود والا كانت سلاحاً شرعياً يوجهه صاحب الحق نحو الضعفاء والمساكين . .

ويؤكد هذه الطبيعة الجماعية للملكية الفردية ماأشار اليهالقرآن الكريمعندما أضاف الاموال فى بعض الاحيان الى الله . وأضافها فى أحيان اخرى الى الناس قال تعالى مضيفا الاموال اليه (وآتوهم من مال الله الذى اتاكم)، وقال أيضا مضيفا الاموال الى مالكيها : «لتبلون فى أموالكم وانفسكم» . .

وهذا الازدواج فى نسبة الأموال اليه تعالى أولا . والى الناس ثانيا يشير الى أن الملكية الحقيقية للاموال هى لله تعالى ، وأن الانسان مستخلف على ما لديه من الاموال،وعليه أن يلتزم فى كسبهوانفاقه بالتعاليم الاسلامية.وقداستعمل القرآن كلمة الاستخلاف صراحةفى قوله تعالى:«وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» . .

وفكرة الاستخلاف تشير الى وجوب التزام المالك بكل الحقوق والقيود المفروضة عليه شرعا .

وأهم هذه الحقوق والقيود ما يأتى :

١ ـ ايجاب واجبات ماليه على المالك تتمثل فى الزكاة وواجبات التكافل الاجتماعى بالقدر الذى يحتاج اليه المجتمع ، والزكاةهىنوع من انواع المشاركة المتجددة بين الغنى والفقير . لكى لا تكون الأموال دولة بين الاغنياء . . .

٢ ـ منع تنمية الاموال عن طريق يلحق الضرر بالمجتمعأو الدولة ،كالاحتكار والربح الفاحش وتهريب المواد المستوردة والمحرمة، والاستغلالفىالبيعوالاجور والرشوة ، واستغلال المناصب الحكومية . والتحكم فى الأسعار . .

٣ ـ عدم جواز انتزاع الملكية الشرعية الا لمصلحة عامة ، وبشرطالتعويض العادل تحقيقاً لمعنى العدالة الاجتماعية . واذا كان الاسلام يحمى الملكية الفردية التى نشأت عن طريق شرعىصحيح،فان عدالة الاسلام لاتأبى أن تحمى الملكيةالظالمة التى نشأت عن طريق الاضرار بالمجتمع. فلا يكون اقرار الاسلام لهذهالملكيةدرعاً تحتمى وراءه الطامعون والمستغلون . .

ثالثاً : تحريم الربا لمنافاته للعدالة :

لا يحتاج تحريم الربا الى نقاش فالنص صريح بالتحريم ، ولكن لماذا حرم الربا ؟ وما المراد بالربا المحرم ؟ . .

ليس من السهل علينا أن نحدد معنى الربا المحرم ، لاختلاف الفقهاء قديماً وحديثاً في هذا الموضوع ، ولا أود الدخول في مناقشة آراء الفقهاء ، وانما سأكتفي بعرض وجهة نظري في موضوع الربا .

لقد حرم الله الربا لاشتماله على **معنى الاستغلال** ، والاستغلال مناف لفكرة العدالة . لان الاستغلال لا يتحقق الا عند وجود طرفين متفاوتين في القوة ، فيقوم القوي بفرض شروطه على الطرف الضعيف ، ولا يملك الطرف الضعيف أمامه الا الاذعان ، تحت ضغط الحاجة . .

ومن هذا المنطق فانني ارى أن كل معاملة تحمل معنى الاستغلال فهي من الربا سواء كانت هذه المعاملة بيعاً أو قرضاً أو أجراً أو ربعاً . .

فالربح الفاحش الذي يتجاوز به البائع الحدود المألوفة ، مستغلا بذلك حاجة المشتري الى السلعة أو جهله بقيمتها الحقيقية يعتبر من الربا .

ومن يستغل حاجة أجيره فيتفق معه على اجر زهيد لا يتناسب مع الجهد الذي يبذله ، مستغلا بذلك حاجة الأجير الى المال والعمل يعتبر مرابياً ، لان الاجر يجب أن يتناسب مع الجهد : وفق الأعراف القائمة . .

وقد يثير البعض **تساؤلا قانونياً حول سلطان الارادة العقدية** الملزمة ، التي تجعل اتفاق الطرفين المتعاقدين في حالة البيع أو حالة التعاقد على الاجر ملزماً للعاقدين ، وفقاً لقاعدة شرعية ثابتة تقول بأن العقد شريعة المتعاقدين . .

واجيب على هذا التساؤل بأن نظرية العقد في الشريعة والقانون تشترط توافر الارادة الكاملة لدى كل من المتعاقدين في حالة العقد ، واذا تم العقد بارادة الطرفين فانه يعتبر ملزماً ، وهذا لا خلاف فيه ، الا انني أرى أن وجود الاستغلال في حالة العقد يجعل العقد باطلا ، لان الشخص المستغل لا يملك ارادة كاملة ، وبالتالي

فانه لا يملك القدرة على الدفاع عن مصالحه لوجود الحاجة الدافعة له للقبول بأى شرط ولو كان مجحفاً بحقه . . .

وتحقيقاً لعدالة الاسلام وتمهيدا للمقاصد الشرعية : وتطبيقاً للقواعد الاصولية التى تربط الحكم بعلته فاننى أرى أن نوسع دائرة المعاملات الربوية بحيث تكون شاملة لكل ما تتوفر فيه صفة الاستغلال ، واذا لم تكن هى الربا الحقيقى المحرم بالنص القرآنى والذى اريد به الربا الجاهلى ، فان بعض المعاملات الجارية اليوم لا تقل خطرا عن صورة الربا الجاهلى المحرم بنص صريح . . (*)

رابعاً : اقرار العدل الاجتماعى للعمال والمزارعين :

لقد فرضت الثورة الصناعية المعاصرة واقعا اجتماعياً جديداً فى معظم بلدان العالم ، وان بلادنا آخذة بالسير فى هذا الطريق ، ولابد من أن تتعرض فى بنائها الاجتماعى لما تعرضت له البلاد الصناعية فى أوروبا . .

وقبل أن نمد بأبصارنا وعقولنا الى الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى نتلمس منهما الحلول لمشاكلنا ، يجب علينا أن نطل على فكرنا الاسلامى ، ونحن قادرون على ان نستلهم منه الكثير مما نحتاج اليه من تشريعات وأفكار قانونية واجتماعية واقتصادية تحقق العدل الاجتماعى فى مجتمعنا ، وتصون حقوق العمال والمزارعين . .

ومن المؤسف والمخجل حقاً أننا مصابون بعقدة ادم اسمث وكارل ماركس ونتصور ان الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى لا يمكن أن يأتى الا عن طريق زرع أحد النظامين المتطرفين فى بلادنا ، ولو نظرنا نظرة يسيرة الى ما تعانى منه هذه النظم لادركنا فداحة الخطر الذى نريده لمجتمعنا ، ولو افترضنا جدلا ان هذه النظم صالحة فى المجتمعات التى نشأت فيها فانها على وجه التأكيد لن تكون صالحة فى مجتمعاتنا الاسلامية ، لافتقاد المعادلة المتوازنة بين النظام والمجتمع ، والنظام الذى ينجح فى مجتمع قد لا ينجح فى مجتمع مغاير له فى طبيعه ونفسيته ومنهج تفكيره وسلوكه . .

(*) رأى يتحمل الكاتب مسؤولية اثباته . (الهادى)

ففي مجال الحد الادنى للاجور لا يجوز في نظر الاسلام أن يقل الاجر عن حاجات الانسان ومتطلباته ، انطلاقاً من اقرار الاسلام لحق الفرد في الحياة الكريمة. ويتعلق بحق الحياة توفير الضمانات الصحية للمواطن بشكل مجاني ، لأن الحياة لا تصان مالم توفر للمواطن أسباب العلاج .

وفي مجال حجم العمل لايجوز أن يزيد حجم العمل عن طاقة الانسان ويجب وضع تشريعات اجتماعية مستمدة من روح الاسلام تراعي فيها المبادىء الانسانية التي أقرها الاسلام للانسان . . .

أما في مجال الضمانات الاجتماعية للعجزة والشيوخ فان الاسلام اذا كان قد كفل للفرد حقه في الحياة فقد كفل له أيضاً كل ما يصون له هذه الحياة ،ولما كان العجزة والشيوخ عاجزين عن العمل فان من واجب المجتمع والدولة أن يوفرا لهؤلاء من الدخل الكريم ما يكفل لهم الحياة .

مسؤولية الدولة الاسلامية في اقرار العدل الاجتماعي :

واذا كنا نتحدث عن مفهوم العدالة الاسلامية ومجالات تطبيقها في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية فان من واجبنا أن نؤكد دور الدولة الاسلامية في اقرار فكرة العدالة من خلال تشريعاتها وقوانينها التي تستطيع بها أن تصون الحقوق ، وأن تباشر مسؤولياتها السلطوية كطرف ثالث ينتصر الحق أينما كان ، وينصف الطرف الضعيف عندما تتعرض حقوقه للخطر . .

وان التطورات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة قد فرضت على الدولة أن تزيد من مجالات تدخلها في كل ما تدعو المصلحة اليه ، سواء عن طريق توجيه عملية التخطيط المستقبلي للامة اقتصاديا واجتماعيا وتنمويا ، او عن طريق الاشراف على المؤسسات والمرافق العامة التي تتعلق بها حياة الامة . . .

ونظرا الى ان الدولة عندما تتدخل في حريات الافراد وانما تدخل من باب تحقيق العدالة ، فان من ابسط مظاهر العدالة ان يكون تدخل الدولة خاضعا لضوابط قانونية وأخلاقية لئلا تنتهك العدالة بحجة الدفاع عنها . .

والاسلام في هذا يضع ضمانات تكفل تحقيق العدالة ،وابرز هذه الضمانات شرط

الشرعية في الحكم والعدالة في الحاكم والنزاهة في المدخل . وبالتالي فان الحكم الذى يفقد صفته الشرعية لايملك الحق في اخضاع الناس لكي لايتجرأ السفهاء على تجاوز مبدأ الشرعية ، ان الحاكم الذى لايؤكد عدالته بنزاهته واستقامته وحرصه على مصالح الامة ، لايمكن ان تعطى لاعماله الصبغة الشرعية ، لئلا تنتهك العدالة تحت ضغط المصالح الشخصية والحزبية والطائفية . .

ولا يكتفي الاسلام بهذه القيود الشخصية المتعلقة بشخصية السلطة وهويتها ، وانما يشترط توافر المبرر الموضوعي الذى يبيح التدخل الحكومي في الاراده الفردية والحرية الشخصية .

ومن أهم المبررات التي تبيح التدخل الحكومي ما يلي :

اولا : تحقيق المقاصد الشرعية ، وهذه المقاصد مرتبطة بالمصالح العامة .

ثانياً : حماية المصالح الجماعية ، فكل ما يؤدى الى جلب مصلحة او درء مفسدة فانه يبيح للسلطة ان تتدخل ، لان حماية المصالح الجماعية يعتبر من اهم المقاصد الشرعية التي تقوم الدولة بحمايتها . .

ثالثاً : تدعيم المبادىء الاخلاقية ، وهذا هدف من اهداف التشريع الاسلامي الذى ربط بين الضمير الديني والتشريعي العملي ، لكي يكفل وجود سلطة رقابية وجدانية على تصرفات الانسان . . .

ويحسن بنا ان نشير الى ان فكره التدخل الحكومي في الفكر الاسلامي تختلف عنها في الفكر الاشتراكي ، سواء من حيث الدافع الى التدخل او من حيث طريقة التدخل ، فالتدخل في نظر الاسلام هو استثناء لمنافاته لسياده الاراده الفردية ، الا ان المصلحة الجماعية مقدمة على مصالح الافراد ، ولهذا فان التدخل يحتاج الى مبرر مقبول شرعاً ، لئلا تنتهك الحقوق ، اما طريقة التدخل فيجب ان تتم في اطار مفهوم العدالة الاسلامية التي يجب أن تطبق في اطار مفهوم الاحسان والرحمة تحقيقا لقوله تعالى : «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» . .

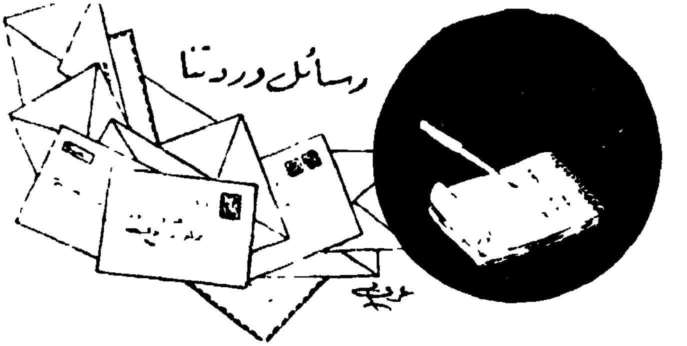
ان عدالة الاسلام هي عدالة انسانية تتجاوز حدود الاقليم والوطن والجنس واللون ، وعلينا اليوم أن نتفهم مضمون هذه العدالة في ظل واقعنا

المعاصر فى المجال الداخلى أو المجال الدولى ، ويجب أن نطرح على العالم أجمع شعار الاسلام الخالد «**العدالة الانسانية**» . . .

ان عالمنا الذى يواجه اليوم ثورة تكنولوجية عظيمة وسريعة ، سيجد نفسه فى يوم من الايام أمام زوايا حادة قد يصطدم بها ، ولابد من أن يقع الصدام بين المصالح فالشعوب النامية التى لم تعامل بالعدل فى حياتها ، ستجد نفسها فى يوم من الأيام منساقة بعزيمة لا ارادية لتحرير حقوقها المغتصبة . .

ان الصراع اليوم بين الدول المتقدمة والدول النامية هو صراع منشؤه الظلم وسوف يستمر هذا الصراع ما استمرت الرغبة فى الظلم والاستغلال ، وان الدول النامية اليوم لا تطالب بأكثر من العدل ، وليس من حقها أن تقبل بأقل من العدل ولا يمكن أن يسود السلام فى العالم الا عندما يرتفع شعار العدل فى مجال العمل بين الشعوب . . .

إنّ مِنْ أخلاقِ المؤمِنِ الإنفاقَ
على قَدَرِ الإقتارِ وَالتوسّعَ
على قَدَرِ التوسُّعِ وَإنْصافَ
النّاسِ مِنْ نفسِهِ



ـ من مدينة بعقوبه في العراق وصلتنا رسالة قيمة من الحجة السيد عبد الكريم على خان يشيد فيها بالمجلة ويدعو الله تعالى شانه (لانحدار الآمال من الامدادات الربوبية والعنايات الاحدية للفت نظر المجتمع لما تكفلته مجلتكم الاسلامية المشكورة من المواضيع السامية و الابحاث الشافية) .

ـ ومن تبريز وصلتنا من العلامة الشيخ على بن رضى التبريزى رسالة قيمة يطرى فيها المجلة وابحاثها اطراء مشكوراً لكنه يرى ان بعض الأبحاث تخرج عن اطار الفائدة العملية وتنحصر فائدتها فى الجانب العلمى ـ ويدعو الى الاكثار من المقالات التى تعالج الواقع القائم .

ونحن اذ نشكره على شعوره الحى نود ان نقول بان قراء المجلة يختلفون ، وان المجلة كما يطلب منها ان تعالج القضايا و المشاكل القائمة ـ وهذا مانطرحه بجد كما هو الملاحظ ـ فانه يطلب منها ان تكون مرجعاً ومصدراً علمياً لمختلف الباحثين ونسأل الله التوفيق لما فيه الرقى و السداد .

ـ ومن الاخ الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ـ القاهره وردت رسالة حول استعداد المجلة لكى يساهم فى عطائها ـ ونحن اذ نقدر للاستاذ الدكتور شعوره الفياض نود أن نعلن ترحيبنا الكامل بكل ما يبعثه لنا كل الاخوه المفكرين .

ـ ومن الاستاذ البحاثة السيد محمد صادق الصدر وردتنا رسالة كريمة يعرب فيها عن سروره لهدف المجلة الاسلامي العام الذى يتجلى فى مواضيعها ، ويتضح من كل بحث من بحوثها الاسلامية «لذلك كانت بحق مجلة فكرية اسلامية جامعة».

ـ ومن الأستاذ العلامة السيد حسين بحر العلوم ـ النجف الأشرف وردتنا رسالة كريمة يقول فيها :

ايها النخبة المفكرة لادارةفكر المجلة قبل نشرها:حقاً انها منكم لبادرةجبارة. وانطلاقة بناءةفىهذهالايام الحالكه ،والاوقات العصيبة المنفتحة على الشر.المنغلقة عن الخير ـ:أن تنفذوا الى أعماق الشباب الواعى فى عموم انحاء العالم المتحضر ـ من طريق الفكر والقلم، وعلى ضوء العلم والمعرفة ،ومن وحى الحرف البناء، والكلمة الهادفة.

حقاً : انها لحنكة متأملة ، و تفكير واع مستمد من الايمان بحتمية الوصول، بالرغم من بعد الطريق و وعورة المسالك .

لاتقل قد ذهبت لذاته كل من سار على الدرب وصل

لادرى ـ ايها الاخوان الاعزاء ـ كيف وبماذا أطرى تلك الاقلام الرسالية المجددة التى تبنت رسالة (المجلة) وتخطيطها وحسن اخراجها ، تلك المجلةالتى هىالكتاب الذى لاريب فيه يعتريه من حيث العرض الموضوعى البناء ، والتركيز العلمى الهادف ، و الواقعية المؤمنة بحتميةالغاية المنشودة .انها لمن أروع الامثلة للحديث المشهور : « الاسماء تنزل من السماء » فهى الهادى لطريق الصواب وهى المرشد لرعيل الشباب ، وهى المثل الأعلى لروح السنة و الكتاب .

ولا يسعنا ـ بهذه العجالة ـ الا ان نضرع الىالله العلى القديران يفرش طريقكم الشائك البعيد باللطف و التأييد ، و الموفقيةو التسديد ، فانه (الهادى) لسبيل الارشاد ، و الموفق لنيل السداد انه سميع مجيب .

ـ ومن الاستاذ العلامة الشيخ محمد باقرالناصرى العراق ـ الناصرية ـ جاءتنا رسالة يطرى فيها المجلة و يقول :

كانت مائدة اسلامية شهية جمعت الى روعة الأخراج وجمال التصميم ،تنوع

البحوث و حسن اختيارها و معالجتها للكثير مما يعانيه القارى المسلم بل يفتقده في وقت اصبحت فيه الصحف و المجلات المنبر والمئذنة والميدان الذى يعرض المبادىء و يرسم الخطى و يعالج المشاكل و يضع الحلول :

وكما يقول الحكيم الاسلامى (لاينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال) فلا بد للامة الاسلامية وهى التى حلقت ولها السبق فى ميادين العلم و الثقافة ان تعير امر الصحافة من الاهمية ما يستحقه وتلقى بثقلها فى الميدان فلديها ولله الحمد من القدرات والطاقات العلمية والثقافية مايؤهلها لمثل ذلك فهنيئاً لكم وللامة الاسلامية بجهادكم وجهودكم فى خدمة العلم والدين اخذ الله بيدكم وامدكم بعونه وتسديده.

امل ان اوفق للمساهمة معكم فى كتابة بعض المواضيع ولايفوتنى بهذه المناسبة أن الفت نظركم الكريم نحو امور لااظنها خافية عليكم وذلك باستحداث ابواب جديدة فى المجلة وهى :

١ - لكل سؤال جواب : تعالج فيه الاجابة على المسائل التى ترد او تتردد فى العقيدة والفقه والتاريخ الاسلامى .

٢ - فى ذكرى عظماء الاسلام : يشار فيه الى ذكريات مواليد و وفيات عظماء الاسلام و فى مقدمتهم طبعاً الرسول الاعظم (ص) وآل البيت (ع) .

وسيكون الاعلان عن هذا الباب حافزاً للكتاب والادباء فى الكتابة عن تلك المناسبات قبل حلولها وسيتوفر للمجلة الكثير من البحوث التى قد تصلح اعداداً خاصة.

٣ - استطلاعات اسلامية : وحبذا لو تكون بالصورة والكلمة لتطلع المسلمين على مالم يشهدوه و يعرفوه عن الاسلام و المسلمين فى الشرق و الغرب

٤ - كتب صدرت (او مكتبة الهادى) تقيم فيه الكتب وتناقش من قبل باحثين لهم القدرة على ذلك او تنشر فصول متلاحقة من كتب نادرة و مفيدة .

الهادى : - نأمل أن نوفق للاخذ بالاقتراحات البناءة لسماحته ، وان نكون دائماً عند حسن ظن جميع العاملين المخلصين .

- كما ارسل الاستاذ عبد الرحمن الكنانى العضو المستشار الدائم لرابطة علماء المغرب - الرباط ، رسالة يطرى فيها مجلتنا «المجلة الاسلامية الجامعة (الهادى) الى احياء روح التضامن الاسلامى سعياً فى تركيز دعائم الاخوة بين المغرب الاقصى و ايران . و لقد قرأتها بامعان كما قرأها معى اعضاء اسرتى الكنانية الحسنية وجمع من علماء الرباط وسلا . واعجب الجميع بروحها الاسلامية القوية واسلوبها الفنى الممتاز وتمنوا انتشارها بالمغرب وغير المغرب من البلاد الاسلامية المتشيعة بمحبة آل البيت النبوى والتبانى فى الاقتداء بهم ».

- ومن الاستاذ الشيخ حسن طراد العاملى - النجف الاشرف - وردتنا رسالة تحمل عواطف صادقة حارة للمجلة و منها أنها «تطلعت اليها النفوس بشوق و نظرتها العقول بعين الاجلال منذ اول فترة اطلت فيها على العالم الاسلامى بمواضيعها القيمة و كلماتها الهادية الهادفة فكانت بهذا وذاك - نعم - الهادى - الى سبيل الرشاد ومصدر الخير و العطاء الذى لاينضب معينه ولا تخبو شعلته الا وهو الدين الاسلامى الحنيف الذى انزله الله سبحانه رحمة للعالمين وسيبقى المنار الهادى والمرجع الوحيد الذى تلجأ الاجيال الى ظله الوارف ونهجه السمح فترى فيه نوراً لعقولها وغذاء لارواحها و علاجاً لمشاكلها فتثق به و تعتمد عليه فى ادراك اهدافها الروحية و المادية.

هذا وان لنا اكبر الامل ان تبقى مجلتنا الفتية - الهادى - ماضية فى سبيل تأدية رسالتها المقدسة بخطى ثابتة وعزيمة قوية تتحدى الصعاب وتعكس على صفحاتها المشرقة انوار العقول الواعية والافكار النيرة التى استضاءت بنور الاسلام ثم انثنت تدعو الى التمسك بمنهج الاسلام والسير على هدى القرآن نحو هدف السعادة و شرف الفضيلة .

وفقكم الله جميعاً لما فيه رضاه وسدد خطاكم على درب الجهاد المثمر والعمل الجاد البناء انه سميع الدعاء».

كما وصلتنا رسائل من كل من :

- الاستاذ مصطفى كمال التارزى ابراهيم مدير الشؤون الدينية فى دولة تونس

- الاخ امين مكتبة الكتبى العامة - الهندية - العراق
- الاخ عبد الجليل ابراهيم - جمعية الشرق التعاونية -الكويت .
- الدكتور عصام شنبور - طرابلس - لبنان.
- الاخت ياسمين حميد - الأمينة العامة لجمعيةالطالبات المسلمات - باكستان.
- السيد مدير مدرسة دار الحكمة للامام الراحل السيد الحكيم قدس سره
-السيد فاخر السيد احمد الموسوى - منظمة الاقطار العربية المصدرةللترول الكويت .
- الاخ محمد على كاظم - الدسمة - الكويت .
- الأستاذ رياض جابر - المانيا العربية .
- الأستاذ حسين زينبيان - كرج - ايران .
- السيد مرتضى الميلانى - مشهد-ايران .
- السيد كاظم الموسوى مكتبة الجوادين العامة مؤسسة السيد هبة الدين لشهرستانى - الكاظمية - العراق .
- الاستاذ عصام الشنطى - سكرتير ثالث بمعهد المخطوطات العربية -جامعة الدول العربية - القاهرة .
- الاستاذ حسون النجفى آل حنوش - امين مكتبة آل حنوش - النجف الاشرف - العراق
- الاخ امين مكتبة الحسينية الشوشترلية - النجف الاشرف - العراق .
- الاخ رئيس رابطة الشباب المسلم الفيجى الاستاذ سالم محمد -جزائر فيجى
- الدكتور عبد الهادى التازى - الرباط - المعرب .
- الاستاذ محسن على النجفى -عميد جامعة اهل البيت - اسلام آباد-باكستان

الهادى نشكر السادة الاجلة على رسائلهم و اقتراحاتهم و نسأل الله ان يوفقنا للعمل بما من شأنه ايصالنا الى الغاية المنشوده .

اخبار دار التبليغ الاسلامي

توجيهات للمؤتمر النسائي في باكستان

ارسلت جمعية الطالبات المسلمات في باكستان ـ بمناسبة انعقاد مؤتمرها السادس بمدينة لاهور ـ رسالة الى سماحة الامام السيد شريعتمدارى تطلب فيها ان « تستفيد فى هذه المناسبة من نصائحه القيمة وتوجيهاته الكريمة التى ستكون حافزاً قوياً للفتاة المسلمة لمواصلة سيرها فى سبيل اعلاء كلمة الله و صبغ الحياة بالقيم الاسلامية و تحمل المصاعب التى تعترض طريقها و تعرقل جهودها » .

وقد اجاب القسم العربى فى دار التبليغ الاسلامى على الرسالة مستنداً الى توجيهات سماحته القيمة : وهذا نص الجواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوات المشتركات فى المؤتمر السادس لجمعية الطالبات المسلمات فى باكستان

السلام عليكن ايتها الأخوات المؤمنات ورحمة الله و بركاته

أما بعد : ـ فقد استلمنا الرسالة المرسلة الى سماحة الامام السيد محمد كاظم شريعتمدارى دام ظله والتى طلبتم فيها المشاركة بكلمة تتضمن بعض توجيهات سماحته الى مؤتمر جمعية الطالبات المسلمات بپاكستان المسلمة الشقيقة، واننا بهذه المناسبة نوجه اليكم من مركز الجامعة العلمية الاسلامية فى مدينة قم المقدسة ومن ايران

بلدكم المسلم أحر التهاني و التبريكات بانعقاد مؤتمركن السنوى السادس داعين الله تبارك و تعالى أن يجعل النجاح حليفكن وان يبارك الجهود المخلصة في سبيل احياء معالم الشريعة الاسلامية الحقة و الارتفاع بمستوى نسائنا و فتياتنا لكى تكون قدوة و مثالا حيا للمرأه المسلمةالتى أثبتت في الصدرالاول جدارتها و اهليتها في الجوانب العلمية و الجهادية والتربوية وادت واجبها وقامت بمسؤوليتها خير قيام سواء كان ذلك في ميدان العمل والدعوة و الجهاد او في ميدان العلم والتربية.

اننا نحتاج ايتها الاخوات الصالحات الى قيام حركة نسوية مؤثرة وفعالة تستمد تعاليمها من الاسلام الخالدالذى رفع المرأة الى المنزلةوالمكانة، اللائقة بها وبالشكل الذى لم نجد له مثيلا في اى من الاديان و المذاهب قديماًاو حديثاً .

ان هذه الحركة ضرورة في كل عصر و خاصة في العصر الحاضر اذ تسير فيه البشرية برجالها و نسائها الى الهاوية بسرعة قصوى ، ولا شك ان سوء استغلال المرأة و تحويلها الى مجرد عامل للاثارة والاغراء فقط لهاكبر الاثر في الانحراف و الفساد الذين يعمان العالم اليوم.نعم يا فتيات الاسلام ينبغى تعلم الاسلام الاصيل و احكامه التى لا ولن يصلح مجتمع الا باتباعها ومن ثم حمله رسالة هداية و نور الى العالم اجمع للبرهنة من جديد على ان الانسان المسلم هو ربان السفينة و هو الشاهد على هذا العالم و الموجه له و الحامل لشعلة الحضارة و الخير و السعادة فهل لنا ان نحقق هدف الاية الكريمة اذ تقول « وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » .

ان على الانسان المسلم - رجلا كان او امرأة - مسؤولية عامة لابد ان يحملها. ولكن الدعاة الموجهين يحملون مسؤولية أضخم واكبر تفرضها عليهم مستلزمات القيادة والتوجيه ولذا فان عليكن لاجل القيام بالدور المطلوب الاهتمام بالنواحي التالية:

ا - الاعتناء بالمستوى الثقافي و الفكرى للمرأة المسلمة بشكل عام و ذلك بتدارس الاسلام و معرفة نظرياته و تصوراته و مفاهيمه وكيف يحل مشاكل البشرية كلها على احسن وجه ومن دون اية مضاعفات و تعقيدات : ومع المحافظة على

الفطرة البشرية ، هذا مع التأكيد على معرفة القيمة الحقيقية التي اعطاها الاسلام للمرأة و تدارس احكامه في هذا الشأن و نشرها بين الملاء الاسلامي ليطلع على حقيقة الامر ولا ينخدع بالدعايات و الشعارات الضالة، ولكي يعرف العالم اجمع والمسلمون و المسلمات على الاخص ان الاسلام هو المحرر الاول للمرأة والذي بوأها المكان اللائق الصحيح .

٢ ـ الاهتمام بالجانب الروحي والامور العبادية لكي تخلق الحصانة والمناعة اللازمة ضد الانحراف والفساد والسقوط في براثن الرذيلة اولا،ولكي يوجد القوة و العزم و التصميم بشكل اعمق للتغلب على المشاكل و الصعاب و العقبات التي يضعها الواقع الجاهلي القائم اليوم في البلاد الاسلامية امام الدعاة الى رسالة الله تبارك وتعالى ثانياً .فلنستحضر اذن الاية الكريمة التي تأمر الرسول الاكرم محمد(ص) بالاكثار من قراءة القرآن و النوافل و الادعية من اجل تقوية القلب وامكان حمل القول الثقيل و المسؤولية الجسيمة في هداية العالم « يا ايها المزمل ، قم الليل الا قليلا ،نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقي عليك قولا ثقيلا » .

فاذا كان الرسول الاعظم (ص) بحاجة الى كل هذه المقويات فنحن اليها احوج.

٣ ـ تدارس التاريخ الاسلامي والتأكيد على صور البطولة التي سطرتها المرأة المسلمة في عصر النبي (ص) وبعده ، حيث نجد فيها كيف بلغت القمة من الوعي و الجهاد و تحمل المسؤوليات الجسام ويمكننا ان نضرب على ذلك مثلا مواقف السيدة الجليلة خديجة الكبرى وبذلها حياتها واموالها في سبيل الاسلام . وكذلك مواقف الزهراء (ع) الى جانب ابيها الرسول محمد (ص) ايام الجهاد الاولى وما كانت تقوم به من ادوار تثقيفية و جهادية في المجتمع الاسلامي ، كما ينبغي ان لا يفوتنا الموقف البطولي العظيم الذي وقفته بطلة كربلاء السيدة زينب بنت علي (ع) و كيف فضحت بخطبها اللاهبة مواقف السلطة الباغية المتمثلة في الحاكم المنحرف يزيد و اتباعه الذين تربعوا ظلماً على كرسي الخلافة الاسلامية

هذا كله بالاضافة الى مواقف الكثير من النساء الفضليات اللواتي يذكر لهن التاريخ صفحات مشرقة يشع منها الايمان والتضحية والفداء ،وأخيراً نرسل لكم طيا كتاباً الفه احد المفكرين الاسلاميين في ايران عن نظام حقوق المرأة في الاسلام وهو من منشورات مؤسستنا « دار التبليغ الاسلامي » التي تسعى جاهده وبكافة الطرق والسبل لتنوير الاذهان ونشر الحقائق وتبليغ الاحكام الاسلامية عن طريق المجلات بشتى مستوياتها، والكتب والمنشورات باللغات المختلفة ، وعن طريق تعليم الوافدين اليها من مختلف الاقطار الاسلامية .

وبهذه المناسبة يسرنا اخباركم عن قيامنا بتأسيس مدرسة نسائية اسلامية باسم « دار الزهراء »تابعة لدار التبليغ الاسلامي وتتضمن الدروس الاسلامية من العقائد و الاحكام و المفاهيم و الاخلاق وغيرها ويشرف عليها نخبة من فتياتنا الفاضلات لتربية و تنشئة بناتنا و نسائنا و ليكون ذلك خطوة الى الامام في طريق حركة نسوية عامة ترجع بالخير العميم .

بارك الله فيكن ولكن في هذا المؤتمر ولنحث الخطى على طريق العمل الجاد ليأتي اليوم السعيد الذي تخفق فيه راية الاسلام على ربوعنا و بلادنا الاسلامية في كل مكان ، ولتكن كل اعمالنا خالصة لوجهه تعالى ليمن علينا بالنصر المؤزر ولنستعيد كرامتنا المهدورة و اراضينا السليبة اينما كانت ، وخاصة ارضنا المقدسة في فلسطين الحبيبة، اذ لابد أن تتذكروا ان لنا هناك اخوات واخوة يعيشون في الاضطهاد و الهوان على ايدي اليهود الصهاينة المجرمين وان واجب الأخوة الاسلامية ليقتضي ان نحس بالامهم و نعيش محنتهم ولندع الله تعالى ان يخلصنا من هذه المهانة التي يعيشها المسلمون و التمزق و الضياع الذي يلفهم ، هذا وان الله لسميع مجيب و ختاماً نرفع للمؤتمر دعوات سماحة الامام السيد شريعتمداري دام ظله بدوام التوفيق و النجاح ، كما و نرجو اخبارنا عن اعمال مؤتمركم وارسال بعض مايلقى فيه من مقالات باللغة العربية ـ ان وجدت ـ او بعد ترجمتها لنشرها في مجلتنا « الهادي » التي تصدر باللغة العربية لتعميم الفائدة .

«واذاسألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » « فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض ! فالذين هاجروا و اخرجوا من ديارهم و اوذوا فى سبيلى وقاتلوا و قتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » .

عن القسم العربى فى دار التبليغ الاسلامى

* * *

افتتاح

المعهد العربى للدراسات الاسلامية فى دار التبليغ الاسلامى

بعون من الله و توفيقه ؛

و بعد فقد كان تزايد اقبال الطلاب عير الايرانيين على الدراسات الاسلامية فى دار التبليغ الاسلامى ، من جهة ، والرغبة الملحة فى اشاعة لغة القرآن بين المبلغين الاسلاميين ؛ من جهة أخرى ، موضع اهتمام وعناية سماحة الامام السيد شريعتمدارى دام ظله، ولذا فقد امر بفتح معهد خاص فى دار التبليغ الاسلامى باسم(معهد الدراسات الاسلامية) .

ولما كان برنامج المعهد يحاول منح الطلاب اكبر مقدار من الفائدة فى اقل وقت ممكن فقد تقرر ان يمر الطلاب بمرحلتين فى كل سنة، وقد تمت الان المرحلة الاولى من هذه السنة ٩٥ ـ ٩٦ ﻫ بنجاح كامل .و يدرس فى هذا المعهد حاليا ـ بالاضافة الى الطلاب الايرانيين ـ حوالى ٥٠ طالباً من الهند ، الپاكستان و اندونيسيا ، و المانيا و فرنسا وبعض الاقطار الافريقية . . وما أن أعلن المعهد عن فتح ابوابه حتى انهال سيل من طلبات الالتحاق به من مختلف الاقطار ، و المعهد بعد ان يطالع وثائق الراغبين ومؤهلاتهم يبعث اليهم بالنتيجة النهائية لتتم ترتيبات حضورهم و اقامتهم و دراستهم وغير ذلك .

و ينقسم برنامج المعهد الى مرحلتين اساسيتين :

الاولى : مرحلة الاشتراك :

ومدة هذه المرحلة من٣ سنوات الى اربع ،وتدرس فيها علوم اللغة العربية،و لمنطق ،وعلوم القرآن ،والتفسير ،والحديث ،ودوره كاملة من العقائد.وتدرس الأفكار و النظم الاسلامية ، والفلسفة الاسلامية بشكل موجز .وكذلك التاريخ الاسلامي، ودورة كاملة من الفقه بمستوى كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) كذلك دورة كاملة لاصول الفقه ، بالاضافة الى دروس في علم الاخلاق ،ومحاضرات ى علم الاجتماع و النفس،وفي الكتابة و الانشاء .

الثانية : مرحلة الاختصاص :

وعلى ضوء سير الطالب في المرحلة الاولى يتعين مصيره للانخراط ضمن احد الأقسام التالية :

١ ـ قسم الفقه الاسلامي.

٢ ـ قسم التحقيق و المقارنة مع الاستفادة من الاستنباطات الفقهية المسبقة .

٣ ـ قسم التبليغ ويعتمد في عمله على نتائج القسمين السابقين .

هذا ولا يفوتنا ان ننوه بان المرحلة الثانية قد بدأت من اول ربيع الاول ١٣٩٦ هـ ونسأل الله ان يوفق العاملين المخلصين

* * *

قسم الوعظ والتبليغ :

ـ تقرير عن صفوف (القرآن والعقائد الاسلامية) ـ

افتتحت هذه الصفوف في انحاء مختلفة من ايران ونحن هنا نذكر اهم المناطق وهي :

عبادان ، اردبيل ، اصطهبانات ، اسفراين ، اصفهان ، أهر ، أهواز ، ايلام ، بجنورد ، برازجان ، بروجرد ، بستان آباد ،بوكان ،بهبهان ، بهشهر ، بم ، بندرشاه بيرجند ، تبريز ، تاباد ، تربت حيدرية ، تكاب ، جابكسر . خامنه ، خرمشهر ، خوى ، خاش ، داراب ،رامسر ، رام هرمز، رضائية ، راميان ، ري ، زابل ،زاويه

زرند ، زاهدان ، زنجان ، سراب ، سرخس ، سمنان ، سميرم ، سنقر ، شاه‌بسد ، شاهی ، شوش ، شوشتر ، شیراز ، صوفیان ، طهران، عجب شیر ، علمدار، فریمان کالیکش ، کرمان ، کبوترآهنك ، کرمانشاه ، کلاجای ، کناوه ، کنبد ، کرکان، لاهیجان ، لنکرود،لار ،محمودآبادآمل ، مراغه،مرند ،مرودشت ، المشهدالمقدس ، ملایر ، منجیل ، میانه ، مینودشت ، نیشابور ، ورامین ، أهرسین ، هفتکل،خوزستان، همدان ، همایون‌شهر ، هیدج ، یزد ، وغیرها من المدن‌والقرى الكثيرة .

وفي ختام‌هذه الصفوف‌اجريت مسابقات‌في هذا الصدد وفاز فيها ١٨٥ شخصاً من مجموع الطلاب‌وسيحضر هؤلاء‌الى‌دار التبليغ‌الاسلامی‌فی الخامس‌من(فروردين) الشهر الاول من السنة الشمسية ١٣٥٥ هـ لاجراء مسابقة نهائية بينهم لتقرير الفائزين الاوائل الثلاثة الذين سيحصلون على جوائز قيمة تشجيعاً لهم .

* * *

قسم النشر :

□ قام قسم‌النشر في دار التبليغ الاسلامی‌خلال الاشهر الماضية بطبع الكتب التالية باللغة الفارسية ، وقد نزلت هذه الكتب الى‌المكتبات وكانت مورد استقبال القراء الكرام ، وهى :

١ ــ «فاطمة الزهراء» المرأة المثالية‌في الاسلام،تأليف :الشيخ ابراهيم امينى

٢ ــ «الجبر والاختيار» :تأليف الشيخ محمد تقى جعفرى.

٣ ــ «جولة قصيرة فى ملحمة كبرى» تأليف : محمديوسف حريرى.

٤ ــ الأشراقة الخالدة «فى حياة نبى الاسلام محمد (ص)» تأليف : الشيخ جعفر سبحانى .

٥ ــ «القرآن واسرار الخليقة» : تأليف :الشيخ جعفرسبحانى .

٦ ــ الاسلام‌وثقافة‌القرن العشرين :تأليف‌السيد موسى الصدر،ترجمة: الشيخ على حجتى كرمانى .

٧ ـ «الكفاح الاسلامي في افريقيا» ج ٢: تأليف: السيد هادي الخسروشاهي.

٨ ـ «من وحي كلمات الامام علي (ع)»: تأليف: السيد محمد تقي الحكيم

٩ ـ «اطروحة النهضة الاسلامية في ازمة العالم المعاصر» تأليف: مريم جميلة ترجمة: أقدس كيوه جيان.

١٠ ـ «دور الاسلام في قتال الغرب». تأليف: مريم جميلة، ترجمة: السيد غلام رضا السعيدي.

□ **كما قام القسم باصدار المنشورات المجانية التالية:**

١ ـ «التعرف على اصول الاسلام» وهو باللغة الفارسية.

٢ ـ «من حياة الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين (ع)»، باللغة الفارسية ايضاً، وهو من سلسلة «لنتعرف على عظماء الاسلام».

٣ ـ «الامام الحسين (ع)» وهو باللغة الاردية، ويتضمن دروساً من حياة الامام العظيم الحسين بن علي (ع).

٤ ـ «الانسان والمستقبل» باللغة الفارسية، ويتضمن بعض المباحث الفكرية والايديولوجية على مستوى طلاب الجامعات والشباب المثقف.

* * *

تقرير المكتبة العامة!

كانت نشاطات المكتبة العامة لدار التبليغ الاسلامي خلال الشهرين الماضيين كالاتي:

التاريخ	الكتب المهداة	المشتراة	المطالعون	الكتب المطالعة
محرم الحرام ١٣٩٦	٣٠٠٩	-	٢٩٨٠٠	٦٢٣٥٠
صفر ١٣٩٦	٢١٥	١٣٥	٣٧٣٥٠	٧٥٣٥٠

اما قسم الاعارة فى المكتبة فقد بلغ اعضاؤها (٤٠٦٥) شخصاً لهم الحق فى الاستعارة ، وقد راجع هؤلاء خلال الشهرين الماضين العدد الاتى من الكتب :

محرم الحرام : ١٣٤٢٢ كتاباً

صفر : ١٣٩٦٢ كتاباً .

ملاحظه : لقد أهدى السيد محمد مهران وفقه الله الى مكتبة دار التبليغ الاسلامى ٢٩٥٣ كتاباً نفيساً فشكر الله سعيه وتقبل عمله .

* * *

« مجلس فاتحه على ارواح ضحايا الحريق فى منى » .

نظراً للحادثة الأليمة المؤسفة التى وقعت فى موسم الحج لهذا العالم حيث شبت النار فى خيام الحجاج فى منى واحدثت فاجعة مهولة راح ضحيتها عدة مئات من الحجاج، والتى كان لها صدى مؤلم فى نفوس المسلمين جميعاً ؛ فقد أقام سماحة الامام السيد شريعتمدارى دام ظله مجلس فاتحة على ارواح الضحايا الابرار فى المسجد الاعظم بقم المقدسة ، وقد حضره جمع غفير من العلماء والطبقات المختلفة من الناس ، ومن مختلف المدن الايرانية .

المؤتمر الاول
لتربية الاحساس الدينى فى الناشئة

بدعوة من دار التبليغ الاسلامى و تحت رعاية من الامام المؤسس السيد شريعتمدارى عقد مؤتمر هام ــ ولاول مرة ــ فى الفترة من ٢٤ ربيع الاول لغاية ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٩٦ وذلك تحت شعار «تنمية الاحساس الدينى فى الناشئة» وقد تضمنت جلسات المؤتمر القاء محاظرات قيمة من قبل اساتذه مختصين بشؤون التربية والتعليم ،ثم خرج المؤتمر بقرارات و توصيات هامة فى هذا المجال وسنتحدث عن المؤتمر بالتفصيل فى العدد القادم .

هذا وقدحضرت المؤتمر وفود من مختلف المدن الايرانية وكانت تضم العديد
ن الشخصيات العلمية والفكرية ،وعدداً من اساتذه الجامعات المختلفة .

* * *

تبرع مالى
لمتضررى حوادث لبنان

ارسل سماحة الامام المؤسس وفداً من العلماء الى لبنان للاطلاع على الاحوال العامة للشعب المسلم المتضرر بالحوادث المؤسفة و موافاته بتقرير مفصل حولها.. وقد قام الوفد بزيارة الشخصيات الدينية والكثير من المناطق المتضررة وقدم تبرعاً مالياً من سماحة الامام السيد شريعتمدارى وذلك بمقدار مليون تومان ايرانى كدفعة اولى من المساعدات المرصودة لهذا الغرض على أمل ايصال مبلغ مماثل فى القريب العاجل وسنوافى القراء الكرام بتقرير مفصل عن زياره الوفد .

قضية مسلمي الفلبين

عبد الباقي ابو بكر

الامين العام للعلاقات الخارجية
لجبهة تحرير مورو الوطنية .

ورقة العمل التى عرضتها اللجنة الرباعية الوزارية على الطرفين لبدء جولة اخرى من المفاوضات .

أولا الحكم الذاتى :

١ ـ أ ـ فى اطار السيادة الوطنية للفلبين ووحدة أراضيها :

يقام الحكم الذاتى للمسلمين فى الجنوب على منداناو وباسيلان وسولو وبالاوان. وقد اخذ فى الاعتبار عند تحديد هذا وجوب تنفيذ حكومة الفلبين ما سبق ان التزمت به ، واعادة الاراضى التى سلبت من المسلمين فى الجنوب على أثر الاعتداءات التى حدثت منذ قيام الحرب، والاراضى التى انتزعت ملكيتها من المسلمين بدون حق قانونى وباضافة الاراضى التى امتلكها الاباء والاجداد المسلمون ، وبالرجوع الى الاراضى الاسلامية التى كانت ولا تزال حتى سنة ١٩٤٤م عام جلاء الاستعماريين اليابانى والامريكى عن المنطقة لتكون كلها هى الرقعة الجغرافية التى يقوم عليها الحكم الاسلامى الذاتى .

ب ـ الاقليات المسيحية وغير المسيحية التى لها وجود تاريخى على الاراضى الاسلاميه تبقى من ضمن أراضى الحكم الذاتى المحلى الاسلامى وتعتبر أقلية مسيحية فى الاراضى الاسلامية (هذه النقطة يتفق عليها الجميع) .

٢ـ عند الاتفاق على احلال السلام فى الجنوب المسلم ينبغى ان تشكل الحكومة الذاتية موضوع هذه الاتفاقية من القيادات الاسلامية الصالحة فى الجنوب المسلم ، وعلى وجه الخصوص جبهة التحرير . وللاقليات الاخرى ان تشارك فى الحكم الذاتى بالاسلوب الديمقراطى على مبدأ المعاملة بالمثل بالنسبة للمسلمين المقيمين فى المناطق الاخرى من جمهورية الفلبين .

ثانياً : شئون الامن الداخلى للاراضى الاسلامية :

تتكون وحدات الامن والدفاع المحلى والميليشيا المحلية اساساً من العناصر الصالحة فى ذلك من جبهة التحرير والقيادات الاسلامية فى الجنوب ، وكذلك بمشاركة الاقليات الاخرى فى هذه الاجهزة .

ثالثاً : الدفاع والسياسة الخارجية :

١ ـ الامن القومى والدفاع المركزى من اختصاص الحكومة المركزية والمسلمين وذلك بالمشاركة فى القوات المسلحة المركزية والسياسة الخارجية كواجب وطنى .

٢ ـ حل جميع وحدات القوة الخاصة للجيش الفلبينى ، وقواعدها وكذلك التنظيمات المسيحية والتى قامت بسبب الحرب فى الجنوب .

رابعاً النظام الادارى :

يكون لحكومة الاقليم تسيير كافة الشؤون الادارية الداخلية. ويكون للحكومة المركزية الاشراف على كافة الشؤون الادارية القومية فى الاقليم والتنسيق بين السلطتين فى المسائل ذات الطبيعة المشتركة . وتلك التى يتنازع فى الاختصاص عليها .

خامساً نظام المحاكم :

١ ـ تنشأ محاكم مختصة محلية ومركزية . وفى حالة التنازع فى الاختصاص يحال التنازع الى الهيئة القضائية العليا .

٢ ـ تفصل المحاكم المحلية المختصة فى النزاعات المحلية المتعلقة بالاقاليم الناشئة داخله طبقاً لمبادىء الشريعة الاسلامية .

٣ ـ تشكل هيئة قضائية عليا من ثمانية قضاة محايدين مشهود لهم بالنزاهة أربعة

تختارهم السلطة المركزية وأربعة قضاة تختارهم السلطة المحلية على ان يترأسها بالتناوب ممثل من أى من الطرفين ، ويصدر بتعيينهم قرار رئاسي وتحال اليها المسائل الاتية:

أ ـ النزعات المتعلقة بالمشاكل الادارية فى حالة تنازع الاختصاص .

ب ـ تنازع الاختصاص بين المحكمة المركزية وبين المحاكم المحلية .

جـ ـ أى تنازع ترى السلطة المركزية أو السلطة المحلية احالته اليه.

سادساً : نظام التعليم :

١ ـ المؤسسة التعليمية الى نهاية المستوى الثانوي يتم خضوعها للحكم الذاتي للاقليم ويتم تنسيق التعليم الجامعي والعالي مع الحكومة المركزية .

٢ ـ اعادة بناء الجهاز التعليمي الاسلامي في الأقليم من التنسيق بينه وبين البرنامج الوطني التعليمي العام .

سابعاً : اقامة الحياة الاسلامية في الجنوب وبناء المجتمع الاسلامي :

ان ممارسة الشعائر الاسلامية بما في ذلك الحج الى بيت الله الحرام والاشراف على المساجد ورعايتها وادارتها ، وكذلك اماكن العبادة والمؤسسات الاسلامية من اختصاص ومسؤولية حكومة الاقليم .

ثامناً الشؤون المالية والاقتصادية :

١ ـ للاقليم حق تسيير الشؤون الاقتصادية الداخلية وانشاء مصادر مالية خاصة بالاقليم ، و لحكومة الاقليم حق فرض وجمع الضرائب بالاقليم على أن تقوم بدفع التزاماتها الضرائبية الى الحكومة المركزية مباشرة مقابل قيام الحكومة المركزية بواجباتها نحو مشروعات الانماء في الأقليم بما يحقق اعادة تعمير الجنوب، ويؤدي الى التطور الاقتصادي والحضاري .

٢ ـ تقدم الحكومة المركزية الدعم المالي اللازم لحكومة الاقليم بمايمكنها من القيام بمسؤليات الخدمات العامة في اطار الميزانية العامة للدولة مع اعطاء اهمية

خاصة لهذا الاقليم نظراً لما تعرض له من دمار .

٣ ـ الأموال الخاصة بدعم التنمية التي ترد الى الأقليم من العالم الاسلامي يكون اسلوب ادارتها وتوظيفها بالتنسيق بين السلطتين واقامة مجلس مشترك يرفع تقارير دورية الى امين عام المؤتمر الاسلامي عن تطبيق ونجاح المشروعات التي تمولها الدول الاسلامية .

تاسعاً : لسكان الاقليم باعتبارهم مواطنين فلبينيين حق المشاركة في الحكومة المركزية وجميع اجهزة الدولة .

تصريح صحفي
للرد والتعليق على افتراءات ماركوس
والشيوعيين وتزويره لقضية مسلمي الفلبين

من افتراءات ماركوس والشيوعيين :

□ ورد في تقرير هيربيرتو د . سويكو محرر ـ جريدة تايمز جورنال الفلبينية بتاريخ ٥ يوليو ١٩٧٥ م ـ ان الرئيس ماركوس ابلغ «التنين الصيني» ماوتسي تونج اثناء زيارته له في العاصمة الصينية بكين «بأن مايدعى بالماويين من المتمردين المتمثلين في الجيش الشعبي الجديد في لوزون (شمالي الفلبين) وجبهة تحرير مورو الوطنية في مندانا و (جنوب البلاد) يستغلون فقط اسم الزعيم ماوتسي تونج لكسب احترام الناس في العالم وخصوصاً الذين يجهلون حقيقة الموقف في بلدي، ولزرع الشقاق بين الشعب الفلبيني .

التعليق والرد :

ليس بأمر يستدعي الدهشة والعجب ان يشكو ماركوس لماوتسي تونج ضد الثوار المسلمين لان اللون الحقيقي لماركوس هو ـ الكذب والتناقض ـ اقام في

المسلمين الذبح والتقتيل والتشريد والدمار منذ عام ١٩٦٨ للان . وعندما اضطر المسلمون الى حمل السلاح للدفاع عن أرواح المسلمين وحقوقهم واعراضهم ابلغ العالم الاسلامي بأن جبهة تحرير مورو الوطنية «شيوعية» ماوية «والشباب المسلم المجاهد جماعة مضللون» كما ناشد امريكا وحلف جنوب شرقي آسيا بالوقوف بجانبه لان «بلده تعرض للغزو الشيوعي» ولما ولى وجهه شطر الصين الشعبية قال لماوتسي تونج «ان الثوار في بلدي في شماله وجنوبه ليسوا شيوعيين ولكنهم يستخدمون اسمكم فقط ليكسبوا احترام العالم لهم ولذلك قاتلتهم لانهم يسيئون الى سمعتكم».

☐ ورد في مجلة ـ امباك انترناشيونال بتاريخ ٢٤/١١ يوليو ١٩٧٥م ـ «ان راديو موسكو أذاع نبأ القبض على دبلوماسي صيني في كندا وكان يحمل معه مبلغاً ضخماً من الدولارات لمساعدة المتمردين في الفلبين «وعلق المذيع بأن المبلغ ربما كان لمساعدة الانفصاليين في جنوب الفلبين» .

التعليق والرد :

ان جبهة تحرير مورو التي تقود ثورة المسلمين في جنوب الفلبين لم تكن لها أي صلة بالكتلة الشيوعية سواء في الصين او في روسيا ولكن هناك في شمال الفلبين ثورة شيوعية ، وللشيوعيين مآرب اخرى في جنوب شرقي آسيا .

تزوير ماركوس لقضية مسلمي الفلبين :

☐ تلقت مكاتب جبهة تحرير مورو الوطنية رسائل من مسلمي الفلبين الذين اجبرهم الرئيس ماركوس على التوقيع على وثائق ادعى ماركوس فيها ان المسلمين في جنوب الفلبين يرفضون خطة العمل التي وضعتها اللجنة الوزارية الرباعية (السعودية وليبيا ، والصومال ، والسنغال) بمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة ، ومطلب جبهة تحرير مورو الوطنية للاستقلال الذاتي للمناطق الاسلامية بجنوب الفلبين وهي : منداناو ، وباسيلان ، وسولو ، وبالاوان .

وقال هؤلاء الذين راسلوا الجبهة وطلبوا عدم نشر اسمائهم ان الوثائق التي نقلها عملاء ماركوس ورجال سفاراته في الخارج الى منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة

والى العالم الاسلامي مزيفة» . «وليس صحيحاً ما أدعى ماركوس من أن الوثائق كانت معمولة وموقعة عليها في الجنوب ، ولكنها كانت معمولةداخل قصر ماركوس بمانيلا (قصر مالاكانيانج) واجبرنا على التوقيع عليهافي هذا القصر» . . وليس أيضاً صحيحاً ما ادعى ماركوس من أن المسلمين في الجنوب رفضوا خطة العمل التي وضعتها اللجنة الوزارية الرباعية كأساس لحل مشكلة مسلمي الفلبين، ومطلب تحرير مورو للاستقلال الذاتي» . . «لاننا نحن المجبرين على التوقيع على الوثائق المذكورة لا نمثل أحداً من المسلمين ولا حتى انفسنا» . . «وأماما يقال عن المناصب التي منحها لنا ماركوس فلا يعدو كونها مجرد رشاوى وقيوداً في نفس الوقت».. «ونحن اجبرنا على التوقيع على الوثائق المزيفة وقبول الرشاوى المحرمةووضع القيود والأغلال على أيدينا وارجلنا لاننا لاحول لنا ولا قوة . . والله نسأل الغفران».

ثم قالوا : « نرجو من اخواننا في الجبهة الا ينشروا أسماءنا لاننا نعيش في الوقت الحاضر في قبضة الجيش الصليبي . . ثم اننا سوف نكسر هذه القيود والاغلال لنقاتل ولنظهر بوجوهنا المسلمة الطاهرة للمسلمين في العالم ونقول لهم نحن اصحاب التوقيعات أرقام كذا وكذا في الوثائق المزيفة لماركوس . . صحيح أن من بين الموقعين على الوثائق خونة وعملاء لماركوس ولكنهم قليلون وضعفاء وجبناء وعلى رأسهم صالح والي ومعه نعران فقط واما المسيحيون فتعرفونهم بالاسماء والباقون تعرفونهم جيداً . . واما حملات الابادة ضدنا فمستمرة . . ولا تصدقوا بأن هناك محاولة من الحكومة لايقافها . . او ان هناك نداءات كافية لتحقيقها . . ولكن اطلبوا الاسلحه القوية من المسلمين اذا كانوا جادين فعلا في محاولاتهم لانقاذنا من الابادة والهلاك» .

التعليق :

من الحقائق المسلمة ان الرئيس ماركوس لا يعطي المسلمين اي شيء من مكسب او انتصار او اى شيء قد يؤدى الى المصالحة معهم وذلك لاسباب آتية :

١ – ان الرئيس ماركوس يحكم البلاد على اساس الاحكام العرفية ويريد

استمرارها لانها هي الضمان لبقائه ولحياته . والمصالحة مع المسلمين تعني ازالة لاهم الذرائع لاستمرارها .

٢ ـ ان في الفلبين جبهات صليبية بل ان الدولة نفسها دولة صليبية استعمارية فليس من المنطق الصليبي منح المسلمين ما يضمن بقاءهم او وجودهم ككيان محترم او منتصر .

٣ ـ ان الهيكل العام للمجتمع الفلبيني يسيطر عليه النفوذ الصهيوني، والصهاينة اعداء للمسلمين في كل مكان .

٤ ـ ان الحكومة الفلبينية يسيطر عليها الجبن والخوف والشك وهذه الصفات كلها لا تبني بل تدمر دائماً ، فلا تستطيع حكومة الفلبين منح المسلمين الاستقلال الذاتي لانها تخاف ان يستغله المسلمون كخطوة نحو الاستقلال التام .

٥ ـ ان الحكومة الفلبينية قد وضعت مخططاً محكماً (سمته برامج التنمية) لسلب أراضي المسلمين واستغلال خيراتها لصالح المسيحيين والتجار والمستثمرين من الفلبينيين والاجانب ، واذا اعطى ماركوس المسلمين الحكم الذاتي فقد دمر هذا المخطط ، وهو مسؤول عن حفظه وتنفيذه امام شركائه .

٦ ـ ان ماركوس استخدم الجيش الفلبيني لكسر شوكة المسلمين واخماد ثورتهم لتحقيق اهدافه ومطامعه . وقبوله للحلول السياسية والسلمية مع المسلمين اى اعطائهم الحكم الذاتي في مناطقهم معناه هزيمة نكراء للجيش الفلبيني من قبل الجيش الاسلامي لجبهة تحرير مورو ، وهذا يصعب على الجيش الفلبيني قبوله بدون قوة رادعة .

٧ ـ ان الرئيس ماركوس يحاول تهدئة الثورة الشيوعية في الشمال على حساب المسلمين في الجنوب ، والحركة الشيوعية تتابع خطواته سواء في علاقاته مع الصين او في برامجه لسلب أراضي المسلمين او مواجهته الثورة الاسلامية في الجنوب واذا تراجع ماركوس خطوة واحدة الى الوراء اغتنم الشيوعيون الفرصة للتحرك

والرئيس ماركوس يعلم انه عندما تتحرك الثورة الشيوعية في الشمال تقف وراءها جميع الجبهات الشيوعية السرية منها و العلنية في العالم بكل ثقلها . واما ثورة المسلمين في الجنوب فمجال مواجهته لها واسع جدا لانه يمكنه اتخاذ اساليب المماطلة و المناورة لما قد ثبت له عملياً منذ عقد مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي في بنغازي عام ١٩٧٢ م ان التأييد للقضية لايعدو كونه مجرد قرارات ونداءات فمن السهل جداً عليه ان يرد عليها بالاسلوب المماثل بأن يرسل الى العالم الاسلامي منشورات و قرارات و تعليمات ووثائق مزيفة ، ويرد على الثوار بتدمير جميع المدن الاسلامية و احراقها وقتل المسلمين المدنيين رجالا واطفالا ونساء وشيوخا بكل وسائل الفتك و الدمار كما يجرى حالياً في جنوب الفلبين .

* * * * * * * * * * * * * * *

بقية صفحة ١٠٧

الا ان كل ذلك غير طبيعي في مجتمعنا الاسلامي ، وعالمنا الشرقي الذي كان مهبطا للوحي وتربة صالحة لرسالات السماء الى الارض .

وما بالنا نتأثر بالغير ـ وسرعان ما نتأثر ـ والغير يأبى مبادئنا ويرفض عاداتنا ومعتقداتنا ؟ وما بالنا نعلن الثورة على التقليد الأعمى ، ثم نقلد متجاهلين ما اعلنا !

---

(١) مجلة الكاميرا بوليسية فنية اجتماعية ـ تصدر في بيروت ـ عدد ٣٠

(٢) جريدة الحياة عدد ٩٢٣٨ .

(٣) مساحة الولايات المتحدة الامريكية تبلغ ٩/٢٠٠٦٢٦ كيلومتر مربع ، أما عدد سكان فهو اقل من مئتي مليون نسمة بينما مساحة الصين الشعبية تساوي ١١/٣٢٧٠٠ كيلومتر مربع ، وأما عدد السكان فانه يزيد عن ثمانية مائة مليون نسمة .

(٤) مجلة الحوادث عدد ٨٩٠ .

(٥) مجلة الاسبوع العربي ، عدد ٦٦٣

ابو مقداد

دماء هذا الطفل وروحه تستصرخ

الضمائر الميتة والخامدة

كلنا نعرف ان ارضنا المحتلة تشهد هذه الايام ثورة عارمة وغضبة هادرة ضد الوجود اليهودى الصهيونى البغيض ، لقد وقف ابناء الارض المقدسة وقفة أباء وشمم أثبتوا فيها للعدو خطل رأيه في ان باستطاعته الاستمرار فى احتلال ارضنا وتثبيت اقدامه ووجوده .ولقد كانت قضية السماح لليهود بالصلاة فى المسجد الاقصى الشرارة التى اشعلت الموقف وفجرته ، واثارت كل الالام الدفينة فى قلوب ابناء فلسطين الذين ذاقوا الامرين من الاحتلال،وهكذا نجد ان الروح الاسلامية لازالت ومبص تحت الرماد وانها هى المحرك الاقوى والاشد والسلاح الامضى الذى نستطيع ان نشهره فى وجه عدونا ، انه السلاح الذى مازلنا نشاهد الكثيرين يحاولون اخفاء ويغمضون عيونهم خشية رؤيته ، بل يحاولون بشتى الوسائل ان ينكروا فاعليته ويظللو الجماهير المسلمة بادعاء عدم جدواه ، يفعلون ذلك اثباتاً لتقدمية مزعومة ، اواخفا لاحقاد دفينة ، وخيانة لامة يريدون بيعها لهذا الطرف اوذاك ، من الاطراف التى تر جميعها ان الاسلام قذى فى عينها وشوكة فى حلقها .

نعم تفجرت الارض المحتلة حمماً تحت اقدام الصهاينة الارجاس وحمله

اشتباكات وسالت دماء لانشك في انها ستتحول الى طاقة وزخم يغسل عار الاحتلال ويسترجع العزة والكرامة .

ومما تناقلته الانباء خبر مصرع طفل في التاسعة من عمره رشق الجنود الاسرائيلين بالحجارة وهذا كل مايستطيع ان يفعله طفل في التاسعة تحركت فيه الغيرة والهمة التي نفتقدها في الكثير من الكبار الذين يقفون موقف اللامبالاة من احداث امتهم في كل مكان ، ويرجع احد الجنود المتوحشين ليطلق على الطفل رصاصة الغدر والحقد ليسقط ذلك الطفل الأبي البطل ميتاً مضرجاً بالدماء ولسان حاله يقوله : ايها الكبار لقد دافعت عنكم،عن شرفكم، عن كرامتكم التي تمرغت في التراب وانتم تنظرون ، لقد اديت ماعلي ،فمتى تستيقضون ايها النيام لكي تؤدوا ماعليكم ؟ هذه دمائي اجعلوها مشعلا ومصباحاً في الطريق، وهذه اشلائي اجعلوها جسراً لكم تعبرون عليها من ذل الهزيمة الى عز الانتصار .

من اخبار الارض المحتلة

استمرت مظاهرات الطلبة في مدن نابلس وبيت لحم وأريحا ورام الله وبيرزيت في الضفة الغربية المحتلة احتجاجا على قرار المحكمة الاسرائيلية بالسماح لليهود بالصلاة في فناء المسجد الاقصى .وقد اقتحم الطلبة أفنية المدارس وحطموا زجاج نوافذها وهتفوا ضد القرار .

الاهرام المصرية ١٩٧٦/٢/١٨

عمان - وجه المؤتمر الاسلامي نداء الى الدول الاسلامية يناشدها فيه اتخاذ قرارات حاسمة لوضع حد للموقف المترتب على قرار المحاكم الاسرائيلية بالسماح لليهود بتأدية صلواتهم في المسجد الاقصى بالقدس . وقد جاء هذا النداء في أعقاب ردود الفعل العنيفة التي أثارها هذا القرار الذي وصفه الشيخ عبد الله غوشه قاضي القضاة في الاردن بأنه اخطر من حرق المسجد الاقصى الذي حدث في أغسطس ١٩٦٩ .

الاهرام ١٩٧٦/٢/٢

القدس ـ ساد توتر شديد مدينة القدس حيث احتشد عدد كبير من الطلبة العرب فى القدس فى فناء المسجد الاقصى واعتصموا فيه رافضين مغادرته احتجاجا على الحكم الذى أصدره الاسبوع الماضى قاض اسرائيلى باحدى محاكم القدس وقال فيه انه لايوجد أى قانون يمنع اليهود من الصلاة فى فناء المسجد الاقصى . ويحاول البوليس الاسرائيلى تشتيت المتظاهرين وقد حظر دخول المسجد على المصلين المسلمين .

الرأى العام الكويتية ١٩٧٦/٢/١٠

هدية . . . الى انصار الحوار :

اعترف الفاتيكان أن وفده الى مؤتمر الحوار الاسلامى ـ المسيحى فى طرابلس وافق على اعلان يصف الصهيونية بأنها عنصرية . لكنه أوضح أن هذه الموافقة «خطأ فنى» وقال ان رئيس وفد الفاتيكان تنصل هو والفاتيكان على الفور من الاعلان حين ادرك محتوياته .

النهار اللبنانية ١٩٧٦/٢/٩

ماذا تقول الجامعة العربية ؟ !

الغت حكومة الصومال الدروس الدينية من المساجد ومنعت القاء خطب الجمعة فى المساجد باللغة العربية . (اخبار العالم الاسلامى ١٩٧٦/١/٥) .

١٢٠ عضوا بمجلس الشعب المصرى يقترحون تعديل النص على الشريعة فى الدستور

تقدم اكثر من ١٢٠ عضوا بمجلس الشعب بطلب تعديل الدستور للنص على ان «الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع» بدلا من النص الحالى الذى يقضى بأن الشريعة الاسلامية «مصدر رئيسى للتشريع» .

وقال السيد على الشربطلى المحامى عضو المجلس ان هذا التعديل يهدف الى العودة بالحياة كلها الى منهج الله الذى رسمه للبشرية . الاهرام ١٩٧٦/٢/٢٠

مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

عدد ممتاز

السنة الخامسة

العدد الاول

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة
يصدرها
قسم اللغة العربية
في
دار التبليغ الإسلامي
قم - ايران
صاحب الامتياز والمدير المسؤول
احمد عباسي
يشرف على تحريرها
نخبة من أهل الفضل والفكر
جميع المراسلات والحوالات المالية
باسم المدير المسؤول
عنوان المراسلات
مجلة الهادي - دار التبليغ
الاسلامي
ايران - قم
تلفون - ٢٢٣٣

AL-HADI

A Religious And Scientific

Magazine

Dar Altabligh Alislami

GHOM, IRAN

Tel : 2233

قيمة الاشتراک الواحد سنويا هو (٣٠٠) ريال
ايراني اي مايعادل خمسة دولارات ويرسل المبلغ
بواسطه بنک صادرات ايران ـ قم شعبه صفائية ،
رقم الحساب الجاری ١٣٠ .

ثمن العدد الواحد فی
ايران ٥٠ ريالا ايرانيا
العراق والكويت ربع دينار
لبنان ليرتان

طبع مطبعة دار التبليغ الاسلامی - قم

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد



قرأنة التاريخ و توعية الامة

من خلال مطالعتنا للكتاب الخالد " نهج البلاغة" نقع على كنوز تربوية وفكرية ثمينة لا يمكن ان تقدر بثمن.

و من تلك الامور التي نلاحظ تركيز الامام اميرالمؤمنين عليها كثيرا ، مركز القرآن في هذه الرسالة ، و ما ينبغي ان يكون له من تأثير في وجود امة الرسالة...

و يمكننا ان نجعل العبارة السريعة التالية تعبيرا دقيقا موجزا عن ذلك حيث يقول (ع)

" كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، و تسمعون به
و ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض" (ص ١٩٢)

فالقرآن اذن كل شئ في حياة الامة لا تبصر هداها الا به ولا تنطق لها الا منطق القرآن ، ولا تسمع الا نداء القرآن و هذا معنى جامع فسيح الافاق ، على الامة ان تعيد تهيئة وجودها من خلاله...

ولا نقصد – فعلا – تقصي آفاقه..

و انما اردنا ان ننفذ من خلال هذه الحقيقة الى تطبيق واحد من تطبيقاته الكبيرة ... ذلك هو مجال دراستنا لتاريخ الاسلام وهو مجال حيوي له دوره الهام في صنع العقلية المسلمة و تأثير بالغ على قضية " الرؤية الواضحة" لمستقبلها من خلال " تجاربها الماضية".

و العرض التاريخي يستوعب قسما هاما من القرآن الكريم و يتصف بصفات تعبر عن روح القرآن و اسلوبه الخاص في هذا

ـب . . .وقد عبرعنه بانه " احسن القصص
حينا اليك هذا القرآن " (يوسف ٣) و
ـب في انه يعبر بذلك عن نظرته الـــــى
ريخ . . .

و من خلال دراسة القصة القرآنية و
نها السائدة نستطيع ان ندرك بكل وضوح
القرآن في عرضه للحوادث التاريخية تركز
جانب العبرة "لقد كان في قصصهم عبرة
لي الالباب " (يوسف ١١١) " فاقصص
قص لعلهم يتفكرون " (١٧٦ الاعراف "
كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت
فؤادك " (١٢٠ ــ هود)

والعبرة عملية مقارنة للوضع الحاضر
وضع الماضي وصيرورة الى النتيجة المتوقعة
د ساية الطرفين و هي بهذا تمد من ارفى
ماحات التفكير شاملة بعد ذلك كل البناءات
فوفة لنا بما فيها البناء الاخلاقي .

هذا بالاضافة الى وظيفتها النفسية
ي تقوية عزيمة الامة من جهة و تثبيت عزائم
عدائها وتذكيرهم بان باطلهم سيزهق لا محالة
ما زهق الباطل في كل الدورات البشريـــة
الماضية .

★★★

على ضوء هذا الواقع القرآني ،

و على اساس من ضرورة ان يبـــذل
الانسان وقته الثمين في قبال شيء ثمين ثمين
و انطلاقا من ضرورة كبرى ، و فـــراغ
هائل نجده عند ابناء هذه الامة في مجـــال
فهم تاريخها المجيد ، و تقصي موارد العبرة
فيه .

تبدو لنا ضرورة ملحة لان نتجـــــو
دراساتنا التاريخية هذا النحو القرآني و هو
ما أسميه بقراءة التاريخ .

فما اكثر اللحظات التاريخية الحاسمة
في تاريخنا المجيد ، و ما اشد ما تثير دراســـة
تلك اللحظات بعمق وانفتاح ، على مسيرة امتنا
اليوم ، تستلهمها العبرة و تخطط على ضوئها
لمستقبلها .

هذه هي الضرورة باختصار فهل نحن
بمستواها اليوم ؟

انا اذا كنا نعذر بعض المؤرخيـــن
القدامى ــ على مضض ــ لانهم اشغلوا انفسهم
في امور توافه تقوم على اسس من الرجـــم و
تفقد الجانب البناء ، فلسنا بقادرين علـــى
التغاضي عن اناس اسند اليهم مقاليـــــد
الدراسات التاريخية فاشغلوا تاريخ الموسيقى
العربية مثلا او الملابس في العصر العباسي و
ما الى ذلك و تركوا المجال واسعا لكي تدخل
دراسات المستشرقين فتضرب على الوتـــر
الحساس من تاريخنا ممررة من خلالها كـــل
سموم الكفر ، و احقاد الصليبية ، و اهــداف
الاستعمار في فصل هذه الامة عن تاريخها ،
و العبث بمقدساتها .

. . . و من هنا فنحن ندعو كـــل
المتخصصين في هذا المجال ممن وعوا اسلامهم
البقية في صفحة ٦٦

هل كان النبي (ص) يعلم بالقرآن قبل نزوله تدريجاً

السيد ابوالفضل مير محمدي

إن البحث في أن النبي (ص) هل كان يعرف القرآن قبل نزوله اليه في المواضع المختلفة اولاً ليس بحثاً عقلياً ، بحيث انه اذا قيل انه (ص) كان لايعرف استقبح العقل ذلك وانكره . . اذ لاريب في ان علم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان اكتسابيا منحه له الله عزوجل ، و علّمه اياه . . قال تبارك و تعالى : " و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولاالايمان"[1] و قال عز من قائل : " و قل رب زدني علما "[2] و قال :" و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم " . و كذا الايات الكثيرة الدالة على ان النبي قد تلقى علمه من الله جل وعلا ،كقوله تعالى: " ماأدريك ماسجين ، كتاب مرقوم ، وما أدراك ماعليون ،كتاب مرقوم . ماأدراك ماالعقبة فك رقبة. وماأدراك ماالحطمة نارالله الموقدة " و غير ذلك . . .

فالبحث اذن ليس بحثا عقليا . . و انما هو بحث حديثي لابد فيه من الاستناد الى دلالات الايات القرآنية ، والاحاديث الشريفة .

و نستطيع ان نبادر الى القول ا
من الايات التي استدل بها على علم النبي بالقرآن قبل نزوله اليه تدريجا :

قوله تعالى " ولاتعجل بالقرآن قبل ان يقضى اليك وحيه ، و قل رب زد علما . . . "[3].

قال بعض افاضل المعاصرين

" السياق يشهد بان في الكلا تعرضا لتلقي النبي (ص) وحي القرآن ، قصد وحيه ، للقرآن . و قوله ولاتعجل بالقرآن نهي عن العجل بقراءته . ومعنى قوله قبل ان يقضى اليك وحيه : من قبل ان يت وحيه من ملك الوحي . . الى ان قال: ويؤ المعنى الى انك تعجل بقراءته مالم ين بعد لان عندك علما به في الجملة ، لك لاتكتف به ، او اطلب من الله علما جديدا الى ان قال: فلولا علم ما منه بالقرآن قبـ ذلك لم يكن لعجله بقراءة مالم ينزل منه معنى . . . "[4]

هدا . . ولكن ثمة احتمال ثالـث و
ى معنى الاية ، و هو ان يكون معنـى
ولاتعجل به اى لاتستبطي بالقرآن ، و
ل في نزوله ، و عليك ان تصبر حتـى
اليك وحيه ، يقال عجل به ، اوالامر ،
ستبطأه ، كما في كتب اللغة[5]

و اما صاحب مجمع البيان فقدجعل
معنى ثالث الوجوه ، فقال " و ثالثها :
اه ولاتسأل أنزال القرآن قبل أن يأتيك
، لانه تعالى انما ينزله حسب المصلحة
ـ الحاجة .[6]

اماالزمخشري فقد اورد احتمالاآخر
ىالاية[7] ، و جعله في مجمع البيان اول
وه في تفسيرالاية ، و نسبه الى ابن عباس
ان المعنى لاتعجل بتلاوته قبل ان يفرغ
ئيل من ابلاغه ، ولاتقرأ معه مخافة النسيان
ه تعالى :لاتحرك به لسانك لتعجل به ،
فرؤك فلاتنسى .

و روى السيوطي عن ابن ابي حاتم
السدى قال كان النبي (ص) اذا نزل عليه
ئيل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه ، حتى
، على نفسه ، فيخاف ان يصعد جبرئيل و
يحفظه ، فانزل الله " ولاتعجل بالقـرآن،
ة "[8]

و هذاالمعنى كما ترى هوالظاهـر
فهوم منها ، فقول المستدل آنفا : " ان
نزول لولم يعرف القرآن لايكون للعجلـة
ى" لعله سهو من قلمه الشريف ،فان النبي
لوفرض انه غير عارف بالقرآن لصح ان يقال :
لاتعجل بانزال القرآن ،ولاتستبطئه ، بل تصبر
حتى ينزله الله تعالى في الوقت المناسب . .
و كذا يصح ان يقال لاتبادر الى قراءةالقرآن
عند تلقيه من جبرئيل واسكت . حتى اذا فرغ
منه فاقرأه . . قال في مجمع البيان : " فقيل
فكان النبي (ص) من بعد هذا اذا نزل جبرئيل
اطرق فاذا ذهب ، قرأ . . "[9]

و يشير الى هذا المعنى قوله تعالى
في آية اخرى :" لاتحرك به لسانك لتعجل
به "[10] فهذه الاية تفسر المراد من النهي عن
العجلة بالقرآن و تشهد لذلك قوله " ثم ان
علينا جمعه و قرآنه " يعني بانهاالنبـي ،
لاتعجل بقراءة القرآن مخافة ان تنساه فنحن
نجمعه ، و نحن نكرر قراءته عليك حتى تستقر
في صدرك فلايفوت منه شيء . .

٢ـ قوله تعالى " شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن ، هدى للناس و بينات من
الهدى و الفرقان "[11]

و قوله تعالى و قرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ، و نزلناه تنزيلا . . "[12]
و وجه الاستدلال ان الاية الاولى
تدل على نزول القرآن جملة واحدة ، كماهو
ظاهر كلمة القرآن ، و تدل الاية الثانية على
تفريق القرآن في النزول ، ليقرأه النبي (ص)
على الناس على مكث . . قال في مجمع
البيان :" معنى فرقناه ، فصلناه و نزلناه آية

آية ،وسورةسورة ، ويدل عليه قوله على مكث ".

و عليه فبين الآيتين – في الظاهر – تناف و تعارض، فلابد من رفع هذا التنافي بأن يقال بنزول القرآن جملة واحدة على النبي في رمضان ، و لكنه لم يكن مأمور بقراءته و تلاوته على الناس. . . ثم بعد ذلك كان ينزل آية آية ، و سورة سورة ليقرأه النبي (ص) على الناس على مكث .

فعن الصدوق في اعتقاداته تحت عنوان : " الاعتقاد في نزول القرآن" قال : اعتقادنا في ذلك ان القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة الى البيت المعمور ، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة . و ان الله تبارك وتعالى أعطى نبيه العلم جملة واحدة ، ثم قال له ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ،وقال عزوجل ولاتحرك به لسانك لتعجل به . . "[13]

و قال العلامة المجلسي معلقا على كلام الصدوق هذا : " . . . ان الظاهر ان الصدوق رحمه الله اراد بذلك الجمع بين الايات والروايات ، و دفع مايوهم من التنافي بينهما ، لانه دلت الايات على نزول القرآن في ليلة القدر ، اوالظاهر نزول جميعه فيها ، ودلت الاثار والاخبار على نزول القرآن في عشرين ، او ثلاث و عشرين سنة . وورد في بعض الروايات ان القرآن نزل في اول ليلة من شهر رمضان ، ودل بعضها على ان ابتداء نزوله في المبعث فجمع بينهما بان في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح الى الس الرابعة ، لينزل الى الارض بالتدريج ونزل في اول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي (ص) ليعلم هو ، لا ليتلوه على الناس ثم ابتداء نزوله آية آية و سورة سورة في المبعث او غيره ، ليتلوه على الناس. . .وهذا الجمع مؤيد بالاخبار . . [14]

نعم لقد وردت – كما قال في البحار – روايات كثيرة ، من طرق العامة والخاصة على تعدد نزول القرآن ، و انه نزل الى البيت المعمور اولا ، ثم انزل من البيت المعمور تدريجا في خلال عشرين او ثلاث و عشرين سنة ، و سيأتي بعضها ان شاء الله.

و لكنها مع كثرتها ، و اختلاف الفاظها ودلالاتها ، لاتدل على ان القرآن قد نزل جملة واحدة اولا على النبي ، ثم انزل عليه نجوما . . الارواية واحدة ضعيفة السند ، منقولة عن المفضل بن عمر سأني

و من تلك الروايات الكثيرة المشار اليها ما رواه الكليني ره عن علي بن ابراهيم عن ابيه ، وعلي بن سنان محمد عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود عن حفص بن غياث عن ابي عبدالله (ع) قال: سألته عن قول الله عزوجل: " شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن" و انما انزل القرآن في عشرين سنة بين اوله و آخره؟ فقال ابوعبدالله (ع) نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة . .

ثم قال قال النبي (ص) نزل صحف ابراهيم في اول ليلة من شهر رمضان ،وانزلت التوراة لستّ مضين من شهر رمضان ، و انزل الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان ،وانزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان ، و انزل القرآن في ثلاث و عشرين من شهر رمضان . . . [15]

وسند هذه الرواية ، وان اشتمل على القاسم بن محمد المعروف بكاسولا . .وحديثه على ما نقل عن ابن الغضائري يعرف و ينكر ، الا انه قد نقل عنه ايضا انه لا مانع من الاستشهاد بحديثه [16]. كما ان مضمون هذه الرواية مؤيد باخبار اخر ، تركناها خوفا من الاطالة .

و روى مثله العياشي ، الا انه قال و انزل القرآن لاربع و عشرين من رمضان [17].

و في الدر المنثور واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : شهر رمضان ، و الليلة المباركة ، و ليلة القدر ، فان ليلة القدر هي الليلة المباركة ، و هي في رمضان . نزل القرآن جملة واحدة من الذكر الى البيت المعمور ، و هو موقع النجوم في السماء الدنيا حيث وقع القرآن ، ثم نزل على محمد (ص) في الامر والنهي ، و في الحروب رسلا رسلا " [18].

و اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال نزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر ، فكان لا ينزل منه الا ما أمر به [19].

و بعد كل ما قدمناه نقول اننا لا نجد دليلا لا من القرآن ، ولا من الاثار يدل على ان رسول الله (ص) كان يعرف القرآن قبل نزوله منجما . . .

و اما الجمع بين الاثنين السابقين فلا ينحصر بالقول بمعرفته (ص) به قبل نزوله منجما . . . بل يكفي فيه ماورد في تلك الروايات الدالة على نزول القرآن دفعة الى البيت المعمور ، و اجرى على الرسول (ص) منجما فلا تنافي بعد بينهما اصلا . . .

نعم . . قد روى المفضل بن عمر عن الصادق ما يدل على الجمع الاول قال المفضل يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه ، و كيف ظهر الوحي في ثلاث و عشرين سنة ؟ قال : نعم يا مفضل ، اعطاه الله القرآن في شهر رمضان ، و كان لا يبلغه الا في وقت استحقاق الخطاب ، ولا يؤديه الا في وقت امر و نهي ، فيهبط جبرئيل (ع) بالوحي فيبلغ ما يؤمر به ، و قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به . . " [20]

و هذه الرواية قد ذكرها بتمامها في البحار ، في باب ما يكون عند ظهوره (ع) قال روى في بعض مؤلفات اصحابنا : عن الحسين بن حمدان عن محمد بن اسماعيل ، و علي بن عبدالله الحسني ، عن ابي شعيب (و) محمد بن نصير ، عن عمر بن الفرات ، عن محمد بن المفضل عن المفضل بن عمر قال سألت سيدي الصادق الخ [21]..

و لقد حقق المعلق في سند الرواية في الهامش فقال : " بل الظاهر ان مفضل بن عمر الجعفي ، و جابر بن يزيد الجعفي ،و

تأملات في صيغة الحوار الاسلامي ـ المسيحي

ازمة الحضارة

ومشروع جديد للحوار

بقلم: الشيخ محمد مهدي شمس الدين
نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى

سراند يوما بعد يوم طهور عوارض الدمار الحطير الذى اصاب الانسان الحديث في سحصيته الفطرية حيث افرغ من محتواه الاساني بفعل اللهاث المجنون الذي استغرق وحوده و هو يركض وراء قيم حضارة مادية خالصة، سواء في ذلك اتجاهها الذي ينادي بالالحاد الصريح دينا وعقيدة، و اتجاهها الاخر الذي يعترف ـ من غير حماس ـ بالاديان سكلي باهت لا قيمة له ولا فاعلية في توجيه مصائر الانسانية.

والذى جعل المأساة الانسانية في العقود الاخيرة من هذا القرن تزداد عمقا واسلاما هو ان الانسان بدأ يعي وضعه الوجودي، بدأ يعي انه يعاني من اختلال عميق في وضعه الوجودية، لان هذه الحضارة قد وفرت له اللذة ولم تفلح في جعله يمتلك السعادة، ووفرت له حصانة ضد الامراض والفاقة و فشلت في ان توفر له السلام الداخلي كما فشلت في تحقيق درجة يؤبه لها من سلام العالم، و ما حققته في هذا الحقل من سلام ضئيل هو سلام " توازن الرعب " بين الاقوياء، و هو سلام يئن تحت وطأته مئات الملايين من البشر في العالم الثالث، المنهوبة ثرواتهم المهدورة كرامتهم، في اوطان صغيرة ضعيفة علق فوق اعناقها " سيف ديموقليس " بشعرة تمسك بها سياسة الوفاق الدولي في السنين الاخيرة.

ان انسان الحضارة يعيش ـ على الصعيد الاجتماعي والدولي ـ بين ثلاث حروب حرب يخوض غمارها، و حرب يصفي ذيولها، و حرب يتأهب لاشعالها، و يعيش ـ على مستوى حياته الشخصية والداخلية ـ في حرب داخل ذاته دائمة الاشتعال، يحاول ان يخفف من وطأتها بالفرار من وعيه لذاته الى خارج نفسه و ذاته بوسائل اللهو والاستغراق في اللذات الجسدية و ما اليها.

لقد فشلت هذه الحضارة على صعيد الانسان الانسان بالرغم من وعودها الشخصية، و تبجحاتها الكبيرة، و امكانات النجاح العظيمة التي اتيحت لها.

مشكلة انسان الحضارة و ملتقى طرابلس:

وفي غمرة هذا الادراك المتنامي للواقع البائس ووعي ابعاده واخطاره المستقبلية على الانسان ولد الشعور بالحاجة الى حوار بين المسيحية والاسلام. و قد استجاب سادات للفكر والروح في هذا الدين وذلك لهذا الشعور بالحاجة الى الحوار فكان الملتقى الذي تم في طرابلس بعد اعداد له من اولي الامر في الجمهورية العربية الليبية وسلطات الفاتيكان.

و قد حدثني عمامر انجازه في هذا اللقاء المبارك للحوار سيادة المطران غريغوار حداد و فضيلة الدكتور الشيخ صبحي الصالح، و هو على جانب كبير من الاهمية. و اعتقاداً مني بأن مسألة الحضارة المادية والاخطار التي تنطوي عليها بالنسبة الى مصير الانسان هي من اخطر مسائل عصرنا ان لم تكن اخطرها على الاطلاق، رأيت من واجبي ان اضع امام القيمين على هذا الملتقى بعض التاملات عن هذا الموضوع.

ان الانسان الحديث يعبر عن وجعه الوجودي وعن ضياعه بصرخات تسمعها الاذان الواعية.

والانسان الحديث لم يتوجه بصرخات الى قيادات الاسلام والمسيحية و الى العاملين على صعيد الفكر والروح، وانما توجه بها الى الكهنة الجدد لحضارتنا من رجال السياسة والمال و قادة البحث العلمي ليخترعوا له صيغا جديدة في الادارة و التنظيم السياسي و وسائل العمران والانتاج تجعله يحتفظ برفيه المادي، و يستعيد ـ في الوقت نفسه ـ انسانيته الضائعة.

ان انسان الحضارة الحديثة لم يتوجه بندائه و بصرخاته الى هولاء القادة، و لكن الشعور العميق بالمسؤولية امام الله تعالى و امام الضمير يستدعي ان يعبر عن نفسه حول هذه القضية الكبرى في هذا العصر، ان لم تكن قضية العصر الكبرى على الاطلاق.

محورالحواربين المسيحية والاسلام .

اشكال الحوار التقليدية بين المسيحية والاسلام:

ان الاسلام والمسيحية يرفعان معاً شعارات تدورحول تقدم الانسان و خلاصه في عالم الغيب و عالم الشهادة ،و في الدنيا والاخرة ، و من ثم فهما يتبعان اهدافا هي في النهاية واحدة، و لكن وسيلة كل واحد منهما الى بلوغ هذه الاهداف تختلف عن وسيلة الاخر ، و كل واحد منهما يؤكد بشكل جازم و نهائي انه الوسيلة الوحيدة لخلاص الانسان دون غيره من الاديان .

و هذا الوضع بالذات ـ و علينا ان نعترف به مسلمين و مسيحيين صراحة ودون مجاملة كاذبة ـ هو ماجعل كل واحد من الدينين يمثل ، بالنسبة الى الاخر احدى مشاكله الكبرى و تحدياته الخطيرة . و هذا هو ما جعل الحوار بينهما قدراً لازما لكل منهما تجاه الاخر ، و من هنا فان الحوار لم ينقطع بين الدينين منذ ظهور الاسلام .

و علينا الان ان نتبين اشكال الحوار و مياديه واهدافه في الماضي من اجل اكتشاف افضل المبادئ و افضل الاهداف للحوار الجديد .

لقد نداء الاسلام الحوار . و هذا امر طبيعي ، فهو الدين الذى انزله الله بعد النصرانية ، فواجه ، حين بعث به النبي محمد (ص) وضعا دينيا سائدا في العالم يتمثل بالنصرانية . و قد تجلى هذاالحوار اول تجلياته في القرآن الكريم . و كان حوار الاسلام ذااتجاهين : احدهما ـ يتمثل في دعوة المسيحية الى الايمان به باعتناقه والاعتراف له بانه يمثل الكلمة الاخيرة و الكاملة في التاريخ الديني للانسانية . و ثانيهما ـ يتمثل في دعوة المسيحية ـ اذا رفضت الايمان به ـ الى التعايش معه بعدالاعتراف به ـ اذلا يمكن التعايش في الرفض والانكار المطلق ـ و لكن هذاالحوار باتجاهيه بقى وحيدالجانب ، فلم تستجب المسيحية كنظام ثقافي و مؤسسة عقيدية للاتجاه الاول في الحوار ، كما انها لم تستجب كسلطة سياسية للاتجاه الثاني في الحوار .

لقد كان رد فعل المسيحية على ندائي الحوار اللذين وجههما الاسلام نحوها كمؤسسة ثقافية و نظام سياسي هوالحرب ثم علم الكلام ،و شهدالتاريخ ـ بعد توسع الاسلام السياسي ـ التعايش المسيحي الاسلامي داخل عالم الاسلام .

و هكذا ولد ، نتيجة لرفض المسيحية نداء الحوار الاسلامي ، ثلاثة اشكال من الحواربين المسيحية والاسلام :

الاول:حوارالسلاح والحرب ، و قد بداء هذا منذ استشهد الرسول الذى بعث

ءالنبي محمد (ص) الى حاكم بصرى في سوريا حيث فتكت به حامية بيزنطية .
الثاني:حوار اللاهوت و علم الكلام ، و قد بداء هذا في اللاهوت المسيحي
هجوم على النبي محمد (ص) و الدين الاسلامي اهون ما يقال فيه انه كان بعيدا تماما
ن العلم و الموضوعية و ادب الحوار ، و نجد الانعكاسات الاسلامية الاولى لهـذا
هجوم في القرآن الكريم ، الا ان هذا الموقف اللاهوتي قد اخلى مكانه في السنين
لاخيرة لنظرة متفهمة .
الثالث:حوار التعايش بين اتباع الدينين في مجتمع واحد ، والتفاعل المستمر
بينهما على صعيد الثقافة والحياة اليومية ، و هذا الشكل من الحوار كان وحيد الجانب
ذة طويلة من الزمان فحيث كان الاسلام ذا سلطان و نفوذ كان يعيش النصارى وغيرهم
ن اتباع الديانات الاخرى ، و لم يتح للمسلمين ان يمارسوا في الماضي حياة مستقرة
مة حيث كان للمسيحية سلطان .
و قد كان الشكل الاول للحوار ، حوار الحرب ، يستهدف التغيير من الخارج ، و
سيلته الى ذلك الاخضاع بالقوة لسلطة سياسية تمثل الدين الاخر او تدعي ذلك .
اما الشكل الثاني من اشكال الحوار ، حوار اللاهوت و علم الكلام و وسيلته
لاقناع العقلي ، فقد كان يستهدف لدى كل واحدة من الديانتين تغيير الديانة الاخرى
ن الداخل ، و ذلك لتحقيق مكسبين احدهما ـ تعزيز مركز كل واحدة من الديانتين
ام اتباعها و توفير القناعات الكافية لديهم بان عقيدتهم تمثل الحق المطلق . و
نيهما ـ اجتذاب اتباع الدين الاخر و حملهم بالاقناع العقلي على اعتناق الدين
جديد و التخلي عن صيغة ايمانهم القديمة .
اما الشكل الثالث من اشكال الحوار ، حوار التعايش فقد وجد على ارض الاسلام
ث عاش المسيحيون و أثّروا في المجتمع الاسلامي و تأثروا به . وقد ساهم هذا العيش
مشترك بلاريب ، في أنماء الحضارة والثقافة و اغنائهما . و قد كان هذا اللون من
حوار في الماضي و حيد الجانب ، فلم يكن ثمة مسلمون يعيشون بحرية و امان ، و
تمتعون بهوية دينية و ثقافية مميزة داخل العالم المسيحي . اما الان فيوجد ذلك على
طاق واسع و ان كان هذا اللون من الحوار لايزال يعاني من بعض المصاعب في بعض
مجتمعات .

اي شكل نختار لقضية الحوار الان؟

هذه هي اشكال الحوار التي نشات في الماضي بين الاسلام و المسيحية .

فاىّ هده الاشكال سنبنى فياداب الفكر و الروح فيهما مستجيبه به لتضرعـاب الانساں الحديث لمساعدة هذاالانساں على اں يحل مشكلته الوجودية مع الاحتفـاظ بتقدمه و اردهار عالمه المادى طبنة بعطلها هذا نداء المسؤولية الكبرى امام اللـــــه سبحانه و تعالى .

نبادر فنستبعد من دائرة بحثنا حوارالحرب . فان كل واحدة من الديانتيـن المسيحية والاسلام ، تخلت مكرهه عن سلطانها السياسى لأنظمة و مناهج و فلسفات فى الحكم والسياسة لاتقوم على اساس دينى ، هذا اذا كانت لاتحارب الدين و تعاديـه ، و لاتدعى اى من الديانتين انها فى هذاالعصر تملك السلطة وتوجه السياسة فى اى نظام للحكم فى العالم باستثناء امثلة نادرة.

و قد نوجهت المسيحية فى نطاقها البشرى و الجغرافى و كذلك الاسلام مند تخلتا عن سلطانهما السياسى الى ممارسة نفوذ ثقافى و روحى محض. و يحاول كل واحد من الدينين ان يحافظ على ايمان اتباعه متوقدا فاعلا امام قوى افرزتها الحضـــــارة المادية الحديثة تريد ان تقضى على هذاالايمان اوتسلبه فعاليته . و كل واحد من الدينين يسع فى محاولته هده وسائل غير سياسية . او هدا مايبدو للمراقب على الاقل .

و هدا يعنى ان الحوار الصدامى المسلح بين المسيحية و الاسلام ليس واردا ، كما انه فى المرحلة الحاضرة التى تمر بها الانسانية ممتنع موضوعيا ، و هولا يحقـق اى هدف اتى من اهداف اى من الديانتين ، هذا اذالم يعطل الدور الاساسى لكل منهما ، و يمكن اعداءهما من الانتصار عليهما نتيجة لخلافاتهما السياسية .

ننتقل من الحديث عن حوارالحرب لسبب منهجى محض الى الشكل الثالـث من اشكال الحوار بين المسيحية والاسلام ، و هو حوار التعايش.

ان هذاالشكل من الحوار موجود الان ، و هو ينمو و يزداد انتشارا ، ولكنــه لايعنى شيئا يذكر بالنسبة الى مهمة الديانتين فى عالم الحضارة المادية الحديثـة .

فنحن و ان كنا ننظر برضى الى التسامح الدينى الذى بداء المسيحيون مؤخرا يبدونـه تجاه المسلمين الذين لهم تاريخ عرقى فيه ــ هذاالتسامح الذى ادى الى ان تتكـــون جماعات مسلمة كثيرة العدد ــ حديثة التكوين ــ فى البلاد المسيحية رغم المصائب التى اشرنا اليها ــ تقابلها جماعات مسيحية كبرى قديمة التكوين فى بلاد المسلمين .

الا ان علينا ان نلاحظ ان المسيحيين هنا و المسلمين هناك يعيشون فى ظل الاخطار الكبرى التى تولدها الحضارة المادية ضد الانسان ، و من ثم فهم فى حالــــة

معايشهم ، كما لو كان كل منهم بمعزل عن الاخر ، من ضحايا هذه الحضارة او ممن يوشكون ان يقعوا فريستها على كل حال ، ولايولد تعايشهم قيمة جديدة نابعة من ايمانهم ، لانهم لايتعايشون في ظل الايمان الديني ، و انما في ظل الحضارة المادية المجردة من الايمان الديني التي يراد للحوار المنشود ان يكتشف سبل اصلاحها وذلك باعادة الاعتبار الى الايمان في نفس الانسان ، و من ثم بتغيير طبيعة الحضارة.

ان هذا لايعني ابدا كوننا لانعلق اهمية كبرى على التعايش المسامح المتعاون داخل كل دين بين اتباعه و اتباع دين آخر ، فهو ، بحد ذاته كسب كبير لقضية الانسان طالما نادى به الاسلام في ظل الايمان ، و عمل من اجله ، و روح المسيحية لاتأباه ، بل لعلها تشجع عليه الا اننا ننظر اليه هنا من زاوية جدواه في المساعدة على تصحيح مسار الحضارة ، و حل الاشكال الوجودي الذي يهدد الانسان الحديث وحضارته.

و من الواضح ان التعايش في ظل الحضارة المادية ليس كبير الجدوى بالنسبة الى هذه المعضلة.

يبقى بين ايدينا من الاشكال التاريخية للحوار الشكل الثالث و هو حوار اللاهوت و علم الكلام . هذا اللون من الحوار لم ينقطع ابدا ، فقد بداء منذ ظهور الاسلام ، و استمر عبر التاريخ و سيستمر بشكل او باخر في المستقبل . و هذا امر طبيعي مادام ثمة مفكرون و علماء هنا وهناك ، و مادام ثمة طموح الى احتذاب مؤمنين جدد بهذا الدين او ذاك ، و مادام ثمة حرص طبيعي على ان تبقى كل عقيدة في وعى اتباعها مقبولة و منيعة على النقد .

و لكن هذا اللون من الحوار بين الاسلام والمسيحية لايحقق الهدف المنشود من الحوار الان .

فان الهدف المنشود من الحوار الان هو الوصول به الى تعاون بين الاسلام و المسيحية مخلص و حقيقي على تصحيح مسار الحضارة المادية ، هو اعادة الاعتبار الحقيقي الى القيم الايمانية والفطرية في الانسان و جعل هذه القيم قوة فاعلة و مؤثرة في الحياة، هو جعل الحضارة الحديثة ذات ضمير اخلاقي ليمكن اعادة بناء الانسان الحديث . هذا هو الهدف المنشود من الحوار ، فكيف يمكن ان يؤدى بنا حوار بين اللاهوت و علم الكلام الى هذا الهدف ؟

و هنا تواجهنا بعض الاسئلة :

ما هو الطموح المتصور لحوار بين اللاهوت و علم الكلام ؟ هل ثمة طموح الى

بعيرالاسلام من الداخل لىتحد مع المسيحية؟ او هل ثمة طموح لتغيير المسيحية من الداخل لىتحد مع الاسلام؟ او هل ثمة طموح الى ان يغير كل واحد من الدينين بعض مفاهيمه و يتخلى عن بعض قواعده ليتحد الديانان في دين ثالث لاهو دين الاسلام التاريخي ولاهو المسيحية التاريخية؟ (وهذاالسؤال الاخير يذكرنا بمحاولةالامبراطور المغولي " اكبر "التى لم تثمر غيرالاخفاق) .

فأى طموح من هذه الطموحات يحقق الهدف المنشود ؟

الحق ان اى طموح معترض للحوار بين اللاهوت و علم الكلام لايحقق هذا الهدف . بل قد يكون معوقا يحول دون استمرار تجربة الحوار و نجاحها . لانقول هذا لنلغي دور اللاهوت و علم الكلام فدائرة الحوار الخاصة بهما كانت وستبقى . ولايمكن الغاؤها لان العلاقة بينهما ناشئة من طبيعة الدعوتين و من شموليتهما بل نقول هذا لنخلص منه الى القول: ان القضية المطروحة على مشروع الحوار بين المسيحيةوالاسلام تتعدى طاقة اللاهوت و علم الكلام وتخرج عن دائرة اختصاصهما .

ان الاسلام والمسيحية يعانيان معا من الحضارة المادية الحديثة باعتبارها صيغة حياة تلغيهما معا و تدمر مجال عملهما الاساسي و هو الانسان ، و لذا فان حوار اللاهوت و علم الكلام ، و هو يعالج علاقات الدينين من الداخل ، لن يكون ذا جدوى في حقل تقف فيه الديانتان معا في مواجهة هدف مشترك هو مادية الحضارة ومصير الانسان ولذا فلابد من التماس شكل جديد للحوار يحقق الهدف المنشود .

للبحث صلة

شخصيات رائدة

أُوَيْس القَرَني
الزّاهد الكَبير

بقلم : الشيخ مهدى پيشوائى

ترجمه : جعفر الهادى

" ماكان أُوِيس مجرد نصير عادى من
" انصار الامام على - عليه السلام
" فحسب ، بل كان حواريا من حوارييه
" - المعدودين - .
" انه هو ذلك الذى ارتفعت به
" عملقة الروح وتقوى الضمير الى
" مكانة لن ينالها احد عند على
" (ع) الا من بلغ منتهى اللباقة ،
" وغاية الصدق بحيث تجعلان
" المرء محلا للاعتماد ، و موضعا
" للثقة .
" اجل . . . انه أُويس . . الذى
" سيكون واحدا من العتق الذى
" سيقوم - يوم القيامة - من بين
" حشود الناس - ، عند ما ينادى
" منادى الله :
" اين المخلصون ؟ "

لست عرفانيا هذا . . . فأُويس (القرنيّ) هو ذلك الرجل الذى احب ربه بصدق - منذ ان عرفه - فكان ذلك الصالح المزهد عن كل ما يربط المرء بالحياة المادية من علقات تافهة . المترفع على كل ما تمنعه من استشراف جمال الحق . . .

فهو الذى كان بحق - و حق - واحدا من الزهاد المعروفين فى صدر الاسلام [1] ، الذين ذاع صيتهم ، و طرق حديث زهدهم ، وتقواهم ، كل قلب ، وكل سمع ، والقى بظلاله على كل مكان . . .

وهو الذى كانت حياته - برمتها - مزاجا خالصا ، من الحب الالهى ، والانجذاب الباهر نحو الله . . . وهى معان - كانت و تكون - موضع استغراب البعض ، ودهشتهم ، لانها - بالنسبة اليهم - دروب لم يطرقوها قط ، ولانهم لم يتذوقوا حلاوة المحبة تلك

.. ولم يعرفوا ما يكمن في السير على طريق الله ، في الوقت الذى كانت هذه المعانـــي . مبعث (المغالاة) عند آخرين من ذوى الانفس الضعاف ، ممن انبهروا ، واذابهم يدفعهـم الانبهار الى ان يجنحوا الى عالم الخيال ، فينسجوا حول اولئك (الزهاد) وحول حياتهم نسيجا مكثفا من القصص والحكايات التي هي من الاساطير قبل ان تكون من الحقيقـة فـي شيء . . .

فهاهم المتصوفون يذهبون الـــى تعريف أُويس على انه (قطب) من اقطابـهم وينسبون اليه شيئا كثيرا من الكرامات . . . وبذلك يكونون قدا حاطوا تلك الشخصيـــة المتالقة ــ و حياته كذلك ــ بهالة كثيفة من الابهام و الغموض، و اذا بأُويس الشخصية المتكاملة تعدو أشبه ما تكون بمن يبدى طرفا من وجهه لضوء المصباح ،فيغوص الطرف الاخر في دنيا الغموض، بما يلفه من ظلام . . .

وهانحن ــ هنا ــ نبداء النظر الى (اويس) ــ في هذه الزورة الخاطفة له ــ من الزاوية المضاءه من شخصيته . . .

فمن هو أُويس ــ قبل كل شيء ــ ؟

انه رجل من " قرن " و هو بطن من بطون " بني مراد " [٢].

. . . رجل آمن بالرسول قبل ان يراه

. . . بل ودون ان يراه قط.

ولعلك تعجب كيف ان أُويسا لم يوفق للقاء الرسول ــ ص ــ وهو في عصره . .

اقول لعلك تعجب اذا عرفت الـ

فقد كانت لأُويس ام عجوز . .

أُويس يودها كثيرا ويبر بها غاية البر

حتى انك لتعجب ــ ايضا ــ اذا عرفت

اويسا بلغ به برّه بامّه العجوز ــ هذه ــ

دفع به الى ان يلخص في خدمتها ،كل

في الحياه ، كما لخص في اسعادها كل ا

في دنياه . . . واذا برّه بامّه وحاجتها

الاخرى ــ اليه والى رعايته لها ، منعا

الهجرة الى (المدينة) للقاء الرسول

والتشرف بخدمته . . . [٣]

ولابد ان تعلم ان ما فعله أُويس

حتما ــ من وحى عقيدته ودينه . . . لـ

عمر ان أُويسا وان لم يوفق لـ

الرسول و لقائه و رؤيته ــ حتى الاجر

انه لطالما وفق للقاء كثير من اصحابه ال

ولذلك عد من التابعين . . . [٤]

فهاهو الرسول العظيم ــ ص ــ

في حقه :

(اويس القرني . . . خير التابعين باحـ

نبوءة الرسول (ص)

و كان أُويس ــ كغيره ــ من الـ

الحقيقيين ،الذين تربطهم بالله وشائج

من المحبة الخالصة والود الطاهر العمـ

ـعوسهم نور المعرفة الصادقة، و اذابهم
م كل ما يحسونه في اعماقهم من رفعة و
ـر يأبون بانفسهم ان يتظاهروا بشيء
لك و ان يجاهروا احدا بما يستكن بين
حهم من الاشواق الكبيرة والانطلاقـات
مة.

وما اكثر هؤلاء.. الرجال الربانيين
ن وان كانوا قد قطعوا في طريق معرفة الله
ا بعيدة، وارتقوا الى مراتب عليا من
ل الروحي والتسامي المعنوي، الا انهم
ـ طوال زمن ليس بالقصير ـ مخبوئين
واضعهم و بساطتهم، فلا احد يعرف عما
ى عليه نفوسهم من سمو، ولا احد يعرف
عن سر عظمتهم الكامن في الصدور.

لقد كان أويس من هذا الطراز.. تماما
من هذا الطراز من الرجال الربانيين.

و لذلك كان ـ كما تكون الكنـــوز
ئة في جوف الارض، او الغائبة عن الابصار
كام الاطلال المهجورة ـ كان يعيش في
ة من العيش مخبوءا وراء بساطته... لا
عن عظمة روحه احد من الذين كانوا
ن حوله.

ولكن ـ كما لم يكن للكنوز ان تبقى
لابد، مغمورة مهجورة، غائبة عن العيون
لك ماكان أويس ليبقى ـ الى الابد ـ
ل العظمة عند الاخرين.

فها هو ذلك اليوم الذي تصبح فيه
تلك العظمة ـ المجهولة المخبوءة وراء البساطة
والتواضع ـ منظورة للجميع... قد أتى..

وكان ذلك ساعة راح يتطلع الرسول
بلهفة ـ نحو اليمن ـ ويعلن عن شوقه العجيب
الى رؤية "أويس"... قائلا:

(واشوقاه.. اليك يا أويس القرني!
ألا.. و من لقيه فليقرأه منـــي
السلام..)...!!

فاذا قال له اصحابه و ملؤهم عجب
واندهاش لما يعاينونه على الرسول من شوق
حار الى رؤية أويس:

(ومن هو أويس... يارسول الله؟)

اجابهم ـ صلى الله عليه وآله ـ بقوله:

(انه ـ اي أويس ـ ان غاب عنكم
لم تفتقدوه... وان ظهر لكم لم
تكترثوا به...
يدخل الجنة، في شفاعته، في مثل
ربيعة و مضر..
يؤمن بي... ولا يراني..
و يقتل بين يدي خليفتـــي،
اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب،
في صفين...) [٦].

ولقد تحققت (نبوءة الرسول) هذه
حرفا بحرف. فأويس لم يؤمن فحسب، بل
وبلغ بإيمانه مرتقى رفيعا، و مرتبة سامقة،

حدى به الى ان يحيى بعض الاحيان ــ ليال طويلة ــ بكاملها ــ في التعبد والصلاة . .

فهو مرة يمضيها في قنوت واحد ، من امضي الليل الى اقصاه . .

ومره في ركوع واحد ــ كذلك ــ

وتاره في سجود . . . ــ كذلك ايضا ــ .

ثم اذا هو يكتفي من الطعام والغداء بالبلغة وباللباس بما تيسر . . اما ما هو وراء ذلك فيدفعه على المحاويج في رغبة مدهشة واندفاع غريب . وهو بعد ذلك ، يرفع اكف ضراعته الى ربه . . . ويروح يناجيه في خشوع واعتدار بهذه الكلمات :

(اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به .

ومن مات عريانا فلا تؤاخذني به)[7] .

وبهذا لم يكن أويس بالزاهـــــد الذي يكتفي من الزهد بالابتعاد عن معترك الحياة ، وعدم الاكتراث بما قد يصيب الناس من نكبات والام . . وحاجة وحرمان .

بل ــ كان ــ وظل ــ زاهدا حقيقيا عرف الزهد بانه (محبة الله) محبه تذوب عندها اشواق النفس الى غير الله ، واشتدادها الى سواه . . . وتقوى معها الرغبة الى العمل الصالح ، وخدمة العباد من اجل الله ليـــس من اجل سواه . . احدا كان او شيئا . . .

ولذلك كان زاهدا احب الله ... في حبه كل تعلق زائف بغير الله لا يلتمس الا المضاءه بانوار المعرفة الالهية والحب ...

فاذا به يجمع بين التعرف الى ... بالعبادة والصلاة ونجدة المحرومين ... المحتاجين على نفسه ، ومشاركتهم في الامهم وآمالهم . . . والثائر لما يحل بهم من الفقر والفاقه والحرمان .

اجل . . لقد كان اويس ــ كان ... حق ــ يدرك ــ في ضوء ايمانه الواعي ... البصيرة ــ ان نفسه مسؤولة تجاه ربها ... هي ايضا مسؤولة تجاه مجتمعها . .

ولذلك فهو لايستطيع ان يعتز... معزل عن امال مجتمعه والامه . . . بحجة التعبد او الصلاة . . . اندفاعا وراء الزهد بمفهومه الخاطىء . . .

واذن فهو مدعو ــ في كل حين للدفاع بسالة عن الحق . . . ولذلك ... لينافس ــ ابدا ــ عن الاخذ بأيدي المحرو... . . . والقيام بحقوقهم ، و بعدم ... اليهم . . . ثم هو الذي ختم حياته بال... ــ كما سنعرف ــ .

واذا اردت ان تقف على كل ... من شخصيته فما عليك الا تأتي معي لنسمع الى جوابه على سؤال من يسأله عن حا... حيث يقول :

(كيف يصبح رجل ان اصبح ظن انه لايمسي . . . وان امسى ظن انه لايصبح . . .

يبشر بالجنة . . . ولايعمل عملها . ويحذر من النار . . ولايترك مايوجبها . . .

والله ان الموت وغصصه . . وكربانه ، وذكر هول المطلع ، واهوال القيامة لم تدع للمؤمن في الدنيا فرحا . . وان حقوق الله لم تبق لنا ذهبا و لافضة . . .

وان قيام المؤمن بالحق في الناس لم يدع له صديقا . . .

يأمرهم بالمعروف و ننهاهم عن المنكر فيشتمون اعراضنا . . . و يرموننا بالجرائم والمعايب والعظايم . . . ويجدون على ذلك اعوانا من الفاسقين . . .

انه والله لايمنعنا ذلك ان نقوم فيهم بحق الله تعالى ؟ . .)[8]

ويس و دعايات معاوية المضللة

كانت وفاة الرسول العظيم — ص — فرصة مناسبة لأعداء الاسلام القدامى ان سرعان مانشطوا من اجل الظفر باهدافهم وثبوا على مساند الحكم وحملوا انفسهم على رقاب الامة . . .

وقد كان معاوية من بين الوجوه المقيتة التي وثب على السلطة . .

على ان معاوية يسم السلطة اول ما تسنمها ، كوال من قبل المدينة — العاصمة . . ولكنه منذ ذلك الحين وهو يفكر في الخلافة لنفسه . . و قد مهد لهذا الامر و راح يغرر العواعد في انتظار الوقت الملائم لاعلان الخلافة لنفسه . . .

حتى اذا قتل عثمان . . . فكان مقتله فرصة مناسبة لمعاوية الذي سارع الى اعلان الخلافة لنفسه وفق خطة ماكرة . . مخالفا بذلك اوامر الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب . . اكبر والى شخصية عرفتها الامة بعد الرسول .

وقد حاول معاوية — بعده — ان يصرف الناس عن الامام علي (ع) بكل وسيلة عرفها وان يمنع من وصول صوت الحق الى اسماعهم بما اوتي من قوة ومال ودهاء .

ولذلك لم يغفا يسري — في سبيل ذلك — الضمائر ، ويستعطف ماامكنه من الشخصيات الكبرى و زعماء القبائل . . بالمال مرة وبالجاه اخرى . . .

غير انه نهج مع آخرين ممن لم ينفع معهم شيء من الوسائل — المذكورة — وسيلة اخرى اشد خطرا وهي وسيله (الدعاية المضللة) ضد علي واهل بيته المكرمين . .

انطلق يسعى للنيل من الامام علي (ع) و تشويه صورته المشرقة في الاذهان . . متظاهرا بمظهر المدافع عن الحق . . والدين

وكان طبيعيا ـ وللاسف ـ ان يحصل معاوية على اكبر النتائج ، بواسطة هذه الوسيلة الخطرة ، حتى انه تمكن من زرع بذور العداء للامام في نفوس الشاميين وان يربيهم على بغضه وحقده . . (عليه السلام) .

لقد استطاع معاوية ـ بفضل دعاياته المضللة الشيطانية ، ان يستحوذ على الاذهان ـ في الشام ـ استحواذا كاملا ، عطل بواسطته كل قدرة على الرؤية والتشخيص عند الشاميين . . . حتى عاد الشامي غير قادر ـ بنفسه ـ على رؤية الامور بنفسه ، و التمييز فيها ، بل بات يرى كل مايفعله او يقوله معاوية هو الحق بعينه . .

وفي ظل هذه الدعايات المضللة ـ بالذات ـ استطاع ان يؤلب معاوية اهل الشام ضد (علي) وان يخرج بهم لمقاتلته تحت غطاء (الجهاد في سبيل الله) . . . بعد ان كان كثير من الشاميين قد اقتنع بان عليا ليس سوى عدو من اعداء الله يجب قتاله . . .

ولم يكن ليفوت الامام (عليه السلام) ان يستفيد من كل فرصة لايقاظ الشاميين المغرر بهم ، وايقافهم على حقيقة الحال . .

ولم يكن ليدع فرصة تمر دون ان يمزق اس[تار] الزيف التي كان يتستر وراءها معاوية لسد[ل] وجهه الحقيقي للرأي العام . . .

وقد كان وجود جملة من رجال الرعي[ل] الاول الذين طالما مدحهم النبي (ص) واثنى على ايمانهم . . وصدقهم ودفاعهم عن الحق . . . و حسن بلائهم فيه .

كان وجود مثل هؤلاء الصفوة من المسلمين في صفوف الامام علي (ع) خير شاهد على حقانية (علي) و سلامة نهجه وبطلان معاوية وزيف مزاعمه . .

بل وربما كان وجود هؤلاء الصفوة بين جنود (علي) واتباعهم له . . . باعث[ا] على زعزعة الثقة عند انصار معاوية . .

وقد كان أويس القرني من هؤلاء . . الذين طالما سمع الناس الرسول يثني عليهم ويخبر عن ايمانهم . . واستقامتهم على الحق

وقد كان من الطبيعي ان يكون لوجود أويس في صفوف الامام علي (ع) اثره الكبير

كيف لا . . ولم ينس الناس بعد حب الرسول لأويس . . وشوقه الساحق الى لقاه . . . و كلماته الذهبية . . . في حقه . . هذه الكلمات التي لاتزال تدوى في الاسماع فتبدد كل شك يمكن ان يحوم حول أويس . .

(واشوقاه . . اليك ياأويس القرن[ي] . .

من اجل كل هذا . . فقد كان وجود

...ن في اصحاب (علي) اكبر شاهد . . واقوى
...د على حقانية علي . . . وبطلان معاوية . .
... ورائه كل دعاياته و اراجيفه . . حول
...م المتقين (علي) . . عليه السلام .

ولذلك لم يكن بمستغرب ان يحدثنا
...ارح كيف حدث ان خرج بعض انصار
...ية . . من معسكره . . والتحقوا بمعسكر
...ام (علي) فوراً ان سمعوا بوجود أويس الى
...ب الامام . . .

يقول ابونعيم الاصفهاني عن ابن
... ليلى انه قال :

" نادى رجل من اهل الشام ، يوم
...ين :

(أفيكم أويس القرني . . ؟)

...ا نعم . وماتريد منه ؟

قال اني سمعت رسول الله (ص)
...ل :

(ان أويس القرن خير التابعين بأحسان)

ثم عطف دابته ، فدخل مع اصحاب
...(رضي الله تعالى عنه)[9].

ميثاق الشهادة

على ان قصة انضمام أويس الى
...ر الامام ، هي الاخرى قصة جديرة بالتأمل . . . اذ انها تعتبر ـ في حد ذاتها ـ معلما قويا من معالم عظمة الشخصية عند أويس ، كما هي في الوقت نفسه دليل آخر على مدى تضحيته في سبيل الله والحق . . . و اخلاصه لامام المتقين (علي) عليه السلام الذي كان يمثل الحق اينما دار .

واليك القصة كما ينقلها استاذ الشيعة الاكبر الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ :

" بينما كان عليّ في طريقه الى صفين ، نزل بذي قار ليستريح ، و فيما هو جالس لاخذ البيعة قال :

(يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل ،
لايزيدون رجلا ولاينقصون رجلا . .
يبايعوني على الموت . .)

فلم يمض على كلام (عليّ) زمان حتى ظهر القوم الذين عناهم الامام . .

(قال ابن عباس) ـ وهو ابن عم الامام وكان من انصاره وخاصته ـ :

فجزعت لذلك . . و خفت ان ينقص القوم عن العدد او يزيدون عليه ، فيفسد الامر علينا . . ولم ازل مهموما ، دأبي احصاء القوم ، حتى وردوا عليه فجعلت احصيهم ، فاستوفيت عددهم ، تسعمائة وتسعة وتسعون رجلا . . ثم انقطع مجيئ القوم . . فقلت :

(انا لله وانا اليه راجعون . . ماذا حمله على ماقال ؟!)

فبينما انا افكر في ذلك ، اذ رايت شخصا قداقبل حتى اذا دنا واذ هو رجل عليه قباء صوف ، و معه سيفه وترسه ،وادواته .. فقرب من اميرالمؤمنين فقال :

ــ أمدد يدك أبايعك .

فقال له اميرالمومنين :

ــ على مَ تبايعني ؟

قال ــ على السمع والطاعةوالقتال بين يديک حتى أموت أو يفتح اللهعليک ..

فقال ــ ماأسمک ؟

قال ــ أويس..

قال ــ انت أويس القرن..

قال ــ نعم

قال ــ اللهاكبر . .اخبرني رسول الله صلى الله عليهوآله اني ادرک رجلا من امتــه يقال له أويس القرني ، يكون من حزب اللهو رسوله يموت على الشهادة يدخل في شفاعته في مثل ربيعةومضر . . [10]

اجل لم يكن أويس نصيرا عاديا ــ مجرد نصير ــ من انصارالامام علي ، بل كان حواريا من حوارييه [11]

مما هو قدبلغت به عظمة الــروحو عظمةالنفس وتقوى الضمير حدا جعله موضعا لثقةالامام (علي) و صاحبالسرّه . .

ولقد قاتل أويس هذا ،يوم صفين ، في عدادرجّالة المعسكر العلوي . . . قاتــــل اعداءالله ببسالة رائعة غير مكترث بالمو سواء قَتل ام قُتل ..!

وقداستشهد اخيرا في ميدان الـ وبين يدي الامام في ذلک اليوم . . و كـ بدمائه الزكية آخر صفحة من سجل حيا المشرقة . . مؤمنا بان الموت للمؤمن .. ان هو الاتحليقة كريمه الى سماء الخلـ .. والاّ دخول مشرّف الى التاريخ من أو ابوابه . .

ولايخفى ان بيعة أويس للامـا اميرالمؤمنين و تواجده بين صفوف الامام استشهاده بين يديه ، كان ــ و سيظل ــ دليل على حقانية علي ، ومنقبة اخرى مـ مناقبه الكثيرة وفضائله العديدة ــ عليه السلا

بيد ان الاعتراف بهده الحقيـ الساطعة ، يبدو انه كان ثقيلا على بعـ المؤرخين القدامى ، فراحوا يقللون من شا أويس باختلاق بعض القصص له مع عمر ـ الخطاب . . .منها مانقلهاابونعيم الاصفها في صور مختلفة . .

غير ان آثارالاختلاق باديه عليـ بوضوح لانحس معه الحاجة الى الرد . .والسـ

لقد دفعت هذهالحقيقة مدلسـ التاريخ ووضّاع الاكاذيب فيه الى ان ينكرو " مقتل أويس واستشهاده بين يدى الامـا علي في صفين " وعمدوا الى تقديم موعـ وفاته عن ذلک الوقت بسنين . . فادعوا انـ

نوبي في عهد خلافة عمر عند العودة من حرب
رباحان) . . . وعلى اثر مرض الم به . . .
توفي فيه . . ولما ارادوا دفنه . . لم يجدوا
قبر ولا لصاحب القبر اثرا !!.[13]

الان نظرة فاحصة الى هذا الحكايه
كما سعى ان تسمى ـ تهذيبا سهولة الى
نسجه الاختلاق فيها . . و تكشف لنا كيف
تمادى نسج الوضّاعين في التاريخ . . . الذين
ارادوا بهذا الاختلاق تلبية رغبة اسيادهم ،
اسدلوا على الحقيقة ستار الانكار بدافع
التعصب تاره و تحت بريق الذهب و الفضه
تارة اخرى . . . الامر الذي حدى حتى بابن
الجوزي ـ الذي لا تربطه بالشيعه ابه ارتباطات
ان يعد في كتابه (تذكرة الموضوعات)ـ
الذي كتبه للرد على كل ماهو موضوع من

الاحاديث على لسان الرسول الكريم (ص)ـ .
ان نعد هذه الحكاية ـ التي حيكت
للتغطية على قصة بيعة اويس مع الامام علي
واستشهاده في صفين ـ وان نعتبرها من وضع
الوضّاعين واختلاق المختلقين . . .[14]

وبهذا ستصدق انها القارئ الكريم
انا لم نكن نبالغ حينما قلنا : بان حياة
اُويس وشخصيته المألفة ، قد طمسا في هالة
من الغموض .

ثم ان داود عرفان ما استخرجناه
لك ـ بالاعتماد على المصادر التاريخية ـ
من الحقائق عن الجانب المرئي والمضاء من
شخصية ذلك الزاهد المجاهد يدل ـ بقوة ـ
على عظمته . . و اصالة شخصيته . . .

(11) وكانوا يعرفون ـ (الزهاد الثمانية) وهم وان لم تكن استقامة بعضهم موضع اتفاق العلماء جميعهم إلا ان اُويسا كان موضع اتفاق الجميع . لما شهدوه عليه من تقوى صادقة . . واستقامة لم تتغير . . (راجع رجال الكشي ص ٩٠-٩١)

(2) قاموس الرجال ج٢ ص ١٣٤ (٣) حلية الاولياء ج٢ ص ٨٧

(4) كان يطلق وصف (الصحابي) على من ادرك عصر الرسول وسمع منه واستفاد منه . . وكان يطلق (التابعي) على من لم يدرك عصر الرسول ولم يسمع منه مباشرة . . . بل ادرك اصحاب الرسول وسمع منهم ما اخذوه عنه ـ ص ـ بلا وسيط . . .

(5) حلية الاولياء ج٢ ص ٨٦ ـ رجال الكشي ص ٩٣

(6) سفينة البحار ج١ ص ٥٣ (٧) حلية الاولياء ج٢ ص ٨٧

(8) سفينة البحار ج١ ص٥٣ وحلية اولياء ج٢ص ٨٣ مع فارق بسيط . . .

(9) حلية الاولياء ج٢ ص ٨٦ رجال الكشي ص ٩١

(10) ارشاد المفيد ص ١٤٩ واعلام الورى ص ٧٣ مع فرق بسيط .

(11) حواريو الامام او النبي هم اولئك الذين كانوا موضع ثقة الامام او النبي و صاحب سرهم . . .

(12) حلية الاولياء ج٢ ص ٨٦ـ ٨٢ (١٣) المصدر السابق .

(14) راجع قاموس الرجال ج٢ ص ١٣٣

السجود على الارض

الشيخ علي الاحمدي

لاخلاف بين المسلمين في وجوب السجدة في الصلاة في كل ركعة مرتين و انما الخلاف فيما يسجد عليه اى مايضع عليه المصلي جبهته فقال ائمة المذاهب الاربعة ـ كما في الفقه على المذاهب الاربعة ـ بجواز السجود على كل شيء من تراب وحجر ورمل و حصا وصوف وقطن و . . . بل على ظهر انسان آخر عند الزحام [1] وقالت الامامية تبعا لائمة اهل البيت عليهم السلام انه لايجوز السجود الا على الارض من تراب و رمل وحجر وحصى اوعلى ما انبتته غير ماكول ولاملبوس ويحتجون بالاثار المنقولة عن ائمتهم عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبما رواه ائمة اهل الحديث من اهل السنة.

واذا دققنا النظر في هذه المسئلة نرى التطور البارز فيها على مدى العصور منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله ولعبت عوامل التغيير والتبدل بها كما تلعب بكل موجود ممكن اذ نراها على احوال و شرائط خاصة في بدء تشريعها ثم نشاهد التغير التدريجي حتى تنقلب الى حالة مباينة لما كانت عليه اولا ويتضح ذلك بالتدبر التام في الماثور من ادلتها وتاريخها وعمل الصحابة ، والتابعين فقبل شيوع التقليد في علماء المسلمين وعامتهم ـ اى ماقبل القرن الرابع ـ لم يكن يعد القول بوجوب السجود على الارض فقط اوعليها وعلى ما انبتته الارض غير الماكول ولا الملبوس أمرا شاذا بدعيا كما يظهر من النصوص الآتية بل افتى الامام مالك باستحباب السجود على الارض وما انبتته [2] بل جمع غفير من الصحابة كانوا يقولون بوجوب السجود على الحصا والتراب فقط وعلى ذلك جرى عملهم ثم عند شدة الحر وجدت الخمرة [3] وهي سجادة صغيرة من خوص النخل بقدر ما يسجد

عليها في عصر الرسول صلى الله عليه وآله توقيا من شدة الرّمضاء وللصلاة في السبوب على البسط والطنافس فيضعونها ويسجدون عليها.

ولكنه لما نشأ التقليد والافتاء بالرأي واستقرت المذاهب على الاربع المشهورة اتجاه الفتاوى التقليدية فترك العمل باتخاذ الخمرة - السجادة الصغيرة - وعد القول بالجواز على الاطلاق من شعار التسنن في مقابل مذهب اهل البيت عليهم السلام بسببهم ولم يجترئ احد على المخالفة خوفا من وصمة البدعة.

وكيف كان فقد استدل لمذهب الامامية بوجوه :

١- قول النبي صلى الله عليه وآله : " جعلت لي الارض مسجدا وطهورا " [٤]

٢- قول النبي صلى الله عليه وآله : " جعلت لنا الارض كلها مسجدا " [٥]

٣- قول النبي صلى الله عليه وآله : " جعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا " [٦]

دلت هذه النصوص على ان الذي يسجد عليه في الشريعة الاسلاميه هو الارض لان ماهو طهور هو الذي يكون مسجدا فكما ان المطهرية ثابتة لنفس الارض فكذا كونهـــا مسجدا ولا ينافي ذلك استفادة امر آخر من الحديث الشريف وهو ان العبادة والسجــود لله سبحانه لايختص بمكان دون مكان بل كل الارض مسجد للمسلمين اينماكانوا وحيثما حلوا وساروا وليسوا كغيرهم حيث كانت العبادة بزعمهم مختصة بالبيع والكنائس وذلك لانه قد يستفاد من كلام واحد احكام كثيرة ونكات متعددة ولاسيما كلامه صلى الله عليه وآله اذ اعطى جوامع الكلم ونزل بلسانه القرآن الكريم .

٤- روى عبدالرزاق عن خالد الحذاء قال رأى النبي (ص) صهيبا يسجد كانــه يتقي التراب فقال له النبي (ص) : " ترب وجهك ياصهيب " [٧]

٥- عن ام سلمة رضي الله عنها قالت : رأى النبي (ص) غلاما لنا يقال له افلــح ينفخ اذا سجد فقال " يا أفلح ترّب " [٨]

٦- قوله ص : " يارباح ترّب " [٩]

٧- وقوله "ص" كما عن ام سلمة رضي الله عنها : " ترّب وجهك لله " [١٠]

٨- وماروى عن علي عليه السلام قال :" اذا كان احدكم يصلي فليحسر العمامة عن وجهه " يعني لايسجد على كور العمامة [١١]

٩- وما عن عائشة قالت :" مارأيت رسول الله ص متقيا وجهه بشيء تعني فــي السجود " [١٢]

١٠- وما عن ابن عباس انه قال " اذا سجدت فالصق انفك بالارض " و قال :

" لا صلاة لمن لا يمس أنفه الارض "[13]

١١ــ وما عن ابي سعيد الخدري : " انه رأى الطين في انف رسول الله من اثر السجود وكان مطروا من الليل ــ كذا ــ و ما عنه قال : " رأيت رسول الله (ص) سجد في الماء والطين "[14]

١٢ــ و ما عن انس بن مالك قال كان رسول الله ص يصلي على الحمرة [15]

١٣ــ وما عن ابن عباس ان النبي ص كان يصلي على الحمره [16]

١٤ــ وما عن ابن عمر كان النبي ص يصلي على الخمره [17]

١٥ــ وما عن عائشة ان النبي ص كان يصلي على الحمرة [18]

١٦ــ وما عن ام سلمه ان رسول الله ص كان يصلي على الحمره [19]

١٧ــ وما عن ميمونة كان رسول الله ص يصلي على الحمره [20]

١٨ ـ وما عن ام سليم عن النبي ص انه كان يأتيها فيقيل عندها فيبسط له نطع فيقيل عندها وكان كثير العرق فجمع عرقه فجعله في الطيب والقوارير فقالت وكان يصلي على الحمرة [21]

ويؤيده، عن انس ان رسول الله (ص) صلى على حصير[22] و عن عائشة ان النبي قال لها ناوليني الحمرة فقالت انا حائض قال انها ليست في يدك وعنها قالت قال رسول الله ناوليني الحمرة قلت اني حائض قال ناوليها فان حيض المرأة ليس في يدها ولا فمها وفي رواية ان النبي ص قال لعائشه، ناوليني الحمرة من المسجد فقالت اني قد احدثت فقال اوحيضك في يدك[23] وفي الكافي ج ٣ ص ١١٠ والتهذيب ج ١ ص ٣٩٧ قد كان بعض نساء النبي ص تكب عليه الماء وهي حائض و تناوله الخمرة، وفي من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٩٥ " ولا بأس ان تكب الحائض على يد الموصي وتناوله الخمرة . وتوجد هذه الاحاديث في وسائل الشيعه ج ١ ص ٥٩٥ عن المصابيح الثلاثة والمحاسن للبرقي و كذا في البحار ج ٨١ ص ١٥٨ .

١٩ــ وما عن ميمونة زوج النبي ص قالت كان رسول الله ص يصلي وانا حذاءه وربما اصابني ثوبه اذا سجد وكان يصلي على الحمرة[24]

وما في طرق الامامية عن ائمة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم روايات دالة على جواز السجود على الحمرة ففي وسائل الشيعة ج ٣ ص ٦٠٣ عن الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام السجود على الارض فريضة وعلى الخمرة سنة وعنه عن ابي جعفر عليه السلام سئل عن الصلاة على الحمرة المدنية فكتب ــ صل فيها ما كان معمولا بخيوطة ولا تصل

على ماكان معمولا بسيورة وعن الشيخ الطوسي ره عن موسى بن جعفر عليه السلام قال لا
يسعى شيعتنا عن اربع حمرة يصلي عليها . . .وسيأتي بعض الكلام في الحمرة فانتظر.

٢٠– وما روى ان رسول الله ص رأى رجلا يسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته
حسر رسول الله (ص) عن جبهته[٢٥]

٢١– وماروى ان رسول الله ص رأى رجلا يسجد على كورعمامته فأومأ بيده
رفع عمامتك وأومأ الى جبهته[٢٦]

٢٢– وماروى عن ابي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال :"لا يسجد
لا على الارض اوما انبت الارض الا القطن والكتان .[٢٧]

٢٣– وماروى عنه عليه السلام انه قال :" دعا ابي بالخمرة – السجادة الصغيرة
ن الخوص – فأبطأت عليه فاخذ كفا من حصى فجعله على البساط فسجد عليه[٢٨]

٢٤– وما عنه اوعن ابيه عليهما السلام انه قال :" لابأس بالقيام على المصلى
ن الشعر والصوف اذاكان يسجد على الارض فان كان من نبات الارض فلا بأس بالقيام
عليه والسجود عليه"[٢٩]

٢٥– وماروى عنه عليه السلام انه قال :" السجود على الارض فريضة و على
لخمرة سنة"[٣٠]

٢٦– وما نقل عن الصادق اوالباقر عليهما السلام :" كان ابي – علي بن الحسين
عليه السلام – يصلي على الخمرة يجعلها على الطنفسة ويسجد عليها فاذا لم تكن خمرة
جعل حصى على الطنفسة حيث يسجد عليها" .

٢٧– وما عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال :" السجودلا يجوزالا على الارض
و على ما انبت الارض الا ماأكل اولبس[٣١]

٢٨– وما عن النبي (ص) :" اذا سجدت فمكّن جبهتك وأنفك من الارض "وماروى
ائل بن حجر قال :" رأيت النبي ص وضع جبهته وأنفه على الارض "[٣٢]

٢٩– وماروواه في البحار ج٨٥ ص ١٤٧ عن علل الشرايع للصدوق رحمه الله عليه
ن هشام بن الحكم قال قلت لابي عبدالله عليه السلام اخبرني عما يجوز السجود عليه
عما لايجوز قال: السجود لايجوز الا على الارض اوما انبتت الارض الا ما اكل اولبس
فقلت له جعلت فداك ماالعلة في ذلك قال لان السجود هوالخضوع لله عزوجل فلاينبغي
ن يكون على مايؤكل و يلبس لان ابناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون والساجد في
سجوده في عبادة الله عزوجل فلاينبغي ان يضع جبهته في سجوده على معبود ابناء
الدنيا الذين اغتروا بغرورها والسجود على الارض افضل لانه ابلغ في التواضع و

الخضوع لله عزوجل[٣٣]

هده النصوص تدل على وحوب السجود على الارض اوما انبتته لان طائعه من
تدل على ان ماهوالطهور هوالمسجد وذلك يدل على حصرالمسجد بنفس الارض واخر
تدل على امرالرسول صلى الله عليه وآله صهيبا ورباحا وافلحا بالترتيب و بالسنة على
الامر بحسر العمامة عن الوجه والصاق الانف والجبهة بالارض ورابعة على استمرار عمل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السجود على الارض اُوالخمرة ـ السجادة الصغيرة
من الخوص ـ استمرارا دالا على الوجوب كمالايخفى على من تدبر فيها اوالحصر
خامسة على ان اهل بيته اتبعوا منهجه واقتفوا اثره قولا وعملا وقد اقتدى به صحبه
بالقول والفعل والبك النصوص الدالة على ذلك :

١ـ اسلفنا عن علي عليه السلام امره بحسرالعمامة عن الوجه لئلا يمنع الوجه عن
ملاصقة الارض.

٢ـ عن ابي عبيدة : ان ابن مسعود لايسجد ـ اوقال لا يصلي ـ الا على الارض[٣٤]

٣ـ عن ابي امية : ان ابابكر كان يسجد او يصلي على الارض مفضيا اليها[٣٥]

٤ـ ان ابن عمر كان يكره ان يسجد على كورعمامته حتى يكشفها[٣٦]

٥ـ وعن ابن عيينة قال سمعت رزين مولى ابن عباس يقول كتب اليّ عليّ بن
عبدالله بن عباس رضي الله عنه :" ان أبعث اليّ بلوح من أحجارالمروة اسجد عليه"[٣٧]

٦ـ كان مسروق بن الاجدع من اصحاب ابن مسعود اذاخرج يخرج بلبنة يسجد
عليها في السفينة[٣٨]

٧ـ وان ابن عمر كان يصلي على خمرة تحتها حصير بينه في غير مسجد فسجد
عليها ويقوم عليها[٣٩]

٨ـ وعن ابن عمر ان جواريه يغسلن رجليه وهن حيّض و يلقين اليه الخمرة[٤٠]

٩ـ وعن عبادة بن صامت :انه كان اذا قام الى الصلاة حسرالعمامة عن جبهته[٤١]

١٠ـ و عن عبدالله بن عمر كان اذا سجد وضع كفيّه على الذي يضع عليه وجه.
قال نافع ولقد رأيته في يوم شديدالبرد وانه يخرج كفيه من تحت برنس له حتى يضعهما
على الحصاء[٤٢]

١١ـ عن جابر بن عبدالله قال كنت اصلي مع النبي ص الظهر فآخذ قبضة من
الحصى فاجعلها في كفي ثم احولها الى الاخرى حتى برد ثم اضعها لجبيني حتى اسجد
من شدة الحر[٤٣]

١٢ــ قال ابوالوليد سألت ابن عمر عما كان بدء هذه الحصباء التي في المسجد
ان عم مطرنا من الليل فخرجنا لصلاة الغداة فجعل الرجل يمر على البطحاء فيجعل
في ثوبه من الحصباء فيصلي عليه قال فلما رأى رسول الله ص ذاك قال ما احسن هذه
البساط فكان ذلك اول بدئه [٤٤]

١٣ــ جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كنت اصلي مع رسول الله ــ ص ــ
صلاة الظهر فآخذ قبضة من الحصى في كفّي حتى تبرد واضعها بجبهتي اذا سجدت من
شدة الحر.

قال البيهقي وهو ولوجاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك اسهل من تبريد
الحصا في الكف ووضعها للسجود وبالله التوفيق [٤٥] اقول لوكان السجود على ثوب غير
متصل به جائزا ايضا لكان حمل ثوب كالمنديل ونحوه اسهل بمراتب من تبريد الحصى.

١٤ــ عن خبّاب وانس قال شكونا الى رسول الله ص من شدة الرّمضاء في
جباهنا واكفنا فلم يشكنا [٤٦]

١٥ــ عن ثابت وابن عباس: ان رسول الله ص قام يصلي في مسجد بني عبد
الاشهل وعليه كساء ملتف به يضع يده عليه يقيه برد الحصا [٤٧]

١٦ــ قال ابن عباس رأيت رسول الله ص يصلي في كساء ابيض في غداة باردة
يتقي بالكساء برد الارض بيده و رجله.

فترى جابرا يعالج حر الرمضاء بتبريد الحصى في الكف و كذا انس بن مالك و
ان ابن عمر يصلي على الخمرة ويخرج يديه من الكساء و يضعها على الارض مع برودة
الهواء ليصل يداه الى الحصباء وهذا ابوبكر يستمر عملا على السجود على الارض معقصا
بها و كذا ابن مسعود لايصلي الا على الارض وابن الاجدع يخرج معه لبنة في السفينة و
بن عباس يطلب من احجار المروة. واذا تدبرت ما تقدم اتضح لك ان جما غفيرا من
صحابة لايرون الا السجود على الارض اوما انبتته من خوص النخل من الخمرة والبردي
في شدة البرد والحر وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يلقون من ذلك
م يشكهم و نفس رسول الله ص لا يتقي وجهه بشيء من ثوبه و يتقي يديه و رجليه و
م ما فهمه الشيخ من عمل جابر في تبريد الحصا من انه لايجوز السجود على الثوب
لوكان جائزاً لكان اسهل ولأجاز لهم الرسول الأقدس ذلك وهو رؤف عليهم عزيز
يه عنتهم ولما منعهم من السجود على العمائم ولما امرهم بالحسر عن وجوههم و
ا سجد على الطين والماء والحصا الباردة.

و يؤيد ما ذكرنا من تقييد الصحابة بالسجود على الارض الروايات ا...
على حكم مسح الوجه من الحصا لانها تدل على جري عملهم بذلك حتى وقع ...
عن تسوية الحصا وتقليبه او مسح الوجه من التراب والحصا والرمل العالقة على ا...
وان شئت الوقوف على الروايات فراجع سنن البيهقي ج ٢ ص ٢٨٦/٢٨٧ حيث
الروايات عن ابي سعيد وابن مسعود وبريدة وابي هريرة وابن عباس وعبد...
ص ٢٨٤/٢٨٥ عن ابي ذر و معيقب وابن عمر وابن مسعود بأسانيد متعددة و ...
كنز العمال ج٣ هامش المسند ص ٢١٧ عن ابن عمر وجابر وبريده و معيقب و ...
مسلم ج١ ص ٣٨٧ عن معيقب بأسانيد كثيره و سنن ابن ماجه ج١ ص ٢٢٧ وسا...
بعض المصادر ايضا فانظر .

فتحصل من جميع ما تلوناه عليك وجوب السجود على الارض او ما ا...
الصحابة كان عملهم جاريا على ذلك ولكن هنا روايات تدل على بعض ما ...
لحر والبرد من السجود على الثياب عند الاضطرار وتقليب الحصا في الارض ...
مسح الحصا للتبريد أو تبريد الصلاة بتأخيرها الى برودة الهوا أو اخذ الحصا و ...
اليد وجعل الجمرة من الثياب من حرير او شعر و الاحاديث هي التالية :

١ـ كنا نصلي مع رسول الله ص في شدة الحر فاذا لم يستطع احدنا ا...
جبهته من الارض بسط ثوبه فسجد عليه[48]

٢ـ كنا اذا صلينا خلف رسول الله ص بالظهائر فسجدنا على ثيابنا اتقاء ...
عن انس.

٣ـ كنا اذا صلينا مع النبي ص فيضع احدنا طرف الثوب من شدة ال...
السجود[50] فيمكن ان يحمل هذه الروايات على حال الاضطرار وحينئذ لا يحال ...
عدم جواز السجود على غير الارض اختيارا اذ الضروره تبيح المحظورات بل حتى
لها اذ يشعر بعدم الجواز في الاختيار و قد وردت روايات عن طريقنا عن ائمة ا...
الطاهرة سلام الله عليهم اجمعين في السجود على الثياب عند الضرورة .

١ـ فعن عيينة بياع القصب قال قلت لابي عبدالله عليه السلام ادخل ...
في اليوم الشديد الحر فاكره ان اصلي على الحصى فابسط ثوبي فاسجد عليه قال ...
ليس به بأس[51]

٢ـ عن القاسم بن الفضيل قال قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك ...
كمّه من أذى الحر والبرد قال لا بأس به[52]

٣ـ عن احمد بن عمر قال سألت اباالحسن عليه السلام عن الرجل يسجد ...

ـة بسجده من أذى الحر والبرد أو على ردائه اذا كان بحيث يسمح او غيره مما لا يسجد عليه
مال لا بأس به [53]

4- ابو بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت له اكون في السفر فتحضر الصلاة
خاف الرّمضاء على وجهي كيف اصنع قال تسجد على بعض ثوبك فقلت ليس عليّ ثوب
... ي ان اسجد على طرفه ولا ذيله قال اسجد على ظهر كفّك فانها احدى المساجد [54]

5- عن غير واحد من اصحابنا قال قلت لابي جعفر عليه السلام انّا نكون بارض
رده تكون فيها الثلج افنسجد عليه قال لا ولكن اجعل بينك وبينه شيئا قطنا او كتانا [55]

الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الاضطرار فعند تعذّر بعده فيختص بما ا... ا
...حد مايصح عليه السجود من الحصى البارد او من الحمرة والحصير وغيرهما مما
... من الباب ولكن ظاهر الاخبار المنقولة عن بعض الصحابة والتابعين جواز السجود
في الباب من دون اي اضطرار اجتهادا منهم كما روي عن انس و مكحول وحسن بل نسبه
... الى جمع وشريح وعبدالرحمن بن يزيد بل نسبه ابوهريرة الى رسول الله ص وان
... الوقوف على هذه القضيا فراجع المصنف لعبدالرزاق ج1 ص 399/401 و سرنا
128/129 اجتهادا منهم في مقابل هذه الاحاديث الكثيرة والنصوص القولية والعملية
مرأى منهم و مسمع وقد تقدم عن البيهقي في السنن الكبرى ج2 ص 106 انه قال بعد
نقل حديث السجود على الثوب عن انس بن مالك قال الشيخ واما ماروي عن النبي ص
من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك واصح ماروي في ذلك قول الحسن
البصري حكاية عن اصحاب النبي ص.

للبحث صلة

الهوامش

1-2) سيأتي نقل قسم من هذه الاقوال فيما بعد قال في بداية المجتهد ومن هذا
الباب - اي ابراز اليد في السجود - اختلافهم في السجود على طاقات العمامة وللناس
فيه ثلاثة مذاهب قول بالمنع وقول بالجواز وقول بالفرق بين ان يسجد على طاقات
يسيرة من العمامة اوكثيرة وقول بالفرق بين ان يمس من جبهته الارض شيء اولا يمس منها
شيء وهذا الاختلاف كله موجود في المذاهب وعند فقهاء الامصار

3) جاء في دائرة المعارف الاسلامية في " سجادة" ج11 ص 275 كلام مبهم في شيوع
السجادة وفي ان النبي ص كان يسجد على الحمرة وان السجادة شاعت فيما اتى من القرون
حيث يجعل الحمر والسجاجيد في المساجد للسجود عليها راجع وتدبر

(٤) صحيح مسلم ج١ص ٣٧١ والبخاري ج١ص٩١ والوسائل ج٢ص ٩٦٩ و ج٣ ص ٤٢٢ عن الكافي والفقيه والخصال وفي سنن البيهقي ج١ص ٢١٢/٤/٥ و ج٢ ص ٤٣٥/٤٣٣ باسانيد متعددة كثيرة و مسند احمد ج٣ص ٣٠٤ والبداية والنهاية ج٦ص ٤١ واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٣٢ ومن لا يحضره الفقيه ج١ص٢٣١ طبعة الغفاري .
(٥) صحيح مسلم ج١ص ٣٧١ و اخرجه العلامة الاميني رحمه الله في كتابه سيرتنا عن الترمذي وابي داود والنسائي ايضا .
(٦) صحيح مسلم ج١ ص ٣٧١ والسنن للبيهقي ج٦ ص ٢٩١ و سيرتنا ص ١٢٦
(٧) المصنف ج١ص ٣٩٢ و كنز العمال ج٤ ص ١٠٠ الرقم ٢١٣٩
(٨) كنز العمال ج٤ ص ٩٩ و٢١٢ الرقم ٢٩٥ و٤٥٥٩
(٩) كنز العمال ج٤ ص ٩٩ الرقم ٢٠٩ و ص ٢١٢ الرقم ٤٥٦٠
(١٠) كنز العمال ج٤ ص ١٠٠ الرقم ٢١٢٨
(١١) كنز العمال ج٤ ص ٢١٢ الرقم ٤٥٦٢ و سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٥ ومنتخب كنز العمال ج٣ ص ١٩٤ هامش المسند .
(١٢) المصنف ج١ ص ٣٩٧ و كنز العمال ج٤ ص ٢١٢ الرقم ٤٥٥٣ و منتخب كنز العمال هامش المسند ج٣ ص ١٩٤
(١٣) المصنف ج٢ ص ١٨٢/١٨١ والمستدرك للحاكم ج١ ص ٢٧٠ و في كنز العمال ج٤ ص ١٠٠ " من لم يلزق انفه مع جبهته بالارض اذا سجد لم تجز صلاته وفي سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٤/١٠٣ اوردها بطرق كثيرة .
(١٤) المصنف ج٢ ص ١٨١ والبخاري ج١ص ٢١٢/٢٠٧ و سنن البيهقي ج١ ص ١٠٤ و ج٢ ص ٢٨٧/٢٨٦ في حديث طويل واحكام القرآن ج٣ ص ٢٠٩ وفي طبعة ج٥ ص ٣٦ و النسائي ج٢ ص ٢٠٨ وابي داود ج١ ص ٢٠٩ و سيرتنا للعلامة الاميني ص ١٢٦
(١٥) تاريخ اصبهان لابي نعيم ج٢ ص ١٤١ و المصنف ج١ص ٣٩٤ عنه وعن الزهري و سنن البيهقي ج٢ ص ٤٢١
(١٦) سنن البيهقي ج٢ ص ٤٢١ و مسند احمد ج١ ص ٣٥٨/٣٢٠/٣٠٩ باسانيد متعددة
(١٧) مسند احمد ج٢ ص ٩٨/٩٢ بسندين وفي ج٦ ص ١١١ ان النبي ص سجد على الخمرة .
(١٨) مسند احمد ج٦ ص ٢٤٨/٢٠٩/١٧٩/١٤٩ باسانيد متعددة .
(١٩) مسند احمد ج٦ص ٣٠٢ وفي البحار ج٨٥ ص ١٥٧ رواها عن علي عليه السلام وعن ابي عبد الله عليه السلام
(٢٠) مسند احمد ج٦ ص ٣٣٥/٣٣٥/٣٣٠/ و في المستدرك ج٣ ص ٤٧٣ ان النبي ص سجد على الحجر كما في سيرتنا ص ١٢٦
(٢١) مسند احمد ج٦ ص ٣٧٧ وج٣ ص ١٠٣
(٢٢) المصنف ج١ ص ٣٩٤ و نقل ابن ماجة ج١ ص ٣٢٨ عن ابي سعيد و صحيح مسلم ج١ ص ٤٥٨/٤٥٧ عن انس وابي سعيد و سنن البيهقي ج٢ ص ٤٢١ عن ابي سعيد و مسند احمد ج٣ ص ١٣١ وغيرها باسانيد متعددة عن انس .
(٢٣) صحيح مسلم ج١ ص ٢٤٥ والمصنف ج١ ص ٣٢٧ و الترمذي ج١ ص ٩٥ وابن ماجة ص٢٠٧ و ابي داود ج١ ص ٦٠ و سنن البيهقي ج١ ص ١٨٩/١٨٦ عن عائشة وابي هريرة و مسند احمد ج٢ ص ٤٥ و ج٦ ص ٢٤٥/٢٢٩/٢١٤/١٧٣/١١٤/١١٠/١٠١ و تاريخ اصبهان ج٢ ص ١٢ باسانيد متعددة عن عائشة وعن ابي هريرة وابن عمر .
(٢٤) صحيح مسلم ج١ص ٤٥٨ و سنن ابن ماجة ج١ ص ٣٢٨ وروى في المصنف ج١ ص ٣٢٥ عنها في حديث :" و يدخل عليها قاعدة وهي حائض فتبسط في مصلاه فيصلي عليها في بيتي و سنن البيهقي ج٢ ص ٤٢١ عن البخاري و مسلم عن ميمونة وانس وام سليم وابن عباس

وفي النسائي ج٢ ص ١٤٧ عنها ايضا: " تقوم احدانا بالخمرة الى المسجد فتبسطها و هي حائض . والسبور مايقدمن الجلد ولعل الفرق بين ماكان معمولا بخيوطه وماكان معمولا بسوره مع انهما مستور بسعفها ان الصناع قد لايحترزون عن الميتة او يرون ان دباغها طهورها كما عن الوافي راجع الكافي ج٣ ص ٣٣١

(٢٥) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٥ عن صالح بن حيوان السبائي وعن عياض بن عبدالله القرشي قال راى رسول الله ص رجلا يسجد على كور عمامته فاوما بيده ارفع عمامتك و اوما الى جبهته . قال وهذا المرسل شاهد لمرسل صالح و نقل ذلك في سيرتنا ص ١٢٨ عن السنن و عن نصب الراية للزيلعي ج١ ص ٣٨٦ والبحار ج٨٥ ص ١٥٧

(٢٦) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٥

(٢٧) الكافي طبعة الاخوندي ج٣ ص ٣٣٠/٣٣١ و نقل في البحار ج٨٥ ص ١٤٢– ١٥٩ احاديث كثيرة في ذلك فراجع .

(٢٨)(٢٩)(٣٠) الكافي ج٣ ص ٣٣٠/٣٣١ و نقل في البحار ج٨٥ ص١٥٤ عن كتاب العلل للصدوق رحمه الله عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال : " السجود على الارض فريضة و على غيرها ذلك سنة " ثم قال ما ملخصه ":ان السجود على الارض ثوابه ثواب الفريضة وعلى ما سنته ثوابه ثواب السنة اوان المستفاد من امرالله تعالى بالسجود انما هووضع الجبهة على الارض اذهو غاية الخضوع والعبودية واما جواز وضعها على غير الارض فانما استفيد من فعل النبي ص وقوله رخصة ورحمة اوان يكون المراد بالارض الاعم سهاو مما انبته والمراد بغير الارض تعيين شيء خاص للسجود كالخمرة واللوح اوالخريطة من طين الحسين عليه السلام وهو بعيد وان كان يؤيده في الجملة مارواه في الكافي مرسلا انه قال السجود على الارض فريضة وعلى الخمرة سنة .

(٣١) التهذيب لشيخ الطائفة ج٢ ص ٢٣٤ اقول هذه الاخبار لكثرتها من طرق الامامية المودعة في كتبهم القيمة عن اهل البيت عليهم السلام لانطيل بذكرها و فيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد ومن اراد الوقوف عليها باسانيدها و متونها بالتفصيل فليراجع الكافي ج٣ ص ٣٣٣/٣٣٤ طبعة الاخوندي والتهذيب ج٢ ص ٢٣٤ طبعة الاخوندي و من لايحضره الفقيه ج١ ص ٢٦٨ طبعة الغفاري والوسائل ج٣ ص ٥٩١ – ٥٩٣ طبعة الاسلامية ومستدرك الوسائل ج١ ص ٢٤٧ والبحار ج٨٥ طبعة الاسلامية ص ١٤٤–١٥٩

(٣٢) احكام القرآن للجصاص ج٣ ص ٢٠٩ و في طبعة عنده ج٥ ص ٣٦ والاحاديث بهذا المضمون من الامر بوضع الجبهة على الارض كثيرة اخرجها المحدثون راجع سنن البيهقي وغيرها .

(٣٣) سياتي بعض الكلام في هذا التعليل فانتظر

(٣٤) المصنف ج١ ص ٣٩٧ و سيرتنا ص ١٢٨ عن الطبراني في الكبير ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٥٧

(٣٥) المصنف ج١ ص ٣٩٧ و كنزالعمال ج٤ ص ٢١٢ الرقم ٤٥٣٤ و منتخب كنزالعمال ج٣ ص ١٩٣ هامش المسند .

(٣٦) المصنف ج١ ص ٤٠١ وسنن البيهقي ج٢ ص ١٠٥ هكذا عن نافع ان ابن عمر كان اذاسجد وعليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالارض .

(٣٧) اخبار مكة للازرقي ج٢ ص ١٥١

(٣٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص ٥٣ والمصنف لعبدالرزاق ج٢ ص ٥٨٣ و سيرتنا عن المصنف لابن ابي شيبة ج٢ في باب من كان يحمل في السفينة شيئا يسجد عليه فاخرج شيئا يسجد عليه فاخرج باسنادين ان مسروق ..

(٣٩) المصنف ج١ ص ٣٩٤

(٤٠) الموطاء للمالك ج١ ص ٧٣ والمصنف ج١ ص ٣٩٦/٣٢٧
(٤١) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٥
(٤٢) سنن البيهقي ج١ ص ١٠٧ والموطا لمالك ج١ ص ١٧٧
(٤٣) كنزالعمال ج٤ص ١٨٨ الرقم ٤٠٥٨ والنسائي ج٢ ص ٢٠٤ وابوداود ج١ص ٩٦، سنن البيهقي ج١ ص ٤٣٩ عن جابر و ج٢ ص ١٠٦ عن انس وجابر و مسند احمد ج٣ ص ٣٢٧
(٤٤) سنن البيهقي ج٢ ص ٤٤٠ ووفاء الوفاء ج٢ ص ٦٥٥ (ونقل ص ٦٥٦ ان تحصيب المسجد كان في زمن عمر) وفي سيرتنا ص ١٢٨ عن ابي داود.
(٤٥) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٦ عن انس بن مالك و ص ١٠٥ عن جابر وابن ماجه ج١ ص ٢٢٩ بسند بن عن جابر.
(٤٦) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٧/١٠٥ وابن ماجة ج١ ص ٢٢٢ عن خباب وابن مسعود وصحيح مسلم ج١ ص ٤٣٣ عن خباب بسندين وعن انس والمصنف ج١ ص ٥٤٤ و مسند احمد ج٥ ص ١١٠/١٠٨ وسنن البيهقي ج١ ص ٤٣٨ بسندين عن خباب و سوبر الحوالك ج١ ص ٣٧ وسيرتنا ص ١٢٧ عن نيل الاوطار
(٤٧) سنن البيهقي ج١ ص ١٠٨ عن صامت وابن عباس
(٤٨) سنن البيهقي ج٢ ص ١٠٦ و كنزالعمال ج٤ ص ٢١٣ الرقم ٤٥٦٤ و صحيح مسلم ج١ص ٤٣٣ و سيرتنا ص ١٣٠/١٣١ عن البخاري وابن ماجة و مسلم وابي داود وسنن الدارمي ومسند احمد و نيل الاوطار
(٤٩) البخاري ج١ص ١٤٣ عن انس والنسائي ج٢ص ٢١٦ و منتخب كنزالعمال ج٣ ص ٢١٧ هامش المسند وراجع المصنف لعبدالرزاق ج١ ص ٣٩٨ تجدها فتوى جمع بالجواز في حال الضرورة و مسند احمد ج٣ ص ١٠٠ عن انس.
(٥٠) سنن البيهقي ص ١٠٦ ج٢ قال البيهقي بعد نقل حديث السجود على الثوب عن انس بن مالك قال الشيخ واما ماروي عن النبي ص من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك واصح ماروي في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن اصحاب النبي (ص) وروى ج٣ ص ١٨٢ الجواز في حال الضرورة عن عمر
(٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١) الوسائل ج٣ص ٥٩٦–٥٦٨ والبحار ج٨٥ ص ١٤٤ ومابعدها

السيد محمد تقي المدرسي

الامام الحسين عليه السلام

قائد المسيرة المقدسة

يبحث الانسان دائما عن قدوة رشيدة ـم خطواته على درب الحياة الطويل ، و ـن وراء هذا البحث الدائم دوافع نفسية رالله البشر عليها ، لتستمر رحلة الحضارة سائرة الى الامام ، وتتوارث الاجيال عن ـها الحكمة والمعرفة ، والاداب .

وابرز تلك الدوافع واهمها ثلاثة :

الاول / هيبة الحياة التي تستبد ـفرد يدخل لان الحياة بالنسبة اليه تجربة ـدة ، لم يمارسها من ذي قبل ، ولمعرفته اطعة ان الطرق التي يجب ان يسير عبرها ـت مرصوفة بالازهار بل مزروعة بالحفر و منعطفات . لذلك يبحث عن قدوة ارتادها ، ـف عن منحنياتها وعقباتها ، ورفع عنها قناع الهيبة ، و غشاوة الخوف . ان هذا دافع نفسي قد يبعث كل جيل باتباع السابقين .

الثاني / الشعور بالحاجة الى المقياس ... ذلك لانه كمثل الحاجة الى المرآة التي تنعكس عليها صورة وجهنا الظاهر و تكشف لنا عما بها من جمال يزيدنا ثقة بانفسنا ، و احتراما ، وحبًا لها ، و قد تساعدنا على ازالة بعض السوء الذي لصق به بعد ان تعرفنا به ، وتحدد لنا موضعه . . كمثل الحاجة الى هذه المرآة هي حاجتنا الى مرآة روحية تكشف بها صورتنا الباطنية و نتعرف على ما بها من جمال وروعة ، وصفات حسنة ، فتزيدنا ثقة و ايمانا . . وقد نتعرف بها الى بعض ما فينا من صفات رديئة ، لعلنا نتخلص منها ، بعد

كشفها بدقة ووضوح .

فالقدوة اذن . . ميزان روحي لابد منه لكي يعرف كل فرد مدى استقامته علـى الـدرب او كيف يعود اليه بعد الانحراف .

الثالث / الاحساس بضرورة تجسيد القيم ذلك لاننا ـ كبشر ـ لانستطيع ا ن نحب الخير ، والاصلاح . . . والمعروف الا من خلال تجسيدها في رجال محدودين، كما لا نكره الشر ، والفساد والمنكر الا بعد ان يمثلها فريق معروف من الناس . . . و بتعبير آخـر الخير و الشر . . . والصلاح والفساد . . . و المعروف والمنكر . . كل تلك احداث جارية مع الزمن . لاتكشف عن نفسها الا بعد ا ن نحققه خارجا ، ولايحبها او يبغضها الانسان الا بعد ان يبصرها مجسمة امامه ، و يجـد نتائجها الواقعية .

والقدوات الخيرة الصالحة هي التي تجسد لنا القيم المثلى ، وتعرفنا باهميتها وتستقطب حبنا واحترامنا ، وايضا اتباعنا لها كما ان اهل الشر والفساد هم الذين يثيرون فينا الكراهية ، والاشمئزاز ، و يجعلوننا ننبذ الشر والفساد .

اننا قد نتحدث الى شخص ما ساعة كاملة عن مساوئ الشر فلا يخلق فيه اثرا بقـدر ما تخلقه قصة واحدة عن عملية اجرامية حيث تثير فيه التقزز والرفض ، وتدعوه الى الابتعاد كليـا عن مثل تلك العملية .

من هنا تاتي الحاجة النفسية الـى القدوة ولوجود دوافع نفسية عديدة الى اتباعها . . لم يكتف الله الحكيم اذ شاء ان يهدي الناس ويصلحهم . . لم يكتف بان نزل عليهم الكتب المقدسة حتى بعث اليهم الانبياء ليكونوا . . قدوات خيرة يحبهـا الناس ويحاولون اتباعهم . . لقد اعترض قوم من الجاهلية على الله سبحانه ان يبعث اليهم ملكا رسولا . وسفههم القرآن وقال: ١٧/٩٥ " قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا " .

ان حكمة الاقتداء تفرض التجانس بين الرسول وبين من ارسل اليهم ، ليتم بينهم التفاعل النفسي الشامل . ولقد كان النبي ـ ص ـ قدوة كريمة للامة قال عنه القرآن " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة " .

و من هنا ايضا تأتي حاجتنا الى الامام الحسين كافضل قدوة للانسانية ابدا

لقد كانت سيرته النقية مدرسـة رسالية تعلمنا كل معاني الخير والمعروف و تجعلنا نعتنق الدين الذي جاء بالحق ، وامر بالعدل واستقام بالايمان ، ولم يخلف التاريخ تلك القصص الحق من سيرته المباركـة ، الا ليستقطب حبنا لتلك الحياة الايمانية الصادقة التي تجلت فيها ، وفي الوقت ذاته يسبب رفضنا للمادية المتطرفة التي اتسم بها اعداؤه

كان الامام الحسين (ع) يحيي الليل كله بالعبادة عبر جميع مراحل حياته ، حتى

ه استمهل عدوه ليلة عاشوراء لكي يعبد ربه
ال ان الله يعلم اني لأحب الصلاة . . . و
لاقضي تلك الليلة الرهيبة بين ركوع وسجود
دعاء واستغفار .

وكان من بين تلك العبادة الليلية ،
ن يحمل كتفه الشريف السويق والتمر ، و
ورعها على الفقراء حتى وجد على ظهره
بعد استشهاده اثرا منه رغم كثرة جروحه
لدامية .

ولقد مشى الى الحج حافيا عدة مرات
هو يسوق امامه الرواحل الجاهزة للحجيج
سئل عنه ، فأجاب انما افعل ذلك تواضعا
ربي .

لقد كان يفتتح بعض ادعيته بهذه
جمل الخاشعة : " اللهم اجعلني اخشاك
كأني أراك ، واسعدني بتقواك ، ولا تشقني
بمعصيتك ، وخر لي في قضائك ، وبارك لي في
قدرك .)

وحينما وقعت الامة في شراك المخطط
لاموي ــ الجاهلي ــ وتقاعس الاخرون عن
القيام بمسؤليتهم التغييرية الثورية لم يجعل
تقاعسهم مبدأ للسكوت ، بل دافعا للثورة و
التضحية .

و قد سجل الامام الحسين في مسيرته
المقدسة اروع مواقف الاخلاص و التضحية و
الانجاه الى الله سبحانه دون سواه .

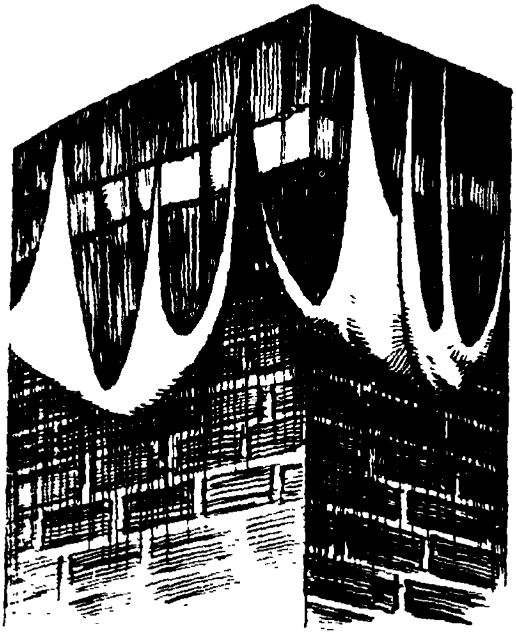
لقد استشهد اصحابه وسبح في الدم
اسه الشاب الوسيم (علي الاكبر) و صرع اخوه
البطل المقدام "العباس" و سائر اهل بيته ،
ولم يبق له سوى نجله الرضيع ، فاخذه الى
معسكر العدو ، يطلب منهم شربة ماء فرموه
بسهم محدد ، فتفجر الدم من عنقه الرقيق ،
في مثل هذا الموقف نظر الامام الى السماء
هنيئة ، ثم قال : (هون ما نزل بي ،انه بعين
الله) ، لقد استهان بجميع تلك المصائب
العظيمة ، بيقينه الصادق بان الله سميع
عليم بصير ، وانه نصير الحق والعدل له عاقبة
الامور .

وفي آخر لحظة حينما انهارت قواه
وتفجر الدم من جوانبه . جميعا . . من جبهته
المضوخة بالحجارة . . من قلبه النابت فيه
السهم المحدد . . من مواقع السهم التي
كانت كمواقع النجوم لا تحصى عددا . هنالك
هوى على الارض . . يناجي ربه :

رضا بقضاك ، ولا معبود سواك

بهذا الايمان العنيف والصمود القوي
كتب الحسين ــ عليه السلام ــ فصول الثورة
المقدسة ، و ضحى في سبيل مبادئه و اهدافه
السامية .

لقد بدأ الامام الحسين عليه السلام
مسيرة الاصلاح والتغيير والثورة من اجل
الله والمبداء وعلى الامة ان تواصل مسيرته
المقدسة وتترسم خطاه الخالدة .



الحج :

المؤتمر الاسلامي الكبير

● الاستاذ احمد محمد جمال – جـــــدة

من محاضرات الملتقى السابع للفكر الاسلامي في الجزائر .

الحديث عن (الحج) بعدّه ركنا من اركان الاسلام ، ولان المسلمين يفدون من اقطار الدنيا كل عام الى بيت الله الحرام " بمكة المكرمه " حجّاجا وعمارا . . طاعه لله فيما فرض عليهم ، والتماسا لمثوبته واجره ، و طمعا في بركات هذه الفريضه العباديه حماتها– الحديث عن (الحج) على هـذا الاعتبار مهم وضروري ، لان اكثر المسلمين – بما في ذلك قادتهم وسادتهم ، وعلماؤهم وكبراؤهم – لا ينتفعون من اداءهم واداء شعوبهم واممهم واتباعهم لهذه الفريضة العبادية السنوية : الانتفاع الاساسي الذي قصد اليه الشـارع الحكيم من وراء الالزام بالحج .

ولابد – في البداية – من تمهيد يتحدث ويخبر عن (الحج) كمؤتمر إسلامي سنوي، مع الاعتراف المطلق بأنه طاعة محضة. وعبادة خالصة. وذكر لله تبارك وتعالى، بكيفيات مخصوصة، في أيام معدودات.

هذا التمهيد نذكر فيه حوارا أو خلافا بين بعض العلماء والمفكرين العصريين... حول الانتفاع بفريضة (الحج) لتحقيق وحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، وحل مشكلاتهم، والتعاون فيما بينهم على الحق والخير والسلام.

كانت هناك – قبل خمسة أعوام تقريبا – ندوة تلفازية اجتمع فيها بعض العلماء والمفكرين ليتحدثوا عن (الحج) وحكمته. أو فلسفته بالتعبير العصري..

وأثناء فهم الحوار الدائر بين المتحدثين بعض الأدباء الذين استمعوا إلى الندوة، فكتب اعتراضا في بعض الصحف يقول

" إن الخلاف بين المتحاورين جذري... فأحدهم يرى أن (الحج) عبادة وليس مؤتمرا أي أنه عبادة روحية وبدنية، يشتغل الحاج فيها بالدعاء والتنقل بين المشاعر، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والصلاة. والطواف. والسعي ورمي الجمار – الخ

والآخر يرى أن (الحج) مؤتمر إسلامي بكل ما تحمله كلمة مؤتمر من المعاني.. استثمارا للوجود الإسلامي المتكاثر في الحجاج على الأجل ذلك بأعمال الحج..

ثم يعقب المعترض على وجهتي النظر المختلفتين – في نظره بقوله: ولولا تساهلنا فسمينا العبادات بغير أسمائها الحقيقية .. بالمصطلحات التي تطلق في البيئات السياسية أو الاجتماعية لأدى هذا التساهل إلى أن نرسب هذه المعاني الطارئة، فترسب معها على مر الزمن مقاصد أخرى تنزع عن العبادات روح القداسة الإلهية، وتحرفها إلى أغراض أخرى". والمسألة ليست كما فهمها صاحبنا المعترض. فالقول بأن (الحج) عبادة محضة خطأ – كما أن الزعم بأنه مؤتمر إسلامي محض خطأ أيضا...

وأما القول الصائب أن نفهم (الحج) وسائر الفرائض الأخرى كالصلاة، والصيام، والزكاة على أنها (عبادات) قصد الشارع من وراء الإلزام بها إلى (مصالح) أخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

وعامة المسلمين ـ مع هذا الفهم المطلوب من سادتهم و كبرائهم و علمائهم ـ ملزمون بالخضوع والتسليم باداء هذه الفرائض . . ولو لم يدركوا ماوراءها من مقاصد و مصالح ، قد تتحقق لهم دون ان يريدوها او دون ان يشعروا بها .

والقول بان (الحج) مؤتمر اسلامي لاينفي عنه انه عباده و طاعه و اعمال خاصة . . . تؤدى بخضوع و خشوع و رجاء في رحمة الله و ثوابه . تماما كالصلاة ، والصوم ، والزكاة . . .

وزيادة في البيان نقول ان للعبادات في الاسلام ـ كما للمعاملات والعقوبات ـ مقاصد تهدف الى مصالح ، و تدعو الى مكرمات ، واذا كنا ندعى باداء (الحج) كعبادة و طاعة و ذكر لله بكيفيه مخصوصة في ايام معدودات ، يجب في الوقت نفسه ان ننتفع بمقاصده و مصالحه و مكارمه والقرآن الكريم صريح في التنبيه الى (الانتفاع) بفرصة (الحج) مع التعبد المفروض اساسا و ابتداء على المسلمين .

يقول تبارك وتعالى ـ في سورة الحج ـ : " واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق . . ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام" والمنافع ـ وان فسرها بعض المفسرين او معظمهم بالاعمال التجارية ـ الا انها تتسع لمعان وابعاد و مجالات متعددة ، فكل امر او عمل او سلوك يحقق به منفعة لجماعة المسلمين . . . دينية او اقتصادية او اجتماعية او سياسية . . فذلك من (منافع) الحج لاريب فيه . و يلاحظ صاحبنا المعترض ان كلمة (منافع) جاء بها القرآن الكريم نكرة و جمعا في وقت واحد . . . لتكون عامه شاملة لكل المصالح الاسلامية المحققة التي لاغبار على كونها منافع خالصة من كل الشوائب والاكدار .

وعلى هذا الاساس من الفهم الصحيح لمعنى العبادة التزاما ومقصدا ـ قلنا ان على المسلمين وبخاصة قادتهم وسادتهم وكبراءهم وعلماءهم ، ان ينتهزوا فرصة (الحج) ليجعلوا منها بعد ان يفرغوا من اعماله العبادية : مؤتمرا اسلاميا يتعارفون خلاله و يتعاونون على حل مشكلاتهم ، و قضاء حاجاتهم والفصل بين المتخاصمين من حكوماتهم وشعوبهم ، وبذل المساعدات

المادية والثقافية لمن يفتقر اليها منهم . . . حتى يكونوا كما وصف القرآن الكريم سلفهم الصالح : " ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون " . و كماقال عنهم في آية اخرى ايضا : (كنتم خير امة اخرجت للناس . . تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " .

و ليس (الحج) وحده هو المؤتمر الاسلامي الوحيد الذي سنه الشارع الحكيم . . بل هناك مؤتمرات اسلامية اخرى ، ولكنها محدودة بكل بلد اسلامي ، او مدينة ، او قرية اوحيّ ـ فصلاة الجماعة مؤتمر ، وصلاة الجمعة مؤتمر اكبرمن الاول ، وصلاة العيدين مؤتمراكبر من الثاني ـ و (الحج) اكبرها جميعا ـ و كلها مؤتمرات لصالح الجماعة الاسلامية ، وتحقيق منافعهـــا ، و التعرف على مشكلاتها او حاجاتها ، والتعاون على البروالتقوى فيما بين افرادها واسرها .

فالاسلام ـ اذن ـ دين المقاصد والمصالح والمكارم التي يجب ان تحقق لاتباعه ، و ليس دين العبادات المجردة من الاهداف والغايات ولا هو ـ كذلك ـ دين الطقوس والنسكوك والتراتيل .

اما أعتراض صاحبنا . . . من حيث الاصطلاح اللغوي في اطـلا ق لفظة (مؤتمر) على اجتماع المسلمين في (الحج) . . . لابد لفظ مصطلـح عليه في البيئات السياسية والاجتماعية وغيرها ، و يخشى ان يترسب مـع مرورالزمان مقاصداخرى للمعنى العبادي (للحج) في اذهان المسلمين نتيجة لاطلاق هذا المصطلح (مؤتمر) . . . اما هذا الاعتراض ، فغير وارد ، لاننا لم نسم (الحج) مؤتمرا اسلاميا ، وانما وصفناه بانه " مؤتمر " . . . فهــو اطلاق وصف لازم للحج ، كما نقول : الصلاة رياضة روحية ، والصوم رياضـة بدنية . او نقول ان المسجد مدرسة لما يكون فيه من وعاظ و معلمين يعظون الناس و يعلمونهم امور دينهم عقب الصلوات . اونقول ان المدرسة مسجد لان طلب العلم عبادة ، كما ثبت ذلك في بعض الاحاديث والاثار .

فكل ذلك جائز لانها اوصاف لازمة . ولايقصد بها اطلاق شعارا ت جديدة او مستوردة على العبادات الاسلامية ، كما توهم صاحبنا المعترض .

لقد اطلق على الصلاة ـ في بعض الاحاديث النبوية ـ بانهـــا

(عمادالدين) وعلى الصوم بانه " جنة " وعلى الجهاد بانه (رهبانيه الامة الاسلامية ، وعلى الحج بانه (جهاد) لاشوكة فيه ثم ان لفظة (مؤتمر) ليست شعارا عربيا مستوردا كما ظن اخونا المعترض. فهي عربية اصلا و اصطلاحا ، و قد غلب (الائتمار) في الاصطلاح السياسي على الاجتماع من تدبير الامر الطيب ، و غلب (التآمر) على الاجتماع من اجل تدبير امر خبيث . . مع ان القرآن الكريم اورد اللفظ الاول في المعنى الاخير في قوله عزوجل : (ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك) .

والاصطلاح اللغوي ـ على كل حال ـ يجيز التعبير باللفظين معا عن تبادل الامر بين المجتمعين بالمعروف فنقول : تأمروا بالمعروف او ائتمروا به ، و مثله تناهوا عن المنكر . .

ويلاحظ ان كلمة (مؤتمر) ليست شعارا دنيويا كما توهم صاحبنا المعترض ولواطلقت احيانا على الاجتماعات غير الدينية ، فانها استعملت كذلك للاجتماعات الدينية ايضا . . . اسلامية كانت ام مسيحية ام يهودية . .

فهي اسم قابل للاوصاف المتناقضة مثل " معركة ـ و ميدان ـ ونادى وسبيل ـ وندوة الخ " فنقول معركة خير او شر ، وميدان سباق شريف أو دنيئ وسبيل الرحمن اوسبيل الشيطان . وورد في القرآن الكريم قول لوط عليه السلام لقومه : (و تأتون في ناديكم المنكر) وعرفت دارالندوة في الجاهلية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعدها بالتآمر عليه من اعداء الاسلام . و اذا كان (النادى) جاء في القرآن الكريم موضعا باتيان المنكر فيه . . فهل يمنع استخدام اللفظ كاسم على التجمعات الرياضية والثقافية . . لان الندوه كانت اول اجتماع لاعداء الاسلام للتآمر عليه والكيد له ؟ .

ان الالفاظ و الكلمات اوعية لما يراد بها من معان مع مايضاف اليها من قرينة لفظية او حالية والعبرة اولا بالمقاصد ثم بغلبة الاستعمال على مقصد دون آخر .

وادن ـ كما اسلفنا ـ يكون اطلاق (مؤتمر اسلامي) على الحج صحيحا دينيا ولغويا .

الحج كما يتحدث عنه القرآن الكريم

والآن نبدأ الكلام عن الحج حكمه وأسراره. ومنافعه وآثاره..
كما تحدث عنها القرآن الكريم...

الحج. هذا الركن الخامس من أركان الإسلام - ماذا يرى فيه شريعة الملاحدة؟ وماذا يرى المؤمنون؟ أما الملاحدة فإنهم لا يرون في الحج إلا خرقة اللباس - وهو بزعمهم تناقض الحياة - وإلا سعيًا بين الصفا والمروة - وهو بزعمهم تخالف الوقار - وإلا رميًا للجمار لغير مرمى - وهو بزعمهم - سخرية بالعقول. ولو أنهم فقهوا لأفعال الحج حكمها أو عرفوا مغزاها لكان لهم آراء فلسفة الحج إيمان وإجلال.

إن في طليعة ما نشهده الإسلام مما شرعه للناس من عبادات، تأليف جماعتهم، وتقويتها عن طريق هذا التآلف. فصلاة الجماعة تحطم في روحيتها فوارق الحياة الدنيا، حيث تساوي رؤوس المصلين، وتقارب مناكبهم، وتتحد صفوفهم، على ما بينهم من أغنياء وفقراء، وسادة وعامة، والإمام فيهم كقائد جيش يلتزمون حركاته وسكناته.

وفي الحج ومناسكه مثل ذلك، بل أكثر: فيه تقريب للأبعاد، وتأليف للأضداد، من شتى البلاد وفيه درس ورياضة على الصبر واحتمال المشاق وفيه مغفرة وتوبة بعد ندم على الخطأ والزلل وفيه فوق ذلك كله فرصة للائتمار والشورى بين المسلمين في مصالحهم، وتوثيق روابطهم، وجمع كلمتهم وجهودهم، وإحباط مكائد أعدائهم!

وهذه هي المنافع التي تشير إليها القرآن الكريم:

" وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظم حرمات

الله فهو خير له عند ربه (الحج ٢٧—٣٠)

في هذه الاية يتفصل الله سبحانه وتعالى باستيفاد عباده المؤمنين الى بيته الاول اقامة ووضعا ، والاول حرمة ، و مثابة وامنا ، ليحضروا منافع لهم — لا منافع له — فلن ينال الله سبحانه من هداياهم وضحاياهم لحوم و لادماء ، ولا يناله من صدقاتهم و نفقاتهم غداء ولاسقاء ، ولاتدركه تبارك و تعالى من طوافهم و سعيهم وحمراتهم ووقفاتهم وافاضاتهم فائدة ولا عائده وانما ينالهم وحدهم — ان صدقوا النية واحسنوا التأدية — خير كثير .

وهذا الخير — في رأيي — هو خلوص قلوبهم من علاقتها بمادة الارض و حبينها عشية عرفات الى نفحات السماء ، و هو كذلك تعارفهم وتآلفهم ، خلال ما يعي من ايام المسك ، و تفاهمهم على مصالحهم المشركه ، وتآزرهم على تحقيق الجامعه الاسلامية ، بهداية القرآن وحماية السلطان .

ويقول القرآن الكريم :

" فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا ...

" البقرة ٢٠٠ " في هذه الاية توجيه رشيد الى (الجماعية) الدينيه الشاملة ، حيث يكون ذكرالله و تدبر آياته و تتبع تشريعاته اجمع لقلوب الحجاج وكلمتهم على امر واحد ، في سبيل واحدة ، الى غاية مشتركة . و لا كذلك ذكرالاباء والاجداد ، كما كانت الجاهلية الاولى تفعل — تمدح صبي ، وافتخار قبلي ينفثان سموم الكبرياء والبغضاء والتفريق .

و يقول القرآن الكريم :

" الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولاجدال في الحج " البقرة ١٩٧ " .

في هذه الاية توجيه خلقي الى ما للحج من قدسية ، ينبغي للحجاج ان يقدروها حق قدرها وان يرعوها واجب رعايتها ، فيصدفوا عن نوازع الشهوة ، ودوافع الخصام . . عسى ان يكون ثمرة ذلك محبة والعقبين هولاء الاخوه المتساوين في انسانيتهم والمتساوين في دينونتهم لاله واحد أحد

دعاهم جميعا دعوة واحدة ، الى موسم واحد ، ثم عسى ان يكون من بركات هذا الموسم الالهي توبة نصوح للخاطئين منهم ـ و كلهم خطاؤون ـ من ذنب نصوح او غير نصوح ـ توبة تطيب بعدها الحياة ويصلح ويحمد بها العقبى ونعور .

ويقول القرآن الكريم ـ :

" واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا ،وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود " الحج ٢٦ " .

في هذه الاية نعين الغاية الاولى من اقامة الكعبة قبلة واحدة للمسلمين في كل اوطانهم القصوى والدنيا ، وهي التوحيد والتنزيه ،توحيد المعبود سبحانه من كل شرك ، و تنزيه العبادة من شبهات النفاق والدخل والدخيل .

وفي هذه الاية ايضا نعين ضرورة طهارة الحال لطهارة المحل ، و في ذلك دعوة صريحة للانسانية للخلاص من خمائها والعودة الى فطرتها ، ليصفوا كدارها ، و تعلوا قدارها ، مصداقا لما اثبته القرآن الكريم لها من استعداد وامداد حين قال :

" ولقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا " الاسراء ٧٥ " .

و يقول القرآن الكريم ـ :

" ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . . . "آل عمران ٩٧ " .

في هذه الاية نتبين رحمة الديانة الاسلامية باهلها ، فهي لا تكلفهم فوق ما يستطيعون ، ولا تحملهم ما لا يطيقون ، فالحج انما يجب على من استطاع اليه سبيلا ، من زاد وراحلة وصحة وامان ، وما اغنى هؤلاء الذين يحجون جياعا مشاة، يهلكون انفسهم ، ويتكففون الناس، عن اعنات انفسهم و

عَلى مَراكِزِ اضْطِرارى اِلهى اَخْرِجْنى مِنْ ذُلِّ نَفْسى وَ طَهِّرْنى مِنْ شَكّى وَ شِرْكى قَبْلَ
حُلُولِ رَمْسى بِكَ اَنْتَصِرُ فَانْصُرْنى وَ عَلَيْكَ اَتَوَكَّلُ فَلا تَكِلْنى وَ اِيّاكَ اَسْئَلُ فَلا
تُخَيِّبْنى وَ فى فَضْلِكَ اَرْغَبُ فَلا تَحْرِمْنى وَ بِجَنابِكَ اَنْتَسِبُ فَلا تُبْعِدْنى وَ بِبابِكَ
اَقِفُ فَلا تَطْرُدْنى اِلهى تَقَدَّسَ رِضاكَ اَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ
عِلَّةٌ مِنّى اِلهى اَنْتَ الْغَنِىُّ بِذاتِكَ اَنْ يَصِلَ اِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ فَكَيْفَ لا تَكُونُ
غَنِيّاً عَنّى اِلهى اِنَّ الْقَضاءَ وَ الْقَدَرَ يُمَنّينى وَ اِنَّ الْهَوى بِوَثائِقِ الشَّهْوَةِ اَسَرَنى
فَكُنْ اَنْتَ النَّصيرَ لى حَتّى تَنْصُرَنى وَ تُبَصِّرَنى وَ اَغْنِنى بِفَضْلِكَ حَتّى اَسْتَغْنِىَ بِكَ
عَنْ طَلَبى اَنْتَ الَّذى اَشْرَقْتَ الْاَنْوارَ فى قُلُوبِ اَوْلِيائِكَ حَتّى عَرَفُوكَ وَ وَحَّدُوكَ
وَ اَنْتَ الَّذى اَزَلْتَ الْاَغْيارَ عَنْ قُلُوبِ اَحِبّائِكَ حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ وَ لَمْ يَلْجَؤُا
اِلى غَيْرِكَ اَنْتَ الْمُونِسُ لَهُمْ حَيْثُ اَوْحَشَتْهُمُ الْعَوالِمُ وَ اَنْتَ الَّذى هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ
اسْتَبانَتْ لَهُمُ الْمَعالِمُ ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَ مَا الَّذى فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ لَقَدْ
خابَ مَنْ رَضِىَ دُونَكَ بَدَلاً وَ لَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً كَيْفَ يُرْجى سِواكَ
وَ اَنْتَ ما قَطَعْتَ الْاِحْسانَ وَ كَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَ اَنْتَ ما بَدَّلْتَ عادَةَ
الْاِمْتِنانِ يا مَنْ اَذاقَ اَحِبّائَهُ حَلاوَةَ الْمُؤانَسَةِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقينَ
وَ يا مَنْ اَلْبَسَ اَوْلِيائَهُ مَلابِسَ هَيْبَتِهِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَغْفِرينَ اَنْتَ الذّاكِرُ
قَبْلَ الذّاكِرينَ وَ اَنْتَ الْبادى بِالْاِحْسانِ قَبْلَ تَوَجُّهِ الْعابِدينَ وَ اَنْتَ الْجَوادُ
بِالْعَطاءِ قَبْلَ طَلَبِ الطّالِبينَ وَ اَنْتَ الْوَهّابُ ثُمَّ لِما وَهَبْتَ لَنا مِنَ الْمُسْتَقْرِضينَ
اِلهى اُطْلُبْنى بِرَحْمَتِكَ حَتّى اَصِلَ اِلَيْكَ وَ اجْذِبْنى بِمَنِّكَ حَتّى اُقْبِلَ عَلَيْكَ اِلهى اِنَّ
رَجائى لا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَ اِنْ عَصَيْتُكَ كَما اَنَّ خَوْفى لا يُزايِلُنى وَ اِنْ اَطَعْتُكَ
فَقَدْ دَفَعَتْنِى الْعَوالِمُ اِلَيْكَ وَ قَدْ اَوْقَعَنى عِلْمى بِكَرَمِكَ عَلَيْكَ

مسيرة التقدّم البشري بين الاسلام والمسيحية

٤

السيد هادي الخسروشاهي

الاسلام و خطره على الامبريالية العالمية :

ولم يكن هذا الوضع بطبيعة الحال خاصاً بالمستعمرات الفرنسية بل كانت المستعمرات البريطانية تعاني منه كذلك و كان مجرد وجود شخص مسلم في **جنوب السودان** بمثابة ناقوس الخطر حتى ولو كان ذهابه لاعمال عادية و تجارية .

ولذلك فقط كانت القوات البريطانية بمجرد ان تحس بوجود هذا (الخطر) تحشد كل قواها من اجل القبض عليه و نفيه الى خارج البلاد . و كانت هذه الامور تجري في نفس الوقت الذي كانت فيه قوى الاستعمار تعمل على حماية و تأييد التبشير والمبشرين . (١)

تقول أحد الصحفيين الالمان في مقال له :

«بالرغم من كثرة مراكز التبشير في الداهومي و غانا وتوغو و نيجريا و تنجانيقا و سائر افريقيا ، فأن انتشار المسيحية في تلك البلاد يتم ببطء شديد جداً . . و السبب هو ان الكنيسة المسيحية محتاجة الى قوانين الحكومات دائماً لانها تفقد كل

معلومات . . سنوافد حلالها الحجاج من كل فج عميق ، حتى يلتئم شملهم
جمعا في يوم واحد ـ يوم عرفة الذي هو خير الايام كما جاء في حديث نبوي ـ
فيلتقون في صعيد واحد . . يتعارف ابعضهم باسودهم ، وغنيهم بفقيرهم
وشرقيهم بغربيهم ـ على ما بين اقطارهم قبل ان يحجوا من ابعاد شحيقة
واختلاف في اللغة ونظام الحكم وتقاليد الاجتماع .

و بعد . . فاذا فرغ الحجاج من مناسك الحج واعماله ، عليهم ان
يتاملوا هل فرغوا حقا من غاياته والتزاماته ، وهل حققوا في انفسهم هذه
الغايات والالتزامات التي تحدثت عنها آيات القرآن الكريم ، و احاديث
الرسول (ص) ؟ ثم ليسألوا الله الكريم الرحيم : ان ينفي معهم بركات الحج
و نفحاته طوال عامهم ، بل طوال عمرهم ، وان يعيد لهم ايام الحج السعيدة
مردّ دين مع القائل ـ :

(((ياحبذا الموسم من موعد   و حبذا الكعبة من مشهـــــد)))

إلهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك
مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني
كرمك وكلما آيستني أوصافي أطمعتني مننك إلهي من كانت محاسنه مساوي
فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقايقه دعاوي فكيف لا تكون
دعاويه دعاوي إلهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي مقال
مقالا ولا لذي حال حالا إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي
عليها عدلك بل أقالني منها فضلك إلهي إنك تعلم أني وإن لم تدم الطاعة
مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا
أعزم وأنت الآمر إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة
توصلني إليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك
من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل
يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين
لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا إلهي
أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى
أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة
عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا
حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني
بنورك إليك وأقمني بصدق العبودية بين يديك إلهي علمني من علمك المخزون
وصني بسترك المصون إلهي حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل
الجذب إلهي أغنني بتدبيرك لي عن تدبيري وباختيارك عن اختياري وأوقفني

غيرهم ، في غير موجب من قرآن ولا سلطان !

اما قول القرآن الكريم – في هذه الاية نفسها : (من كفر فان الله غني عن العالمين) ، فها هنا مفتاح فلسفة العبادات الاسلامية و في مقدمتها الحج فليس لله حاجة الى صلاة الناس وزكاتهم ، ولا الى صيامهم وحجهم ، وانما هم الفقراء اليه سبحانه ، وهو الغني الحميد : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم . . " الزمر ٧ " .

ثم ماذا ؟

لقد تحدث القرآن الكريم في سورة الحج عن بعض افعاله ومقاصده فذكر أذان ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الناس بالحج ليشهدوا منافع لهم ، و يذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام ، يطعمون منها و يُطعمون ، و ذكر ما يجب عليهم من قضاء التفث ووفاء النذور ، والطواف بالبيت العتيق ، و ذكر حرمات الله و شعائر الدين ، وان تعظيمها دليل التقوى وبشير الخير ، وذكر الشرك وان من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق ، و ذكر الوثنية و قول الزور وامر بان يجتنبا ، وذكر الذبائح والضحايا ، وان الله سبحانه لا يهمه دماؤها المهراقة ولحومها المقسمة ، ولكن يرضيه تبارك وتعالى ان يصحبها اخلاص و تقوى .

بعد ذلك ذكر القرآن الكريم ثمرة من ثمرات الايمان المخلص الذى اشترطه في اداء الحج آنفا ، وهي ان الله يدفع عن الذين آمنوا مكر كل خائن ، وعدوان كل كفور .

ثم قال القرآن الكريم – :

" ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة ، و آتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، و لله عاقبة الامور . . " الحج ٤٥ " .

و هنا اريد ان بقف الحاج مليا بتأمل حديث القرآن الكريم عن الحج ، وما يجب لادائه من ايمان واخلاص ،و ما يكون في ادائه من مشقة و صبر ،وما ينتظر من ادائه من مثوبة وقبول ، حيث يكمل الله نعمه على حجاجه ، فيصبحوا احرياء بدفاعه عنهم ونصره اياهم .

لنتامل استرسال القرآن الكريم بعد عرضه لاعمال الحج و غاياته في الكلام عن الذين آمنوا ، و دفاع الله عنهم ، و وعده الناجز : "ولينصرن الله من ينصره" ، ووصفه الثابت لهؤلاء الناصرين المنصورين بأنهم (اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) .

ذلك ما اردته وقصدته ، حين اشرت في بداية حديثي الى بركات الحج ، التي يظفر بها الحاج لنفسه واهله و ذريته واسباب معيشته ، وحين قلت ان هناك بركات عامة يجب ان يشمل مجتمع الحاج مجتمعه الكبير من اخوانه وجيرانه وكافة مواطنيه .

اجل يجب ان يشمل بركات الحج مجتمع الحاج حين يعود اليه ـ يحب عليه ـ حين يقدم لاهله واولاده وذوي قرباه الهدايا المادية التذكارية ـ ان يقدم لمواطنيه في عين الوقت هدايا اخرى معنوية ، هدايا لا تكلفه اكثر من قلب زكي ولسان طري ، وهدايا هي دين ثابت ، وخلق كريم و معاملة حسنة ، ونصح بالخير ، ودعوة الى البر ،وجهر بالحق ، وامر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وبذل من ذات النفس ودا ،و من ذات اليد رفدا .

هكذا يكون الحج واهب بركات و نفحات خاصة وعامة ، و كذلك يكون الحجاج بايمانهم واخلاصهم جديرين بدفاع الله عنهم ، ونصره اياهم ، حتى يتجلى حروبهم فيما بينهم ، وتنياس مطامع عدوهم فيهم .

ان الحج منسك جماعي ، فرض لصالح الجماعة الاسلامية ،لا لصالح كل حاج على انفراد ، اذلو كان الامر كذلك لجاء ايجابه على كل فرد خلال ايام العام كله ، ولحج الناس البيت الحرام فرادى في اي وقت شاؤوا ، و لكن الحج ـ تاكيدا لغاية الجماعية ـ قد فرض على المسلمين في اشهر

نوع من التشريعات و القوانين .بخلاف الاسلام الذى يمتلك لنفسه سلسلةمن التشريعاتو القوانين الخاصة به .

يضاف الى ذلك انـه اذاحـدثوصـار احـدالافـارقـه مسيحياً سجل أولا فى دفاترالادارات و غيرها تحت اسم «العبد الاسود» ثم يسجل بعد ذلك تحت اسم مسيحى ؛ و لهذا فانه لايستطيع ان يحس من نفسه بأنه مساو للابيض كما ان القانون لايسمح له بذلك .

اما الاسلام فأن مجرد اعتناقة يكون كافياً للحكم بتساوى الجميع فى الحقوق والواجبات .

ومن جهة أخرىفأن الهدايا التى كان الطلاب الافارقة يحملونها معهم، عندعودتهم من القاهرة، كانت هـى الافكار الاسلامية ، فكانوا ايبعثون الروح والقوة والاطمينان فى قلب كل مسلم افريقى ، ولو كان فى اقصى المناطق الافريقية . .

وهذا هـو السبب فيما نلاحظه اليوم من كـون الاسلام يشكل عاملا مهما فى السياسات الاسلامية .

و مع ان الاسلام هو العامل الوحيد الذى يستطيع ان يحفظ الشعوب الافريقية من خطر الشيوعية الا ان الخطر الذى يترتب على سياسة السماح للاسلام بالانتشار هو اشد من كل خطر على المصالح الغربية (٢) .

وهكذا تلاحظون كيف ان الاسلام كان دائماً (ناقوس الخطر) الذى يدق فى آذان الامبريالية الغربيةّ المسيحية، الى درجة أنهم كانوا لا يستطيعون اخفاء قلقهم من انتشاره وتوسعه .

وفيماذكره« الحاج أمين الحسيني » مفتي ...

السياسي في مذكراته التي نشرها في جريدة ...

فهو يتحدث عن اجتماعه بالدكتور «بروفر» ...

الالمانية ، و عن الحديث الذي دار بينهما ...

قائلا : ولكن الدكتور «بروفر» قال لي بصراحة

« ان الدول الاوروبية ...

من الشيوعيه ، وذلك لان ...

من العدالة الاجتماعيه لهم ...

اما الاسلام فهو عقيدة ...

خطرها على أوروبا ...

وذهبت بكل مالديها ...

ان الدول الاوروبيه ...

من الاهمية العالمية ...

وربما حاولت الزحف على ...

نعم لقد ادرك الاوروبيون هذه الحقيقة ...

... الاسلام ونفوذه العظيم بين الامم الاسلامية ...

... ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

... ادركت الامبريالية المسيحية حقيقة اخرى ...

... جوهره مادية كالشيوعية حتى يمكن اطفاء شعلتها ...

... رفع مستوى المعيشة ان الاسلام هو القوة المحركة ...

الوطنية ضد الاستعمار وهو كما يقول ...

« ان المطر الخانق لا يمكنه ان ...

ولما كانت بريطانيا العظمى لاترتاح ابداً الى مسألة الجهاد الاسلامى، فقد حرم «ميرزا غلام احمد» رسمياً واعلن الغاءه . (١٤)

البهائية :

منذ مدة وانكلترة تفكر في ارسال شخص الى الامة الاسلامية - وايران على الاخص - على اعتبار انه «المهدى الموعود»! وقد عملت على تنفيذ فكرتها هذه في عهد حكومة «فتح على شاه» فأرسلت عدة اشخاص ادعى كل واحد منهم انه المهدى الموعود! ولكن الدولة آنذاك - وكانت قوية - وصت عليهم جميعا واخمدت الفتن في مهدها.

ولم يكد «محمد شاه» يستلم زمام الامور حتى ضعف نفوذ الدولة فقام «ميرزا على محمد الباب» يدعو الى نفسه . وقد انتشرت دعوته بعض الشيء واتسعت فتنته واصبح قويا . . ولكن ماعتمت ان ظهرت المخططات الاستعماريه للوجود . وانكشف الامر على حقيقته ووجدنا انه :

«في الوقت الذى كان خلفاؤه - الميرزا محمد على الباب - يدعون الالوهية كانوا يأخذون ميداليات ونياشين من «عبيدالله» الانكليز مقابل مايؤدونه من خدمات . . وكان هؤلاء «الالهة العظماء» يعيشون بالقرب من الاراضى الايرانية و يشتغلون بالدعوة الى أنفسهم تحت حماية الانكليز .

ولم يكن الانكليز فقط هم الذين يعملون على الاستفادة من عقيدة المهدى . بل فكر الروس أيضاً فى ذلك و حاولوا أن يرسلوا من قبلهم شخصاً على انه «المهدى الموعود» الا ان الانكليز كانوا اكثر دهاء منهم فأبطلوا محاولتهم هذه .

وفى مقابل ذلك قام الروس بنشر كتب تفضح هذه المخططات (١٥) كما اعلنوا على الملا اسبابها السياسية» (١٦).

لكن المستر «ادوارد براون» المستشرق الانكليزى نهض للدفاع عن البهائية
وتبرئتها مما نسب اليها . (١٧)

وقد فعل «الميرزا البهاء» مثل زميله «غلام احمد» فالغى الجهاد واعلن ذلك
صراحة قائلا :

«هذا الظهور ، الرجعة الكبرى ، والعناية العظمى هي التي
محت الجهاد»(١٨) .

وبالاضافة الى ان «الميرزا البهاء» قد اعلن الغاء الجهاد ، فقد حرم التدخل
شؤون السياسة فقال :

«ليس لاحد ان يعترض على الذين يحكمون على العباد ،
دعوا لهم ماعندهم »(١٩) .

ويقول «اشراق خاورى» فى كتابه الذى نشره «المركز الوطنى لنشر الآثار
ربة»او ايد ماجاء فيه «شوقى افندى» يقول فى هذا الصدد نقلا عن «الميرزا البهاء»:

غير جائز لاحد ان يرتكب أمورا تخالف رأى رؤساء
الدولة، وعلى احباء الله ان يطيعوا أوامر واحكام جلالة الملك
فيما يأمرهم به وان يكون عندهم تمكين وانقياد لجميع اولياء
أمورهم .

ان كل واحد يتدخل فى الامور السياسية . او يتكلم بشيء
لايعنيه ، او يتحرك بحركة فى خارج وظيفته فهذا وحده دليل
على انه ليس بهائياً ولاحاجة الى دليل آخر »(٢٠) .

وتقول المادة العشرون من مواد التعاليم والمبادى الروحية والاجتماعية فى
- «نظرة اجمالية فى الديانة البهائية» حول «عدم التدخل فى الامور السياسية» :

«اهل البهاء . . لايتدخلون أبداً فى الامور السياسية التى تخص

وقد تعلمت انكلتره من تجاربها العديدة ان الدعوه الى المسيحية واساليب التبشير والمبشرين لاتلقى اذناً صاغية لدى المسلمين فأخذت تعمل على جرهم نحو الالحاد والمادية»(٩)

ويعتقد السيد جمال الدين ان البابية ـ والبهائية ـ هما انموذجان آخران من نماذج الطبيعيين ويقول ..

«ان البابيين الذين وجدوا اخيراً في ايـران و اهرقوا دماء الالاف من الناس ظلماً وعدوانا ليسوا الا صوره مصغرة عن « طبيعيي ألموت » ولابد من انتظار التأثير السيء الذي سوف تحدثه اقوالهم فيما بعد في افراد الامة الايرانية.(١٠).

وبعد ان عمل الاستعمار على تنفيذ مؤامراته بين الشعوب المسلمة ضد الاسلام شرع في تنفيذ مؤامرات ومخططات جديدة نشير الى بعضها على سبيل الاجمال :

١ ـ المذاهب المبدعة ـ الهدامة :

ان واحدا من اخطر الامراض الاجتماعية التى نقلعدواها الينا الاستعمار المسيحى هو الاديان و المذاهب المبتدعة . أوفقل :الاحزاب السياسية والطوابير الخامسة التى تشكلت في بلادنا تحت شعار « دين جديد ».

ولم تكن هذه المصائب والأمراض الاجتماعية الخطرة خاصة بايـران وحدها وانما انتشرت ميكروباتها في اكثر الدول الاسلامية وكانت من اهم الاسباب التى اوجدت التفرقة والاختلاف ، والنفاق ، والحروب المحلية وتقاتل الاخوة .

واستطاع الاستعمار عن طريق ايجاد هذه الاحزاب «الدينية» تحقيق اغـراضه الدنيئة ـ المنافية لكل القيم الانسانية ـ في وطننا الاسلامى الكبير .

لقد ادرك الاستعمار المسيحى والامبريالية الغربية بعد تجاربهما العديدة في آسيا وافريقيا ،ان نوعية التفكير الاسلامى الاجتماعى لاتجيز لاتباعها بحال من الاحـوال

الرضوخ للاستعمار والقبول بحكمه .

ومنذادرك الاستعماران المسلمين يرون الجهاد وظيفتهم المقدسة بحكم أوامر الاسلام الواضحة والصريحة بوجوب الوقوف في وجه كل معتد ومستعمر مهما كان شكله ونوعه ـ عمد الى ايجاد الاختلاف والنفاق فيما بينهم وعمل على خلق واختراع مذاهب صنعها بنفسه من اجل ابعاد المسلمين عن المنبع الاصيل الذي يستقون منه افكارهم وتعاليمهم ؛ وشغلهم بأمور جانبية الهتهم عن وظائفهم الاصلية (١١)

و نذكر نماذج من هذه المذاهب المبتدعة مع مراعاة الاختصار .

القاديانية :

في غمرة النضال الوطني لمسلمي شبه القارة الهندية، حرض الاستعمار الانجليزي «غلام احمد القادياني» على العمل من اجل اضعاف الروح الثورية المعادية للاستعمار لدى شعوب الهند والباكستان .

فبادر غلام احمد الى امتثال الامر واعلن عن نفسه بأنه نبي جديد، واصدر حكما بوجوب تأييد بريطانيا وحكما آخر الغى فيه وجود الجهاد .

وهو يقول في كتابه «ترياق القلوب» .

«لقد قضيت الشطر الاكبر من عمري في تأييد الحكومة الانكليزية . وحققت لها النصر . والفت كتب ومنشورات . واصدرت اعلانات في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الامر ـ الانكليز ـ لو جمعت لملأت شيئا كثيرا . وقد وزعت ذلك كله في مصر وسورية وتركية و . . (١٢)

وانني اعتقد ان الاسلام مركب من جزئين : أطاعة الله ب ـ وطاعة الحكومة البريطانية التي منحتنا الامن وخلصتنا من الظلمة والمعتدين ».(١٣)

كانت فيمنطقه ارتوى اهلها من تعاليم الأسلام » (۴) .

مؤامرات الامبريالية :

لكي تتخلص الامبريالية العالمية الغادرةمن حطر الاسلام الذى يهدد مصـ المادية بصورة دائمة ، ويدعو الشعوب المستعمرة بتعاليمه - الى الوقوف في وجه الاستعمار ،اخذت تخطط مؤامراتها الدنيئة وتعمل على تنفيذها من اجل القضاء على الاسلام والحركات الاسلامية المعادية للاستعمار . فقامت - بالاصافة الى المذاهب التي ابتدعتها لخدمة اهدافها والتي سوف نشير الى نماذج منها - بالعمل على اتهام الرجال الوطنيين والعلماء المجاهدين بالعمل لخدمة الاستعمار من احل اضعاف مراكزهم ، لدىأممهم وشعوبهم حتى وصل بهم الحد الى القول :

بأن السيد جمال الدين الافغانـي - بطـل الشرق المعروف
يعمل لصالحالانكليز!!. وقد دفع له ابن الدكتور « ولف
الانگليزی کل نفقات السفر بما فيها اجرةالسفينة - لكي...
الى تركيا ويعلن عداءه ومعارضته لناصر الدين شاه! تحـ
ستار الوحدة الاسلامية . (٥) .

وفي عهد المشروطية أيضاً عندما قـامت الثورة على النظام الـرجعي المستـ حيندالك و كانت بزعامة كبار العلماء اتهم المرحوم «آية الله الشيخ فضل الله النوري» كا من كبار رجالات الثورة و مؤيديها بالخيانة ثم علق على المشنقة ، لانه كان يدعـ الى الحكومة الاسلامية : «مشروطه مشروعة» .

وكانت الحقيقة هي كما يقول «جلال آل احمد» :«يقول الدكتور«تندر كـ في كتابه «شاهين» :

كان يجبان يشنق الشهيد الشيخ النوري ولكن لا لـ
كان من ابتداء امره مدافعاً عن المشروطة ،بل لانه كان مدا
عن المشروطة وفق الشريعة .

وانا اضيف الى ذلك : انه قتل لانه كان مدافعاً عـن التشيع الاسلامي . . واعتقد أن جثة هذا العظيـم كانت ـ بارتفاعها على اعوادالمشنقة ـعلماً يرفرف على رأس هده الدولةوهي تشير الى استيلاء العرب عليها بعد جهود مأتي سنة ، بذلها في سبيل ذلك . » (٧) .

لقد كان يجب ـ في نظر هؤلاء ـ اديتهم المرحوم كاشف الغطاء بالتعامل مع الانكليز لانه ارسل رسالة الى جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الاميركية ، اوضح لهم فيها الحقيقة ووضع النقاط على الحروف . . وكان يسعى أيضاً ان يموت بشكل مفاجيء دون ان يدري السبب في ذلك !

وكان يجب ايضاً طبق هده القاعدة ـ ان يطلق على زعيم الهند وقائد نهضتها الوطنية «غاندي» اسم «خادم الامبريالية العالمية الامين» ، وان يظهر للناس على انه من «أعز اصدقائها والمؤيد لنظمها الاجتماعية المعيصة الى كل الناس » وكان يسعى ايضاً ان يعد «نهرو» في صفوف الخائنين . (٨)

* * *

وكان من جملة مؤامرات الامبريالية أيضاً العمل على نشر روح المادية بين الشعوب المسلمة من اجل ان تنعدم لديهم روح الاقدام والوقوف في وجه الاستعمار.

يقول السيد جمال الدين الأسد آبادي ـ المعروف بالافغاني ـ وكان على علم بكل مخططات الاستعمار ـ :

« حينما رأت انكلترة ان الاسلام يريد من اتباعـه ان يصبحوا مستقلين ذوي شوكة وقدرة وادركت ان طبيعة التعاليم الاسلامية تقضي بذلك،اخذت تعمل على نشر التعاليم الالحادية والطبيعية ، وقامت من اجل هذا الغرض بافتتاح مدرسة لنشر المبادىء المادية بين الناس في الهند .

الجهات الرسمية في الدولة . و كذلك في الاحزاب و ... السياسة . . يقول حضرة ولي امر الله فلنكن في عزلة . ... ظاهرا و باطنا عن جميع الامور ... السياسة و امثالها من الافكار الفارغة»(٢١) ... الامر الى تأليف كتاب في هذا الموضوع ... الدكتور «ميمندي نجاد»! وهو ممن مارس ...

... الكتب السابقة بالادلة و البراهين فأن ... الاديان المبتدعة و هي وليدة السياسة و ان مؤسس ... المدهش . . ولكن طرف الحر ... «سرويس» المرعبة »(٢٢) .

... الذي عقد في لندن و اشترك فيه ... الابرانية ان اكثر هؤلاء قد حصلوا ... على تخفيضات في الاجور، لم يسبق لها مثيل(٢٣). ... هذا المؤتمر اللندني! لوضوح اهدافه المشبوهة

... الثالثة . القاهرة ، صفحة ١٥٧
... المجلة الشهرية «المسلمون» الصادرة في جنيف «سويسرا»
... ٦
... عدد ٢١ شباط ١٩٥٨ طبع طهران .

(٤) : «استراتژی‌صلح» ـ استراتیجیة السلام ـ تألیف؛ کندی» ترجمة«عبدالله گله‌داری»
.ل الثالث ، طبع طهران .

(٥) : «نعل وارونه ـ کلاه بزرگ» ـ تألیف الدکتور«میمندی نجاد» المیطار الایرانی
.ه ٣٩ :

(٦) : «مردان خود ساخته» «رجال صنعوا انفسهم» وهو مقال للاستاذ سید حسن تقی‌زاده
.ة ٢٥ الطبعة الاولی .

(٧) : «غرب زدگی» تألیف «جلال آل‌احمد» طبع طهران ١٣٤١ صفحة ٣٥ و ٣٦ .

(٨) : «هندوستان در آتش» «الهند وسط النار» وقدنشره الحزب الشیوعی المنحل طبع
ان الصفحات ٥٤، ٥٥، ٥٦ .

(٩) «کتاب جمال‌الدین الافغانی ذکریات و احادیث» تألیف الشیخ‌عبدالقادر المغربی
مصر صفحة ٦٨ و ٦٩ :

(١٠) : «نیچریه یاناتورالیسم» ـ الرد علی الدهرین ـ تألیف السیدجمال الدین الطبعة
.یة تبریز،١٣٢٨ صفحة ٣٨ (نقله‌الی العربیة الشیخ‌محمد عبده وطبع‌بالقاهره عدة مرات).

(١١) : لایخفی ان الامبریالیة العالمیة ـ الحمراء منها و السوداء، تعمل‌من اجل‌تحقیق
اها اللاأنسانیة و مکاسبها المادیة غیر المشروعة علی حیاکة مؤامرات‌کثیرة‌جداً و تنفیذها
ی‌علینا ان نتنبه دائماً و نکون فی حالة استعداد دائم للوقوف فی وجه کل مؤمراتها ضد
لام و احباطها کما ان‌علینا ان لا نمکنها من‌جذب‌شبابنانحو انحرافاتها الفکریة‌والعقائدیة.

(١٢) : «القادیانیة»‌تألیف الاستاذ «ابوالحسن علی الحسنی الندوی»الطبعة الاولی الهند
ة ٨٨ و ٨٩ .

(١٣) : «القادیانی و القادیانیة» صفحة ٨٩ . و«المسألة‌القادیانیة»‌تألیف‌الاستاذ«ابوالاعلی
ودودی» طبع مصر صفحة ٢٤ .

(١٤) : «تریاق» تألیف «غلام احمد»صفحة٣٣٣ . و «القادیانی» صفحة ٩٤ . و«المسألة
دیانیه» صفحه ٢٥ ٢٦ .

(١٥) : فضح القائم بالاعمال فی سفارة روسیة القیصریة فی ایران «کینیاس دالگورکی»
ذکراته‌التی طبعت للمرة السابعة‌اسرار وجود البهائیة والبابیة . وهوکتاب‌جدیر بالمطالعة.

(١٦) . « نعل‌وارونه » صفحه ٤١ .

(١٧) :اوضح‌السید ابراهیم صفائی الاسباب‌التی دفعت « براون » الی تأیید البابیة و
ائیة فی‌رسالة صغیرة تحت عنوان « اشتباهات ادواردبراون » وقدطبعت هذه الرسالة‌القیمة

اولا فی مجلة « ارمغان » الایرانیة . ثم ظهرت اخیراً بشکل کراس مستقل .

(١٨) : « گنجینه حدود واحکام » « خزانة الحدود والاحکام» صفحة ٢١٧ .

(١٩) : « الاقدس » طبع « مطبعة ناصری » بمبی ١٣١٤ صفحه ٢٧ سطر ١٤ .

(٢٠) : « گنجینه حدود واحکام » الصفحات ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٦ .

(٢١) : « نظر اجمالی در دیانت بهائی » « نظرة اجمالیة فی الدیانة البهائیة » تألیف «احمد یزدانی» ومصادقة «اللجنة الوطنیة للمنشورات الامریة » طبع ١٣٢٩ صفحة ٤٠ و ٥٠ .

(٢٢) : « بسوی او » تألیف «میمندی نجاد » صفحة ١٧ .

(٢٣) : مجلة «خوشه» طبع تهران ، السنة ٨ ، العدد ١٠ صفحة ٣٣ ، ١٩٨٣ .

بقية : كلمة التحرير . . .

رسالة العصور ، و تاريخهم مسعل الطريق ، لان يقوموا بتشكيل لجان تتصف اولما تتصف بالموضوعية والانفتاح على الحقيقة ، ثم تتصف بسعة الافق و القدرة على الاستنباط التاريخي المطمئن ، كل ذلك لحمل عبء قرأنة تاريخنا و ربط حاضره بماضيه برباط العبرة ، و هاهنا يؤمل الخير العميم .

فاذا تم هذا جاءت مرحلة هامة من مراحل التبليغ الهادف والتوجيه العام حيث يعمل هؤلاء على نشر حصيلة بحوثهم على اوسع قطاع من الامة لتكوين ثقافة تاريخية بناءة يكون لها دورها الهام في مجال:

تقوية الشخصية الاسلامية و التعرف على خصائصها الاصيلة ،

و خلق الشعور الموحد بالتاريخ الموحد مما يشكل نواة للوحدة الاسلامية المرجوة طبقا للواقع الاسلامي ،

والتعرف على تطورات موقف الاعداء من هذه الرسالة مما يلقي ضوءاً على جوانب الحالية .

هذا بالاضافة لما ستلقيه هذه البحوث من اضواء على واقع التشريع الاسلامي .

فالى العمل ايها الاخوة في سبيل الله

. . . والله مع العاملين .

رئيس التحرير

معركة بدر

● حسين احمد شحادة

"ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
اتقوا الله لعلكم تشكرون"

مضت الشهور الاولى على المهاجرين
شرب كاجمل ماتكون . . . يدعون الى الله
تربة لم يتذوقوا طعومها الا في هذه الارض
سة . . و يعيشون حياتهم الرسالية على هدى
إخاة التي ربطهم مع الانصار باوثق رباط
ي مقدس . . . يجمعهم الحب ويضمهم
مان في ولائه كما الجسد الواحد والقلب
حد يحقق برسالة الوحدة والتوحيد .

ولكن المهاجرين الغرباء الذين فقدوا
شيء وخلفوا ممتلكاتهم في مكة يعبث
ا المشركون كيفما اتفق لهم العبث و

يستبيحونها كيفما شاءت نفوسهم ان تستبيح .

ترى ماذا يصنعون في وجه قريش؟

قريش التي عذبتهم واضطهدتهم
باقسى الوان العذاب والاضطهاد . . .

قريش التي كانت تستذلهم بكبرياء
. . قريش التي اذاقتهم مرارة الجوع والحرمان
. . . قريش التي ائتمرت ذات يوم لاغتيال
الرسول الاعظم (ص) بعد ان جمعت كل مافي
قلوبها من غل و كل مافي نفوسها من احقاد .

ماذا يفعلون في وجه هؤلاء القساة .
الذين فرضوا عليهم الغربة وفرضوا عليهم
العيش في المنفى . . ولولا الانصار لذاقوا
الامرّين في حياتهم المعيشية وقريش لازالت
كماهي تلهو وتستبيح ممتلكاتهم كيف تشاء .

واذن . . لابد ان يقولوا كلمتهم . .

لن يدعوا المشركين في ظلمهم يبغون على هواهم ان الله يابى لهم الا ان يسترجعوا حقهم السليب .. فهل ياذن لهم النبي القائد بالتعبير عن مشاعرهم فيقاتلون كما ظلموا .. و يُظلمون .

و بداء رسول الله (ص) يفكر في هذه المرحلة الجديدة من حياة الدعوة و بهذه الخطوة الحاسمة في حياة هذا الدين .

ليس العنف من اساليب هذه العقيدة ولا يمكن ان تكون القوة اداة من ادوات الاسلام يستعملها ليفرض رأيه على الاخرين .

ولكن ..

حينما يتعرض المبداء لخطر في صميم وجوده

حين ينظر للمسلمين باستخفاف ساخر

حين يوشك ان يتداعى عليهم الاعداء من كل جانب

حين يصطدم رجال الله برجال يصدون عن سبيله ...و يستبيحون دم كل مسلم

عندما لا يفهم اعداء الله الا لغة العنف

حينئذ ... يصبح العنف ادنى الى الرحمة ... حركة ايجابية تهدم للبناء .

فليكن الجهاد كآخر حل .. يفرضه واقع الاحداث .

ولـ القتال ... قتالا في سبيل الله ... دفاعا ...م .. و تأمينا لحرية الدعوة واتاحة الفرصة لاولئك الضعفاء الذ[ين] يشتاقون الى اعتناق هذا الدين و لكنهم لا يجدون اليه سبيلا .

ان المرحلة التي تمر بها الدعو[ة] مرحلة عصيبة جدا وقاسية جدا المنافقون في الداخل ... والاعراب المجاورون يتربصون بالمسلمين الدوائر ... و يتحينون الفرص المناسبة للقضاء عليهم اى قضاء .

واليهود ... دهاة التاريخ ال[...] لازالوا يثيرون الفتنة تلو الفتنة للايقاع بالمسلمين وقريش التي لم تكف شرها عن المسلمين حتى في الحبشة لازالت تؤلب النا[س] عليهم كل حين .. تصد عن سبيل الله و تفرض العزلة المؤلمة على كل من تسول له نفسه باعتناق الاسلام .

ان المرحلة التي تمر بها الدعوة مرحلة عصيبة جدا وقاسية جدا فليكن الجهاد

وليكن للمسلمين قوة عسكرية تحافظ على عقيدتهم من مؤامرات المتآمرين وتحافظ عليهم من كيد الكائدين ، ولعل مراكز القوة في شبه الجزيرة العربية تعي ان المسلمين اصبح لهم وجودهم المهاب وقوتهم المرهوبة

ومن ثم ليس من مصلحة احد ا[ن] يجاهرهم بالعداء ... بل الخير في التعاهد معهم بعيدا عن ألاعيب الدسائس والمؤامرات

وبدأت قوة المسلمين تخط رسالة الجهاد بين معترك الايام ... ضمن مسند الاية الكريمة ...

" واعدوالهم ماا ستطعم من قوة و
رباط الحبل ترهبون به عدو اللهوعدوكم
آخرين من دونهم لا تعلمونهم اللهيعلمهم "

وبدأت سريةحمزة لافهام قريش ان
طريقها التجاري بين مكة والشام مهـــدد
بالخطر ان بغى المشركون ع حقدهـم و
عنادهم في مواجهة المسلمين و بلتهـــا
سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب لنفس
الاسباب.. فلاقى الطرفان عند وادى رابع
عن اسهم عادوا دون قتال... و
بحج المسلمون في هدفهم اى نجاح...

و مضت دورياتهم فيما بعد...من
سرية سعد بن ابي وقاص الى غزوة الابواء ...
الى غزوة بواط ... الى غزوة ذى العشيرة..
كل ذلك دون ان يقع الصدام المسلح مـــع
اعدائهم فلم يكن الصدام المسلح من غاياتهم،

وانما ارادوا ان يكون للسلام في تلك
المنطقة مفهوما انسانيا يرغم الاخرين علــى
احترامه فعقدوا من خلال ذلك الاحلاف مع
القبائل العربية... فلا يغزوهم و لا يكثــروا
عليهم جمعا ولا يعينوا عدوا.

و لكن المشركين الذين ما تعــودوا
الاعلى الظلم والبغي والعداء.

اغاروا ذات يوم على مراعي المسلمين
في ضواحي يثرب فسلبوا قسما من الابـــل و
الانعام.

واسرع المسلمون ليردوا على هــذا
الاعتداء السافر... فطاردوهم على مقربة من
بدر.. فلم يدركوهم ولا همّ ان لم يدركوهم
.. وحسبهم انتصارا ان العدو الغادر بات د
امامهم بالفرار...

و في ذات يوم من ايام رجب خرجت
وحدة عسكرية من المسلمين تضم اثنى عشر
مهاجرا بقيادة عبدالله بن جحش الاسدى
للقيام بدورية استطلاعية. .وكان رسول الله
(ص) قد سلم عبدالله رسالة مكتوبة لا يفتحها
الا بعد يومين من مسيره... وبعد يومين
وقف القائد ليقرأ على جنوده مضمون الرسالة
فأداها :

" اذا نظرت في كتابي هذا فامض
حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد
قريشا و تعلم لنا من اخبارهم "

ثم التفت اليهم ليقول.. ان النبي
(ص) قد أمره ان لا يستكره احدا على مرافقته
فمن شاء فليبعد ولاجناح عليه.. فأبـــى
المهاجرون الا ان يسيروا على ما اراد رسول
الله (ص) ومضوا مع قائدهم فرحين بهذه
المسؤولية الجديدة و قد ادركوا سرها وابعادها
في حساب الجهاد ... وانطلقوا جميعا عدا
سعد بن ابي وقاص و عتبة بن غزوان اللذين
ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل.. فاسرتهما قريش
لتذيقهما من الوحشية اشنعها ومن العذاب اقساه

فما كان من المسلمين المجاهدين و
قد رأوا قافلة لقريش تمر في نخلة بحمايـــة
اربعة رجال من رجالهم الا ان هاجموها..
فاسروا منها اسيرين و قتلوا قائدها عمرو بن

البقية في صفحة ١٢٤

الامام علي بن الحسين واموال مروان

السيد جعفر مرتضى

يدكر بعض المؤرخيں ان مروان بن الحكم كان فد افرض الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مالا ، ثم سامحه به هو ، اوسامحه به هشام بن عبدالملك بعد

قال ابن سعد : " علي بن محمد ، عن حويرية بن اسماء ، عن عبدالله بن علي بن زين العابدين قال :

لما فتل الحسين قال مروان لابي ان اباك كان سالني اربعة آلاف دينار . لم تكن حاضرة عندي ، وهي اليوم عندي مستيسرة ، فان اردتها فخذها ، فاخذها ابي لم يكلمه احد من بني مروان فيها ، حتى قام هشام بن عبدالملك . فقال لابي : ما فعل حقنا قبلكم ؟ قال : موفر مشكور . قال : هو لك . . . "[1]

و قال ابن كثير : " . . . وروى المدائني عن ابراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ان مروان كان اسلف علي بن الحسين حتى يرجع الى المدينة بعد مقتل ابيه الحسين ستة الاف دينار ، فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه عبدالملك ان لايسترجع من علي بن الحسين شيئا ، فبعث اليه عبدالملك بذلك ، فامتنع من قبولها ، فالح عليه ، فقبلها . .

و قال ابن كثير ايضا : " . وقال الاصمعي لم يكن للحسين عقب الا من علي بن الحسين . ولم يكن لعلي بن الحسين نسل الامن ابن عمه الحسن .[2]

---

(١) طبقات ابن سعد ج٥ ص١٥٩ ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٣٥١ ، ٣٥٢ قريب منه . . .

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص ٢٥٨

(٣) الصحيح من ابنة عمه الحسن .

فقال له مروان بن الحكم لواتخذت السراری یکثر اولادک؟. فقال لیس لی ما اشتری به، فاقرضه مئة الف، فاشتری له السراری، فولدت له، وکثر نسله. ثم لما مرض مروان اوصی ان لایؤخذ من علی بن الحسین شیء مما کان اقرضه، فجمیع الحسینیین من نسله رحمه الله.." [1]

ونحن نعتقد ان ذلک کله لااساس له من الصحة، وانما هو محض افتراء و اختلاق، ومن الاساطیر التی لاتستند الی ای سند تاریخی یصح الاعتماد علیه، والاستناد الیه...بل التاریخ یناقضها، و یکذبها...

واعتقادنا هذا یرجع الی عدة اعتبارات... ولبیان ذلک نقول:

ان هذه النصوص تفید ان علی بن الحسین کان یعانی من ضائقة مالیة. جعلته یقترض من مروان مایستطیع ان یتسری به، و ینفق منه علی سائر شؤونه وحاجاته...وان اباه الحسین نفسه کان یعانی من قلة المال، حتی لقد طلب من مروان اسعافه باربعة الاف دینار.. فلم یستطع هذا تلبیة طلبه.

ونفید ایضا ان علی بن الحسین لم یکن یستطیع ان یفی بعض ما علیه، حتی سامحه هشام بن عبد الملک فی ایام خلافته.. الی غیر ذلک من الامور التی یمکن استخلاصها من هذه النصوص، والتی یمکن ان یفهم جانب منها فی مطاوی هذا البحث...

و نحن... من اجل استیفاء البحث حول هذه النصوص نؤثر ان نتکلم حول کل واحدة منها علی حدة فنقول:

اما حدیث الاربعة الاف التی اقرضه ایاها مروان، و بقیت عنده الی ایام هشام فسامحه بها، فحدیث غریب وعجیب...

فاولا هی تنص علی ان الحسین کان قد طلب اولا من مروان هذا المال، فلم یلب طلبه، ثم اعطاه لولده علی بن الحسین.. والسؤال هنا هو:

لماذا یختار الحسین مروان بن الحکم لیقترض منه؟ الم یکن علی اطلاع بعداوته وسائر بنی امیة لابیه واهل بیته، وحارب اباه فی وقعة الجمل، وکان یلعنه علی المنابر، و حاول جاهدا النیل منه، و من کل من یمت له بایة صلة اورابطة؟

الم یرفض الحسین ابی الضیم صلة معاویة له، ورد ماکان ارسل به الیه، و لم یقبل منه شیئا، وذلک عند ماقدم معاویة مکة؟ [2] (.

(۲) البدایة والنهایة ج۹ ص ۱۰۴، ۱۰۵

(۲) الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۱۶۴، وملحقات احقاق الحق ج۱۱ ص۴۵۰ عنه.

و هل كان الحسين حقا بحاجة الى المال؟ ولماذا هذا المبلغ الضخم؟ اربعة الاف دينار . . .

و من الناحية الاخرى لماذا يقبل علي بن الحسين . . مروان ما كان قد عرضه على ابيه ، مروان الذى لم يزل عدوا لبني هاشم حتى مات[1] ـ لماذا يقبل منه ذلك . . . بعد رآه يشير على اميرالمدينة الوليد بن عتبة بقتل ابيه الحسين ـ باتفاق المؤرخين ـ ، و بعد ان رآه يتصرف مع رأس ابيه الحسين ذلك التصرف المشين الاتي بيانه؟ . وكذلك موقفه عند وفاة عمه الامام الحسن (ع) الى آخر ماهنالك من مواقف مروان المعروفة منه ، و من آل علي بشكل عام . .

و ثانيا كيف ، لم يستطع علي بن الحسين طيلة تلك المدة التي تزيد على الاربعين سنة ان يوفي هذا الدين ، حتى يضطر هشاما الى مطالبته بالحق الذى له قبله؟ مع انه كان ينفق من الاموال الشيء الكثير الكثير . وكان " يعول مئة اهل بيت بالمدينة ، ولا يدرون بذلك حتى مات "[2] و " دخل على محمد بن اسامة بن زيد يعوده ، فبكى ، فقال له ما يبكيك؟ قال علي دين . قال وكم هو؟ قال خمسة عشر الف دينار ـ و في رواية : سبعة عشر الف دينار ـ فقال هي علي . . "[3]

كما انه قد اعطى الكميت عندما مدحه اربع مئة الف درهم جمعها له من نفسه واهله[4] على ماقيل . . و اعطى الفرزدق اثنى عشر الف درهم . . .

فلماذا لايفي الاربعة آلاف اذن؟ . واذا كان يعجز عنها ، فلماذا لايعجز عن السبعة عشر الف دينار؟ وعن الاربعمائة الف درهم ؟ ولماذا لايعجز عن اعالة المئة اهل بيت؟ ولماذا يعتق العبيد ، و يعطي الشعراء ، وغيرهم ؟ لماذا كل ذلك؟ . الم يكن من الافضل له ان يقضي دينه ، و يقطع السنة المطالبين له بحقوقهم ؟!

(١) البداية والنهاية ج٨ ص ٤٤
(٢) طبقات ابن سعد ج٥ ص ١٦٤ ، و البداية والنهاية ج٩ ص١٠٥ وتذكرة الخواص ص٣٢٧ والانوار الالهية ص ٥١ ، وليراجع ايضا ملحقات احقاق الحق ج١٢ ص ٦٩ ، ٧٠ عن مطالب السؤل ص٧٨ ، وروض الرياحين ص ٥٥ ، والاتحاف بحب الاشراف ص ٩٠ ، ونور الابصار ص ١٢٩ ، واسعاف الراغبين هامش نور الابصار ص ٢٤٠ ، و حلية الاولياء ج٣ ص ١٣٦ و تاريخ الاسلام للذهبي ج٤ ص ٣٥ و مشارق الانوار ص ١٢٠
(٣) البداية والنهاية ج٩ ص ١٠٥ ، و ملحقات الاحقاق ج١٢ ص ٥٨ ، ٥٩ عن حلية الاولياء ج٣ ص ١٤١ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٤ ص ٣٥ ، و تذكرة الخواص ص ٣٤١ ، و مطالب السؤل ص ٧٩ ، والمختار في مناقب الاخيار ص ٣٧ ، ومشارق الانوار ص ١٢٠ ، و اسعاف الراغبين هامش نور الابصار ص ٢٤٠ ، ونور الابصار ص ١٨٩ .
(٤) ملحقات احقاق الحق ج١٢ ص ٦١ ، عن تاريخ الاسلام للذهبي ج٥ ص ١٢٦

ام يعقل انه اراد ان يذهب بحق آل مروان، و بحمده؟ ام انه كان يأمل ان ينسوا حقهم هذا ولايذكروه، بعد مضى تلك الازمنة المتطاولة اكثر من اربعين عاما.

ولماذا اختص هشام بالمطالبة له، و سكت عنه الباقون؟ افهل المراد عمل عار تفهه مع زين العابدين والفرزدق من قبل، وايضا عار قتله زيد بن علي بن الحسين فيما بعد ذلك؟ الى آخر ماهنالك من الاسئلة التي لن تجد الجواب المقنع والمفيد قطعا.

ثالثا لقد كفانا ابن كثير نفسه مؤونة الرد على ذلك، حيث علق على ماذكر بقوله:

"... قلت هذا الكلام فيه نظر وذلك ان علي بن الحسين مات سنة الفقهاء و هي سنة اربع وتسعين، قبل ان يلي هشام الخلافة باحدى عشرة سنة، فانه انما ولي الخلافة سنة خمس ومئة..

فقول المؤلف[1] ان احدا من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام بالمال المذكور، فيه نظر، ولايصح، لتقدم موت علي على خلافة هشام..."[2]

واما حديث اقتراض علي بن الحسين عليه السلام من مروان ستة آلاف دينار، من اجل ان ينفق على العيال في مسيرهم من الشام الى المدينة، بعد قتل ابيه الحسين، فهو لايستقيم ايضا لعدة امور.

فبالاضافة الى بعض ماقدمناه من عداوة مروان لال علي، وغير ذلك مما لانرى حاجة لاعادته.. نسجل هنا الملاحظات التالية:

١ – لاندري لماذا يحتاج علي بن الحسين في الرجوع الى المدينة الى هذا المبلغ الضخم من المال، سيما في تلك الفترة، التي كان المال القليل فيها يفي بالحاجات الكثيرة..

٢– ان هذا ينافي مايذكره المؤرخون من ان يزيد بن معاوية عند ماراى ان وجود آل علي بالشام في غير صالحه، وانه يوجب تأليب الرأي العام ضده، و خصوصا بعد خطبة زينب المشهورة في ديوان يزيد، و ايضا بعد خطبة زين العابدين في المسجد، هذه الخطبة التي هزت العرش الاموي، و زعزعت اركانه، واوجبت هياج الناس، واضطرابهم. الامر

(١) هذه العبارة تنافي ان يكون هذا الكلام من ابن كثير، وتدل على انه هامش لاحد العلماء تخيله النساخ من الاصل، فادرجوه فيه. و يدل على ماذكرنا انه قد كتب في الهامش ان هذه العبارة كلها ليست في جميع النسخ، بل هي زيادة من المصرية.
(٢) البداية والنهاية ج٩ ص ٣٥٢

الذى اضطر يزيد الى ان يأمر المؤذن ان يرفع الاذان، ليقطع على زين العابدين كلا...

فلقد اعلم زين العابدين الناس ان الحسين الذى قتله يزيد لم يكن خارجياً لا يؤمن بالدين ولا بالاسلام... و كذلك من كانوا معه، وانما هو ابن رسول الله، والذين كانوا معه هم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس، و طهرهم تطهيرا.. وشيعتهم ومحبوهم.. وهي الخطبة التي يقول فيها انا ابن مكة ومنى، انا ابن زمزم والصفا[1] ولولا ان المقام لايتسع لها لاوردتها بطولها، مع كل ملابساتها... ولكن نرجىء ذلك الى فرصة اخرى نسال الله التوفيق لها...

والمهم... الذى نريد الاشارة اليه هنا هو ان يزيد لما راى ان بقاء آل علي في الشام في غير صالحه، غير سياسته معهم ظاهريا، واظهر الندم عندما رأى مقت المسلمين و بغض الناس له[2]... و الغى اللوم على ابن مرجانة، ووهبهم الاموال الكثيرة ـ على حد تعبير ابن كثير في البداية والنهاية، وازاح علتهم في سفرهم الى المدينة...

٣ـ ان مروان لم يكن حينئذ بالشام، وانما كان بالمدينة، ولم يأت الى الشام الا بعد ذلك بمدة طويلة، واذا كان مروان بالمدينة، وعلي بن الحسين بالشام، فكيف اقرضه ستة آلاف دينار؟...

قال في الاصابة و هو يتحدث عن مروان: "... ثم ولي امرة المدينة لمعاوية ثم لم يزل بها الى ان اخرجهم ابن الزبير في اوائل امرة يزيد بن معاوية، فكان ذلك من اسباب وقعة الحرة. و بقي في الشام الى ان مات معاوية بن يزيد الخ..."[3]

و كان من اسباب وقعة الحرة قتل الحسين كما سنشير اليه...

و مما يدل ايضا على انه كان بالمدينة ماذكره سبط ابن الجوزى، قال: "ذكر رأس الحسين عند امه و ذكر الشعبي ان مروان كان بالمدينة، فاخذ الراس، وتركه بين يديه، وتناول ارنبة انفه، وقال:

ياحبذا بردك في اليدين	ولونك الاحمر بالخدين

والله لكاني انظر الى ايام عثمان...

(١) راجع الخطبة، وتفصيل ماجرى في المسجد مقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٩ فما بعد والبحار ج٤٥ص ١٣٨ـ١٣٩ و ملحقات احقاق الحق ج١٢ص ١٢٧ فما بعدها عن الخوارزمي و مقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٢ عنه، و عن نفس المهموم ٢٤٢، و اشار اليها في مقاتل الطالبيين ص ١٢١

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨

(٣) الاصابة ج٣ص ٣٧٨.

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٦٦ و قاموس الرجال ج٨ص٤٦٤ عنه

و عن " تاريخ البلاذري انه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة، سمعت الواعيه من كل جانب، فقال مروان بن الحكم :

ضربت دوسر فيهم ضربة　　اثبتت اوتاد ملك فاستقر

ثم جعل ينكت بالقضيب في وجهه، و يقول :

ياحبذا لونك في اليدين　　ولونك الاحمر في الخدين

كانما بت بعسجديـــن　　شفيت منك النفس ياحسين [1]

اما ابن ابي الحديد فيذكر هذه الحادثة على النحو التالي : " .. واما مــروان فاخبث عقيدة، واعظم الحاداوكفرا . وهوالذى خطب يوم وصل اليه راس الحسين (ع) الى المدينة ــ وهويومئذ اميرها ــ و قدحمل الرأس على يديه، فقال :

ياحبذا بردك في اليدين　　و حمرة تجرى على الخدين

كانما بات بعسجديــن

ثم رمى بالرأس نحو قبرالنبى وقال يامحمد، يوم بيوم بدر .. الى ان قال : هكذا قال شيخنا ابوجعفر الاسكافي . والصحيح : ان مروان لم يكن اميرالمدينة يومئذ، بل كان اميرها عمروبن سعيد بن العاص، ولم يحمل اليه الرأس، وانما كتب اليه عبيد بن زياد يبشره بقتل الحسين عليه السلام الخ ... "[2] انتهى

و اعتراض ابن ابي الحديد على عبارة " وهو يومئذ اميرها " صحيح، فان مروان لم يكن حينئذ اميرالمدينة. ولكن ذلك لايمنع من ان يكون مروان قد فعل ذلك مــع راس الحسين حينما ارسل الى المدينة ... ولانستبعد ان تكون كلمة ــ و هو يومئــذ اميرها ــ قدزيدت عمدا من اولئك الرواة الذين يغارون على مروان، و يعطفون عليه، بهدف ايجاد مايوجب التشكيك في صدور هذا الامر المشين منه ..

ولكن اشكال ابن ابي الحديد بان الراس لم يرسل اصلا الى المدينة و انما ارسل عبيد بن زياد يبشر بقتله ــ هذا الاشكال ــ في غير محله ... اذ ينص عدد من المؤرخين على ان : " يزيد بعث براس الحسين الى عمروبن سعيد نائب المدينة، فدفنه عند امه بالبقيع ... "[3] و يدل عليه ماتقدم نقله عن البلاذري وابن الجوزى ايضا . و نقل سبط

(١) مثيرالاحزان لابن نما ص ٧٥ والبحار ج٤٥ص ١٢٤، ورياض الاحزان ص ٥٩، ومقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٧ عنهما و ذكر في تذكرة الخواص ص ٢٦٦ البيت الاول فقط و هو ضربت دوسر الخ ...

(٢) شرح النهج للمعتزلي ، تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ج٤ ص ٧١، ٧٢

(٣) البداية والنهاية ج٨ ص ٢٠٤ ومآثر الانافة ج١ ص ١١٩ و طبقات ابن سعد ج٥ ص ١٧٦ و تذكرة الخواص و غير ذلك

ابن الحوزی عن جده انه تعجب من رد یزید " الراس (ای راس الحسین) الی المد... وقد تغیرت ریحه وماکان مقصوده الا الفضیحة، واظهار رایحة الرأس . . . "[1]

و نحن . . . وان کنا لانوافق علی دفن الراس بالمدینة، لکن لا مانع من ا... یکون قد حمل الیها بهدف التشفی من آل علی و بنی هاشم، و من الحسین، و مراه... المدینة ایضا . . . ثم بعد ذلک تسلمه الامام زین العابدین، ورده الی کربلاء ودفن... مع الجسد الشریف، حسبما نص علیه الروایة، وایده جمع المؤرخین . . .

وعلی کل حال . . . فان الاشکل بان ابن ابی الحدید غیر وارد. ولسنا ... بل الشواهد والمؤیدات علی خلافه . .

و کون مروان آنئذ فی المدینة هو الظاهر . . الذی تؤیده النصوص، و الشواهد الخارجیة، و مما یدل علیه بالاضافة الی کل ماقدمناه .

انه لما بلغ ابن الزبیر قتل الحسین خلع یزید، وکاتبه اهل المدینة، و ... الناس اما اذ قتل الحسین، فلیس ینازع ابن الزبیر احد، فبلغ ذلک یزید، فحلف لیأتینه فی سلسلة فضة ثم ارسل السلسلة مع البرید الی ابن الزبیر، لیبر یمینه، و... البرید علی مروان وهو بالمدینة، فعلم بامر الرسالة والغل فانشاء مروان یقول :

فخذها فماهی للعزیز بخطة الخ الابیات . . .

وارسل ولدیه عبدالملک وعبدالعزیز، لیحضرا جواب ابن الزبیر، و سمعا الابیات، الخ القصة[2] الدالة علی ان مروان کان بالمدینة عند ماخلع اهلها یزید بسبب ماانتهی الیهم من نبأ قتل الحسین . .

الی آخر ماهنالک ممالا مجال لنا لتتبعه و استقصائه . .

وبعد کل ماقدمناه، فلعلنا لانجد کبیر عناء فی الاجابة علی حدیث ... مروان للامام مئة الف، لیشتری بها الجواری، و یتسری بها، ویکثر اولاده . . .

اذ بالاضافة الی اننا :

۱ ـ لانجد مبررا لاهتمام مروان بزیادة نسل علی بن الحسین، بل نجد الک... مما یبرر لنا اهتمامه بخلاف ذلک، سیما بعد ملاحظة عدائه لعلی ابن ابی طالب الذی حاربه مروان فی واقعة الجمل، ولولده الحسین الذی اشار هو علی الولید بقتله، والذی فعل برأسه الشریف ما فعل مما تقدمت الاشارة الیه . . . وایضا لعنه علیه السلام علی المنابر الی غیر ذلک مما هو معروف و مشهور .

(۱) تذکرة الخواص ص ۲۹۵
(۲) البدایة والنهایة ج۸ ص ۲۱۲

٢ ـ ماقدمناه من ان علي بن الحسين كان يملك من المال مايكفيه لماهواعظم من ذلك بكثير ، ولايحتاج الى الاقتراض من مروان ، واشباه مروان . .

٣ـ اننا لانجد مبررا لالتجائه الى مروان للاقتراض منه ، بعد ان كان في بني هاشم من يستطيع ان يقرض اضعاف ذلك المبلغ ، مثل عبدالله بن جعفر ، الذي اعطى الفرزدق على موقفه من علي بن الحسين مع هشام و قصيدته المشهورة اربعين الف دينار حسبما نص عليه البيهقي [1] . . وغير عبدالله بن جعفر من الاثرياء والمتمولين منهم . .

٤ـ ان هذه الرواية لم تعين المال الذي اقرضه اياه مروان هل هو دراهم ؟ او دنانير ؟ ، و لعل ذلك لحاجة في نفس الاصمعي قضاها . .

٥ـ نص الروايه على انه : " اقرضه مئه الف ، فاشترى لهاالسراري الخ . . " فهل ذلك يعني ان علي بن الحسين لم يكن يحسن ان يشتري لنفسه ؟ ام ان الهدف هو اظهارمدى عفة مروان ، و تفانيه في سبيل هذاالامر ، وهو ان يكثر نسل علي بن الحسين و يزداد ؟ . .

٦ـ هل ان التسري لكثرةالولد يحتاج الى كل هذاالمبلغ العظيم ؟ . . مئةالف سيما في تلك الفترة التي كان النقد فيها عزيزا ، والقليل منه يكفي للشيء الكثير ؟

اننا بالاضافه الى كل ذلك ، نود ان نسجل هنا النقاط الثلاثة التاليه

اولا ان من يتسرى بمئةالف لابد وان يبلغ اولاده من الكثرة مايتناسب مع هذا المبلغ العظيم خمسين ، ستين ولدا ، فمافوق . .

ونحن لانجد فيما بايدينا من التاريخ مايدل على بلوغ مجموع نسله عليه السلام ربع ، بل خمس هذاالمقدار ، لان مجموع نسله سواء قبل المئه الف ، او بعدها . يقال : ثمانيه [2] و يقال: تسعة [3] ، و يقال: اثناعشر [4] . و يقال: اربعة عشر عشره من الذكور و اربعة من الاناث [5]

و يقال خمسة عشر [6] ، وهو اقصى ماهنالك . .

(١) المحاسن والمساوئ ، طبع مصر ج١ص ٣٤٨
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٠٥ والبحار ج٤٦ ص١٥٥ و نقله في كشف الغمة ج٢ ص ٢٧٤ عن ابن الخشاب .
(٣) كشف الغمة ج٢ ص ٢٧٤
(٤) مناقب آل ابيطالب ج٣ ص ٣١١
(٥) نقله في البحار ج٤٦ ص ١٥٥ عن كتاب العدد
(٦) طبقات ابن سعد ج٥ص ١٥٦ و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩٥ و ارشادالمفيد ص٢٧٨

ثانيا ان الارقام التاريخيه تدل على انه لايمكن ابدا ان تكون المئة الف و
ارت في زيادة نسله عليه السلام، ولو فردا واحدا.. فضلا عن كونها سببا في كثرة نسله
اذ ان اربعة من اولاده عليه السلام، وهم الامام محمد الباقر، والحسن، والحسين
الاكبر، وعبدالله[1].. امهم هي ام عبدالله بنت الامام الحسن عليه السلام، الـ
نعرف الرواية نفسها بان زين العابدين كان قد تزوجها، وولدت له، قبل قصة المئة
بل لعله تزوجها قبل واقعة الطف، لان الباقر كان قد ولد قبل واقعة كربلاء باكثر من
سنين، كما تدل عليه اقوال كل تعرض من المورخين لتاريخ ولادة الباقر عليه السلام
و خمسة من ولده عليه السلام، وهم زيد، و سليمان – توفي صغيرا – والحسين
الاصغر، والحسن، وعلي[2].. و يضيف اليهم ابن سعد خديجه، وعمر[3].. هولاء
ولدتهم ام ولد، اهداها له المختار بن ابي عبيد[4].. فيصير المجموع احد عشر، كلهم
ليسوا من المئة الف التي اقرضه اياها مروان اربعة من بنت الحسن، و سبعة من جار
اهداه اياها المختار، كما قلنا...
و يبقى علينا بعد الاقوال بقية الخمسة عشر الذين، ذكرهم البعض في اولاد
لكن نشك كثيرا في ان يكونوا قد ولدوا له عليه السلام... بل يشك في بعض من ذكر آ
و عد في اولاده.. سيما بملاحظة ان عددا من المورخين يقولون بان عدد اولاده لم
يزد على الثمانية او التسعة.. وبملاحظة تصريح آخرين: بانه لم يولد لعلي بن الحسين
انثى اصلا.. و بقية من يذكرون اناث كما يظهر من ملاحظة الاسماء التي يوردونها.
فمن اين كثر نسله عليه السلام بسبب السراري التي اشتراها بمئة الف مروان؟
و ثالثا الاصمعي.. معروف بالكذب، وبالانحراف عن علي عليه السلام، واهل بيته

(١) طبقات ابن سعد ج٥ص ١٥٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ص ٣٠٥. لكن اليعقوبي ذكر الحسن مع الاثنين..
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٠٥
(٣) طبقات ابن سعد ج٥ ص١٥٦ لكنه اهمل ذكر الحسين الاصغر وذكر سليمان لام ولد اخر وعد الحسن في اولاد بنت الحسن..
(٤) مقاتل الطالبيين، لابي الفرج الاصفهاني ص١٢٧
(٥) صرح بذلك في كشف الغمة ج٢ص ٢٧٤ وحكاه في المناقب ج٣ ص ٣١١ بلفظ قيل.. وحكاه كشف الغمة على ما في البحار ج٤٦ ص ١٥٥ عن ابن الخشاب، وحكاه صاحب قاموس الرجال في رسالة تواريخ النبي والال التي في آخر ج١١ من قاموس الرجال ص ٥٧ – حكاه – عن ابن الخشاب، وعن دلائل الطبري... لكن صاحب القاموس حاول اثبات وجود بنتين له عليه السلام فراجع رسالته المذكورة .
(٦) عد ابن سعد في طبقاته ج٥ ص ١٥٦ اولاده عليه السلام كلثم، وملكية، و حسنة، وام الحسين، وفاطمة، والقاسم واهمل بعض من ذكرنا كما عرفت.

وحسبنا ان نذكر شاهداً على ذلك انه لما قال المتوكل لأبي العيناء ما بهم زموك بالرفض.. اعتذر له ابو العيناء بأمور، منها انه كيف ذلك وكان الاصمعي استاذي؟ [1].

وفي المعجم ان ابا قلابة كان صديقاً للاصمعي وكان ابو قلابة شيعيا، والاصمعي ناصبيا، فلما مات الاصمعي خرج ابو قلابة في جنازته، وهو يقول:

لعن الله اعظما حملوها   لديار البلى على خشباب
اعظما تكره النبي واهل البيت والطيبين والطيبات [2]

وإذا صح ان الاصمعي كان يعرف ان العلويين كانوا اخطر المنافسين للحكم العباسي، وان العباسيين كانوا يحاولون جاهدين تشويه سمعتهم، والحط من مكانتهم بعد هذا.. فما الذي يمنع الاصمعي من ان ينفس عن حقده، ويطرح بضاعته ـ الكذب ـ في سوق التزلف للعباسيين، والتقرب لهم بذم خصومهم، ونسبة الاباطيل لهم، اذا علم ان ذلك يروق لاسياده العباسيين.

واخيراً... فان ثمة اسئلة كثيرة اخرى تطرح نفسها، بالنسبة لمجموع تلك الافتراءات.. وعلى سبيل المثال، لا الحصر:

لماذا هذا الاختلاف بين تلك النصوص في مقدار المال الذي كان لآل مروان عند علي بن الحسين؟... تارة اربعة الاف دينار واخرى ستة الاف دينار وثالثة: مئة الف، لم يعرف هل هي من الدنانير، او من الدراهم...

وايضاً لماذا هذا الاختلاف في نفس السبب الذي جعل هذا المال في ذمة علي بن الحسين؟ ثم الاختلاف في من سامح علياً بالمال؟ هل هو مروان نفسه؟ ام هو هشام بن عبدالملك فيما بعد..

وهل سامحه مروان مرتين مرة بالستة آلاف، ومرة بالاربعة؟... ولماذا لا نضيف الى ذلك المئة الف ايضاً فيسامحه بها ايضا؟

وكذلك ماهو السبب الذي يدعو مروان لمسامحته بهذا المبلغ الضخم؟... وهل حديث الستة آلاف والاربعة واحد؟ ولماذا؟ ولماذا؟ الى آخر ما هنالك.

الجواب عن ذلك كله هو: ان المهم هو فقط اثبات ان مروان قد اعطى علي بن الحسين مالا، وتفضل عليه، وسامحه به.. ولكن لماذا يكون ذلك هو المهم؟..وهل ثمة حاجة الى هذه الافتراءات؟.. او ما يبرر هذه الافتعالات؟

1) قاموس الرجال ج٦ ص ١٨٥ و زهر الاداب ج١ ص ٣٢٢
2) قاموس الرجال ج٦ ص ١٨٥ نقلا عن المعجم عنوان ابي قلابة ولا باس ايضا بمراجعة اعيان الاعيان ج١ ص ٢٩٥ طبع سنة ١٣١٥ والكنى والالقاب ج٢ ص ٣٨، ٣٩.

والجواب عن ذلك سهل و يسير . . وهو نعم . . ان ثمة حاجة الى مثـ..
الافتراءات . . و يوجد الكثير مما يبرر هذه الافتعالات . .

ونكتفي نحن بذكر نقاط ثلاث نرى انها كلا اوبعضا هي السرالكا من وراء
القوى على اختلاق مثل هذه الاساطير . . وان كنا لا نمانع في وجود مبررات اخرى للاختلا
والافتعال ، بالاخص على ائمة اهل البيت عليهم السلام . . . لكننا نرى ان هذه النقا
الثلاث هي الحديرة بالتسجيل في هذه العجالة :

و هذه النقاط هي :

١ ـ لقد اراد هولاء ان يكافئوا علي بن الحسين على اليد التي اسداهـا
لمروان ، عندما اخرج هو وسائر بني امية من المدينة ، حينما خلع اهل المدينة يزيد
الذي انتقم منهم في وقعة الحرة شر انتقام . . حيث لم يجد مروان احدا يجير له حر
غير علي بن الحسين ، الذي ضمهم الى عياله ، وآمنهم ، واخرجهم الى ينبع ، اوالطائف

فاخترعوا هذه الاساطير ، لان مروان كان قد اصبح خليفة ، ولا يجوز ان يحسـ
اليه الاخرون ، وبالاخص آل علي ، الذين لا يجهل احد ماضيه معهم . . الا اذا كافأه
باحسن من ذلك .

و لهذا نلاحظ ان الزهري ، الذي كان منحرفا عن اميرالمومنين عليه السلام
يحاول ان يسدي خدمة لمروان وآل مروان ، فنراه يقول عن علي بن الحسين : انه كان
" احبهم (اي احب الناس) الى مروان ، وابنه عبدالملك . . "[٣]

و ليت شعري اذا كان احب الناس اليهما ، فلماذا لا يقنعهما بالكف عن سـ
جده علي ، ولعنه على المنابر ؟ .

واذا كانوا يسبون جده على المنابر ، فلماذا يقترض منهم ، ويتقبل اعطياتهم
ام يعقل انه كان هو راضيا بذلك السب ، مقتنعا به ؟ . .

٢ ـ انه اذا كان الامويون يحبون آل علي ، و يعطفون عليهم ، و يعينونهم بالاموال
وغيرها . . فلا يليق من العلويين ان يقابلوا احسانهم ذاك بالاساءة . .

(١) الامامة والسياسة ج١ ص ١٧٨ ، والاغاني ج١ص ٢١ ، طبع دارالفكر ، وملحقات ا
الحق ج٤ص ٩٣ والانوار الالهية ص ٥٢ والبحار ج٤٦ ص ١٣٨ وسفينة البحار ج٢ ص ٢٧
الكامل لابن الاثير ج٤ ص ٥١
(٢) سفينة البحار ج١ص ٥٧٢ نقلا عن ابن ابي الحديد .
(٣) البداية والنهاية ج٩ ص ١٠٦ ، و طبقات ابن سعد ج٥ ص ١٥٩

و من هنا يوجدالمبررلأي تصرف اموي ، يبدوانه فاس صد العلويين ،حيث لا ينبغي
به شك في ان العلويين هم الذين يعتدون ، و لمثل ذلك العقاب ، بل و للاكثر مـــــه
ستحقون . . فقتل زيدبن علي بن الحسين ، وولده يحيى ، بل وحتى قتل الحسين واهله و
حبه في مذبحة كربلاء . . وحتى لعن علي على المنابر . . كل ذلك وسواه ، لايعود لــه
لك الفظاعة والبشاعة ، التي يراها الناس فيه . .

٣ـ كما انه يصير لبني العباس ـ الذين يريد الاصمعي واضرابه التزلف لهــم ـ
لحق كل الحق في التشنيع على آل علي ، اخطر خصومهم لممالأتهم اعدائهم ،و اعداء
لطالبيين على حد سواء ، والتعامل معهم . . وبالاخص عند مايكون الناس قد اقتنعوا بما
ان يروج له العباسيون واشياعهم من ان خروج العباسيين على العلويين ، و قتلهم لهم ،
نما هو للاخذ بثارات العلويين . . .وبالاخص بثارات الحسين ، ابي زين العابدين وبثارات
يد ، و يحيى ابناء زين العابدين . ويرى الناس في مقابل ذلك محبة مروان ، وولـــــده
عبدالملك له ، و تساهل هشام بن عبدالملك معه ، و تعامله هو معهم ،وعلاقاته بهم .

و يرى الناس ايضا ان هولاء العلويين المتعاملين مع الامويين ، يحرجون على
لعباسيين ، الذين اخذو بثاراتهم ، وانتصروا لهم . .

و بعد هذه المعادلات فان من الطبيعي ان يرتفع العباسيون في نظر النــاس
لى اوج العظمة والرفعة والمجد . . .و قد يلحقونهم بدرجات الاولياء والقديسين . . . و
نحط في مقابل ذلك ـ بنفس النسبة ـ مرتبة اهل البيت عندهم ، و سيتأكد نفورهم منهم ،
لاينظرون اليهم بعد ذلك ، الابعين النقص ، والمهانة والازدراء . . . و تلك هي ـ ولا
ك ـ احدى امنيات العباسيين ، بل هي اجل امنياتهم واعلاها . . .

ولكن الحقيقة هي ان ذلك كله لم يكن ليتطلى على الناس ، الذين كـــانوا
رون عن كثب سيرة العباسيين وسلوكهم اللاانساني واللا اخلاقي ، ويرون في مقابل ذلك
لوك الائمة ، و مواقفهم . . . فتبخرت كل هذه الاكاذيب ، ونسيها الناس ، ولم يلتفتوا
ليها . . . وبقيت ـ فقط ـ الصورة الحقيقية لهم عليهم السلام ، والتي تمثل كل معاني
نبل ، والنزاهة ، والطهر والاباء ، وغيرذلك من صفات الانسان ، الانسان الحق . . .

الامام ضد المؤامرة الاموية

مماسبق

★ التذكير بدورالائمه من اهل البيت (ع) .

★ دورالامة في ضوء تعاليم الاسلام .

★ المؤامرة الاموية على وجودالامة .

★ الموقف الحازم للامام (ع) .

١٧

الشيخ محمدعلي التسخ

مماسبق بينا مبررين اساسين لموقف الامام علي (ع) الجدي من معاو-
اساهه من الزعماء المتعصبين هما :

ا ـ ان جو المساومة لايتلائم مع خططه التربوية الكبرى لبناء جيل عقائ-
موبم .

ب ـ ان الامام تسلم الحكم في حالة وعي شديد جار مما يفرض عليه ان ست-
هذاالوعي لتنفيذ اطروحته الاصلاحية .

و ها نحن فيما يلي نتعرض للمبرر الثالث لذلك الموقف الاصيل الذي كا-
الحق فيه واضحا امام الامام تمام الوضوح ـ كما سبق ـ والذي لم يجد عنه اي بد-
مطلقا .

يقول (ع) في احدى خطبه " واني لعلى بيّنة من ربي و منهاج من نبيي و اني على الطريق الواضح أَلقطه لقطا " [1] و يقول (ع) " ألاوان الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله و ان معي لبصيرتي مالبست على نفسي ولالبس علي " [2]

و المبرر الثالث الذي نريد طرحه هو ما يمكن ان نطلق عليه اسم :

" الوقوف بوجه المؤامره على الامه ، و مبادئها و توجيهها لكي تستعيد وجودها المعروض ، و ذلك لابلاء مطلقا مع جو المساومة " .

و لنحاول الان توضيح هذا المبرر :

التذكير بدورالائمة من اهل البيت (ع) :

عند بدء الحديث عن الموقف السياسي لاهل البيت [3] قلنا انهم (ع) كانوا يمثلون " امتداد مسيرة الانبياء (ع) عموما و امتداد مسيرة النبي الاعظم (ص) خصوصا " هذا ماعبر عنه مثلا حديث الثقلين "الكتاب والعترة" بوضوح و ذلك من بين احاديث كثيره متواترة احمالا كلها تركز على هذا المعنى .

ثم قلنا ان وظيفة الائمة (ع) كانت تتركز في خطين اساسين هما :

ا ـ المحافظة الجادة المتواصلة على المبداء ، و العمل المتواصل لابقائه حيا ، فعالا ، محركا ، وصيانة صورته من ان يمسها يد التشويه و التحريف او تقلل من فاعليتها الفعالة .

ب ـ المحافظة التامة على الامة ، و تربيتها تربية تؤهلها لحمل المبداء ، و منحها الطاقات المؤثرة في الوقوف امام اي هجوم عليه .

و اذا استقراءنا حياتهم (ع) لم نجد فيها موقفا واحدا يبتعد عن هذين الخطين الاساسين ، و من المواقف التي يبدو فيها التطبيق واضحا هذا الموقف الذي نتحدث عنه عموما . اذ يشكل توعية عملية للامة كي تستعيد وجودها المعروض لها اسلاميا ، و تلتزم بمقتضيات مقامها الوجودي هذا .

دور الامة في ضوء تعاليم الاسلام :

يبالغ البعض من الباحثين في دورالامة ـ في النظرية الاسلامية ـ فيصلون به من حيث لايشعرون ـ الى الحد الذي وصلت اليه الامة ـ نظريا ـ في النظام الديمقراطي

اذكانت هي التي تعين مصيرها بنفسها ، فتنتخب حاكمها ، و تنتخب من يضع لهـا قوانينها و دساتيرها ، وبالتالي يكون الشعب هو المشرع و هوالحاكم .

و يبالغ البعض الاخر في تضعيف هذا الدورحتى لتراهم ينفون اي اثر معتد به بشكل يجعلها تنفذ فقط دون ان تبدى أي راى في أى شأن من شؤونها .

و الحقيقة المسلمة التي لايمكن التغاضي عنها ان الرأى الاول ـ بالاضافة لما فيه من النتائج الوخيمة ـ ينتا في مع طبيعة الاسلام كدين سماوى ، و شريعة وضعها الله تعالى للبشرية الى يوم القيامة مع ملاحظة وجود جوانب مرونة فيها لاتخرجها عن هذه الصفة العامة .

اماالراى الثاني فهو مرفوض ايضا . لكن الموقف الرافض له يختلف حسب اتباع الباحث لنظرية النص التشريعي على الامام ـ و هو رأى الشيعة و وافقهم اكثرالمعتزلة[4] ـ او اتباعه لنظرية الانتخاب و هو راى السنة و بعض المعتزلة .

فالنظرية الثانية تعطى الامة دورالتعيين للحاكم [5] ـ طبعا طبق شروط معينة ـ و دورالمراقب له في الغالب [6] بالاضافة لدورها الاخر و هو التعاون مع الحاكم ، و فيما بينها لاجل تطبيق احكام الله تعالى .

اماالنظرية الاولى فهي ـ بعد ان تستند الى النصوص الواردة في هداالصدد و الى النتائج السلبية للنظرية الثانية ـ تقرر ان الامام يجب ان يعين بالنص، ولكن لما كان الامام معصوما من الانحراف فهل يبقى مع ذلك دور للامة ؟

ان دور التعاون مع الحاكم ، و فيما بينها لاجل تطبيق احكام الله ، و نشر الاسلام و الحضارة الاسلامية في ربوع الارض كلها ، دور محفوظ و واجب اصيل مفهوم لشخصية الامة الاسلامية .

و ما اكثر الايات الكريمة التي اكدت على هداالدور :

" وهوالذى جعلكم خلائف الارض" [7]
" كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر" [8]
" و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسـول عليكم شهيدا" [9]
" يا ايهاالذين امنوا ادخلوا في السلم كافة" [10]
" كونوا قوامين بالقسط شهداء لله" [11]

و غيرها مما لا مجال للتعرض اليه مفصلا .

والملاحظ ان هذا الدور يشمل محاسبة العمال والولاة و مراقبة نوعية سلوكياتهم في تطبيق الاحكام الاسلامية ، و العمل على ايقافهم عند حدهم عند تجاوزهم عليها .

اما في علاقتها مع الامام فان لها ان تكون في موضع الشورى في المواقف التي يرى الامام فيها ذلك طبقا لمبدأ " **و شاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله**" [12]

هذا ويتضاعف هذا الدور عندما يستولي على الامر اناس غير لائقين اذ يضيف هذا الى دور الامة عنصرا اخر وهو عنصر الوقوف بوجه الحكم وفضح مخططاته الانحرافية .

و لسنا في مورد المفاضلة بين النظريتين السالفتين و انما ذكرناهما لنخلص الى ان هناك اتفاقا اسلاميا على بعض الادوار الرئيسية للامة ، و هذه الادوار تتطلب توفر وجود حي فعال لها ، يقول للحاكم اوالوالي عند ما ينحرف قف عند حدك ، و يراقب موارد الانحراف فيقضي عليها وهو ما يعبر عنه النص المبارك "**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**" و يعمل على نشر الحضارة الاسلامية باعتباره" الوجود المستخلف على الارض" . يكتب اميرالمؤمنين (ع) الى اصحاب المسالح قائلا :

" **اما بعد فان حقا على الوالي الا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله من نعمه دنوا من عباده و عطفا على اخوانه ، ألا وان لكم عندي الا احتجز دونكم سرا الافي حرب ولا اطوي دونكم امرًا الافي حكم ، ولا اوخر لكم حقا عن محله ، ولا اقف به دون مقطعه ، وان تكونوا عندي في الحق سواء ، فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة ، والاتنكصوا عن دعوة ، ولا تفرطوا في صلاح ، و ان تخوضوا الغمرات الى الحق ، فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد علي ممن اعوج منكم ، ثم اعظم له العقوبة ولايجد عندي فيها رخصة ، فخذوا هذه من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام** . [13]

و ما اروع ماكتبه (ع) الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة فجاء فيه " **اما بعد فاني خرجت من حيبي هذا اما ظالما ، واما مظلوما و اما باغيا واما مبغيا عليه ، واني اذكرالله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني ، و ان كنت مسيئا استعتبني** " [14]

و ما اشبه اسلوبه هذا ــ مع علمه بانه على الحق ــ بالاسلوب الذي يعلمه القرآن الكريم لنبيه (ص) في جداله مع المشركين حيث يقول " **و انا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** "[15] اذ يساعد هذا الاسلوب على تهدئة الثائرة والتفكير

للوصول الى النتيجة بالاضافة الى انه يكشف عن تقديره (ع) للرأي العام.

و في موضع آخر ينص عليه السلام ان تخاذل الامة وضعفها هو سر وقوع الظلم والتعدي عليها فقال:

" ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، و لم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقومن قوي عليكم، لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل و لعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا، بما خلفتم وراء ظهوركم و قطعتم الادنى و وصلتم الابعد" ١٦

هذا و قد مرت فيما مضى من بحوث احاديث و نصوص حول هذا الموضوع فلا نطيل الحديث عنه اكثر من ذلك.

المؤامرة الاموية على وجود الامة:

يلاحظ اي مؤرخ للسيرة النبوية الشريفة ان امية كانت اشد العوائق عقبة في الدعوة الاسلامية و قائدها العظيم و انها مافتئت تكيد للاسلام و تجمع الجموع ضده و لكن الله كان بنصره فيندحر كيدهم و تكسر شوكتهم. و عندما ضاق الحصار الاسلامي عليهم و اشتد الضغط، كبر على ابي سفيان ان يخضع للواقع، و قاوم ما امكنه و لكنه خضع في النهاية و هو يدفن حقده في اعماق نفسه و كم من مرة حاول فيها ان يستغل الموقف لضرب الدعوة – بعد الرسول (ص) – فما استطاع.

ولاشك في ان الزعامة التي افتقدها و المصالح التي لم يعد يجني ثمارها قد خلفت في نفسه احقادا، و بث في مخيلته خططا كان يرمي وراءها الى استعادة مقامه من جديد لكي يصل الامر الى الحالة التي يعبر عنها بعبارة" **تلاقفوها يا بني امية" !!**

و بدات الخيوط الاموية تنسج نسيجها المحكم لكي تنسى الامة ماضي امية المخزي في ظل قاعدة " **الاسلام يجب ما قبله**" و لكي تحكم اقدامها في بلد غير عاصمة الاسلام تحتمي به، و تعمل على ان لايرى الاسلام الامن خلالها هي واختير بذلك الشام، و كانت الفرصة الذهبية التي تنفست فيها خطوط امية هي عهد الخليفة عثمان فلقد استغلت امية هذه الفرصة و راحت تركز اقدامها، و هدفها قبل كل شيء تذويب القوة التي تقف عقبة في وجه مطامعها و تطلعاتها الجهنمية تلك القوة هي " وجود الامة".

و ما ان وجد الاحطبوط الاموى ان الامر استعص على عثمان حتى تقاعس هو عن نصرته و تركه تحت رحمة الثائرين و انزوى الى الشام ينتظر فرصة الانقضاض على السلطة[17]

و قد كان الامام (ع) عايش هذا المخطط الاموى و عرف نفسيات معاويه ومن لف لفه من الزعماء النفعيين ووعى ان هذا الاخطبوط يحب ان يقضى عليه فى اول ازمنه والا فانه سيستشر اكثر فاكثر ويمضى المؤامرة و ينجح فى النهاية .

و لقد كان مجتمع الشام اول مجتمع يفقد وجوده امام الاغراء الاموى فيمضى تلك المؤامرة ، اما عنصر المحاسبة والدقة فى الامور فليسا فى الحسبان ما دامت المؤامرة والاغراء .

يقول طه حسين " و كان بينه - يعنى عليا (ع) - و بين معاوية اختلاف آخر غرى الناس به و جمعهم لخصمه . كان يدبر امور اصحابه عن ملأ منهم لا يستبد من دونهم بشيء و انما يستشيرهم فى الجليل والخطير من امره ، و كان يرى الرأى فيأبونه و يمتنعون عليه ، و يضطرونه الى ان يعدل رأيهم هم و يحفظ رأيه لنفسه و كان ذلك يغريهم به و يطمعهم فيه .

و لم يكن معاوية يعطى اصحابه بعض هذا الذى كان يعطيهم على (ع) ، لم يكن يستشيرهم و انما كان المشيرون من خاصته الادنين فكان اذا امر اطاعه اهل الشام دون ان يجمجموا فضلا عن ان يجادلوا . ثم كان معاوية يحفظ سره كله لا يظهر عليه الا من اراد ان يظهره عليه من خاصته ، و كانت امور على (ع) كلها تدبر و تبرم على ملأ من الناس لا يخفى على اصحابه من امره خافية مهما تكن خطرها .

كان على (ع) يدبر خلافة و كان معاوية يدبر ملكا . و كان عصر الخلافة قد انقضى و كان عصر الملك قد اظل "[18]

و الحقيقة هى ان الامام كان قد قرر ان يسير سيرة النبى وسيرة الاسلام فى اعطاء الامة وجودها المساوى والمراقب على ان يترك بعض الاسرار و بعض الامور له و لخاصته - كما اخبر هو فى النص المتقدم عنه " **الا وان لكم عندى الا احتجز دونكم سرا الا فى حرب . . .** " - و ذلك للمصلحة العامة فلم يكن يطلع الامة على كل شيء لان ذلك قد يؤدى الى مالا تحمد عقباه .

و على اى حال فقد كان معاوية يخطط للملك وسلب الامة وجودها و كان مجتمع الشام اول الضحايا . و قد رأينا بعد ذلك انه عندما واتت الظروف معاوية لكى

يطبق حططه كيف انخذ سياسه التجويع والارهاب و التعريق باثارة العصبية القبلية ضرب الامة بعضها ببعض و شراء الزعامات و القيادات المحلية مما قد سحدث عنه الحلقات القادمة انشاءالله. و كم حاول معاوية ان يعطي على هده المؤامرة ولبس لباس الدين و يسبغ عليها صفة الشرعية، الا انها لم سطل على الدين لم سأ في طلبها.

فقد دخل عليه سعدبن ابي وقاص ـ بعد ان استقر له الامر ـ فقال له" السلام عليك ايهاالملك ، فضحك له معاوية و قال " ما كان عليك يا اباسحق لوقلت ياامير المؤمنين" قال " اتقولها جدلان ضاحكا ، والله ما احب اني وليتها بما وليتها به"[1]

و قال ابن عباس لابي موسى الاشعري في كلام طويل " و ليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة" ٢٥

و سئل سفينه مولى رسول الله (ص) فيما اخرجه ابن ابي شيبة عن استحقاق بني امية للخلافة فقال" كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شرالملوك و اول الملوك معاوية" ٢١

و سأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدي قائلا" اى الخلفاء رأيتموني؟ فقال صعصعه" أني يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، و دانهم كبرا، و استولى باسباب الباطل كذبا و مكرا... فأنى تصلح الخلافة لطليق ؟ " ٢٢

و قال الحسن البصري " اربع خصال كنّ في معاوية لولم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة:استراؤه على هده الامه بالسفهاء حتى ابتزها امرها (يعني الخلافة) بغير مشورة منهم ،و فيهم بقاياالصحابة و ذووالفضيلة، و استخلافه ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير، و ادعاؤه زيادا و قد قال رسول الله (ص) الولد للفراش و للعاهر الحجر، و قتله حجرا، ويل له من حجر و اصحاب حجر (مرتين)

و الحقيقه ان الالعوبة فضحت عند عامة المؤرخين الامن اعمى الله قلبه خصوصا بعد ان صرح بها معاوية نفسه في غمرة انتصاره العسكري في معركته مع الامام الحسن (ع) اذ قال ـ على مايرويه المدائني ـ " يا اهل الكوفة ، اتروني قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج، و قد علمت انكم تصلون و تزكون و تحجون؟ و لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، و قد آتاني الله ذلك و انتم كارهون" و يبدوالفارق عندما نسمع الى الامام و هو يقول " اللهم انك تعلم انه لم يكن الذى كان منا منافسة في سلطان ولاالتماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردالمعالم من دينك و نظهر

الاصلاح في بلادك و تقام المعطلة من حدودك. اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله (ص) بالصلاة. و قد علمتم انه لاينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة" (نهج البلاغة ص ١٨٩)

و لنا الى هذا الموضوع عودة ان شاء الله فيما يأتي .

الموقف الحازم للامام :

والنتيجة واضحة بعد هذا :

تآمر سافر على الامة ووجودها لاغراض خبيثة ، يطلع عليه اميرالمؤمنين بكل وعيه و ادراكه للحاضر والمستقبل و يعلم بانه كلما طال عمر هذا التآمر احكمت حلقاته هذا من جهة ، و من جهة اخرى فانه (ع) - بعالوطبعنه العامة - يعمل على تربية الامة واعطائها الوجود المفروض لها لتتسنم مركزها كخليفة الله في الارض و كأمة شاهدة على الناس و امة هي واسطة العقد بين الحضارات .

فهل يستطيع ان يهادن رأس التآمر وخيوطه ؟

ان هذه المهادنة تعني امرين مريّن تماما :

الاول - اعطاء الاخطبوط فرصة اخرى ليحكم خيوطه و يستعيد من الموقف وهو يعني التفريط في مستقبل المبداء والامة و بتعبير جامع ، التفريط بمستقبل التجربـــة الاسلامية ككل .

و هذا يعني ان تباع الامة بعقد يقبل الفسخ لاناس ارادوا ان يبيعوها بعقـــد لايقبل الفسخ - كما يعبر احد الاعاظم -

الثاني - فقدان الثقة بالقائد ، فاننا نعلم ان الثقة بالمربي هي الشرط الاساسي لحصول التأثير المطلوب والامام (ع) كان يمثل القيادة الواعية التي تريد ان تربـــي الامة على المدى الطويل ، فاذا وجدته الامة يساوم عليها فقدت ثقتها التامة به.

والحقيقة ان روح الشك قد سرت في بعض قطاعات الامة في اواخر حياته (ع) وهو الشك في ان معركته مع معاوية ، معركة بين الاسلام والجاهلية - و سنبين في المستقبل ان شاء الله ان اهم عوامل ذلك الشك كانت عوامل ذاتية للشكاك وليست نابعة من مبرر

موصوعى حارحى ـ فادا كان السك سرى فى هده القطاعات مع اتحاد الامام ...
الموقف الحدى عثر المداهن فما طبا بهده القطاعات وهى برى المساومة الا ...
بم العرل بعد دلك ان هدا سكون بلاسك مررا موصوعيا كسرا للسك مما بعد ...
امكانية المصى فى بطبق حربه الكبرى .

ولدا فقد صمم الامام (ع) على ان يقف فى وجه المؤامرة و يقصحها ...
اقدامها فاعلن الحرب ضد كل هده الثور بعد ان اعلن لمن طلبوا منه المساومة ان
هدا الامر ظهره و بطنه فلم يجد الا القتال او الكفر .

الهوامش

١- بهج البلاغة ـ الصالح ص ١٢٣ .
٢- بهج البلاغة ـ الصالح ص ٥٣
٣- العدد الرابع ـ السنة الثالثة من مجلة الهادي
٤- صلح الحسن ـ آل ياسين ص ١٢٠
٥- و يستفى من دلك ما لو بى الخليفة المسحب على من بعده .
٦- و ان بدا لنا بلاحظ سوء بطرية الطاعه للحاكم بعد دلك .
٧- الانعام ١٦٥
٨-
٩- البقره ١٤٣ .
١٠- البقره ٢٥٨ .
١١- النساء ١٣٥
١٢-
١٣- بهج البلاغة ص ٢٢٤
١٤- بهج البلاغه ص ٤٤٨   ١٥-   ١٦- بهج البلاغة ص ٢٤١ .
١٧- راجع بورة الحسين ص ٧٩ و الدولة العربية لولهاورن : ٥٣ و تاريخ الاسلام السيا-
ج ١ ص ٢٧٨-٢٧٩
١٨- الفتنة الكبرى ص ١٦٥ .
١٩- الكامل لابن الاثير (ج٣ ص ١٦٣) والنصائح الكافية ص ١٥٨
٢٠- المسعودى (هامش ابن الاثير ج٦ ص ٧) . ٢١- ابن كثير (ج٦ ص ٣٢١) .
٢٢- المسعودى (هامش ابن الاثير ج٧ ص ٧)
٢٣- الطبرى ج٦ ص١٥٧ الطبعة الاولى

الاقليات الدينية في المجتمع الاسلامي

بقلم الدكتور عبدالجليل الرفاعي

الاستاذ المساعد في كلية اللغات جامعة اصفهان

لقد اصبح العالم على اتساعه بما يضم من حضارات الشعوب المختلفة يعيش كاسرة واحدة كما ان الاختلاط والترابط و التفاعل بين هذه الامم على اختلاف نزعاتها وميولها صارا امرا لازما لا يقبل الجدل، و لهذا يجب على المسلمين و غيرهم ان يعرفوا راي الاسلام حول اتباع الديانات الاخرى و يجب على غير المسلم ايضا ان يدرك ان سوء المعاملة التي قد يتعرض لها من قبل فئة معينة من اتباع الاسلام امر لا يقره القرآن الكريم ولا التعاليم الاسلامية السامية و بالتالي يجب ان لا يكون ذلك باعثا على كرهه للاسلام و فراره منه و على المسلم ان يعلم واجباته والاحكام الملقاة عليه ودوره في كسب قلوب غير المسلمين و تاييدهم و عطفهم عن طريق المعاملة الحسنة والاخلاق الطيبة والفكرة المرضية.

والعكس صحيح اذ ان سوء المعاملة وخشونة الاخلاق وضعف الفكرة تجلب الراي العام نحو القضايا التي تتعلق بالعالم الاسلامي ستؤثر تاثيرا قاطعا على طريقة حكم غير المسلمين ماديا و معنويا و لهذا فان البحث في مثل هذه القضايا هو في صالح هذه الناحية و هي معرفة مقومات الشخصية الاسلامية على حقيقتها .

و قبل ان اتطرق الى بحث الموضوع أود أن اذكر جملة قيمة قالها مرارا السيد جمال الدين الاسدآبادي " الاسلام شيء والمسلم شيء آخر " و بعبارة اخرى ان الاسلام شيء و اعمال المسلم شيء آخر، و هذه العبارة في الواقع تنطبق على كل الامم والاديان، و هذا يعني ان الاعمال و سلوك اتباع احد الاديان يجب ان لا توص

في حساب د لك الهديں ، ىقول علماء الاحتماع ان هىاك عوامل كثيرة و منعددة لهـا تأثير كبير فى ىكويں سحصىة الامة اوالمحتمع و من بيںها عامل الدين و من الطبيعي ان هذاالامر يتفاوت موةوصعفا ، هدا من جهة ومن حهة احرى يشاهدان الا قلىات غالبا ـ و هدا مايؤيده التاريح ـ تعيش بايمان عميق و راسخ احد المذاهب فتقع تحت صغط الاكثرية الغالبة و هدا ما يعرصها الى الوان شتى من العداب والالم النفسى والجسمي لكں هده الاقلية ما ان تصل الى مراكز القوة والقدرة و تشرب من كؤوس النصر و الفوز حتى تنسىها نشوة الغلبة القواعدوالمبادئ التى كانت تحترمها ، فتدوسها تحت اقدامها و بذلك تنعكس الصوره تماما ، فيصبح الظالم مظلوما و المظلوم ظالما و نبدا بالضغط على الاقليات الاحرى ، فمثلا لم تكں العوالم اليهودية فى بادى امرها تقوم على التبشير و السياسة التوسعية بل كانت خاصه ببنى اسرائيل ، و قد وقع اليهود تحت طائلة الضغوط والعذاب والتعرض لالوان من الاهانه وعدم الاحترام ، و لكں هولاء اليهود حسما قويت شوكتهم تعطر سواورأوا انهم شعب الله المختار والعنصر الغالب و احذوا يؤدون الاقليات الاحرى و بخاصة المسيحيين و قد حفظ لنا التاريح قصة السيدالمسيح والمصائب المروعة التى الحقها اليهود بالحواريين ، و هؤلاء اليهود هم الدين اثاروا الفتنة الدموية فى انطاكية و قطعوا جسد اسقف المدينة الكبرا باباوهم الدين احدثوا المذبحة الكبرى فى مدينه صور عاصمة الفينيقيين آنذاك . وقد قام ذ ونواس ملك اليمن اليهودى فى معركة نجران بقتل عشرين الفا من النصارى و حرق اجسادهم بالنار [1]

ثم جاء بعد ذلك دورالمسيحيين الذين كانواقبل ذ لك قليلي العدد يعيشون تحت ضغط دين الاكثرية الغالبة و رحمة حاكمهم و رويدا رويدا اخذ عددهم يزدادو يتكاثر ثم استطاعوا ان ينالوا قسطا من الحرية بعد ان اصدر امبراطور روماعام (٣١١م) امراًبذلك ، فازدادت قوتهم و عظمت شوكتهم حتى سيطروا على الاوضاع لكنهم سرعان ماتنكروا لشعارهم الذى كانوا ينادون به " عش و دع الاخرين يعيشون " و ضيقوا الخناق على اليهود وازدادواظلما لدرجه ان اليهودى فى بعض البلدان المسيحية لم يكن يجرؤ على الخروج من بيته فى الاعياد المسيحية و فى القرن السادس عشر شرد الالاف من اليهود و طردوا من اسبانيا و البرتغال فاحتضنتهم الحكومة العثمانية اي المسلمون ومنحوهم حق اللجوء و ازداد الموقف تعقدا حتى ان البرلمان الانجليزى و تحت تاثير الكنيسة صادق على مشروع قانون يقضى باعدام كل من يخالف عقيدة

المثلث جهراوعلانية . اما في فرنسا فان الفرقة البروتستانتية كانت حتى اواخرالقرن السابع عشر تعيش تحت رحمة الكاثوليكيين الذين فرضوا على هذه الفرقة احكامـــا جائرة منها ان تدفن موتاها " في اوقات معينة و لايحق لاكثر من ٣٥ شخصا ان يشتركوا في مراسيم التشييع ، ولا لاكثر من ١٢ شخصا في مراسيم الزواج .

اما في القرون الوسطى و في عهدالملك سن لويس مثلا فقد حكم في يوم واحد على ١٨٠ شخصا بالموت والحرق . و في عهد فليپ الثاني لاقى ٥٠٠ شخص نفس المصير ، ثم لجان التفتيش و اعدام العلماء و الاقسة الرهبنة الملبئة بالحشـ . و الحروب الصليبية وماحدث من جرائم نكراء ففي احدالمساجد مثلا قتل الاف المصلين[٢] ثم الحرب العالمية الاولى و الثانية و الاستعمار و آثاره التعسة المشؤمة . كـل ذلك حدث بايدي المسيحيين الذين استلموا زمام الامور هولاء الذين رفع نبيهم شعـــار المحبة " بعثت بالمحبة "

لقد شمل هذا القانون و بدرجات متفاوتة بعض الذين عاشوا تحت لواء الاسلام فالمعروف ان المسلمين في بداية امرهم كانوا قلة تعرضوا لالوان من العذاب والاهانة والحرمان في سبيل نصرة الدين الحديد ، و لما اشتد لاعقابهم الامر و عظمت شوكتهم اذا ببعض هولاء يقترفون خلال العصور المختلفة و باسم الاسلام والمسلمين ماهو بعيد كل البعد عن روح التعاليم الاسلامية و تاريخ الخلفاء الاموين ملئ بالاحداث المولمة المفجعة التي تغضب روح كل مسلم عاقل عفيف طاهرالسريرة اذ ان التناقض بين تلك الاعمال التي حدثت باسم الاسلام و بين التعاليم السامية للدين الحنيف ظاهـــر للعيان ، فالنظرة الاسلامية و روح القرآن و جوهره امر غير خاف على احد .

و بناء على ماتقدم نرى انه ليس من المنطق في شيء ان نبحث في سلوك و اعمال الامم و تابعي الاديان و المذاهب المختلفة لنجد من تلك اساسا لحكمنـــا و نقاشنا . بل ان المنطق السليم يقضي بان نبحث في نصوص الدين و تعاليمه ، دين الاسلام و آرائه السامية و بخاصة فيما يخص العلاقات و التعايش بيننا و بين اتبـــاع المذاهب الاخرى و هو ما سنتطرق اليه في بحثنا هذا[٣] . يجب القول اولا ان ما اشيع عن الاسلام من انه دين قام على العنف و سفك الدماء و على هذا النحو تقدم وانتشر هو امرعار عن الصحة و بعيد عن الحقيقة ولا شك ان اعداء الاسلام و المغرضين اوالذين ليس لهم اطلاع كاف عن الاسلام هم الذين اشاعوا مثل هذه الاكاذيب ولو نظرنا الى تاريخ الاسلام و الايات القرآنية نظرة دقيقة و عميقة لاتضح لنا ليس فقط عقم تلك

الاراجيف بل يعرف ان الاسلام هو دين السلام الحق والعدل والمحبة و المساواة
ولتوضيح هذا الامر نقول: ينقسم تاريخ صدر الاسلام الى فترتين: الفترة الاولى هي فترة
الدعوة، و بعبارة اخرى ان الرسول الاكرم (ص) و عددا ضئيلا من اتباعه الذين آمنوا
بدعوته كانوا يدعون الى التوحيد والعدل والمساواة و المحبة و الفضيلة ولهذا السبب
تعرضوا لشتى الوان العذاب والاذى سواء في مكة او ضواحيها واستمرت هذه الفترة
ثلاث عشرة سنة، عشر سنوات منها في مكة و ثلاث سنوات في واد يعرف بشعب ابي
طالب لاقى خلالها المسلمون اقسى العذاب حتى امر النبي الكريم (ص) مضطرا اصحابه
الى الهجرة الى الحبشة. و خلال هذه الاحداث فقد رسول الله زوجته الوفية خديجة
الكبرى و عمه ابا طالب الرجل الذي دافع عنه بكل ما اوتي من قوة، و ازدادت من
ناحية اخرى ضغوط القبائل العربية التي ضيقت الخناق على المسلمين حتى اخبر
الرسول (ص) بان مجلس القبائل الذي يضم اربعين شخصا من مختلف القبائل قد عقد
جلسة لبحث خطة قتله. اما سبب اجتماع هذا العدد من ممثلي القبائل المختلفة فهو
اضاعة حق المطالبة بدم النبي الكريم (ص) وبذلك لا يستطيع بنو هاشم الاخذ بالثار
و امام هذه المصاعب و الضغوط راى القائد الكريم (ص) ان العمل في مكة لا يتم
بالشكل المطلوب من جهة، و من جهة اخرى راى ان المدينة اكثر استجابة و اصلح
ارضا للدعوة الجديدة من مكة فصمم (ص) على الهجرة من مكة وطنه المالوف [4] و خلال
هذه الفترة (١٣ عاما) لم تقع اية حرب ولم يحدث سفك دماء وانما اقتصر عمل الرسول
الكريم على الدعوة في الوقت الذي استخدم فيه مخالفوه شتى السبل ومختلف طرق
التعذيب والاهانة والصاق التهم لايذاء النبي الكريم. و حينما وصل الرسول الكريم
(ص) الى المدينة استقبله اهلها بالترحاب الحار ذلك ان اهل المدينة كانوا قد
سمعوا بالدعوة الاسلامية و مزاياها الجديدة، و لما كانوا اكثر حاجة و اشد فقرا من اهل
مكة لذا عرفوا قيمة الهدى وادركوا معناه، و كان من اكثر الناس ابتهاجا بقدوم النبي
(ص) الاوس والخزرج هاتان القبيلتان تطاحنتا مدة ليست بالقصيرة فاخى بينهما
القائد الجديد كما انه (ص) عقد معاهدة سلام بين قبائل المدينة التي كانت تسمى
آنذاك يثرب و من بين تلك القبائل ثلاث قبائل يهودية هي (قريظة و بنو النضير و
بنو قينقاع) و بموجب هذه المعاهدة تعهدت تلك القبائل ان تتعاون على حفظ الامن
والسلام والعمل على تقوية حصون المدينة [5] و لم يقف اعداء الاسلام بكونهم الاعدى
بل استمروا على مخالفتهم للرسول (ص) سرا و علانية و باشكال مختلفة منها التامر

يهود المدينة و مسيحيها بزعامة ابي عامر الراهب الذي كانت له علاقة بمسيلمة مع
بيا فألف المخالفون جبهة ضد المسلمين و بذلك نكثوا عهدهم بل وساعدوا الاعداء
في الهجوم على المدينة والاعتداء على اهلها مرات عديدة و دامت هذه الحالة
سنوات انتصر خلالها عمل المسلمين على الدفاع عن انفسهم و هو حق طبيعي لكل
موجود حي يريد البقاء و خلال هذه المدة ايضا كان يوجد طائفة الذين عاهدوا النبي (ص)
في حفظ امن المدينة قد تآمروا ايضا مع الاعداء في الخفاء ليفتحوا لهم الباب ليهجموا
على المسلمين مرة واحدة و يتخلصوا منهم . اجل تلك الجبهة التي كانت
المسلمين قد نكثت عهدها و كانت في كل يوم تدبر مكيدة . فيوما تحالف مع
الاعداء ويوما تتآمر على قتل المسلمين و يوما تنشر بذور النفاق و كان الهدف في تلك
الاعمال المخالفة للعهد الذي قطعوه على انفسهم هو قمع المسلمين و ايذاؤهم [2] و في
مثل هذه الظروف التي كانت توحي بوقوع الفتنة و اراقة الدماء نزلت الآيات التي
حثت المسلمين على مجابهة الكفار للدفاع عن انفسهم . و من الواضح ان الآيات التي
ذكرناها كانت تأمر بقتال الذين يقاتلون المسلمين و بهذا الهجوم لا بالبدء بالقتال او
الغارات و مع كل ذلك كانت توصي بالعدل و عدم العدوان .

١- " فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين " الآية ١٩١ سورة البقرة
٢- " و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا " الآية ١٩٠ البقرة
٣- "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " ١٩٢ سورة البقرة

و كما نشاهد في هذه الآيات فان امر الاسلام والقرآن ظاهر في الحرب والقتال
مقابل الهجوم والعدوان و لا نعتقد ان عاقلا في العالم يحكم بان الدفاع عن النفس
... او حرمة او ان يحكم بان الانسان الذي يتعرض للقتل عليه ان يسلم نفسه
للقاتل . ومن العجيب حقا ان رجلا عظيما سعوا من قبل جاء لانقاذ المجتمع الانساني
من الكفر والجهل والظلم والضلال و ان اشخاصا او جماعة ليس فقط لم يستجيبوا لهذا
الامر الانساني والحيوي بل عملت ما في وسعها للحفاظ على منافعها المادية والشهوانية
الساقطة وحاولت ان تضع العراقيل امام الطريق في محاولة منها لوقف المسيرة التي
بدأها هذا المصلح المساوي الكبير .

و لم يكتف بهذا بل وصلت بها الوقاحة درجة ارادت ان تقتله و تقمع ثورته
الصالحة ، في مثل هذه الظروف والاحوال نرى ماذا يجب عليه ان يفعل ؟
و ماهو واجبه ؟ ايترك الدعوة التي بعث من اجلها و يجادل و يستسلم للموت

ام ينهض للدفاع عن نفسه و عن هدفه السامي شريطة ان لا يخرج عن العدل والانصاف ولا يعتدى على احد ؟

اما المرحلة الثانية في تاريخ الاسلام فتشمل الفترة التي قويت فيها شوكة المسلمين واشتد عددهم و بدات تظهر ثمرات كفاحهم و توتى اكلها بينما انهارت قوة المخالفين وضعفت مقدرتهم بالتدريج ، و في هذه الظروف بالذات و برحابة صدر و حرية تامة ترك الاسلام لهؤلاء المخالفين حرية التعبد ، و ليس فقط لم يتعرض لاديانهم وطقوسهم الدينية ــ و ذلك في اطار معين ــ بل اوصى المسلمين برعايتهم و ابداء العطف و المحبة بهم ، و تجدر الاشارة هنا الى بعض الايات التي وردت في هذا الشأن .

١ــ " لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . . . " ٢٥٦ سورة البقرة

٢ــ " والله يدعو الى دار السلام " الايه ٢٥ سوره يونس

٣ــ " و ان جنحوا للسلم فاجنح لها . . . " الايه ٦١ سوره الانفال

٤ــ " عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة . . . الايه ٧ سورة الممتحنة .

٥ــ " قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا و بينكم الا نعبد الاالله و لانشرك به شيئا و لايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . . . " الايه ٦٤ آل عمران

٦ــ " لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين " الايه ٨ سورة الممتحنة .

و كما يلاحظ في هذه الايات الانفة الذكر فان الاسلام يدعو بصراحة الى السلام و العيش في اكنافه و هذا ما سار عليه الرعيل الاول من القادة . ان منطق قائد الاسلام الكبير (ص) يقوم على ان سعادة الناس في الدارين تكمن في الايمان بالتعاليم الاسلامية السامية فان ابيتم ايها الناس ذلك واصررتم على بقائكم في الضلال واردتم ان تستفيدوا مما هياء الاسلام و اعده من امكانيات ماديه و معنويه للجو الجديد فعليكم اذن ان تدفعوا الجزية مقابل تلك المزايا اى ان تتعاونوا على صيانة ذلك المحيط و ان تساهموا باموالكم في الوقت الذى يصون فيه المسلمون ذلك بارواحهم واموالهم .

ان النهج الذى سار عليه الرسول القائد (ص) بعد ان احرز انتصاره الساحق على مخالفيه و اعدائه لهو نهج فريد في تاريخ الانسانية و يكفي ان نلقي نظرة على المعاهدات التي عقدها الرسول الاكرم (ص) مع المسيحيين والوصايا الثمينة التي

اوصى بها القائد العظيم المسلمين، بهذا الصدد لنقف على عظمة م و تعاليمه
فقد جاء في معاهدته (ص) مع مسيحيي سينا ما مضمونه
ساكون انا و انصاري للراهب اوالسائح في الصحراء والمدينة، في الكنيسة او المعبد كالحارس والمدافع ...
كما جاء في معاهدته (ص) مع نصارى نجران التي ذكرها البلاذري المؤرخ المعروف
ان ارواحهم و اموالهم و اراضيهم ستكون مصونة و سوف لا يلحقهم اهانة.
ولا يجبرون على شي و ستكون هذا الامر محفوظا مادام اهل نجران محافظين على هذا العهد ...
كذلك جاء في المعاهدة التي عقدها الرسول (ص) مع المسيحيين في العام السادس للهجرة و نقلها صاحب كتاب تاريخ العرب والاسلام
لا يخرج اي راهب من صومعته، ولا يهدم اية كنيسة ولا تحول الى مسجد و ان كانت في حاجة الاعمار فستقدم لها المساعدة و ستؤخذ الخراج والضرائب بعدل و انصاف[7]. اما معاملة الرسول (ص) مع الاسرى فكانت نموذجا لاصالة الدين الجديد التي اعتمدت على الرحمة والعدل والانصاف. فحينما طلبت (سفانة) بنت حاتم الطائي العون والمساعدة من الرسول القائد (ص) بعد ان كشفت عن شخصيتها، اكرمها الرسول الكريم (ص) و شاور المسلمين في امرها وانهى الموضوع بتحريرها ثم جهزها باحترام وسيرها نحو الشام حيث كانت اسرتها هناك. و هذه المعاملة الحسنة لا تشاهد في تاريخ البشرية الا نادرا اذ فلما عامل المنتصرون اسراهم بالحسنى عند العثور عليهم
وقد ذكر في كتب التاريخ ان بلالا الحبشي امر برد امرأتين يهوديتين الى المدينة فنقل عنهما وسارتهما بين جثث القتلى فالتفت المرأتان الما شديدا و ناحتا لرؤيتهما منظر الدماء فسمع النبي (ص) بذلك فغضب و صرخ، لماذا فعلت ذلك؟ الست عندك رحم او عطف[8] و في عهد الامام علي (ع) حينما كان في الكوفة راى يوما مسيحيا مسكينا يسير على غير هدى، فسأله الامام (ع) عن حاله فاجاب المسيحي، انني حينما كنت شابا قويا كانوا يستخدمونني اما الان و قد اصبحت طاعنا في السن فان احدا من اهل هذه المدينة لا يعهد الي بأي عمل فيبقى معسرا فتألم علي (ع) و قال: ان حسبكم يا اهل الكوفة؟ لماذا تركتم هذا الشيخ اليوم دون عمل و كنتم تستخدمونه ايام شبابه؟ ثم امر فورا لهذا الشيخ المسيحي مرتبا من بيت مال المسلمين. و يمكن

القول بان الامام علي (ع) هو اول من امر باعطاء المراتب الى المتقاعدين والمحالين على المعاش.

يذكر البروفيسور هازارد العالم الامريكي الكبير و مستشار الجمعية الجغرافية في الشرق الاوسط يذكر في اطلس التاريخ الاسلامي، ان المسلمين لم يغيروا اديان الدول التي فتحوها حال دخولهم فيهم وانما استخدموا اسلوبا سلميا، وبعد ظهور الاسلام واستقراره بقي عدد كبير من المسيحيين على مذاهبهم، وكذلك الامر بالنسبه الى الاديان الاخرى. ويعلم الجميع ان احدى الوجوه التسعة لصرف الزكاة كما نص عليه القرآن هو (المؤلفة قلوبهم) سورة التوبة الاية/ ٦٠

و هذا يعني ان قلوب غير المسلمين يمكن استمالتها عن طريق المساعدة المالية والاقتصادية و هذاالامر واضح و جلي اذ لواستخدم المسلمون طريق العنف للسيطرة على غيرالمسلمين لكانت النتيجة عكس ماقصدوه، و لهذا خاطب القرآن النبي (ص):

" فبمارحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" الاية ١٥٩ آل عمران - فاذن بالمحبة و الخلق الطيب يمكن استمالة القلوب فمثلا لو ان مسافرا او سائحا غير مسلم يسافر الى احدى الدول الاسلامية، ثم يلقى من اهل تلك الدولة حسن المعاملة و العطف و الحنان والطاقة اللازمة فمن الطبيعي ان تكون لديه انطباع ايجابي عن تلك الدولة و شعبها متأثرا بتلك المعاملة الطيبة، و عندما يرجع الى بلاده فانه سيتحدث عن تلك الدولة باعجاب و تقدير والعكس صحيح اذا لم يلق من اهل تلك البلاد مايسره من صدق واخلاص و طيب فانه يرجع الى وطنه و لايتحدث عن تلك البلاد الا بالسوء و هذا يعود على اهل تلك الدولة بالضررالمادي والمعنوي ولهذا قال الرسول الاكرم " من آذى ذميا فانا خصمه"[٩]

فلو ان احدا اراد ان يلحق الضرر بغيرالمسلم و باسم الاسلام و عن اي طريق كان فان المتضرر سيرتاب بالاسلام و نبيه و سينهض ليحارب الاسلام و عند ذلك سيكون النبي (ص) خصما لذلك الذي اوجد هذهالعداوة والبغضاء.

و ذكر في رواية اخرى ان الرسولالاكرم (ص) قال من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته او اخذ شيئا منه بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامة[١٠]

ان من المسلم به ان السلوك الحسن والمنطق والبرهان الصحيحين والحديث الودي والخلق الطيب والتفكير السليم والعطف والحنان والاستقامة هي التي تأسر

القلوب والعكس صحيح اى ان الخشونة والعنف والضغينة و عدم الصدق لاتعود علـى اهلها الا بالفشل الذريع ولن تنجح فى الهيمنة على مشاعرالناس .

١- مروج الذهب ج١/ص ٧٦/ طبعه مصر
. وحير مثال على ذلك معاملة اليهود الصهاينة للمسلمين من ابناء الارض المحتلـة
حيث سردوا الملايين و غصبوهم اموالهم و اراضيهم ودنسوا المقدسات واسرفـــوا
لذلك اكبر جريمة في تاريخهم المليء بالفضائع والجرائم (الهادى)
٢- تاريخ قرون وسطى (الترجمة الفارسية) الترماله ص ٣١٤
٣- وهذا لايخفى اذا كنا نحاكم مبدأما اما اذا كنا نحاكم هيئة معينة تبنت فكـرا
معينا كالكنيسة فمن المنطقى ان نلقى نظرة على تاريخها .
١- الكامل فى التاريخ / ابن الاثير / ج٢ ص ١٠٢ طبعه بيروت
- تاريخ العرب والاسلام غوستاف لوبون ص ١٥ الترجمة الفارسية .
- المصدرالسابق (ص ١٦)
- تاريخ الطبرى ج١ ص٢٤٥
- الكامل فى التاريخ / ابن الاثير ج٢ ص ١٣١
٩- شرح الشهاب ص ١٧١
١- شرح الكافى ص ٢٦٥

حروف مضیئة

" اعمل بفرائض الله تكن اتقى الناس"

الرسول الاكرم (ص)

قصم ظهری رجلان عالم متهتک ، و جاهل متنسک

الامام علی (ع)

تالله لومالوا عن المحجة اللائحة، وزالواعن فبول الحجة الواضحة لردهم (ای الامام علیع) الیها و حملهم علیها .

ماطمه الزهراء (ع)

صاحب الناس مثل ماتحب ان یصاحبوک

الامام الحسن (ع)

ان شیعتنا من سلمت قلوبهم من کل غش و دغل

الامام الحسین (ع)

آیات القرآن خزائن فکل مافتحت خزانه ینبغی لک ان تنظر مافیها .

الامام زین العابدین (ع)

" ثلاث لایزیدالله بهن المرء المسلم الا عزاً: الصفح عمن ظلمه ، و اعطاء من حرمه ، و الصلة لمن قطعه"

الامام الباقر (ع)

لايكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ، ولايكون خائفاراجيا حتى يكون عامـــلا لمايخاف ويرجو . "

الامام الصادق (ع)

ثلاثة ليس لهم حرمة ؛ صاحب هوى مبتدع والامام الجائر ، والفاسق المعلن بالفسق .

الامام الباقر (ع)

ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله ، و ان عمـــل سيئة استغفرالله منها و تاب اليه .

الامام الكاظم (ع)

شرالناس من منع رفده ، و اكل وحده و جلد عبده .

الامام الرضا (ع)

من عمل على غير علم كان مايفسد اكثر مما يصلح .

الامام الجواد (ع)

الدنيا سوق ربح فيها قوم ، و خسر آخرون .

الامام الهادى (ع)

صديق الجاهل تعب .

الامام العسكرى (ع)

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة و بعدالمعصية و صدق النية ، و عرفان الحرمة و اكرمنـــا بالهدى و الاستقامة

الامام المهدى (ع)

نظريات التطور

ووجهات نظر القائلين بها ومشكلة الخلق وموقف العلماء منها

الدكتور مقداد يالجن

واذا درسنا القائلين بالتطور نجدهم طائفتين احداهما تقول بالتطورالعام في كل الموجودات في الكون بما يشتمل عليه من مادة و قوة و كائنات حية. وثانيتهما تقول بالتطورالخاص وتقصره على الكائنات العضوية التي تشتمل على النبات والحيوان والانسان فقط.

و من اشهرالقائلين بالتطور العام هربرت سبنسر ، وقد عرف التطور بانه انتقال من البسيط الى المركب وعرف تطورالحياة بصفة خاصة بانه توفيق دائم بين مطالب البنية الحية و بين ظروفها الطبيعية. من هنا يحدث التغيرفي البنية ثم يحدث فيها التنوع و الامتداد و تترقى في وظائفها تبعا لهذا الاتساع والامتداد.

لكن هذا الاتجاه يواجه مشكلة البداية والنهاية و مشكلة الخالق والايمان ... القوى المسيرة لهذا التطور في العالم من داخله اوخارجه.

وكان موقف سبنسر ازاء المشكلة الاولى محايدا فلم يدخلها في حدود الطبيعة ... لم يخرجها عنها و قسم الحقائق الكونية من حيث الادراك الى قسمين احدهما حقائق الاشياء في ذواتها و في اصولها الاولى و هوالقسم الذى لايدرك بالاساليب العلمية، ...

القسم الثانى حقايق الاشياء فى ظواهرها المحدودة و هى الحقائق التى يمكن ان يدركها العقل الانسانى بالاساليب العلمية ، و يظهر فيها عمل التطور عن طريق استخراج الاحكام العامة من المشاهدات المتفرقة اوعن طريق تفسير هذه المشاهدات بناء على تلك الاحكام من هنا يحدد القائلون بالتطور العام على مذهب سبنسر منهج بحثهم على اساس اسباب التطور ، فيبحثون عن الاسباب القريبة و يحجمون عن الاسباب اوالعلل البعيدة لشعورهم بالعجز عن الوصول الى كنهها .

ولاينبغى ان ننسى هنا طائفة من المعكرين القائلين بالتطور العام و الذين لايذهبون مذهب سبنسر فى تقسيم اسباب التطور الى ماهو قابل للمعرفة و ما هو غير قابل للمعرفة بل يقولون ان كل الحقائق قابلة للمعرفة ، فمن هولاء الفيلسوف الالمانى كانط و من ذهب مذهبه وهولاء يرجعون الاسباب البعيدة فى نشأة التطور الى خالق حكيم فانهم يقولون ان القوة التى تصدر عنها آثار التطور فى الكون كله منذ بدايته لابد من ان تكون هذه القوة فوق الطبيعة و فوق الكون كله ، تصنع فيه ماتشاء من النظم والنواميس اللتى ينتم التطور على اساسهما .

اما المنكرون للخالق فمنهم من يقولون ان التطور يرجع الى طبيعة المادة ولا تفسير لها الا انها وجدت هكذا وان التطور من طبيعتها ، اومن ضروراتها ، فالضرورة هى كل المفسر الذى يقدمونه علة للتطور . [1]

اما القائلون بالتطور الخاص او بتطور الكائنات العضوية فيذهبون ازاء مشكلة الخلق الى مذهبين احدهما يعترف بالخالق و فيه فريقان فريق يرى ان لكل نوع خلقا خاصا به وفريق يرى ان الخلقة الاولى هى التى خلقت فقط و هذا مذهب لامارك فى التحول . وثانيهما ينقسم الى فريقين ايضا احدهما يرى ان مادة الجمادات والحيوانات قديمتان . والاخر يرى ان نمو الحياة من ذات الجماد عن طريق التوالد الذاتى [2].

واذا نظرنا الى مذهب داروين وجدنا انه يدخل فى هذا الانجاه الاخير و هو يرجع عامل التطور الى طبيعة الجسم الحى والى الطبيعة بصفة عامة فيرى ان الجسم الحى متغير بانفعالات على حسب تغيير الاحوال الخارجية ويرى ان الطبيعة لها وجود حقى فى الدنيا ولها ارادة فى تسلسل الحوادث و لكن ارادتها عمياء لا تشعر،خارجية عن الاشخاص ، والاجساد تتسلط عليها بلاعقل ولاعدل . [3]

ويحدد داروين نفسه موقفه من قضية الخالق فى ضوء فكرته هذه عند ماكتب فى سنة ١٨٩٧ الى الاستاذ فراديس صاحب كتاب صور من الشكوك يقول جوابا على سؤالـه:

" انني في اشد احوال التردد لم اكن قط ملحدا اذا كان معنى الملحد انكار وجود الله,
ارى على العموم و بخاصة مع تقدم السن انني احرى ان اسمي (لاادريا) و ان هذا الاسم
اقرب الى الصواب في وصف تفكيرى " و كما يبدو من كلامه ان الشك حصل عنده في
اخريات عمره لانه قد كتب الى السائلين عن ايمانه بالخالق قبل هذا التاريخ بعشر سنين
ايمانه بالله و ان نظريته لاتناقض مع الايمان بالله . ففي كتابه الى طالب هولندى سنة
(١٨٧٣) يقول :" يبدو لي استحالة القول بان هذا الكون العجيب العظيم وما انطوى عليه
من شعورنا الواعي انما كان وليد الصدفة _ هو اكبر سند للقول بوجود الله ولكنه سند
لا استطيع ان اقرر قوة اقناعه كما لا استطيع ان اغض عن المشكلة التي تجم مما يحس
هذا العالم من الالام " ثم امر كاتبه ان يرد على السائلين في سنة (١٨٧٩) " ان مستر
داروين يعتذر من عدم الرد على الرسائل التي ترد اليه ولايتيسر له الرد عليها و يود
ان يقول ان مذهب التطور يوافق كل الموافقة ايمان المؤمن بالله غير انما يحسن ان يذكر
ان الناس يختلفون كثيرا في تعريفهم لما يعنون بالاله " [٤]
لكن الاستاذ العقاد يحدد خلاصة راى داروين في هذا الموضوع في اخريات حياته
مستخلصا من مختلف كتاباته يقول " عاش داروين بقية حياته على هذا الراى مؤمنا بان
مذهبه لا يقتضي من العقل ان ينفي وجود الله ولا ان يمس عقائد المؤمنين بوجوده وان
الايمان بابة دبابة من الدبابات لايتوقف على العقل في قضية التطور الى الرقى اوالى
العقول " ٥ و يعبر العقاد عن موقف "رسل والاس" شريك داروين في القول بتعدد الانواع من
اثر الانسحاب الطبيعي وعوامل البيئة الطبيعية قائلا " فقد كان مؤمنا قوى الايمان بوجود
الاله و كانت مراقبته لعوامل الطبيعة سببا لتصديقه بالمعجزات وخوارق العادات لانه
كان يستخلص من فعل هذه العوامل في الطبيعة انها لاتجرى على هذا المجرى لزاما بحكم
التفكير المنطقي وانها كانت تجوز ان تجرى على مجراها هذا اوعلى مجرى آخر يساويه
ويماثله في حكم العقل والأقيسة المنطقية و انما هي الارادة الالهية التي اوجبت هذا
النظام نتيجة لتلك العوامل فليست المعجزة التي يريدها الله اغرب من نظام العوامل
المطردة في ظواهر الكون ومرجعها جميعا الى الارادة الالهية على اطراد اوعلى استثناء " [٦]
بقي شريك آخر لداروين في تأسيس نظريته و هو لامارك الذى كان يقوم في فرنسا
بما قام به داروين في انكلترا . فهو ايضا بدوره يسلم بوجود الله عند ما يحدد موقفه
من قضية الخلق والخالق و ينسب الى الله وجود الهيولى المركب منها الكون ويقول ان
الله بعد ان خلق الهيولي بخصائصها لم يفعل شيئا وان الحياة والاجسام الالية والعقل
كلها نتائج الهيولى ونتائج قواها "

و هكذا نجد ان الدين يتخذون نظرية داروين حجة للالحاد و لانكار وجود الخالق لاحجة لهم فيها على شيء من ذلك . فلو كانت النظرية حجة لذلك لكان مؤسسوها على الالحاد بهذه الحجة وبالتالي فما كانوا ليؤمنوا لو كان فيها دليلا حاسما على عدم وجود الخالق .

ولنبدأ الان بعرض الاسس التى تقوم عليها هذه النظرية و الادلة التى تؤيد بها نفسها :

واهم الاسس النظرية التي تقوم عليها نظرية داروين التطورية هي الاتية :

١ـ التولد الذاتي ٢ـ التنازع للبقاء ٣ـ الانتخاب الطبيعي

ولنعرض ادلتهم على صحة تلك الاسس ثم نقيمها واحدا بعد آخر .

١ـ التوالد الذاتي: ان التوالد الذاتي هو السبب في وجود التباين بين افراد النوع الواحد سواء كان هذا التباين في الشكل او في التركيب او الطبائع او في شيء آخر .

والاساس في هذا هو انتقال الصفات المكتسبة الفردية الى النسل عن طريق الوراثة او تاثير الظروف الخارجية على الجنين في حالة تكونه و سواء كان هذا التغير في الصفات تدريجيا ام فجائيا ، على حسب الاختلاف بين داروين ولامارك فانه يؤدي الى التباين بين الافراد في الاعقاب .

ويقولون بناء على هذه الفكرة ان السمك مثلا اخذ هذا الشكل لان طبيعة الحياة في الماء شكلته هكذا وان الحيوانات التي تعيش في معاوير البحار او الظلام تحت الارض فقد بصرها ثم ينتقل ذلك العمى الى النسل ومن ثم كان بعض الحيوانات عديمة البصر .

لكن الاستاذ جوستاف حوليه ينقد هذا الاساس و يقول " ان مذهب لامارك و مذهب داروين يستويان في القصور فانهما لا يفسران التحول من الحياة المائية الى الحياة الارضية ولا التحول من الحياة الارضية الى الحياة الهوائية فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور ان يناسب البيئة التي ليست له ولا يمكن ان تكون له حياة هوائية قبل ان تكون له اجنحة نافعة . و كيف تصل الدودة شيئا فشيئا الى ايجاد اجنحة جسمها تصلح لحياة هوائية ثم يقول وليتأمل الانسان الحشرة فانها ظهرت في اقدم عصور الحياة الارضية و ثبتت انواعها في جميع الاحوال فهي تناقض ما ذهبوا اليه من التحولات المستمرة البطيئة و تناقض التطور بفعل العوامل الخارجية فانها تتقلب داخل الشرنقة من حال الدودية الى حشرة طائرة ولا تأثير لشيء عليها من الخارج ، كما ان الهوة عميقة بين الحال الاولى وهي الدودية والحال الثانية وهي حال الحشرة ـ فالحشرة أدت

شهادة حسية لبطلان مذهب داروين كما اثبتت عجزه في تفسير غرائزها الاولية العجيبة المحيرة للعقل "٩

٢ـ التنازع للبقاء و هو نوعان: التنازع بين الكائنات الحية بصفة عامة ثم بين افراد النوع الواحد، والنوع الثاني بين الكائنات الحية وبين الطبيعة وانما يفوز بالحياة في ذلك النزاع القوي و ينهزم الضعيف ثم يأخذ في الانقراض.

٣ـ الانتخاب الطبيعي يقولون ان الطبيعة تختار من الكائنات الحية المبارزة الاصلح والاقوى و نتيجة الانتخاب الطبيعي يكون البقاء للاصلح، ثم بمرور الزمن تحدث الصفات الصالحة للكائنات الصالحة للبقاء واختيار الطبيعة ماهو اصلح منها ثم تبتعد الكائنات الاصلح للبقاء عن اصولها الاولى التي تسللت منها و تصبح وكأنها نوع جديد منها، والعامل الهام في نقل الصفات الصالحة هو الوراثة.

و نجد هنا ان التنازع للبقاء والانتخاب الطبيعي والبقاء للاصلح مبادئ مرتبطة بعضها ببعض والوراثة عامل مساعد لاستمرار آثار هذه المبادئ وأثرها في تنوع الكائنات الحية و تباينها .

تلك هي المبادئ النظرية لنظرية داروين التطورية و لننظر الان الى الادلة التي يستدل بها اصحاب هذه النظرية على صدق دعواهم .

١ـ ان من اهم الدعاوى التي ترتكز عليها نظرية التطور القول بتحول الانواع وارجاع كثرتها الى نوع واحد او انواع قليلة ١٠وقد اتفق اصحاب النظرية الثلاثة (داروين ولامارك ووالاس) على هذا الرأى وان كانوا قد اختلفوا على اسباب التحول وعلى الصفات والوظائف التي تنتقل بالوراثة اذا ما حدث تغير في تكوين الكائنات الحية، ففي رأى لامارك ان اعضاء الجسم تتغير بالمرض وبالاستعمال او باى اصابة وان الصفات المكتسبة من جراء هذا التغير تنتقل بالوراثة، ولاتزال هذه الصفات تؤثر في التباعد بين الافراد حتى ينفصل كل منها بنوعه و يستقل ثم لايقبل التناسل مع غيره بمرور الزمن و بذلك يصبح نوعا مستقلا تماما وكانه لاصلة له بأصله. وضرب لذلك مثلا بالزرافة ويفترض انها كانت ـ لطول قوائمها ـ كانت تاكل من اطراف الشجر العليا و لما نقصت الاوراق في اطرافها التي تصل اليها بطول قوائمها بدأت تمد عنقها لتتناول الاوراق الواقعة في اعاليها وبممارسة هذه العملية مدة طويلة قد طال عنقها ثم انتقلت هذه الصفة الى نسلها فمن هنا جاء طول عنق الزرافة. .

لكن بعض النشوئيين الذين يرفضون انتقال الصفات المكتسبة بالوراثة عدو

هذا القول واستشهدوا على بطلانه بنساء بورما اللائى تعودن ان يطلن اعناقهن منذ اجيال بعيدة بوضع اطواق عريضة لتبلغ من الطول غاية الامكان لكن لا يزال بناتهن يولدن باعناق لاتزيد في طولها على اعناق البنين والذكور وكذلك عادة الختان عند اليهود بالرغم من انهم يمارسونها منذ امد طويل و مع ذلك لايولد اولادهم مختونين .

اما داروين و والاس فيعللان ذلك بالانتخاب الطبيعي و الانتخاب الجنسي فالزرافة لم تنقل في رأيهما صفة مكتسبة الى ذريتها و لكن افرادها و لدت قديما وفيها اختلاف في طول اعناقها كما يوجد الاختلاف بين افراد النوع الواحد عند الولادة ثم اختارت الطبيعة اطولها عنقا لانها اصلح للبقاء و تنقرض الافراد الباقية الاقل طولا لانها لاتستطيع ان تطول الى مايطول اليه اطولها عنقا وبالتالي تموت جوعا . فيعمل هنا الانتخاب الجنسي عمله فينقل هنا الصفة الصالحة الى الذرية وبذلك يمتاز ذرية هولاء على ذرية غيرهم بتلك الصفة المميزة .

لكن يعترضون على هذا ايضا بان ذكور الزراف اطول من اناثها ولو كان الامر كذلك لترتب عليه ان يفنى اناثها ولفنى الحيوانات الصغار التى تتناول الاعشاب من اسافل الاشجار و يوجه الاستاذ العقاد هنا نقدا لداروين فيقول: " ان داروين جرى على عادته من اجتناب الاحكام الايجابية كلما امكن تعليل الظواهر المجهولة بالعلل السلبية فهو يقول ان الانواع تبقى لان اسباب الانقراض عجزت عن ابادتها كما ابادت غيرها بدلا من القول بمؤثرات معينة تخلق الصفات وتؤدى الى انتقالها بالوراثة . . .

و مصدر الضعف في تفكير داروين هنا ان العوامل السلبية لاتقوم عليها دلائل الخلق والانشاء وان قامت عليها احيانا دلائل الزوال الذى يفيد زوال فريق و سلامة فريق ."[1]

و فيما يتعلق بانتقال الصفات بالوراثة يوجه اليه نقد من علماء الوراثة و هو انه ليس من الصحيح ان كل صفة تحدث في الجسم لأمر ما يمكن ان تنتقل بالوراثة اذ ان الحقيقة كما يقول الاستاذ نيفل جورج احد المختصين بعلم الوراثة ان كل صفة لا تكمن في الجينات والصبغيات فهى صفة عارضة لا تنتقل الى الذرية بالوراثة[2] لانريد ان نوجه هنا نقداً الداروين و اصحابه لانهم قالوا بانتقال الصفات و التغيرات بالوراثة لان هذا حقيقة وانما النقد الذى نوجهه اليهم هو انهم قالوا بانتقال الصفات و التشوهات والتغيرات بدون حدود مع ان هذه الامور لاتنتقل بالوراثة الا اذ اثرت في الجينات والصبغيات وهذه الحقيقة بصفة علمية لم تكن قد كشفت في زمانهم .

٢ـ الدليل الثانى لنظرية التطور التجارب التى ايد بها اصحابها صحتها من هذه التجارب التجربة التى قام بها " فريدريك هوسيه" لاثبات ان الطبيعة هي التي تطبع الحيوانات بكيفية تتلاءم معها . فاخذ كيسا من مادة مطاطة وملأه بمواد لزجة ولاحظ في ذلك ان يكون ثقل مجموعها النوعي مساويا لثقل الماء النوعي و ربط الكيس واخذ يحركه اياما حركات تشبه حركات السمك في الماء فكانت النتيجة ان هذا الكيس اصبح في شكله كالسمك تماما .. [13]

لكن يمكن ان يوجه اليه هنا نقدا كالاتي وهو اذا كان طبيعة البحر وطبيعة الحركة فيه يجعل الحيوان كالسمك او ان شكل السمك اذا كان يرجع الى انه يعيش في الماء وحركته في الماء هي التي جعلته هكذا فلما ذا لم تصبح الحيوانات الاخرى التي تعيش فيه مثل فرس البحر وهو شبيه بالفرس البري مثلا .

٣ـ الدليل التشريحي ان جميع الخلايا التناسلية واحدة في جميع الحيوانات وتتفق كذلك جميع الحيوانات في الانسجة الجسمية . وان علماء توالد الكائنات يسهو تسلسل تدرج النوع بسلسلة تدرج الجنين[14] . و يمكن ان يوجه الى هذا النقد الآتي وهو ان ذلك تشبيه فقط ، اما كون جميع الخلايا التناسلية واحدة في جميع الحيوانات فيه مبالغ فيه اذ لو كان الامر كذلك لامكن تلقيح اى حيوان بخلية حيوان آخر ثم ان علماء علم الاجنة يتفقون على وجود الاختلاف بين خلايا الحيوانات من حيث تركيب الكروموزومات والجينات وعدد الكروموزومات مثلا في خلية الانسان ٤٨ و في خلية الكلاب ٥٢ و في خلية الحصان ٦٠ و يحمل كل كروموزوم عددا من الجينات بطريقة مازالت غريبة على العلماء هي التي تحدد شخصية الكائن الذي يخلق منها .[15] ثم ان تشابه الاجنة الذي يتخذه انصار النشوئيين مثل ارنست هيكل دليلا لتحول الانواع ليس دليلا حقيقيا و خاصة علمنا اعتراف هيكل امام نقد علماء الاجنة له بانه رسم ثمانية في المائة من صور الاجنة لتكملة النسبة[16] عند ماوضع قائمة صور الاجنة المتشابهة بين اجنة الانسان والحيوان الوطواط[17]. والذي يتأمل في تلك القائمة للصور في كتابه فلسفة النشوء يستطيع ادراك ذلك التصنع اوالتفريق الصناعي بين صورالاجنة .

٤ـ ادلة الحفريات ، يعتمد النشوئيون ايضا على الحفريات في تاييد دعواهم ودليلهم الاساسي هنا هو عثورهم على هياكل حيوانية او اجزاء من عظام الحيوانات البائدة في العصور الغابرة تدل على وجود حيوانات بعضها قد انقرض و بعضها الاخر تطور وخاصة فيما يتعلق بتطور الانسان من القرد فيدعون انهم وجدوا جماجم تشبه الجم

والانسان وجماجم انسانية اعلى من مستوى القرد واقل من مستوى الانسان الحالي .

هذا هو دعوة المؤيدين بحصول التطور في الانواع . لكن هناك نقد للعلماء لهذه الدعوى ولقد ذكر بعضهم احصائية بعض علماء الحفريات عن الانواع التي توجد في باطن الارض فقالوا ان ثمانية وعشرين في المائة منها انواع لم تتغير و سبعة في المائة انواع مهاجرة وخمسة وستين في المائة لا سلف لها .

واما الانواع التي نشأت بالتغير او الانواع الجديدة فلا وجود لها في شيء من بقايا الحفريات .[18]

والجماجم التي يعتمد عليها التطوريون في تطور الانسان من القرد قد قليلة و من اشهرها جمجمة بكين اوكما سموها بجمجمة تونج الذي اكتشفت عام ١٩٢٤.[19] لكن بما يعتمد عليها البعض فلا يعتمد عليها البعض الاخر لانهم يتهمون الذين يستدلون بها بالصنع والتكلف في التفسير لتأييد مذهبهم الفلسفي و يقولون ان هناك فراغا بين الانسان والقرد لم تملأه الاثار التي عثر عليها . يقول هنا بعضهم " اذا ماوضعنا هيكل الانسان العظمي الى جوار هيكل الغوريلا واتنا نجد التشابه العام بينهما بالغا من الدقة بحيث يسهل علينا معه ان نستنتج على الفور ان الاول قد انحدر من نمط يشبه الثاني مطلقة نمو في المخ و تهذيب عام لكن متى فحص الانسان عن بعض الفروق فحصا دقيقا تبعث امامه شقة الخلاف " و من هنا يقول " فقد بدا ان بين الانسان و القرد العظيم هوة هائلة و اصبحت الحلقة مفقودة " و خاصة فيما يتعلق بالروح الانسانية و يكاد يتفق على عدم وجود اصل حيواني لروح الانسان .[20] ثم ان هناك عالما امريكا آخر وهو الكولونيل جمس سرشوارد" يثبت ان الانسان كان موجودا قبل التاريخ و اذا كان العلماء المؤيدون يدعون تطور الانسان من القرد او وجود مخلوق شبيه بالانسان منذ حوالي خمسمائة الف سنة فان هذا العالم الاخر يؤيد او يثبت عن طريق الحفريات ان الانسان كان موجودا بصورته الحالية قبل ذلك التاريخ بكثير و يقول بوجود حضارة انسانية قبل نحو مائتي الف سنة[22] وان الانسان قد وجد بصورته الانسانية الكاملة قبل نحو مليون سنة[23] اذا كان الامر كذلك فدليلهم باطل و هنا نستطيع ان نقول بالنص كما قالوا فيما يتعلق بتلك جماجم الاثرية الشبيهة بالانسان لعل الله قد خلق في تلك الفترة مخلوقا يشبه الانسان و ليس انسانا ، وقد يكون ذلك الاثر من بقايا الناس الذين مسخوا الى القردة و خاصة ان بعض العلماء الذين وصفوا اولئك الممسوخين بالقردة شبه بما وصف علماء

الاثار تلك الاثار الهيولوجية وما المانع ايضا من ان الله قد خلق الخلق بالتدرج لكن كل خلق كان مستقلا لا تحولا عن نوع آخر. و بناء على ذلك فقد زاد في خلق الانسان من الصفات والكمالات ... لم يخلقها في الكائنات الحيوانية الاخرى. وهذا يمكن ان يؤيد بقوله تعالى " يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شيء قدير "[24] لكن تشابه الخلق عليهم ـ كما قال تعالى " فتشابه الخلق عليهم "[25] فقالوا بالتطور والتحول في نشأة الكائنات الحية.

للبحث صلة

الهوامش

(١) الانسان في القرآن ـ للاستاذ عباس محمود العقاد ـ ص٨٥

(٢) تاريخ اصطلاحات الفلسفية العربية ـ للويس ماسينيوس ـ المحاضرة الخامسة عشر الكتاب مخطوط في معهد العربي للاثار الشرقية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٩٦.

(٣) المرجع السابق للويس ماسينيوس.

(٤) الانسان في القرآن الكريم ص ١٤١

(٥) الانسان في القرآن ص ١٣٩

(٦) المرجع السابق ص ١٤١

(٧) فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء. ارنست هيكل ص٤٧ ترجمه حسن حسن مطبعة السنا ـ ١٩٢٤.

(٨) فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء ص ٤٤+٤٥

(٩) انظر تفصيلات ذلك في كتاب اصل الانواع لداروين. ترجمة اسماعيل مظهر ـ مكتبة النهضة بيروت.

(١٠) انظر الفصل الاول والثاني من كتاب اصل الانواع لداروين.

(١١) الانسان في القرآن. ص ٨٧

(١٢) المرجع السابق ص ٨٨

(١٣) فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء ص ٣٢

(١٤) تاريخ اصطلاحات الفلسفية العربية ـ المحاضرة الخامسة عشرة

(١٥) كل شيء عن جسم الانسان ـ برنارد جلسر ص١٧ ترجمة الدكتور صلاح الدين سلامه. دار المعارف.

(١٦) [illegible] في القرآن ص ١٠٦

(١٧) فلسفة النشوء والارتقاء ص ٨٠ ـ ارنست هيكل.

(١٨) الانسان في القرآن ص ١٢٥

(١٩) معالم تاريخ الانسانية تاليف هـ.ج. ولز.ت. عبدالعزيز توفيق جاويد ج١ ص ٦٤

(٢٠) المرجع السابق ص ٦٣ـ٦٥

(٢١) المرجع السابق ص ٦٩

(٢٢) الانسان في القرآن ص ٧٧

(٢٣) المرجع السابق ص ١٥٨

(٢٤) سورة فاطر ١٠

(٢٥) سورة الرعد ١٦

وذ المنكر الى المجتمع

محمد مهدی آرام الحائری

قال رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله :

کیف بکم اذا فسدت نساؤکم و فسق شبابکم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهـــوا
المنکر؟ فقیل له: ویکون ذلک یارسول‌الله؟ قال (ص): نعم و شر من ذلک، کیف بکم
أمرتم بالمنکر و نهیتم عن‌المعروف فقیل له: ویکون ذلک یارسول‌الله؟ قال (ص):
وشر من ذلک ، ک ، بکم اذا رأیتم المعروف منکرا و المنکر معروفا ؟. (۱)

حدیث شریف یتناول کیفیة تحول و تطور المجتمع الاسلامی و تقبله للمنکر فی
ع صوره واشکاله سواء فی صورة الاراء والمبادی المستوردة او ارتکاب المناهی الشرعیة
ک التکالیف الشرعیة او غیر ذلک شأنه شأن سائر المجتمعات البشریة تحکمه تلک المبادئ
نوامیس التی تحکم المجتمعات الاخری ، فلم یتنزر عن المجتمعات الدینیة والسیاسیة
خری ، لا تتقبل ای رأی و مبداء الا بعد مرور فترة طویلة ساقة وفی مراحـــل
متعددة ـ کما ورد فی الحدیث ـ علی سبیل التدرج و تلک سنة‌الله التی جرت فی
لن فلن تجد لسنة‌الله تبدیلا .

ولبیان ذلک نذکر ان افراد البشر کافة علی اختلاف طبقاتهم و میولهـــم و
ـهم یشترکون فی خصائص کحب الذات و الدفاع عن النفس، و حب الاستطلاع و
ذلک و یفترقون بممیزات وخصائص اخری کالشجاعة، و علو الهمة والنخوة ،والخوف
جل، و غیر ذلک .

وکذلک المجتمعات ،والمجتمع ترکیب عضوی کوحدة میکانیکیة ذات اجـــزاء
طة واحدة بالاخری جمعتها ضرورة العیش و مدنیة الطبع و وحدة الهدف والطریقـة
لا و قد تصل وحدته الی درجة یعبر عنها الحدیث الشریف :

" المؤمنون في تبارهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد اذااشتكى عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى" (٢)

او كما قال الصادق عليه‌السلام لاوالله لايكون المؤمن مؤمنا ابدا حتى يكون لاخيه مثل الجسد اذاضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه . (٣)

فالمجتمعات ايضا تتمايز فيما بينها بخصائص كالثقافة والحضارة والمدنية والاقدام و غير ذلك و تشترك فيما بينها بخصائص كالانحيار و راءالعادات والتصلب والتحجر امام الاشياء المحدثة والاراءالجديدة في بادئ الامر .

فان التفكير الفردي يتطور بشكل اسرع من التفكير الاجتماعي تطورا لان عقل المجتمع يحتاج الى فترةطويلة حتى يأخذ شكله الاساسي ، فعقل المجتمع متحجر و تفكيره متزمت . اماالفرد فيمتاز بمرونة و تقبل الرأي بسهولة .

والتزمت والتصلب في قبول الاراء يتولد من رغبته الشديدة لحفظ العادات المألوفة لديه فيما سبق و يحن الى وضعه السابق و نهجه الملائم لطبعه . وان اعظم مشكلة اعترضت سبيل الانبياء في دعوتهم الى الله هي العادة المتحجرة في المجتمعات . و قد ورد في القرآن عدة موارد تنبئ عن نزوع الناس الى عاداتهم ومألوفاتهم :

"واذاقيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ماالفينا عليه آباءنا اولوكان آباءهم لايعقلون شيئا ولايهتدون" (٤)

"واذاقيل لهم تعالوا الى ما انزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لايعلمون شيئا ولايهتدون" (٥)

(اذافعلوافاحشة قالوا وجدناعليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون) (٦)

وغيرذلك من الايات التي تشير الى انحياز المجتمعات الكافرة وفي الاتمام الجاهل وراء عاداتهم (٧)

فالمجتمع كالفرد يتفاعل آراءالافكار والعقائد المستوردة و المنكرات كما تتفاعل الفرد ولكن بصورة تختلف تمام الاختلاف عنها في الفرد .

فالفرد ربما يكون تفاعله سريعا فيستجيب استجابة عاجلة ايجابية او سلبية اماالمجتمع فانه ربما يستجيب استجابة ملائمة لكن بعد عملية شاقة و فترة طويلة .

والحديث النبوي الشريف يبين كيفية دخول المنكر في جميع صوره في جسم المجتمع الاسلامي و ذلك في ضمن مراحل ثلاث :

ففي المرحلة الاولى تأتي الفكرة او المنكر او الرأي الجديد بصورة براقة تاخذ من هوى الشباب والنساء فينتشر الفسق والفساد واللامبالاة في اوساط تلك الطائفتين الشباب والنساء الذين هما اقرب الناس الى الميوعة والتحلل من العصبية والثورة على مقاييس الاجتماع. ولذلك نرى ان الاستعمار يسعى الى جعل المنكر ملائما لنفوس هاتين الطائفتين.

ولكن المجتمع يبقى قويا رافضا للمنكر الجديد ويراه شيئا غريبا غير مألوف لديه وهو منكر بشع و بدعة، والمجتمع بعد يرى المعروف معروفا والمنكر منكرا.

ففي هذه المرحلة تقع مسؤولية كبرى على عاتق علماء الدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكل المسلمين، فاذا ادوا ما بذمتهم حسب مارسمه لهم الشريعة المقدسة و جندوا جميع طاقاتهم لمحاربة المنكر في اية صورة من صوره فان الامر يعثر المنكر في طريقه و قد يصيب ذلك المنكر نكسة كبيرة و يتخلص المجتمع الاسلامي من ويلاته وشروره.

ومن هنا ورد التحذير عن خطورة البدع في الاسلام ولزوم محاربتها سريعا وفي مهدها قبل ان تجد لنفسها مجالا للمرور.

قال النبي صلى الله عليه وآله (اذا ظهرت البدع فللعالم ان يظهر علمه و الا فعليه لعنة الله) وغير ذلك من الاحاديث.

ولكن اذا تقاعس الدعاة وتهاون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر تاتي المرحلة الثانية ويأخذ المنكر بالانتشار في شتى صوره واشكاله الجديدة و يتخذ مكانه في المجتمع و ينضج شيئا فشيئا و يدخل في دور جديد. وهنا يتجرأ اصحاب المنكر و معتنقوا المبادئ الفاسدة المستوردة بالدعاية للمنكر الجديد واظهاره بالمظهر الخلاب لانهم لايرون من يقابلهم للمعارضة و يتصدى لهم بالرد والنهي عن المنكر.

فتأخذهم الجرأة وينادون صريحا مكشوفا بلزوم اقامة المنكر واماتة المعروف، مثل ما نشاهده في عصرنا هذا حيث يقوم دعاة الافكار والاهواء الفاسدة المستوردة بالدعاية للمنكر كالميوعة والخلاعة ونبذ الدين والاخلاق باسم الحرية والمدنية والتقدم، اما الطقوس الدينية والنظر الى الدين كشريعة ونظام ودستور فانهم يجعلون ذلك في بوتقة الامور البالية الرجعية التي يجب ان تنبذها الامة اذا ارادت الوصول الى الركب الحضاري المتقدم مع الامم الراقية، ولم يتصد لهم اي داع من الدعاة و قد خلا لهم الجو!

ومن هنا ورد ذم السكوت والمداهنة لاصحاب المنكر والرضا بفعلهم حيث يؤدي

ذلک الی انتشار المنکر وشیوعه بین الناس .

فورد : (من مشی الی صاحب بدعة فوقره فقد مشی فی هدم الاسلام) .

و فی خطبة لعلی (ع) : (اما بعد فانه انما هلک من کان قبلکم بحیث ماعملوا بالمعاصی ولم ینههم الربانیون والاحبار عن ذلک فانهم لما تمادوا فی المعاصی نزلت بهم العقوبات ، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنکر . . .) .

ماذا انتهت هذه المرحلة ای المرحلة الثانیة بسلام عند ذلک تاتی المرحلة الثالثة الخطرة فی غایة الخطورة ، وهو ان یختمر المجتمع برمته بالرأی الجدید فی جمیع صوره واشکاله ، فیتقبله بقبول حسن و یصبح المنکر المستورد طابعا اصیلا في المجتمع ، فعند ذلک یصیر الحلیم فیها حیرانا کماورد فی بعض نسخ الحدیث .

او کماورد فی روایة اخری (یأتی علی الناس یوم یذوب فیها قلب المومن)لما یری من المنکر الذی تفشی وشاع بین الناس .

واذا اراد هناک داع ان یقوم بالمعارضة فمعناه الوقوف امام التیار الاجتماعی والدخول فی عراک معه وجها لوجها ، فما ان یتفوه الداعی بکلمة الا وتقوم قیامة المجتمع و یثور فی وجهه فلا یستطیع امام ذلک التیار الجارف ان یبدی ایة مقاومة بل یُرمی بشتی الوصمات والجهل والخرافة ومااِلی ذلک من سبیل .

فعند ذلک یری المجتمع المنکر معروفا والمعروف منکرا وبذلک تتفشی المنکرات والاراء الفاسدة فی المجتمع و یأخذ المجتمع طریقة الی التفسخ والانحلال و تنقلب معه القیم الخلقیة والمفاهیم الانسانیة الی مالا یحمد عقباه .

وهذا هوالذی خافه رسول الله صلی الله علیه وآله علی امته حیث تنباء بانه لایبقی من الاسلام الا اسمه ، ولامن القرآن الادرسه ، مساجدهم معمورة بالآذان وقلوبهم خالیة من الایمان وهذا ما آل الیه المجتمع الاسلامی فی هذا الیوم .

وقدقال علی (ع) فی نهج البلاغة : فان الله سبحانه لم یلعن القرن الماضی بین ایدیکم الا لترکهم الامر بالمعروف والنهی عن المنکر فلعن السفهاء لرکوب المعاصی والحکماء لترک التناهی) .

فاللازم علی رجالات العلم والدین وعلی کل المسلمین ان یحاربوا المنکر سریعا قبل ان یصل الی المستحیل والی المرحلة الخطرة وهو ان یصبح طابعا اصیلا للمجتمع فیصیر فیه الحلیم حیران ویذوب فی ذلک قلب المؤمن .

(١) وفى رواية (وعندذلك يبتلى الناس بفتنة يصيرالحليم فيهحيران) .

(٢) بحارالانوار ج٧٤ طبع الجديد ص ٢٣٤ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) البقرة ١٦٥ .
(٥) المائدة ١٠٣ .
(٦) الاعراف .
(٧) وتاريخ الانبياء حافل بنصلب الامم وتحجرها أراء دعوة الانبياء فسلطان العادة يتحكم في الشطرالاكبر من سلوك الانسان حتى قيل ان العادة طبيعة ثانية ، وحتى قال بعض العلماء ان لدى الانسان ميلا فطريا الى تكرارالمألوف وتفضيله على الجديد وربما كان السبب توجس الانسان من الجديد ومن المجهول.

وحدك على الحق جماعة

قال عمر بن ميمون الاودى : صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده افقه الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول : سيلى عليكم ولاه يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، قال قلت : يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافله قال : يا عمرو بن ميمون قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية . تدرى ما الجماعة : قال : لا قال أن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة . الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك . وفي طريق أخرى (فضرب على فخذي وقال :ويحك أن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، وان الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل ، قال نعيم بن حماد يعني اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد وان كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ .

اغاثة اللهفان ــ ابن القيم

التشريع الاسلامي والقوانين الوضعية

احمد زكي تفاحه

"دراسة مقارنة بين التشريع الاسلامي والقوانين الوضعية على ضوء البحث العلمي ، ارجو ان اسدي به الى الدراسات المقارنة بحثا موضوعيا خدمة للعلم والحق"

الشريعة الاسلامية تستمد احكامها من الله تعالى الذي لا يتطرق اليه الشك و الخطأ وهو اعلم بما يصلح مخلوقاته وما يفسدها لذا كانت احكامه تعالى تدور مع جلب المصالح ودرء المفاسد وجود اوعدما .

اما القوانين الوضعية فهي موضوعة من قبل المخلوقين ، وهي عرضة للخطاء ولا يمكن الجزم بانها تحقق مصالح البشر ، لانها تقصد قصدا دائما لدرء المفاسد ، و ايجابيتها انما هي تبع لدرء المفاسد ، و ايجابيتها ليست فعاله في التاثير على الفرد والمجتمع ، ولذا لا ترى آثارها الايجابية في استجابة الناس لها ،كما نلمسها في التشريع الاسلامي ، و قد امتاز التشريع الاسلامي على القوانين الوضعية بمزايا اخرى و هذه جملة منها :

١ـ ان القوانين الوضعية من وضع الانسان ، وهو كائن ضعيف تتحكم به حوافز ذاتيه و دوافع حوانيه و سائر سلوكه بانفعالات النفس العميقه المختلفه ، وخلف ذلك كله اللاشعور الذي يشكل الجزء الاكبر من شخصيته ، بينما لا يحتل الشعور غير جزء صغير من شخصيته ، و كان فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي يمثل نسبة الشعور من الشخصية الى اللاشعور ،كنسبة القطعة الثلجية الطافحة على المحيط المتجمد ... هذه النسبه لا تجاوز غالبا نسبة الواحد الى العشره من القطعة الثلجية .

و اثبتت الابحاث التجريبية لعلماء النفس التجريبي تاثير اللاشعور على سلوك الانسان و تفكيره و اتجاهاته الفردية و الاجتماعية حتى يكاد يغلب الجانب الواعي

من الشخصية.

واللاشعور يتعدى حدود الخبرات التي مر عليها الشخص في حياته خاصة الى مخلفات الآباء والامهات والبيئات السابقة التي تظهر في سلوك الفرد بصورة الاعراف والتقاليد التي تسمى "عن رواسب اللاشعور" والتي تؤثر في سلوك الجماعة والفرد بصورة ظاهرة او غير ظاهرة ولذا تأثر الفرد في احكامه و استجاباته بما ينطوي عليه من الرواسب اللاشعورية ولا يكاد يسلم عن تأثيرها الا في حالات نادرة.

وقد يبدو الرويه على افعاله واقواله ولكنه رغم ذلك ينطوي على بدائية في التفكير وحوافز جوانية من وراء المظهر الذي يظهر به الفرد في المجتمع.

هذا كله فيما لو قام الفرد وحده بالتشريع، اما لو اشتغلت به الجماعة والهيئات التشريعية، فان المشكلة تتضاعف و تحمل مؤثرات لاواعية جديدة بربط السلوك بالجانب اللاشعوري من الشخصية اكثر فاكثر من ذي قبل.

فقد اثبت علم النفس الاجتماعي بان افراد الانسان حال التجمع تخضع لمؤثرات لاشعورية، وان الفرد حال اجتماعه بالآخرين ينزل عن مستواه الفكري الخاص الى اسفل مستويات الفكرية للافراد الذين يجمعهم.

و يقلب تجمعات الافراد احيانا الى قطع من الحيوانات تتأثر و تنفعل بالتيارات العاطفية دون ان يتمكن من ضبط حركاتها او تعي سلوكها.

وهذه النزعة الجماعية التي تدفع الجماعات الى انحاء معينة من السلوك و التي يغلب عليه طابع اللاوعي المسمى في علم النفس الاجتماعي بـ " العقل الجمعي " و قد كشف ذلك العلامة "غوستاف لبون" في كتابه " روح الاجتماع ".

اذن لا تختلف النتيجة فيما اذا انيط امر التشريع بالافراد عما اذا انيط بالجماعات و الهيئات ، لان تأثير الجانب اللاواعي من الشخصية الانسانية في السلوك الفردي يتضاعف في الجماعة المشرعة ، بما تخلقه الجماعة المشرعة من مؤثرات جمعية لاواعية جديدة وعن طريق اثارة الجوانب الانفعالية في النفس بما تؤدي الى خلل في التشريع و تسري الخلل الى سائر اجزائه.

و من الواضح ان التشريع الدستوري يربط بمصالح الجماعة والفرد و هي تتطلب احاطة تامة من الفرد اوالجماعة بالتشريع ، ولا تتأتى عادة هذه الاحاطة من الانسان لما يحوطه من عوامل و مؤثرات لاواعية ، و لذلك لا يمكن ضمان التشريع الذي يقوم به الانسان بشكل فردي او جماعي ، اذا فهمنا الانسان على ضوء النظريات السيكولوجية و النفسية الاجتماعية.

و لماكان الانسان موضعا للاخطاء والمفارقات في القديم والاحاديث، ولم يسلم منها الا في حالات نادرة ـ و مهمة التشريع تتطلب الوعي والادراك الكاملين والاحاطة بوجوه الصلاح و الفساد ـ كان لابدان يربط التشريع بالله سبحانه الذي هو بمعزل عن جميع المؤثرات اللاواعية، ليصلح لادارة الحياة الاجتماعية.

و لعبة بسيطة الى الماضي ترشدنا الى الاثار السيئة للجانب اللاواعي من الانسان في تشريعه و تقنينه.

فالثورة الفرنسية عند ما قامت اعلنت حقوق الانسان، و كان يكفي لان يقدم الانسان الى المقصلة لادنى تهمـــة توجه اليه.

ولم يكن يقع شيء من هذا فـــي تشريع الاسلام، ولم يكن في حكم من احكامه شيء من الانفعالات التي يبدو عليها التاثـر بالجانب اللاواعي من الانسان، ومواقف النبي (ص) شاهدة على ذلك فموقف النبـــي (ص) عند فتح مكة، و كم لاقى من اهلهـا من الاذى حتى قال: " ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت " و قد امر (ص) الجيش الا يقاتل والا يسفك دما الا اذا اكره على ذلــك. و كانت الراية عند فتح مكة بيد سعد بن عبادة وكان على اهل المدينة، فصاح عند دخول مكة " اليوم يوم الملحمة... اليوم تسبى الحرمة " فاخذ النبي (ص) الراية من سعد و اعطاها ابنه قيس، و كان قيس اهـــدأ اعصابـا من ابيه.

و موقف النبي (ص) عند وقوفه على باب الكعبة و قوله لاهل مكة " ما ذا ترون اني فاعل بكم؟ قالوا خيرا اخ كريم و ابن اخ كريم ".

و موقفه (ص) مع ابي سفيان وكان رأس الشرك و قائده فقد جعل داره امانا لمن دخلها عند فتح مكه.

و موقفه (ص) حينما قتل عمه حمزة (رض) في غزوة احد و قد كسرت رباعيته و شجت جبهته، فاشتد غيظه (ص) لما اصابه و لقتل عمه حمزة، ونزل القرآن يأمره ان يقاص بالمثل وان يصبرو يعفو لهو خير للصابرين.

٢ ـ المحيط [1] والانسان، كما يقول علماء الاجتماع، لما ينطوي عليه من الاراء و الافكار و الاعراف و التقاليد و الاداب و العقائد وهي حصيلة البيئة والعصر الذي ينشاء فيها الانسان ولا يتجاوز حدودهما. [2]

والقوانين الوضعية من خلق الواقع الاجتماعي وما توجيه المتطلبات الاجتماعيه في عصر معين بل وفي وقت خاص، فلذا لا تصلح لتطوير المجتمع و رفع مستواه في عصر واحد فضلا عن كل العصور.

بينما التشريع الاسلامي هو خلق

الواقع الاجتماعي ويوجهه و يطوره اداريا و خلقيا وفكريا ودينيا واقتصاديا و سياسيا و اجتماعيا و غير ذلك مما يحتاجه.

والقوانين الوضعية التي تحكم المسلمين اليوم مزيج غريب من القوانين الرومانية والكلدانية والاوروبية وغيرها، و كلها دخيلة مستعارة من غير المحيط الاسلامي موضوعة لبيئات غير بيئات المسلمين و لعصور غير عصورهم.

والقانون الصالح هو الذي لا يتأثر بالمحيط الاجتماعي في رعاية الصالح العام. وعدوله عنه تأثر من البيئة والعصر الذي يكونان المحيط الاجتماعي.

اما التشريع الاسلامي فيقع بمعزل عن هذه المؤثرات، ولا يتصور من المشرع الحكيم (الله) ان يتأثر بشيء من العوامل المحيطة او غيرها.

٣ـ ان القوانين تهتم بتنظيم شؤون الناس و تحديد حرياتهم و تصرفاتهم و تحفظها عن الاصطدام في المجال الاجتماعي.

و كذلك يهتم التشريع الاسلامي بتنظيم شؤون الناس وضبط الحوافز والدوافع الذاتية في الانسان من غير ان يجهز عليها او يهمل شانها فيؤدي بها الى الكبت او الاندفاع المعاكس و يفسح المجال للجانب الواعي من الانسان و ينظم الانسان على خطط واعية معقولة ولا تقتصر مهمته على جانب دون جانب، بل تعم جوانب الحياة كلها، و تشمل الفعاليات الحيوية عامة.

والقيام بهذا يتطلب احاطة تامة بشؤون الفرد و المجتمع و معرفة الجانب الواعي والجوانب غير الواعية منهما. و معرفة اسباب تحسين الاقتصاد في مجال الانتاج والتوزيع، و معرفة الاسس التي تقوم عليها الحكم الصالح والادارة الحكيمة و السياسة الرشيدة، و ما يجب ان يقوم به الحاكم من مهام الادارة والحكم، وتنظيم به شؤون البلد، و ما تتحقق به العدالة و الحق بين الناس ليتسنّى التنظيم.

والانسان قاصر بماله من المدارك والمشاعر المحدودة ان يحيط بخير المصالح والمفاسد الغريبة، والانسان اذا ظهر له وجه من المصلحة فانه يخفى عليه الضرر، و اذا بدا له جانب من الحكم يخفى عليه جوانب لجهات الحكم ليقارن بينها و يعطي الحكم الصحيح.

والتشريع يتطلب الاحاطة بشؤون الانسان و الكون من جميع الجوانب، و المشرع لا يكاد يهمل شيئا حتى يختل التشريع ويسري الاختلال الى سائر اجزائه وهذا لا يتسنى لاحد من البشر، فلا يصلح التشريع لأحد غير الله سبحانه خالق البشر، و لنا من انظمة الحكم البائدة والقائمة حتى اليوم في دول العالم ادلة ساطعة على نقصها و عدم ملاءمتها للانسان، كل الانسان.

٤- ان الاسلام يعتبر العقيدة هي الدافع الوحيد لتطبيق الشريعة، فلاتلتجئ الحكومة الاسلامية الى القوة في التطبيق فيما اذا توفر لديها مجتمع اسلامي صحيح الافي حالات نادرة، ولذا تدرأ الحدود بالشبهات ولا تاخذ بالتهمة والظن، والباعث للتطبيق، الاخلاص في الايمان، لان العقيدة ترفـــع المؤمن من الهبوط الى مستوى الحيوان عند التطبيق، والمسلم هو يقدم بنفسه للاعتراف بجريمته امام الحاكم الشرعي كما في قضيـــة ما عز و غيرها.

بينما القوانين الوضعية تضع الدوافع المادية محل العقيدة في التطبيق و تربـــط العمل بالجوانب اللانسانية غالبا و بخاصة في الدول العلمانية، وتقطع صلة الانسان بربه و تنصب منه الايمان و تزيل العقيدة من قرارة نفسه، فينقلب الى حيوان بهيم لايرجو غير المادة ولايخشى ماعداها، فيحصل في نفسه فراغ كبير مهما حصل من متع ولذة، و قـــد يدفعه ذلك الى الانتحار والاجرام.

والقوانين الوضعية تعتبر الشعـــور بالخوف والعقاب، الدافع الوحيد لتطبيق النظام، و تاخذ بالظن والتهمة في كثير من الاحيان، ولايختلف المجتمع الانسانـــي عن الحيوان في الاصطبل في الحاجة الى التنظيم والتطبيق، والذي يفصل ما بينهما الدوافع التي تدفع لتنفيذ القـــــرارات الاجتماعية والفردية، وكم فرق بين الاسلا[م] و بينها؟.

٥- والقوانين الوضعية سائرة [...] بما للافراد من اهواء و رغبات و اتجاها[ت] تحكي اذواق اصحابها الخاصة اكثر مما تحـ[...] الصالح العام، فمثلا ان الانسان قد يعلـ[...] بظاهرة نفسية او اجتماعية في تفسير الاحدا[ث] الفردية او الاجتماعية فيعممه على الجوا[نب] الاخرى، وقد ظهرت نظريات ذات العا[مل] الواحد في حقول علم النفس والاجتماع فآمنت بعض المدارس الاجتماعية بان العا[مل] الوحيد الذي يؤثر في سلوك الفرد والمجـ[تمع] هو "القطيع" و يعنون به الغريزة الـ[تي] تدفع الى الانضمام الى الجماعة او القطـ[يع] البشري، و تعتقد هذه المدرسة ان العوا[مل] الاخرى ترجع الى هذه الغريزة.

ويرى كارل ماركس ان هذا العا[مل] هو الاقتصاد، و يعني به تحصيل جزء اكـ[بر] بعمل اقل، ويفسر جميع الظواهر الاجتما[عية] والفردية وانماط السلوك واحداث التار[يخ] بخطط الاشتراكية الشيوعية حسب هــ[ذه] النظرية.

ويرى فرويد ان العامل الوحيد الـ[ذي] يدفع الافراد باجتماع وانفراد الى العـ[...] انماط سلوك معينة هو الجنس، كما انه [...] اثر الاختلاف في الاراء العلمية الاختلا[ف في] الاحكام الشرعية و مناقضتها، كما حصـ[...]

كارل ماركس في فائض القيمة عن العمل .

و القوانين الوضعية لا تستند في الاعم الاغلب الى اصل واحد في جميع اجزاء القانون ، بل تتاثر في كل موقف تشريعي و يصدر بوحي من طبيعة الجانب الانفعالي و الشخصية الانسانية فيظهر اضطراب واختلاف في النتائج لانها تتبع مقدماتها و اصولها في مجال التطبيق ، يؤدي الى اساءة ظن المحكومين بصلاحية القانون للتطبيق و فائدته بالنسبة اليهم ، فتكره نفوسهم الانقياد اليه . (٣)

والتشريع الصحيح هو الذي يرتبط في جميع اجزائه و خططه بفكرة فلسفية تسري في اجزاء المخطط الشرعي بشكل عام ، فتجد الاتجاه الشرعي ويظهر على القانون ، الوحدة والتناسق كما هو شان التشريع الاسلامي ، ولا يمكن لانسان مشرع ان يعتمد فلسفة معينة في مختلف الاتجاهات الفكرية والتشريعية ، لان الانسان يتاثر بكل موقف تشريعي وغيره .

٧- الشريعة الاسلامية اشمل وادق لانها تنظم المادة والروح بحكم اتصالها بالسماء و ربطها بالله تعالى ، فتؤكد على الصلات الروحية بين افراد الانسان فيما يخص الجانب العبادي والعقائدي .

كما وضع المعاملات والجنايات لتنظيم المادة في الفرد ، فيحاول ان يرفع الانسان من المستوى الحيواني البهيم الذي يعيشه الحيوان الى مستوى الانسان الكامل ، الذي يضم الى اشباع حاجاته المادية اشباع متطلباته الروحية والفكرية فوضعت العبادات لتنظيم الروح وهي علاقة الفرد بربه ، كما وضعت المعاملات و الجنايات لتنظيم المادة في الفرد و خاصة الاخلاقية منها .

اما القانون فانه لم يتعرض للروح ولم يشرع لها شيئا وانما تعرض للمادة فقط لان قواعده لم تعرض الا لحل المنازعات والخصومات فالضبط الاجتماعي و تنظيم الشؤون الادارية و بسط العدالة الاجتماعية وكثيرا ما تكون احكامه منافية لمبادئ الاخلاق .

٨- التعبد ملحوظ بطاعة الاحكام الشرعية لان المكلف الممتثل لها يسعى له التقرب الى الله بادائها وخاصة العبادات منها اما غيرها من الاحكام فيجب ان يعمل به تنفيذاً لاوامر الله تعالى ، سواء كانت معاملات كاجارة وبيع ورهن ، او كانت جزائية كالحدود والقصاص ، اما القانون فلا يوجد فيه ذلك .

٩- الشريعة ترتب نوعين من الجزاء

أ - الجزاء الدنيوي وهو ما تفرضه من عقوبات على العاصي .

ب - الجزاء الاخروي ، وهو ما يصيب الانسان عند الحساب بعد الممات .

اما القانون فان جزاءه مقتصر على الحياة الدنيا ، لان طبيعته لا تمتد الى وراء

الحياة الدنيا التي يعيشها الانسان على سطح الارض، و لذا فان تاثيره يمتد بمقدار ما يتصل شعاعه في هذه الحياة، وقد لاتجدى القوانين الوضعية شيئا اذا كانت العلمية الاجرامية تقضي على صاحبها كعملية الانتحار.

اما الشريعة الاسلامية لما كانت من الله سبحانه، فهي تمتد لما وراء هذه الحياة المادية، وبحمل الفرد مسؤولية اعماله سواء كانت بضربه او بالاخرين، فان المسؤولية لا تسقط عن الشخص بعد انقطاع خط الحياة المادي، بل يتعدى الحدود المادية الى الحياة الاخرى، كعملية الانتحار هذه، وان انتحاره واجهاره على نفسه سيحاسب عليه.

١٥ ـ ان الشريعة تحاسب على النوايا الفاسدة اذا كانت ترجع الى العقائد كأن ينوى الكفر و يظهر الاسلام، و كذلك العبادات اذا اتى بها غير متقرب بها الى الله تعالى او نوى الرياء بها فانها تبطل و لاتصح منه و يعاقب عليها.

وصاحب النوايا السيئة اقل مرتبة في الجنة من صاحب النوايا الطيبة، والنوايا السيئة لايعاقب عليها مالم يصدر منه الفعل الذى نواه و فعله فاذا فعله كتبت له سيئة و ان لم يفعله لم يكتب عليه شيئ، وان كشف عن خبث نيته وسوء سريرته و جرءته على سيده و مولاه، كما وان صاحب النية الطيبة تكشف عن حسن سريرته و طويته وانقيـاده لسيده ومولاه والنيات هي روح الاعمـال، فالعمل بغير نية لايكون مقربا الى الله تعالى.

اما القانون فانه لايحاسب على النوايا مطلقا الا اذا ظهر اثرها في الخارج، و ليس لخلجات النفوس عين و لا اثر في القانون الا اذا صدر عنها الفعل مع سبق الاصرار، حيث قيدت عقوبة الاعدام به، اما القتل بدون سبق اصرار فعقوبته تختلف وان كانت لا تتعدى السجن لمدة ١٥ سنة. فالنية في القانون لاتنشئ عقوبة الا انها تؤثر في زيادتها او نقصها بعد ان يتصل بالنية عمل خارجي.

١١ ـ الرقابة التي في الشريعة الاسلامية ضمان كاف لتطبيقها فانها تراقب الفرد في باطنه وظاهره وفي مجاله الاجتماعي والفردي، حيث انه سبحانه هو الرقيب الاول " انه يعلم خائنة الاعين و ما تخفي الصدور".

كما و ان الشريعة الاسلامية جعلت الرقابة نابعة من داخل الفرد و هو ضميره فانه يؤنبه عند خروجه على احكام شريعته مالم تمته الرذيلة.

كما و ان الشريعة الاسلامية جعلت الرقابة جماعية بين المسلمين بعضهم على بعض، فبعضهم ولي على بعض و قوام عليه يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، "المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر".

هذا بالاضافه الى رعاية الدولة الاسلامية و حمايتها و رعايتها للاسلام والمسلمين.

والقوانين الوضعية لاتباح لها ان تمتد في المجالين الفردي والاجتماعي الا بمعط السلطة التنفيذية، و هي مهما كان لها من القوة لا يباح لها الرقابة الا في مجالات محدوده، و مهما تتوسع الا من وتبذل من جهود فلا تستطيع ان تمد شبكاتها الى بطون الاوديه و قمم الجبال و متاهات البيداء و مجاهل الغابات و زوايا المدن و اوكار الاحزاب المعارضة و قرارات النفوس و خلجات الشعور.

و مايحدث في اوربا وفي امريكا من الاحزاب السرية والعمليات الاجرامية الخفية اكبر شاهد على ذلك.

والعقيدة الاسلامية التي تدفع المؤمن لتطبيق الاحكام طوعا ورغبة واختيارا تمتد الى كل هذه المسارب والى ماهو اخفى منها، حيث يختفي الشعور و تبدو مجاهل اللاشعور.

و العقيدة ترافق حركات الفرد وسكناته و يقظته ونومه واشباهه و عقلته و مشاعره و عواطفه.

والشريعة اول ماتعمل هي اشادة العقيدة وتحكيم الايمان في نفوس المؤمنين ولا منافاة اذا احتاط التشريع الاسلامي في بعض الحالات الاستثنائية الطارفة والادوار التمهيدية فتحدد جملة من العقوبات للاعمال الاجراميه والجنائية.

فالشريعة اذن تحفظ بقاءها و استمرارها من الداخل والخارج، والقوانين الوضعيه ليست كذلك.

١٢ ـ الشريعه تغلب النزعه الموضوعيه فيها على النزعة الشخصيه، حيث انها تحكم الغرائز والعرف والاهداف الاجتماعيه و الاقتصاديه.

اما القانون الوضعي فان فيه ماتسمى بالنزعة الشخصية او النفسية الى جانب النزعه الموضوعية، حيث انه لا يغلب احدى النزعتين على الاخرى.

وهناك بعض الفقهاء من ائمة المذاهب من ياخذ بالمذهب الشخصي، حيث انها تغلب الناحية النفسية على الناحية الموضوعيه كما في الفقه الشافعي، اذ لو قال الرجل لزوجته اعطني ماء، و قصد بذلك انها طالق فان الطلاق يقع. (٤)

١٣ ـ الشريعة فيها قواعد تنظم علاقة الانسان بالحيوان فانها تحرم منعه من الاكل والشرب وايذاءه بغير سبب.

اما القانون فانه لا يعاقب على ايذاء الحيوان، الا اذا كانت الهيئة الاجتماعية تتضرر من مناظر تعذيب الحيوان، لذلك وجد في بعض فقرات القانون نصوص لحماية الحيوان من الاذى.

١٤ـ لقد عاش التشريع الاسلامى مدة طويلة فى حياة البشر ، و غزا بيئات كبيرة و عاش فى حضارات مختلفة و فى ظل عادات و تقاليد واعراف متعددة ، و هو يفى بحاجات الناس كلها ، اضافة الى انه اصيل وقائم بذاته غير ماخوذ من شريعة اخرى او قانون آخر ، و قد شهد بذلك رجال القانون فى اماكن مختلفة من العالم و فى اكثر موسعة والتك بعضها .

الاولى ـ فى المؤتمر الدولى للقانون المقارن المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٣٧م ، حيث قرر المشتركون فى المؤتمر بالاجماع اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام ، و انها صالحة للتطور وانها قائمة بذاتها ولم تشتق من غيرها .

الثانية ـ مؤتمر المحامين المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٤٨م حيث اعترفت قراراته التى اتخذها بان التشريع الاسلامى ذو مرونة واهمية كبرى ، واوصت القرارات بان يتبنى الاتحاد الدولى للمحامين المقارنة للتشريع الاسلامى و التشجيع له .

الثالثة ـ مؤتمر كلية الحقوق بجامعة باريس المنعقد عام ١٩٥١ م تحت اسم " اسبوع الفقه الاسلامى " حيث قرر ان اختلاف المذاهب الاسلامية يشكل ثروة من المعلومات والاصول الحقوقية ، وان مبادئ الفقه ذات قيمة تشريعية لا يشك فيها .

للبحث صلة

بقية : معركة بدر . . .

الحضرمى وفر الرابع الى مكة يثير حماسة الابطال بعد قتل عمر ولاسيما وقد كان ذلك فى الشهر الحرام . . . فوجدتها قريش ساحة لتؤلب الناس على المسلمين الذين استحلوا حرمة الشهر الحرام . .

ونزل الوحى على النبى الاعظم (ص) ليرد عليهم و يكشف عن حقيقة واقعهم اللئيم : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اشد من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " .

---

(١) نعنى بالمحيط كما يعنى به علماء الاجتماع ، الزمان و المكان الذى يعيش فيها الانسان .
(٢) يراجع " روح الشرائع " لمنتسكى لتجد نماذج من ذلك .

(٣) يراجع " المدخل لدراسة التشريع الاسلامى " .

(٤) محاضرات عبدالحفيظ شلتوت

الشيخ الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الازهر السابق



وحدة المسلمين

كان العرب قبل الاسلام قبائل متناحرة
سيعا متفرقة، ايامهم تقاطع وعداوة وحياتهم
اهلية وحروب، ثم شاء الله ان يشرق نور
هداية، و يتحرك موكب التوحيد والحضارة
ث محمدا (ص) برسالة الاسلام، تزيح الظلام
جمع الشتات وتوحد الكلمة، وانطلقت الامة
سلامية الى غاياتها تقود البشرية بمبادئ
سلام وتعاليمه الى مدنية طاهرة فاضلة.
ت على الفوارق و حطمت البغي و حررت
ستعبد المظلوم، وردت الحق المغتصب، و
رت العدل والخير فاطمانت اليها القلوب

وانضوت تحت لواء الاسلام شعوب جديدة ورضيته لهادينا، وآمنت بانه الدين الجامع للكلمة الذى يربط بين قلوبهم ويوحد صفوفهم نحو حياة حرة كريمة.

والاسلام رحم بين اهله مهما تباعدت ديارهم، وتعددت اجناسهم وتنوعت الوانهم لانه لا يقر الحدود ولا يعرف العصبية و لا الاجناس والالوان وانما يربط بين القلوب باسمى رباط، اساسه عقيدة التوحيد التى جعلت من اصحابها امة واحدة تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من

سواهم وصدق الله حيث يقول " و ان هـذ ه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون "

و بهذا الرباط الوثيق وتلك الوحدة القوية سادت امة الاسلام وخشي العالم بأسها وامتد سلطانها الذى لم يعرف التاريخ سلطانا مثله عدالة و كفالة و مساواة ، و ماكان لهـا ذلك الالأن ابناء ها التفوا حول راية الاسلام في عزم وتصميم وانضـووا تحت لوائه في اتحاد واخلاص .

بهذه الوحدة كانت الامة الاسلامية اعظم قوة ضاربة في ارض الله حطمت الطواغيت واقامت ميزان العدالة واضاء ب منار الهداية وحفظت كرامة الانسان وصانت له حقوقه .

بهذه الوحدة شقت امة الاســلام طريقها في الحياة عزيــزة كريمة بابنائهــا المعتزين بايمانهم المؤمنين بوحدتهم .

بهذه الوحدة استطـاع المسلمو ن تحت اقسى الظروف ان يصمدوا امام بربربة التتار في عين جالوت و يحطموا هذا الغول الهولاكي المخرب ويصونوا العالم من شروره و طغيانه .

ويوم ان تنكب المسلمون طـر يق الو... ـتهانوا بدينهم و كرامتهم وتفرقوا دويلات لاتجمعهم كلمة ولايوحدهم هدف ، ذهبت ريحهم و ضاعت هيبتهم وسارع العدو المترقب الى تمزيق اوصالهم حتى تمكن منهم و احتل اوطانهم و سلب حريتهم ذلـك لان الفرقة ضياع وضعف ، والتمزق ذلة والاختلاف هوان . و من هنا حث رسول الله (ص) عل... الوحدة والجماعة منذ اللحظة الاولى من... وحارب التفرق اشد المحاربة فقال " عليك... بالجماعة واياكم والفرق فان الشيطان مـ... الواحد وهو مع الاثنين ابعد ومن اراد بحبو... الجنة فليلزم الجماعة " ويقول الله جل شا... "واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكر... نعمة الله عليكم اذكنتم اعداء فألف بـ... قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا " .

وما احوجنا نحن المسلمين اليوم في هذه المرحلة الحاسمة التي نخوض فيها معركة المصير و نواجـه قوى الشروالعـدوان المتربصة بديننا واوطاننا ماأحوجنا في هذ... الظروف ان نعتصم بحبل الله و نرتفع فو... مستوى الاحداث فنجمع الشمل ونوحد الكلم... ونظم الصفوف حتى نجتاز المحنة ونقضي على مؤامرات المستعمرين واذنابهم ونحقق النـ... باذن الله وترفع اعلام السلام على ارض السلا... ويعود للاسلام مجده وعزته ويومئذ يفـر... المومنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العز... الرحيم .

محمد علي التسخيري

ضمير الحياة

مع الصبح . . . يانفس . . خلي السبات
لماذا الوجوم ؟ . . . و ذاك النعاس
لماذا الضياع ؟ . . . وذاك اللهاث ؟
ايانفس . . . كم طارحتك السنين
احاديث عن قادة ىوجــــــوا
ايا نفس . . . لم تخطئين الطريق
ايا نفس . . . هل لاح عبر الحديث
فتاقت رؤاك . . . لنيل الحروف
ايا نفس هبي . . . و خلي الونا
ايا نفس هبي فهــــذا العلى

ففي الصبح غنى ضميـــر الحياة
يبث الجمـــــود بكل الرفات ؟
و هذا الربيع يزف الهبــــاب
احاديث شاخب . . . عن الماضيات
و عن عالم ماج بالحـــادثـات
و تمضين في طلـــب التافها ت
لك النور في اسطر مشرفـــات
عسى تعــرفين " ضمير الحياة "
الى عالم ماج بالصالحــــات
يلوح بافياء خيــــر الولاة

هم . . . باب حطة للخائفين
له . . . تلجاء الانفس الحائرات
اذاالبحر يوما . . . طغى موجه
فهم فى الخضم سفين النجاة
و هم منهل العلم للناهلين
و هم موئل الحكم و المكرمات
بنو الوحى . . . هم دفقات الخلود
ضفاف الامان . . . ربيع الصفات
اضاؤوا باحداق جيل النبى
خطوط العلاء . . . فكانوا الهداة
و امحل درب الرعيل المغذ
فلاحوا اغاريد للمعطيات
هم النور . . . نور الاله العظيم
هم البحر . . . بحر الندى والصلات
هم بالجهاد . . . بنواعزنا
فنعم البناء . . . و نعم البناة

***

جهاد . . . تهون لديه الجهود
و ترخص فى ساحه الغاليات
وصبر جميل . . . على النائبات
و فى القلب دنيا من المشجيات
صمود على الحق . . . حتى تعود
الى الدين . . . آفاقه النيرات
وضربة سيف بكف اللئيم
هى الفوز . . . فى منطق التضحيات
و سم يقطع حبل الوريد
لينفتح الدرب . . . درب الاباة
و جسم طريح بحر الفلاة
و رأس تقبله الشامخات
وبالسهم يكتب نحر الرضيع
نشيدا تمجده الكائنات
و للعيد فى معصم الطاهرات
نشيج يمزق قلب الطغاة
[illegible]من غيهب السجن يعلو الضياء
لتشربه الاعين الظامئات
[illegible]لم الغيب . . . خلف السحاب
و خلف المناجاة والامنيات
[illegible] للكون شمس الهدى
فتبعث فيه ضمير الحياة
[illegible] و[illegible]درم به من جهاد
يقدم حقا لنا المعجزات
ايا نفس ذلك صوت الوعاة
ينادى الوعاة . . . فاين الوعاة

***

شكاتى منى . . . تسحث الوجود
لكى تسمع الارض هذى الشكاة

شكاتي من حافل بالسراب　　　تمجده الالسن السادرات

شكاتي من قاهر بالحديد　　　شعوبا بآمالها عاثرات

يمج العذاب ... و يصلي الحتوف　　　و يبني لآماله الراقصات

يلاعب قردا و يسقي الصحاب　　　حميا تعتقها العاهرات

فان واجهته سطور الكتاب　　　لتعلن ان الغد المرآت

يمزقها ... باسمها ... في عتو　　　و يذهب كيما يكيل العظات

يحار بماذا يؤدي القنوت　　　و اني يقيم فروض الصلاة

ابالشعر تسحره الفاتنات　　　ام اللهو في سكرة الاغنيات

لتأتم امته بالأمام　　　و من يده تقطر السيئات

أولاء حقا ... ولاة الامور　　　و طاعتهم اعظم الواجبات ؟

ام الحق يعلو بآل الرسول　　　و من فيهم تجمع الطيبات

مناقبهم عمت الخافقين　　　بها نزلت سور محكمات

بناة ... حماة .. اباة ... سراة　　　رعاة ... دعاة ... سعاة ... ولاة



السيد ابراهيم مرتضى

ثرى كربلاء

طوبى لارضك كربـــــلا ء أما وعت الأنجمـــــا

تمسى و تصبح في ربـــــا ك نُفلّ زوار السمـــــا

طوبى لارضك للرمـــــا ل لكل نبت قد نمـــــا

للزهر يحلم في الاصيـــــل معا نقا و مهومـــــا

في جانبيك يفوح بالاطيـــــا ب مزهو اللمـــــى

طوبى لارضك نو ذريـــــن بمن حويت و بالدمـــــا

تهمي على شفة الجـــــرا ح وقد حرت ان تبسمـــــا

من كل امجد سامق فـــــي المجد هام تسنمـــــا

من كل اصيد لايضيـــــف لدى الضراب تبرمـــــا

نفر دعوا فتسابقـــــوا نحو الكريهة حومـــــا

في روحهم سكن الحســـــين و في القلوب تجسمـــــا

يتباشرون فيسرعـــــو ن ويهزجون ترنمـــــا

ففدوه بالمهج الرخـــــا ص و قد اصابوا مغنمـــــا

تلك القشاعم صادهـــــا ريب المنون على ظمـــــا

فتساقطت نحو الرغـــــا م و غادرت نحو السمـــــا

لقطات... وتعليقات

********************** السيد هاشم نصر الله

● نشرت صحيفة الانوار الصادرة في بيروت بتاريخ ٢٢ حزيران عام ١٩٧٥ تحت عنوان " **لجنة العفو في لاهاي تدعو لعدم الامتثال لاوامر تعذيب السجناء** " هذا الخبر :

لاهاي: قالت لجنة العفو الدولية في لاهاي ، ان من واجب رجال البوليس عدم اطاعة الاوامر الصادرة اليهم ، لتعذيب السجناء الذين هم في عهدتهم ـ انتهى ـ .

واخيرا استيقظت لجنة العفو الدولية في هولندا من سباتها ونحن نشرف على القرن الواحد والعشرين ، لتصدر هذا القرار الذي اعلنه الاسلام منذ اربعة عشر قرنا في شبه الجزيرة العربيه ، وفي ذلك المجتمع الجاهلي الذي كان لايفقه الا الظلم ، ولايعرف الا الغزو والسلب .

فالاسلام الذي حارب الظالمين على كل الاصعدة ، بكل مالديه من امكانات سلبية وايجابية ، سنّ هذا التشريع قبل ميلاد حضارتنا المعاصرة فحرم التعذيب والتمثيل ... حتى ولو في الكلب العقور ، وحرم الاقدام على قتل الاخرين وان كان المقدم مكرها !.

كما انه نادى باعلى صوته واطلق كلمته الرائعة التي تقول " **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** " .

فالى متى سيبقى شبابنا ينشدون بحضارة الغرب الكثيبة ؟ والى متى سيظل جاهلا اومتجاهلا هذه الحقيقة الجلية وهي ان المستقبل لهذا الدين ؟.

● كتبت صحافية مصرية على صفحات مجلة قاهرية ـ نعرف اهدافها ـ مقترحة التالي : بكل اسف اكتب اليوم وانا في شدة الخجل ، عن انحراف البنات والتلميذات . . وحتى نحمي بناتنا من الانحراف يجب ان نخصص مكانا معينا للمنحرفات تحت الاشراف الحكومي ونمنع دخول هؤلاء الشقق المفروشه ، ثم نجعل الاشراف الادبي والبوليسي جادا ومشددا . . .

في هذه الحالة لن تجرؤ فتاه بنت عائلة او تلميذه ان ترتاد هذه البيوت والا اصبحت محترفة بحكم القانون وبرخصته ، وخسرت الدين والدنيا معا . . . بكل اسف هذا هو رأيي . . . والذي ارجوه الا تاخذوا كلامي موضوعا للمهاترة والكلام الفارغ ففكروا فيه بموضوعية ونظرة واقعية .

انطلاقا من معتقداتنا الاسلامية ، البعيدة عن كل مهاترة و التواء ، فكرنا في اقتراح هذه السيدة الموقرة ، بموضوعية وواقعية الا اننا خلصنا الى هذه النتيجة اسا اذا اردنا حل مشاكلنا واراحة انفسنا مما نلاقيه منها . فلابد وان نضع اعيننا على نقطة هامة هي ان علاجنا للمشكلة وحلنا لها يجب ان يكون منطلقا من التشريع الاسلامي ، و مما تمليه علينا اخلاقنا ، لا من قوانين وضعية غريبة يأباها الفكر الاسلامي ، وتلفظها الفطرة الانسانية الاصيلة وذلك لان التخطيط الاسلامي يتسم بالواقعية والعمق في مختلف جوانبه الا ان السيدة لم تلتفت الى هذه النقطة وكأنه قد غاب عنها انها تقترح ما اقترحته قريحتها في بلد مسلم يبلغ عدد سكانه ما يزيد عن الثلاثين مليونا فوقعت في حيص بيص . . .

فليتها ما اقترحت . . . وليتها لو اقترحت ما وصفت لنا هذا الداء وزينته بكل ما عندها من اغراءات فكرية على انه هو الدواء . . . الذي لا مفر عنه .

● جاء في احدى المجلات العربية ــ في رسالة من اوربا ــ تحت عنوان : الجيل القديم يشكو الجيل الجديد :

" كتب اب فرنسي واسمه مارتن فاليري : ابني عمره تسعة عشر عاما ارسلته الى اليونان ، ثم الى البرتغال ليرى سقوط النظم الدكتاتورية هناك . . . و اعطيته عربتي و نقودي ليقوم بهذه الرحلات الصيفية . تصوروا انه لم يرسل لي خلال ثلاثة اشهر كارت بوستال واحد يطمئننا على صحته! ما علاقه سلوكه بالهوة المزعومة بين الجيل القديم و الجديد ؟

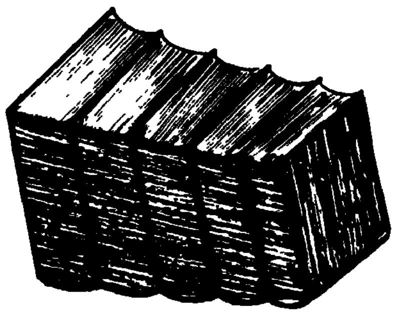
اما امه فتضيف : انه يجيد الكلام عن الديمقراطية ومساواة المراة بالرجل والاخاء بين الشعوب ، والوقوف بجوار الفقراء . وهذا كلام جميل .

ولكن عندما نطلب اليه ان يقف بجوارنا ولو بان يغسل طبقا او يساعدنا اذا مرضنا بالانفلونزا فقط ، ينظر الينا على اننا اشخاص مزعجون ، لماذا لا يعطف علينا كما يعطف على الفقراء والشعوب المظلومة ؟

وقد نظم التلفزيون الايطالي ندوة جمعت بعض الامهات والاباء ليعرضوا وجهة نظرهم . وكان من جملة السيدات اللاتي حضرن الندوة السيدة ألعا التي قالت ابني "كالو " طالب في كلية الهندسة ، يؤمن بحرية المرأة ويردد هذا الكلام كالببغاء . . . انه يخلع ملابسه و يبعثرها في كل مكان ، كتبه واوراقه مبعثرة في جميع اركان المنزل . و قد انفجرت فيه بعد ان فقدت الصبر ، وقلت له انت اكبر رجعيّ رأيته في حياتي ، انت عدو المرأة الاول . . . اياك ان تتحدث عن حرية المرأة مرة اخرى . هل تتصورون ما ذا كان رده ؟ ما العلاقة بين الاثنين ؟ الست امي ؟ !؟

هذه المشكلة و يمكن ان نعبر عنها بمشكلة "الانفصال بين الجيلين المتعاقبين " طبيعية الحصول في مجتمع آلي مادي لا يعرف للروح اي اشباع ، ولا لتعاليم السماء اي رصيد .

اما اذا عدنا الى التعاليم الاسلامية فاننا نجدها تعمل على خلق الشد العاطفي القوي اولا وتدعمه بتشريعات محددة في هذا المجال ثانيا ، ولذا فاننا ندعو للرجوع الى نظريات الاسلام كي لا نبتلى بهذا الجفاف العاطفي والتمزق الرهيب .



الثقافة والحضارة

بقلم: الدكتور عثمان أمين

لا يخطر ببالي ان اتحدث هنا عن الثقافة والحضارة بمفهومها الحديث ، فهذا امر لاقبل لي به ، ولاحاجة بنا اليه . وانما مقصودي ان ارسم خطوطا سريعة ووضع نظرتي اليهما وموقفي منهما من خلال لغتنا العربية ، ... كما نعلمون لغة حواسيه على الاصالة ، نجعل الصدارة للمعنى و القيمة والفكرة .

وقد حفزني الى هذه الخواطر اننا نشهد هذه الايام من آثار الغرب فيما يسمونه " حضارة " و " ثقافة " مايدعونا الى وقفة تامل وتفكير : اغراق في الاقتصاديات ، واستعباد للماكينات وسباق الى الالكترونيات ، وازورار عن القلب والجوهر و الروح في الاساس . ونشهد موكبا حاشدا من الصور تلاحقنا بها السينما و الصحف والاذاعة والتليفزيون ـ تجعلنا نجرى و نلهث الى غير غاية ، ونعيش على هامش انفسنا ، و كانما اضحى مثلنا الاعلى ان نعيم في معسكرات او مخيمات وكاننا خطوط هندسية او ارقام حساب .

و باسم الثقافة والحضارة اهدروا الناطقية فينا ، و باسم العقل ، بعد ان ابتذلوه ، نددوا بما هو روحي وابدى ، وسخروا من الاديان بعد ان سخروها لحكم الجماهير .

قالوا لنا ان تقدم العلم سيمهد السبيل الى الوئام بين جميع الشعوب . ولكن المبدأ الاعلى للعلم ، وهو السماحة و النزاهة ، قد افلت منهم ولم يفهموا دروسه ، حتى قال احد علمائهم " متى خرجنا من مجال تخصصنا عدنا كما كنا بدائيين " .

ان الثقافة والحضارة لاترتجلان ولا يستعاران ولا يستوردان ولا يقومان باللوائح او المراسيم . و الشعوب لاتتثقف ولا تتحضر الا في اناة و تريث و عكوف . و لن تبلغ من ذلك ما تريد الا بالتعهد و الرعاية ، وكلها تتنافى مع العجلة و التهور والاندفاع .

وليست الثقافة والحضارة محفوظات او مجهزات او " معلبات " ، بل هي كما

قال هريو " مايتبقى في نفوسنا بعد ان نكون قد نسينا كل ما حفظنا . و ليس شان الثقافة و الحضارة كشان ما يسمى باللغة العصرية باسم " القهوة الفورية" او " " و شتان عندنا بين هذه القهوة الجاهزة" و بين القهوة المجهرة" اعني تلك التي لا تصير قهوة الا بعد اعداد خاص وعلى مراحل، وتلك في نظرنا هي نعمة الحضارة الحقيقية في عمل القهوة لانها تتطلب ترتيبا وعناية، وتجعل للذهن مجالا للتامل والرؤية.

وما قلته عن القهوة الفورية نستطيع ان نقوله عن بعض الافكار الجاهـــزة و الايديولوجيات المستوردة والعقائد المجهزة حتى قبل ان نجهر . كما يقول برجسون . ويحضرني في هذا المقام حكاية واقعية تعبر في نظري عما اريد ان اوكده من جوانية الثقافة والحضارة ، وانهما لاتقومان الا بالعراقة والاصالة.

في سنة ١٩١٥ مثلت مسرحية " اوديب ملكا " على مسرح " اورانج القديم " في فرنسا وكان الثري الامريكي " كارنيجي " من شهود المسرحية، فاعجب بها ايما اعجاب . و ما كاد ينتهي التمثيل حتى نهض من مكانه واسرع الى مدير المسرح يهنئه، ووجه اليه السؤال التالي .

" كم من الدولارات تلزم لاخراج هذه المسرحيه في امريكا على هذا النحو من الابداع ؟ فاجابه الفنان الفرنسي " مع الاسف يا مسيو كارنيجي " ،ليست الدولارات هي الشيء المطلوب هنا ، بل يلزم لذلك الفن من السنين " و اكبر الظن ان المدير الفرنسي اراد أن يقول ما قاله من قبل الشاعر العربي القديم .

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب .

والواقع اننا لانستطيع ان نبحث عن ثقافة او حضارة بمعزل عن وعي الانسان وموقفه منهما . ان الناطقية الانسانية هي مركز الكون كله. والعالم الخارجي او " عالم الاعيان " كما يقول المتكلمون الاسلاميون ، لايكون كذلك الا بالقياس الى عالم الاذهان " وكل امر " واقع " فهو ملون دائما بموقف الذات من الموضوع . ان الذات " تنقد العالم على قدها " كما يقول كانط . والانسان ليس مجرد نتيجه للتاريخ، بل هو القـــوة المحركة للتاريخ. والدين دعامة اساسية للحضارة ، لانه منبع للقيم الروحية، و لانه هو" البعد الجواني للانسان من حيث هو انسان" . فما من حضارة تصلح لان يطلـق عليها هذا الاسم اذا جعلت ديدنها ان تتنكر للدين و لقيم الروح. و هناك مجتمعات متقدمه ربما نجحت في حل مشكلات الانتاج، ولكنها لم تستطع حتى اليوم ان تحل

مشكلة الانسان. و الانسان لايقنع بالمادة بل يريد الروح، ولايكتفي بالحياة في الحاضر بل يتطلع الى حياة المستقبل.

ان الحضارة تقوم في النهاية على الايمان كما يقول " مادارياجا ".والايمان رابطة اخلاقية تجعل الناس يرتفعون فوق مصالحهم الشخصية المباشرة . وان المدافع والذخائر والمؤن مادة لاحياة فيها بغير الايمان وفي معركة " قالمي" تغلب الايمان بلا مدافع على المدافع بلا ايمان.

والحرية والعدل روح المجتمع المتحضر. ولايمكن ان يدوم مجتمع بلا حرية ولاعدالة، و ليس هنالك سوى اختيار واحد . اما الحرية واما الطغيان. فـــا ذا العيت الحرية فسم طغيانك كما تشاء فاشية او نازية او دكتاتورية " المافيا " او استبداد الصعاليك.

المجتمع المتحضر هو المجتمع الاخلاقي او " المدينة الفاضلة" بتعبيــــر الفارابي، وهي تلك التي يجعل اهلها امورا سياسية خاضعة لقانون الاخلاق، ويداسون على الانصات الى صوت الضمير. و لاريب ان العلوم الاخلاقية والنفسية والاجتماعية هي اليوم الزم من علوم المادة التي هي ادنى الى ان تكون خطرا يتهدد الناس في مجتمع مازال اهله على جهل بانفسهم . و من البين كما يقول مالك بن نبي ، ان تربية انسان متحضر واعداده اصعب من صنع محرك، او تعويد قرد على ان يلبس رباط رقبة.

ان الروح هي التي تتيح للانسانية ان تنهض وتتقدم. و حيث تغيب الروح يكون السقوط والاضمحلال . لان مايفقد القدرة على الصعود لايملك الا ان يهوى منجذبا بثقل لاسبيل الى مقاومته. والدين هو " مجمع " القيم الاجتماعية. و لكنه يقوم بهذا الدور في حال نشأته وانتشاره و حركيته، حين يعبر عن فكر الجماعة ، اما حين يصبح الايمان مطويا بغير اشعاع اعني حين يصير ايمانا فرديا، فانه رسالته التاريخية تنتهي على الارض ، اذ يكون عاجزا عن تحريك دفه الحضارة. و يصبح ايمان متعبدين، يعزلون انفسهم عن الحياة و يهربون من واجباتهم و مسئولياتهم "مالك بن نبي " وجهة العالم الاسلامي" ترجمة عبدالصبور شاهين، سنه ١٩٥٩

في١٨ من يونيو سنه ١٩١٦ القى (رابندراناث تاغور) محاضرةفي جامعة طوكيو خاطب فيها الشبيبة بقوله " انكم لاتستطيعون ان تقبلوا الحضارة الحديثة كما هي. ان واجبكم ان تدخلوا عليها التغير الذى تتطلبه عبقريتناالشرقية .وواجبكم

ان نبثوا الحياة حيث لايوجد الا الماكينة ، وان نستعبصوا بالعلب الانساني عن حسابات المصلحة الباردة ، وان تنوحوا الحق والحمال حيث لاسلطان الا للقوة الغاشمة والنجاح اليسير . ان حضارة اوربا سهمة ومسيطرة ، ىلبهم البلاد التي يعروها ، انها تبيد الافراد و تمحو الشعوب التي يعوق مسيرتها .

انها حضارة كلها سياسية ، تستسيغ لحوم الادميين ، انها تقهر الضعفاء و تثرى على حسابهم انها آله للطحن . انها تبدر ، انما دهشت ، الحسد و العبرة و الشقاق . انها تصنع الفراغ حولها . انها حضارة علمية لا انسانية و مصدر قوتها انها تركز جميع قواها صوب غاية واحدة الثروة والسلطة وتحت اسم الوطنية لا تراعي كلمة الشرف . انها تمد بلا خجل شباكها ، و تسبحها الكذب ، وتقيم للمعبود الهائل الذي نعبده المعابد المشيدة للكسب والمنفعة ، ونحن ننبأ دون تردد بان ذلك لن يدوم ، لان في العالم قانونا اخلاقيا مهيمنا ينطبق على الجماعات كماينطبق على الافراد فان هدم كل مثل اعلى في الاخلاق ينتهي بان يؤثر في كل عضو من اعضاء الجماعة ، ويولد عدم الثقة والاستهتار ، ويحطم في الانسان كل ما هو مقدس ، ان حضارة تجعل دأبها ان تتمرد على القوانين التي سنها العلي القدير لا تستطيع ان تنتهي الا الى " كارثه " .

ورومان رولان الذي سجل بعض فقرات هذه المحاضرة في " يومياته " اعلن ان هذه المحاضرة التي تبين منعطفا في تاريخ العالم لم تكن لها صدى في كبرى الصحف الاوربية ولم تنشر الا في المجلة المسماة (اوت لوك) " الصادرة بنيويورك في ٩ من اغسطس ١٩١٦ .

الثقافة عندنا ليست معلومات محفوظة ولا تطبيقات منقولة بل هي في مفهومها الصحيح شيء يجاوز المهارة اوالبراعة في اي ناحية من نواحي العلوم النظرية او العملية . الثقافة مرادفة في نظرنا لحضور القلب ويقظة الروح ، وهما لا يكونان الا مع الضمير الحي والعقل الناضج و القلب السليم . ومتى استيقظ الوعي والضمير في الانسان اصبح النظر و العمل عنده متلازمين لايفترقان ، واصبحت حياته مصداقا لافكاره . فبعد عن الالية والاتباعية ، و قصد الى الغايات بافضل الوسائل ، واتجه الى الجوهر والمخبر ، دون وقوف عند المظاهر والاعراض . و الاساس المتين الذي تقوم عليه الثقافة الواعية ، ثقافة القلب والعقل والحس ، هو الاعتداد بالقيم الروحية و المبادئ الاخلاقية فلسنا نتصور ان مثقفا واعيا لا تصدر افكاره واعماله عن بعيث

راسخ بان الثقافة ـ كالحضارة ـ تقوم على الايمان ، اى على الرابطة الاخلاقية التى تدفع الناس الى ان يفكروا ويعملوا متساندين ، مرتفعين على بواعث الانانية والاثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة .

والانسان المثقف منوط برسالة اخلاقية اجتماعية ان يؤديها فهو بحكم وعيه المستنير تكون رسالته السعى الدائب الى تقدم المجتمع واسعاده فهو يجعل جهده ان يزكى فى نفوس الناس الشعور بالمثل الاعلى وهو ذلك الشعور الذى استضاء بنور العقل ، فاصبح حرية نابعة عن الذات ووعيًا للحقوق والواجبات ينبه وعيهم للحقوق حتى لا يستغلهم المستغلون وحتى يتعاونوا فيما بينهم ، وحتى يبذلوا جهودهم من اجل المجتمع . والمجتمع لا يتطلب من المثقف ، لكى يؤدى هذه الرسالة ، ان يكون عارفا فحسب ، بل ان يكون على الخصوص " فاضلا " . ولا يتطلب منه ان يكون قد وصل الى اعلى درجة من الثقافة فحسب ، بل الى اعلى درجة من الاخلاق فى عصره . و ما من واحد من اهل الثقافة يستطيع ان يزهو بنجاح دعوته لاصلاح امته مالم يكن قد بدأ باصلاح نفسه . ان الثقافة الحقيقية هى تلك التى يتألق فيها نور العقل والايمان .

اما المدنية فقد سجلت موقفى منها منذ اكثر من اربعين سنة فى مذكرة حيث قلت ما نصه : ان اعظم مايميز " المدنية " عندى خلق التسامح ، والبعد عن التحيز وتجنب الميل مع الهوى . وما دامت المدنية الحاضرة لاتزال مشوبة بنزعات العصبية وثروات الكراهية ، وعلى الخصوص فى الامور السياسية ، فهى بعيدة فى جوهرها عن المدنية الحقيقية " الحواشية ص ٣٦ " .

فى سنة ١٩٢٧ استوقفتنى مشكلة العلم والاخلاق ، و مضيت اقرأ و أتامل و كانت نتيجة هذه الدراسة التأملية مقالا نشرته بعنوان " هل العلم صديق للانسان ؟ " قلت فيه انى لا ارى حدا لما ياتى به الانسان من مغامرات رهيبة فى آفاق العلم ، وان العقل لا تساوره الحيرة بازاء ماستكون عليه الحياة امام احفادنا " . وقلت مفسرا اسباب تخوفنا من العلم ، مع انه فيما يقال رهن اشارة الانسان و طوع امره " و انه ليهولنا امر القوى التى استطاع العلم ابتعاثها حتى اليوم وقد يساورنا القلق لفكرة القوى التى قد يوفق الى ابتعاثها فى الغد . فقد يأتى يوم نرى فيه الوجود الانسانى نفسه تحت رحمة عالم من العلماء ، ونرى ان لمسة زر صغير قد تفجر قوى عنيفة تقضى على جماعات وشعوب باسرها . . .

"افكانت هذه بنوءةا منى بالاخطار التى سيتعرض لها العالم بعد ذلك بعشرين سنة بفضل الاسلحة الذرية؟ مهما يكن الامر فقد اصبت في مغالى فعبرت عن املى في ان يكون العلم في المستقبل قوة رحيمة كلها خير وبركة تحقق اغناء سكان الارض جميعا. و ذكرت مع ذلك ان الشك يخامرني في استطاعة العلم ان يجعلنا اوفر سعادة وهناء، وان كنت على يقين بانه لايجعلنا اكثر حكمة ورشادا. واشرت في وضوح الى ان صداقة العلم للانسان او عداوته له انما هي مسالة اساسية في صميمها، ترجع الى قوة النفوس ومتانتها. " والامر كله يتوقف علينا، وعلى مدى شعورنا بوجوب الاقلاع عن الخطة السقيمة التى سارت عليها قافلتنا في ماضيها. ولو سار اهل العلم على اساس الحكمة والروية لزال خوفنا منه، ولاصبحنا نرى في ذلك المحسن المفضل الذى يدر الخير على الجنس البشرى جميعا و من ثم نستطيع ان نستخدم المال الذى اعتدنا انفاقه على السلاح والذخائر في وجوه الاصلاح. و في تحسين مرافق الحياة تحسينا من شانه ان يحل مشاكل الاسكان والطعام والزراعة و الصناعة وما اليها، وان يهيء لناحياة ارغد واهنأ و اوفر سلامة واطمئنانا، وعالما ارحب مكانا لا فاقة فيه العصيرة مما كان عليه في تاريخه المضطرب العصيب" . و وجهت التحذير الذى كثيرا ما وجهه المفكرون المعاصرون بعد اطلاق القنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية فقلت " لقد آن لنا ان نتعلم كيف نعيش معا في وفاق وامن وسلام، وان نعمل على تنظيم انفسنا وضم صفوفنا في مواجهة القنبلة النائمة التى لو قدر لها ان تسقط لقضت على الغالب والمغلوب على السواء .

وكتاب الاستاذ البير باييه بعنوان "اخلاق العلم " يؤكد موقفى الحوانى من العلم والاخلاق و المدنية، فالفصول الاولى منه تؤكد هذه الفكرة وهى ان العلم لا يستطيع ان يرشدنا الى القيم الاخلاقيه، ولا الى ماينبغى ان يكون. ولهذا يجب " الا نطلب الى العلم مالا يسوغ له ان يعطينا " (دفاع عن العلم ص ٧٣).

لقد آن ان نختم الحديث فاقول انى الان بعد ان طوفت في الافاق شرقا و غربا، التماسا لمعنى الثقافة والحضارة لااجد معبرا عن موقفى منهما خيرا من بيت عربى للشاعر الصوفى فريد الدين العطار يقول فيه :

فان تقرأ علوم الناس الفا   بلاعشق فما حصلت حرفا

مختارات

من الصحف والمجلات

واقع المجتمع الاسلامي ومستقبله
نشرت جريدة الاهرام في عددها
المؤرخ ٧٦/٤/٢ مايلي :

رغم الاحباط الذى نشعر به و نحن نتابع خطى المسيرة الدينية حولنا . و رغم كل ماهو معتم و باهت فيما يحيط بهذه المسيرة من ظروف و ضغوط الا ان ثمة ضوءا قادما من بعيد . يبشر بامل يفتح الباب للثقة في المستقبل . . ذلك انه بينما ننشغل نحن بعضايا الظاهر والباطن . والنعوش الطائرة . و المجاذيب والمحاسيب والدراويش . و بينما ينفعل بعضنا لقضية اشتراك الملائكة في معارك اكتوبر ولايخجل آخرون من القول بان الارض مسطحة و ليست كروية . . بينمايحدث ذلك ــ و اكثر منه ــ حولنا . اذ بنا نفاجأ بان هناك فريقا آخر من علماء المسلمين وخبرائهم قد نفضوا عن انفسهم كل هذا الغبار وانسحبوا من عالم الخزعبلات والخرافة ثم شغلوا انفسهم بدراسة واقع المجتمع الاسلامي و مستقبله مستخدمين في ذلك حقايق العلم الحديث و عقوله الالكترونية . و مستلهمين فكرهم من القرآن والسنة .

و كما حدث في السودان خلال الثلاثينات عندماكون خريجو الجامعات مؤسسة ثقافية لعبت دورا كبيرا في مستقبل السودان الفكرى والسياسى فيما عرف بعد ذلك " بجماعة الخريجين " فان المسلمين من خريجي الجامعات الامريكيه قد شكلوا مؤسسة مماثلة اطلق عليها اسم " اتحاد الطلبه المسلمين "انضم اليها اغلب العلماء المسلمين المهاجرين والعاملين في الولايات المتحدة الذين صاروا يحتلون مواقع بارزة و متقدمة في الساحة العلمية هناك ، بل ان بين هؤلاء العلماء ستة تفرغوا تماما لمهمة الاعداد لبناء المجتمع الاسلامي ومحاولة تجسيده بصورة مصغرة وسط تجمعات المسلمين في الولايات المتحدة و قد اختار الاتحاد ولاية انديانا

مقرا اساسيا لنشاطه، و مد فروعه في انحاء الولايات المتحدة وكذا، حتى بلغ عددها ١٣٠ فرعا، ينتمي اليها اكثر من ١٣٠ الف باحث مسلم.

يقول الدكتور محمودابو السعود-٦٧ سنة ـ مستشار الاتحاد و استاذ الاقتصاد الاسلامي الذي يعمل الان بجامعة ميسوري ان اتحاد الطلبة المسلمين انشأ ثلاث هيئات علمية تتولى دراسة كل ما يتعلق بالحاضر و المستقبل من وجهة النظر الاسلامية.

وهذه الهيئات هي الجمعية الطبية الاسلامية. و يجرى اعضاؤها بحوثهم على كل ما يتصل بمهنة الطب كالتمريض والدواء ـ جمعية المهندسين وعلماء العلوم التجريبية التي تشمل الاحياء والطبيعة والكيمياء ـ و جمعية العلوم السياسية والاجتماعية الاسلامية ونشاطها يشمل مساحة كبيرة تضم الاقتصاد و التربية والفلسفة والاجتماع والفنون الجميلة و غيرها. و لكل جمعية مجلس ادارتها ومجلة تنشر ابحاث اعضائها.

هذه الجمعيات تقوم بدور آخر غير البحث العلمي. مثل تقديم الاستشارات للدول الاسلامية والسعي لتوفير المنح الدراسية للطلبة المسلمين في البلاد الفقيرة و استقبال المسلمين القادمين من الخارج و رعايتهم حتى يتم الحاقهم بالجامعات.

وينظم اتحاد الطلبة المسلمين مؤتمرا سنويا تناقش فيه قضايا محددة تتعلق بالدافع الاسلامي، يكلف بدراستها فريق من الباحثين كل عام. و عن الاهداف التي يسعى اليها الاتحاد يقول الدكتور ابوالسعود ليس فقط دراسة اسس بناء المجتمع الاسلامي في العصر الحديث، ولكن ايضا تجسيد هذا المجتمع الاسلامي في الواقع الذي يعيشونه هناك. اذ ان هناك اتجاها لتجميع الأسر المسلمة في حيّ واحد بالولايات التي يكثرون فيها. و انشاء مدرسة و وحدة صحية و توفير ظروف التكافل الاجتماعي التي نادى بها الاسلام.

و هذه المشروعات كلها دخلت حيز التنفيذ. فثمة دراسات عميقة اجريت حول خطوات بناء المجتمع الاسلامي بل وحول كيفية انشاء مجتمع اسلامي وسط المجتمع الامريكي بتقاليده و عاداته و قوانينه. وهناك وحدات صحية و مدارس انشئت بالفعل، يعالج فيها المسلمون و يتعلمون مجانا.

و آخر هذه المشروعات يتجسد في انشاء بنك اسلامي بلا فوائد بولاية انديانا. اقيم منذ سنتين ـ على شكل شركة مساهمة ـ معتمدا على مدخرات المسلمين هناك. بدأ بربع مليون دولار. و رأسماله الان حوالي ٦٥٠ الف دولار و رغم تواضع المبلغ في امريكا بالذات الا ان التجربة في حد ذاتها جديرة بالمتابعة.

ذلك ان الخطوة الاولى تمثلت في طرح سندات للبيع قيمة كل منها ١٠٠ دولار و من حصيلة هذه الاسهم و بعض الايداعات

المحدودة ـ بدأ البنك نشاطه . فسعى الى استثمار الاموال في بعض المشروعات الصغيرة مزرعة بيض، تربية عجول ، شراء عقارات ، انشاء مغسلة كبيرة . . و هكذا . و من دخل هذه المشروعات ١٠٪ للقرض الحسن ، اي المساعدة للمحتاجين من المسلمين . و اذا شاء صاحب المال خصمت من ارباحه ٢/٥٪ للزكاة . و فضلا عن ذلك ، فيستطيع كل مساهم ان يقترض لنفسه او لغيره بضمان قيمة اسهمه .

والمشروعات مستمرة واحتمالات النجاح كبيرة .

ويرد الدكتور محمود ابوالسعود على سؤال حول مشكلات الاتحاد فيقول : ا ن "التمويل" على رأسها ذلك ان نشاطاته تعتمد اساسا على اشتراكات الاعضاء ، ثم مساهمات اخرى من الكويت و دولة الامارات و مساهمات متواضعة من عدد محدود من الجماعات الاسلامية في العالم العربي والمؤسف ـ كما يقول ـ ان هذه الجماعات تدو... الدولارات في بناء المساجد و انشاء المكا... في الخارج بينما تقدم عدة مئات فقط م... الدولارات لاتحاد الطلبة المسلمين في الخار...

نحن لانريد ان ينفق المال في بـ... المساجد ـ يضيف الدكتور ابوالسعود فنحـ... نستطيع ان نصلي ونلتقي في اي مكان . لكـ... بحاجة الى مدارس و وحدات صحية و تنفيـ... مشروعات اخرى اكثر نفعا للمسلمين . نحن مثلا اعددنا دراسة ضخمة حول تقييم كل الاحادي... الشريفة و تحديد نسبة صحة كل منها بالعقل الألكتروني ، لتيسير الاستفادة من الاحاديث لجموع الباحثين والمفكرين المسلمين . وتبين ان تكاليف التنفيذ تصل الى ٨٠٠ الف دولار . فتوقف كل شيء في انتظار توفير المبلغ .

ترى ، هل ينجح المسلمون في امريكا فيما فشلنا فيه نحن ؟

كلنا نتمنى ذلك .

شؤون المسلمين في العالم

من يهن يسهل الهوان عليه . . . .   اعداد ـ ابو مقداد

يوما بعد يوم و العدو الجاثم المجرم يضيف الى سجل جرائمه جريمة جديدة ولامن متحرك بل ابناء الامة بين سادر في الغفلة لايهمه سوى اللذائذ والمتع ، و بين خائن باع دينه وكرامته ، واخر لايبالي بمايحدث فهو كالحشة الحرساء امام الحوادث وكانها لاتعنيه ، و بين قلة قليلة واعية للاحداث ولكنها لانستطيع عملا على مسوى الاحداث و تبقي عرضه للتحرق مستعدة لاجابة النداء ولكن بدون جدوى . . .

. . . القدس الكئيب استولى عليه الارجاس و دنسوه . . . و بقي يئن مـــن وطاة الاحتلال ولا من مجيب او متحرك سوى كلمات جوفاء لم تحمل سوى التحدير و تسجيل المواقف ليس الا .

وبعد سنين مثقلة خانقة احرقوا المسجد الاقصى الشريف . . . ولم يكن رد الفعل باحسن مما سبق بل صدرت البيانات وصفت الكلمات . . . و هيهات ان تتحـــرر الارض بالكلام . . . و اخيراً اعتدى على الحرم الابراهيمي و داست ارجل الخيانة والغـــدر على قرآننا العظيم يدفعهم الى ذلك الحقد الدفين ، و كأنهم يريدون الثأر من هذا الكتاب الذى اوجد كيانا لامة هي خيرامة اخرجت للناس ، داست عليه وكأنها تريـــد ان تمزقه و تمحيه من الوجود لانها ترى فيه عقبة كوود . . . و ظننا ان الثائرة ستثـــور ولكننا لم نشاهد سوى آهات و انات و صرخات نفّس بها اولئك الرازحون تحـــت نير الاحتلال عمايقاسونه فقط ، اولئك فقط تظاهروا وصاحوا وتنادوا للثار ، ولكن اين الظهير والاعوان؟ نعم كان الرد الوحيد هو توجيه المدافع والصواريخ ولكن لاالى العـــــدو الصهيوني بل الى صدور بعضنا البعض ، نقتل انفسنا بايدينا . . . نصرة لاعدائنـــا و اضعافا لقوانا

و يبلغ الهوان مداه اذ راينا ان اسرائيل تهدد بانها لاتتحمل قوات حقيقية على ارض الجنوب في لبنان و يركع الاخرون و يستجيبون ,, .

اللهم انا لانعلم امة اصابها التفكك والخذلان كما اصابنا نحن ابناء هـذه الامة ـ فهولاء الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة استطاعوا بتظافرهم و وقوفهم الموحد ان يستذلونا ، فصرنا اذل من الاذلاء ، و وقفنا مكتوفي الايدي امام من علت ايديهم و باءوا بغضب من الله . . .

اللهم رحماك اربط على قلوبنا و شد على ايدينا و ارجع الى العقول رشدها والى القلوب ايمانها لكي لاتبقى اكثر واكثر في التيه والضياع

قرار التهويد والمنطلقات الصهيونية الاولى

لم يكن قرار ضم مدينة القدس مجرد اجراء عـابر أو غير مدروس قامت حكومة اشكول باتخاذه ولكنه كان حلما ومطمحا صهيونيا قديما سبق وأن أكد عليه هيرتزل الزعيم الصهيوني الاول والاب الروحي للحركة الصهيونية .. ففي المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بازل قال هيرتزل . . اذا حصلنا يومـا على مدينة القدس وكنت ما أزال حيا وقادرا على القيام بأي شيء فلن أتوانى لحظة عن إزالة كل شيء ليس مقدساً لدى اليهـود فيهـا وسوف أدمر كل الآثار التي مرت عليها قرون .

أما بن غوريون مؤسس الدولة الاسرائيلية فقد قـال . . . لا معنى لفلسطين بدون القدس . . ولا معنى للقدس بدون الهيكل . . وهكذا شرع حكام اسرائيل منذ الخطوة الأولى لاحتلال مدينة القدس فى تنفيذ اجراءات التهويد المتلاحقة والتي تستهدف فيما تستهدف ازالة المعالم المقدسة الاسلامية والمسيحية واقامة الهيكل اليهودي مكان المسجد الأقصى المبارك .

مجلة هدي الاسلام -الاردن

توقف القتال الشرس في لبنان ـ فعلا ـ حيث تعرضت امتنا الى احدى اهم المآسي في تاريخها الحديث . . . توقفت اصوات المدافع والصواريخ بعد اتصالات اعقبتها لقاءات . . . و لسنا نريد الان ان نتساءل عن امكانية عقد مثل هذا الاتفاق قبل هذا التاريخ . . . لمنع المزيد من القتل و الدمار والخراب . . . و لسنا نعلم الى متى ستبقى الضمائر تسيرها المصالح، و المواقف تنفذ كما تمليها النظرات الضيقة . . . بل الى متى نبقى احجار شطرنج في اللعب الدوليه؟؟ فلندع كل هذا جانبا فان الحديث فيه ذو شجون ـ كما يقال ـ ولنعد الى القضية اللبنانية، التى نرى بشأنها مايلي :

١ـ في لبنان اكثرية اسلامية . . . و لكنها محرومة و مهضومة الحقوق ، بينما نجد الاقلية المسيحية تتمتع بالامتيازات السياسية والاقتصادية وو و . . . و من الضرورى بعد ان تفجرت الاوضاع ان تعطى الاكثرية حقها الطبيعي و ان نسترد ما فقدنه طيلة السنوات السالفة، و ان يكف عن لعبة لا غالب ولا مغلوب ، اذ ما دام الظلم و الابتزاز موجودا فان المشكلة ستبقى نارا تحت الرماد . . . و سيكون ذلك اداة لبعض القوى النفعية ـ كما فعلت و تفعل دائما ـ لكي تستغل هذه الحقوق والمطالب المشروعة و تؤجج النار من جديد و في اي وقت تريد .

و هذا يستدعي ـ في نظرنا ـ وعيا و تنبها و يقظة من القوى الاسلامية وان تتخذلها موقفا موحدا وصفا متماسكا و مطلبا واضحا وصريحا لاشبهة فيه ولا غموض ليقطعوا كل طريق على القوى الانتهازية اللااسلامية من اتخاذنا جسرا لماربهم ،وتدنيس مطالبنا الحقة المشروعة .

٢ـ نشجب و ندين بشده المواقف والاعمال اليمينية الصليبية والتي يحركها الحقد الدفين ، و تنفخ فيها روح الحروب الوحشية التي شنها الافرنج في عصورهم الوسطى المظلمة .

كما نحذر وندين الاعيب اليسار والاحزاب التي تجيد رفع الشعارات ،والتي لايقل حقدها على الاسلام والمسلمين من حقد ابناء الصليب ، فهما وجهان لعملة واحدة ، وعدوان يطلبان صيدا واحدا وهو هذه الامة برسالتها و وجودها ولكن الاختلاف في الشكليات . . . كما اننا نستنكر ماتقوم به بعض وسائل الاعلام من الربط بين قوى اليسار والاحزاب وبين الاسلام والمسلمين اذ اننا نرى العكس من ذلك نتيجة لاختلاف

الهدف والاسلوب والفكر والسلوك .

٣ــ قضيةٌ فلسطين هي قضية اسلاميةٌ مقدسةٌ و ينبغي الحفاظ على قداسها ، و فضح جميع الذين يحاولون المساس بها و تشويهها او جعلها سلما للوصول الى الاهداف الشخصية ، و اننا لنشدد على دعمها و توفير مستلزمات الحياةٌ وقوةٌ الدفع لها ، وفتح جميع حدود دول المواجهةٌ امامها و عدم الاقتصار على لبنان ، و حينذاك فقط يبرهن الجميع على اخلاصهم حقا و عملاً ــ لاقولا فقط ــ للقضيةٌ المقدسةٌ ونخرج عن اطار الشعارات و المصالح والابتزاز .

و لكن هذا الامر يقتضي تقيدا والتزاما من الفلسطينيين بتوحيد صفوفهم و عدم الانصهار في مواقف هذه الدولةٌ او تلك بالاضافةٌ الى تخليص صفوفها من الدخلاء واصحاب المبادئ الهدامةٌ والتي تتفق في نهايةٌ الخط مع العدو في عدائهما للاسلام مقدساته و هكذا و بواسطةٌ توحيد الفكر على اساس من الاسلام فقط يتم توحيد الصف و جمع الشمل لخوض الجهاد المقدس مع اشرس عدو في اخطر موامرةٌ تستهدف الوجود والكيان

***

القوميةٌ . . . والاقليميةٌ . . . . الى متـــى ؟

وصِف رئيس سابق ــ مرارا ــ بانه اول رئيس مصرى يحكم مصر منذ الفي عا . . . فكان ذلك مبعث الدهشةٌ في نفوسنا . . . ذلك لاننا ــ كمسلمين ــ لانجد فرقـ بين ارض اسلاميةٌ و ارض مثلها ، و رجل مسلم و رجل مثله اذا تساويا في التقـــوى الكفاءه ، فكيف تصل بنا العصبيةٌ القوميةٌ بل الاقليميةٌ الى هذا الحد ؟

اليس هذا الفخر يعني النظر الى الفتح الاسلامي في تلك البلاد بعيـــــر الاحتلال ، و ان الذين كانوا يحكمون من المسلمين كلهم من الدخلاء ؟؟

افهل هذا هو التصور الاسلامي الصحيح؟ اولم يعلمنا الاسلام العظيم ان لا تفاضل الابالتقوى؟ و ان نترك العصبيةٌ الجاهليةٌ لانها تقود الى النار ، وتورث الفرا والبغضاء ، و بعد كل هذا فلننظر الى ما جنيناه من امثال هذه الدعوات والصرخات فلقد مزقت الامةٌ الاسلاميةٌ الموحدةٌ و بتخطيط من الاستعمار الظلوم الى قوميـــــا متعددةٌ فانكسرت شوكتها و فقدت قوتها و مركزها العالمي ، و صارت مقودةٌ بدلامن ا

تكون قائدة ، و تابعة بعد ان كانت متبوعة ، و كأن الاعداء لم يكتفوا بذلك ففـــذوا الدعوات الاقليمية التي ثم في ظلالها تقسيم العرب وحدهم الى عشرين دولة الى الان و لعلها قد تزيد ـ لاسمح الله ـ ذلك ان الايادي الخفية وصنائعها تعمل جاهدة في تقطيع اوصال الامة الى اصغر ما تستطيع و يمكن من الوحدات والاجزاء ، و قضية لبنان و مأساتها خير شاهد و دليل ، اذ انطلقت الاقوال و التصريحات لايجاد عدد من الدويلات لكي تكون دمى والاعيب تدار كيفما يشاء لها و يراد ، والامر لايختص بلبنان فهذا الروح الاقليمية الخبيثة سرت و تسرى الى مناطق اخرى في شرق البلاد الاسلامية و غربها ، فالصحراء هناك دولة ، و الجنوب في مكان اخر دولة ، و شمال بلاد اخـر ى دولة . . . و هكذا تتفكك الاقاليم والولايات و نكون مصداقا للاية لأيخربون بيوتهـم بايديهم "

فالى اى مصير تجر هذه الامة في غياب من وعيها و احاسها ؟ و الى متـــى يستمر التمزق والاختلاف ؟ و متى تطل شمس وحدة حقيقية تستند الى فكر اسلامـــي اصيل وايمان خالص صناع ؟ انه الان امل ، و لكننه لابد وان يتحقق بعون الله وتوفيقه ذلك لان العاقبة للاصلح وللمتقين . . .

***

و نحن ماذا اعددنا ؟؟؟ . . .

" الاتحاد السوفياتي يقود حربا اعلاميه ضد الاسلام من ٢٥٠٠ محطة اذاعية و في ٦٤ لغة"

عن نشرة الاخبار الصادرة في الكويت

لاشك ان هذا يمثل هجوما شرسا يشنه على الاسلام احد اعدائه الالــــداء اليوم ، و من هنا تبدو معجزة الاسلام و عظمته اذ يتعرض الى حرب لامثيل لها وعلى عدة جبهات ، فهنا الشيوعيه بكل اساليبها ، و هناك الصليبية بوسائلها و تبشيرها ، والصهيونية بماتلك من دهاء و مكر . . . و الاخطر من كل ذلك الطابور الخامس المنتشر في طول البلاد الاسلامية و عرضها وهم الابناء المستنكرون ، صنائع الثقافة المنحرفة والذين لايقلون هجوما على الاسلام من اعدائه الغرباء . . .

و مع كل هذه الاجواء المتلبدة بالغيوم . . . فان الامل اكبر و اكبر . . .

اذ ان الاسلام هو دين الله . . . والله اكبر من كل شئ . . .
وقد صدق حيث وعد ، وحيث قال " فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض"

★★★

خطوة على الطريق . . .

" استصدرت الجزائر قانونا يجعل العطلة الرسمية فيها يومي الخميس و الجمعة بدلا من السبت والاحد " .

انها ولاشك خطوة مهمة في طريق القضاء على بعض مخلفات الاستعمار ، و نامل ان تقتضي هذا الاثر بقية البلاد الاسلامية التي لايزال يوم الاحد عطلتها الرسمية ، استمرارا لعهد الاستعمار .

و لكن مع ترحيبنا بمثل هذه الخطوات الا اننا نرى الامر اهم من هذا بكثير ، ذلك ان الرواسب الفكرية للاستعمار هي الميدان الاكبر الذى لابد من استعمال القوى وحشد الطاقات فيه من اجل ازالتها نهائيا ، و احلال الافكار الاسلامية الاصيلة محلها ، اننا نريد التزاما حقيقيا بالاسلام عقيده و فكرا و نظاما و منهاجا و سلوكا .

نريده اسلاما ينبسط على جميع جوانب الحياة ــ اسلاما لاتشوبه اشتراكية او رأسمالية . . . بل اسلاما الهيا قرآنيا ، وحينذاك فقط تنسجم الخطى مع بعضها ويظهر اثرها واضحا ومؤثرا في حياة الامة .

★★★

" بيان من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن "

العالم العربي في شغل ، يتلفت المواطن من المحيط الى الخليج فيجد هذا البحر الواسع الممتد والمسمى العالم العربي مشغولا بصغائر الامور والالاعيب العابثة و اللهو والشتائم والتهم المتبادلة ، بينما هو اصم واعمى عما يدبر له في الخفاء وما يخطط لتدميره من مؤامرات .

ان الشعوب العربية والتي هي بنص دساتير الدول مصدر السلطات تستنكر اشد الاستنكار ما يجرى على الساحة العربية من قتال بين الاخوة و صراع دموى مهلك ، و

تهم وشتائم متبادلة و تطالب بالتوقف فورا عن كل ذلك والتزام كل دولة بالمبادى العامة التالية (١) قصرالجهود كلها على الاستعداد لتحرير الاراضي المحتلة. (٢) عدم تدخل اى دولة بشئون الدول الاخرى. (٣) وقف الحملات الصحافية والاذاعية (٤) اعلان حالة الاستنفار الوطني الاجتماعي والصناعي والعلمي والعمراني داخل العالم العربي. (٥) سرعة عقد لقاء بين الملوك والرؤساء العرب و وضع ميثاق وطني ملزم للجميع.

★★★

" جمعية التوعية الاسلامية في البحرين "

جاءنا من جمعية التوعية الاسلامية في البحرين كراس يتحدث عن تاريخها و نشاطاتها و تطلعاتها نقتبس منه مايلي:

انطلاقا من وحي الايمان بالمسئولية الكبرى... و تعبيرا عن الحس الرسالي الواعي... و تجاوبا مع نداء الحق المتمثل في قوله تعالى:
" ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر "
نبت التفكير الجاد المخلص في البحث عن افضل الصيغ لنشر الكلمة الخيرة في آفاقنا الحالكة، و لخلق الواقع الاجتماعي السليم، فكانت " فكرة الجمعية "...
جاءت فكرة الجمعية كصيغة ناجحة، و خطوة مهمة في درب الدعوة الى الله، و حمل الرسالة، و نشر القيم والفضيلة، و خلق الوعي الاسلامي الاصيل.
وقد احتضن الفكره نخبة من الشباب المؤمنين الواعين، الذين صنعتهم الرسالة، فغذوا الفكره من روحهم و فكرهم و طاقاتهم، و حرصوا على رعايتها وحراستها للوصول بها الى المستوى الذى يحقق لها اهدفها الكبرى في الصورة التي قدمنها الاية الكريمة السابقة.
و هي تجربة لاتقف عند درجة من النضج، لان السير في طريق الاية، و كما تريد، مهمة فوق ان تقف عند حد من قابليات الانسان غيرالمعصوم.
و قد مرت هذه التجربة في مسيرتها التكاملية عبر مراحل مختلفة، كانت في جميعها التعبيرالصادق عن الوعي الرسالي، والحس الايماني، والشعورالندى، والحب

الوفي للمجتمع من حيث اوسع اطره الجامعة و هوالاطار الانساني الشامل الذى يتكفل الاسلام يحفظه ورعايته .

و يمكن ان نرسم خطا تاريخيا يوضح المراحل المختلفة التي عبرتها الفكرة منذ مولدها حتى اصبحت وجودا ذا ايجابيات بناءة تتصاعد يوما بعد يوم فتمثل صوره رائعة لاسلوب التوعية الاسلامية الهادفة بما تنشر من هدى واستقامة، ووعي و محبه و بما تبني من نفوس و ارواح و قلوب تتنادى لفعل الخيروالفضيلة، و تتناهى عن فعل الشر والرذيلة .

و نوجز هذه المراحل في النقاط التالية

١ـ ولدت الفكرة في سنه (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م) وكانت تحمل اسم " هيئة الاحتفالات الدينية " و قد مارست هذه الهيئة انشطة معطاءة تمثلت في ؛

ا ـ اقامة الاحتفالات الدينية .

ب ـ عقد ندوات ثقافية .

جـ ـ اقامة مواسم ثقافية سنوية في شهر رمضان ، و كان المسجد مركزالعمل لهذه الهيئة .

٢ـ في (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م) تقدم القائمون على " هيئة الاحتفالات الدينية " الى دائرةالعمل والشئون الاجتماعية بطلب لانشاء جمعية تحت اسم "الجمعية الاسلامية " .

٣ـ في (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) حصلت " الجمعية الاسلامية" بالدراز على اجازة رسمية موقتة تجدد سنويا .

و كانت الجمعية في هذه المرحلة تمارس عدة انشطة اسلامية منها .

ـ التعليم الديني .

ـ توفير الكتب الاسلامية .

ـ احياء الاحتفالات والمناسبات الدينية .

ـ المحاضرات و الندوات .

٤ـ في (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) حصلت الجمعية على اجازة رسمية دائمة، وقد اصبحت الجمعية تحمل اسما جديدا هو " جمعية التوعية الاسلامية " .

٥ـ في (منتصف شعبان ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م) بدأالعمل لانشاء مقر للجمعية يتناسب والرسالة الكبيرة التي تحملها الجمعية على عاتقها .

وقد انتهت اللمسات الاخيرة في هذا المشروع بتاريخ (٢٥ جمادى الاولى ١٣٩٦هـ) .

٦ـ وفي ليلة الجمعة (٥ ذي القعده ١٣٩٦هـ) تم افتتاح المقر الجديد للجمعية .

اهداف الجمعية

اولا: نشر الوعي الاسلامي و تعميق الفكر في ظل هذا الوعي عن طريق :

١ـ التعليم و التثقيف .

٢ـ توفير الكتاب الاسلامي .

٣ـ الكتابة و النشر .

٤ـ المحاضرات و الندوات .

٥ـ الاحتفالات الدينية .

٦ـ اقامة المواسم الثقافية .

ثانيا: خلق الارضية الايمانية والواقع الاجتماعي السليم عن طريق:

١ـ تكثيف المظاهر الاسلامية .

٢ـ صياغة الذهنية الاسلامية صياغة متينة ، و ايجاد البناء المتكامل في الشخصية المؤمنة .

٣ـ محاربة الجهل والفساد والانحراف .

٤ـ صيانة الشباب من الوقوع في اسر التيارات المضللة ، و المبادىء الفكرية الهدامة .

٥ـ التجاوب العملي مع منطوق الاية الكريمة " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر " يبعث الحس الديني ويعطف النشر الاسلامي

ثالثا: ايقاظ الامة ، وتحسيسها موقعها في الحياة لتنتبه على دورها التاريخي والرسالي الكبير ، الامر الذي يعيد للامة شعورها الغني بالثقة ، و ينقذها من حس التبعية والضمور ، و يشحن فيها وقود الحركة والصمود امام العز والحضاري الكافر .

رابعا: خلق تلاق وتلاحم فكري و شعوري بين الفئات المؤمنة ، لمواجهة التيارات الفكرية الدخيلة والمبادىء الكافرة التي تحاول اقتلاع جذور الايمان في هذا

البلد المسلم .

خامسا: فتح الافاق الواسعة لتنمية الروح العلمية الاسلامية القائمة على اساس البحث والاطلاع والتزود الثقافي والعلمي .

الهادي: ونحن نبارك للجمعية الفتية خطواتها الحثيثة في سبيل خدمة الاسلام ونشر مبادئه الحكيمة، و تنشئة الجيل المؤمن الصالح .

و نسأل الله لهم و لكل العاملين مزيدا من التوفيق والنجاح

بيان طلابي ..

أصدر اتحاد الطلبة المسلمين في جنوب شرق آسيا بيانا هاما أعلن فيه رأيه بالأحداث الاسلامية جاء فيه :

١ ـ الرفض القاطع لجميع الأفكار والنظم غير الاسلامية كالشيوعية ، والعلمانية، والصهيونية، والرأسمالية .

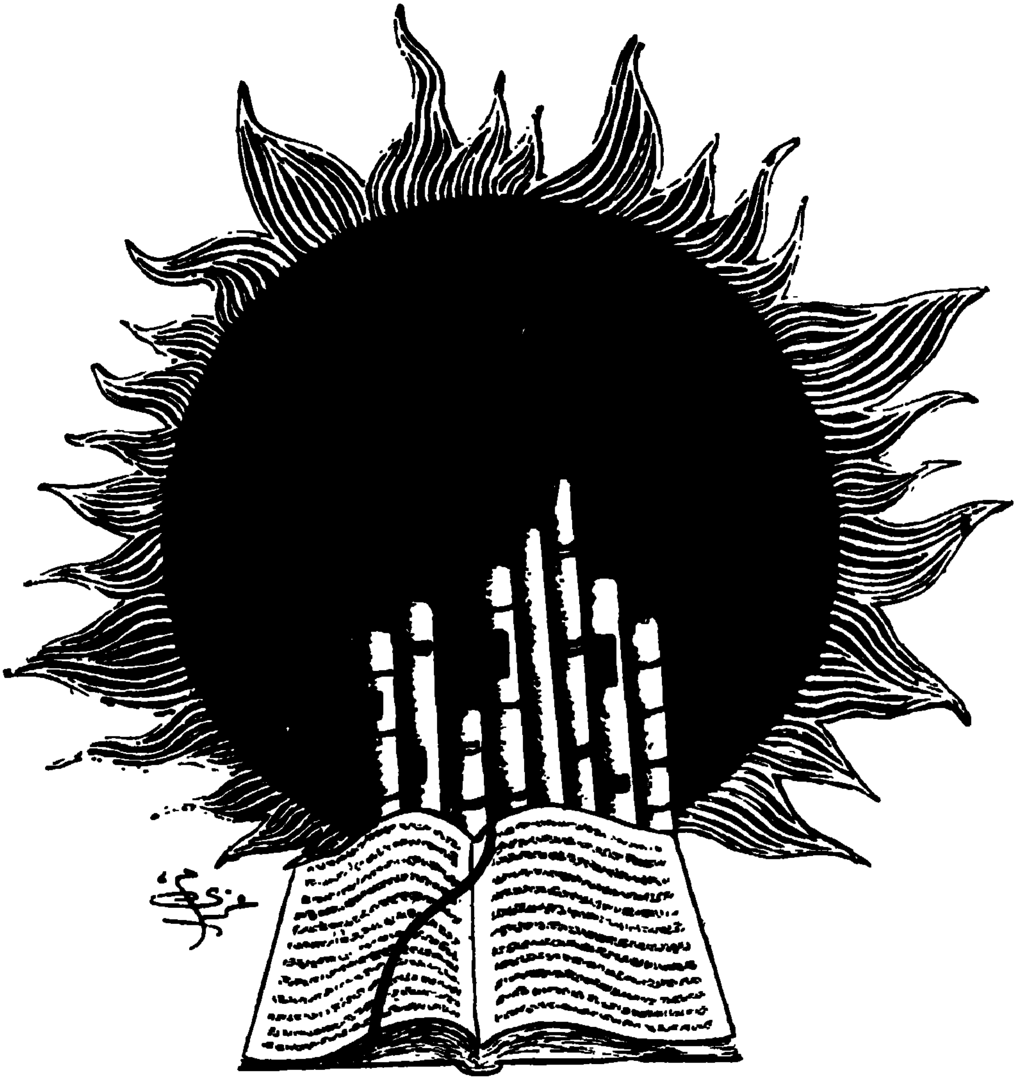
٢ ـ يؤخذ الاسلام جملة واحدة ولا يمزج مع غيره من الأفكار فلا يقال اشتراكية الاسلام أو ديمقراطية الاسلام .. بل الاسلام هو دين الله

٣ ـ النظام التعليمي الحالي القائم على أساس علماني لا يخرج .... الانسان الصالح المتوازن .

٤ ـ التصدي للتحركات والمؤامرات اليهودية والنصرانية التي تحول دون تقدم المد الاسلامي .

٥ ـ من المؤسف حقا أن نرى حالة العالم الاسلامي بهذه الصورة المفككة ، ونحن ندعو هذا العالم الى أن يبني وحدته على أسا الفهم الصحيح لتعاليم الاسلام .

٦ ـ نطالب بوضع المرأة في المكان الذي حددته لها الشريعة الاسلا ولذا نطالب بالقضاء على البغاء والتبرج والخلاعة .. وكل ما يمس للمرأة كانسان كريم .



كتاب العدد

دراسات وابحاث

الحروف الزائدة في القرآن الكريم

بقلم
السيد طالب الحسيني الرفاعي

القاهرة

تشتمل بعض الاساليب العربية أحياناً على أحرف يمكن الاستغناء عنها،ويعبر بصريون عنهذه الاحرف بالزيادة واللغو ،ويعبر الكوفيون عنها بالصلة والحشو. ا المراد بزيادتها في الكلام فهو التوكيد . قال سيبويه : « وأما قوله : عزوجل: نبما نقضهم ميثاقهم) (١) فانما جاء لانه ليس لها معنى سوى ماكان أن تجيءالا وكيد ، فمن ثم جاز ذلك اذا لم ترد بها أكثر من هذا » (٢) .

ويرى ابن جنى « ان زيادة الحروف خارجة على القياس ، ولكنها مع ذلك برة لارادة التوكيد بها ، لان الغرض في استعمالها انما هو الايجاز و الاختصار و،الاكتفاء من الافعال و فاعليها ، فاذا زيد ما هذه فهو تناه في التوكيد » (٣) .

ويقول ابن هشام ، « لامعنى لان الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد »،ويعلق الامير على ذلك فيقول : (قوله غير التوكيد) ، قال الرضى : فان قيل اذا أفادت فائدة وهى التقوية فلا ينبغى أن تعد زائدة ، فالجواب انها زائدة على اصل المعنى المراد . قال :ويلزم على ان يعدوا جميع ماأفاد التوكيد كأنالناسخة ،ولامالتوكيد، وألفاظ التوكيد أسماء كانت أولا ـ زوائد . ولك أن تجيب عن بحثه بأن الزائد ما وضع لمعنى أصلى ، فأنسلخ عنه لمجرد التأكيد . اما ان وضع للتأكيد فالتأكيد بالنسبة له لمعنى الاصلى ، لانه فيه لم يزد ولم يخرج عما وصع له » (٤) .

ويقول ابنهشام أيضا:«من أقسام لاالنافية المعترضة بين الخافض والمخفوض، نحو جئت بلازاد . . . وعن الكوفيين انها اسم . . .وغيرهم يراهاحرفا،ويسميها زائدة ، كما يسمون كان فى نحو : زيد كان فاضل زائدة ، وان كانت مفيدة لمعنى هو المضى والانقطاع فعلم انهم قد يريدون بالزائد المعترض بين شيئين متطالبين ، ان لم يصح المعنى باسقاطه »(٥) .

يتبين من هذا أن الزيادة نوعان : زيادة لمجرد توكيد المعنى الاصلى ، وهذا

(١) : سورة النساء ١٥٥ والمائدة : ١٣ .
(٢) : الكتاب : ١ : ٩٢ .
(٣) : الخصائص : ٢ : ٢٧٩ ، ٢٨٤ .
(٤) : المغنى وحاشية الامير عليه : ١ : ٣٠ .
(٥) : المغنى : ١ : ١٨٣ .

النوع يمكن الاستغناء عنه لان معناه زائـد على المعنـى الاصلى ، وزيادة المع لايتحقق الا بها ، لكن ذكرها بين شيئين يطلب كل منهمـا الاخـر بجعلها مفح لامكان لها بينهما لولا المعنى الذى يؤتى بها له .

وسيأتى فى الحديث عن الزيادةفى القرآن بيان للتوكيد الذى تؤديه أحرو الزيادة فى الكلام .

والزيادة فى الحروف كثيرة ، وفى الافعال قليلة . . أما الاسماء فالاكثـرو على أنها لاتزاد وما ذكره بعضهم من الشواهد لزيادتها مؤول ، كزيادة مثـل في قوله تعالى : (فان آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا) (١) .

يقول صاحب المغنى عن زيادتها ، وعن تأويل الاية بما ينفى الزيادة عنها :«وامـ (بمثل ماآمنتم) فقد يشهد للقائل بزيادة مثل فيها قراءة ابن عباس (بمـا آمنتم) . وقد تؤولت قراءة الجماعةعلى زيادةالباءفى المفعول المطلق ، اى ايمانا مثل ايمانكم به ، أى بالله سبحانه وتعالى ، أو بمحمد عليه الصلاة والسـلام» . وزاد تأويلات أخرى لتعزيز نفى زيادة مثل فى الاية . (٢) .

الزيادة فى القرآن الكريم

يختلف العلماء فى وقوع الزيادة فى القرآن الكريم ،فنفاها المبرد وثعلبومن وافقهما، واثبتها الجمهور لكثرتها على وجه لايسع انكاره . ويلتمس المنكرونلها ضروبامن التكلف لاتغنى عنهم شيئا ومن امثلة ذلك قول الرازى : «فأما (ما) فى قوله تعالى : (فبما رحمة من الله) فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب ، والتقديـر فأى رحمة ؟ .

وقد رد تأويله هذا بانه جعل (ما) مضافة للرحمة وأسماء الاستفهام التعجبى لايضاف منها غير أى . واذا لم تصح الاضافة كان مابعدها بدلا منها ،والمبدل مـن اسم الاستفهام يجب معه ذكـر همزة الاستفهام (٣) .

(١) : سورة البقرة : ١٢٧ . (٣) : البرهان : ج ٣ : ٧٢ .
(٢) : المغنى : ١ : ١٤٣ .

والظاهر أن منشأ هذا الخلاف هو أن كلمة الزيادة أو اللغو التى توصف بها الاحرف التى يؤتى بهالتوكيد المعنى تشعر بأن فى القرآن كلاما لامعنى له . واذا يكون ذكـره فيه نوعـا من العبث والحشو . ذلك الى أن التوكيد الذى يقال ان الزيادة تفيده غير محدد المعنى تحديداً واضحاً فى بعض الايات على الاقل ،كآية (فبما رحمة من الله لنت لهم) (١) ، وما قاله بعضهم لبيان التوكيد الذى أفادته فيها كلمةماافصل لايظهرأنه منالتوكيد بمعناه المعروف الذى يكسب المعنى قوةوتمكنا. فقد روى انه قد«سئل بعضالعلماءعن التوكيد بالحرف ومامعناه ،اذ اسقاط الحرف لايخل بالمعنى ، فقال : هذا يعرفه أهل الطباع ، اذ يجدون أنفسهم بوجودالحرف على معنى زائد لايجدونه باسقاط الحرف ، قال : ومثال ذلك العارف بوزن الشعر طبعاً ، فاذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال : أجد فى نفسى على خلاف ما أجده باقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروفتتغير نفس المطبوع عن نقصانها ،ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف مايجدها بنقصانه (٢) .

ويلاحظ أن تشبيه زيادة الحرف واحساس العالم بفائدته فى الكـلام باحساس العارف بوزن الشعر تشبيه غير دقيق ، لان اسقاط الحرف الزائد منالكلام لايفسد المعنى بخلاف اسقاطه أو زيادة حرف معـه فى وزن الشعـر ، لان ذلـك يخـل بالوزن ويفقد الشعر ركنا من أركانه .

وعلى كل حال ليست زيادة الحرف لغوا فى الكلام، لان لهااثراً فى معناه، اذ هى تنبه القارىء أو السامع الى مايقرأ أو يسمع فيكون وعيه أكثر ، ونظره فيـه أطول . و يشرح ابن جنى ذلك حينالحديث عن قراءة بعضهـم (ياحسـره علـى العباد(٣)) بسكون الهاء ، فيقول : «العرب اذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته ولا معتزمة عليه ـ أسرعت فيه ولم تتأن على اللفظ المعبر عنه ، وذلك كقوله : قلنا لها قفى لنا قالت قاف . معناه وقفت ، فاقتصرت من جملة الكلمة على حـرف منها ،

(١) : سورة آل عمران : ١٥٩ . (٣) سورة يس : ٢٠ .
(٢) : البرهان ج ٣ : ٧٤ .

تهاونا بالحال وتثاقلا عن الاجابة واعتماد المقال . ويكفى فى ذلك قول الله سبحـ وتعالى (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قالوا فى تفسيره هو كقولك لاوالله وبا والله . فاين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى من التثبت فيه والاشباع له والمماط لمـيه من قول الهذلى :

فوالله لاانسى قتيلا رزئته بجانب قوسى مامشيت على الارض

ويؤيد قول ابن جنى مايصنعه العامة حين الدلالة على بعـد الشيء حين الاشار اليه فهم يقولون هناك يمدون الألف اكثر من المعتاد . وفى الهمع (١) لن للنفى القريب ولا للنفى البعيد لان آخرها حرف مد بخلاف لن . ثم يقول : وعلى هـذ قال سيبويه : «انهم يقولون سير عليه ليل ، يريدون ليل طويل . وهذا انما يفهم عنه بتطويل الياء ، فيقولون : سير عليه ليل ، فقامت المدة مقام الصفة . ومن ذلك ما ـ تستعمله العرب من اشباع مدات التأسيس والردف والوصل والخروج عناية بالقافية، اذا كانت للشعر نظاما وللبيت اختتاما » . ثم يقول : « الاصوات تابعة للمعانى فمتـى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت ويكفيك من ذلك قولهم : قطع وقطع ،وكسر وكسر . زادوا فى الصوت لزيادة المعنى »(٢) .

لهذا كله لانرى وجهاً لانكار الزيادة فى القرآن الكريم ، لانها لاتمس تنزهـه عن الحشو الذى لافائدة له فى الكلام . ثم ان اللغة العربية لاتخلو من الزيادة ولا نعرف أحدينكرذلك .والقرآن الكريم انما نزل باللسان العربى ليتحقق معنى التحدى به ولتقوم الحجة على العجز عن الاتيان بمثله .

ولهذا يشتمل القرآن على بعض الأساليب التى يسبق الى الذهن انها تتضمن بعض مالا يتفق مع كمال الله تعالى ، كاستعمال اسلوب الشك فى قولـه تعالـى : (وارسلناه الى مائة الف او يزيدون) (٣) فلماذا لايستعمل الزيادة فى اساليبه وهى ظاهرة مقررة وشائعة فى العربية ؟ .

(١) الهمع : ج ٢ : ٤ .
(٢) المحتسب : ٢ : ٢٠٨ - ٢١٠ .
(٣) سورة الصافات : ١٤٧ .

الحروف الزائدة

ذكر ابن يعيش في شرح المفصل ان الحروف التي تزاد،ستة ، وهي : من ، والباء وما ، ولا ، وان المكسورة ، الهمزة الساكنة النون ، وان المفتوحة الهمزة الساكنة النون ايضاً (١) .

وزاد السيوطي في الاتقان الكلمات الاتية على هذه الستة ، وهي : اذ ، واذا والى ، وام ، وفي ، والكاف ، واللام ، والواو(٢) . وقد رجعنا الى هذه الكلمات في الهمع لنرى مايقول السيوطي عن زيادتها فاذا القول بزيادتها لايعدو ان يكون رأيا لبعض النحويين ، أو أن يكون لضرورة. ولا يعتذر تخريج الشواهد التي جيء بها على وجه آخر سوى الزيادة . وهي زيادة لايعول عليها في هذا المقام ، ومن امثلتها ، ان الفراء يذهب الى زيادة (الى) للتوكيد كما في قوله تعالى ، (فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم)(٣) فالمعنى تهواهم وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل،وأن الفارسي يرى ان(في)تزاد ضرورة لااختيارا، كقول سويد بن ابي كاهل اليشكري:

أنا ابو سعد اذا الليل دجى　　　يخال في سواده يرندجا

فالاصل : يخال سواده يرندجا ، ويحتمل ان تكون في هنا سببية لازائدة(٤).

زيادة مــن

تزاد من اما للتنصيص على العموم ، واما لتوكيده .فالاولى هي الداخلة على نكرة لاتختص بالنفي ، نحو ماجاء من رجل ، فالمعنى نفي المجيء عن عموم الرجال ولو قيل : ما جاءني رجل بدون من لاحتملت العبارة ان يكون النفي فيها للوحدة أو للجنس ، والثانية هي الداخلة على نكرة مختصة بالنفي وشبهه ، نحو ما

(١) شرح ابن يعيش للمفصل : ٨ : ١٢٨، ١٢٩ .
(٢) الاتقان تحقيق ابي الفضل ابراهيم : ٣ : ١٩٦ - ١٩٧
(٣) سورة ابراهيم : ٢٧ .
(٤) الهمع : ١ : ٢٠٥ : ٢٠٧ وج ٢ : ٢٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢، ١٣١ ، ١٣٤والدرر اللوامع : ٢ : ٢٦ .

جاءني من احد او من ديار ، فان احد وديار تفيدان العموم ، فزيادة من لتوكيد،

ويشترط لزيادتها ثلاثة شروط : احدها ان تسبق بنفي نحو (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) (١) او استفهام بهل نحو (فارجع البصر هل ترى من فطور)(٢) او نهي نحو لايقم من احد . والشرط الثاني ان يكون مجرورها نكرة ، و الشرط الثالث ان يكون اما فاعلا نحو (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) (٣) ، او مفعولا به نحو (ما اتخذ الله من ولد) (٤) او مبتدا نحو (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق)(٥)

هذا هو المشهور من شروط زيادة من ،ولم يشترط الأخفش لزيادتها الشرطين الاول والثاني ، واستدل بنحو (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) (٦) ، وسيأتي تفصيل الكلام عن الاية ، ولم يشترط الكوفيون الشرط الاول ، واستدلوا بقولهم قد كان من مطر ، ويخرج المخالفون هذه العبارة على ان فاعل كان ضمير مستتر يعود على اسم فاعل تضمنه الفعل ، والتقدير كان هو اى كائن من جنس المطر ، فمن بيانية والجار والمجرور حال من الفاعل ، وخرجت ايضا على ان زيادة من على الحكاية كأنه سئل : هل كان من مطر ؟ فأجيب على الحكاية ؛ كان مطر ، كما قالوا : دعنا من تمرتان حكاية للكلمة بالرفع كما ذكرت في عبارة المتكلم (٧) .

زيادة من في القرآن الكريم

ذكرت من الزائدة في القرآن الكريم خمسا ومائتي مرة ،وقد نفي الأسلوب فيها بما اربعا وثمانين ومائة مرة ، ونفي بان خمس مرات ، وذكرت فيها هل ست عشرة مرة . ودخلت (من) على المبتدا اثني عشر ومائتي مرة . منها قوله تعالى في سورة الأسراء ؛ ٥٨ (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ، وقوله في سورة آل عمران : ١٥٤ (يقولون هل لنا من الامر من شيء) .

(١) سورة الملك : ٣
(٢) سورة الملك : ٤
(٣) سورة الانعام : ٥٩ .
(٤) سورة المؤمنون : ٩١ .
(٥) سورة البقرة : ١٠٢ .
(٦) سورة الانعام : ٣٤ .
(٧) المغني بحاشية الدسوقي ج ١ ص ٤٣٤ ، والتصريح : ٢ : ٩ ، حاشية الصبان على الاشموني : ٢ : ٢٠٤ .

ودخلت على المفعول به اربعة وخمسين مرة ، ومنها قوله تعالى سورة مريم:
٩ (هل تحس منهم من احد) ، وقوله فى سورة يس: ١٥ (وما انزل الرحمن من
ىء ان انتم الا تكذبون) ودخلت على الفاعل احدى وثلاثين مرة ، منها قوله
الى فى سورة الأنعام : ٥٩ (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) ، وقوله فى سورة
توبة : ١٢٧ (نظر بعضهم الى بعض هل يراكم احد) .

ودخلت على اسم كان ست مرات ، منها قوله تعالى فى سورة هود : ٢٠(وما كان لهم من دون الله من اولياء) وقوله فى سورة الصافات : ٣٠ (وما كان لنا عليكم من سلطان) ، ودخلت على نائب الفاعل مرتين ، وهما قوله تعالى فى سورة البقرة ١٠٥ (وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير) وقوله فى سورة فاطر : ١١ (وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب). ولا نعرف أن من النحويين من ذكر أن من تزاد قبل اسم كان ونائب الفاعل .وكأنهم نظروا الى ان اسم كان مبتدأ فى الأصل ،وان نائب الفاعل يحل محل الفاعل وتثبت أحكامه له ، ولذلك سكتوا عن ذكرها على أنه لايبعد أن يكون عدم ذكرها لانها من الفوائت التى تند عن الاحاطة والاستقصاء .

ونلاحظ أن اسم كان فى المواضع الستة التى زيدت فيها (من) كان مؤخرا،وكان الخبر فيها ظرف زمان أو جارا ومجروراً . وليس فى القرآن آية تشتمل على الزائدة لتوكيد العموم ولكن الزائدة فيها انما جاءت للتنصيص عليه .

واكثر ماتدور عليه الايات التى زيدت فيها من هو :

١ ـ اثبات الولاية لله تعالى على جميع خلقه بلا منازع ، ومن ذلك قوله تعالى (وما لكم من دون الله ولي ولا نصير)(١) ، وقوله (وما لهم من دونه من وال) (٢) وقوله : (ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير)(٣) .

٢ ـ نفي النصرة عن أعدائه أن تأتيهم من غيره جل شأنه، نحو : (وما للظالمين

(١) البقرة : ١٠٧ .   (٣) العنكبوت : ٢٢ .
(٢) الرعد : ١١ .

من أنصار) (١) ، ونحو : (أولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة ومالهم من ناصرين) (٢) ونحو : (فاما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديداً في الدنيا والاخرة ومالهم من ناصرين)(٣) ، ونحو (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما للظالمين من انصار)(٤) ، ونحو (وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والاخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير)(٥) .

٣ ـ توكيد وحدانيته سبحانه ، ونفي الألوهية عن غيره ، كقوله : (وما من اله الا الله) (٦) وقوله : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله)(٧) ، وقوله :(وما من اله الا الله الواحد القهار)(٨) .

٤ ـ توكيد قدرته ونفاذ سلطانه ، وتفرده بتدبير شئون خلقه ، والعلم بكل صغيرة وكبيرة في الأرض والسماء ، كقوله : (مالهم من الله من عاصم)(٩) ، وقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم)(١٠) ، وقوله : (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب)(١١) ، وقوله : (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من احد من بعده)(١٢) وقوله : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب)(١٣)، وقوله : (وماتكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) (١٤) .

٥ ـ حكاية بعض أقوال المرسلين صلوات الله عليهم فى مواقف الدعوة الى الله ، والتنفير من المنكرات التى ينهى عنها كقوله تعالى : (فان توليتم فما سألتكم

(١) البقرة : ٢٧٠ .
(٢) آل عمران : ٢٢ .
(٣) آل عمران : ٥٦ .
(٤) المائدة : ٧٢ .
(٥) التوبة ٧٤ .
(٦) آل عمران : ٦٢ .
(٧) المؤمنون : ٩١ .
(٨) ص : ٦٥ .
(٩) يونس : ٢٧ .
(١٠) فاطر : ٣ .
(١١) ق : ٣٨ .
(١٢) فاطر : ٤١ .
(١٣) ق : ٣٨
(١٤) يونس : ٦١ .

من أجر) (١) ، وقوله : (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)(٢) . وقوله : (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)(٣) ، وقوله : (ولوطا اذ قال لقومه : انكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين)(٤) .

٦ ـ حكاية يأس العصاة من رحمة الله حين تبدو لهم الحقائق على وجهها يوم الدين ، لاينفعهم اقرارهم بألوهيته تعالى ولا ندمهم على مااقترفوا في الحياة من ذنوب ، كقوله : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) . الشعراء : ١٠٠، وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) غافر : ١١ ، وكقوله : (ويوم يناديهم : اين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص .)فصلت : ٤٧، ٤٨وقوله: (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون : هل الى مرد من سبيل) الشورى : ٤٤ .

وقد سبق ان الاخفش لايشترط في زيادة من وجود النفي او الاستفهام قبلها ولا تنكير المجرور بعدها . ويستدل بآية (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) (٥) . و المعنى على زيادة من ؛ ولقد جاءك نبأ من المرسلين ، وهو معنى قريب ولا تأويل فيه ، ولكنه خال من معنى التوكيد الذى تصنعه من،حين تزاد كما لايخفى ، ولا سيما اذا قرنت الى اشبه آية بها في الاسلوب كقوله تعالى (ماجاءنا من بشير) لهذا نقول مع القائلين : ان (من) في الاية غير زائدة ، لان المعنى ـ على ماجاء في البحر ـ ليس على العموم فان الذى جاء الرسول بعض انباء المرسلين لاكلها قوله تعالى : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)(٦) اما فاعل جاء ضمير مستتر تقديره هو يعود على المفهوم من الكلام السابق ، وهو قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا و...

(١) يونس : ٧٢ .
(٢) هود : ٦١ .
(٣) المؤمنون : ٢٣ .
(٤) العنكبوت : ٢٨ .
(٥) الانعام : ٣٤ .
(٦) غافر : ٧٨ .

مبدل لكلمات الله) (٢) ، واما (من) فبيانية ، والجار والمجرور حال من الفاعل. والتقدير جاءك هو من نبأ المرسلين . والمراد بهو نبأ تكذيب الرسل وصبرهم عليه وعلى ما اصابهم من اذى (٢) .

والعرب تتوسع في مرجع الضمير ،فترجعه الى المصدر الذى يدل عليه فعل قبله ، نحو : (اعدلوا هو اقرب للتقوى) (٣) وترجعه الى المفهوم من الكلام دون ذكره ، نحو : (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) (٤) ، وترجعه الى مايشير اليه فى الاية نحو (الا أن تكون تجارة حاضرة)(٥) فاسم كان مستتر ، والتقدير الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة .

ومن الايات التى يذكرون ان الاخفش يحتج بمثلها لرايه فى زيادة (من) قوله تعالى : (يحلون فيها من اساور من ذهب) (٦) ، وقوله . (ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) (٧) ، ونلاحظ ان (من) فى كلتا الايتين لاتفيد ماتفيده من الزائدة من قوة وتأكيد .على ان الزمخشرى يقول عن الاية الاولى :«ان من الاولى للابتداء والثانية للتبيين(٨)»، واما (من) فى الاية الثانية فيجعلها للتبعيض ويقول :«فان قلت لم بعض فى قوله:(من ذنوبكم)؟ قلت :لان من الذنوب مالا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها . ونحوه قوله عزوجل : (ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) (٩) .

والظاهر ان الذى حمل الاخفش على جعل من فى الايتين زائدة انها لم تذكر فى بعض مايشبههما من الايات ، كقوله تعالى : (وحلوا اساور من فضة) (١٠) ،وقوله: (يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) (١١) . فان صح هذا لم يكن الحكم عنده بالزيادة لما تكسبه المعنى من قوة وتأكيد ، ولكن لمجرد ذكرها حينا وحذفها

(٤) النحل : ٦١ .
(٨) الكشاف ج١ :٥٦٨، ٢: ٢٧٤
(١) الانعام : ٣٤
(٥) البقرة : ٢٨٢ .
(٩) نوح : ٢ .
(٢) البحر المحيط ٤ : ١١٣
(٦) الكهف ٣١
(١٠) الانسان : ٢١ .
(٣) المائده . ٨ .
(٧) الاحقاف : ٣١ .
(١١) الاحزاب : ٧١ .

حينا آخر . على ان الزيادة فى الايتين ليست حتماً لازما ، فقد ذهب الزمخشرى بهما مذهبا آخر ليس من الزيادة فى شيء .

ويقول ابن هشام : « واما قول ابى البقاء فى (ماننسخ من آية) : انه يجوز كون آية حالا ومن زائدة كما جاءت آية حالا فى (هذه ناقة الله لكم آية) (١) . والمعنى : اى شيء ننسخ قليلا او كثيرا ــ ففيه تخريج التنزيل على شيء ان ثبت فهو شاذ ، اعنى زيادة من فى الحال ، وتقدير ماليس بمشتق ولا منتقل ولا يظهر فيه معنى الحال حالا ، والتنظير بما لايناسب، فان (آية) فى (هذه ناقة الله لكم آية) بمعنى علامة ، لاواحدة الاى ، وتفسير اللفظ بما لايحتمله ، وهو قوله : قليلا او كثيرا ، وانما ذلك مستفاد من اسم الشرط لعمومه ، لا من آية (٢) .

وكلام ابى البقاء عن الاية فى اعرابها وتفسيرها يشبه بعدما قاله ابن هشام عنها ان يكون كلاما يدعو اليه مجرد الرغبة فى ذكر المحتملات وتعديد الاوجه ، ولو كانت بعيدة او غير جارية على مايقتضيه اصل المعنى وسلامة الاسلوب من التكلف والاغراب

الباء :

يذكر النحاة ان الباء تزاد فى ستة مواضع ، وهى :

١ ــ الفاعل ، وزيادتها فيه واجبة وغالبة ، فالواجبة فى فاعل افعل به فى التعجب عند الجمهور ، نحو احسن بالصدق فالاصل عنده احسن الصدق، اى صار ذا حسن، ثم غيرت صيغة الخبر الى الطلب ، فزيدت الباء اصلاحاً للفظ ، حتى لايلزم بحسب الظاهر رفع فعل الامر للاسم الظاهر .

والغالبة فى فاعل كفى اللازم ، ومعناه وقع به الاكتفاء نحو (وكفى بنا حاسبين) (٣) بخلاف المتعدى لواحد ، ومعناه اجزا ، كقول امرىء القيس :

ولو ان ماسعى لادنى معيشة كفانى ولم اطلب قليل من المال

والمتعدى لاثنين ، ومعناه وفى، كقوله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال)(٤)

(١) الانعام : ٣٤ . (٢) المغنى : ٢ : ١٦ . (٣) الانبياء ٤٧ . (٤) الاحزاب . ٢٥ .

٢ ـ المفعول به ، ويكثر زيادتها في مفعول المتعدى لواحد ،نحوسمعت ، و جهلت وعرفت ، وعلمت ، نحوعلمت به اى بحاله وتقل زيادتها في مفعول الفعل الذى يتعدى الى اثنين كقول حسان :

تبلت فؤادك في المنام خريدة　　　تسقى الضجيع ببارد بسام

وزيدت في مفعول كفى المتعدية الى واحد ، كما في حديث «كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ماسمع» .

٣ ـ المبتدأ، نحو : بحسبك درهم ، ونحو :خرجت فاذا بزيد مقبل ، ونحو: كيف بك اذا وقفت ؟ .

٤ ـ الخبر المنفى ، وزيادتها فيه قياسية ، نحو : (اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) (١) ، ونحو : (وما ربك بظلام للعبيد) (٢) ، وذهب الاخفش و فريق من النحويين الى زيادتها في الخبر المثبت

٥ ـ الحال المنفى عاملها ، نحو :

فما رجعت بخائبة ركاب　　　حكيم بين المسيب منتهاها

٦ ـ التوكيد بالنفس والعين ، نحو قدم الرئيس بنفسه ، او بعينه (٣) .

الباء الزائدة في القرآن

اكثر مازيدت الباء في القرآن الكريم في خبر ما، فقد ذكرت مزيدة فيه سبعا وسبعين مرة ، منها قوله تعالى في سورة هود : ٨٦ (وما انا عليكم بحفيظ) وذكرت في فاعل كفى خمسا وعشرين مرة ، منها قوله تعالى في سورة الاسراء : ١٤ (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ، وذكرت في خبر ليس عشرين مرة ، منها قوله تعالى في سورة الانعام :٥٣(اليس الله بأعلم بالشاكرين) ، وذكرت مرة واحدة في خبر ان المسبوقة بنفي في قوله تعالى في سورة الاحقاف : ٣٣ (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى) وزيدت في

(١) سورة القيامة : ٤٠ . (٣) المغنى : ١١٢ ـ ١١٨ ـ ٧٠ . ط بيروت ، وشرح المفصل
(٢) فصلت : ٤٦ . ٨ : ١٣٨ ، ١٩٧

فاعل افعل به فى التعجب فى الاية ٢٦ من سورة الكهف وهى (ابصر بـه واسمع مالهم من دونه من ولى) والاية : ٣٨من سورة مريم ، وهى (اسمع بهم وابصريوم يأتوننا) .

والظاهر ان زيادتها فى فاعل كفى ليست للتوكيد ، ولكن لتقوية ربط الفاعل بفعله فى اللفظ ، فهى على شبه من زيادة الباء فى فاعل افعل به فى التعجب ،ولهذا لانحس فرقا فى قوة المعنى بين قوله تعالى (وكفى بالله حسيبا) (١) ،وقول سحيم:

هريرة ودع ان تجهزت غاديا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ومن الايات التى يذكر بعض العلماء زيادة الباء فيها داخلة على المفعول به :

أ) ـ قوله تعالى فى سورة البقرة : ١٩٥ (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة)على ان المعنى : ولا تلقوا ايديكم الى التهلكة ، وعبر باليد عن النفس ،لان بها الحركة والبطش والامتناع،فيئول المعنى الى : ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة . وهومعنى ليس لازما فقد يكـون مفعول تلقوا محذوفا ، والتقدير : ولا تكفوا انفسكم بايديكم الى التهلكة وتكون الباء حينئذ للاستعانة كالتى فى : كتبت بالقلم ، او للسببية كالتـى ى لاتفسد امرك برأيك . وقد يكون (تلقوا) مضمنا معنى تفضوا ، فعدى بالباء ، كأنه قيل : ولا تفضوا بأيديكم الى التهلكة ، كما يقال :أفضيت بجنبى الى الارض ى طرحت عليها (٢) .

ب) ـقوله تعالى فى سورة مريم :٢٥ (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط) ، زيادة الباء هنا ظاهرة ، والتوكيد بها حاصل ، لانها تشعر بالتشبث و شدة القبض ن الهز الذى يسقط به الرطب لايكون الا بذلك ، ومثلها زيادة الباء فى قوله تعالى ى سورة الحج : ١٥ (من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والأخرة فليمدد بسبب ى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) ، فكلمة (ليقطع) تفهم أنه علق بالحبل الممدود تعلقا محكما لايمكن ان يسقط منه اذا هو لم يقطع .

ج) ـقوله تعالى فى سورة الحج أيضا : ٢٥ (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من

١) الاحزاب : ٣٩ :(٢) البحر المحيط : ٢ : ٧١، والكشاف ١ : ٣٤٣ ، والمغنى : ١ : ٩٣

عذاب أليم) ، على معنى من يرد في البيت الحرام عدولا عن القصد وظلما نذقه، وهو تأويل وليس فيه من قوة التوكيد ماعهدناه في الباء الزائدة، وقد ذهب الزمخشري في معناها مذهباً لااثر فيه لزيادة الباء، قال: «بالحاد بظلم ، حالان مترادفان ومفعول (يرد) متروك ، ليتناول كل متناول ، كأنه قال : ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالماً» . وهو معنى أليق ببلاغة القرآن ، وفيه دلالة على نفاذ بصيرة الزمخشري وقوة ادراكه لاسرار البلاغة .

د) ـ قوله في سورة المؤمنون : ٢٠ (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن) في قراءة تنبت بضم التاء ، والمعنى على زيادة الباء تنبت الدهن .وخرج الزمخشري الاية من وجهين كلاهما يجنب الباء الزيادة ، قال : «احدهما أن أبت بمعنى نبت» ، وانشد لزهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل(١)

والثاني ان مفعوله محذوف، اي تنبت ثمرها وفيه الزيت ، فيكون «بالدهن» حالا.

هـ ـ قوله في سورة المائدة : ٦ (وامسحوا برؤسكم)، فقد ذهب بعض الائمة من الفقهاء الى زيادة الباء، وجعل حكم الرأس بناء على ذلك أن يمسح كله .ومنهم من يجعلها لالصاق المسح بالرأس : وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه . على أنه روى أنه يقال : مسحت راسه وبراسه (٢) .

وقالوا ان الباء مزيدة في قوله تعالى في سورة البقرة : ١٣٧ (فان آمنوا بمثل ماآمنتم به) ، فجعلوا المعنى : فان آمنوا مثل ماآمنتم به ، لان الدين الذي يهدي الى الحق واحد وهو الاسلام ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، ويجعلها الزمخشري من باب التبكيت ، فتضل الباء على حالتها دون حاجة الى جعلها زائدة قال : عبرت الاية بكلمة الشك : (على سبيل الفرض والتقدير ، أي : فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا . وفيه ان دينهم الذي

(١) انظر الكشاف في الايتين الاخيرتين: ج ٢ : ١٠ ص ٣٩ ط الحلبي .
(٢) تفسير القرطبي : ٦ : ٨٧ والبحر المحيط : ٣ : ٤٣٦ ، ٤٣٧، والكشاف: ١: ٥٩٧ . ط . الحلبي .

هم عليه ، وكل دين سواه مغاير له ، غير مماثل ، لانه حق وهدى ، وما سواه باطل وضلال . ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه : هذا هو الرأى الصواب ، فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به ، و قد علمت ان لاأصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان مارايت لارأى وراءه (١) « . على ان العرب تستعمل فى ارادة الشيء ومثله ، يقولون : انى اكرم مثلك ، اى اكرمك . وقد قال تعالى فى سورة الانعام : ١٢٢ «كمن مثله فى الظلمات »اى كمن هو فى الظلمات وعلى هذا يكون (فان آمنوا بمثل ماآمنتم به) معناه : فان آمنوا بما آمنتم به لابمثله (٢) .

ويعزى الى سيبويه انه يجعل الباء زائدة فى قوله تعالى فى سورة ن : ٦ (فتبصرو ويبصرون بأيكم المفتون)، فتكون الباء هنا زائدة فى المبتدأ ويرى غيره ان الباء متعلقة بمحذوف ، والمفتون مصدر على وزن مفعول كالمعقول والمجلود فيكون المعنى بأيكم الجنون (٣) . وكلا التأويلين محتمل ومقبول ، وزيدت الباء فى خبر ليس فى قوله تعالى فى سورة البقرة : ١٨٩ (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) .

هذا واكثر ماتزاد الباء فى القرآن الكريم فى المواطن الاتية :

١ ـ توكيد علم الله تعالى بكل مايأتى الانسان من عمل زجرا للاثمين ،وترغيبا للطائعين نحو قوله تعالى فى سورة البقرة : ٧٤ (وما الله بغافل عما تعملون)، وقد كررت هذه الاية بلفظها فى القرآن الكريم ثمانى مرات ، تارة بتاء الخطاب ،وتارة بياء الغيبة فى (يعملون) .

٢ ـ توكيد نفى الظلم عنه جل ذكره واثبات مدى قدرته التى لاتغلب نحو وله تعالى فى سورة آل عمران : ٨٢ (وان الله ليس بظلام للعبيد) ، وقد كرر هذا

١) الكشاف :١: ٣١٥ . ط . الحلبى. (٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكى بن ى طالب: ٣٢٩ نسخة بالالة الكاتبة فى مكتبة الاداب بجامعة عين شمس (٣) البرهان : ٣ : ٨، والكشاف :٤ : ١٤١ . ط . الحلبى . وشرح الكافية ٢ : ٣٠٥ .

لمعنى بلفظه أربع مرات ، منها قوله في سورة ق : ٢٩ (وما أنا بظلام للعبيد) رقوله في سورة الانعام : ١٣٤ (ان ماتوعدون لات وما انتم بمعجزين) ، وقوله في سورة العنكبوت : ٢٠ ، ٢١ (يعذب من يشاء ويرحم من يشاءواليه‌تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) .

٣ ـ توكيد نفي ماكان يفتريه الجاحدون على الرسول صلى الله عليه وسلم من اوصاف لاحقيقة لها ، نحو قوله تعالى في سورة الطور : ٢٩ (فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) ، وقوله في سورة التكوير : ٢٢ (وما صاحبكم بمجنون) ، وقوله في سورة ن : ٢ (ماانت بنعمة ربك بمجنون) .

٤ ـ توكيد خلود الكافرين في النار والمؤمنين في النعيم ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ١٦٧ (وما هم بخارجين من النار) ، وقوله في سورة المائدة : ٣٧ (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) ، وقولهفي سورة الحج :٤٨ (لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) .

٥ ـ حكاية جحود المكابرينواصرارهمعلىالاعراض عن رسالات المرسلين كقوله تعالى في سورة هود : ٥٣ (قالوا ياهودماجئتنابينة ، وما نحن بتاركيآلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) ، وقوله في سورة المؤمنون : ٣٧ ، ٣٨ (ان هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) .

٦ ـ توكيد نفي اوهام للمتوهمين ، كقوله تعالى في سورة النساء : ١٢٣ (ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب) وقوله في سورة هود : ٢٩ (وما انا بطارد الذين آمنوا) وقوله في سورة الحج : ٢ (وترى الناس سكارىوماهم بسكارى) ، وقوله في سورة سبأ : ٣٧ (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) .

٧ ـ تقرير بعض القضايا الواقعة كقوله تعالى في سورة النمل : ٨١ (وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم) ، وقوله في سورة فاطر : ٢٢ : ان الله يسمع من في القبور) ، وقوله في سورة ق : ٤٥ (نحن اعلم بما يقولونوما انت عليهم بجبار).

مـــــا :

تزاد (ما) فى العربية كافة لعامل ، او توكيداً لمعنى . والكافة ثلاثة انواع:

أ ـ كافة عن عمل الرفع ، وتتصل بقل ، نحو :قلما يفلح مقصر ، وطال ،نحو طالما نصحت لك ، وكثر نحو : كثر ما أسأت .

ب ـ كافة عن عمل النصب والرفع ، وتتصل بان واخواتها ، نحو (انما الله اله واحد) (١) و (كأنما يساقون الى الموت) (٢) .

ج ـ كافة عن عمل الجر ، وتتصل ببعض حروف الجر والظروف . وأكثر ماتتصل به من حروف الجر : رب ، نحو :

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبى شمالات

والكاف ، نحو قول نهشل بن حرى :

اخ ماجد لم يخزنى يوم مشهد كما سيف عمر ولم تخنــه مضاربـه

وتتصل بحيث ،واذا، من الظروف ، فيضمنانمعنى الشرط ، ويجزمان فعلين.ولا تعد (ما) الكافة زائدة ، لانها تحدث فى الاسلوب تأثيرا كبيرا ، وتغير اختصاص العامل تدخل على مالم يكن يدخل عليها حين لاتكون متصلة به .

و(ما) التى تفيد التوكيد تزاد بعد اذا ، نحو قول كثير :

اذا ما اراد الغزو لم تثن عزمه حصان عليها نظم در يزينها

وتزاد ايضاً بعد (ان)الساكنة النون، نحو: (وامايننزغنكمنالشيطان نزغ)(٣)، وقد سبق أن تحدثنا عنها فى اساليب القسم . وتزاد بعد اى ، نحو ايامايكن الرأى فالحقيقة باقية ، وبعد اين نحو : اينماتكن فالله معك .وبعد متى ،نحو قول الاعشى:

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراجى وتلقى من فواضله ندى

وبعد الخافض حرفا نحو (فبما رحمة من اللهلنت لهم) (٤) ، أو اسما ، نحو عوقب من غير ما جرم .وتزاد أيضا غير متصلة بسابق ،ولا فاصلة بين جارومجرور،

(١) سورة النساء : ١٧١ . (٢) سورة الانفال : ٦ . (٣) الاعراف : ٢٠٠ .
(٤) آل عمران : ١٥٩ .

ما الزائدة في القرآن

يقتصر الحديث هنا على (ما) الزائدة للتوكيد ، ولا نـرى مع ذلك بأسا أن
ذكر أن (ما) الكافة عن عمل الرفع لم تذكر في القرآن الكريم ،والكافة عن عمل
جر وردت في قوله تعالى في سورة الأعراف :١٣٨ (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) ،
يل انها ليست الكافة ، ولكنها الموصولة ، والتقدير :كالذى هو آلهة لهم.(٣) .وهو
ير لايخلو من تكلف لاضرورة اليه ، وفي قوله تعالى في سورة الحجر : ٢(ربما
د الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ، وفي قوله في سورة البقرة :١٤٤ (وحيثما كنتم
لوا وجوهكم شطره) ، ولم ترد (ما) الكافة عـن جر المضاف اليـه في القرآن
كريم .

وقد زيدت(ما) بعد اذا احدى عشرة مرة،منها قوله تعالى في سورة الشورى: ٣٧
اذا ماغضبوا هم يغفرون) ، وزيدت بعد ان كذلك ،منها قوله تعالى في سورة
سراء : ٢٣(اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف) ، وزيدت
اين تسع مرات ، منها قوله تعالى في سورة النحل : ٧٦ (اينما يوجهه لايأت
) وزيدت بين الجار والمجرور أربع مرات ، منها قوله تعالى في سورة آل
ان : ٥٩ (فبما رحمة من الله لنت لهم) ، وزيدت مفردة سبع مرات ، منها قوله
في سورة ص : ١١(جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب)،وزيدت بين المضاف
ضاف اليه في قوله تعالى في سورة القصص : ٢٨ (ايمـا الاجلـين قضيت فلا
ن على) .

وزيادتها في هذه المواضع بغرض صوتي، فهي تقتضي مد الصوت حين النطق
فتنبه القارىء أو السامع حتى لايمر مسرعا الى المضاف اليه غافلا عنه ،كما
كثير من الكلمات التي لايذكر قبلها شيء ينبه اليها .

وسف : ٨٠ . (٢) شرح الكافية : ٢ : ٣٥٨ ، و شرح المفصل : ٨ : ١٣١ وما بعدها ،
نى (٣) البحر المحيط : ٤ : ٣٧٨ .

ومن الآيات التى تطر العلماء فى زيادة (ما) منها :

١ ـ قوله تعالى فى سورة البقرة : ٢٦ (ان الله لايستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) وخلاصة ما قالوه فيها أن(بعوضة) قرئت بالنصب والرفع .فعلى قراءة النصب تحتمل(ما)ان تكون زائدة للتوكيد ، وان تكون صفة لـ(مثلا) تزيدها تنكيرا وشياعا ، كأن المعنى :مثلا أيا كان . اما (بعوضة) فأوضح الاراء فى اعرابها أنها مفعول لـ (يضرب) ، وجاءت (مثلا) حالا منها مقدمة عليها ، ويكون(يضرب) حينئذ متعديا لمفعول واحد وقد يكون متعديا لاثنين اجراء له مجرى جعل ، فيكون اول المفعولين (مثلا) والآخر (بعوضة) او يكون العكس. اماعلى قراءة (بعوضة) بالرفع فهى خبر لمبتدا محذوف ، و (ما) زائدة ، اى يضرب مثلا هو بعوضة ، وتكون هذه الجملة كالتفسير لمضمون الكلام الذى قبلها (١) . ويزيد الزمخشرى وجها آخر لاعرابها ، فيقول :

« ووجه آخر حسن جميل ، وهو ان تكون (ما) التى فيها معنى الاستفهام ، لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال : ان الله لايستحيى ان يضرب للانداد ماشاء من الأشياء المحقرة مثلا، بله البعوضة فما فوقها .كما يقال : فلان لايبالى بما وهب ما دينار وديناران . والمعنى ان لله ان يتمثل للانداد وحقارة شأنها بما لاشيء اصغر منه (٢) » .

٢ ـ قوله تعالى فى سورة هود : ١١١ (وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير) . وقد قرئت هذه الآية قراءات متعددة ، منها : تشديد نون (ان) وميم (لما) ، ولا خلاف ان (كلا) اسم ان ، ولكن الخلاف فى (لما)فمن قائل : ان اصلها لمن ما ، دخلت من الجاره التى للتبعيض على ما الموصولة . و المعنى : وان كلا لمن الذين ليوفينهم ربك اعمالهم . فالجار والمجرور خبران ، لكن نون من ادغمت فى ميم ما ، فالتقى ثلاث ميمات ،فحذفت الميم الاولى ،دفعا للثقل الناشيء من اجتماع ثلاث ميمات . ويلاحظ على هذا التخريج امران:احدهما

(١) البحر المحيط :١: ١٢٢ ، ١٢٣ (٢) الكشاف :١: ٢٦٤ . ط الحلبى .

ان ما الموصولة واقعة فيه على العاقل ، واستعمالها له قليل (١) ، وقد تكون واقعة على جمع او عدد او نحو ذلك (٢) . والاخر انه قد اجتمع اكثر من ثلاث ميمات فى قوله تعالى فى سورة هود ايضا :

٤٨ (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك) ، ومع ذلك لم يحذف منها شيء ولا يحس فى النطق بها ثقل .

وهنا تخريجات اخرى ليست خيرا من هذا، بل لعلها ان تكون اشد منه تكلفا. والمختار ان (لما) فى الاية هى الجازمة ، حذف الفعل الذى بعدها ، والاصل : وان كلا لما يوفوا اعمالهم، وقوله تعالى بعد (لما): ليوفينهم يدل على المحذوف. وحذف الفعل بعد لما جائزا اذا دل عليه دليل ، كقوله :

فجئت قبورهم بدءا ولما فناديت القبور فلم يجبنه

اى : ولما اكن بدءا ، يعنى سيدا او شابا عاقلا .

ومن القراءات التى قرئت بها الاية ايضا : تشديد النون وتخفيف الميم ،فتكون (ان) عاملة مع انها مخففة ، وتكون لام (لما) للابتداء ، وما زائدة للفصل بينها وبين لام القسم كما تزاد الالف للفصل بين النونات فى نحو تعلمنان يافتيات .(٣)

٣ ـ قوله تعالى فى سورة يوسف: ٨٠ (قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم من يوسف) ؛ فـ (ما) فى الاية يصح ان تكون صلة ، اى : ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم ، ويصح ان تكون مصدرية، على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف ،وهو من قبل . ومعناه : ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف ، اوالنصب عطفا على مفعول الم تعلموا) ، وهو (ان اباكم) ، كأنه قيل : الم تعلموا أخذ ابيكم عليكم موثقا تفريطكم من قبل فى يوسف (٤) .

٤ ـ قوله تعالى فى سورة يس : ٣٢ (وان كل لما جميع لدينا محضرون) ،

(١) الهمع : ١ : ٩١ . (٢) حاشية الامير على المغنى : ١ : ٢٠٣ (٣) الكشاف : ٢ : ٢٩٥ ط . الحلبى . والمغنى بحاشية الدسوقى . : ١ : ٣٨٨ . (٤) الكشاف : ٢ : ٣٣٧ . ط . الحلبى.

فقد قرئت (لما) بالتخفيف،فتكون (انمخففة من الثقيلة ، واللام في «لما» هي الفارقة ومازائدة).وقرئت بالتشديد ، فتكون (ان)نافية ، و (لما) بمعنى الا . والمعنى أنهم جميعاً سيحضرون للحساب يوم القيامة .

٥ ـ قوله تعالى في سورة الذاريات : ١٧ (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) فـ (ما) هنا اما زائدة ،والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ،فتكون(قليلا) ظرفا وان جعلت صفة للمصدر كأن المعنى : كانوا يهجعون هجوعا قليلا . واما ان تكون (ما) مصدرية فيكون المصدر فاعلا لـ (قليلا) ، ويكون المعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم (١) .

٦ ـ قوله تعالى في سورة الذاريات ايضاً : ٢٣ (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فـ (ما) في الاية زائدة ، وقرىء (مثل) بالرفع والنصب فالرفع على انها صفة لـ (لحق) والمعنى : انه لحق مثل نطقكم،وهذا كقول الناس: ان هذا لحق كما أنك ترى وتسمع .والنصب على انهاصفةللمصدر المقدر.والمعنى: انه لحق حقامثل نطقكم . وقد تكون فتحة مثل فتحةبناء،لانهامضافةالى غيرمتمكن(٢).

تزاد لافيستغنى الكلام عنها كغيرها من الاحرف الزائدة ، ومن امثلةزيادتها قول أبي النجم :

ولا ألوم البيض ألا تسخرا   وقد رأين الشمط القفندرا

فالمعنى : لاألوم البيض ان تسخر وقد رأين الشيب القبيح المنظر(٣).وتزاد(لا) بعد واو العطف اذا سبقت بنفي أونهي .نحو :مازادني زيد ولاعمرو ، ولايقم زيدولا عمرو.لان الواو جمعت بين زيد وعمرو في نفي المجيء عنهما في المقال الاول،وفي نهيهما عن القيام في الثاني .

والصحيح انها في الحالين ليست زائدة للتوكيد ، لاحتمال ان يكون النفي والنهي موجها الى اجتماع المعطوف عليه في الحكم ،وليس موجها الى كل منهما.

١) المصدر نفسه : ١٥ ، ١٦ . (٢) المصدر نفسه : ١٧ . (٣) الخصائص :٢: ٢٨٣ .

واذا تكون لافي الاسلوب لمعنى يفوت بحذفها منه . اما الزائدة المفيدة للتوكيد بعد الواو فالتي تسبق بما لايقع لا من متعدد كما في قوله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) (١) فالمعنى لاتستوى الحسنة والسيئة ، لان الاستواء ومايشبهه كالاصطلاح والاختصام يستوجبان المشاركة ،فذكر لامعهما حين يسبقان بالنفي أو النهي تزيد الحكم قوة وتوكيدا (٢) . ويعجب الرضي لجعل (لا) زائده اذا أفادت رفع الاحتمال في الكلام (٣) .

وتزاد (لا) ايضاً بعد ان المصدرية اذا صـ الاستغناء عنها في الكلام ، نحو (مامنعك الا تسجد) (٤) بدليل الاية الاخرى (مامنعك ... (٥)) ويجعل البصريون (لا) التي تعترض بين الجار والمجرور زائدة ، نحو ... شيء ،وهذايقتضى ان يكون من انواع الزائد مايعترض بين المتلازمين وان أدى في الكلام معنى يفوت بحذفه . اما الكوفيون فيرون انها هنا اسم ، وان الجار دخل عليها نفسها ، وان مابعدها مخفوض باضافتها اليه (٦) وهو راى لاتكلف فيه ، ولا يستوجب توسعاغير مفهوم في تعيين المراد بالحرف الزائد . وتقدم في الحديث عن القسم ذكرلا التي تزاد فيه، فأغنى ذكرها هناك عن اعادتها هنا .

« زيادة لا في القرآن »

ذكرت (لا) بعد واو العطف المسبوقة بنفي في ست وثمانين آيـة ، كقوله تعالى في سورة التوبة : ٥٥ (فلا يعجبنك اموالهم ولا اولادهم) ، وذكـرت فـي ست آيات بعد الواو المسبوقة بنهي ، كقولة تعالى في سورة المائدة : ٢ (ياأيها الذين آمنوا لاتحلو شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد) و ذكرت زائدة بعد ان في، أربع آيات،منها قوله تعالى في سورة الحجر : ٣٢ (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) . وذكرت في فعل من الاستواء في اربع آيات ، منها قوله تعالى في سورة فاطر ، : ٣٤ (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) .

(٢) سورة فصلت : ٣٤ . (٢) شرح المفصل :٨: (٣) شرح الكافية : ٢ : ٣٥٨ . (٤) سورة الاعراف : ١٢ . (٥) سورة ص : ٧٥ . (٦) البرهان :٣: ٧٨ ، ٥٩ ، المغنى وحاشية الدسوقى عليه ١ : ٣٤٦ .

ومن الايات التي تناولها العلماء بالبحث في هذا المقام واختلفت آراؤهم فيها :

أ ـ قوله تعالى في سورة الفاتحة : ٧ (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقد نقل ابن فارس عن ابي عبيدة ان (لا) زائدة لتتميم الكلام ، والمعنى الغاؤها . ولم يوافق ابن فارس على رأى ابي عبيدة ، فقال : «أما قوله : ان (لا) في (ولا الضالين) زائدة فقد قيل فيه : ان لا انما دخلت هاهنا مزيلة لتوهم متوهم ان الضالين هم المغضوب عليهم . والعرب تعطف بالواو ، يقولون : مررت بالظريف والعاقل . فدخلت لا مزيلة لهذا التوهم ومعلمة ان الضالين هم غير المغضوب عليهم (١) والظاهر ان ابا عبيدة ممن يذهبون الى زيادة لا بعد الواو والعاطفة المسبوقة بنفي ويشرح الزمخشري دلالة غير على النفي فيقول : ان قلت : لم دخلت لا في (ولا الضالين) ؟ قلت : لما في غير من معنى النفي ، كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين (٢) .

ب) ـ قوله تعالى في سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) ، على قراءة (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على (ان يؤتيه) (ان يقول) ، والمعنى ماكان لبشر أن يتخذه الله رسولا يدعو الناس الى افراد الله بالعبادة ، ثم يأمرهم بأن يكونوا عباداً له . وتكون (لا) على هذا زائدة لتوكيد النفي (١) اما على قراءة (ولا يأمركم) بالرفع فالكلام مستأنف ، وفاعل يأمر ضمير الله تعالى ، ولا ، حينئذ ليست زائدة .

ج) قوله تعالى في سورة الانعام : ١٠٩ (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) والمعنى : وما يدريكم ايها المؤمنون ان الكفار يؤمنون اذا جاءتهم الآية التي

(١) الصاحبي : ١٣٧ ـ ١٣٩ . (٢) الكشاف : ١ : ٧٢ . ط . الحلبي . (٣) البرهان : ٣ : ٨ .

يطلبونها . ولو جعلت لاأصلية لكان المعنى :وما يدريكم انهم لايؤمنون اذا جاءتهم الاية ، أى انه ينتظر منهم الايمان اذا جاءتهم وهو خلاف المراد . فقد قال تعالى : (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا) (١) ، وقيل ان المعنى : ومايشعركم لعلها اذا جاءتهم لايؤمنون فتكون ان من (أنها) بمعنى لعلها من قول العرب: ائت السوق انك تشترى لحما، وقال امرؤ القيس:

عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وهو كلام لايمكن ان يستساغ فى الشعر وتفسير معناه، اما فى القرآن الكريم فهيهات . ويذهب الزمخشرى فى تفسير الاية مذهبا لايكون (لا) فيه زائدة، فيقول: «يعنى انا اعلم انها اذا جاءت، لايؤمنون بها وانتم لاتدرون بذلك، وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءتهم تلك الاية ، ويتمنون مجيئها ، فقال عزوجل: وما يدريكم انهم لايؤمنون ، على معنى انكم لاتدرون ماسبق علمى به من انهم لايؤمنون به . الا ترى الى قوله : (كما لم يؤمنوا به أول مرة)(٢)، وقيل : ان اللام مقدرة قبل (أن) والمعنى : انما الايأت التى يقترحونها عندالله لانها اذا جاءت لايؤمنون وما يشعركم اعتراض بين العلة والمعلول (٣) .

د) قوله تعالى فى سورة الانعام : ١٥١ (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا) فقد قيل : (ان) مصدرية ، ولا يصح ان تكون نافية ، لان المحرم هو الشرك وليس انتفاءه ، وقيل ان (أن) مفسرة ، و (لا) ناهية ، ولايقال حينئذ اذا كانت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بـ (ماحرم) وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهى ، فما الرأى فى الاوامر التى ذكرت مع المحرمات المنهى عنها كالامر بالاحسان الى الوالدين؟ لان هذه الاوامر لما وردت مع النواهى وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساءة الى الوالدين

١) سورة الانعام : ١١١ . (٢) الكشاف :٢: ٤٤ . ط . الحلبى .(٣) اتحاف فضلاء البشر ١٢٩ .

وقيل ان الكلام تم عند قوله (حرم ربكم) ، ثم ابتدأ فعدد المحرمات (١) وجعل لازائدة في الاية يضع حداً لهذه التأويلات التى لاتخلو من تكلف .

هـ) ـ وقوله تعالى في سورة الانبياء : ٩٥ (وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون) فلافي الاية زائدة ، والمعنى ممتنع على قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم انهم لايرجعون عن الكفر الى قيام الساعة. فحرام خبر مقدم وان وصلتها مبتدأ مؤخر(٢).

و) ـ وقوله تعالى في سورة الحديد :٢٨(ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) ،وعبارة الطبرى في تفسير الاية على زيادة لا : «يقول تعالى : ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أهل الكتاب : يفعل لكم ربكم هذا لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذى آتاكم وخصكم به ، لانهم كانوا يرون أن الله فضلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جل ثناؤه انه قد آتى امة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة مالم يؤتهم (٣) » .

ويؤيد زيادة لافي الاية قراءة ابن عباس وعاصم والحميدى :(ليعلم اهل الكتاب) وقرأ ابن مسعود وابن جبير (لكى يعلم)(٤) والقراءتان تفسير لقراءة الاية على زيادة لا.

وللاستاذ الكبير الشيخ عبدالرحمن تاج(٥) بحث في زيادة لا، يقرر فيه انه لايمنع ان تقع في القرآن كلمات زائدة ، يقصد بها معنى خاص كتوكيد حكم بنفي او اثبات ومثل لذلك بقوله تعالى : (فلما ان جاء البشير القاه على وجهه) (٦) ، لكنه ـ مع ذلك ـ يرى ان لاليست زائدة في الايات الاتية :

أ ـ قوله تعالى : (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (٧)، وقد سبق أن تكلمنا عن هذه الاية في القسم فلا داعى لتكرار الكلام عنها هنا .

(١) البرهان :٣: ٨١ ، والكشاف :٢: ٦١ ط الحلبى . (٢) البرهان : ٣ : ٨١ .
(٣) تفسير الطبرى :٢٧. ١٤٢ ، ١٤٣ (٤) البرهان : ٣ : ٧٩ . (٥)انظر بحوث محاضرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة لسنة ١٩٦٧ . (٦) سورة يوسف : ٩٦ (٧) سورة النساء : ٦٥ .

ب ـ قوله تعالى : (مامنعك الا تسجد اذ أمرتك) (١) فعنده ان في الاية عبارتين حذف من كل منهما ماترشد اليه الأخرى ، والعبارتان هما :مامنعك ان تسجد. وما دعاك الا تسجد فحذف من العبارة الاولى (ان تسجد) لان العبارة الثانية ـ وهي للتوبيخ ـ تدل على المحذوف الذى سئل عن المانع منه في العبارة الثانية، وحذف من العبارة الثانية الفعل دعاك لان السؤال عن المانع من السجود في العبارة الأولى يدل على ان عدم السجود في العبارة الثانية لابد ان يكون له داع وسبب فهو المسؤول عنه في الثانية. وهو تكلف يغني عنه ان تجعل لا زائدة مادامت الزيادة في القرآن عند فضيلته امرا واقعاً

ح ـ الايات التى اقترنت فيها لا بالفاء ، نحو (فلا أقسم بمواقع النجوم)(٢)، وقد سبق ايضاً الحديث عن لا هذه في القسم ، ونكتفي بما قلناه عنها هناك .

د ـ قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب)(٣) ، وهو يرى فيها رأيا رآه الفخر الرازى ، ومقتضاه أن ضمير (ألا يقدرون) عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ويكون معنى عدم القدرة على فضل الله عدم نيل هذا الفضل ، ثم يكون معنى الاية مع التى قبلها ان الله وعد المؤمنين المتقين بذلك الاجر العظيم لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الرسول والمؤمنين محرومون من فضل الله وانهم لايقدرون على شيء من ذلك الفضل ، اى لاينالون شيئاً منه . وهو كالتأويل في الاية السابقة لايسلم من التكلف . وخاصة في تفسير القدرة ، والذهاب بها الى معنى بعيد .

هـ ـ الايات التى كررت فيها لا مع فعل التسوية ، نحو قوله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) (٤) ، فهو يقرر ان لا الثانية ليست زائدة لتأكيد النفى كما يقول الاخرون ، بل انها كررت لافادة نفي استواء السيئة بعد مانفى بالاولى استواء الحسنة ، والمقصود بالآية نفى استواء افراد الحسنة نفسها ثم نفى استواء افراد السيئة كذلك . فان لكل من الحسنة والسيئة افرادا متفاوتة في القوة والاثر ، وهو معنى حسن يعد بمثابة شرح لتفسير الزمخشرى الآية اذ يقول:«يعنى ان الحسنة

(١) سورة الاعراف : ١٢ . (٢) سورة الواقعة : ٧٥ . (٣) سورة الحديد : ٢٩ .
(٤) سورة فصلت(٣٤) .

بيئة متفاوتتان في انفسهما ، فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك تان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء ، اساءة فالحسنة ان تعفو عنه،والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك ان يذمك فتمدحه ، ويقتل ولدك فتفدى ولده من يد عدوه ،فانك ان فعلت ذلك ب عدوك المشتاق لك مثل الولي الحميم مصافاة لك » .

ن هذا الرأى لايغض من الراى القائل بزيادة لا،وتفسير الآية على الزيادة ،لوضوحه ب متناوله .

« ان »

اكثر ماتزاد ان بعد ما النافية لتوكيد النفي بها، فهي بمنزلة تكرارها وتدخل على الجمل الفعلية كقول امرء القيس :

حلفت لها بالله حلفة فاجر   لناموا فما ان من حديث ولا صالى

وعلى الجملة الاسمية ، كقول فروة بن مسيك :

فما ان طبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

وتكف ما الحجازية عن العمل . وقد تزاد بعد ما الموصولة الاسمية ، كقول بن الأن الطائي :

يرجي المرء ما ان لا يراه   وتعرض دون أدناه الخطوب

وبعد ما المصدرية ، كقول المعلوط القريعي :

ورج الفتى للخير ما ان رأيته   على السن خيرا لايزال يزيد

وبعد الا الاستفتاحية :

الا ان سرى ليلى فبت كئيبا   احاذر ان تنأى النوى بغضوبا (١)

« ان في القرآن الكريم »

وردت ان زائدة مرة واحدة ،وكانت زيادتها بعد ما النافية في قوله تعالى في الاحقاف : ٢٦ (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ، والمعنى مكنا قومهم

(١) مغني اللبيب بحاشية الامير: ١: ٢٤

في مثل الذى مكناكم فيه ، ويرى آخرون انها فى الاية نافية لازائـدة ، و المعنـى مكناهم فى الذى لم نمكنكم فيه .واستدلوا لذلك بقوله تعالى فى سورة الانعام: ٦ (الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم)، فالمعنى لم تعط أهل مكـة مااعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة فـى الأموال وغير ذلكمن النعم ،وقوله فى سورة مريم : ٧٤ (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورأيا) ،وقوله فى سورةغافر : ٨٢ (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثاراً فى الارض) . والمعنى على النفى بعد ذلك أبلغ فى التوبيخ وأدخل فى الحث على الاعتبار(٢).

« الـــلام »

تـــزاد الـــلام فـــي المواضـــع الاتيـــة :

١ ـ ان تفصل بين الفعل المتعدى ومفعوله ،كقول بن ميادة يمدح عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك :

وملكت مابين العراق ويثرب ملكاً أجار لمسلم ومعاهد

٢ ـ ان تقع بعد فعل متعد واقع بعدها ان المصدرية ظاهرة او مضمرة نحـو قوله تعالى : وأمرت لان اكون أول المسلمين ، وقول كثير :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فالاصل : أريد ان اكون واريد ان أنسى ، بدليل حذفها فى نحوقوله تعالى: (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم)، وقيل ان اللام هنا للتعليل والمفعول محذوف، وتقديره فى البيت اريد النسيان لانسى ذكرها . وقيل ان الفعل لامفعول له ، وانه مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ، واللام وما بعدها خبر له ، والتقدير ارادتى للنسيان.

٣ ـ ان تعترض بين المتضايفين نحو قول سعد بن مالك بن ضبيعة :

يابؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

فالاصل فيما يقولون يابؤس الحرب، ثم اقحمت اللام لتقوية اختصاص البؤس

(٢) الكشاف :٣: ٥٢٦ . ط الحلبى ، و البرهان : ٣ : ٧٥ .

بالحرب ، والجر حينئذ باللام لا بالمضاف على الارجح، لان اللام اقرب الى المضاف اليه ، ولان حرف الجر لايعلق عن العمل . ومن هذا القبيل قول العرب : لاأبالك، ولا غلامى لك ولا مسلمى لك . ويقول الخليل فى ذلك : «ان النون أنما ذهبت للاضافة، ولذلك الحقت الألف التى لاتكون الا فى الاضافة». ويزيد سيبويه القضية شرحا فيقول : وانما كان ذلك من قبل ان العرب قد تقول : لاأباك فى معنى لاابالك . فعلموا انهم لو لم يجيئوا باللام لكان التنوين ساقطا ، كسقوطه فى لامثل زيد، فلما جاؤا بلام الاضافة تركوا الاسم على حاله قبل ان تجىء اللام اذ كان المعنى واحدا .

٤ ـ ان تدخل على عامل ضعف لتأخره عن معموله او لكونه فرعا فى العمل فتكسبه قوة مثال الأول قوله تعالى : (ان كنتم للرؤيا تعبرون) (١). ومثال الثانى قوله تعالى : (فعال لما يريد) (٢) .

٥ ـ ان تكون للابتداء وقد سبق الكلام عليها حين الكلام على ان .

ولا يبدو ان اللام التى لتقوية العامل اذا ضعفت مفيدة للتوكيد ، وانما هى لتكسب مزيدا من الاتساق ، ويحس الانسان بالفرق بين التعبير مع اللام والتعبير بدونها حين تحذف اللام اذ تصير الاية الاولى : ان كنتم الرؤيا تعبرون وابن هذا من « ان كنتم للرؤيا تعبرون » فى استواء العبارة واتساق صياغتها .(٣)

« زيادة اللام فى القرآن »

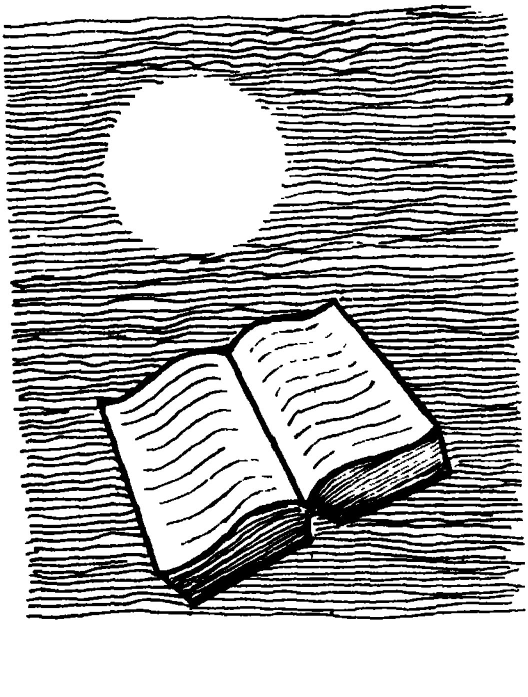
لم نعثر فى القرآن على زيادة اللام بين المتضايفين ، وذكرت اللام بين ردف فى قوله تعالى فى سورة النمل : ٧٢ (قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى يستعجلون) وينسب الى المبرد انه جعل اللام فى الاية زائدة قبل المفعول به (٤) ونورد هنا نص عبارته لتتضح الحقيقة قال : « وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (قل عسى ان يكون ردف لكم) معناه ردفكم (٥)» فالمبرد لم يزد على ان نقل قول بعض

(١) سورة يوسف : ٤٢ . (٢) سورة البروج : ١٦ . (٣) المغنى : ١ : ٣١٠ وسيبويه : ١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ وشرح الكافية : ٢ : ٣٠٦ ، والهمع : ٢ : ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) البرهان : ٣ / ٨٥ . (٥) المقتضب : ٢ . ٣٧ والبرهان : ٣ / ٨٥ والمغنى بحاشية الدسوقى : ١ : ٣١٠ .

المفسرين عن اللام ، وكأنهم نسبوا اليه القول بزيادتها قبل المفعول لانه لم يعقب على قول هؤلاء المفسّرين . ومهما يكون الامرفالفعل ردففي رأى الاكثرين مضمن معنى اقترب وذكرت باللام كما عدى اقترب بهافي قوله تعالى في سورة الانبياء: ١ (اقترب للناس حسابهم) .

وذكرت للام بعد امرت وامرنا في سبعة مواضيع ظهرت ان بعدها في موضع واحد منها وهو قوله تعالى في سورة الزمر: ١٢ (وأمرت لان اكون اول المسلمين)، واضمرت في المواضع الأخرى ومنها قوله تعالى في سورة البينة : ٥ (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وكلما يتعلق بالامر بالاسلام لله او الامر بعبادته او بالعدل بين الناس .

Accession Number (68787)
Date 28/12/91



من النظام الاساسي للمجلة :

اولا ـ تلتزم المجلة بعرض الاسلام مبدءاً و تاريخاً وحضارة باسلوب منسجم مع متطلبات العصر ، ولغته ، والتركيز على مختلف العلوم الاسلامية ؛ ذات الصلة الوثيقة بالكيان التربوى ، والاهتمام بشوون المسلمين فى العالم بصورة عامة .

ثانياً ـ المجلة هادفة لاتنشر الا مايلتقى و رسالتها الدينية .

ثالثاً ـ المجلة على استعداد لقبول كل اقتراح ، ونقد بناء.

رابعاً ـ التعاون التام مع المؤسسات والجمعيات والنوادى الاسلامية فى العالم .

خامساً ـ لاتلتزم المجلة بنشر كل مايصلها من مواد ، ولا تلتزم باعادتها لاصحابها ولها حق التعديل عند الضرورة .

سادساً ـ توزع المقالات ، والبحوث ، والقصائد عند النشر على اساس فنى لاعلاقة له بمكانة الكاتب .